الإحتجاج

تأليف

الجليل أبي منصور أحمد بن علي بن أبي

طالب الطبرسي

من علماء القرن السادس

منشورات الشريف الرضي













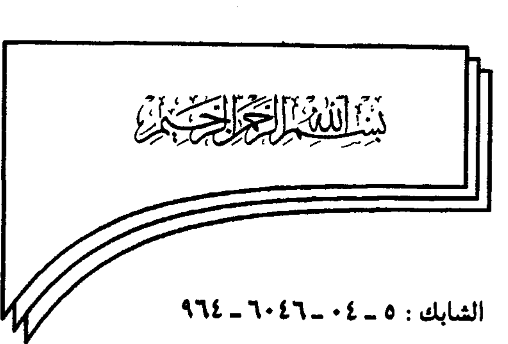



تأليف:

العلامة الخبير أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي

من علماء القرن السادس

انتشارات الشريف الرضي



الشابك : ٥ ـ ٠٤ ـ ٦٠٤٦ ـ ٩٦٤

ISBN : 964 - 6046 - 04 - 5

الكتاب : الاحتجاج / ج ١

المؤلف : أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي

الناشر : انتشارات الشريف الرضي

عدد المطبوع : ١٠٠٠ دورة (مجلّدين)

سنة الطبع : ١٣٨٠

الطبعة : الاولىٰ

عدد الصفحات : ٣٧٢ صفحة وزيري

المطبعة : شريعت

سعر الدورة : ٣٥٠٠ تومان



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحمد لله ربّ العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * إيّاك نعبد وإيّاك نستعين * إهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالّين ﴾ .

﴿ ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا * ربّنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا * ربّنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به * واعف عنّا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ .

ربّنا عليك توكّلنا وإليك أنبنا وإليك المصير

صدق الله العلي العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بالمؤلف والكتاب

نكتفي هنا بما ذكره سماحة السيّد محمّد بحرالعلوم أيده الله تعالى في مقدّمته حول الكتاب والمؤلف ؛ قال سماحته :

بين يدي القُرّاء الكرام كتاب جليل ، يعتبر من المصادر القيّمة في موضوعه ، ومؤلّف هذا الكتاب هو : أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي ، أبو منصور ، وتكاد تجمع المصادر على هذا القدر من إسمه ونسبه ، إلّا ابن شهرآشوب فقد ذكره على الوجه التالي «أحمد بن أبي طالب»[1] .

وحذا حذوه الشيخ المجلسي عند ذكره كتاب «الإحتجاج» ، واعتقد أنّ الشيخ يوسف البحراني حاول توجيه رأي ابن شهرآشوب بقوله : «وقد يعبّر عنه بابن أحمد بن أبي طالب الطبرسي ، والظاهر أنّه من باب الإختصار في النّسب فلا يتوهّم التعدّد»[2] .

ولم تحدّد لنا المصادر سنة ولادته ، كما لم تحدّد لنا سنة وفاته ، غير أنّ الحجّة الثبت شيخنا المحقّق آغابزرك الطهراني يستنتج سنة وفاته من معاصريه وتلامذته ويعدّه ممّن أدركوا أوائل القرن السادس الهجري ، بدليل أنّه أُستاذ رشيدالدين محمّد بن علي بن شهرآشوب الذي توفّي سنة ٥٥٨ هـ عن مائة سنة إلّا عشر أشهر ، فهو من أهل الخامسة الّذين أدركوا أوائل السادسة أيضاً[3] .

ويتّجه لغير هذا الرأي كلّ من عمر رضا كحّالة[4] ، وإسماعيل باشا[5] ويعتقدان بأنّه توفّي في حدود سنة ٦٢٠ هـ .

---

(١) معالم العلماء ٢٥.

(٢) كشكول البحراني ٣٠١/١.

(٣) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢٨١/١.

(٤) معجم المؤلفين ١٠/٢.

(٥) إيضاح الكنون ذيل كشف الظنون ٣١/١.

ولقد روى مترجمنا عن جماعة ، منهم أبو جعفر مهدي بن الحسن بن أبي حرب الحسيني المرعشي[١] .

وروى عنه رشيدالدين محمّد بن علي بن شهرآشوب ، الّذي صرّح بذلك في كتابه[٢] بقوله : «شيخي أحمد بن أبي طالب» .

وكان موضع اعتماد الشهيد في «شرح الإرشاد» ، فكثير ما نقل فتاواه وأقواله[٣] .

وذكر أعلام المترجمين بكلّ ما يدلّ على مكانته العلميّة ، فقد أثنى عليه السيّد ابن طاوس ، ووصفه الحرّ العاملي بأنّه «عالم فقيه فاضل ، محدّث ، ثقة» ، وتحدّث عنه الشيخ يوسف البحراني بقوله : «الفاضل ، العالم ، المعروف ،كان من أجلّ العلماء ، ومشاهير الفضلاء»[٤] ، واعتبره الخوانساري بـ «من أجلّاء أصحابنا المتقدّمين»[٥] ، وأورد ترجمته عمر رضاكحّالة فوصفه بأنّه : «فقيه مؤرّخ»[٦] .

ومن هذه الفقرات المعدودة نستطيع أن نعرف مكانة مترجمنا العلميّة ومدى الثقة الّتي كان يتّسم بها .

ودلّت المصادر المترجمة له بأنّه مؤلّف قدير ، له عدّة كتب ، فإلى جانب كتاب «الإحتجاج» الّذي نحن بصدده ، خلّف الكتب التالية ، وهي :

١ ـ «الكافي في الفقه» ، أو «الكافي من فقه الشيعة» ؛

٢ ـ «تاريخ الأئمّة عليهم‌السلام» ؛

٣ ـ «فضل الزهراء عليها‌السلام» .

وهذه الكتب وإن لم نعثر عليها فقد أورد ذكرهاكلّ من ابن شهرآشوب ، والشيخ عبّاس

---

(١) مهدي بن الحسن بن أبى الحرب المرعشي ، عدّه المحقّق الوحيد من أجلّاء الطائفة ، ومن مشائخ الإجازة من مشايخ الطبرسي ، وقد وصف بالعالم العابد العادل الموثّق ، يروي عن الشيخ الصدوق أبي عبدالله جعفر بن محمّد ابن أحمد الدوريستي عن أبيه عن الشيخ أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي . راجع : رجال المامقاني ٢٦١/٣ ، وكشكول البحراني ٣٠١/١ .

(٢) معالم العلماء ٢٥ .

(٣) كشكول البحراني ٣٠٢/١ .

(٤) كشكول البحراني ٣٠١/١ ـ ٣٠٢ .

(٥) روضات الجنّات ١٩/١ .

(٦) معجم المؤلّفين ١٠/٢ .

القمّي ، والسيّد محسن الأمين العاملي ، وعمر رضا كحّالة ، وإسماعيل باشا[١] .

٤ ـ «مفاخرة الطالبيّة» .

وقد ذكر هذا الكتاب كلّ من ابن شهرآشوب ، والسيّد الأمين العاملي[٢] .

٥ ـ «كتاب الصلاة» .

وانفرد بذكر هذا الكتاب ابن شهرآشوب[٣] .

٦ ـ «تاج المواليد» .

وانفرد بذكر هذا الكتاب السيّد محسن الأمين العاملي[٤] وقال : «ينقل عنه السيّد النسّابة أحمد ابن محمّد بن المهنّا بن علي العبيدلي المعاصر للعلّامة الحلّي في كتابه «تذكرة النّسب» ، ولكن الشيخ أحمد بن أبي ظبية البحراني في كتابه «عقد اللآل في مناقب النّبي والآل» نسبه إلى أمين الإسلام أبي علي فضل بن الحسن الطبرسي صاحب التفسير ، فقد وقع إشتباه في نسبة الكتاب المذكور إمّا من العبيدلي ، أو البحراني ، وكونه من العبيدلي القريب من زمن المؤلّف بعيد» .

ولقد وقع نظير هذا الإشتباه الّذي يشير إليه المرحوم السيّد الأمين ، إشتباه آخر في كتاب «الإحتجاج» نفسه .

فقد نسب بعض المؤلّفين كتاب «الإحتجاج» إلى أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، صاحب تفسير «مجمع البيان» .

وفي صدد إثبات هذا الكتاب لأبي منصور أحمد بن أبي طالب الطبرسي قال الشيخ يوسف البحراني : «ويظهر من كتاب «المجلي» لابن أبي جمهور الإحسائي أنّ كتاب «الإحتجاج» للشيخ أبي الفضل الطبرسي . قال في أوّل «البحار» بعد نسبة كتاب «الإحتجاج» لأحمد بن أبي طالب : وينسب هذا الكتاب إلى أبي علي الطبرسي وهو خطأ ، بل هو تأليف أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي ، كما صرّح به السيّد ابن طاوس في كتاب «كشف المحجّة»[٥] .

---

(١) راجع : معالم العلماء ٢٥ ، والكنى والألقاب ٤٠٤/٢ ، وأعيان الشيعة ١٠٠/٩ ، ومعجم المؤلّفين ١٠/٢ ، وإيضاح المكنون ٢١٣/١ و١٦٦ و٢٥٩/٢ .

(٢) معالم العلماء ٢٥ ، وأعيان الشيعة ١٠٠/٩ .

(٣) معالم العلماء ٢٥ .

(٤) أعيان الشيعة ١٠٠/٩ .

(٥) الكشكول ٣٠١/١ .

وقال الخوانساري : «وقد غلط صاحب «الغوالي» والمحدّث الإسترابادي غلطاً فاحشاً يبعد عن مثلهما غاية البعد في نسبة كتاب «الإحتجاج» إلى الشيخ أبي علي الطبرسي صاحب التفسير ، مع أنّ بينهما بوناً بعيداً ، وتصريح جمهور الأصحاب وإسنادهم عنه وإليه على خلاف ذلك جدّاً»[١] .

وقطع السيّد الأمين بالإشتباه ، وأضاف بأنّ صاحب «رياض العلماء» قال : قد توهّم بعضهم بأنّ «الإحتجاج» لصاحب «مجمع البيان» أبي علي الفضل الطبرسي ، وهو توهّم فاسد[٢] .

وأكّد البحراني على صحّة نسبة هذا الكتاب لأبي منصور أحمد بن علي الطبرسي ، ونقل عنه السيّد الأمين عن «اللؤلؤة» قوله : «غلط جملة من متأخّري أصحابنا في نسبة كتاب «الإحتجاج» إلى أبي علي الطبرسي»[٣] .

وأدرج كلّ من الحجّة الشيخ آغابزرك الطهراني ، وإسماعيل باشا ، وعمر رضا كحّالة اسم هذا الكتاب في قائمة مؤلّفات أبي منصور الطبرسي[٤] .

ولعلّ الإشتباه الّذي نشأ مرجعه إلى إشتراكهما في لقب واحد وعصر واحد كما صرّح بذلك الشيخ البحراني بقوله : «وإن كان عصرها متّحداً ، وهما الشيخ ابن شهرآشوب وأُستاداه ، وظنّي أنّ بينهما قرابة»[٥] .

وإذا كنّا ونحن في صدد التفريق بين هاتين الشخصيّتين لاشتراكهما في لقب واحد فمن الجدير أن نذكر أنّ عدداً من أعلام الشيعة يشتركون في هذه النسبة أيضاً ، وهم :

١ ـ أبو منصور ، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي ، والمعروف بصاحب كتاب «الإحتجاج» ، وهو الّذي نحن بصدد الحديث عنه .

٢ ـ أبو علي ، الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي ، صاحب «تفسير مجمع البيان» المتوفّى سنة ٥٤٨ هـ .

٣ ـ أبو نصر ، الحسن بن الفضل بن الحسن ، رضي الدين ، صاحب كتاب «مكارم الأخلاق» وقد وصفته المصادر بأنّه : كان فاضلاً فقيهاً ، محدّثاً جليلاً .

---

(١) روضات الجنّات ٢٩/١.

(٢) أعيان الشيعة ١٠٠/٩.

(٣) الكشكول ٣٠١/١، وأعيان الشيعة ١٠٠/٩.

(٤) الذريعة ٢٨١/١، ومقدّمة تفسير التبيان ١/هـ، ومعجم المؤلفين ، ١٠/٢ ، وإيضاح المكنون ٢١/١.

(٥) الكشكول ٣٠١/١، وأعيان الشيعة ١٠٠/٩.

٤ ـ أبوالفضل ، علي بن الحسن بن الفضل بن الحسن ، صاحب كتاب «مشكاة الأنوار» الّذي ألّفه تتميماً لكتاب والده «مكارم الأخلاق»(١) .

٥ ـ أبو علي ، محمّد بن الفضل الطبرسي ، هكذا ذكر الحرّ العاملي ، ووصفه بأنّه « كان عالماً عابداً ، يروي ابن شهرآشوب عنه ، عن تلامذة الشيخ الطوسي »(٢) .

٦ ـ الشيخ حسن بن علي بن محمّد بن علي بن الحسن الطبرسي ، المعاصر للخواجة نصيرالدين الطوسي(٣) .

٧ ـ الحاج ميرزا حسين بن العلّامة محمّد تقي النوري الطبرسي صاحب كتاب «مستدرك الوسائل» المتوفى عام ١٣٢٠ .

وهناك عدد آخر ولكنّنا اخترنا المشهورين منهم .

والطبرسي : نسبة إلى طبرستان ، وهي التي تعرف بمازندران ، بل قد يقال طبرستان على جميع تلك البلاد ، حتّى يشمل استرآباد ، وجرجان ، ونحوها ، وهي واقعة على طرف بحر الخزر ، وتعرف ببحيرة طبرستان .

وطبر : بالفارسيّة الفاس ، وهي من كثرة اشتباك أشجارها لا يسلك فيها الجيش إلّا بعد أن يقطع بالطبر الأشجار من بين أيديهم .

واستان : الناحية بالفارسي ، فسُمّيت طبرستان ، أي ناحية الطبر .

ونقل عن صاحب «تاريخ قم» المعاصر لابن العميد : أنّ طبر معرّب ، وهي ناحية معروفة بحوالي قم ، وأنّ الطبرسي (أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي) وسائر العلماء المعروفين قد كانوا أهل هذه الناحية(٤) .

والكتاب الّذي نحن بصدده ، يعتبر من المصادر المحترمة في بابه ، ولعلّنا نستطيع من خلال الفقرات الّتي سنوردها ، والّتي تتضمّن آراء الأعلام فيه ـ نلمس مدى أهميّته ، ووزنه العلمي .

قال البحراني : «قال المجلسي في أوّل «البحار» أنّه قال في الفصل الثاني : وكتاب «الإحتجاج» وإن كان أكثر أخباره مراسيل لكنّه من الكتب المعروفة ، وقد أثنى السيّد ابن طاوس على الكتاب

---

(١) راجع تراجم هؤلاء المذكورين في : الكنى والألقاب ٢/٤٠٩.

(٢) أمل الآمل مادّة محمّد.

(٣) أعيان الشيعة ٩/٩٨.

(٤) كشكول البحراني ١/٣٠٢ـ٣٠٣، وأعيان الشيعة ٩/٩٧ـ٩٨.

وقد أخذ عنه أكثر المتأخّرين»[١] .

وقال الخونساري : «وكتاب «الإحتجاج» معتبر معروف بين الطائفة ، مشتمل على كلّ ما اطّلع عليه من احتجاجات النّبي والأئـمّة ، بـل كـثير مـن أصـحابهم الأمجاد مـع جـملة مـن الأشـقياء المخالفين»[٢] .

وقال الشيخ آغابزرك الطهراني : وفي الكتاب احـتجاجات النّـبي ﷺ والأئـمّة عليهم السلام وبـعض الصحابة ، وبعض العلماء ، وبعض الذرّيّة الطاهرة ، وأكثر أحاديثه مراسيل إلّا ما رواه عن «تفسير العسكري عليه السلام» ، كما صرّح به في أوّله بعد الخطبة ، فهو من الكتب المعتبرة الّتي اعـتمد عـليها العلماء الأعلام كالعلّامة المجلسي ، والمحدّث الحرّ ، وأضرابهما»[٣] .

ومن خلال هذه الفقرات نستفيد بأنّ الكتاب بمجموعه موضع اعـتماد الأعـلام والبـاحثين ، بالرغم من أنّ أكثر أحاديثه مراسيل ، إلّا أنّ الثقة الكبيرة الّتي يتمتّع بها مؤلّف الكتاب زرعت في نفوس المؤلّفين الإعتماد عليه ، والنقل عنه دون تمحيص وتحقيق وتـدقيق فـي أسـناد الأخـبار والأحاديث .

أمّا البواعث الّتي دعت المؤلّف لتأليف هذا الكتاب ، فقد حدّثنا الطبرسي نفسه عنها ، فقال : «ثمّ الّذي دعاني إلى تأليف هذا الكتاب عدول جماعة من الأصحاب عن طريق الحجاج جـدّاً ، وعن سبيل الجدال ، وإن كان حقّاً ، وقولهم : «إنّ النّبي ﷺ والأئـمّة عليهم السلام لم يـجادلوا قـط ، ولا استعملوه ، ولا للشيعة فيه إجازة ، بل نهوهم عنه ، وعابوه» ؛ فرأيت عمل كتاب يحتوي على ذكر جمل من محاوراتهم في الفروع والأُصول مع أهل الخلاف ، وذوي الفـضول ، قـد جـادلوا فـيها بالحق من الكلام ، وبلغوا غاية كلّ مرام ، وإنّهم عليهم السلام إنّما نهوا عن ذلك الضعفاء والمساكين من أهل القصور عن بيان الدين ، دون المبرّزين فـي الإحـتجاج ، الغـالبين لأهـل اللـجاج ، فـإنّهم كـانوا مأمورين مـن قـبلهم بـمقاومة الخـصوم ، ومـداولة الكـلوم ، فـعلت بـذلك مـنازلهم ، وارتـفعت درجاتهم ، وانتشرت فضائلهم»[٤] .

إذاً فالمؤلّف اندفع إلى تأليف هذا الكتاب بدافع العقيدة ليُنير للمتخبطين بطريق الغواية ، نور

---

(١) الكشكول ٣٠١/١.

(٢) روضات الجنّات ١٩/١.

(٣) الذريعة ٢٨١/١.

(٤) الإحتجاج ٤.

الهداية والخير ، ويبسط ما وسعه المجال عن جميع ما يتعلّق بالنّبيّ ﷺ وآل بيته عليهم السلام وأتباعهم ، وليكشف لذوي اللجاج مدى المكانة العالية ، والمقام السامي ، الّتي تتمتّع بها هذه الصفوة .

أمّا منهج الطبرسي في تأليف كتاب «الإحتجاج» فقد أوضحه لنا نفسه في مقدّمة كتابه المذكور ، يقول : «وأنا أبتدئ في صدر الكتاب بفصل ينطوي على ذكريات من «القرآن» الّتي أمر الله تعالى بذلك أنبياءه بمحاجّة ذوي العدوان ، ويشتمل أيضاً على عدّة أخبار في فضل الذابّين عن دين الله القويم ، وصراطه المستقيم بالحجج القاهرة ، والبراهين الباهرة ، ثمّ نشرع في ذكر طرف من مجادلات النّبيّ ﷺ والأئمّة عليهم السلام ، وربّما يأتي في أثناء كلامهم كلام جماعة من الشيعة ، حيث تقتضي الحال ذكره ، ولا نأتي في أكثر ما نورده من الأخبار بإسناده إمّا لوجود الإجماع عليه أو موافقته لما دلّت العقول إليه ، أو لاشتهاره في السير والكتب بين المخالف والمؤالف ، إلّا ما أوردته عن أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام فليس في الإشتهار على حدّ ما سواه ، وإن كان مشتملاً على مثل الّذي قدّمناه ، فلأجل ذلك ذكرت أسناده في أوّل جزء من ذلك دون غيره لأنّ جميع ما رويت عنه عليه السلام إنّما رويته بإسناد واحد من جملة الأخبار الّتي ذكرها عليه السلام في تفسيره»[1] .

أولاً : من حيث التعليق والفهرسة :

فقد تصدّى الأخ الفاضل السيّد محمّد باقر الخرسان لتحقيقها والتعليق عليها ، وترجمة الأعلام الواردة فيها ، وشرح الكلمات اللغوية ، الأمر الذي دلّ على قابليّة الأخ الخرسان في مضمار التحقيق والتعليق ، والجهد الذي صرفه في هذا الكتاب ، والذي يبشّر عن مستقبل زاهر يبعث بالأمل والتقدير وإنّي أرجو مخلصاً له ذلك .

وفي الختام أدعو الله عزّ وجلّ أن يوفّق المعلّق والناشر لخدمة الدين الإسلامي ويأخذ بيدهما إلى ما يصبوان إليه من الجزاء الأوفر من محمّد ﷺ وعلي وأنجاله الغرّ الميامين الذين أذهب الله عنهم الرّجس ، وطهّرهم تطهيرا . وهو المسدّد للصواب .

---

(١) الإحتجاج ٤.

مقدّمة الناشر

حمداً لك اللّهم وأستعانة بك على أداء شكرك ، فيما افضت من الطافك وآلائك وصلاة طيبة منك على رسولك المصطفى رسول الأمن والسلام ، ماحي ظلم الجهل وغياهب الكفر بأنوار رسالته الساطعة ودعواته الحقّة الهاتفة في أقطار الأرض وأنحائها حتّى امتلأ العالم بها نوراً يهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم ، وسلاماً منك على آله الهداة وأبنائه الطاهرين ينابيع العلم وألسنة الحق الذين تاجروا معك بأموالهم وأنفسهم لأعلاء كلمتك وأكبار قدسك وجلالك في عبادك حتّى أرخصوها في أسواق متاجرتك أرواحاً طاهرة ومهجاً زاكية ، فسلام عليها ما بقيت ترفرف في سماء رحمتك وحول عرشك .

أن الكتاب الذي بين يديك «الاحتجاج» يحتوي على ذكر جمل من محاوراتهم في الفروع والأصول مع أهل الخلاف وذوي الفضول قد جادلوا فيها بالحق من الكلام ، وبلغوا غاية كلّ مرام .

إذاً فالمؤلّف اندفع إلى تأليف هذا الكتاب بدافع العقيدة ليُنير للمتخبطين بطريق الغواية ، نور الهداية ، والخير ويبسط ما وسعه المجال عن جميع ما يتعلّق بالنبيّ ﷺ وآل بيته عليهم السلام وأتباعهم لذوي اللجاج مدىٰ المكانة العالية ، والمقام السامي ، الّتي تتمتّع بها هذه الصفوة ، فعلت بذلك منازلهم وارتفعت درجاتهم وانتشرت فضائلهم وعلومهم .

عملنا في الكتاب

تمت الاستفادة من النسخة المطبوعة في النجف الأشرف سنة ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م وتمّت مقابلتها على النسخة المطبوعة في قم المقدّسة والمطبوعة سنة (١٤١٣ هـ) . وإزالة الأخطاء الواردة من كلا النسختين . إضافة بعض الهوامش لها .

وأخرج الكتاب بهذه الحلة القشيبة . سائلين المولىٰ أن يسدد أعمالنا لما فيه خدمة هذه الطائفة الحقّة المحقّة ومنه نستمد العون والتوفيق .

ولا يفوتني أن أشكر الأخ العزيز السيّد محمّد معلّم لما بذله في عمل الفهارس للكتاب سائلين المولىٰ له التوفيق والنجاح من علمه هذا .

محمّد صادق الكتبي

١٤٢٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتعالى عن صفات المخلوقين ، المنزّه عن نعوت الناعتين ، المبرّأ ممّا لا يليق بوحدانيّته ، المرتفع عن الزوال والفناء بوجوب إلٰهيّته ، الّذي استعبد الخلائق بحمد ما تواتر عليهم من نعمائه ، وترادف لديهم من حسن بلائه ، وتتابع من أياديه وعواطفه ، وتفاقم من مواهبه وعوارفه ، جمّ عن الإحصاء عددها ، وفاق عن الإحاطة بها مددها ، وخرست ألسن الناطقين بالشكر عليها عن أداء ما وجب من حقّها لديها .

وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، شهادة يثقل بها ميزان العارفين ، وتبيضّ بها وجوههم يوم الدّين ، وأشهد أنّ محمّداً عبده المصطفى ، ورسوله المجتبى ، خاتم الرسل والأنبياء ، وسيّد الخلائق كلّهم والأصفياء ، وأنّ وصيّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام خير وصيّ وصّى ، وخير إمام ولّى ، وأنّ عترته الطاهرة خير العترة الأئمّة الهادية الإثناعشر اُمناء الله في بلاده ، وحججه على عباده ، بهم تمّت علينا نعمته ، وعلت كلمته ، اختارهم للبريّة إظهاراً للطفه وحكمته ، وإنارة لإعلام عدله ورحمته ، فانزاحت بهم علّة العبيد ، وزهق باطل كلّ مستكبر عنيد ، بأن عصمهم من الذنوب ، وبرأهم من العيوب ، حفظاً منه للشرائع والأحكام ، وسياسة لهم وهيبة لأهل المعاصي والآثام ، وزجراً عن التغاشم والتكالب ، وردعاً عن التظالم والتواثب ، وتأديباً بهم لأهل العتوّ والعدوان ، ودفعاً لما تدعو إليه دواعي الشيطان ، ولم يهملهم سدى بلا حجّة فيهم معصوم ، إمّا ظاهر مشهور أو غائب مكتوم ، لئلّا يكون للنّاس على الله حجّة بعد الحجّة ، ولا يلتبس عليهم في دينه المحجّه ، ولم يجعل إليهم اختياره لعلمه بأنّهم لا يعلمون أسراره ، ولأنّه عزّ وجلّ متعال عن فعل شيء لا يجوز عليه مثل تكليف ما لا يهتدي العباد إليه ، وقد نزّه نفسه عن أن يشرك به أحداً في الإختيار حيث قال : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشاءُ وَيَخْتَار مَاكَانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ سبحان الله تعالى عمّا يشركون .

ثمّ إنّ الّذي دعاني إلى تأليف هذا الكتاب ، عدول جماعة من الأصحاب عن طريق الحجاج

جدّاً ، وعن سبيل الجدال وإن كان حقّاً ، وقولهم : «إنّ النّبي صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام لم يجادلوا قط ولا استعملوه ولا للشيعة فيه إجازة ، بل نهوهم عنه وعابوه» ؛ فرأيت عمل كتاب يحتوي على ذكر جمل من محاوراتهم في الفروع والأُصول مع أهل الخلاف وذوي الفضول ، قد جادلوا فيها بالحقّ من الكلام ، وبلغوا غاية كلّ مرام ، وإنّهم عليهم السلام إنّما نهوا عن ذلك الضعفاء والمساكين من أهل القصور عن بيان الدين دون المبرّزين في الإحتجاج ، الغالبين لأهل اللجاج ، فإنّهم كانوا مأمورين من قبلهم بمقاومة الخصوم ، ومداولة الكلوم ، فعلت بذلك منازلهم ، وارتفعت درجاتهم ، وانتشرت فضائلهم .

وأنا أبتدئ في صدر الكتاب بفصل ينطوي على ذكر آيات من «القرآن» الّتي أمر الله تعالى بذلك أنبياءه بمحاجّة ذوي العدوان ، ويشتمل أيضاً على عدّة أخبار في فضل الذابّين عن دين الله القويم ، وصراطه المستقيم ، بالحجج القاهرة ، والبراهين الباهرة ، ثمّ نشرع في ذكر طرف من مجادلات النّبي والأئمّة عليه وعليهم السّلام ، وربّما يأتي في أثناء كلامهم كلام جماعة من الشيعة حيث تقتضي الحال ذكره ، ولا نأتي في أكثر ما نورده من الأخبار بأسناده ؛ إمّا لوجود الإجماع عليه ، أو موافقته لما دلّت العقول إليه ، أو لاشتهاره في السّير والكتب بين المخالف والمؤالف ، إلّا ما أوردته عن أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام ، فإنّه ليس في الإشتهار على حدّ ما سواه ، وإن كان مشتملاً على مثل الّذي قدّمناه ؛ فلأجل ذلك ذكرت أسناده في أوّل جزء من ذلك دون غيره ، لأنّ جميع ما رويت عنه عليه السلام إنّما رويته بإسناد واحد من جملة الأخبار الّتي ذكره عليه السلام في تفسيره ، والله المستعان فيما قصدناه ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

فصل
في ذكر طرف ممّا أمر الله في كتابه الحجاج والجدال بالّتي هي احسن وفضل أهله

قال الله تبارك وتعالى في كتابه مخاطباً لنبيّه ﷺ : ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[1] .

وقال عزّ من قائل : ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[2] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الآية[3] .

وقال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام أيضاً لمّا احتجّ على عبدة الكوكب المعروف بالزهرة وعبدة الشمس والقمر جميعاً بزوالها وانتقالها وطلوعها وأُفولها وعلى حدوثها وإثبات مُحدثٍ لها وفاطر إيّاها : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إبراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ والأَرْضَ وَلِيَكُونَ عَلَى المُوقِنِين ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِه ﴾[4] .

وغير ذلك من الآيات الّتي فيها الأمر بالإحتجاج ، وسيأتي ذكر شرحها في مواضعها إنشاء الله تعالى .

وروي عن النّبيّ ﷺ أنّه قال : «نحن المجادلون في دين الله على لسان سبعين نبيّاً» .

وأمّا الأخبار في فضل العلماء فهي أكثر من أن تُعدّ أو تحصى ، لكنّا نذكر طرفاً منها :

فمن ذلك ما حدّثني به السيّد العالم العابد أبو جعفر مهدي بن أبي حرب الحسيني المرعشي رحمه الله[5] ، قال : حدّثني الشيخ الصدوق أبو عبدالله جعفر بن محمّد بن أحمد الدوريستي

---

(١) النحل ١٢٥.

(٢) العنكبوت ٤٦.

(٣) البقرة ٢٥٨.

(٤) الأنعام ٧٥ـ٨٣.

(٥) السيّد أبو جعفر مهدي بن أبي حرب الحسيني المرعشي ؛ عالم عابد ، يروي عنه الطبرسي صاحب «الإحتجاج»

رحمة الله عليه[١] ، قال : حدّثني أبي محمّد بن أحمد[٢] ، قال : حدّثني الشيخ السعيد أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي ﷺ[٣] ، قال : حدّثني أبوالحسن محمّد بن القاسم المفسّر الإسترابادي[٤] ، قال : حدّثني أبو يعقوب يوسف بن محمّد بن زياد وأبوالحسن علي بن محمّد بن سيّار[٥] ـ وكان من الشيعة الإماميّة ـ قالا : حدّثنا أبو محمّد الحسن بن علي العسكري ﷺ ، قال : «حدّثني أبي عن آبائه ﷺ عن رسول الله ﷺ أنّه قال : أشدّ من يتم اليتيم الّذي انقطع من اُمّه وأبيه ، يتم يتيم انقطع عن إمامه ولا يقدر الوصول إليه ، ولا يدري كيف حكمه فيما يُبتلى به من شرائع دينه ، ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا ، وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره ، الا فمن هداه وأرشده وعلّمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى[٦]» .

وبهذا الإسناد عن أبي محمّد الحسن العسكري ﷺ قال : «قال علي بن أبي طالب ﷺ : من كان من شيعتنا ، عالماً بشريعتنا ، فأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الذي حبوناه به[٧] ؛ جاء يوم القيامة على رأسه تاج من نور ، يضيء لجميع أهل العرصات ، وحلّة لا تقوّم لأقلّ

⬅ بحقّ روايته عن أبيه عن الصّدوق محمّد بن علي بن بابويه ، ويروي هو عن جعفر بن محمّد... العبسي الدوريستي . [أعيان الشيعة ١٢١/٤٨]

(١) أبو عبدالله جعفر بن محمّد بن أحمد بن العبّاس الدوريستي الرازي من أكابر علماء الإماميّة ، من بيت العلم والفضل ، كثير الرواية ، كان مشهوراً في جميع الفنون ، معظّماً في الغالية عند نظام الملك الوزير ، والدوريستي نسبة إلى دوريست قرية من قرى الري يقال لها الآن «درشت» . [الكنى والألقاب ٤٠٨/٢]

(٢) أبو جعفر محمّد بن أحمد بن العبّاس العبسي الدوريستي من ولد حذيفة بن اليمان العبسي الصحابي ، يروي عن الصّدوق ، ويروي عنه ولده جعفر بن محمّد . [أعيان الشيعة ٢٦٦/٤٣]

(٣) أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي ، شيخ الحفظة ، رئيس المحدّثين ، ولد بدعاء مولانا صاحب الأمر ﷺ ، له نحو من ثلاثمائة مصنّف ، ورد بغداد سنة ٣٥٥ ، وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن ، مات بالري سنة ٣٨١ . [الكنى والألقاب ٢١٢/١]

(٤) محمّد بن القاسم الإسترابادي المفسّر ، الراوي لتفسير الإمام العسكري ﷺ ، شيخ ابن بابويه ، روى عنه كثيراً في الفقيه والتوحيد وعيون أخبار الرّضا ﷺ ، وترضّى عنه وترحّم عليه . [شرح مشيخة الفقيه ١٠٠]

(٥) أبو يعقوب يوسف بن محمّد بن زياد وأبوالحسن علي بن محمّد بن سيّار ، قال الإمام الحسن العسكري ﷺ لوالديهما : «خلّفا على ولديكما لأفيدهما العلم الّذي يشرّفهما الله تعالى به» ، ومن هذا الكلام يظهر عظيم منزلتهما وثقتهما بعكس ما رماهما بعضهم بالضعف ، لأنّ من علّمه الإمام علماً يشرّفه الله تعالى به لا يعقل كونه غير عدل . [تنقيح المقال ٣٠٥/٢]

(٦) الرفيق : جماعة الأنبياء الّذين يسكنون أعلى علّيين . وفي بعض النسخ «الرفيع الأعلى» .

(٧) حبوناه : أعطيناه بلا عوض .

سلك منها الدّنيا بحذافيرها ، ثمّ ينادي مناد : يا عباد الله هذا عالم من تلامذة بعض علماء آل محمّد ، ألا فمن أخرجه في الدّنيا من حيرة جهله فليتشبّث بنوره ليخرجه من حيرة ظلمة هذه العرصات إلى نزهة الجنان ؛ فيخرج كلّ من كان علمه في الدّنيا خيراً ، أو فتح عن قلبه من الجهل قفلاً ، أو أوضح له عن شبهة» .

وبهذا الإسناد عن أبي محمّد الحسن بن علي العسكري عليه السلام قال : «قال الحسين بن علي[(١)] : فضل كافل يتيم آل محمّد ، المنقطع عن مواليه ، الناشب[(٢)] في رتبة الجهل ؛ يخرجه من جهله ، ويوضّح له ما اشتبه عليه ، على فضل كافل يتيم يطعمه ويسقيه كفضل الشمس على السها» .

وبهذا الإسناد عن أبي محمّد الحسن بن علي العسكري قال : «قال الحسين بن علي عليهما السلام : من كفل لنا يتيماً قطعته عنّا محنتنا باستتارنا ، فواساه من علومنا الّتي سقطت إليه حتّى أرشده وهداه ، قال الله عزّ وجلّ : أيّها العبد الكريم ، المواسي لأخيه ، أنا أولى بالكرم منك ، إجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كلّ حرف علمه ألف ألف قصر ، وضمّوا إليها ما يليق بها من سائر النّعيم» .

وبهذا الإسناد عنه عليه السلام قال : «قال محمّد بن علي الباقر عليهما السلام : العالم كمن معه شمعة تضيء للنّاس ، فكلّ من أبصر بشمعته دعا بخير ، كذلك العالم معه شمعة تزيل ظلمة الجهل والحيرة ، فكلّ من أضاءت له فخرج بها من حيرة أو نجا بها من جهل فهو من عتقائه من النّار ، والله يعوّضه عن ذلك بكلّ شَعرة لمن أعتقه ما هو أفضل له من الصدقة بمائة ألف قنطار[(٣)] على الوجه الّذي أمر الله عزّ وجلّ به ، بل تلك الصدقة وبال على صاحبها لكن يعطيه الله ما هو أفضل من مائة ألف ركعة يصلّيها من بين يدي الكعبة» .

وبهذا الإسناد عنه عليه السلام قال : «قال جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام : علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الّذي يلي إبليس وعفاريته ، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا وعن أن يتسلّط عليهم إبليس وشيعته والنّواصب ، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممّن جاهد الرّوم والترك والخزر ألف ألف مرّة ؛ لأنّه يدفع عن أديان محبّينا ، وذلك يدفع عن أبدانهم» .

---

(١) في بعض النسخ «الحسن بن علي».

(٢) الناشب : الواقع فيما لا مخلَص منه .

(٣) القنطار : قيل هو ألف ومائتا أوقية ، وقيل مائة وعشرون رطلاً ، وقيل هو ملء مسك ثور ذهباً ، وقيل ليس له وزن عند العرب ، وفُسّر القنطار من الحسنات في حديث مذكور في معاني الأخبار وغيره بألف ومائتي أوقية ، وأوقية أعظم من جبل أُحد .

وعنه عليه السلام **بالاسناد المتقدّم** قال: «قال موسى بن جعفر عليه السلام: فقيه واحد ينقذ يتيماً من أيتامنا المنقطين عنّا وعن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه، أشدّ على إبليس من ألف[١] عابد؛ لأنّ العابد همّه ذات نفسه فقط، وهذا همّه مع ذات نفسه ذوات عباد الله وإمائه لينقذهم من يد إبليس ومردته، فلذلك هو أفضل عند الله من ألف عابد وألف ألف عابدة».

وعنه عليه السلام **قال**: «قال علي بن موسى الرّضا عليه السلام: يقال للعابد يوم القيامة: نعم الرّجل كنت؛ همّتك ذات نفسك وكفيت مؤنتك فادخل الجنّة، ألا إنّ الفقيه من أفاض على النّاس خيره، وأنقذهم من أعدائهم، ووفّر عليهم نعم جنان الله تعالى وحصّل لهم رضوان الله تعالى. ويقال للفقيه: يا أيّها الكافل لأيتام آل محمّد، الهادي لضعفاء محبّيهم ومواليهم، قف حتّى تشفع لكلّ من أخذ عنك أو تعلّم منك؛ فيقف فيدخل الجنّة معه فئاماً وفئاماً وفئاماً[٢] ـ حتّى قال عشراً ـ وهم الّذين أخذوا عنه علومه، وأخذوا عمّن أخذ عنه، وعمّن أخذ عمّن أخذ عنه إلى يوم القيامة؛ فانظروا كم صرف[٣] مابين المنزلتين».

وعنه عليه السلام **قال**: «قال محمّد بن علي الجواد عليه السلام: من تكفّل بأيتام آل محمّد، المنقطعين عن إمامهم، المتحيّرين في جهلهم، الأُسارى في أيدي شياطينهم وفي أيدي النواصب من أعدائنا، فاستنقذهم منهم، وأخرجهم من حيرتهم، وقهر الشياطين برد وساوسهم، وقهر الناصبين بحجج ربّهم ودلائل أئمّتهم ليحفظوا عهد الله على العباد بأفضل الموانع، بأكثر من فضل السماء على الأرض والعرش والكرسي والحجب على السماء، وفضلهم على العباد كفضل القمر ليلة البدر على أخفى كوكب في السّماء».

وعنه عليه السلام **قال**: «قال عليّ بن محمّد عليه السلام: «لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه السلام من العلماء الدّاعين إليه والدالّين عليه والذابّين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلّا إرتدّ عن دين الله، ولكنّهم الّذين يمسكون أزمّة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكّانها، أولئك هم الأفضلون عند الله عزّ وجلّ».

وعنه عليه السلام **قال**: «يأتي علماء شيعتنا القوّامون بضعفاء محبّينا وأهل ولايتنا يوم القيامة والأنوار

---

(١) في بعض النسخ «ألف ألف عابد».

(٢) الفئام: الجماعة الكثيرة من النّاس، وقد فسّر في بعض الأحاديث بمائة ألف.

(٣) الصرف: الفضل، يقال «لهذا صرف على هذا» أي فضل.

تسطع من تيجانهم ، على رأس كلّ واحد منهم تاج بهاء قد انبثت تلك الأنوار في عرصات القيامة ، ودورها مسيرة ثلاثمائة ألف سنة ، فشعاع تيجانهم ينبث فيها كلّها فلا يبقى هناك يتيم قد كفلوه ، ومن ظلمة الجهل علموه ، ومن حيرة التّيه أخرجوه إلّا تعلّق بشعبة من أنوارهم ، فرفعتهم إلى العلوّ حتّى تحاذي بهم فوق الجنان ، ثمّ ينزلهم على منازلهم المُعَدّة في جوار أُستاذيهم ومعلّميهم ، وبحضرة أئمّتهم الّذين كانوا إليهم يدعون ، ولا يبقى ناصب من النواصب يصيبه من شعاع تلك التيجان إلّا عميت عينه وأصمت أُذنه وأُخرس لسانه وتحوّل عليه أشدّ من لهب النّيران ، فيحلمهم حتّى يدفعهم إلى الزبانية فيدّعونهم[١] إلى سواء الجحيم» .

وقال أيضاً أبو محمّد الحسن العسكري عليه السلام : «إنّ محبّي آل محمّد صلى الله عليه وآله مساكين ، مواساتهم أفضل من مواساة مساكين الفقراء ، وهم الّذين سكنت جوارحهم وضعفت قواهم من مقاتلة أعداء الله الّذين يعيّرونهم بدينهم ، ويسفّهون أحلامهم ، ألا فمن قوّاهم بفقهه وعلمه حتّى أزال مسكنتهم ثمّ يسلّطهم على الأعداء الظّاهرين النّواصب ، وعلى الأعداء الباطنين إبليس ومردته حتّى يهزموهم عن دين الله ، يذودوهم[٢] عن أولياء آل رسول الله صلى الله عليه وآله ، حوّل الله تعالى تلك المسكنة إلى شياطينهم فأعجزهم عن إضلالهم ، قضى الله تعالى بذلك قضاءاً حقّاً على لسان رسول‌الله صلى الله عليه وآله» .

وقال أبو محمّد الحسن بن علي العسكري عليهما السلام : «قال علي بن أبي طالب عليه السلام : من قوّى مسكيناً في دينه ، ضعيفاً في معرفته ، على ناصب مخالف فأفحمه[٣] ، لقّنه الله تعالى يوم يدلى في قبره أن يقول : الله ربّي ، ومحمّد نبيّي ، وعليّ وليّي ، والكعبة قبلتي ، و«القرآن» بهجتي وعدتي ، والمؤمنون إخواني ؛ فيقول الله : أدليت بالحجّة[٤] فوجبت لك أعالي درجات الجنّة ، فعند ذلك يتحوّل عليه قبره أنزه رياض الجنّة» .

وقال أبو محمّد عليه السلام : «قالت فاطمة عليها السلام ـ وقد اختصم إليها امرأتان فتنازعتا في شيء من أمر الدّين ؛ إحداهما معاندة والأُخرى مؤمنة ، ففتحت المؤمنة حجّتها فاستظهرت على المعاندة ففرحت فرحاً شديداً فقالت فاطمة ـ : إنّ فرح الملائكة باستظهارك عليها أشدّ من فرحك ، وإنّ

---

(١) الدع : الدفع بعنف .

(٢) الذود : الطرد والمنع .

(٣) أفحمه : أسكنه .

(٤) أدلى بالحجّة : أظهرها .

حزن الشّيطان ومردته بحزنها عنك أشدّ من حزنها ، وإنّ الله ﷻ قال للملائكة : أوجبوا لفاطمة بما فتحت على هذه المسكينة الأسيرة من الجنان ألف ألف ضعف ممّا كنت أعددت لها ، واجعلوا هذه سُنّة في كلّ من يفتح على أسير مسكين فيغلب معانداً مثل ألف ألف ما كان له مُعَدّاً من الجنان» .

وقال أبو محمّد عليه السلام : «قال الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ـ وقد حمل رجل هديّة فقال له ـ : أيّهما أحبّ إليك ؛ أن أردّ عليك بدلها عشرين ضعفاً [عشرين ضعفاً عشرين ضعفاً ـ يعني][1] عشرين ألف درهم ـ أو أفتح لك باباً من العلم تقهر فلاناً النّاصبي في قريتك ، تنقذ به ضعفاء أهل قريتك ؟ إن أحسنت الإختيار جمعت لك الأمرين ، وإن أسأت الإختيار خيّرتك لتأخذ أيّهما شئت .

فقال : يابن رسول الله فثوابي في قهري ذلك النّاصب واستنقاذي لأولئك الضعفاء من يده قدره عشرون ألف درهم ؟

قال : بل أكثر من الدّنيا عشرين ألف ألف مرّة .

قال : يابن رسول الله فكيف أختار الأدون ، بل أختار الأفضل ؛ الكلمة الّتي أقهر بها عدوّ الله وأذوده عن أوليائه .

فقال الحسين بن علي عليهما السلام : قد أحسنت الإختيار ، وعلّمه الكلمة ، وأعطاه عشرين ألف درهم ؛ فذهب فأفحم الرّجل ، فاتّصل خبره به ، فقال له حين حضر معه : يا عبدالله ما ربح أحد مثل ربحك ، ولا اكتسب أحد من الأدواء مثل ما اكتسبت مودّة الله أوّلاً ، ومودّة محمّد وعليّ ثانياً ، ومودّة الطيّبين من آلهما ثالثاً ، ومودّة ملائكة الله تعالى المقرّبين رابعاً ، ومودّة إخوانك المؤمنين خامساً ، واكتسبت بعدد كلّ مؤمن وكافر ما هو أفضل من الدّنيا ألف مرّة ؛ فهنيئاً لك هنيئاً» .

وقال أبو محمّد عليه السلام : «قال جعفر بن محمّد عليهما السلام : من كان همّه في كسر النّواصب عن المساكين من شيعتنا الموالين ، حميّةً لنا أهل البيت ، يكسرهم عنهم ويكشف عن مخازيهم ويبيّن عوارهم[2] ويفخم أمر محمّد وآل محمّد ، جعل الله تعالى همّة أملاك الجنان في بناء قصوره ودوره ، يستعمل بكلّ حرف من حروف حججه على أعداء الله أكثر من عدد أهل الدّنيا أملاكاً ، قوّة كلّ واحد يفضل عن حمل السّماوات والأرضين ، فكم من بناء وكم من نعمة وكم من قصور لا

---

(١) هذه الزيادة ليست في بعض النسخ.

(٢) عوارهم : عيوبهم.

يعرف قدرها إلّا ربّ العالمين» .

وقال أبو محمّد عليه السلام : «قال عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام : أفضل ما يقدمه العالم من محبّينا وموالينا أمامه ليوم فقره وفاقته وذلّه ومسكنته أن يغيث في الدّنيا مسكيناً من محبّينا من يد ناصب عدوّ لله ولرسوله ، يقوم من قبره والملائكة صفوف من شفير قبره إلى موضع محلّه من جنان الله ، فيحملونه على أجنحتهم ، يقولون له : مرحباً طوباك طوباك[١] يا دافع الكلاب عن الأبرار ، ويا أيّها المتعصّب للأئمّة الأخيار» .

وقال أبو محمّد عليه السلام لبعض تلامذته ـ لمّا اجتمع إليه قوم من مواليه والمحبّين لآل محمّد رسول الله بحضرته وقالوا : يابن رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ لنا جاراً من النصّاب يؤذينا ويحتجّ علينا في تفضيل الأوّل والثّاني والثالث على أميرالمؤمنين عليه السلام ويورد علينا حججاً لا ندري كيف الجواب عنها والخروج منها ـ : «مُر بهؤلاء إذا كانوا مجتمعين يتكلّمون فتستمع عليهم فيستدعون منك الكلام فتكلّم وأفحم صاحبهم واكسر عربه[٢] ، وفلّ حدّه[٣] ، ولا تبق له باقية» .

فذهب الرّجل وحضر الموضع ، وحضروا ، وكلّم الرّجل فأفحمه وصيّره لا يدري في السّماء هو أو في الأرض .

قالوا : ووقع علينا من الفرح والسّرور ما لا يعلمه إلّا الله تعالى ، وعلى الرجل والمتعصّبين له من الغمّ والحزن مثل ما لحقنا من السرور ، فلمّا رجعنا إلى الإمام قال لنا : «إنّ الّذين في السّماوات لحقهم من الفرح والطرب بكسر هذا العدوّ لله كان أكثر ممّا كان بحضرتكم ، والّذي كان بحضرة إبليس وعتاة مردته من الشياطين من الحزن والغمّ أشدّ ممّا كان بحضرتهم ، ولقد صلّى على هذا العبد ، الكاسر له ، ملائكة السّماء والحجب والعرش والكرسي ، وقابلها الله تعالى بالإجابة فأكرم إيابه وعظم ثوابه ، ولقد لعنت تلك الأملاك عدوّ الله المكسور وقابلها الله بالإجابة فشدّد حسابه وأطال عذابه» .

---

(١) طوباك : طوبى لك ، وطوبى اسم الجنّة ، وقيل شجرة فيها .

(٢) عربه : حدّته ، وفي بعض النسخ «عرنينه» وهو أوّل الأنف تحت مجتمع الحاجبين .

(٣) فلّ حدّه : مثل حدّ سيفه ، وهو كناية عن كسر الشوكة .

فصل

في ذكر طرف ممّا جاء عن النّبيّ صلى الله عليه وآله من الجدال والمحاجّة والمناظرة وما يجري مجرى ذلك مع من خالف الإسلام وغيرهم

قال أبو محمّد الحسن بن علي العسكري عليه السلام : «ذُكر عند الصّادق عليه السلام الجدال في الدّين ، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام قد نهوا عنه .

فقال الصّادق عليه السلام : لم ينه عنه مطلقاً ، ولكنّه نهى عن الجدال بغير الّتي هي أحسن ، أما تسمعون الله يقول : ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلَّا بالَّتِي هِيَ أَحْسَن ﴾[1] ، وقوله : ﴿ أُدْعُ إِلىٰ سَبيلِ رَبِّكَ بـالْحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بالَّتِي هِيَ أَحْسَن ﴾[2] ؛ فالجدال بالّتي هي أحسن قد قرنه العلماء بـالدّين ، والجدال بغير الّتي هي أحسن محرّم حرّمه الله على شيعتنا ، وكيف يحرّم الله الجـدال جـملة وهـو يقول : ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ ﴾[3] ، وقال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[4] ؟ فجعل الله علم الصدق والإيمان بالبرهان ، وهل يؤتى ببرهان إلّا بالجدال بالّتي هي أحسن ؟ .

قيل : يابن رسول الله فما الجدال بالّتي هي أحسن وبالّتي ليست بأحسن ؟

قال : أمّا الجدال بغير الّتي هي أحسن فأن تجادل به مبطلاً فيورد عليك باطلاً فلا تردّه بحجّة قد نصبها الله ، ولكن تجحد قوله أو تجحد حقّاً يريد بذلك المبطل أن يعين به باطله فتجحد ذلك الحقّ مخافة أن يكون له عليك فيه حجّة لأنّك لا تدري كيف المخلص منه ؛ فذلك حرام على شيعتنا أن يصيروا فتنة على ضعفاء إخوانهم وعلى المبطلين ، أمّا المبطلون فيجعلون ضعف الضعيف منكم إذا

---

(١) العنكبوت ٤٦.

(٢) النحل ١٢٥.

(٣) البقرة ١١١.

(٤) البقرة ١١١.

تعاطى مجادلته وضعف في يده حجّة له على باطله ، وأمّا الضعفاء منكم فتغمّ قلوبهم[١] لما يرون من ضعف المحق في يد المبطل .

وأمّا الجدال بالّتي هي أحسن فهو ما أمر الله تعالى به نبيّه أن يجادل به من جحد البعث بعد الموت وإحياءه له ، فقال الله له حاكياً عنه : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي ٱلْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ فقال الله تعالى في الردّ عليه : ﴿ قُلْ [يا محمّد] يُحْيِيهَا ٱلَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾[٢] إلى آخر السورة ، فأراد الله من نبيّه أن يجادل المبطل الّذي قال :كيف يجوز أن يبعث هذه العظام وهي رميم ؟ فقال الله تعالى : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أفيعجز من ابتدأ به لا من شيء أن يعيده بعد أن يبلى ، بل ابتداؤه أصعب عندكم من إعادته ، ثمّ قال : ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَاراً ﴾ أي إذا أكمن النّار الحارّة في الشجر الأخضر الرطب ثمّ يستخرجها فعرّفكم أنّه على إعادة ما بلى أقدر ، ثمّ قال : ﴿ أَوَ لَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّاقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٣] أي إذا كان خلق السّماوات والأرض أعظم وأبعد في أوهامكم وقدركم أن تقدروا عليه من إعادة البالي ، فكيف جوّزتم من الله خلق هذا الأعجب عندكم والأصعب لديكم ولم تجوّزوا منه ما هو أسهل عندكم من إعادة البالي ؟

قال الصّادق عليه السلام : فهو الجدال بالّتي هي أحسن ، لأنّ فيها قطع عذر الكافرين وإزالة شبههم .

وأمّا الجدال بغير الّتي هي أحسن فأن تجحد حقّاً لا يمكنك أن تفرّق بينه وبين باطل من تجادله ، وإنّما تدفعه عن باطل بأن تجحد الحق ، فهذا هو المحرّم لأنّك مثله ؛ جحد هو حقّاً وجحدت أنت حقّاً آخر» .

وقال أبو محمّد الحسن العسكري عليه السلام : «فقام إليه رجل آخر وقال : يابن رسول الله ﷺ أفجادل رسول الله ؟

فقال الصّادق عليه السلام : مهما ظننت برسول الله من شيء فلا تظنّنّ به مخالفة الله ، أليس الله قد قال : ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنْ ﴾ و﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ ؟ لمن ضرب الله مثلاً ؟ أفتظنّ أنّ

---

(١) تغمّ قلوبهم : تغطّى قلوبهم .

(٢) يس ٣٨ ـ ٨٠.

(٣) يس ٨١.

رسول الله ﷺ خالف ما أمر الله به فلم يجادل بما أمره الله به ولم يخبر عن أمر الله بما أمره أن يخبر به ، ولقد حدّثني أبي الباقر عن جدّي عليّ بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي سيّدالشهداء عن أبيه أميرالمؤمنين صلوات الله عليهم أنه اجتمع يوماً عند رسول الله ﷺ أهل خمسة أديان : اليهود ، والنّصارى ، والدهريّة ، والثنويّة ، ومشركوا العرب[1] .

فقالت اليهود : نحن نقول عزير ابن الله ، وقد جئناك يا محمّد لننظر ما تقول ؛ فإن اتّبعتنا فنحن أسبق إلى الصّواب منك وأفضل ، وإن خالفتنا خصمناك .

وقالت النصارى : نحن نقول أنّ المسيح ابن الله اتّحد به ، وقد جئناك لننظر ما تقول ؛ فإن اتّبعتنا فنحن أسبق إلى الصّواب منك وأفضل ، وإن خالفتنا خصمناك .

وقالت الدهريّة : نحن نقول أنّ الأشياء لا بدو لها وهي دائمة ، وقد جئناك لننظر فيما تقول ؛ فإن اتّبعتنا فنحن أسبق إلى الصّواب منك وأفضل ، وإن خالفتنا خصمناك .

وقالت الثنويّة : نحن نقول أنّ النّور والظلمة هما المدبّران ، وقد جئناك لننظر فيما تقول ؛ فإن اتّبعتنا فنحن أسبق إلى الصّواب منك ، وإن خالفتنا خصمناك .

وقال مشركو العرب : نحن نقول أنّ أوثاننا آلهة ، وقد جئناك لننظر فيما تقول ؛ فإن اتّبعتنا فنحن أسبق إلى الصّواب منك وأفضل ، وإن خالفتنا خصمناك .

فقال رسول الله ﷺ : آمنت بالله وحده لا شريك له ، وكفرت [بالجبت والطّاغوت و][2] بكلّ معبود سواه .

ثمّ قال لهم : إنّ الله تعالى قد بعثني كافّة للنّاس بشيراً ونذيراً وحجّة على العالمين ، وسيردّ كيد من يكيد دينه في نحره .

ثمّ قال لليهود : أجئتموني لأقبل قبولكم بغير حجّة ؟

---

(١) اليهود : هم أتباع النّبي موسى بن عمران عليه السلام وكتابهم المقدّس هو التوراة ، والنصارى : هم أتباع النّبي عيسى بن مريم عليه السلام وكتابهم المقدّس هو الإنجيل ، والدهرية : هم الّذين ينفون الربّ والجنّة والنّار ويقولون : وما يُهلكنا إلّا الدّهر ، وهو دين وضعوه لأنفسهم بالإستحسان منهم على غير تثبّت ، والثنويّة : هم الّذين يثبتون مع القديم قديماً غيره ، قيل هم المجوس الّذين يثبتون مبدأين ؛ مبدأ للخير ومبدأ للشر ، وهما النور والظلمة ، ويقولون بنبوّة إبراهيم الخليل عليه السلام ، وقيل هم طائفة يقولون أنّ كلّ مخلوق مخلوق للخلق الأوّل ، ومشركو العرب : هم الّذين كانوا يعكفون على أصنام لهم ويعبدونها من دون الله تعالى ، ويعتقدون فيها أنّها منشأ الخير والشر وواسطة بين العبد والرب .

(٢) الزيادة في بعض النسخ .

قالوا : لا .

قال : فما الّذي دعاكم إلى القول بأنّ عُزيراً ابن الله ؟

قالوا : لأنّه أحيى لبني إسرائيل «التوراة» بعد ما ذهبت ولم يفعل بها هذا إلّا لأنّه ابنه .

فقال رسول الله ﷺ : فكيف صار عزير ابن الله دون موسى وهو الّذي جاء لهم بالتوراة ورؤي منه من المعجزات ما قد علمتم ؟ ولئن كان عزير ابن الله لما ظهر من إكرامه بإحياء التوراة ، فلقد كان موسى بالبنوّة أولى وأحقّ ، ولئن كان هذا المقدار من إكرامه لعزير يوجب له أنّه ابنه فأضعاف هذه الكرامة لموسى توجب له منزلة أجلّ من البنوّة ، لأنّكم إن كنتم إنّما تريدون بالبنوّة الدلالة على سبيل ما تشاهدونه في دنياكم من ولادة الاُمّهات الأولاد بوطئ آبائهم لهنّ فقد كفرتم بالله وشبّهتموه بخلقه وأوجبتم فيه صفات المحدثين ، فوجب عندكم أن يكون محدثاً مخلوقاً ، وأن يكون له خالق صنعه وابتدعه .

قالوا : لسنا نعني هذا ، فإنّ هذا كفر كما دللت ، لكنّا نعني أنّ ابنه على معنى الكرامة وإن لم يكن هناك ولادة ، كما قد يقول بعض علمائنا لمن يريد إكرامه وإبانته بالمنزلة من غيره «يا بني» و«إنّه ابني» لا على إثبات ولادته منه لأنّه قد يقول ذلك لمن هو أجنبيّ لا نسب له بينه وبينه ، وكذلك لمّا فعل الله تعالى بعُزير ما فعل كان قد اتّخذه ابناً على الكرامة لا على الولادة .

فقال رسول الله ﷺ : فهذا ما قلته لكم أنّه إن وجب على هذا الوجه أن يكون عزير ابنه فإنّ هذه المنزلة بموسى أولى ، وإنّ الله يفضح كلّ مبطل بإقراره ، ويقلّب عليه حجّته ، إنّ ما احتججتم به يؤدّيكم إلى ما هو أكثر ممّا ذكرته لكم ، لأنّكم قلتم إنّ عظيماً من عظمائكم قد يقول لأجنبيّ لا نسب بينه وبينه «يا بني» و«هذا ابني» لا على طريق الولادة ، فقد تجدون أيضاً هذا العظيم يقول لأجنبيّ آخر «هذا أخي» ولآخر «هذا شيخي» و«أبي» ولآخر «هذا سيّدي» و«يا سيّدي» على سبيل الإكرام ، وإنّ من زاده في الكرامة زاده في مثل هذا القول ، فإذاً يجوز عندكم أن يكون موسى أخاً لله أو شيخاً له أو أباً أو سيّداً لأنّه قد زاده في الإكرام ممّا لعزير ، كما أنّ من زاد رجلاً في الإكرام فقال له يا سيّدي ويا شيخي ويا عمّي ويا رئيسي على طريق الإكرام ، وإنّ من زاده في الكرامة زاده في مثل هذا القول ، أفيجوز عندكم أن يكون موسى أخاً لله أو شيخاً أو عمّاً أو رئيساً أو سيّداً أو أميراً لأنّه قد زاده في الإكرام على من قال له يا شيخي أو يا سيّدي أو يا عمّي أو يا رئيسي أو يا أميري ؟

قال : فبهت القوم وتحيّروا وقالوا : يا محمّد أجّلنا نتفكّر فيما قد قلته لنا .

فقال : أُنظروا فيه بقلوب معتقدة للإنصاف يهدكم الله .

ثمّ أقبل على النّصارى فقال لهم : وأنتم قلتم أنّ القديم ﷻ اتّحد بالمسيح ابنه ، فما الّذي أردتموه بهذا القول ؛ أردتم أنّ القديم صار محدثاً لوجود هذا المحدث الّذي هو عيسى ؟ أو المحدث الّذي هو عيسى صار قديماً كوجود القديم الّذي هو الله ؟ أو معنى قولكم أنّه اتّحد به أنّه اختصّه بكرامة لم يكرم بها أحداً سواه ؟ فإن أردتم أنّ القديم صار محدثاً فقد أبطلتم ، لأنّ القديم محال أن ينقلب فيصير محدثاً ، وإن أردتم أنّ المحدث صار قديماً فقد أحلتم لأنّ المحدث أيضاً محال أن يصير قديماً ، وإن أردتم أنّه اتّحد به بأنّه اختصّه واصطفاه على سائر عباده فقد أقررتم بحدوث عيسى وبحدوث المعنى الّذي اتّحذ به من أجله ، لأنّه إذا كان عيسى محدثاً وكان الله اتّحد به ـ بأن أحدث به معنى صار به أكرم الخلق عنده ـ فقد صار عيسى وذلك المعنى محدثَين ، وهذا خلاف ما بدأتم تقولونه .

فقال النّصارى : يا محمّد إنّ الله لمّا أظهر على يد عيسى من الأشياء العجيبة ما أظهر فقد اتّخذوه ولداً على جهة الكرامة .

فقال لهم رسول الله ﷺ : فقد سمعتم ما قلته لليهود في هذا المعنى الّذي ذكرتموه .

ثمّ أعاد ﷺ ذلك كلّه ، فسكتوا إلّا رجلاً واحداً منهم فقال له : يا محمّد أولستم تقولون أنّ إبراهيم خليل الله ؟

قال : قد قلنا ذلك .

قال : فإذا قلتم ذلك فلم منعتمونا من أن نقول أنّ عيسى ابن الله ؟

قال رسول الله ﷺ : إنّهما لن يشتبها ؛ لأنّ قولنا إبراهيم خليل الله فإنّما هو مشتقّ من الخلّة والخلّة إنّما معناها الفقر والفاقة ، فقد كان خليلاً إلى ربّه فقيراً ، وإليه منقطعاً وعن غيره متعفّفاً معرضاً مستغنياً ، وذلك لمّا أُريد قذفه في النّار فرمي به في المنجنيق فبعث الله جبرئيل فقال له : أدرك عبدي ، فجاء فلقيه في الهواء ، فقال له : كلّفني ما بدا لك فقد بعثني الله لنصرتك ، فقال إبراهيم : حسبي الله ونعم الوكيل ، إنّي لا أسأل غيره ولا حاجة لي إلّا إليه ، فسمّاه خليله أي فقيره ومحتاجه والمنقطع إليه عمّن سواه ، وإذا جعل معنى ذلك من الخلّة وهو أنّه قد تخلّل معانيه ووقف على أسرار لم يقف عليها غيره كان الخليل معناه العالم به وبأُموره ، ولا يوجب ذلك تشبيه الله

بخلقه ، ألا ترون أنّه إذا لم ينقطع إليه لم يكن خليله ، وإذا لم يعلم بأسراره لم يكن خليله ، وإنّ من يلده الرّجل وإن أهانه وأقصاه لم يخرج عن أن يكون ولده ، لأنّ معنى الولادة قائم به . ثمّ إن وجب لأنّه قال لإبراهيم خليلي أن تقيسوا أنتم فتقولوا بأنّ عيسى ابنه ، وجب أيضاً كذلك أن تقولوا لموسى أنه ابنه ، فإنّ الّذي معه من المعجزات لم يكن بدون ماكان مع عيسى ، فقولوا إنّ موسى أيضاً ابنه ، وأن يجوز أن تقولوا على هذا المعنى أنّه شيخه وسيّده وعمّه ورئيسه وأميره كما قد ذكرته لليهود .

فقال بعضهم لبعض : وفي الكتب المنزلة أنّ عيسى قال : أذهب إلى أبي وأبيكم .

فقال رسول الله ﷺ : فإن كنتم بذلك الكتاب تعملون فإنّ فيه : أذهب إلى أبي وأبيكم ، فقولوا : إنّ جميع الّذين خاطبهم عيسى كانوا أبناء الله كماكان عيسى ابنه من الوجه الّذي كان عيسى ابنه ، ثمّ إنّ ما في هذا الكتاب مبطل عليكم هذا الّذي زعمتم أنّ عيسى من وجهة الإختصاص كان ابناً له ، لأنّكم قلتم إنّما قلنا أنّه ابنه لأنّه اختصّه بما لم يختصّ به غيره ، وأنتم تعلمون أنّ الّذي خصّ به عيسى لم يخصّ به هؤلاء القوم الّذين قال لهم عيسى : أذهب إلى أبي وأبيكم ؛ فبطل أن يكون الإختصاص لعيسى ، لأنّه قد ثبت عندكم بقول عيسى لمن لم يكن له مثل اختصاص عيسى ، وأنتم إنّما حكيتم لفظة عيسى وتأوّلتموها على غير وجهها ، لأنّه إذا قال : أذهب إلى أبي وأبيكم ، فقد أراد غير ما ذهبتم إليه ونحلتموه ، وما يدريكم لعلّه عنى : أذهب إلى آدم أو إلى نوح ، وإنّ الله يرفعني إليهم ويجمعني معهم ؛ وآدم أبي وأبيكم وكذلك نوح ، بل ما أراد غير هذا .

قال : فسكت النّصارى وقالوا : ما رأينا كاليوم مجادلاً ولا مخاصماً مثلك ، وسننظر في أُمورنا .

ثمّ أقبل رسول الله على الدهريّة فقال : وأنتم فما الّذي دعاكم إلى القول بأنّ الأشياء لا بدو لها وهي دائمة لم تزل ولا تزال ؟

فقالوا : لأنّا لا نحكم إلّا بما نشاهد ، ولم نجد للأشياء حدثاً فحكمنا بأنّها لم تزل ، ولم نجد لها انقضاء وفناء فحكمنا بأنّها لا تزال .

فقال رسول الله ﷺ : أفوجدتم لها قدماً أو وجدتم لها بقاءاً أبد الآباد ؟ فإن قلتم أنّكم وجدتم ذلك أنهضتم لأنفسكم أنّكم لم تزالوا على هيئتكم وعقولكم بلا نهاية ولا تزالون كذلك ، ولئن قلتم هذا دفعتم العيان وكذّبكم العالمون والّذين يشاهدونكم .

قالوا : بل لم نشاهد لها قدماً ولا بقاء أبد الآباد .

قال رسول الله ﷺ : فلِمَ صرتم بأن تحكموا بالقدم والبقاء دائماً لأنّكم لم تشاهدوا حدوثها وانقضاؤها ، أولى من تارك التميّز لها مثلكم فيحكم لها بالحدوث والإنقضاء والإنقطاع لأنّه لم يشاهد لها قدماً ولا بقاءاً أبد الأبد ، أولستم تشاهدون الليل والنّهار وأحدهما بعد الآخر ؟

فقالوا : نعم .

فقال : أترونهما لم يزالا ولا يزالان ؟

فقالوا : نعم .

فقال : أفيجوز عندكم اجتماع اللّيل والنّهار ؟

فقالوا : لا .

فقال ﷺ : فإذا منقطع أحدهما عن الآخر فيسبق أحدهما ويكون الثاني جارياً بعده ؟

قالوا : كذلك هو .

فقال : قد حكمتم بحدوث ما تقدّم من ليل ونهار لم تشاهدوهما ، فلا تنكروا لله قدرته .

ثمّ قال ﷺ : أتقولون ما قبلكم من الليل والنّهار متناه أم غير متناه ؟ فإن قلتم أنّه غير متناه فقد وصل إليكم آخر بلا نهاية لأوّله ، وإن قلتم متناه فقد كان ولا شيء منهما .

قالوا : نعم .

قال لهم : أقلتم أنّ العالم قديم غير محدث وأنتم عارفون بمعنى ما أقررتم به وبمعنى ما جحدتموه ؟

قالوا : نعم .

قال رسول الله ﷺ : فهذا الّذي تشاهدونه من الأشياء بعضها إلى بعض يفتقر لأنّه لا قوام للبعض إلّا بما يتّصل به ، كما نرى البناء محتاجاً بعض أجزائه إلى بعض وإلّا لم يتّسق ولم يستحكم وكذلك سائر ما نرى .

وقال أيضاً : فإذا كان هذا المحتاج بعضه إلى بعض لقوّته وتمامه هو القديم فأخبروني أن لو كان محدثاً كيف كان يكون ؟ وماذا كانت تكون صفته ؟

قال : فبهتوا وعلموا أنّهم لا يجدون للمحدث صفة يصفونه بها إلّا وهي موجودة في هذا الّذي زعموا أنّه قديم ؛ فوجموا وقالوا : سننظر في أمرنا .

ثمّ أقبل رسول الله ﷺ على الثنويّة الّذين قالوا النّور والظلمة هما المدبّران ، فقال : وأنتم فما

الّذي دعاكم إلى ما قلتموه من هذا ؟

فقالوا : لأنّا وجدنا العالم صنفين : خيراً وشرّاً ، ووجدنا الخير ضدّاً للشر ، فأنكرنا أن يكون فاعل واحد يفعل الشيء وضدّه بل لكلّ واحد منهما فاعل ، ألا ترى أنّ الثّلج محال أن يسخن كما أنّ النّار محال أن تبرد ، فأثبتنا لذلك صانعَين قديمَين ظلمة ونوراً .

فقال لهم رسول الله ﷺ : أفلستم قد وجدتم سواداً وبياضاً وحمرة وصفرة وخضرة وزرقة ، وكلّ واحدة ضدّ لسائرها لاستحالة اجتماع مثلين منهما في محلّ واحد كما كان الحرّ والبرد ضدَّين لاستحالة اجتماعهما في محلّ واحد ؟

قالوا : نعم .

قال : فهلّا أثبتُّم بعدد كلّ لون صانعاً قديماً ليكون فاعل كلّ ضدّ من هذه الألوان غير فاعل الضدّ الآخر ؟

قال : فسكتوا .

ثمّ قال : فكيف اختلط النّور والظّلمة ، وهذا من طبعه الصعود وهذه من طبعها النزول ؟ أرأيتم لو أنّ رجلاً أخذ شرقاً يمشي إليه والآخر غرباً أكان يجوز عندكم أن يلتقيا ما داما سائرين على وجههما ؟

قالوا : لا .

قال : فوجب أن لا يختلط النّور والظلمة لذهاب كلّ واحد منهما في غير جهة الآخر ، فكيف وجدتم حدث هذا العالم من امتزاج ما هو محال أن يمتزج بل هما مدبّران جميعاً مخلوقان ؟

فقالوا : سننظر في أُمورنا .

ثمّ أقبل رسول الله ﷺ على مشركي العرب فقال : وأنتم فلِمَ عبدتم الأصنام من دون الله ؟

فقالوا : نتقرّب بذلك إلى الله تعالى .

فقال لهم : أوَ هي سامعة مطيعة لربّها ، عابدة له حتّى تتقرّبوا بتعظيمها إلى الله ؟

قالوا : لا .

قال : فأنتم الّذين نحتموها بأيديكم ؟

قالوا : نعم .

قال : فلَإن تعبدكم هي لو كان يجوز منها العبادة أحرى من أن تعبدوها ، إذاً لم يكن أمركم

بتعظيمها من هو العارف بمصالحكم وعواقبكم ، والحكيم فيما يكلّفكم .

قال : فلمّا قال رسول الله ﷺ هذا القول اختلفوا ؛ فقال بعضهم : إنّ الله قد حلّ في هيا كل رجال كانوا على هذه الصورة فصوّرنا هذه الصّور نعظّمها لتعظيمنا تلك الصّور الّتي حلّ فيها ربّنا . وقال آخرون منهم : إنّ هذه صور أقوام سلفوا كانوا مطيعين لله قبلنا فمثّلنا صورهم وعبدناها تعظيماً لله . وقال آخرون منهم : إنّ الله لمّا خلق آدم وأمر الملائكة بالسجود له [فسجدوه تقرّباً بالله] كنّا نحن أحقّ بالسّجود لآدم [إلى الله] من الملائكة ، ففاتنا ذلك فصوّرنا صورته فسجدنا لها تقرّباً إلى الله كما تقرّبت الملائكة بالسجود لآدم إلى الله تعالى ، وكما أمرتم بالسجود بزعمكم إلى جهة مكة ففعلتم ثمّ نصبتم في غير ذلك البلد بأيديكم محاريب[1] سجدتم إليها ، وقصدتم الكعبة لا محاريبكم ، وقصدتكم بالكعبة إلى الله ﷻ لا إليها .

فقال رسول الله ﷺ : أخطأتم الطريق وظللتم ؛ أمّا أنتم ـ وهو ﷺ يخاطب الّذين قالوا إنّ الله يحلّ في هيا كل رجال كانوا على هذه الصّور الّتي صوّرناها فصوّرنا هذه الصّور نعظّمها لتعظيمنا لتلك الصّور الّتي حلّ فيها ربّنا ـ فقد وصفتم ربّكم بصفة المخلوقات ، أوَ يحلّ ربّكم في شيء حتّى يحيط به ذاك الشّيء ؟ فأيّ فرق بينه إذاً وبين سائر ما يحلّ فيه من لونه وطعمه ورائحته ولينه وخشونته وثقله وخفّته ؟ ولِمَ صار هذا المحلول فيه محدثاً وذلك قديماً دون أن يكون ذلك محدثاً وهذا قديماً ؟ وكيف يحتاج إلى المحالّ من لم يزل قبل المحالّ وهو ﷻ كان لم يزل ؟ وإذا وصفتموه بصفة المحدثات في الحلول فقد لزمكم أن تصفوه بالزوال ، وما وصفتموه بالزوال والحدوث فصفوه بالفناء ، لأنّ أجمع من صفات الحالّ والمحلول فيه ، وجميع ذلك متغيّر الذات ، فإن كان لم يتغيّر ذات الباري تعالى بحلوله في شيء جاز أن لا يتغيّر بأن يتحرّك ويسكن ويسودّ ويبيضّ ويحمرّ ويصفرّ وتحلّه الصّفات الّتي تتعاقب على الموصوف بها حتّى يكون فيه جميع صفات المحدثين ويكون محدثاً تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً .

ثمّ قال رسول الله ﷺ : فإذا بطل ما ظننتموه من أنّ الله يحلّ في شيء فقد فسد ما بنيتم عليه قولكم .

---

(١) محاريب : جمع محراب ، ومحراب المسجد قيل سُمّي بذلك لأنّه موضع محاربة الشيطان والهوى ، وقيل بل المحراب أصله في المسجد ، وهو اسم خصّ به صدر المجلس فسمّي صدر البيت محراباً تشبيهاً بمحراب المسجد ، وكان هذا أصحّ ، قال تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيل ﴾ .

قال : فسكت القوم وقالوا : سننظر في أُمورنا .

ثمّ أقبل رسول الله ﷺ على الفريق الثاني فقال : أخبرونا عنكم إذا عبدتم صور من كان يعبد الله فسجدتم لها وصلّيتم فوضعتم الوجوه الكريمة على التراب بالسجود لها فما الّذي أبقيتم لربّ العالمين ؟ أما علمتم أنّ مِن حقّ مَن يلزم تعظيمه وعبادته أن لا يساوى به عبده ؟ أرأيتم ملكاً أو عظيماً إذا سوّيتموه بعبده في التعظيم والخضوع والخشوع أيكون في ذلك وضع من الكبير كما يكون زيادة في تعظيم الصغير ؟

فقالوا : نعم .

قال : أفلا تعلمون أنّكم من حيث تعظمون الله بتعظيم صور عباده المطيعين له ، تزرون[1] على ربّ العالمين ؟

قال : فسكت القوم بعد أن قالوا : سننظر في أمرنا .

ثمّ قال رسول الله ﷺ للفريق الثالث : لقد ضربتم لنا مثلاً وشبّهتمونا بأنفسكم ولسنا سواء ؛ وذلك أنّا عباد الله مخلوقون مربوبون نأتمر له فيما أمرنا ، وننزجر عمّا زجرنا ، ونعبده من حيث يريده منّا ، فإذا أمرنا بوجه من الوجوه أطعناه ولم نتعدّ إلى غيره ممّا لم يأمرنا ولم يأذن لنا ، لأنّا لا ندري لعلّه إن أراد منّا الأوّل فهو يكره الثّاني ، وقد نهانا أن نتقدّم بين يديه ، فلمّا أمرنا أن نعبده بالتوجّه إلى الكعبة أطعناه ، ثمّ أمرنا بعبادته بالتوجّه نحوها في سائر البلدان الّتي تكون بها فأطعناه ، ولم نخرج في شيء من ذلك من اتّباع أمره ، والله حيث أمر بالسجود لآدم لم يأمر بالسجود لصورته الّتي هي غيره ، فليس لكم أن تقيسوا ذلك عليه لأنّكم لا تدرون لعلّه يكره ما تفعلون إذ لم يأمركم به .

ثمّ قال لهم رسول الله ﷺ : أرأيتم لو أذن لكم رجل دخول داره يوماً بعينه ألكم أن تدخلوها بعد ذلك بغير أمره ؟ أو لكم أن تدخلوا داراً له أُخرى مثلها بغير أمره ؟ أو وهب لكم رجل ثوباً من ثيابه أو عبداً من عبيده أو دابّة من دوابّه ألكم أن تأخذوا ذلك ؟

قالوا : نعم .

قال : فإن لم تأخذوه ألكم أخذ آخر مثله ؟

قالوا : لا لأنّه لم يأذن لنا في الثاني كما أذن في الأوّل .

---

(١) تزرون : تعيبون وتعاتبون .

قال صلى الله عليه وآله : فأخبروني الله أولى بأن لايتقدّم على ملكه بغير أمره أو بعض المملوكين ؟

قالوا : بل الله أولى بأن لا يتصرّف في ملكه بغير إذنه .

قال : فلِم فعلتم ومتى أمركم بالسجود أن تسجدوا لهذه الصّور ؟

قال : فقال القوم : سننظر في اُمورنا ، وسكتوا .

وقال الصّادق عليه السلام : فوالّذي بعثه بالحقّ نبيّاً ما أتت على جماعتهم إلّا ثلاثة أيّام حتّى أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلموا ، وكانوا خمسة وعشرين رجلاً ؛ من كلّ فرقة خمسة ، وقالوا : ما رأينا مثل حجّتك يا محمّد ، نشهد أنّك رسول الله» .

إحتجاج النّبي صلى الله عليه وآله على جماعة من المشركين

وقال الصّادق عليه السلام : «قال أميرالمؤمنين عليه السلام : أنزل الله ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَاتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[1] الآية ، وكان في هذه الآية ردّ على ثلاثة أصناف منهم : لمّا قال ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ ؛ فكان ردّاً على الدهريّة الّذين قالوا : إنّ الأشياء لا بدو لها وهي دائمة . ثمّ قال : ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَاتِ وَٱلنُّورَ ﴾ ؛ فكان ردّاً على الثنويّة الّذين قالوا : إنّ النّور والظلمة هما مدبّران . ثمّ قال : ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ ؛ فكان ردّاً على مشركي العرب الّذين قالوا : إنّ أوثاننا آلهة . ثمّ أنزل الله ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ إلى آخرها ؛ فكان ردّاً على من ادّعى من دون الله ضدّاً أو ندّاً .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه : قولوا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ أي نعبد واحداً لا نقول كما قالت الدهريّة أنّ الأشياء لا بدو لها وهي دائمة ، ولا كما قالت الثنويّة أنّ النّور والظّلمة هما المدبّران ، ولا كما قال مشركو العرب أنّ أوثاننا آلهة فلا نشرك بك شيئاً ولا ندعو من دونك إلهاً كما يقول هؤلاء الكفّار ، ولا نقول كما قالت اليهود والنّصارى أنّ لك ولداً ، تعاليت عن ذلك .

قال : فذلك قوله : ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ ، وقالت طائفة غيرهم من هؤلاء الكفّار ما قالوا ، قال الله تعالى : يا محمّد ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُم ﴾ الّتي يمنّونها بلا حجّة ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ وحجّتكم على دعواكم ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ كما أتى محمّد ببراهينه الّتي سمعتموها . ثمّ قال : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ﴾ تعالى يعني كما فعل هؤلاء الّذين آمنوا برسول الله لمّا سمعوا براهينه

---

(١) الأنعام ١.

وحجّته ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ في علمه ﴿ فَلَهُ أَجْرُهُ ﴾ وثوابه ﴿ عِنْدَ رَبِّه ﴾ يوم فصل القضاء ﴿ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ حين يخاف الكافرون ممّا يشاهدونه من العقاب ﴿ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1] عند الموت لأنّ البشارة بالجنان تأتيهم» .

عن أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام أنّه قال : «قلت لأبي عليّ بن محمّد عليه السلام : هل كان رسول الله ﷺ يناظر اليهود والمشركين إذا عاتبوه ويحاجّهم ؟

قال : بلى مراراً كثيرة ، منها ما حكى الله من قولهم : ﴿ وَقَالُوا مَالِ هٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلأَسْوَاقِ لَوْلاَ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ إلى قوله ﴿ رَجُلاً مَسْحُورا ﴾[2] وقالوا : ﴿ لَوْلا نُزِّلَ هَذا الْقُرآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[3] وقوله ﷺ : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعَا ﴾ إلى قوله : ﴿ كِتَاباً نَقْرَؤُه ﴾[4] ثمّ قيل له في آخر ذلك : لو كنت نبيّاً كموسى أنزلت علينا كسفاً من السّماء ، ونزّلت علينا الصّاعقة في مسألتنا إليك ، لأنّ مسألتنا أشدّ من مسائل قوم موسى لموسى عليه السلام .

قال : وذلك أنّ رسول الله ﷺ كان قاعداً ذات يوم بمكّة بفناء الكعبة إذ اجتمع جماعة من رؤساء قريش منهم الوليد بن المغيرة المخزومي وأبوالبختري ابن هشام وأبوجهل والعاص بن وائل السهمي وعبدالله بن أبي اُميّة المخزومي ، وكان معهم جمع ممّن يليهم كثير ، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه يقرأ عليهم كتاب الله ويؤدّي إليهم عن الله أمره ونهيه .

فقال المشركون بعضهم لبعض : لقد استفحل أمر محمّد وعظم خطبه ، فتعالوا نبدأ بتقريعه وتبكيته وتوبيخه والإحتجاج عليه وإبطال ما جاء به ليهون خطبه على أصحابه ، ويصغّر قدره عندهم ، فلعلّه ينزع عمّا هو فيه من غيّه وباطله وتمرّده وطغيانه ، فإن انتهى وإلّا عاملناه بالسّيف الباتر .

قال أبوجهل : فمن ذا الّذي يلي كلامه ومجادلته ؟

قال عبدالله بن أبي اُميّة المخزومي : أنا إلى ذلك ، أفما ترضاني له قرناً حسبياً ومجادلاً كفيّاً ؟

قال أبوجهل : بلى .

---

(١) البقرة ١١١ـ١١٢.

(٢) الفرقان ٧ـ٨.

(٣) الزخرف ٣١.

(٤) الإسراء ٩٠ـ٩٣.

فأتوه بأجمعهم ، فابتدأ عبدالله بن أبي أُميّة المخزومي فقال : يا محمّد لقد ادّعيت دعوى عظيمة وقلت مقالاً هائلاً ؛ زعمت أنّك رسول الله ربّ العالمين ، وما ينبغي لربّ العالمين وخالق الخلق أجمعين أن يكون مثلك رسوله ؛ بشر مثلنا تأكل كما نأكل وتشرب كما نشرب وتمشي في الأسواق كما نمشي ، فهذا ملك الرّوم وهذا ملك الفرس لا يبعثان رسولاً إلّا كثير المال ، عظيم الحال ، له قصور ودور وفساطيط وخيام وعبيد وخدّام ، وربّ العالمين فوق هؤلاء كلّهم فهم عبيده ، ولو كنت نبيّاً لكان معك ملك يصدّقك ونشاهده ، بل لو أراد الله أن يبعث إلينا نبيّاً لكان إنّما يبعث إلينا ملكاً لا بشراً مثلنا ، ما أنت يا محمّد إلّا رجلاً مسحوراً ولست بنبي .

فقال رسول الله ﷺ : هل بقي من كلامك شيء ؟

قال : بلى ، لو أراد الله أن يبعث إلينا رسولاً لبعث أجلّ من فيما بيننا ؛ أكثره مالاً ، وأحسنه حالاً ، فهلّا أنزل هذا «القرآن» الّذي زعم أنّ الله أنزله عليك وابتعثك به رسولاً على رجل من القريتين عظيم ؛ إمّا الوليد بن المغيرة بمكّة ، وإمّا عروة بن مسعود الثقفي بالطائف ؟

فقال رسول الله ﷺ : هل بقي من كلامك شيء يا عبدالله ؟

فقال : بلى ، لن نؤمن لك حتّى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً بمكّة هذه ، فإنّها ذات أحجار وعرة وجبال ، تكسح أرضها[1] وتحفرها وتجري فيها العيون ، فإنّنا إلى ذلك محتاجون ، أو تكون لك جنّة من نخيل وعنب فتأكل منها وتُطعمنا فتفجّر الأنهار خلالها ، خلال تلك النّخيل والأعناب تفجيراً ، أو تسقط السّماء كما زعمت علينا كسفاً[2] ، فإنّك قلت لنا ﴿ وَإِن يَرَوْا كِسْفاً مِنَ ٱلسَّمَاءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴾[3] فلعلّنا نقول ذلك .

ثمّ قال : أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً ، تأتي به وبهم وهم لنا مقابلون ، أو يكون لك بيت من زخرف تعطينا منه وتغنينا به فلعلّنا نطغى ، وإنّك قلت لنا : ﴿ كَلَّا إِنَّ ٱلإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَآهُ ٱسْتَغْنَىٰ ﴾[4] .

ثمّ قال : أو ترقى في السّماء ؛ أي تصعد في السّماء ، ولن نؤمن لرقيّك ؛ أي لصعودك ، حتّى تنزّل علينا كتاباً نقرؤه من الله العزيز الحكيم إلى عبدالله بن أبي أُميّة المخزومي ومن معه بأن آمِنوا

---

(١) تكسح أرضها : تقشّرها من التّراب .

(٢) كسفاً : قطعاً قد ركب بعضها على بعض .

(٣) الطور ٤٤ . والمركوم : المتراكم الّذي يجعل بعضه على بعض .

(٤) العلق ٦ ـ ٧ .

بمحمّد بن عبدالله بن عبدالمطّلب فإنّه رسولي ، وصدّقوه في مقاله أنّه من عندي ، ثمّ لا أدري يا محمّد إذا فعلت هذا كلّه أُؤمن بك أو لا أُؤمن بك ، بل لو رفعتنا إلى السّماء وفتحت أبوابها وأدخلتناها لقلنا إنّما سُكّرت أبصارنا[١] وسحرتنا .

فقال رسول الله ﷺ : يا عبدالله أبقي شيء من كلامك ؟

قال : يا محمّد أوليس فيما أوردته عليك كفاية وبلاغ ؟ ما بقي شيء فقل ما بدا لك وافصح عن نفسك إن كان لك حجّة ، وأتنا بما سألناك به .

فقال رسول الله ﷺ : اللّهمّ أنت السّامع لكلّ صوت ، والعالم بكلّ شيء ، تعلم ما قاله عبادك .

فأنزل الله عليه : يا محمّد ﴿ وَقَالُوا مَالِ هٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ ﴾ إلى قوله ﴿ رَجُلاً مَسْحُوراً ﴾[٢] ثمّ قال الله تعالى : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾[٣] ، ثمّ قال : يا محمّد ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّن ذٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُوراً ﴾[٤] وأنزل عليه : يا محمّد ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾ الآية[٥] ، وأنزل الله عليه : يا محمّد ﴿ وَقَالُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَا يَلْبِسُونَ ﴾[٦] .

فقال له رسول الله ﷺ : يا عبدالله أمّا ما ذكرت من أنّي آكل الطّعام كما تأكلون ، وزعمت أنّه لا يجوز لأجل هذا أن أكون لله رسولاً فإنّما الأمر لله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو محمود ، وليس لك ولا لأحد الإعتراض عليه بِلَمْ وكيف ، ألا ترى أنّ الله كيف أفقر بعضاً وأغنى بعضاً ، وأعزّ بعضاً وأذلّ بعضاً ، وأصحّ بعضاً وأسقم بعضاً ، وشرّف بعضاً ووضع بعضاً ، وكلّهم ممّن يأكل الطّعام ، ثمّ ليس للفقراء أن يقولوا : لِمَ أفقرتنا وأغنيتهم ، ولا للوضعاء أن يقولوا : لِمَ وضعتنا وشرّفتهم ، ولا للزمنىٰ[٧] والضعفاء أن يقولوا : لِمَ أزمنتنا وأضعفتنا وصحّحتهم ، ولا للأذلّاء أن

---

(١) سُكّرت أبصارنا : غطيت وغشيت عن النّظر .

(٢) الفرقان ٧ ـ ٨.

(٣) الإسراء ٤٨.

(٤) الفرقان ١٠.

(٥) هود ١٢.

(٦) الأنعام ٨ ـ ٩.

(٧) الزمنى : الّذين ألمّ بهم المرض ، المرضىٰ .

يقولوا : لِمَ أذللتنا وأعززتهم ، ولا لقباح الصّور أن يقولوا : لِم قبّحتنا وجمّلتهم ، بل إن قالوا ذلك كانوا على ربّهم رادّين ، وله في أحكامه منازعين ، وبه كافرين ، ولكان جوابه لهم : أنا الملك الخافض الرافع المُغني المُفقر المعزّ المذلّ المصحّح المسقم ، وأنتم العبيد ليس لكم إلّا التّسليم لي والإنقياد لحكمي ، فإن سلّمتم كنتم عباداً مؤمنين ، وإن أبيتم كنتم بي كافرين ، وبعقوباتي من الهالكين .

ثمّ أنزل الله عليه : يا محمّد ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ يعني آكل الطّعام ﴿ يُوحىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ ﴾(١) يعني قل لهم أنا في البشريّة مثلكم ، ولكن ربّي خصّني بالنبوّة دونكم كما يخصّ بعض البشر بالغنى والصحّة والجمال دون بعض من البشر ، فلا تنكروا أن يخصّني أيضاً بالنبوّة [دونكم] .

ثمّ قال رسول الله ﷺ : وأمّا قولك : «هذا ملك الرّوم وملك الفرس لا يبعثان رسولاً إلّا كثير المال ، عظيم الحال ، له قصور ودور وفساطيط وخيام وعبيد وخدّام ، وربّ العالمين فوق هؤلاء كلّهم فهم عبيده» ؛ فإنّ الله له التدبير والحكم لا يفعل على ظنّك وحسبانك ولا باقتراحك ، بل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو محمود ، يا عبدالله إنّما بعث الله نبيّه ليُعلّم النّاس دينهم ويدعوهم إلى ربّهم ويكدّ(٢) نفسه في ذلك آناء الليل ونهاره ، فلو كان صاحب قصور يحتجب فيها ، وعبيد وخدم يسترونه عن النّاس ، أليس كانت الرّسالة تضيع والأُمور تتبطّأ ؟ أوما ترى الملوك إذا احتجبوا كيف يجري الفساد والقبائح من حيث لا يعلمون به ولا يشعرون ؟

يا عبدالله إنّما بعثني الله ولا مال لي ليُعرّفكم قدرته وقوّته وأنّه هو النّاصر لرسوله ولا تقدرون على قتله ولا منعه في رسالاته ، فهذا بيّن في قدرته وفي عجزكم ، وسوف يظفرني الله بكم فأسعكم قتلاً وأسراً ، ثمّ يظفرني الله ببلادكم ويستولي عليها المؤمنون من دونكم ودون من يوافقكم على دينكم .

ثمّ قال رسول الله ﷺ : وأمّا قولك لي : «لو كنت نبيّاً لكان معك ملك يصدّقك ونشاهده ، بل لو أراد الله أن يبعث إلينا نبيّاً لكان إنّما يبعث ملكاً لا بشراً مثلنا» ؛ فالملك لا تشاهده حواسّكم لأنّه من جنس هذا الهواء لا عيان منه ، ولو شاهدتموه ـ بأن يزاد في قوى أبصاركم ـ لقلتم ليس هذا ملكاً بل

---

(١) الكهف ١١٠.

(٢) الكدّ : الإلحاح والشدّة في الطّلب .

هذا بشر ، لأنّه إنّما كان يظهر لكم بصورة البشر الّذي ألفتموه لتفهموا عنه مقالته وتعرفوا خطابه ومراده ، فكيف كنتم تعلمون صدق الملك وأنّ ما يقوله حقّ ؟ بل إنّما بعث الله بشراً وأظهر على يده المعجزات الّتي ليست في طبائع البشر الّذين قد علمتم ضمائر قلوبهم فتعلمون بعجزكم عمّا جاء به أنّه معجزة وأنّ ذلك شهادة من الله بالصّدق له ، ولو ظهر لكم ملك وظهر على يده ما [تعجزون عنه و] يعجز عنه [جميع] البشر لم يكن في ذلك ما يدلّكم أنّ ذلك ليس في طبائع سائر أجناسه من الملائكة حتّى يصير ذلك معجزاً ، ألا ترون أنّ الطّيور الّتي تطير ليس ذلك منها بمعجز لأنّ لها أجناساً يقع منها مثل طيرانها ؟ ولو أنّ آدمياً طار كطيرانها كان ذلك معجزاً ، فإنّ الله ﷻ سهّل عليكم الأمر وجعله بحيث تقوم عليكم حجّته وأنتم تقترحون عمل الصّعب الّذي لا حجّة فيه .

ثمّ قال رسول الله ﷺ : وأمّا قولك : «ما أنت إلّا رجل مسحور» ؛ فكيف أكون كذلك وقد تعلمون أنّي في صحّة التميز والعقل فوقكم ؟ فهل جرّبتم عَلَيّ منذ نشأت إلى أن استكملت أربعين سنة خزية[1] أو زلّة أو كذبة أو خيانة أو خطأ من القول أو سفهاً من الرأي ؟ أتظنّون أنّ رجلاً يعتصم طول هذه المدّة بحول نفسه وقوّتها أو بحول الله وقوّته ؟ وذلك ما قال الله : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾ إلى أن يثبتوا عليك عمى بحجّة أكثر من دعاويهم الباطلة الّتي تبيّن عليك تحصيل بطلانها .

ثمّ قال رسول الله ﷺ : وأمّا قولك : «لولا نزّل هذا «القرآن» على رجل من القريتين عظيم ؛ الوليد بن المغيرة بمكّة أو عروة [بن مسعود الثقفي] بالطائف» ؛ فإنّ الله ليس يستعظم مال الدّنيا كما تستعظمه أنت ، ولا خطر له عنده كما له عندك ، بل لو كانت الدّنيا عنده تعدل جناح بعوضة لما سقي كافراً به مخالفاً له شربة ماء ، وليس قسمة الله إليك بل الله هو القاسم للرّحمات والفاعل لما يشاء في عبيده وإمائه ، وليس هو ﷻ ممّن يخاف أحداً كما تخافه أنت لماله وحاله فعرّفته بالنبوّة لذلك ، ولا ممّن يطمع في أحد في ماله أو في حاله كما تطمع أنت فتخصّه بالنبوّة لذلك ، ولا ممّن يحبّ أحداً محبّة الهواء كما تحبّ أنت فتقدّم من لا يستحقّ التقديم وإنّما معاملته بالعدل فلا يؤثّر إلّا بالعدل لأفضل مراتب الدّين وجلاله إلّا الأفضل في طاعته والأجدّ في خدمته ، وكذلك لا يؤخّر في مراتب الدّين وجلاله إلّا أشدّهم تباطأً عن طاعته ، وإذا كان هذا صفته لم ينظر إلى مال ولا إلى

---

(١) وفي بعض النسخ «خربة» ، وهي العيب والعورة والذلّة .

حال بل هذا المال والحال من تفضّله ، وليس لأحد من عباده عليه ضريبة لازب[1] ، فلا يقال له إذا تفضّلت بالمال على عبد فلابدّ أن تتفضّل عليه بالنبوّة أيضاً لأنّه ليس لأحد إكراهه على خلاف مراده ، ولا إلزامه تفضّلاً لأنّه تفضّل قبله بنعمه .

ألا ترى يا عبدالله كيف أغنى واحداً وقبّح صورته ، وكيف حسّن صورة واحد وأفقره ؟ وكيف شرّف واحداً وأفقره ، وكيف أغنى واحداً ووضعه ؟ ثمّ ليس لهذا الغنيّ أن يقول : هلّا أُضيف إلى يساري جمال فلان ؟ ولا للجميل أن يقول : هلّا أُضيف إلى جمالي مال فلان ؟ ولا للشريف أن يقول : هلّا أُضيف إلى شرفي مال فلان ؟ ولا للوضيع أن يقول : هلّا أُضيف إلى ضعتي شرف فلان ؟ ولكن الحكم لله يقسم كيف يشاء ويفعل كيف يشاء وهو حكيم في أفعاله ، محمود في أعماله ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذا الْقُرآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ قال الله تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ﴾ يا محمّد ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[2] فأحوجنا بعضاً إلى بعض ، أحوج هذا إلى مال ذلك ، وأحوج ذلك إلى سلعة هذا وإلى خدمته ، فترى أجلّ الملوك وأغنى الأغنياء محتاجاً إلى أفقر الفقراء في ضرب من الضروب ؛ إمّا سلعة معه ليست معه ، وإمّا خدمة يصلح لها لا يتهيّأ لذلك الملك أن يستغني إلّا به ، وإمّا باب من العلوم والحكم هو فقير إلى أن يستفيدها من هذا الفقير ، فهذا الفقير يحتاج إلى مال ذلك الملك الغني ، وذلك الملك يحتاج إلى علم هذا الفقير أو رأيه أو معرفته ، ثمّ ليس للملك أن يقول : هلّا اجتمع إليّ إلى مالي علم هذا الفقير ؟ ولا للفقير أن يقول : هلّا اجتمع على رأيي وعلمي وما أتصرّف فيه من فنون الحكمة مال هذا الملك الغني ؟ ثمّ قال الله : ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً ﴾ ثمّ قال : يا محمّد قل لهم : ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[3] أي ما يجمعه هؤلاء من أموال الدّنيا .

ثمّ قال رسول الله ﷺ : وأمّا قولك «لن نؤمن لك حتّى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً» إلى آخر ما قلته ، فإنّك قد اقترحت على محمّد رسول الله أشياء :

منها ما لو جاءك به لم يكن برهاناً لنبوّته ، ورسول الله يرتفع عن أن يغتنم جهل الجاهلين ويحتجّ عليهم بما لا حجّة فيه .

---

(١) الضريبة : الّتي تؤخذ في الجزية ونحوها . واللازب : اللازم الشديد اللزوم .

(٢) الزخرف ٣٢.

(٣) الزخرف : ٣٢.

ومنها ما لو جاءك به كان معه هلاكك ، وإنّما يؤتى بالحجج والبراهين ليلزم عباد الله الإيمان بها لا ليهلكوا بها ، فإنّما اقترحت هلاكك ، وربّ العالمين أرحم بعباده وأعلم بمصالحهم من أن يهلكهم كمما تقترحون .

ومنها المحال الّذي لا يصحّ ولا يجوز كونه ورسول ربّ العالمين يعرّفك ذلك ويقطع معاذيرك ويضيّق عليك سبيل مخالفته ، ويلجئك بحجج الله إلى تصديقه حتّى لا يكون لك عنه محيد ولا محيص .

ومنها ما قد اعترفت على نفسك أنّك فيه معاند متمرّد لا تقبل حجّة ولا تصغي إلى برهان ، ومن كان كذلك فدواؤه عذاب الله النّازل من سمائه أو في جحيمه أو بسيوف أوليائه .

فأمّا قولك يا عبدالله «لن نؤمن لك حتّى تفجر لنا من الأرض ينبوعا بمكّة هذه فإنّها ذات أحجار وصخور وجبال تكسح أرضها وتحفرها وتجري فيها العيون فإنّنا إلى ذلك محتاجون» فإنّك سألت هذا وأنت جاهل بدلائل الله . يا عبدالله أرأيت لو فعلت هذا أكنتُ من أجل هذا نبيّاً ؟

قال : لا .

قال رسول الله : أرأيت الطائف الّتي لك فيها بساتين أما كان هناك مواضع فاسدة صعبة أصلحتها وذلّلتها وكسحتها وأجريت فيها عيوناً استنبطتها ؟

قال : بلى .

قال : وهل لك في هذا نظراء ؟

قال : بلى .

قال : فصرت أنت وهم بذلك أنبياء ؟

قال : لا .

قال : فكذلك لا يصير هذا حجّة لمحمّد لو فعله على نبوّته ، فما هو إلّا كقولك : لن نؤمن لك حتّى تقوم وتمشي على الأرض كما يمشي النّاس ، أو حتّى تأكل الطّعام كما يأكل النّاس .

وأمّا قولك يا عبدالله «أو تكون لك جنّة من نخيل وعنب فتأكل منها وتطعمنا وتفجر الأنهار خلالها تفجيراً» أوليس لك ولأصحابك جنّات من نخيل وعنب بالطائف تأكلون وتطعمون منها وتفجّرون الأنهار خلالها تفجيراً ، أفصرتم أنبياء بهذا ؟

قال : لا .

قال : فما بال اقتراحكم على رسول الله ﷺ أشياء لو كانت كما تقترحون لما دلّت على صدقه ، بل لو تعاطاها لدلّ تعاطيها على كذبه لأنّه يحتجّ بما لا حجّة فيه ، ويختدع الضعفاء عن عقولهم وأديانهم ، ورسول ربّ العالمين يجلّ ويرتفع عن هذا .

ثمّ قال رسول الله ﷺ : يا عبدالله وأمّا قولك «أو تسقط السّماء كما زعمت علينا كسفاً» فإنّك قلت : وإن يروا كسفاً من السّماء ساقطاً يقولوا سحابٌ مركوم ، فإنّ في سقوط السّماء عليكم هلاككم وموتكم ، فإنّما تريد بهذا من رسول الله ﷺ أن يهلكك ، ورسول ربّ العالمين أرحم من ذلك ، لا يهلكك ولكنّه يقيم عليك حجج الله ، وليس حجج الله لنبيّه وحده على حسب اقتراح عباده ، لأنّ العباد جهّال بما يجوز من الصلاح وما لا يجوز منه من الفساد ، وقد يختلف اقتراحهم ويتضادّ حتّى يستحيل وقوعه ، والله ﷻ طبيبكم ، لا يجري تدبيره على ما يلزم به المحال .

ثمّ قال رسول الله ﷺ : وهل رأيت يا عبدالله طبيباً كان دواؤه للمرضى على حسب اقتراحهم ؟ وإنّما يفعل به ما يعلم صلاحه فيه ؛ أحبّه العليل أو كرهه ، فأنتم المرضى والله طبيبكم ، فإن أنقدتم لدوائه شفاكم ، وإن تمرّدتم عليه أسقمكم .

وبعد ؛ فمتى رأيت يا عبدالله مدّعي حقّ من قبل رجل أوجب عليه حاكم من حكّامهم فيما مضى بيّنة على دعواه على حسب اقتراح المدّعى عليه ؟ إذاً ما كان يثبت لأحد على أحد دعوى ولا حقّ ، ولا كان بين ظالم ومظلوم ولا بين صادق وكاذب فرق .

ثمّ قال رسول الله ﷺ : يا عبدالله وأمّا قولك «أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً يقابلوننا ونعاينهم» فإنّ هذا من المحال الّذي لا خفاء به ، وإنّ ربّنا ﷻ ليس كالمخلوقين يجيء ويذهب ويتحرّك ويقابل شيئاً حتّى يؤتى به ، فقد سألتم بهذا المحال ، وإنّما هذا الّذي دعوت إليه صفة أصنامكم الضعيفة المنقوصة الّتي لا تسمع ولا تبصر ولا تعلم ولا تغني عنكم شيئاً ولا عن أحد .

يا عبدالله أوليس لك ضياع وجنان بالطائف وعقار بمكّة وقوّام عليها ؟

قال : بلى .

قال : أفتشاهد جميع أحوالها بنفسك أو بسفراء بينك وبين معامليك ؟

قال : بسفراء .

قال : أرأيت لو قال معاملوك وأكرتك[1] وخدمك لسفرائك : لا نصدّقكم في هذه السّفارة إلّا أن

---

(١) الأكرة : الأجراء والعمّال .

تأتونا بعبدالله بن أبي أُميّة لنشاهده فنسمع ما تقولون عنه شفاهاً ،كنت تسوغهم هذا أوكان يجوز لهم عندك ذلك ؟

قال : لا .

قال : فما الّذي يجب على سفرائك ؟ أليس إن يأتوهم عنك بعلامة صحيحة تدلّهم على صدقهم يجب عليهم أن يصدّقوهم ؟

قال : بلى .

قال : يا عبدالله أرأيت سفيرك لو أنّه لمّا سمع منهم هذا عاد إليك وقال لك : قم معي فإنّهم قد اقترحوا عَلَيّ مجيئك معي ، أليس يكون هذا لك مخالفاً وتقول له : إنّما أنت رسول لا مشير ولا آمر ؟

قال : بلى .

قال : فكيف صرت تقترح على رسول ربّ العالمين ما لا تسوغ لأكرتك ومعامليك أن يقترحوه على رسولك إليهم ؟ وكيف أردت من رسول ربّ العالمين أن يستذمّ إلى ربّه بأن يأمر عليه وينهى وأنت لا تسوغ مثل هذا على رسولك إلى أكرتك وقوّامك ؟ هذه حجّة قاطعة لإبطال جميع ما ذكرته في كلّ ما اقترحته يا عبدالله .

وأمّا قولك يا عبدالله «أو يكون لك بيت من زخرف ـ وهو الذهب ـ» أما بلغك أنّ لعظيم مصر بيوتاً من زخرف ؟

قال : بلى .

قال : أفصار بذلك نبيّاً ؟

قال : لا .

قال : فكذلك لا يوجب لمحمّد صلى الله عليه وآله نبوّة لوكان له بيوت ، ومحمّد لا يغتنم جهلك بحجج الله .

وأمّا قولك يا عبدالله «أو ترقى في السّماء» ثمّ قلت : «ولن نؤمن لرقيّك حتّى تنزل علينا كتاباً نقرؤه» يا عبدالله الصعود إلى السّماء أصعب من النّزول عنها ، وإذا اعترفت على نفسك أنّك لا تؤمن إذا صعدت فكذلك حكم النزول ، ثمّ قلت : «حتّى تنزل علينا كتاباً نقرؤه من بعد ذلك ثمّ لا أدري أُؤمن بك أو لا أُؤمن بك» فأنت يا عبدالله مقرّ بأنّك تعاند حجّة الله عليك ، فلا دواء لك إلّا تأديبه لك على يد أوليائه من البشر أو ملائكة الزبانية ، وقد أنزل الله عَلَيّ حكمة بالغة جامعة

لبطلان كلّ ما اقترحته ، فقال ﷺ : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمّد ﴿ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسولا ﴾[١] ما أبعد ربّي عن أن يفعل الأشياء على ما يقترحه الجهّال ممّا يجوز وممّا لا يجوز ، وهل كنت إلّا بشراً رسولاً لا يلزمني إلّا إقامة حجّة الله الّتي أعطاني ، وليس لي أن آمر على ربّي ولا أنهى ولا أشير فأكون كالرّسول الّذي بعثه ملك إلى قوم من مخالفيه فرجع إليه يأمره أن يفعل بهم مااقترحوه عليه .

فقال أبوجهل : يا محمّد هاهنا واحدة ؛ ألست زعمت أنّ قوم موسى احترقوا بالصاعقة لمّا سألوه أن يريهم الله جهرة ؟

قال : بلى .

قال : فلو كنت نبيّاً لاحترقنا نحن أيضاً ، فقد سألنا أشدّ ممّا سأل قوم موسى ، لأنّهم كما زعمت قالوا : ﴿ أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً ﴾ ونحن نقول : لن نؤمن لك حتّى تأتي بالله والملائكة قبيلاً نعاينهم .

فقال رسول الله ﷺ : يا أباجهل أما علمت قصّة إبراهيم الخليل لمّا رفع في الملكوت ، وذلك قول ربّي : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾[٢] قوّى الله بصره لمّا رفعه دون السّماء حتّى أبصر الأرض ومن عليها ظاهرين ومستترين ، فرأى رجلاً وامرأة على فاحشة ، فدعا عليهما بالهلاك فهلكا ، ثمّ رأى آخرين ، فدعا عليهما بالهلاك فهلكا ، ثمّ رأى آخرين ، فدعا عليهما بالهلاك فهلكا ، ثمّ رأى آخرين فهمّ بالدّعاء عليهما فأوحى الله إليه : يا إبراهيم إكفف دعوتك عن عبادي وإمائي فإنّي أنا الغفور الرّحيم الجبّار الحليم ، لا يضرّني ذنوب عبادي كما لا تنفعني طاعتهم ، ولست أسوسهم بشفاء الغيظ كسياستك ، فاكفف دعوتك من عبادي وإمائي فإنّما أنت عبد نذير لا شريك في الملك ولا مهيمن عَلَيّ ولا عبادي ، وعبادي معي بين خلال ثلاث : إمّا تابوا إليّ فتبت عليهم وغفرت ذنوبهم وسترت عيوبهم ، وإمّا كففت عنهم عذابي لعلمي بأنّه سيخرج من أصلابهم ذرّيّات مؤمنون ؛ فأرفق بالآباء الكافرين وأتأنّى بالأُمّهات الكافرات ، وأرفع عنهم عذابي ليخرج ذلك المؤمن من أصلابهم ، فإذا تزايلوا حلّبهم عذابي وحاق بهم بلائي ، وإن لم يكن هذا ولا هذا فإنّ الّذي أعددته لهم من عذابي أعظم ممّا تريده بهم ، فإنّ عذابي لعبادي على حسب جلالي وكبريائي ، يا إبراهيم خلّ بيني وبين عبادي فأنا أرحم بهم منك ، وخلّ بيني وبين عبادي فإنّي أنا الجبّار الحليم العلّام الحكيم ، أُدبّرهم بعلمي ، وأنفذ فيهم قضائي وقدري .

---

(١) الإسراء ٩٣.

(٢) الأنعام ٧٥.

ثمّ قال رسول الله ﷺ : يا أباجهل إنّما دفع عنك العذاب لعلمه بأنّه سيخرج من صلبك ذرّيّة طيّبة عكرمة ابنك ، وسيلي من أُمور المسلمين ما إن أطاع الله ورسوله فيه كان عند الله جليلاً وإلّا فالعذاب نازل عليك ، وكذلك سائر قريش السائلين لمّا سألوا من هذا إنّما أُمهلوا لأنّ الله علم أنّ بعضهم سيؤمن بمحمّد وينال به السّعادة ، فهو لا يقطعه عن تلك السّعادة ولا يبخل بها عليه ، أو من يولد منه مؤمن فهو ينظر أباه لإيصال ابنه إلى السعادة ، ولولا ذلك لنزل العذاب بكافّتكم ، فانظر إلى السّماء .

فنظر فإذا أبوابها مفتّحة ، وإذا النّيران نازلة منها مسامتة لرؤوس القوم[١] تدنو منهم حتّى وجدوا حرّها بين أكتافهم ، فارتعدت فرائص[٢] أبي جهل والجماعة .

فقال رسول الله ﷺ : لا تروعنّكم فإنّ الله لا يهلككم بها وإنّما أظهرها عبرة .

ثمّ نظروا إلى السّماء وإذا قد خرج من ظهور الجماعة أنوار قابلتها ورفعتها ودفعتها حتّى أعادتها في السّماء كما جاءت منها .

فقال رسول الله ﷺ : إنّ بعض هذه الأنوار أنوار من قد علم الله أنّه سيسعده بالإيمان بي منكم من بعد ، وبعضها أنوار ذرّيّة طيّبة ستخرج من بعضكم ممّن لا يؤمن وهم يؤمنون» .

وعن أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام أنّه قال : «قيل لأميرالمؤمنين : يا أميرالمؤمنين هل كان لمحمّد ﷺ آية مثل آية موسى في رفعه الجبل فوق رؤوس الممتنعين عن قبول ما أُمروا به ؟

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : إي والّذي بعثه بالحقّ نبيّاً ما من آية كانت لأحد من الأنبياء من لدن آدم إلى أن انتهى إلى محمّد ﷺ إلّا وقد كان لمحمّد مثلها أو أفضل منها ، ولقد كان لرسول الله ﷺ نظير هذه الآية إلى آيات أُخر ظهرت له ، وذلك أنّ رسول الله ﷺ لمّا أظهر بمكّة دعوته ، وأبان عن الله تعالى مراده ، رمته العرب عن قسي عداوتها بضروب مكائدهم ، ولقد قصدته يوماً لأنّي كنت أوّل النّاس إسلاماً ؛ بُعث يوم الإثنين وصلّيت معه يوم الثلاثاء ، وبقيت معه أُصلّي سبع سنين حتّى دخل نفر في الإسلام ، وأيّد الله تعالى دينه من بعد ، فجاءه قوم من المشركين فقالوا له : يا محمّد تزعم أنّك رسول ربّ العالمين ، ثمّ إنّك لا ترضى بذلك حتّى تزعم أنّك سيّدهم وأفضلهم ، فلئن كنت نبيّاً فأتنا بآية كما تذكره من الأنبياء قبلك : مثل نوح الّذي جاء بالغرق ونجا

---

(١) مسامتة لرؤوس القوم : محاذية لرؤوسهم .

(٢) الفرائص : جمع الفريصة ، وهي لحمة بين الثدي والكتف ترعد عند الفزع .

في سفينته مع المؤمنين ، وإبراهيم الّذي ذكرتَ أنّ النّار جُعِلت عليه برداً وسلاماً ، وموسى الّذي زعمتَ أنّ الجبل رفع فوق رؤوس أصحابه حتّى انقادوا لما دعاهم إليه صاغرين داخرين ، وعيسى الّذي كان ينبّئهم بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم . وصار هؤلاء المشركون فرقاً أربعة : هذه تقول : أظهر لنا آية نوح ، وهذه تقول : أظهر لنا آية موسى ، وهذه تقول : أظهر لنا آية إبراهيم ، وهذه تقول : أظهر لنا آية عيسى .

فقال رسول الله ﷺ : إنّما أنا نذير [وبشير] مبين ، أتيتكم بآية مبيّنة هذا «القرآن» الّذي تعجزون أنتم والأُمم وسائر العرب عن معارضته وهو بلغتكم ، فهو حجّة بيّنة عليكم ، وما بعد ذلك فليس لي الإقتراح على ربّي ، وما على الرّسول إلّا البلاغ المبين إلى المقرّين بحجّة صدقه وآية حقّه ، وليس عليه أن يقترح بعد قيام الحجّة على ربّه ما يقترحه عليه المقترحون الّذين لا يعلمون هل الصّلاح أو الفساد فيما يقترحون .

فجاء جبرئيل فقال : يا محمّد إنّ العليّ الأعلى يقرأ عليك السّلام ويقول لك : إنّي سأظهر لهم هذه الآيات وإنّهم يكفرون بها إلّا من أعصمه منهم ، ولكنّي أُريهم ذلك زيادة في الإعذار ، والإيضاح لحجّتك ، فقل لهؤلاء المقترحين لآية نوح عليه السلام : إمضوا إلى جبل أبي قبيس ، فإذا بلغتم سفحه فسترون آية نوح ، فإذا غشيكم الهلاك فاعتصموا بهذا وبطفلين يكونان بين يديه . وقل للفريق الثّاني المقترحين لآية إبراهيم عليه السلام : إمضوا إلى حيث تريدون من ظاهر مكّة ، فسترون آية إبراهيم في النّار ، فإذا غشيكم النّار[1] فسترون في الهواء امرأة قد أرسلت طرف خمارها ، فتعلّقوا به لتُنجيكم من الهلكة وتردّ عنكم النّار . وقل للفريق الثّالث [المقترحين لآية موسى : إمضوا إلى ظلّ الكعبة] فسترون آية موسى ، وسينجّيكم هناك عمّي حمزة . وقل للفريق الرابع ورئيسهم أبوجهل : وأنت يا أباجهل فاثبت عندي ليتّصل بك أخبار هؤلاء الفرق الثلاث ، فإنّ الآية الّتي اقترحتها تكون بحضرتي .

فقال أبوجهل للفرق الثلاث : قوموا فتفرّقوا ليتبيّن لكم باطل قول محمّد ، فذهب الفريق الأوّل إلى جبل أبي قيس ، والثاني إلى صحراء ملساء ، والثالث إلى ظلّ الكعبة ، ورأوا ما وعدهم الله ، ورجعوا إلى النّبيّ ﷺ مؤمنين ، وكلّما رجع فريق منهم إليه وأخبروه بما شاهدوا ، ألزمه رسول الله ﷺ الإيمان بالله ، فاستمهل أبوجهل إلى أن يجيء الفريق الآخر [حسب ما أوردناه في

---

(١) [البلاء].

الكتاب الموسوم بـ «مفاخر الفاطميّة» تركنا ذكره هاهنا طلباً للإيجاز والإختصار] .

قال أميرالمؤمنين عليه السلام : فلمّا جاءت الفرقة الثالثة وأخبروا بما شاهدوا عياناً وهم مؤمنون بالله وبرسوله قال رسول الله ﷺ لأبي جهل : هذه الفرقة الثالثة قد جاءتك وأخبرتك بما شاهدت .

فقال أبوجهل : لا أدري أصدق هؤلاء أم كذبوا أم حقّق لهم ذلك أم خيّل إليهم ؟ فإن رأيت أنا ما اقترحته عليك من نحو آيات عيسى بن مريم فقد لزمني الإيمان بك وإلّا فليس يلزمني تصديق هؤلاء على كثرتهم .

فقال رسول الله ﷺ : يا أباجهل فإن كان لا يلزمك تصديق هؤلاء على كثرتهم وشدّة تحصيلهم فكيف تصدّق بمآثر آبائك وأجدادك ومساوئ أسلاف أعدائك ؟ وكيف تصدّق على الصّين والعراق والشّام إذا حدّثت عنها ؟ وهل المخبرون عن ذلك إلّا دون هؤلاء المخبرين لك عن هذه الآيات مع سائر من شاهدها معهم من الجمع الكثيف الّذين لا يجتمعون على باطل يتخرّصونه إلّا إذا كان بأزائهم من يكذّبهم ويخبر بضدّ أخبارهم ؟ ألا وكلّ فرقة محجوجون بما شاهدوا ، وأنت يا أباجهل محجوج بما سمعت ممّن شاهده .

ثمّ أخبره النّبيّ ﷺ بما اقترح عليه من آيات عيسى من أكله لمّا أكل ، وادّخاره في بيته لمّا ادّخر من دجاجة مشويّة وإحياء الله تعالى إيّاها وإنطاقها بما فعل بها أبوجهل [وغير ذلك على ما جاء به في هذا الخبر] ، فلم يصدّقه أبوجهل في ذلك كلّه بل كان يكذّبه وينكر جميع ما كان النّبيّ ﷺ يخبره به من ذلك ، إلى أن قال النّبيّ لأبي جهل : أما كفاك ما شاهدت آمِن لتكون آمناً من عذاب الله ؟

قال أبوجهل : إنّي لأظنّ أنّ هذا تخييل وإيهام .

فقال رسول الله ﷺ : فهل تفرّق بين مشاهدتك لها وسماعك لكلامها - يعني الدجاجة المشويّة الّتي أنطقها الله له - وبين مشاهدتك لنفسك ولسائر قريش والعرب وسماعك كلامهم ؟

قال أبوجهل : لا .

فقال رسول الله ﷺ : فما يدريك إذاً أنّ جميع ما تشاهد وتحسّ بحواسّك تخييل ؟

قال أبوجهل : ما هو تخييل .

قال رسول الله ﷺ : ولا هذا تخييل ، وإلّا فكيف تصحّح أنّك ترى في العالم شيئاً أوثق منه» تمام الخبر .

رسالة لأبي جهل إلى رسول الله ﷺ لمّا هاجر إلى المدينة والجواب عنها بالرواية عن أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام

وهي أن قال : «يا محمّد إنّ الخيوط الّتي في رأسك هي الّتي ضيّقت عليك مكّة ورمت بك إلى يثرب ، وإنّها لا تزال بك تنفرك وتحثّك على ما يفسدك ويتلفك إلى أن تفسدها على أهلها وتصليهم حرّ نار جهنّم وتعديك طورك ، وما أرى ذلك إلّا وسيؤلّ إلى أن تثور عليك قريش ثورة رجل واحد لقصد إثارك ودفع ضرّك وبلائك ، فتلقاهم بسفهائك المغترّين بك ويساعدك على ذلك من هو كافر بك ، مبغض لك ، فيلجئه إلى مساعدتك ومظافرتك خوفه لأن لا يهلك بهلاكك ويعطب عياله بعطبك ، ويفتقر هو ومن يليه بفقرك وبفقر شيعتك ، إذ يعتقدون أنّ أعداءك إذا قهروك ودخلوا ديارهم عنوة لم يفرّقوا بين من والاك وعاداك ، واصطلموهم[1] باصطلامهم لك ، وأتوا على عيالاتهم وأموالهم بالسبي والنّهب كما يأتون على أموالك وعيالك ، وقد أعذر من أنذر ، وبالغ من أوضح .

وأدّيت هذه الرّسالة إلى محمّد وهو بظاهر المدينة بحضرة كافّة أصحابه وعامّة الكفّار من يهود بني إسرائيل ، وهكذا أمر الرّسول ليُجْبِن المؤمنين ، ويُغري بالوثوب عليه سائر من هناك من الكافرين .

فقال رسول الله ﷺ للرّسول : قد أطريت مقالتك ، واستكملت رسالتك ؟

قال : بلى .

قال : فاسمع الجواب ، إنّ أباجهل بالمكاره والعطب يتهدّدني ، وربّ العالمين بالنّصر والظّفر يعدني ، وخبر الله أصدق ، والقبول من الله أحق ، لن يضرّ محمّداً من خذله ، أو يغضب عليه بعد أن ينصره الله ويتفضّل بجوده وكرمه عليه ، قل له : يا أباجهل إنّك واصلتني بما ألقاه في خلدك الشيطان ، وأنا أُجيبك بما ألقاه في خاطري الرّحمن ، إنّ الحرب بيننا وبينك كائنة إلى تسع وعشرين يوماً ، وإنّ الله سيقتلك فيها بأضعف أصحابي ، وستلقى أنت وشيبة وعتبة والوليد وفلان وفلان ـ وذكر عدداً من قريش ـ في قليب بدر مقتولين ، أقتل منكم سبعين ، وآسر منكم سبعين ، وأُحمّلهم على الفداء الثقيل .

---

(١) اصطلموهم : استأصلوهم .

ثمّ نادى جماعة من بحضرته من المؤمنين واليهود وسائر الأخلاط : ألا تحبّون أن أُريكم [مصارع هؤلاء المذكورين و] مصرع كلّ واحد منهم ؟

[قالوا : بلى .

قال :] هلمّوا إلى بدر فإنّ هناك الملتقى والمحشر ، وهناك البلاء الأكبر ، لأضع قدمي على مواضع مصارعهم ، ثمّ ستجدونها لا تزيد ولا تنقص ولا تتغيّر ولا تتقدّم ولا تتأخّر لحظة ولا قليلاً ولا كثيراً .

فلم يخف ذلك على أحد منهم ولم يجبه إلّا عليّ بن أبي طالب ﷺ وحده ، قال : نعم بسم الله .

فقال الباقون : نحن نحتاج إلى مركوب وآلات ونفقات ولا يمكننا الخروج إلى هناك وهو مسيرة أيّام .

فقال رسول الله ﷺ لسائر اليهود : فأنتم ماذا تقولون ؟

فقالوا : نحن نريد أن نستقرّ في بيوتنا ولا حاجة لنا في مشاهدة ما أنت في ادّعائه محيل[1] .

فقال رسول الله ﷺ : لا نصب لكم في المسير إلى هناك ، اُخطوا خطوة واحدة فإنّ الله يطوي الأرض لكم ويوصلكم في الخطوة الثانية إلى هناك .

قال المسلمون : صدق رسول الله ﷺ فلنشرّف بهذه الآية .

وقال الكافرون والمنافقون : سوف نمتحن هذا الكذّاب لينقطع عذر محمّد وتصير دعواه حجّة عليه وفاضحة له في كذبه» .

قال : «فخطا القوم خطوة ثمّ الثانية فإذا هم عند بئر بدر ، فتعجّبوا ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : إجعلوا البئر العلامة واذرعوا من عندها كذا ذراع ، فذرعوا فلمّا انتهوا إلى آخرها قال : هذا مصرع أبي جهل ، يجرحه فلان الأنصاري ، ويجهّز عليه عبدالله بن مسعود أضعف أصحابي .

ثمّ قال : إذرعوا من البئر من جانب آخر ثمّ من جانب آخر ثمّ من جانب آخر كذا وكذا ذراعاً وذراعاً ، وذكر أعداد الأذرع مختلفة ، فلمّا انتهى كلّ عدد إلى آخره قال رسول الله ﷺ : هذا مصرع عتبة ، وهذا مصرع شيبة ، وذاك مصرع الوليد ، وسيقتل فلان وفلان إلى أن سمّى سبعين منهم بأسمائهم [وأسماء آبائهم] ، وسيؤسر فلان وفلان إلى أن ذكر سبعين منهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وصفاتهم ونسب المنسوبين إلى اُمّهاتهم وآبائهم ونسب الموالي منهم إلى مواليهم .

---

(١) المحال من الكلام : ما عدل عن وجهه .

ثمّ قال ﷺ : أوقفتم على ما أخبرتكم به ؟

قالوا : بلى .

قال : إنّ ذلك [من الله] لحقّ كائن بعد ثمانية وعشرين يوماً في اليوم التاسع والعشرين وعداً من الله مفعولاً ، وقضاءاً حتماً لازماً» تمام الخبر .

ثمّ قال رسول الله ﷺ : «يا معشر المسلمين واليهود أُكتبوا بما سمعتم» .

فقالوا : يا رسول الله قد سمعنا ووعينا ولا ننسى .

فقال رسول الله ﷺ : «الكتابة أذكر لكم» .

فقالوا : يا رسول الله فأين الدواة والكتف ؟

فقال رسول الله ﷺ : «ذلك للملائكة» .

ثمّ قال : «يا ملائكة ربّي أُكتبوا ما سمعتم من هذه القصّه في أكتاف واجعلوا في كُمّ كلّ واحد منهم كتفاً من ذلك» .

ثمّ قال : «يا معشر المسلمين تأمّلوا أكمامكم وما فيها وأخرجوها واقرؤها» .

فتأمّلوا وإذا في كُمّ كلّ واحد منهم صحيفة ، فقرؤها وإذا فيها ذكر ما قاله رسول الله ﷺ في ذلك سواء ؛ لا يزيد ولا ينقص ولا يتقدّم ولا يتأخّر .

فقال : أغيضوها في أكمامكم ، تكن حجّة عليكم وشرفاً للمؤمنين منكم ، وحجّة على أعدائكم .

فكانت معهم ، فلمّا كان يوم بدر جرت الأُمور كلّها ببدر كما قال رسول الله ﷺ ؛ لا يزيد ولا ينقص ، قابلوا في كتبهم فوجدوها كما كتبها الملائكة ؛ لا تزيد ولا تنقص ولا تتقدّم ولا تتأخّر ؛ فقبل المسلمون ظاهرهم ووكّلوا باطنهم إلى خالقهم .

إحتجاجه صلى الله عليه وآله على اليهود في جواز نسخ الشرائع وفي غير ذلك

قال أبو محمّد الحسن العسكري عليه السلام : «لمّا كان رسول الله صلى الله عليه وآله بمكّة ، أمره الله تعالى أن يتوجّه نحو بيت المقدس في صلاته ، ويجعل الكعبة بينه وبينها إذا أمكن ، وإذا لم يمكن استقبل بيت المقدس كيف كان ؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل ذلك طول مقامه بها ثلاث عشرة سنة ، فلمّا كان بالمدينة وكان متعبّداً باستقبال بيت المقدس ، إستقبله وانحرف عن الكعبة سبعة عشر شهراً أو ستّة عشر شهراً ، وجعل قوم من مردة اليهود يقولون : والله ما درى محمّد كيف يصلّي حتّى صار يتوجّه إلى قبلتنا ، ويأخذ في صلاته بهدينا ونسكنا ؛ فاشتدّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله لما اتّصل به عنهم ، وكره قبلتهم ، وأحبّ الكعبة ، فجاءه جبرئيل عليه السلام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : يا جبرئيل لوددت لو صرفني الله عن بيت المقدس إلى الكعبة ، فقد تأذّيت بما يتّصل بي من قبل اليهود من قبلتهم .

فقال جبرئيل عليه السلام : فاسأل ربّك أن يحوّلك إليها فإنّه لا يردّك عن طلبتك ، ولا يخيبك من بغيتك .

فلمّا استتمّ دعاءه صعد جبرئيل ثمّ عاد من ساعته فقال : اقرأ يا محمّد ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾[1] الآيات .

فقال اليهود عند ذلك : ﴿ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ ؟

فأجابهم الله أحسن جواب فقال : ﴿ قُلْ للهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾ وهو يملكها ، وتكليفه التحول إلى جانب كتحويله لكم إلى جانب آخر ﴿ يَهْدِي اللهُ مَنْ يَشَاءُ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[2] وهو أعلم بمصلحتهم ، وتؤدّيهم طاعتهم إلى جنّات النّعيم» .

قال أبو محمّد عليه السلام : «وجاء قوم من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا : يا محمّد هذه القبلة بيت المقدس قد صلّيت إليها أربعة عشر سنة ثمّ تركتها الآن ، أفحقّاً كان ما كنت عليه فقد تركته إلى باطل ، فإنّما يخالف الحقّ الباطل ، أو باطلاً كان ذلك فقد كنت عليه طول هذه المدّة ، فما يؤمننا أن تكون الآن على باطل ؟

---

(١) البقرة ١٤٤.

(٢) البقرة ١٤٢.

فقال رسول الله ﷺ : بل ذلك كان حقّاً وهذا حقّ ، يقول الله : ﴿ قُلْ للهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدي اللهُ مَنْ يَشاءُ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ إذا عرف صلاحكم أيّها العباد في استقبالكم المشرق أمركم به ، واذا عرف صلاحكم في استقبال المغرب أمركم به ، وإن عرف صلاحكم في غيرهما أمركم به ، فلا تنكروا تدبير الله في عباده وقصده إلى مصالحكم.

ثمّ قال رسول الله ﷺ : لقد تركتم العمل يوم السبت ثمّ عملتم بعده سائر الأيّام ، ثمّ تركتموه في السبت ثمّ عملتم بعده ، أفتركتم الحق إلى الباطل أو الباطل إلى الحق أو الباطل إلى الباطل أو الحق إلى الحق ؟ قولوا كيف شئتم فهو قول محمّد وجوابه لكم .

قالوا : بل ترك العمل في السبت حق ، والعمل بعده حق .

فقال رسول الله ﷺ : فكذلك قبلة بيت المقدس في وقته حقّ ، ثمّ قبلة الكعبة في وقته حقّ .

فقالوا له : يا محمّد أفبدا لربّك فيما كان أمرك به بزعمك من الصّلاة إلى بيت المقدس حتّى نقلك إلى الكعبة ؟

فقال رسول الله ﷺ : ما بدا له عن ذلك ، فإنّه العالم بالعواقب ، والقادر على المصالح ، لا يستدرك على نفسه غلطاً ، ولا يستحدث رأياً بخلاف المتقدّم جلّ عن ذلك ، ولا يقع عليه أيضاً مانع يمنعه من مراده ، وليس يبدوا إلّا لمن كان هذا وصفه ، وهو ﷻ يتعالى عن هذه الصفات علوّاً كبيراً .

ثمّ قال لهم رسول الله ﷺ : أيّها اليهود أخبروني عن الله أليس يمرض ثمّ يصحّ ، ويصحّ ثمّ يمرض ، أبدا له في ذلك ؟ أليس يحيي ويميت ، أبدا له في كلّ واحد من ذلك ؟

قالوا : لا .

قال : فكذلك الله تعبّد نبيّه محمّداً بالصّلاة إلى الكعبة بعد أن كان تعبّده بالصّلاة إلى بيت المقدس ، وما بدا له في الأوّل .

ثمّ قال : أليس الله يأتي بالشّتاء في أثر الصّيف ، والصّيف في أثر الشّتاء ، أبدا له في كلّ واحد من ذلك ؟

قالوا : لا .

قال : فكذلك لم يبد له في القبلة .

قال : ثمّ قال : أليس قد ألزمكم في الشتاء أن تحترزوا من البرد بالثياب الغليظة ، وألزمكم في

الصّيف أن تحترزوا من الحرّ ، أفبدا له في الصّيف حين أمركم بخلاف ماكان أمركم به في الشّتاء ؟

قالوا : لا .

فقال رسول الله ﷺ : فكذلكم الله تعبّدكم في وقت لصلاح يعلمه بشيء ، ثمّ تعبّدكم في وقت آخر لصلاح يعلمه بشيء آخر ، فإذا أطعتم الله في الحالتين استحققتم ثوابه .

فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] يعني إذا توجّهتم بأمره فثمّ الوجه الّذي تقصدون منه الله وتأملون ثوابه .

ثمّ قال رسول الله : يا عباد الله أنتم كالمرضى والله ربّ العالمين كالطّبيب ؛ فصلاح المرضى فيما يعمله الطّبيب ويدبّره به لا فيما يشتهيه المريض ويقترحه ، ألا فسلّموا لله أمره تكونوا من الفائزين» .

فقيل : يابن رسول الله فلِمَ أُمر بالقبلة الأُولى ؟

فقال : «لما قال الله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا ﴾ وهي بيت المقدس ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾[2] إلّا لنعلم ذلك منه وجوداً بعد أن علمناه سيوجد ، وذلك أنّ هوى أهل مكّة كان في الكعبة فأراد ألله أن يبيّن متبعي محمّد ممّن خالفه باتّباع القبلة الّتي كان كرهها ومحمّد يأمر بها ، ولمّا كان هوى أهل المدينة في بيت المقدّس أمرهم بمخالفتها والتوجّه إلى الكعبة ليبيّن من يوافق محمّداً فيما يكرهه ، فهومصدّقه وموافقه .

ثمّ قال : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى الله ﴾ أي إن كان التوجّه إلى بيت المقدس في ذلك الوقت لكبيرة إلّا على من يهدي الله ، فعرف أنّ لله أن يتعبّد بخلاف ما يريده المرء ليبتلي طاعته في مخالفة هواه» .

وقال أبو محمّد عليه السلام : «قال جابر بن عبدالله الأنصاري : سأل رسول الله ﷺ عبدالله بن صوريا ـ غلام يهودي أعور تزعم اليهود أنّه أعلم يهوديّ بكتاب الله وعلوم أنبيائه ـ عن مسائل كثيرة يعنته فيها[3] فأجابه عنها رسول الله ﷺ بما لم يجد إلى إنكار شيء منه سبيلا .

فقال له : يا محمّد مَن يأتيك بهذه الأخبار عن الله ؟

---

(١) البقرة ١١٥.

(٢) البقرة ١٤٣.

(٣) يعنته فيها : يطلب زلّته ويشدّد عليه ويلزمه ما يصعب عليه أداؤه.

قال : جبرئيل .

قال : لو كان غيره يأتيك بها لآمنت بك ولكن جبرئيل عدوّنا من بين الملائكة ، فلو كان ميكائيل أو غيره سوى جبرئيل يأتيك لآمنت بك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ولِمَ اتّخذتم جبرئيل عدوّاً ؟

قال : لأنّه ينزل بالبلاء والشدّة على بني إسرائيل ، ودفع دانيال عن قتل بخت نصر[١] حتّى قوي أمره وأهلك بني إسرائيل ، وكذلك كلّ بأس وشدّة لا ينزلها إلّا جبرئيل ، وميكائيل يأتينا بالرحمة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ويحك أجهلت أمر الله ؟ وما ذنب جبرئيل إلّا أن أطاع الله فيما يريده بكم ؟ أرأيتم ملك الموت هل هو عدوّكم وقد وكّله الله بقبض أرواح الخلق ؟ أرأيتم الآباء والأُمّهات إذا أوجروا الأولاد[٢] الدواء الكريهة لمصالحهم أيجب أن يتّخذهم أولادهم أعداء من أجل ذلك ؟ لا ولكنّكم بالله جاهلون وعن حكمه غافلون ، أشهد أنّ جبرئيل وميكائيل بأمر الله عاملان وله مطيعان ، وإنّه لا يعادي أحدهما إلّا من عادى الآخر ، وإنّ من زعم أنّه يحبّ أحدهما ويبغض الآخر فقد كفر وكذب ، وكذلك محمّد رسول الله وعليّ أخوان كما أنّ جبرئيل وميكائيل أخوان فمن أحبّهما فهو من أولياء الله ومن أبغضهما فهو من أعداء الله ، ومن أبغض أحدهما وزعم أنّه يحبّ الآخر فقد كذب وهما منه بريئان ، والله تعالى وملائكته وخيار خلقه منه برآء» .

وقال أبو محمّد الحسن بن علي العسكري عليه السلام :«كان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ ـ مَنْ كَانَ عَدُوّاً للهِ ﴾ الآيتين[٣] ماكان من اليهود أعداء الله من قول سيّئ في جبرئيل وميكائيل ، ومن كان من أعداء الله النصّاب من قول أسوأ منه في الله وفي جبرئيل وميكائيل وسائر ملائكة الله ، أمّا ماكان من النصّاب فهو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا كان لا يزال يقول في عليّ عليه السلام الفضائل الّتي خصّه الله عزّ وجلّ بها ، والشّرف الّذي نحله الله[٤] تعالى ، وكان في كلّ ذلك يقول أخبرني به جبرئيل عليه السلام عن الله ، ويقول في بعض ذلك : جبرئيل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، ويفتخر جبرئيل على ميكائيل في أنّه عن يمين عليّ عليه السلام الّذي هو أفضل من اليسار ، كما يفتخر نديم ملك

---

(١) بخت اصله بوخت وهو بمعنى ابن ، نصر اسم صنم كان قد وجد عنده ولم يعرف له أب فنسب إليه ، وخرب بيت المقدس وقتل من اليهود مقتلة عظيمة عندما أصبح ملكاً.

(٢) أوجره : جعل الوجور في فيه . والوجور : الدواء يجعل في وسط الفم .

(٣) البقرة ٩٧ـ٩٨.

(٤) نحله الله : وهب له الله . وفي بعض النسخ «أهّله الله» ومعناه : رآه أهلاً لذلك .

عظيم في الدّنيا يجلسه الملك عن يمينه على النّديم الآخر الّذي يجلسه على يساره ، ويفتخران على إسرافيل الّذي خلّفه بالخدمة ، وملك الموت الّذي أقامه بالخدمة ، وإنّ اليمين واليسار أشرف من ذلك كافتخار حاشية الملك على زيادة قرب محلّهم من ملكهم .

وكان رسول الله ﷺ يقول في بعض أحاديثه : إنّ الملائكة أشرفها عند الله أشدّها لعليّ بن أبي طالب عليه السلام حبّاً ، وإنّه قسّم الملائكة فيما بينها ، والّذي شرّف عليّاً على جميع الورى بعد محمّد المصطفى .

ويقول مرّة : إنّ ملائكة السّماوات والحجب ليشتاقون إلى رؤية علي بن أبي طالب عليه السلام كما تشتاق الوالدة الشفيقة إلى ولدها البار الشفيق آخر من بقي عليها بعد عشرة دفنتهم .

فكان هؤلاء النصّاب يقولون : إلى متى يقول محمّد : جبرئيل وميكائيل والملائكة ،كلّ ذلك تفخيم لعليّ وتعظيم لشأنه ، ويقول الله تعالى لعليّ خاصّة من دون سائر الخلق ، برئنا من ربّ ومن ملائكة ومن جبرئيل ومن ميكائيل هم لعليّ بعد محمّد مفضّلون ، وبرئنا من رسل الله الّذين هم لعليّ بعد محمّد مفضّلون .

وأمّا ما قاله اليهود فهو أنّ اليهود أعداء الله ، لمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة أتوه بعبدالله بن صوريا ، فقال : يا محمّد كيف نومك ؟ فإنّا قد أُخبرنا عن نوم النّبي ﷺ الّذي يأتي في آخر الزّمان .

فقال : تنام عيني ، وقلبي يقظان .

قال : صدقت يا محمّد .

ثمّ قال : فأخبرني يا محمّد الولد يكون من الرّجل أو من المرأة ؟

فقال النّبيّ ﷺ : أمّا العظام والعصب والعروق فمن الرّجل ، وأمّا اللّحم والدّم والشعر فمن المرأة .

قال : صدقت يا محمّد .

ثمّ قال : يا محمّد فما بال الولد يشبه أعمامه ليس فيه من شبه أخواله شيء ، ويشبه أخواله ليس فيه من شبه أعمامه شيء ؟

فقال رسول الله ﷺ : أيّهما علا ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له .

قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني عمّن لا يولد له ومن يولد له ؟

فقال ﷺ : إذا مغرت النطفة لم يولد له ـ أي إذا حمرت وكدرت ـ فإذا كانت صافية ولد له .

فقال : أخبرني عن ربّك ما هو ؟

فنزلت : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد ﴾ إلى آخرها .

فقال ابن صوريا : صدقت ، خصلة بقيت لي إن قلتها آمنت بك واتّبعتك ، أي ملك يأتيك بما تقوله عن الله ؟

قال : جبرئيل .

قال : ابن صوريا : ذاك عدوّنا من بين الملائكة ، ينزل بالقتل والشدّة والحرب ، ورسولنا ميكائيل يأتي بالسّرور والرّخاء ، فلو كان ميكائيل هو الّذي يأتيك آمناً بك ، لأنّ ميكائيل كان مسدّد ملكنا وجبرئيل كان مهلك ملكنا ؛ فهو عدوّنا لذلك .

فقال له سلمان الفارسي ﷺ : وما بدء عداوته لكم ؟

قال : نعم يا سلمان عاداناً مراراً كثيرة ، وكان من أشدّ ذلك علينا أنّ الله أنزل على أنبيائه أنّ بيت المقدّس يخرب على يد رجل يقال له «بخت نصر» وفي زمانه ، وأخبرنا بالحين الّذي يخرب فيه ، والله يحدث الأمر بعد الأمر فيمحو ما يشاء ويثبت ، فلمّا بلغنا ذلك الخبر الّذي يكون فيه هلاك بيت المقدس بعث أوائلنا رجلاً من أقوياء بني إسرائيل وأفاضلهم ، نبيّاً كان يعدّ من أنبيائهم يقال له «دانيال» في طلب «بخت نصر» ليقتله ، فحمل معه وقر[1] مال لينفقه في ذلك ، فلمّا انطلق في طلبه لقيه ببابل غلاماً ضعيفاً مسكيناً ليس له قوّة ولا منعة ، فأخذه صاحبنا ليقتله ، فدفع عنه جبرئيل وقال لصاحبنا : إن كان ربّكم هو الّذي أمر بهلاككم فإنّ الله لا يسلّطك عليه ، وإن لم يكن هذا فعلى أيّ شيء تقتله ؟ فصدّقه صاحبنا وتركه ورجع إلينا فأخبرنا بذلك ، وقوي «بخت نصر» وملك وغزانا وخرّب بيت المقدس ؛ فلهذا نتّخذه عدوّاً وميكائيل عدوٌّ لجبرئيل .

فقال سلمان : يابن صوريا فبهذا العقل المسلوك به غير سبيله ظللتم ، أرأيتم أوائلكم كيف بعثوا من يقتل «بخت نصر» وقد أخبر الله تعالى في كتبه على ألسنة رسله أنّه يملك ويخرّب بيت المقدس ، أرادوا تكذيب أنبياء الله في إخبارهم أو اتّهموهم في أخبارهم أو صدّقوهم في الخبر عن الله ومع ذلك أرادوا مغالبة الله ، هل كان هؤلاء ومن وجّهوه إلّا كفّاراً بالله ؟ وأيّ عداوة يجوز أن يعتقد لجبرئيل وهو يصدّه عن مغالبة الله ﷻ وينهى عن تكذيب خبر الله تعالى ؟

---

(١) الوقر ـ بكسر الواو ـ : الحمل الثقيل .

فقال ابن صوريا : قد كان الله تعالى أخبر بذلك على ألسن أنبيائه ولكنّه يمحو ما يشاء ويثبت .

قال سلمان : فإذاً لا تثقون بشيء ممّا في «التّوراة» من الأخبار عمّا مضى وما يستأنف فإنّ الله يمحو ما يشاء ويثبت ، وإذاً لعلّ الله قد كان عزل موسى وهارون عن النبوّة وأبطلا في دعواهما لأنّ الله يمحو ما يشاء ويثبت ، ولعلّ كلّما أخبراكم به عن الله أنّه يكون لا يكون ، وما أخبراكم به أنّه لا يكون لعلّه يكون ، وكذلك ما أخبراكم أنّه لم يكن لعلّه كان ، ولعلّ ما وعده من الثّواب يمحوه ، ولعلّ ما توعّد به من العقاب يمحوه ، فإنّه يمحو ما يشاء ويثبت ، إنّكم جهلتم معنى يمحو الله ما يشاء ويثبت فلذلك أنتم بالله كافرون ، ولإخباره عن الغيوب مكذّبون ، وعن دين الله منسلخون .

ثمّ قال سلمان : فإنّي أشهد أنّه من كان عدوّاً لجبرئيل فإنّه عدوّ لميكائيل ، وإنّهما جميعاً عدوان لمن عاداهما ، سالمان لمن سالمهما .

فأنزل الله تعالى عند ذلك موافقاً لقول سلمان : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدوّاً لِجِبْرِيلَ ﴾ في مظاهرته لأولياء الله على أعداء الله ، ونزوله بفضائل عليّ ﷺ وليّ الله من عند الله ﴿ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ ﴾ فإنّ جبرئيل نزّل هذا «القرآن» ﴿ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقَاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ من سائر كتب الله ﴿ وَهُدىً ﴾ من الضلالة ﴿ وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] بنبوّة محمّد وولاية عليّ ﷺ ومن بعده من الأئمّة [الإثنى عشر] بأنّهم أولياء الله حقّاً إذا ماتوا على موالاتهم لمحمّد وعليّ وآلهما الطيّبين .

ثمّ قال رسول الله ﷺ : يا سلمان إنّ الله صدّق قيلك ، ووافق رأيك ، وإنّ جبرئيل عن الله تعالى يقول : يا محمّد ، سلمان والمقداد أخوان متصافيان في ودادك وداد عليّ أخيك ووصيّك وصفيّك ، وهما في أصحابك كجبرئيل وميكائيل في الملائكة ، عدوّان لمن أبغض أحدهما ، وليّان لمن والى محمّداً وعليّاً ، عدوّان لمن عادى محمّداً وعليّاً وأولياءهما ، ولو أحبّ أهل الأرض سلمان والمقداد كما تحبّهما ملائكة السّماوات والحجب والكرسيّ والعرش لمحض ودادهما لمحمّد وعليّ وموالاتهما لأوليائهما ومعاداتهما لأعدائهما ، لما عذّب الله أحداً منهم بعذاب ألبتّة» .

وقال أبو محمّد الحسن العسكري ﷺ : «لمّا نزلت هذه الآية ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[2] في حقّ اليهود والنّواصب ، فغلظ على اليهود ما وبّخهم به

---

(١) البقرة ٩٦.

(٢) البقرة ٧٤.

رسول الله ، فقال جماعة من رؤسائهم وذوي الألسن والبيان منهم : يا محمّد إنّك تهجونا وتدّعي على قلوبنا ما الله يعلم منها خلافه ، إنّ فيها خيراً كثيراً ؛ نصوم ونتصدّق ونواسي الفقراء .

فقال رسول الله ﷺ : إنّما الخير ما أُريد به وجه الله ، وعمل على ما أمر الله تعالى ، وأمّا ما أُريد به الرياء والسمعة ومعاندة رسول الله ﷺ وإظهار الغنى له والتمالك والتشرّف عليه فليس بخير بل هو الشرّ الخالص ووبال على صاحبه ، ويعذّبه الله به أشدّ العذاب .

فقالوا له : يا محمّد أنت تقول هذا ونحن نقول ، بل ما نتفقّه إلّا لإبطال أمرك ودفع رياستك ، ولتفريق أصحابك عنك وهو الجهاد الأعظم ، نأمل به من الله الثواب الأجلّ العظيم ، فأقلّ أحوالنا أنّك تساوينا في الدّعاوي فأيّ فضل لك علينا ؟

فقال رسول الله ﷺ : يا إخوة اليهود ، إنّ الدّعاوي يتساوي فيها المحقّون والمبطلون ، ولكن حجج الله ودلائله تفرّق بينهم فتكشف عن تمويه المبطلين ، وتبيّن عن حقائق المحقّين ، ورسول الله محمّد لا يغتمّ بجهلكم ، ولا يكلّفكم التسليم له بغير حجّة ، ولكن يقيم عليكم حجّة الله الّتي لا يمكنكم دفاعها ، ولا تطيقون الإمتناع عن موجبها ، ولو ذهب محمّد يُريكم آية من عنده لشككتم وقلتم أنّه متكلّف مصنوع ، محتال فيه معمول أو متواطئ عليه ، وإذا اقترحتم أنتم فأراكم ما تقترحون لم يكن لكم أن تقولوا معمول أو متواطأ عليه أو متأتي بحيلة أو مقدّمات ، فما الّذي تقترحون ؟ فهذا ربّ العالمين قد وعدني أن يظهر لكم ما تقترحون ليقطع معاذير الكافرين منكم ، ويزيد في بصائر المؤمنين منكم .

قالوا : قد أنصفتنا يا محمّد ؛ فإن وفيت بما وعدت من نفسك من الإنصاف فأنت أوّل راجع عن دعواك للنبوّة وداخل في غمار الأُمّة ومسلّم لحكم «التوراة» لعجزك عمّا نقترحه عليك ، وظهور باطل دعواك فيما ترومه من حجّتك .

فقال رسول الله ﷺ : الصّدق ينبئ عنكم لا الوعيد ، إقترحوا ما تقترحون ليقطع معاذيركم فيما تسألون .

فقالوا له : يا محمّد زعمت أنّه ما في قلوبنا شيء من مواساة الفقراء ومعاونة الضعفاء والنفقة في إبطال الباطل وإحقاق الحقّ ، وأنّ الأحجار ألين من قلوبنا وأطوع لله منّا ، وهذه الجبال بحضرتنا فهلمّ بنا إليها أو إلى بعضها فاستشهدها على تصديقك وتكذيبنا ، فإن نطقت بتصديقك فأنت المحقّ يلزمنا إتّباعك ، وإن نطقت بتكذيبك أو صمتت فلم تردّ جوابك فاعلم بأنّك المبطل في دعواك ، المعاند لهواك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : نعم هلمّوا بنا إلى أيّما جبل شئتم استشهدوه ليشهد لي عليكم .

فخرجوا إلى أوعر جبل رأوه ، فقالوا : يا محمّد هذا الجبل فاستشهده .

فقال رسول الله للجبل : إنّي أسألك بجاه محمّد وآله الطيّبين الّذين بذكر أسمائهم خفّف الله العرش على كواهل ثمانية من الملائكة بعد أن لم يقدروا على تحريكه وهم خلق كثير لا يعرف عددهم غير الله عزّ وجلّ ، وبحقّ محمّد وآله الطيّبين الّذين بذكر أسمائهم تاب الله على آدم وغفر خطيئته وأعاده إلى مرتبته ، وبحقّ محمّد وآله الطيّبين الّذين بذكر أسمائهم وسؤال الله بهم رفع إدريس في الجنّة مكاناً عليّاً لمّا شهدتّ لمحمّد بما أودعك الله بتصديقه على هؤلاء اليهود في ذكر قساوة قلوبهم وتكذيبهم في جحدهم لقول محمّد رسول الله .

فتحرّك الجبل وتزلزل وفاض عنه الماء ونادى : يا محمّد أشهد أنّك رسول ربّ العالمين ، وسيّد الخلق أجمعين ، وأشهد أنّ قلوب هؤلاء اليهود كما وصفت أقسى من الحجارة ؛ لا يخرج منها خير كما قد يخرج من الحجارة الماء سيلاً أو تفجّراً ، وأشهد أنّ هؤلاء كاذبون عليك فيما يقذفونك من الفرية على ربّ العالمين .

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : وأسألك أيّها الجبل أمرك الله بطاعتي فيما ألتمسه منك بجاه محمّد وآله الطيّبين الّذين بهم نجّى الله نوحاً من الكرب العظيم ، وبرّد الله النّار على إبراهيم وجعلها عليه برداً وسلاماً ، ومكّنه في جوف النّار على سرير وفراش وثير لم ير تلك الطاغية مثله لأحد من ملوك الأرض أجمعين ، وأنبت حواليه من الأشجار الخضرة النّظرة النزهة وعمّا حوله من أنواع النّور[1] ممّا لا يوجد إلّا في فصول أربعة من جميع السنة ؟

قال الجبل : بلى أشهد لك يا محمّد بذلك ، وأشهد أنّك لو اقترحت على ربّك أن يجعل رجال الدّنيا قروداً وخنازير لفعل ، أو يجعلهم ملائكة لفعل ، أو يقلّب النّيران جليداً أو الجليد نيراناً لفعل ، أو يهبط السّماء إلى الأرض أو يرفع الأرض إلى السّماء لفعل ، أو يصيّر أطراف المشارق والمغارب والوهاد كلّها صرّة كصرّة الكيس لفعل ، وإنّه قد جعل الأرض والسّماء طوعك ، والجبال والبحار تتصرّف بأمرك ، وسائر ما خلق من الرّياح والصّواعق وجوارح الإنسان وأعضاء الحيوان لك مطيعة ، وما أمرتها به من شيء ائتمرت .

فقالت اليهود : يا محمّد علينا تلتبس وتشبّه ، قد أجلست مردة من أصحابك خلف صخور من

---

(١) وفي نسخ أُخرىٰ : [وغمر ما حوله من أنواع المنثور بما لا يوجد إلّا في فصول أربعة من جميع السنة].

هذا الجبل فهم ينطقون بهذا الكلام ونحن لا ندري أنسمع من الرجال أم من الجبل ؟ لا يغترّ بمثل هذا إلّا ضعفاؤك الّذين تبجبج في عقولهم[1] فإن كنت صادقاً فتنحّ عن موضعك هذا إلى ذلك القرار ، وأمر هذا الجبل أن ينقلع نصفين من ارتفاع سمكة ثمّ يرتفع السفلى من قطعيّته فوق العليا وتنخفض العليا تحت السفلى ، فإذا تجعل أصل الجبل قُلّته ، وقُلّته أصله لنعلم أنّه من الله ، لا يتّفق مثله بمواطأة ولا بمعاونة مموّهين* متمرّدين .

فقال رسول الله ﷺ ـ وأشار إلى حجر فيه قدر خمسة أرطال ـ فقال : يا أيّها الحجر تدحرج ؛ فتدحرج ، ثمّ قال لمخاطبه : خذه وقرّبه من أُذنك فسيعيد عليك ما سمعت ، فإنّ هذا جزء من ذلك الجبل .

فأخذه الرّجل فأدناه إلى أُذنه فنطق الحجر بمثل ما نطق به الجبل أوّلاً من تصديق رسول الله ﷺ فيما ذكره عن قلوب اليهود وممّا غبر به[2] من أنّ نفقاتهم في دفع أمر محمّد ﷺ باطل ووبال عليهم .

فقال له رسول الله ﷺ : أسمعت هذا ؟ أخلف هذا الحجر أحد يكلّمك ويوهمك أنّ الحجر يكلّمك ؟

قال : فأتني بما اقترحت في الجبل .

فتباعد رسول الله ﷺ إلى فضاء واسع ، ثمّ نادى الجبل وقال : يا أيّها الجبل بحقّ محمّد وآله الطيّبين ، بجاههم ومسائلة عباد الله بهم أرسل الله على قوم عاد ريحاً صرصراً عاتية تنزع النّاس كأنّهم أعجاز نخل خاوية ، وأمر جبرئيل أن يصيح صيحة هائلة في قوم صالح حتّى صاروا كهشيم المحتضر لمّا انفصلت من مكانك بإذن الله وجئت إلى حضرته هذه ـ ووضع يده على الأرض بين يديه ـ .

قال : فتزلزل الجبل وصار كالفارع الهملاج[3] حتّى دنى من إصبعه أصله فلزق بها ووقف ونادى : ها أنا سامع لك مطيع يا رسول ربّ العالمين ، وإن رغمت أنوف هؤلاء المعاندين مرني بأمرك .

---

(١) تبجبج في عقولهم : تلعب فيها ، يقال «بجبج الصّبي» إذا لاعبه وسكنه عند المناغاة .

(*) قولُه مُتموّهُ أي مزخرف أو ممزوج من الحقّ والباطل .

(٢) غبر به : مضى به وذهب .

(٣) الفارع : الصاعد المترفع . والهملاج : السريع السير .

فقال رسول الله ﷺ : إنّ هؤلاء اقترحوا عليّ أن آمرك أن تنقلع من أصلك فتصير نصفين ، ثمّ ينحطّ أعلاك ويرتفع أسفلك فتصير ذروتك أصلك وأصلك ذروتك .

فقال الجبل : أفتأمرني بذلك يا رسول ربّ العالمين ؟

قال : بلى .

فانقطع الجبل نصفين وانحطّ أعلاه إلى الأرض وارتفع أسفله فوق أعلاه فصار فرعه أصله وأصله فرفعه ، ثمّ نادى الجبل : يا معاشر اليهود هذا الّذي ترون دون معجزات موسى الّذي تزعمون أنّكم به مؤمنون ؟!

فنظر اليهود بعضهم إلى بعض ، فقال بعضهم : ما عن هذا محيص ، وقال آخرون منهم : هذا رجل مبخوت مؤتى له ما يريد ـ والمبخوت يتأتّى له العجائب ـ فلا يغرّنكم ما تشاهدون .

فناداهم الجبل : يا أعداء الله قد أبطلتم بما تقولون نبوّة موسى ، هلّا قلتم لموسى أنّ قلب العصا ثعباناً ، وانفلاق البحر طرقاً ، ووقوف الجبل كالظلّة فوقكم إنّما تأتي لك لأنّك مؤتى لك ، يأتيك جدّك بالعجائب فلا يغرّنا ما نشاهده .

فألقمتهم الجبال بمقالتها والصخور ولزمتهم حجّة ربّ العالمين» .

وعن معمّر بن راشد قال : سمعت أباعبدالله ؑ يقول : «أتى يهوديّ إلى رسول الله ﷺ فقام بين يديه يحدّ النّظر إليه ، فقال : يا يهودي ما حاجتك ؟

فقال : أنت أفضل أم موسى بن عمران النّبي الّذي كلّمه الله ؑ وأنزل عليه «التوراة» والعصا وفلق له البحر وأظلّه بالغمام ؟

فقال له النّبيّ ﷺ : إنّه يكره للعبد أن يزكّي نفسه ولكنّي أقول : إنّ آدم لمّا أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال «اللّهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا غفرت لي» فغفرها الله له ، وإنّ نوحاً لمّا ركب السّفينة وخاف الغرق قال : «اللّهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا أنجيتني من الغرق» فأنجاه الله ؑ ، وإنّ إبراهيم لمّا اُلقي في النّار قال : «اللّهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا أمنتني» فجعلها برداً وسلاماً ، وإنّ موسى لمّا اُلقي عصاه وأوجس في نفسه خيفة قال : «اللّهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا آمنتني» قال الله تعالى : لا تخف إنّك أنت الأعلى .

يا يهودي ، إنّ موسى لو أدركني ثمّ لم يؤمن بي وبنبوّتي ما نفعه إيمانه شيئاً ، ولا نفعته النبوّة .

يا يهودي، ومن ذرّيّتي المهدي، إذا خرج نزل عيسى بن مريم ؑ لنصرته فقدّمه ويصلّي خلفه».

وعن ابن عبّاس قال: خرج من المدينة أربعون رجلاً من اليهود، قالوا: إنطلقوا بنا إلى هذا الكاهن الكذّاب حتّى نوبّخه في وجهه ونكذّبه، فإنّه يقول: أنا رسول ربّ العالمين، وكيف يكون رسولاً وآدم خير منه، ونوح خير منه؟ - وذكروا الأنبياء عليهم السلام -.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله لعبدالله بن سلام: «"التوراة" بيني وبينكم».

فرضيت اليهود بالتوراة، فقال اليهود: آدم خير منك لأنّ الله عزّ وجلّ خلقه بيده ونفخ فيه من روحه.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «آدم النبي أبي، وقد أُعطيت أنا أفضل ممّا أُعطي آدم».

قالت اليهود: وما ذاك؟

قال: «إنّ المنادي ينادي كلّ يوم خمس مرّات "أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله" ولم يقل آدم رسول الله، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة وليس بيد آدم».

فقالت اليهود: صدقت يا محمّد وهو مكتوب في «التوراة».

قال: «هذه واحدة».

قالت اليهود: موسى خير منك.

قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «ولم»؟

قالوا: لأنّ الله عزّ وجلّ كلّمه بأربعة آلاف كلمة ولم يكلّمك بشيء.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «لقد أُعطيت أنا أفضل من ذلك».

قالوا: وما ذاك؟

قال: «هو قوله عزّ وجلّ ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَىٰ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَىٰ ٱلَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾(١) وحملت على جناح جبرئيل حتّى انتهيت إلى السّماء السابعة، فجاوزت سدرة المنتهى عندها جنّة المأوى، حتّى تعلّقت بساق العرش، فنوديت من ساق العرش: "إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا السّلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبّر الرؤوف الرّحيم" ورأيته بقلبي وما رأيته بعيني، فهذا أفضل من ذلك».

قالت اليهود: صدقت يا محمّد وهو مكتوب في «التوراة».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «هذه إثنتان» ✖

---

(١) الإسراء ١.

قالوا : نوح أفضل منك .

قال النّبيّ ﷺ : «ولم ذاك» ؟

قالوا : لأنّه ركب السّفينة فجرت على الجودي .

قال النّبيّ ﷺ : «لقد أُعطيت أنا أفضل من ذلك» .

قالوا : وما ذلك ؟

قال : «إنّ الله ﷻ أعطاني نهراً في السّماء مجراه من تحت العرش وعليه ألف ألف قصر لبنة من ذهب ، ولبنة من فضّة ، حشيشها الزعفران ، ورضراضها[1] الدرّ والياقوت ، وأرضها المسك الأبيض ، فذلك خير لأُمّتي ، وذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾[2]» .

قالوا : صدقت يا محمّد هو مكتوب في «التوراة» وهذا خير من ذلك .

قال النّبيّ ﷺ : «هذه ثلاثة» .

قالوا : إبراهيم خير منك .

قال : «ولم ذاك» ؟

قالوا : لأنّ الله اتّخذه خليلاً .

قال النّبيّ ﷺ : «إن كان إبراهيم خليله فأنا حبيبه محمّد» .

قالوا : ولِم سُمّيت محمّداً ؟

قال : «سمّاني الله محمّداً وشقّ اسمي من إسمه ؛ هو المحمود وأنا محمّد ، وأُمّتي الحامدون على كلّ حال» .

فقالت اليهود : صدقت يا محمّد هِذا مكتوب في «التوراة» هذا خير من ذلك .

قال النّبيّ ﷺ : «هذه أربعة» .

قالت اليهود : عيسى خير منك .

قال : «ولِم ذاك» ؟

قالوا : إنّ عيسى بن مريم كان ذات يوم بعقبة بيت المقدس فجاءه الشياطين ليحملوه فأمر الله جبرئيل أن اضرب بجناحك الأيمن وجوه الشياطين وألقهم في النّار ؛ فضرب بأجنحته وجوههم وألقاهم في النّار .

---

(١) الرضراض : ما دقّ من الحصى .

(٢) الكوثر ١.

فقال رسول الله : «لقد أُعطيت أنا أفضل من ذلك» .

قالوا : وما هو ؟

قال : «أقبلت يوم بدر من قتال المشركين وأنا جائع شديد الجوع ، فلمّا وردت المدينة استقبلتني امرأة يهوديّة وعلى رأسها جفنة* ، وفي الجفنة جدي مشويّ ، وفي كمّها شيء من سكّر ، فقالت : الحمد لله الّذي منحك السّلامة ، وأعطاك النّصر والظفر على الأعداء ، وإنّي قد كنت نذرت لله نذراً إن أقبلت سالماً غانماً من غزاة بدر لأذبحنّ هذا الجدي ولأشوينّه ولأحملنّه إليك لتأكله .

فقال النبيّ ﷺ : «فنزلت عن بلغتي الشهباء ، فضربت بيدي إلى الجدي لآكله فاستنطق الله الجدي فاستوى على أربع قوائم وقال : يا محمّد لا تأكلني فإنّي مسموم» .

قالوا : صدقت يا محمّد هذا خير من ذلك .

قال النّبيّ ﷺ : «هذه خمسة» .

قالوا : بقيت واحدة ثمّ نقوم من عندك .

قال : «هاتوا» .

قالوا : سليمان خير منك .

قال : «ولم ذاك» ؟

قالوا : لأنّ الله ﷻ سخّر له الشياطين والإنس والجنّ والطير والرياح والسباع .

فقال النّبيّ ﷺ : «فقد سخّر الله لي البراق وهو خير من الدّنيا بحذافيرها ؛ وهي دابّة من دوابّ الجنّة ، وجهها مثل وجه آدمي ، وحوافرها مثل حوافر الخيل ، وذنبها مثل ذنب البقر ، وفوق الحمار ودون البغل ، وسرجه من ياقوتة حمراء ، وركابه من درّة بيضاء ، مزمومة بألف زمام من ذهب ، عليه جناحان مكلّلان بالدرّ والياقوت والزبرجد ، مكتوب بين عينيه «لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمّداً رسول الله» .

قالت اليهود : صدقت يا محمّد وهو مكتوب في «التوراة» وهذا خير من ذلك ، يا محمّد نشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله .

فقال لهم رسول الله ﷺ : «لقد أقام نوح في قومه ودعاهم ألف سنة إلّا خمسين عاماً ، ثمّ

(*) الجَفْنَةُ : القَصْعَة الكبيرة .

وصفهم الله ﷻ فقلّلهم فقال : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[1] ولقد تبعني في سنّي القليل وعمري اليسير ما لم يتّبع نوحاً في طول عمره وكبر سنّه ، وإنّ في الجنّة عشرين ومائة صف أُمّتي منها ثمانون صفّاً ، وإنّ الله ﷻ جعل كتابي المهيمن على كتبهم الناسخ لها ، ولقد جئت بتحليل ما حرّموا وبتحريم بعض ما أحلّوا ، من ذلك أنّ موسى جاء بتحريم صيد الحيتان يوم السبت حتّى أنّ الله تعالى قال لمن اعتدى منهم في صيدها يوم السبت : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾[2] فكانوا ، ولقد جئت بتحليل صيدها حتّى صار صيدها حلالاً ، قال الله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ ﴾[3] وجئت بتحليل الشحوم كلّها وكنتم لا تأكلونها .

ثمّ إنّ الله ﷻ صلّى عَلَيّ في كتابه العزيز ، قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾[4] ثمّ وصفني الله ﷻ بالرأفة والرحمة وذكر في كتابه : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[5] ، وأنزل الله تعالى أن لا يكلّموني حتّى يتصدّقوا بصدقة وماكان ذلك لنبيّ قط ، قال الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾[6] ثمّ وضعها عنهم بعد أن افترضها عليهم برحمته ومنّه» .

وعن ثوبان قال : إنّ يهودياً جاء إلى النّبيّ ﷺ فقال : يا محمّد أسألك فتخبرني ، فركض ثوبان برجله وقال : قل يا رسول الله .

فقال : لا أدعوه إلّا بما سمّاه أهله .

فقال : أرأيت قوله ﷻ : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَاوَاتُ ﴾[7] أين النّاس يومئذ ؟

فقال : «في الظلمة دون المحشر» .

فقال : فما أوّل ما يأكل أهل الجنّة إذا دخلوها ؟

---

(١) هود ٤٠.

(٢) البقرة ٦٥.

(٣) المائدة ٩٦.

(٤) الأحزاب ٥٦.

(٥) التوبة ١٢٨.

(٦) المجادلة ١٢.

(٧) إبراهيم ٤٨.

قال : «كبد الحوت» .

قال : فما طعامهم على أثر ذلك ؟

قال : «كبد الثور» .

قال : فما شرابهم على أثر ذلك ؟

قال : «السلسبيل» .

قال : صدقت ، أفلا أسألك عن شيء لا يعلمه إلّا نبيّ ؟

قال : «وما هو» ؟

قال : عن شبه الولد أباه وأُمّه .

قال : «ماء الرّجل أبيض غليظ ، وماء المرأة أصفر رقيق ؛ فإذا علا ماء الرّجل ماء المرأة كان الولد ذكراً بإذن الله تعالى ، ومن تشبّه أباه قبل ذلك يكون الشبه ، وإذا علا ماء المرأة ماء الرّجل خرج الولد أُنثى بإذن الله ﷻ ، ومن تشبّه أُمّه قبل ذلك يكون الشّبه» .

ثمّ قال النّبيّ ﷺ : «والّذي نفسي بيده ماكان عندي شيء ممّا سألتني عنه حتّى أنبأنيه الله ﷻ في مجلسي هذا على لسان أخي جبرئيل» .

ذكر ما جرى لرسول الله ﷺ من الإحتجاج على المنافقين في طريق تبوك وغير ذلك من كيدهم لرسول الله ﷺ على العقبة بالليل

قال أبو محمّد العسكري عليه السلام : «لقد رامت الفجرة ليلة العقبة قتل رسول الله ﷺ على العقبة[١] ، ورام من بقي من مردة المنافقين بالمدينة قتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام فما قدروا على مغالبة ربّهم ، حملهم على ذلك حسدهم لرسول الله ﷺ في عليّ عليه السلام لما فخّم من أمره وعظّم من شأنه ، من ذلك أنّه لمّا خرج النّبيّ ﷺ من المدينة وقد كان خلّفه عليها وقال له : إنّ جبرئيل أتاني وقال لي : يا محمّد إنّ العليّ الأعلى يقرأ عليك السّلام ويقول لك : يا محمّد إمّا أن تخرج أنت ويقيم عليّ أو تقيم أنت ويخرج عليّ ، لابدّ من ذلك ، فإنّ عليّاً قد ندبته لإحدى اثنتين لا يعلم أحد كنه جلال من أطاعني فيهما وعظيم ثوابه غيري .

---

(١) عقبة بالتحريك : هو الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه ، وهو طويل صعب إلى صعود الجبل . والعقبة منزل في طريق مكّة بعد واقصة وقبل القاع لمن يريد مكّة ، وهو ماء لبني عكرمة من بكر بن وائل . [مراصد الإطّلاع ٩٤٨/٢]

فلمّا خلّفه أكثر المنافقون الطّعن فيه ، فقالوا : ملّه وسئمه وكره صحبته ، فتبعه عليّ عليه السلام حتّى لحقه وقد وجد غمّاً شديداً عمّا قالوا فيه ، فقال رسول الله ﷺ : ما أشخصك يا علي من مركزك ؟

فقال : بلغني عن النّاس كذا وكذا .

فقال له : أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي ؟

فانصرف عليّ إلى موضعه فدبّروا عليه أن يقتلوه ، وتقدّموا في أن يحفروا له في طريقه حفيرة طويلة قدر خمسين ذراعاً ، ثمّ غطّها بخصّ رقاق ونثروا فوقها يسيراً من التراب بقدر ما غطّوا به وجوه الخص ، وكان ذلك على طريق عليّ الّذي لابدّ له من سلوكه ، ليقع هو ودابّته في الحفيرة الّتي قد عمقوها ، وكان ما حوالي المحفور أرض ذات حجارة ، ودبّروا على أنّه إذا وقع مع دابّته في ذلك المكان كبسوه بالأحجار حتّى يقتلوه .

فلمّا بلغ عليّ عليه السلام قرب المكان لوى فرسه عنقه وأطاله الله ، فبلغت جحفلته[1] أُذنيه وقال : يا أميرالمؤمنين قد حفر لك هاهنا ودبّر عليك الحتف ، وأنت أعلم ، لا تمرّ فيه .

فقال له عليّ عليه السلام : جزاك الله من ناصح خيراً كما تدبّر تدبيري وإنّ الله عزّ وجلّ لا يخلّيك من صنعه الجميل ، وسار حتّى شارف المكان فوقف الفرس خوفاً من المرور على المكان ، فقال عليّ عليه السلام : سر بإذن الله سالماً سويّاً عجيباً شأنك ، بديعاً أمرك .

فتبادرت الدابّة فإنّ الله عزّ وجلّ قد متن الأرض[2] وصلّبها [ولأم حفرها[3]] كأنّها لم تكن محفورة ، وجعلها كسائر الأرض .

فلمّا جاوزها عليّ عليه السلام لوّى الفرس عنقه ووضع جحفلته على أُذنه ثمّ قال : ما أكرمك على ربّ العالمين ، أجازك على هذا المكان الخاوي[4] .

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : جازاك الله بهذه السلامة عن نصيحتك الّتي نصحتني بها ، ثمّ قلّب وجه الدّابة إلى ما يلي كفلها ، والقوم معه ؛ بعضهم أمامه وبعضهم خلفه ، وقال : اكشفوا عن هذا المكان ، فكشفوا فإذا هو خاوٍ لا يسير عليه أحد إلّا وقع في الحفرة ، فأظهر القوم الفزع والتعجّب ممّا رأوا منه .

---

(١) الجحفلة لذي الحافر كالشفة للإنسان.

(٢) متن الأرض : صلب متنه وقوّاه.

(٣) لأم حفرها : جمع حفرها ، كأنّ الحفيرة ملئت وأرجعت إلى ما كانت عليه قبل ذلك.

(٤) الخاوي : الخالي ، القفر.

فقال عليّ عليه السلام للقوم : أتدرون من عمل هذا ؟

قالوا : لا ندري .

قال عليه السلام : لكن فرسي هذا يدري ، يا أيّها الفرس كيف هذا ومن دبّر هذا ؟

فقال الفرس : يا أميرالمؤمنين !إذاكان الله عزّوجلّ يبرم ما يروم جهّال القوم نقضه أوكان ينقض ما يروم جهّال الخلق إبرامه فالله هو الغالب والخلق هم المغلوبون ، فعل هذا يا أميرالمؤمنين فلان وفلان ، إلى أن ذكر العشرة بمواطأة من أربعة وعشرين هم مع رسول الله صلّى الله عليه وآله في طريقه ، ثمّ دبّروا رأيهم على أن يقتلوا رسول الله صلّى الله عليه وآله على العقبة والله عزّوجلّ من وراء حياطةرسول الله ، ووليّ الله لا يغلبه الكافرون .

فأشار بعض أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام بأن يكاتب رسول الله بذلك ويبعث رسولاً مسرعاً ، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : إنّ رسول الله إلى محمّد رسوله أسرع وكتابه إليه أسبق ، فلا يهمّنّكم هذا إليه ، فلمّا قرب رسول الله صلّى الله عليه وآله من العقبة الّتي بأزائها فضائح المنافقين والكافرين نزل دون العقبة ثمّ جمعهم فقال لهم : هذا جبرئيل الروح الأمين يخبرني أنّ عليّاً دبّر عليه كذا وكذا ، فدفع الله عزّوجلّ عنه من ألطافه وعجائب معجزاته بكذا وكذا ، ثمّ إنّه صلّب الأرض تحت حافر دابّته وأرجل أصحابه ، ثمّ انقلب على ذلك الموضع عليّ وكشف عنه فرأيت الحفيرة ، ثمّ إنّ الله عزّوجلّ لأمها كما كانت لكرامته عليه ، وإنّه قيل له كاتب بهذا وأرسل إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فقال : رسول الله إلى رسول الله أسرع وكتابه إليه أسبق .

ثمّ لم يخبرهم رسول الله صلّى الله عليه وآله بما قال عليّ عليه السلام على باب المدينة «إنّ مع رسول الله منافقين سيكيدونه ويدفع الله عنه» فلمّا سمع الأربعة والعشرون أصحاب العقبة ما قاله رسول الله صلّى الله عليه وآله في أمر عليّ ، قال بعضهم لبعض : ما أمهر محمّداً بالمخرقة[1] وإنّ فيجاً[2] مسرعاً أتاه أو طيراً من المدينة من بعض أهله وقع عليه أنّ عليّاً قتل بحيلة كذا وكذا وهو الّذي واطأنا عليه أصحابنا ، فهو الآن لمّا بلغه كتم الخبر وقلّبه إلى ضدّه يريد أن يسكن من معه لئلّا يمدّوا أيديهم عليه ، وهيهات والله ما لبّث عليّاً بالمدينة إلّا حينه ، ولا أخرج محمّداً إلى هاهنا إلّا حينه ، وقد هلك عليّ وهو هاهنا هالك لا محالة ، ولكن تعالوا حتّى نذهب إليه ونظهر له السرور بأمر عليّ ليكون أسكن لقلبه إلينا إلى أن نمضي فيه تدبيرنا .

---

(١) خرق الكذب : صنعه ، ومعنى هذه الجملة : ما أمهر محمّداً بصنع الكذب ووضعه .

(٢) الفيج : السريع السير الذي يأتي بالأخبار .

فحضروه وهنّوه على سلامة عليّ من الورطة الّتي رامها أعداؤه ، ثمّ قالوا له : يا رسول الله أخبرنا عن عليّ أهو أفضل أم ملائكة الله المقرّبون ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : وهل شرّفت الملائكة إلّا بحبّها لمحمّد وعليّ وقبولها لولايتهما ؟ وإنّه لا أحد من محبّي عليّ قد نظّف قلبه من قذر الغش والدغل ونجاسات الذنوب إلّا كان أظهر وأفضل من الملائكة ، وهل أمر الله الملائكة بالسجود لآدم إلّا لما كانوا قد وضعوه في نفوسهم أنّه لا يصير في الدّنيا خلق بعدهم إذا رفعوا عنها إلّا ـ وهم يعنون أنفسهم ـ أفضل منه في الدّين فضلاً ، وأعلم بالله وبدينه علماً ؟ فأراد الله أن يعرّفهم أنّهم قد أخطأوا في ظنونهم واعتقاداتهم ، فخلق آدم وعلّمه الأسماء كلّها ثمّ عرضها عليهم فعجزوا عن معرفتها ، فأمر الله آدم عليه السلام أن ينبّأهم بها وعرّفهم فضله في العلم عليهم ، ثمّ أخرج من صلب آدم ذرّيّته منهم الأنبياء والرسل والخيار من عباد الله ، أفضلهم محمّد ثمّ آل محمّد ، والخيار الفاضلين منهم أصحاب محمّد وخيار اُمّة محمّد ، وعرّف الملائكة بذلك أنّهم أفضل من الملائكة ؛ إذا احتملوا ما حملوه من الأثقال وقاسوا ما هم فيه بعرض يعرض من أعوان الشياطين ومجاهدة النفوس واحتمال أذى ثقل العيال والإجتهاد في طلب الحلال ومعاناة مخاطرة الخوف من الأعداء من لصوص مخوفين ومن سلاطين جورة قاهرين ، وصعوبة في المسالك وفي المضائق والمخاوف والأجراع[1] والجبال والتلاع[2] لتحصيل أقوات الأنفس والعيال من الطيب الحلال ، فعرّفهم الله عزّ وجلّ أنّ خيار المؤمنين يحتملون هذه البلايا ويتخلّصون منها ويحاربون الشياطين ويهزمونهم ويجاهدون أنفسهم بدفعها عن شهواتها ويغلبونها مع ما ركّب فيهم من شهوات الفحولة وحبّ اللباس والطعام والعزّ والرئاسة والفخر والخيلاء ومقاساة العناء والبلاء من إبليس وعفاريته وخواطرهم وإغوائهم واستهوائهم ودفع ما يكابدونه من أليم الصّبر على سماعهم الطّعن من أعداء الله ، وسماع الملاهي والشتم لأولياء الله ، ومع ما يقاسونه في أسفارهم لطلب أقواتهم ، والهرب من أعداء دينهم ، أو الطلب لمن يأملون معاملته من مخالفيهم في دينهم .

قال الله عزّ وجلّ : يا ملائكتي وأنتم من جميع ذلك بمعزل ؛ لا شهوات الفحولة تزعجكم ، ولا شهوة

---

(١) الجرعة : رملة مستوية لا تنبت شيئاً .

(٢) التلاع : جمع التلعة ، وهو ما علا من الأرض وما سفل . وفي بعض النسخ «الطلاع» وهو جمع الطلع بكسر الطاء : المكان المشرف الّذي يطلع منه .

الطعام تحفزكم[١] ، ولا خوف من أعداء دينكم ودنياكم تنحب[٢] في قلوبكم ، ولا لإبليس في ملكوت سماواتي وأرضي شغل على إغواء ملائكتي الّذين قد عصمتهم منهم ، يا ملائكتي فمن أطاعني منهم وسلم دينه من هذه الآفات والنكبات فقد احتمل في جنب محبّتي ما لم تحتملوا ، واكتسب من القربان إلى ما لم تكتسبوا .

فلمّا عرّف الله ملائكته فضل خيار أُمّة محمّد وشيعة عليّ وخلفائه عليهم السلام ، واحتمالهم في جنب محبّة ربّهم ما لا تحتمله الملائكة أبّان بني آدم الخيار المتّقين بالفضل عليهم ، ثمّ قال : فلذلك فاسجدوا لآدم لمّا كان مشتملاً على أنوار هذه الخلائق الأفضلين ، ولم يكن سجودهم لآدم إنّما كان آدم قبلة لهم يسجدون نحوه لله عزّ وجلّ ، وكان بذلك معظّماً له مبجّلاً ، ولا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد من دون الله ويخضع له خضوعه لله ويعظّم بالسجود له كتعظيمه لله ، ولو أمرت أحداً أن يسجد هكذا لغير الله لأمرت ضعفاء شيعتنا وسائر المكلّفين من شيعتنا أن يسجدوا لمن توسّط في علوم عليّ وصيّ رسول الله ، ومحّض وداد خير خلق الله علي بعد محمّد رسول الله ، واحتمل المكاره والبلايا في التصريح بإظهار حقوق الله ، ولم ينكر عَلَيّ حقّاً أرقبه عليه[٣] قد كان جهله أو غفله .

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : عصى الله إبليس فهلك لمّا كان معصيته بالكبر على آدم ، وعصى آدم الله بأكل الشجرة فسلم ولم يهلك لمّا لم يقارن بمعصيته التكبّر على محمّد وآله الطيّبين ، وذلك أنّ الله تعالى قال له : يا آدم عصاني فيك إبليس وتكبّر عليك فهلك ، ولو تواضع لك بأمري وعظّم عزّ جلالي لأفلح كلّ الفلاح كما أفلحت ، وأنت عصيتني بأكل الشجرة وعظّمتني بالتواضع لمحمّد وآل محمّد فتفلح كلّ الفلاح وتزول عنك وصمة الزلّة ؛ فادعني بمحمّد وآله الطيّبين لذلك ، فدعا بهم فأفلح كلّ الفلاح لمّا تمسّك بعروتنا أهل البيت .

ثمّ إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بالرحيل في أوّل نصف اللّيل الأخير ، وأمر مناديه فنادى : ألا لا يسبقنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أحد إلى العقبة ، ولا يطأها حتّى يجاوزها رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثمّ أمر حذيفة أن يقعد في أصل العقبة فينظر من يمرّ بها ويخبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان رسول الله أمره أن يتشبّه بحجر ، فقال حذيفة : يا رسول الله إنّي أتبيّن الشرّ في وجوه القوم من رؤساء عسكرك ، وإنّي

---

(١) الحفر : الدفع من الخلف ، والحفز بالرمح : الطعن به .

(٢) النحب : السير السريع ، وفي بعض النسخ «تنخب» ومعناه تجبن قلوبكم وتجعلكم بلا فؤاد ، يقال «رجل نخب» أي الجبان الّذي لا فؤاد له .

(٣) أرقبه عليه : أنتظره منه .

أخاف إن قعدت في أصل الجبل وجاء منهم من أخاف أن يتقدّمك إلى هناك للتدبير عليك يحسّ بي ويكشف عنّي فيعرفني ويعرف موضعي من نصيحتك فيتّهمني ويخافني فيقتلني .

فقال رسول الله ﷺ : إنّك إذا بلغت أصل العقبة فاقصد أكبر صخرة هناك إلى جانب أصل العقبة وقل لها : إنّ رسول الله يأمرك أن تنفرجي لي حتّى أدخل جوفك ، ثمّ يأمرك أن تثقبي فيك ثقبة أبصر منها المارّين وتدخل عَلَيّ منها الروح لئلّا أكون من الهالكين ، فإنّها تصير إلى ما تقول لها بإذن ربّ العالمين .

فأدّى حذيفة الرسالة ودخل جوف الصخرة وجاء الأربعة والعشرون على جمالهم وبين أيديهم رجّالتهم يقول بعضهم لبعض : من رأيتموه هنا كائناً من كان فاقتلوه لئلّا يخبروا محمّداً أنهم قد رأونا هاهنا فينكص[1] محمّد ولا يصعد هذه العقبة إلّا نهاراً فيبطل تدبيرنا عليه ، وسمعها حذيفة ، واستقصوا فلم يجدوا أحداً ، وكان الله قد ستر حذيفة بالحجر عنهم ، فتفرّقوا فبعضهم صعد على الجبل وعدل عن الطريق المسلوك ، وبعضهم وقف على سفح الجبل عن يمين وشمال وهم يقولون : الآن ترون حين محمّد كيف أغراه بأن يمنع النّاس عن صعود العقبة حتّى يقعطها هو لنخلو به هاهنا فنمضي فيه تدبيرنا وأصحابه عنه بمعزل ، وكلّ ذلك يوصله الله تعالى من قريب أو بعيد إلى أُذن حذيفة ويعيه حذيفة ، فلمّا تمكّن القوم على الجبل حيث أرادوا ، كلّمت الصخرة حذيفة وقالت له : إنطلق الآن إلى رسول الله ﷺ فأخبره بما رأيت وبما سمعت .

قال حذيفة : كيف أخرج عنك وإن رآني القوم قتلوني مخافة على أنفسهم من نميمتي عليهم ؟

قالت الصخرة : إنّ الّذي مكّنك من جوفي وأوصل إليك الروح من الثقبة الّتي أحدثها فيّ هو الّذي يوصلك إلى نبيّ الله وينقذك من أعداء الله .

فنهض حذيفة ليخرج فانفرجت الصخرة بقدرة الله تعالى ، فحوّله الله طائراً فطار في الهواء محلّقاً حتّى انقضّ بين يدي رسول الله ، ثمّ أُعيد على صورته فأخبر رسول الله ﷺ بما رأى وسمع ، فقال رسول الله : أوَ عرفتهم بوجوههم ؟

فقال : يا رسول الله كانوا متلثّمين وكنت أعرف أكثرهم بجمالهم ، فلمّا فتّشوا المواضع فلم يجودا أحداً أحدروا اللثام فرأيت وجوههم وعرفتهم بأعيانهم وأسمائهم فلان وفلان وفلان حتّى عدّ أربعة وعشرين .

---

(١) النكوص : الإحجام عن الشيء .

فقال رسول الله ﷺ : يا حذيفة إذا كان الله يثبت محمّداً لم يقدر هؤلاء ولا الخلق أجمعون أن يزيّلوه ، إنّ الله تعالى بالغ في محمّد أمره ولو كره الكافرون .

ثمّ قال : يا حذيفة فانهض بنا أنت وسلمان وعمّار وتوكّلوا على الله ، فإذا جزنا الثنية الصعبة فاذنوا للنّاس أن يتبعونا ، فصعد رسول الله ﷺ وهو على ناقته ، وحذيفة وسلمان أحدهما آخذ بخطام ناقته يقودها ، والآخر خلفها يسوقها ، وعمّار إلى جانبها ، والقوم على جمالهم ، ورجالتهم منبثون حوالي الثنية على تلك العقبات ، وقد جعل الّذين فوق الطريق حجارة في دباب فدحرجوها من فوق لينفروا الناقة برسول الله ﷺ ويقع به في المهوى الّذي يهول النّاظر إليه من بُعده ، فلمّا قربت الدباب من ناقة رسول الله ﷺ أذن الله لها فارتفعت ارتفاعاً عظيماً فجاوزت ناقة رسول الله ﷺ ثمّ سقطت في جانب المهوى ولم يبق منها شيء إلّا صار كذلك ، وناقة رسول الله كأنّها لا تحسّ بشيء من تلك القعقعات الّتي كانت للدّباب .

ثمّ قال رسول الله ﷺ لعمّار : إصعد إلى الجبل فاضرب بعصاك هذه وجوه رواحلهم فارم بها ، ففعل ذلك عمّار فنفرت بهم رواحلهم وسقط بعضهم فانكسر عضده ، ومنهم من انكسرت رجله ، ومنهم من انكسر جنبه ، واشتدّت لذلك أوجاعهم ، فلمّا انجبرت واندملت بقيت عليهم آثار الكسر إلى أن ماتوا ، ولذلك قال رسول الله ﷺ في حذيفة وأميرالمؤمنين عليه السلام : «إنّهما أعلم النّاس بالمنافقين» لقعوده في أصل الجبل ومشاهدته من مرّ سابقاً لرسول الله ﷺ .

وكفى الله رسوله أمر من قصد له ، وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة سالماً فكسى الله الذلّ والعار من كان قعد عنه ، وألبس الخزي من كان دبّر عليه وعلى عليّ ما دفع الله عنه عليه السلام .

إحتجاج النّبيّ ﷺ يوم الغدير على الخلق كلّهم وفي غيره من الأيّام بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومن بعده من ولده من الأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين

حدّثني السيّد العالم العابد أبو جعفر مهدي ابن أبي حرب الحسيني المرعشي رحمه الله[1] قال : أخبرنا الشيخ أبو علي الحسن بن الشيخ السعيد أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي رحمه الله[2] ، قال :

---

(١) مضت ترجمته في هذا الكتاب ص .

(٢) الشيخ أبو علي الحسن بن محمّد بن الحسن الطوسي ، كان عالماً فاضلاً فقيهاً محدّثاً جليلاً ثقة ، له كتاب الأمالي ←

أخبرني الشيخ السعيد الوالد أبو جعفر قدّس الله روحه(١)، قال: أخبرني جماعة عن أبي محمّد هارون بن موسى التلعكبري(٢)، قال: أخبرنا أبو علي محمّد بن همام(٣)، قال: أخبرنا علي السوري(٤)، قال: أخبرنا أبو محمّد العلوي(٥) من ولد الأفطس ـ وكان من عباد الله الصالحين ـ قال حدّثنا محمّد بن موسى الهمداني(٦)، قال: حدّثنا محمّد بن خالد الطيالسي(٧)، قال: حدّثنا سيف بن عميرة(٨) وصالح بن عقبة(٩) جميعاً عن قيس بن سمعان(١٠) عن علقمة بن محمّد الحضرمي(١١)

وشرح النهاية، قرأ على والده جميع تصانيفه، وإليه ينتهي أكثر الإجازات عن الشيخ الطوسي. [تنقيح المقال ٣٦/١]

(١) شيخ الطائفة أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي، ولد في شهر رمضان سنة ٣٨٥، وقدم العراق سنة ٤٠٨، وبقي في بغداد مدّة ثمّ هاجر إلى النّجف الأشرف وبقي فيها حتّى وفاته سنة ٤٦٠، كان جهبذة من جهابذة الإسلام وعظيماً من عظماء أُمّة محمّد ﷺ، صنّف في علوم عصره فكانت مصنّفاته هي الأم والمرجع، ولم يجرؤ على الإفتاء بعده أحد من علماء الشيعة إلى سنين متمادية لقوّته في الفقه واضطلاعه في العلوم الإسلاميّة. [الكنى والألقاب ٣٥٧/٢ـ٣٥٩]

(٢) أبو محمّد هارون بن موسى الشيباني ثقة جليل القدر، عظيم المنزلة، واسع الرواية، عديم النظير، وجه أصحابنا، معتمدٌ عليه، لا يطعن عليه في شي، توفّي سنة ٣٨٥. [الكنى والألقاب ١٠٨/٢]

(٣) أبو علي محمّد بن أبي بكر همام بن سهيل الكاتب الإسكافي، شيخ أصحابنا ومتقدّمهم، له منزلة عظيمة، كثير الحديث، ولد يوم الإثنين ٦ ذي الحجّة سنة ٢٥٨ وتوفّي يوم الخميس ١٩ جمادي الثانية سنة ٣٣٦. [رجال النجاشي ٢٩٤]

(٤) لم نقف على ترجمة له؛ فليراجع.

(٥) يحيى المكنّى أبا محمّد العلوي من بني زبارة، علويّ، سيّد، متكلّم، فقيه من أهل نيشابور، له كتب كثيرة، منها كتاب في المسح على الرجلين في إبطال القياس، وكتاب في التوحيد. [رجال النجاشي ٣٤٥]

(٦) محمّد بن موسى بن عيسى أبو جعفر الهمداني السمان، ضعّفه القميّون بالغلوّ، له كتاب ما روي في أيّام الأسبوع وكتاب الردّ على الغلاة. [رجال النجاشي ٢٦٠]

وأقول: كيف يقال في محمّد هذا أنّه غال مع العلم أنّ من مؤلّفاته كتاب الردّ على الغلاة؛ فلاحظ.

(٧) أبو عبدالله محمّد بن خالد الطيالسي التميمي، كان يسكن بالكوفة في صحراء جرم، له كتاب نوادر، مات ليلة الأربعاء ٢٧ جمادي الثانية سنة ٢٥٩ وهو ابن ٩٧ سنة. [تنقيح المقال ١١٤/٣]

(٨) سيف بن عميرة النخعي، عربيّ، ثقة، كوفيّ، روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، له كتاب يرويه جماعات من أصحابنا. [رجال النجاشي ١٤٣]

(٩) صالح بن عقبة بن قيس بن سمعان بن أبي ربيحة مولى رسول الله ﷺ، قيل إنّه روى عن أبي عبدالله عليه السلام، له كتاب يرويه جماعة. [منتهى المقال ١٦٣]

(١٠) لم نقف على ترجمته.

(١١) علقمة بن محمّد الحضرمي هو أخو عبدالله بن محمّد الحضرمي. [رجال الكشي ٣٥٤]

عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام أنّه قال: «حجّ رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة وقد بلّغ جميع الشرايع قومه غير الحجّ والولاية، فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال له: يا محمّد إنّ الله جلّ اسمه يقرئك السّلام ويقول لك: إنّي لم أقبض نبيّاً من أنبيائي ولا رسولاً من رسلي إلّا بعد إكمال ديني وتأكيد حجّتي، وقد بقي عليك من ذاك فريضتان ممّا تحتاج أن تبلّغهما قومك: فريضة الحج، وفريضة الولاية والخلافة من بعدك، فإنّي لم أخل أرضى من حجّة ولن أُخلّيها أبداً، فإنّ الله جلّ ثناؤه يأمرك أن تبلّغ قومك الحجّ وتحجّ ويحجّ معك من استطاع إليه سبيلا من أهل الحضر والأطراف والأعراب، وتعلّمهم من معالم حجّهم مثل ما علّمتهم من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم، وتوقفهم من ذلك على مثال الّذي أوقفتهم عليه من جميع ما بلّغتهم من الشرائع.

فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وآله في النّاس: ألا إنّ رسول الله يريد الحجّ وأن يعلّمكم من ذلك مثل الّذي علّمكم من شرائع دينكم، ويوقفكم من ذاك على ما أوقفكم عليه من غيره.

فخرج صلى الله عليه وآله وخرج معه النّاس وأصغوا إليه لينظروا ما يصنع فيصنعوا مثله، فحجّ بهم وبلغ مَن حَجّ مع رسول الله من أهل المدينة وأهل الأطراف والأعراب سبعين ألف إنسان أو يزيدون على نحو عدد أصحاب موسى السبعين ألف الّذين أخذ عليهم بيعة هارون فنكثوا واتّبعوا العجل والسامري، وكذلك أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله البيعة لعليّ بالخلافة على عدد أصحاب موسى فنكثوا البيعة واتّبعوا العجل والسامري سنّة بسنّة ومثلاً بمثل، واتّصلت التلبية مابين مكّة والمدينة[1].

فلمّا وقف بالموقف، أتاه جبرئيل عليه السلام عن الله عزّ وجلّ فقال: يا محمّد إنّ الله عزّ وجلّ يقرئك السّلام ويقول لك: إنّه قد دنى أجلك ومدّتك وأنا مستقدمك على ما لابدّ منه ولا عنه محيص، فاعهد عهدك وقدّم وصيّتك واعمد إلى ما عندك من العلم وميراث علوم الأنبياء من قبلك والسّلاح والتّابوت وجميع ما عندك من آيات الأنبياء، فسلّمه إلى وصيّك وخليفتك من بعدك حجّتي البالغة على خلقي عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فأقمه للنّاس عَلَماً، وجدّد عهده وميثاقه وبيعته، وذكّرهم ما أخذت عليهم من بيعتي وميثاقي الّذي واثقتهم به وعهدي الّذي عهدت إليهم من ولاية وليّي ومولاهم ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإنّي لم أقبل نبيّاً من الأنبياء إلّا من بعد

---

(١) ذكر العلّامة الحجّة الثبت الأميني في كتابه القيّم «الغدير» حديث الغدير بتفاصيله في الجزء الأوّل، وعدّ الرّاوين لحديث الغدير؛ فكانوا من الصحابة ١١٠ شخصاً، ومن التابعين ٨٤ شخصاً، ومن الرواة من العلماء ابتداءاً من القرن الثاني حتّى القرن الرابع عشر ٣٦٠ شخصاً، وذكر من المؤلّفين في حديث الغدير خصيصاً ٢٦ شخصاً.
[أنظر الجزء الأول من الكتاب ص١٤ـ١٥٧]

إكمال ديني وحجّتي ، وإتمام نعمتي بولاية أوليائي ومعاداة أعدائي ، وذلك كمال توحيدي وديني ، وإتمام نعمتي على خلقي باتّباع وليّي وطاعته ، وذلك أنّي لا أترك أرضي بغير وليّ ولا قيّم ليكون حجّة لي على خلقي ، فاليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً بولاية وليّي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة عليّ عبدي ووصيّ نبيّي والخليفة من بعده وحجّتي البالغة على خلقي ، مقرون طاعته بطاعة محمّد نبيّي ، ومقرون طاعته مع طاعة محمّد بطاعتي ، من أطاعه فقد أطاعني ، ومن عصاه فقد عصاني ، جعلته عَلَماً بيني وبين خلقي ، من عرفه كان مؤمناً ، ومن أنكره كان كافراً ، ومن أشرك بيعته كان مشركاً ، ومن لقيني بولايته دخل الجنّة ، ومن لقيني بعداوته دخل النّار ، فأقم يا محمّد عليّاً عَلَماً وخذ عليهم البيعة وجدّد عهدي وميثاقي لهم الّذي واثقتهم عليه ، فإنّي قابضك إليّ ومستقدمك عَلَيّ .

فخشى رسول الله ﷺ من قومه وأهل النّفاق والشقاق أن يتفرّقوا ويرجعوا إلى جاهليّة لما عرف من عداوتهم ، ولما ينطوي عليه أنفسهم لعليّ من العداوة والبغضاء ، وسأل جبرئيل أن يسأل ربّه العصمة من النّاس ، وانتظر أن يأتيه جبرئيل بالعصمة من النّاس عن الله جلّ إسمه ، فأخّر ذلك إلى أن بلغ مسجد الخيف[1] ، فأتاه جبرئيل عليه السلام في مسجد الخيف فأمره بأن يعهد عهده ويقيم عليّاً عَلَماً للنّاس يهتدون به ، ولم يأته بالعصمة من الله جلّ جلاله بالّذي أراد حتّى بلغ كراع الغميم[2] بين مكّة والمدينة ، فأتاه جبرئيل وأمره بالّذي أتاه فيه من قبل الله ولم يأته بالعصمة ، فقال : يا جبرئيل إنّي أخشى قومي أن يكذّبوني ولا يقبلوا قولي في عليّ عليه السلام [فسأل جبرئيل كما سأل بنزول آية العصمة فأخّره ذلك] ، فرحل فلمّا بلغ غدير خم[3] قبل الجحفة[4] بثلاثة أميال أتاه جبرئيل عليه السلام على خمس

---

(١) الخيف هو المنحدر من غلظ الجبل قد ارتفع عن مسيل الماء فليس شرفاً ولا حضيضاً ، وخيف منى هو الموضع الّذي ينسب إليه مسجد الخيف . [مراصد الإطلاع ٤٩٥/١]

(٢) كراع الغميم : موضع بالحجاز بين مكّة والمدينة أمام عسفان بثمانية أميال ، وهذا الكراع جبل أسود في طرف الجرّة يمتدّ إليه . [مراصد الإطّلاع ١١٥٣/٣]

(٣) غدير : ما غودر من ماء المطر في مستنقع صغير أو كبير غير أنّه لا يبقى في القيظ . وخم : قيل رجل ، وقيل غيظة ، وقيل موضع تصبّ فيه عين ، وقيل بئر قريب من المبثب حفرها مرّة بن كعب ، نسب إلى ذلك غدير خم ، وهو بين مكّة والمدينة ، قيل على ثلاثة أميال من الجحفة ، وقيل على ميل ، وهناك مسجد للنّبيّ . [مراصد الإطّلاع ٤٨٢/١ و ٩٨٥/٢]

(٤) الجحفة : كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق مكّة على أربع مراحل .. وكان اسمها مهيعة وسمّيت الجحفة لأنّ السيل جحفها ، وبينها وبين البحر ستّة أميال . [مراصد الإطّلاع ٣١٥/١]

ساعات مضت من النّهار بالزّجر والإنتهار والعصمة من النّاس فقال : يا محمّد إنّ الله ﷻ يقرئك السّلام ويقول لك : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1] .

وكان أوائلهم قريب من الجحفة ، فأمره بأن يردّ من تقدّم منهم ، ويحبس من تأخّر عنهم في ذلك المكان ليقيم علياً عَلَماً للنّاس ويبلّغهم ما أنزل الله تعالى في عليّ ، وأخبره بأنّ الله ﷻ قد عصمه من النّاس .

فأمر رسول الله عندما جاءته العصمة منادياً ينادي في النّاس بالصّلاة جامعة ويردّ من تقدّم منهم وحبس من تأخّر وتنحّى عن يمين الطّريق إلى جنب مسجد الغدير أمره بذلك جبرئيل عن الله ﷻ ، وكان في الموضع سلمات[2] فأمر رسول الله ﷺ أن يقمّ ما تحتهنّ[3] وينصب له حجارة كهيئة المنبر ليشرف على النّاس ، فتراجع النّاس واحتبس أواخرهم في ذلك المكان لا يزالون ، فقام رسول الله ﷺ فوق تلك الأحجار ثمّ حمد الله تعالى وأثنى عليه فقال :

الحمد لله الّذي علا في توحّده ، ودنا في تفرّده ، وجلّ في سلطانه ، وعظم في أركانه ، وأحاط بكلّ شيء علماً وهو في مكانه ، وقهر جميع الخلق بقدرته وبرهانه ، مجيداً لم يزل ، محموداً لا يزال ، بارئ المسموكات[4] ، وداحي المدحوّات ، وجبّار الأرضين والسّماوات ، قدّوس سبّوح ربّ الملائكة والرّوح ، متفضّل على جميع من برأه ، متطوّل على جميع من أنشأه ، يلحظ كلّ عين والعيون لا تراه ، كريم حريم ذو أناة ، قد وسع كلّ شيء رحمته ، ومَنّ عليهم بنعمته ، لا يعجل بانتقامه ، ولا يبادر إليهم بما استحقّوا من عذابه ، قد فهم السّرائر وعلم الضّمائر ، ولم تخف عليه المكنونات ، ولا اشتبهت عليه الخفيّات ، له الإحاطة بكلّ شيء والغلبة على كلّ شيء والقوّة في كلّ شيء والقدرة على كلّ شيء وليس كمثله شيء وهو منشيء الشيء حين لا شيء ، دائم قائم بالقسط لا إله إلّا هو العزيز الحكيم ، جلّ عن أن تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، لا يلحق أحد وصفه من معاينة ، ولا يجد أحد كيف هو من سرّ وعلانية إلّا بما دلّ ﷻ على نفسه .

---

(١) المائدة ٦٧.

(٢) سلمات : أشجار .

(٣) أي يكنس ما تحتهنّ .

(٤) السمك : السقف ، أو من أعلى البيت إلى أسفله ، والغاية من كلّ شيء ، والمقصود هنا السماوات وما فيها .

وأشهد أنّه الله الّذي ملأ الدّهر قدسه ، والّذي يغشى الأبد نوره ، والّذي ينفذ أمره بلا مشاورة مشير ، ولا معه شريك في تقدير ، ولا تفاوت في تدبير ، صوّر ما أبدع على غير مثال ، وخلق ما خلق بلا معونة من أحد ولا تكلّف ولا احتيال ، أنشأها فكانت وبرأها فبانت ، فهو الله الّذي لا إله إلّا هو المتقن الصنعة الحسن الصنيعة ، الّذي لا يجور ، والإكرم الّذي ترجع إليه الأُمور .

وأشهد أنّه الّذي تواضع كلّ شيء لقدرته ، وخضع كلّ شيء لهيبته ، ملك الأملاك ، ومفلّك الأفلاك ، ومسخّر الشمس والقمر كلّ يجري لأجل مسمّى ، يكوّر اللّيل على النّهار[1] ويكوّر النّهار على الليل يطلبه حثيثاً ، قاصم كلّ جبّار عنيد ، ومهلك كلّ شيطان مريد ، لم يكن معه ضدّ ولا ندّ ، أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، إله واحد وربّ ماجد ، يشاء فيمضي ، ويريد فيقضي ، ويعلم فيحصي ، ويميت ويحيي ، ويفقر ويغني ، ويضحك ويبكي ، ويمنع ويعطي ، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير ، يولج اللّيل في النّهار ويولج النّهار في الليل لا إله إلّا هو العزيز الغفّار ، مجيب الدّعاء ومجزل العطاء ، محصي الأنفاس وربّ الجنّة والنّاس ، لا يشكل عليه شيء ، ولا يضجره صراخ المستصرخين ، ولا يبرمه إلحاح الملحّين ، العاصم للصّالحين ، والموفّق للمفلحين ، ومولى العالمين ، الّذي استحقّ من كلّ من خلق أن يشكره ويحمده ، أحمده على السرّاء والضرّاء والشدّة والرّخاء ، وأؤمن به وبملائكته وكتبه ورسله ، أسمع أمره وأطيع ، وأُبادر إلى كلّ ما يرضاه ، وأستسلم لقضائه رغبة في طاعته وخوفاً من عقوبته ، لأنّه الله الّذي لا يؤمن مكره ولا يخاف جوره ، وأقرّ له على نفسي بالعبوديّة ، وأشهد له بالربوبيّة ، وأُؤدّي ما أُوحي إليّ حذراً من أن لا أفعل فتحلّ بي منه قارعة[2] ، لا يدفعها عنّي أحد وإن عظمت حيلته ، لا إله إلّا هو ، لأنّه قد أعلمني أنّي إن لم أُبلّغ ما أنزل إليّ فما بلّغت رسالته ، وقد ضمن لي تبارك وتعالى العصمة ، وهو الله الكافي الكريم ، فأوحى إليّ : ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ ﴾ في عليّ [يعني في الخلافة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام] ﴿ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ .

معاشر النّاس ، ما قصّرت في تبليغ ما أنزل الله تعالى إليّ ، وأنا مبيّن لكم سبب نزول هذه الآية :

---

(١) كور الشيء : إدارته ، ضمّ بعضه إلى بعض ككور العمامة ، ويكوّر الليل على النّهار ويكوّر النّهار على الليل : إشارة إلى جريان الشمس في مطالعها وانتقاص الليل والنّهار وازديادهما .

(٢) القارعة : الداهية والنكبة المهلكة .

إنّ جبرئيل عليه السلام هبط إليّ مراراً ثلاثاً يأمرني عن السّلام ربّي وهو السّلام أن أقوم في هـذا المشـهد فأُعلم كلّ أبيض وأسود أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام أخي ووصيّي وخليفتي والإمام من بعدي ، الّذي محلّه منّي محلّ هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي ، وهو وليّكم من بعد الله ورسوله ، وقد أنزل الله تبارك وتعالى عَلَيّ بذلك آية من كتابه : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[1] وعليّ بن أبي طالب عليه السلام أقام الصّلاة وآتى الزكاة وهو راكع يريد الله عزّ وجلّ في كلّ حال .

وسألت جبرئيل أن يستعفي لي عن تبليغ ذلك إليكم أيّها النّاس لعلمي بـقلّة المـتّقين وكـثرة المنافقين ، وإدغال[2] الآثمين ، وختل[3] المستهزئين بالإسلام الّذين وصفهم الله في كتابه بأنّهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ويحسبونه هيّناً وهو عند الله عظيم ، وكثرة أذاهم لي في غير مرّة حتّى سمّوني أُذناً[4] ، وزعموا أنّي كذلك لكثرة ملازمته إيّاي وإقبالي عليه ، حتّى أنزل الله عزّ وجلّ في ذلك قرآناً : ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ ﴾ على الّذين يزعمون أنّه أذن ﴿ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية[5] ، ولو شئت أن أُسمّي بأسمائهم لسمّيت ، وأن أُومي بأعيانهم لأومأت ، وأن أدلّ عليهم لدللت ، ولكنّي والله في أُمورهم قـد تكـرّمت ، وكـلّ ذلك لا يرضى الله منّي إلّا أن أُبلّغ ما أنزل إليّ ، ثمّ تلا صلّى الله عليه وآله : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ ﴾ في عليّ ﴿ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ .

فاعلموا معاشر النّاس أن الله قد نصبه لكم وليّاً وإماماً مفترضاً طاعته على المهاجرين والأنصار وعلى التابعين لهم بإحسان ، وعلى البادي والحاضر ، وعلى الأعجمي والعربي ، والحرّ والمملوك ، والصّغير والكبير ، وعلى الأبيض والأسود ، وعلى كلّ موحّد ماض حكمه ، جائز قوله ، نافذ أمره ، ملعون من خالفه ، مرحوم من تبعه ، مؤمن من صدّقه ، فقد غفر الله له ولمن سمع منه وأطاع له .

معاشر النّاس إنّه آخر مقام أقومه في هذا المشهد فاسمعوا وأطيعوا وانقادوا لأمر ربّكم ، فـإنّ الله عزّ وجلّ هو مولاكم وإلهكم ثمّ من دونه محمّد صلّى الله عليه وآله وليّكم القائم المخاطب لكم ، ثمّ من بعدي عليّ

---

(١) المائدة ٥٥.

(٢) الإدغال : المخالفة والخيانة ، وأدغل في الأمر : أدخل فيه ما يفسده.

(٣) الختل : الخديعة.

(٤) الأُذن بضمّتين : الرّجل المستمع لما يقال له.

(٥) التوبة ٦١.

وليّكم وإمامكم بأمر ربّكم ، ثمّ الإمامة في ذرّيّتي من ولده إلى يوم تلقون الله ورسوله ، لا حلال إلّا ما أحلّه الله ، ولا حرام إلّا ما حرّمه الله ، عرّفني الحلال والحرام وأنا أفضيت بما علّمني ربّي من كتابه وحلاله وحرامه إليه .

معاشر النّاس ما من علم إلّا وقد أحصاه الله فيّ ، وكلّ علم عُلِّمْتُ فقد أحصيته في إمام المتّقين ، وما من علم إلّا علّمته عليّاً ؛ وهو الإمام المبين .

معاشر النّاس لا تضلّوا عنه ولا تنفروا منه ولا تستكبروا [ولا تستنكفوا ـ خل] من ولايته ، فهو الّذي يهدي إلى الحقّ ويعمل به ، ويزهق الباطل وينهى عنه ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، ثمّ إنّه أوّل من آمن بالله ورسوله ، وهو الّذي فدى رسوله بنفسه ، وهو الّذي كان مع رسول الله ولا أحد يعبد الله مع رسوله من الرّجال غيره .

معاشر النّاس فضّلوه فقد فضّله الله ، واقبلوه فقد نصبه الله .

معاشر النّاس إنّه إمام من الله ، ولن يتوب الله على أحد أنكر ولايته ، ولن يغفر الله له ، حتماً على الله أن يفعل ذلك بمن خالف أمره فيه ، وأن يعذّبه عذاباً شديداً نكراً أبد الآباد ودهر الدّهور ، فاحذروا أن تخالفوه فتصلوا ناراً وقودها النّاس والحجارة أُعدّت للكافرين .

أيّها النّاس بي والله بشّر الأوّلون من النبيّين والمرسلين ، وأنا خاتم الأنبياء والمرسلين ، والحجّة على جميع المخلوقين من أهل السّماوات والأرضين ؛ فمن شكّ في ذلك فهو كافر كفر الجاهليّة الأُولى ، ومن شكّ في شيء من قولي هذا فقد شكّ في الكلّ منه ، والشاكّ في ذلك فله النّار .

معاشر النّاس حباني الله بهذه الفضيلة منّاً منه عَلَيّ ، وإحساناً منه إليّ ، ولا إله إلّا هو ، له الحمد منّي أبد الآبدين ودهر الدّاهرين على كلّ حال .

معاشر النّاس فضّلوا عليّاً فإنّه أفضل النّاس بعدي من ذكر وأُنثى ، بنا أنزل الله الرزق وبقي الخلق ، ملعون ملعون مغضوب مغضوب من ردّ عَلَيّ قولي هذا ولم يوافقه ، ألا إنّ جبرئيل خبّرني عن الله تعالى بذلك ويقول : «من عادى عليّاً ولم يتولّه فعليه لعنتي وغضبي» فلتنظر نفس ما قدّمت لغد ، واتّقوا الله أن تخالفوه فتزلّ قدم بعد ثبوتها إنّ الله خبير بما تعملون .

معاشر النّاس إنّه جنب الله الّذي ذكر في كتابه فقال تعالى : ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ

فِي جَنبِ ٱللهِ ﴾(١) .

معاشر النّاس تدبّروا «القرآن» وافهموا آياته وانظروا إلى محكماته ولا تتّبعوا متشابهه ، فوالله لن يبيّن لكم زواجره ولا يوضّح لكم تفسيره إلّا الّذي أنا آخذ بيده ومصعده إليّ ـ **وشائل بعضده ـ ومعلمكم أنّ من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ، وهو عليّ بن أبي طالب** عليه السلام أخي ووصيّي ، وموالاته من الله عزّ وجلّ أنزلها عَلَيَّ .

معاشر النّاس إنّ عليّاً والطيّبين من ولدي هم الثقل الأصغر ، و«القرآن» الثقل الأكبر ، فكلّ واحد منبئ عن صاحبه وموافق له ، لن يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض ، هم اُمناء الله في خلقه وحكماؤه في أرضه ، ألا وقد أدّيت ، ألا وقد بلّغت ، ألا وقد أسمعت ، ألا وقد أوضحت ، ألا وإنّ الله عزّ وجلّ قال وأنا قلت عن الله عزّ وجلّ ، ألا إنّه ليس أميرالمؤمنين غير أخي هذا ولا تحلّ إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره .

ثمّ ضرب بيده إلى عضده فرفعه ، وكان منذ أوّل ما صعد رسول الله صلّى الله عليه وآله شال عليّاً حتّى صارت رجله مع ركبة رسول الله صلّى الله عليه وآله ، ثمّ قال :

معاشر النّاس هذا علي أخي ووصيّي وواعي علمي وخليفتي على اُمّتي وعلى تفسير كتاب الله عزّ وجلّ والداعي إليه والعامل بما يرضاه والمحارب لأعداه والموالي على طاعته والنّاهي عن معصيته ، خليفة رسول الله وأميرالمؤمنين والإمام الهادي ، وقاتل النّاكثين والقاسطين والمارقين بأمر الله ، أقول ما يبدّل القول لديّ بأمر ربّي ، أقول : اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه والعن من أنكره واغضب على من جحد حقّه ، اللّهمّ إنّك أنزلت عَلَيّ أنّ الإمامة بعدي لعليّ وليّك عند تبياني ذلك ونصبي إيّاه بما أكملت لعبادك من دينهم وأتممت عليهم بنعمتك ورضيت لهم الإسلام دينا ، فقلت : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴾(٢) اللّهمّ إنّي اُشهدك وكفى بك شهيداً أنّي قد بلّغت .

معاشر النّاس إنّما أكمل الله عزّ وجلّ دينكم بإمامته ، فمن لم يأتمّ به وبمن يقوم مقامه من ولدي من صلبه إلى يوم القيامة والعرض على الله عزّ وجلّ فأولئك الّذين حبطت أعمالهم وفي النّار هم فيها خالدون ، لا يخفّف عنهم العذاب ولا هم ينظرون .

---

(١) الزمر ٥٦.

(٢) آل عمران ٨٥.

معاشر النّاس هذا عليّ أنصركم لي ، وأحقّكم بي ، وأقربكم إليّ ، وأعزّكم عَلَيّ ، والله ﷻ وأنا عنه راضيان ، وما نزلت آية رضىً إلّا فيه ، وما خاطب الله الّذين آمنوا إلّا بدأ به ، ولا نزلت آية مدح في «القرآن» إلّا فيه ، ولا شهد بالجنّة في هل أتى على الإنسان إلّا له ، ولا أنزلها في سواه ، ولا مدح بها غيره .

معاشر النّاس هو ناصر دين الله ، والمجادل عن رسول الله ، وهو التقيّ النقيّ الهادي المهدي ، نبيّكم خير نبيّ ووصيّكم خير وصيّ وبنوه خير الأوصياء .

معاشر النّاس ذرّيّة كلّ نبيّ من صلبه وذرّيّتي من صلب عليّ .

معاشر النّاس إنّ إبليس أخرج آدم من الجنّة بالحسد ، فلا تحسدوه فتحبط أعمالكم وتزلّ أقدامكم ، فإنّ آدم أُهبط إلى الأرض بخطيئة واحدة وهو صفوة الله ﷻ وكيف بكم وأنتم أنتم ومنكم أعداء الله ، ألا إنّه لا يبغض عليّاً إلّا شقيّ ، ولا يتوالى عليّاً إلّا تقيّ ، ولا يؤمن به إلّا مؤمن مخلص ، وفي عليّ والله نزلت سورة والعصر ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ إلى آخرها .

معاشر النّاس قد استشهدت الله وبلّغتكم رسالتي ، وما على الرّسول إلّا البلاغ المبين .

معاشر النّاس ﴿ إتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوْتُنَّ إلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُوْنَ ﴾[١] .

معاشر النّاس آمِنوا بالله ورسوله والنّور الّذي أُنزل معه من قبل أن نطمس وجوهاً فنردّها على أدبارها .

معاشر النّاس النّور من الله ﷻ فيّ مسلوك ثمّ في عليّ ثمّ في النّسل منه إلى القائم المهدي الّذي يأخذ بحقّ الله وبكلّ حقّ هو لنا ، لأنّ الله ﷻ قد جعلنا حجّة على المقصّرين والمعاندين والمخالفين والخائنين والآثمين والظالمين من جميع العالمين .

معاشر النّاس أُنذركم أنّي رسول الله قد خلت من قبلي الرّسل أفإن متُّ أو قتلتُ انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشّاكرين ، ألا وإنّ عليّاً هو الموصوف بالصّبر والشّكر ثمّ من بعده ولدي من صلبه .

معاشر النّاس لا تمنّوا على الله إسلامكم فيسخط عليكم ويصيبكم بعذاب من عنده إنّه لبالمرصاد .

---

(١) آل عمران ١٠٢.

معاشر النّاس إنّه سيكون من بعدي أئمّة يدعون إلى النّار ويوم القيامة لا ينصرون .

معاشر النّاس إنّ الله وأنا بريئان منهم .

معاشر النّاس إنّهم وأنصارهم وأتباعهم وأشياعهم في الدّرك الأسفل من النّار ولبئس مثوى المتكبّرين ، ألا إنّهم أصحاب الصحيفة فلينظر أحدكم في صحيفته» .

قال : «فذهب على النّاس إلّا شرذمة منهم أمر الصّحيفة .

معاشر النّاس إنّي أدعها إمامة ووراثة في عقبي إلى يوم القيامة ، وقد بلّغت ما أُمرت بتبليغه حجّة على كلّ حاضر وغائب وعلى كلّ أحد ممّن شهد أو لم يشهد ، ولد أو لم يولد ، فليبلّغ الحاضر الغائب والوالد الولد إلى يوم القيامة ، وسيجعلونها مُلْكاً واغتصاباً ، ألا لعن الله الغاصبين والمغتصبين ، وعندها سنفرغ لكم أيّها الثقلان فيرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران .

معاشر النّاس إنّ الله ﷻ لم يكن يذركم على ما أنتم عليه حتّى يميز الخبيث من الطيّب ، وماكان الله ليطلعكم على الغيب .

معاشر النّاس إنّه ما من قرية إلّا والله مهلكها بتكذيبها ، وكذلك يهلك القرى وهي ظالمة كما ذكر الله تعالى ، وهذا عليّ إمامكم ووليّكم وهو مواعيد الله والله يصدّق ما وعده .

معاشر النّاس قد ضلّ قبلكم أكثر الأوّلين ، والله لقد أهلك الأوّلين وهو مهلك الآخرين ، قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ * ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلآخِرِينَ * كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾[1] .

معاشر النّاس إنّ الله قد أمرني ونهاني ، وقد أمرت عليّاً ونهيته ، فعلم الأمر والنّهي من ربّه ﷻ ، فاسمعوا لأمره تسلموا ، وأطيعوه تهتدوا ، وانتهوا لنهيه ترشدوا ، وصيروا إلى مراده ولا تتفرّق بكم السّبل عن سبيله .

معاشر النّاس أنا صراط الله المستقيم الّذي أمركم باتّباعه ، ثمّ عليّ من بعدي ، ثمّ ولدي من صلبه أئمّة يهدون إلى الحقّ وبه يعدون ، ثمّ قرأ : ﴿ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ العَالَمِين ﴾ إلى آخرها وقال : فيّ نزلت وفيهم نزلت ولهم عمّت وإيّاهم خصّت ، أولئك أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ألا إنّ حزب الله هم المفلحون ، ألا إنّ أعداء عليّ هم أهل الشقاق والنفاق والحادون وهم العادون وإخوان الشياطين الّذين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ، ألا إنّ أولياءهم الّذين

---

(١) المرسلات ١٦ ـ ١٩.

ذكرهم الله في كتابه فقال ﷻ : ﴿ لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ[١] اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ إلى آخر الآية[٢] ، ألا إنّ أولياءهم الّذين وصفهم الله ﷻ فقال : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا[٣] إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُهْتَدُونَ ﴾[٤] ألا إنّ أولياءهم الّذين وصفهم الله ﷻ فقال : الّذين يدخلون الجنّة آمنين تتلقّاهم الملائكة بالتسليم أن طبتم فادخلوها خالدين[٥] ، ألا إنّ أولياءهم الّذين قال لهم الله ﷻ : يدخلون الجنّة بغير حساب[٦] ، ألا إنّ أعداءهم يصلون سعيراً[٧] ، ألا إنّ أعداءهم الّذين يسمعون لجهنّم شهيقاً وهي تفور ولها زفير[٨] ، ألا إنّ أعداءهم الّذين قال الله فيهم : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ الآية[٩] ، ألا إنّ أعداءهم الّذين قال الله ﷻ : ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلاَلٍ كَبِيرٍ ﴾[١٠] ألا إنّ أولياءهم الّذين يخشون ربّهم بالغيب لهم مغفرة وأجرٌ كبير .

معاشر النّاس شتّان مابين السعير والجنّة ، عدوّنا من ذمّه الله ولعنه ، ووليّنا من مدحه الله وأحبّه .

معاشر النّاس ألا وإنّي منذر وعليٌّ هاد .

معاشر النّاس إنّي نبيّ وعليّ وصيّ ، ألا إنّ خاتم الأئمّة منّا القائم المهدي ، ألا إنّه الظّاهر على الدّين ، ألا إنّه المنتقم من الظّالمين ، ألا إنّه فاتح الحصون وهادمها ، ألا إنّه قاتل كلّ قبيلة من أهل الشرك ، ألا إنّه مدرك بكلّ ثار لأولياء الله ، ألا إنّه الناصر لدين الله ، ألا إنّه الغراف[١١] في بحر

---

(١) حادّه بتضعيف الدال : خالفه ولم يطع أمره .

(٢) المجادلة ٢٢.

(٣) أي يستروا إيمانهم بظلم ، فإنّ اللبس في الأصل بمعنى السّتر .

(٤) الأنعام ٨٢.

(٥) هذا المضمون مأخوذ من قوله تعالى ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ . [الزمر ٧٣]

(٦) مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ . [غافر ٤٠]

(٧) مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً * وَيَصْلَى سَعِيراً ﴾ . [الإنشقاق ١٢]

(٨) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيرا ﴾ . [الفرقان ١٢]

(٩) الأعراف ٣٨.

(١٠) الملك ٨ ـ ٩.

(١١) غرف الماء بيده : أخذه بها ، وهذا إشارة إلى ما أخذه عليّ ﷺ من علوم النّبيّ ﷺ الكثيرة الّتي هي كالبحر العميق الّذي لم يصل النّاس إلى أعماقه .

عميق ، ألا إنّه يَسِمُ[١] كلّ ذي فضل بفضله وكلّ ذي جهل بجهله، ألا إنّه خيرة الله ومختاره ، ألا إنّه وارث كلّ علم والمحيط به ، ألا إنّه المخبر عن ربه ﷻ والمنبّه بأمر إيمانه ، ألا إنّه الرشيد السديد ، ألا إنّه المفوّض إليه ، ألا إنّه قد بشّر من سلف بين يديه ، ألا إنّه الباقي حجّة ولا حجّة بعده ولا حقّ إلّا معه ، ولا نور إلّا عنده ، ألا إنّه لا غالب له ولا منصور عليه ، ألا وإنّه وليّ الله في أرضه وحكمه في خلقه وأمينه في سرّه وعلانيته .

معاشر النّاس قد بيّنت لكم وأفهمتكم ، وهذا عليّ يُفهمكم بعدي ، ألا وإنّي عند انقضاء خطبتي أدعوكم إلى مصافقتي[٢] على بيعته والإقرار به ثمّ مصافقته بعدي ، ألا وإنّي قد بايعت الله وعليّ قد بايعني ، وأنا آخذكم بالبيعة له عن الله ﷻ ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ الآية[٣] .

معاشر النّاس إنّ الحجّ والصفا والمروة والعمرة من شعائر الله ﴿ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ الآية[٤] .

معاشر النّاس حجوا البيت ، فما ورده أهل بيت إلّا استغنوا ، ولا تخلّفوا عنه إلّا افتقروا .

معاشر النّاس ما وقف بالموقف مؤمن إلّا غفر الله له ما سلف من ذنبه إلى وقته ذلك فإذا انقضت حجّته استؤنف عمله .

معاشر النّاس الحجّاج معانون[٥] ونفقاتهم مخلّفة ، والله لا يضيع أجر المحسنين .

معاشر النّاس حجّوا البيت بكمال الدّين والتفقّه ، ولا تنصرفوا عن المشاهد إلّا بتوبة وإقلاع[٦] .

معاشر النّاس أقيموا الصّلاة وآتوا الزّكاة كما أمركم الله ﷻ ، لئن طال عليكم الأمد فقصّرتم أو نسيتم فعليّ وليّكم ومبيّن لكم الّذي نصبه الله ﷻ بعدي ، ومن خلّفه الله منّي وأنا منه يخبركم بما تسألون عنه ، ويبيّن لكم مالا تعلمون ، ألا إنّ الحلال والحرام أكثر من أن أُحصيهما وأُعرّفهما ، فآمر بالحلال وأنهي عن الحرام في مقام واحد ، فأُمرت أن آخذ البيعة منكم والصفقة لكم بقبول ما

---

(١) يسم الشيء : يجعل له علامة يعرف بها .

(٢) صفق يده بالبيعة ، وصفق على يده : ضرب يده على يده ، والمصافقة : المبايعة .

(٣) الفتح ١٠ ، ونكث العهد والبيع : نقضه ونبذه .

(٤) البقرة ١٥٨ .

(٥) معانون : مساعدون ، ومخلّفة : معوّضة .

(٦) الإقلاع : الترك ، والمراد منه هنا ترك الذنوب .

جئت به عن الله ﷻ في عليّ أميرالمؤمنين والأئمّة من بعده الّذين هم منّي ومنه ، أئمّة قائمة منهم المهديّ إلى يوم القيامة يقضي بالحقّ .

معاشر النّاس وكلّ حلال دللتكم عليه أو حرام نهيتكم عنه فإنّي لم أرجع عن ذلك ولم أُبدّل ، ألا فاذكروا ذلك واحفظوه وتواصوا به ولا تبدّلوه ولا تغيّروه ، ألا وإنّي أُجدّد القول ، ألا فأقيموا الصّلاة وآتوا الزّكاة وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، ألا وإنّ رأس الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر أن تنتهوا إلى قولي وتبلّغوه من لم يحضر وتأمروه بقبوله وتنهوه عن مخالفته ، فإنّه أمر من الله ﷻ ومنّي ، ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر إلّا مع إمام معصوم .

معاشر النّاس «القرآن» يعرّفكم أنّ الأئمّة من بعده ولده ، وعرّفتكم أنّه منّي وأنا منه ، حيث يقول الله في كتابه ﴿ وَجَعَلَها كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾[1] وقلت : «لن تضلّوا ما إن تمسّكتم بهما» .

معاشر النّاس التقوى التقوى ، إحذروا السّاعة كما قال الله ﷻ ﴿ إنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيءٌ عَظِيمٌ ﴾[2] اُذكروا الممات والحساب والموازين والمحاسبة بين يدي ربّ العالمين والثواب والعقاب ؛ فمن جاء بالحسنة اُثيب عليها ومن جاء بالسيّئة فليس له في الجنان نصيب .

معاشر النّاس إنّكم أكثر من أن تصافقوني بكفّ واحدة ، وقد أمرني الله ﷻ أن آخذ من ألسنتكم الإقرار بما عقدت لعليّ من إمرة المؤمنين ومن جاء بعده من الأئمّة منّي ومنه على ما أعلمتكم أنّ ذرّيّتي من صلبه ، فقولوا بأجمعكم «إنّا سامعون مطيعون راضون منقادون لما بلّغت عن ربّنا وربّك في أمر عليّ وأمر ولده من صلبه من الأئمّة ، نبايعك على ذلك بقلوبنا وأنفسنا وألسنتنا وأيدينا ، على ذلك نحيى ونموت ونبعث ولا نغيّر ولا نبدّل ولا نشكّ ولا نرتاب ولا نرجع عن عهد ولا ننقض الميثاق ، نطيع الله ونطيعك وعليّاً أميرالمؤمنين وولده الأئمّة الّذين ذكرتهم من ذرّيّتك من صلبه بعد الحسن والحسين الّذين قد عرّفتكم مكانهما منّي ومحلّهما عندي ومنزلتهما من ربّي ﷻ» فقد أدّيت ذلك إليكم وإنّهما سيّدا شباب أهل الجنّة ، وإنّهما الإمامان بعد أبيهما عليّ وأنا أبوهما قبله ، وقولوا «أطعنا الله بذلك وإيّاك وعليّاً والحسن والحسين والأئمّة الّذين ذكرت عهداً وميثاقاً مأخوذاً لأميرالمؤمنين من قلوبنا وأنفسنا وألسنتنا ومصافقة أيدينا من أدركهما بيده وأقرّ بهما بلسانه ولا نبتغي بذلك بدلاً ولا نرى من أنفسنا عنه حولاً أبداً ، أشهدنا الله وكفى بالله

---

(١) الزخرف ٢٨.

(٢) الحج ١.

شهيداً وأنت علينا به شهيد ، وكلّ من أطاع ممّن ظهر واستتر وملائكة الله وجنوده وعبيده والله أكبر من كلّ شهيد» .

معاشر النّاس ما تقولون فإنّ الله يعلم كلّ صوت ، وخافية كلّ نفس ، فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فإنّما يضلّ عليها ، ومن بايع فإنّما يبايع الله ، يد الله فوق أيديهم .

معاشر النّاس فاتّقوا الله وبايعوا عليّاً أميرالمؤمنين والحسن والحسين والأئمّة كلمة طيّبة باقية ، يهلك الله من غدر ويرحم الله من وفى ، ومن ﴿ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾ الآية .

معاشر النّاس قولوا الّذي قلت لكم وسلّموا على عليّ بامرة المؤمنين ، وقولوا ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[1] ، وقولوا ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾[2] الآية .

معاشر النّاس إنّ فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام عند الله عزّ وجلّ ، وقد أنزلها في «القرآن» أكثر من أن أحصيها في مقام واحد ، فمن أنبأكم بها وعرّفها فصدّقوه .

معاشر النّاس من يطع الله ورسوله وعليّاً والأئمّة الّذين ذكرتهم فقد فاز فوزاً عظيماً .

معاشر النّاس السّابقون السّابقون إلى مبايعته وموالاته والتّسليم عليه بإمرة المؤمنين ، أولئك هم الفائزون في جنّات النّعيم .

معاشر النّاس قولوا ما يرضي الله به عنكم من القول ، فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فلن يضرّ الله شيئاً ، اللّهمّ اغفر للمؤمنين واغضب على الكافرين والحمد لله ربّ العالمين .

فناداه القوم : سمعنا وأطعنا على أمر الله وأمر رسوله بقلوبنا وألسنتنا وأيدينا وتداكّوا[3] على رسول الله وعلى عليّ عليه السلام فصافقوا بأيديهم ، فكان أوّل من صافق رسول الله صلى الله عليه وآله الأوّل والثّاني والثالث والرابع والخامس وباقي المهاجرين والأنصار ، وباقي النّاس على طبقاتهم وقدر منازلهم ، إلى أن صلّيت المغرب والعتمة في وقت واحد ، وواصلوا البيعة والمصافقة ثلاثاً ورسول الله يقول كلّما بايع قوم : الحمد لله الّذي فضّلنا على جميع العالمين ، وصارت المصافقة سنّة ورسماً ، وربّما يستعملها من ليس له حقّ فيها» .

---

(١) البقرة ٢٨٥.

(٢) الأعراف ٤٣.

(٣) تداكوا عليه : ازدحموا عليه .

وروي عن الصّادق عليه السلام **أنّه قال**: «لمّا فرغ رسول الله ﷺ من هذه الخطبة، رأى النّاس رجلاً جميلاً بهيّاً طيّب الريح، فقال: تالله ما رأيت محمّداً كاليوم قط، ما أشدّ ما يؤكّد لابن عمّه وإنّه يعقد عقداً لا يحلّه إلّا كافر بالله العظيم وبرسوله، ويل طويل لمن حلّ عقده».

قال: «والتفت إليه عمر بن الخطّاب حين سمع كلامه فأعجبته هيئته، ثمّ التفت إلى النّبيّ ﷺ وقال: أما سمعت ما قال هذا الرّجل، قال كذا وكذا؟

فقال النّبيّ ﷺ: يا عمر أتدري من ذاك الرّجل؟

قال: لا.

قال: ذلك الرّوح الأمين جبرئيل، فإيّاك أن تحلّه، فإنّك إن فعلت فالله ورسوله وملائكته والمؤمنون منك براء».

ذكر تعيين الأئمّة الطاهرة بعد النّبيّ ﷺ واحتجاج الله تعالى بمكانهم على كافّة الخلق

روى **أبو بصير** عن أبي عبدالله الصّادق عليه السلام أنّه قال: «قال أبي محمّد بن عليّ لجابر بن عبدالله الأنصاري: إنّ لي إليك حاجة، متى يخفّ عليك أن أخلو بك فأسألك عنها؟

قال له جابر: في أيّ الأحوال أحببت.

فخلا به أبي في بعض الأوقات وقال له: يا جابر أخبرني عن اللّوح الّذي رأيته في يد اُمّي فاطمة وما أخبرتك به اُمّي أنّه في ذلك اللوح مكتوب.

فقال جابر: أشهد بالله أنّي دخلت على اُمّك فاطمة صلوات الله عليها في حياة رسول الله ﷺ فهنّيتها بولادة الحسين عليه السلام ورأيت في يدها لوحاً أخضر، فظننت أنّه من زمرّد، ورأيت فيه كتاباً أبيض شبه نور الشمس، فقلت لها: بأُمّي وأبي أنت يا بنت رسول الله ما هذا اللّوح؟

فقالت هذا اللّوح أهداه الله تعالى إلى رسول الله ﷺ فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابنيّ وأسماء الأوصياء من ولدي، فأعطانيه أبي ليسرّني بذلك.

قال جابر: فأعطتنيه اُمّك عليها السلام فقرأته واستنسخته.

قال له أبي: فهل لك يا جابر أن تعرضه عَلَيّ؟

قال: نعم.

فمشى معه أبي حتّى انتهى إلى منزل جابر وأخرج أبي صحيفة من رقّ وقال : يا جابر أُنظر في كتابك لأقرأ عليك ، فنظر جابر في نسخته وقرأ أبي فما خالف حرف حرفاً .

قال جابر : فأشهد بالله أنّي هكذا رأيت في اللوح مكتوباً :

بسم الله الرّحمن الرّحيم

هذا كتاب من الله العزيز العليم لمحمّد نبيّه ورسوله ونوره وسفيره وحجابه ودليله ، نزل به الرّوح الأمين من عند ربّ العالمين .

عظّم يا محمّد أسمائي ، واشكر نعمائي ، ولا تجحد آلائي ، فإنّي أنا الله لا إله إلّا أنا قاصم الجبّارين ، ومذلّ الظّالمين ، وديّان يوم الدّين ، لا إله إلّا أنا ، من رجا غير فضلي أو خاف غير عدلي عذّبته عذاباً لا أُعذّبه أحداً من العالمين ، فإيّاي فاعبد وعَلَيّ فتوكّل ، إنّي لم أبعث نبيّاً فأكملت أيّامه وانقضت مدّته إلّا جعلت له وصيّاً ، وإنّي فضّلتك على الأنبياء وفضّلت وصيّك على الأوصياء ، وأكرمتك بشبلَيك بعده وسبطيك الحسن والحسين ؛ فجعلت حسناً معدن علمي بعد انقضاء مدّة أبيه ، وجعلت حسيناً خازن علمي وأكرمته بالشهادة وختمت له بالسعادة ، وهو أفضل من استشهد وأرفع الشهداء درجة ، وجعلت كلمتي التامّة معه وحجّتي البالغة عنده ، بعترته أُثيب وأُعاقب : أوّلهم عليّ سيّد العابدين وزين أوليائي الماضين ، وابنه شبيه جدّه المحمود محمّد ؛ الباقر لعلمي ، والمعدن لحكمتي ، سيهلك المرتابون في جعفر الصادق ، الرادّ عليه كالرادّ عَلَيّ ، حقّ القول منّي لأكرمنّ مثوى جعفر ولأُسرّنّه في أشياعه وأنصاره وأوليائه ، وانتجبت بعده موسى ، وأتيح بعده فتنة عمياء حندس[1] إلّا أنّ خيط فرضي لا ينقطع ، وحجّتي لا تخفى ، وإنّ أوليائي لا يشقون ، ألا ومن جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتي ، ومن غير آية من كتابي فقد افترى عَلَيّ ، وويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدّة عبدي موسى وحبيبي وخيرتي ، ألا إنّ المكذّب بالثّامن مكذّب بكلّ أوليائي ؛ عليّ وليّي وناصري ومن أضع عليه أعباء النبوّة وأمنحه بالإضطلاع بها ، يقتله عفريت مستكبر ، يدفن بالمدينة الّتي بناها العبد الصّالح ، إلى جنب شرّ خلقي ، حقّ القول منّي لأقرّنّ عينه بمحمّد ابنه وخليفته من بعده ووارث علمه ، وهو معدن علمي وموضع سرّي وحجّتي على خلقي ، لا يؤمن به عبد إلّا جعلت الجنّة مثواه وشفّعته في سبعين من أهل بيته كلّهم قد استوجب النّار ،

---

(١) الحندس : الليل المظلم ، والظلمة الشديدة .

وأختم بالسعادة لابنه عليّ وليّي وناصري والشاهد في خلقي وأميني على وحيي ، أُخرج منه الدّاعي إلى سبيلي والخازن لعلمي الحسن العسكري ، ثمّ أُكمّل ديني بابنه محمّد رحمة للعالمين ، عليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيّوب ، سيّد أوليائي ، سيذلّ أوليائي في زمانه وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم ، فيقتلون ويحرقون ويكونون خائفين مرعوبين وجلين ، تصبغ الأرض بدمائهم ويفشو الويل والرنّة في نسائهم ، أولئك أوليائي حقّاً ، بهم أدفع كلّ فتنة عمياء حندس ، وبهم أكشف الزلازل وأرفع الآصار والأغلال ، أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون» .

قال عبدالرّحمن بن سالم[1] : قال أبو بصير : لو لم تسمع في دهرك إلّا هذا الحديث لكفاك ، فَصُنْهُ إلّا عن أهله .

وعن عليّ بن أبي حمزة ، عن جعفر بن محمّد الصّادق ، عن أبيه ، عن آبائه عليهم السلام قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : حدّثني جبرئيل ، عن ربّ العزّة جلّ جلاله أنّه قال : من علم أن لا إله إلّا أنا وحدي ، وأنّ محمّداً عبدي ورسولي ، وأنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام وليّي وخليفتي وحجّتي ، وأنّ الأئمّة الأطهار من ولده حججي ، أدخلته الجنّة برحمتي ، ونجّيته من النّار بعفوي ، وأبحت له جواري ، فأوجبت له كرامتي ، وأتممت عليه نعمتي ، وجعلته من خاصّتي وخالصتي ، إن ناداني لبّيته ، وإن دعاني أجبته ، وإن سألني أعطيته ، وإن سكت ابتدأته ، وإن أساء رحمته ، وإن فرّ منّي دعوته ، وإن رجع إليّ قبلته ، وإن قرع بابي فتحته .

ومن لم يشهد أن لا إله إلّا أنا وحدي ، أو شهد بذلك ولم يشهد أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله عبدي ورسولي ، أو شهد بذلك ولم يشهد أنّ عليّ بن أبي طالب خليفتي ، أو شهد بذلك ولم يشهد أنّ الأئمّة الأطهار من ولده حججي فقد جحد نعمتي ، وصغّر عظمتي ، وكفر بآياتي وكتبي ، إن قصدني حجبته ، وإن سألني حرمته ، وإن ناداني لم أسمع نداءه ، وإن دعاني لم أستجب دعاءه ، وإن رجاني خيّبته ، وذلك جزاؤه منّي وما أنا بظلّام للعبيد .

فقام جابر بن عبدالله الأنصاري فقال : يا رسول الله ومَن الأئمّة من ولد عليّ بن أبي طالب ؟

فقال : الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة ، ثمّ سيّد العابدين في زمانه عليّ بن الحسين ،

---

(١) عبدالرّحمن بن سالم بن عبدالرّحمن الأشل الكوفي العطّار ، وكان سالم بيّاع المصاحف ، وعبدالرّحمن بن سالم أخو عبدالحميد بن سالم ، له كتاب . [رجال النجاشي ١٧٧]

ثمّ الباقر محمّد بن علي ، وستدركه يا جابر ، فإذا أدركته فاقرأه منّي السّلام ، ثمّ الصّادق جعفر بن محمّد ، ثمّ الكاظم موسى بن جعفر ، ثمّ الرّضا عليّ بن موسى ، ثمّ التقيّ الجواد محمّد بن علي ، ثمّ النقيّ عليّ بن محمّد ، ثمّ الزكيّ الحسن بن علي ، ثمّ ابنه القائم بالحقّ مهديّ أُمّتي محمّد بن الحسن صاحب الزمان صلوات الله عليهم أجمعين الّذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، هؤلاء يا جابر خلفائي وأوصيائي وأولادي وعترتي ، من أطاعهم فقد أطاعني ، ومن عصاهم فقد عصاني ، ومن أنكرهم أو أنكر واحداً منهم فقد أنكرني ، بهم يمسك الله ﷻ السّماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه ، وبهم يحفظ الله الأرض أن تميد بأهلها» .

وروي عن النّبيّ ﷺ أنّه قال لعليّ بن أبي طالب ؛ : «يا عليّ لا يحبّك إلّا من طابت ولادته ، ولا يبغضك إلّا من خبثت ولادته ، ولا يواليك إلّا مؤمن ، ولا يعاديك إلّا كافر» .

فقام إليه عبدالله بن مسعود فقال : يا رسول الله فقد عرفنا علامة خبث الولادة والكافر في حياتك ببغض عليّ وعداوته ، فما علامة خبث الولادة والكافر بعدك إذا أظهر الإسلام بلسانه وأخفى مكنون سريرته ؟

فقال رسول الله ﷺ : «يابن مسعود إنّ عليّ بن أبي طالب ؛ إمامكم بعدي ، وخليفتي عليكم ، فإذا مضى فالحسن ، ثمّ الحسين ، إبناي إماماكم بعده ، وخليفَتيّ عليكم ، ثمّ تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد ، أئمّتكم وخلفائي عليكم ، تاسعهم قائم أُمّتي ، يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، لا يحبّهم إلّا من طابت ولادته ، ولا يبغضهم إلّا من خبثت ولادته ، ولا يواليهم إلّا مؤمن ، ولا يعاديهم إلّا كافر ، من أنكر واحداً منهم فقد أنكرني ، ومن أنكرني فقد أنكر الله ﷻ ، ومن جحد واحداً منهم فقد جحدني ، ومن جحدني فقد جحد الله ﷻ ، لأنّ طاعتهم طاعتي ، وطاعتي طاعة الله ﷻ ، ومعصيتهم معصيتي ، ومعصيتي معصية الله ﷻ .

يابن مسعود إيّاك أن تجد في نفسك حرجاً ممّا قضيت فتكفر ، فوعزّة ربّي ما أنا متكلّف ولا أنا ناطق عن الهوى في عليّ والأئمّة ؛ من ولده» .

ثمّ قال ﷺ ـ وهو رافع يديه إلى السّماء ـ : «اللّهمّ وال من والى خلفائي وأئمّة أُمّتي من بعدي ، وعادِ من عاداهم ، وانصر من نصرهم ، واخذل من خذلهم ، ولا تُخلِ الأرض من قائم منهم بحجّتك ؛ إمّا ظاهرٍ مشهورٍ أو خائفٍ مغمورٍ ، لئلّا يبطل دينك وحجّتك وبيّناتك» .

ثمّ قال ﷺ : «يابن مسعود قد جمعت لكم في مقامي هذا ما إن فارقتموه هلكتم ، وإن تمسّكتم به نجوتم ، والسّلام على من اتّبع الهدى» .

والأخبار في هذا المعنى متواترة لا تحصى كثرةً ، ذكرنا طرفاً منها جلاءً للأبصار وشفاءً لما في الصّدور وهدىً لقوم ينصفون .

ذكر طرف ممّا جرىٰ بعد وفاة رسول الله ﷺ من اللّجاج والحجاج في أمر الخلافة مَن قبل مَن استحقّها ومَن لم يستحق، والإشارة إلى شيء من إنكار مَن أنكر على من تأمّر على عليّ بن أبي طالب عليه السلام تأمّره وكيد من كاده من قبل ومن بعد

عن **أبي المفضّل محمّد بن عبدالله الشيباني** بإسناده الصحيح عن رجاله ثقة عن ثقة : أنّ النّبيّ ﷺ خرج في مرضه الّذي توفّي فيه إلى الصّلاة متوكّئاً على الفضل بن عبّاس وغلام له يقال له ثوبان ، وهي الصّلاة الّتي أراد التخلّف عنها لثقله ثمّ حمل على نفسه ﷺ وخرج ، فلمّا صلّى عاد إلى منزله ، فقال لغلامه : إجلس على الباب ولا تحجب أحداً من الأنصار ، وتجلاه الغشي[1] وجاءت الأنصار فأحدقوا بالباب وقالوا : إستأذن لنا على رسول الله ﷺ ، فقال : هو مغشي عليه ، وعنده نساؤه ، فجعلوا يبكون ، فسمع رسول الله ﷺ البكاء ، فقال : «من هؤلاء» ؟

قالوا : الأنصار .

فقال : «من هاهنا من أهل بيتي» ؟

قالوا : عليّ والعبّاس .

فدعاهما وخرج متوكّياً عليهما ، فاستند إلى جذع من أساطين مسجده ـ وكان الجذع جريد نخل ـ فاجتمع النّاس وخطب وقال في كلامه : «معاشر النّاس إنّه لم يمت نبيّ قطّ إلّا خلّف تركة ، وقد خلّفت فيكم الثقلين ؛ كتاب الله وأهل بيتي ، ألا فمن ضيّعهم ضيّعه الله ، ألا وإنّ الأنصار كُرشي وعيبتي الّتي آوي إليها ، وإنّي أُوصيكم بتقوى الله والإحسان إليهم ، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم» .

ثمّ دعا أُسامة بن زيد فقال : «سر على بركة الله والنّصر والعافية حيث أمّرتك بمن أمّرتك عليه» .

وكان ﷺ قد أمّره على جماعة من المهاجرين والأنصار فيهم أبوبكر وعمر وجماعة من المهاجرين الأوّلين ، وأمره أن يُغير على مؤتة ، وادٍ في فلسطين .

---

(١) الغشي : الإغماء .

فقال له أُسامة : بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ، أتأذن لي في المقام أيّاماً حتّى يشفيك الله تعالى ، فإنّي متى خرجت وأنت على هذه الحالة خرجت وفي قلبي منك قرحة .

فقال : «أنفذ يا أُسامة لما أمرتك ، فإنّ القعود عن الجهاد لا يجب في حال من الأحوال» .

قال : فبلغ رسول الله ﷺ أنّ النّاس قد طعنوا في عمله ، فقال رسول الله ﷺ : «بلغني أنّكم طعنتم في عمل أُسامة وفي عمل أبيه من قبل ، وأيم الله إنّه لخليق للإمارة وإنّ أباه كان خليقاً لها ، وإنّه وأباه من أحبّ النّاس إليّ فأُوصيكم به خيراً ، فلئن قلتم في إمارته لقد قال قائلكم في إمارة أبيه» .

ثمّ دخل رسول الله ﷺ بيته ، وخرج أُسامة من يومه ذلك حتّى عسكر على رأس فرسخ من المدينة ، ونادى منادي رسول الله ﷺ : أن لا يتخلّف عن أُسامة أحد ممّن أمّرته عليه ، فلحق النّاس به ، وكان أوّل من سارع إليه أبوبكر وعمر وأبو عبيدة الجرّاح ، فنزلوا في رقاق[١] واحد مع جملة أهل العسكر .

قال : وثقل رسول الله ﷺ ، فجعل النّاس ممّن لم يكن في بعث أُسامة يدخلون عليه أرسالاً[٢] وسعد بن عبادة يومئذٍ شاك[٣] ، وكان لا يدخل عليه أحد من الأنصار على النّبيّ ﷺ إلّا انصرف إلى سعد يعوده .

قال : وقبض رسول الله ﷺ وقت الضحى من يوم الإثنين بعد خروج أُسامة إلى معسكره بيومين ، فرجع أهل العسكر والمدينة قد رجفت بأهلها ، فأقبل أبوبكر على ناقة حتّى وقف على باب المسجد فقال : أيّها النّاس ما لكم تموجون[٤] ؟ إن كان محمّد قد مات فربّ محمّد لم يمت ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْئاً ﴾[٥] .

---

(١) الرقاق : الصحراء والأرض المستوية اللينة التراب تحته صلابة ، وقيل : الّتي نضب عنها الماء ، وقيل : الليّنة المتّسعة .

(٢) أي قطائع مجتمعين .

(٣) أي مريض .

(٤) تموجون : تختلف أُموركم وتضطربون .

(٥) آل عمران ١٤٤ .

قال : ثمّ اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة وجاؤا به إلى سقيفة بني ساعدة(١) ، فلمّا سمع بذلك عمر أخبر بذلك أبابكر فمضيا مسرعَين إلى السقيفة ومعهما أبو عبيدة بن الجرّاح ، وفي السقيفة خلق كثير من الأنصار ، وسعد بن عبادة بينهم مريض ، فتنازعوا الأمر بينهم فآل الأمر إلى أن قال أبوبكر في آخر كلامه للأنصار : إنّما أدعوكم إلى أبي عبيدة بن الجرّاح أو عمر ، وكلاهما قد رضيت لهذا الأمر ، وكلاهما أراهما له أهلاً .

فقال عمر وأبو عبيدة : ما ينبغي لنا أن نتقدّمك يا أبابكر وأنت أقدمنا إسلاماً ، وأنت صاحب الغار وثاني اثنين فأنت أحقّ بهذا الأمر وأولى به .

فقالت الأنصار : نحذر أن يغلب هذا الأمر من ليس منّا ولا منكم ، فنجعل منّا أميراً ومنكم أميراً ، ونرضى به على أنّه إن هلك اخترنا آخر من الأنصار .

فقال أبوبكر بعد أن مدح المهاجرين : وأنتم يا معاشر الأنصار ممّن لا ينكر فضلهم ولا نعمتهم العظيمة في الإسلام ، رضيكم الله أنصاراً لدينه ، وكهفاً لرسوله ، وجعل إليكم مهاجرته ، وفيكم محلّ أزواجه ، فليس أحد من النّاس بعد المهاجرين الأوّلين بمنزلتكم ؛ فهم الأُمراء وأنتم الوزراء.

فقال الحباب بن المنذر الأنصاري : يا معشر الأنصار أمسكوا على أيديكم ، فإنّما النّاس في فيئكم وظلالكم ، ولن يجترئ مجتر على خلافكم ، ولن يصدر النّاس إلّا عن رأيكم ـ وأثنى على الأنصار ـ ثمّ قال : فإن أبى هؤلاء تأميركم عليهم فلسنا نرضى بتأميرهم علينا ، ولا نقنع بدون أن يكون منّا أمير ومنهم أمير .

فقام عمر بن الخطّاب فقال : هيهات لا يجتمع سيفان في غمد واحد ، إنّه لا ترضى العرب أن تؤمّركم ونبيّها من غيركم ، ولكن العرب لا تمتنع أن تولّي أمرها من كانت النبوّة فيهم وأُولوا الأمر منهم ، ولنا بذلك على من خالفنا الحجّة الظاهرة والسلطان البيّن ، فما ينازعنا سلطان محمّد ونحن أولياؤه وعشيرته إلّا مدلّ بباطل أو متجانف بإثم(٢) أو متورّط في الهلكة ، محبّ للفتنة .

فقام الحباب بن المنذر ثانية فقال : يا معشر الأنصار أمسكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقال هذا الجاهل وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ، وإن أبوا أن يكون منّا أميرٌ ومنهم أمير فأجلوهم عن بلادكم وتولّوا هذا الأمر عليهم ، فأنتم والله أحقّ به منهم ، فقد دان بأسيافكم قبل هذا الوقت

---

(١) سقيفة بني ساعدة : بالمدينة ، وهي ظلّة كانوا يجلسون تحتها . [مراصد الإطّلاع ٧٢١/٢]

(٢) المدلّ : الّذي يقيم الدليل على مدّعاه ، والمدلّ بباطل : الّذي استدلّ بباطل ، والمتجانف : المائل عن الحق .

من لم يكن يدين بغيرها ، وأنا جذيلها المحكّك وعذيقها المرجّب[1] ، والله لئـن أحـد ردّ قـولي لأحطمنّ أنفه بالسّيف .

قال عمر بن الخطّاب : فلمّاكان الحباب هو الّذي يجيبني لم يكن لي معه كلام ، فإنّه جرت بيني وبينه منازعة في حياة رسول الله ﷺ فنهاني رسول الله ﷺ عن مهاترته[2] فحلفت أن لا أُكلّمه أبداً .

قال عمر لأبي عبيدة : تكلّم .

فقام أبو عبيدة الجرّاح وتكلّم بكلام كثير وذكر فيه فضائل الأنصار .

وكان بشير بن سعد سيّداً من سادات الأنصار لمّا رأى اجتماع الأنـصار عـلى سعد بـن عـبادة لتأميره ، حسده وسعى في إفساد الأمر عليه وتكلّم في ذلك ورضي بتأمير قريش وحثّ النّاس كلّهم لاسيّما الأنصار على الرّضا بما يفعله المهاجرون .

فقال أبوبكر : هذا عمر وأبو عبيدة شيخنان من قريش فبايعوا أيّهما شئتم .

فقال عمر وأبو عبيدة : ما نتولّي هذا الأمر عليك ، أمدد يدك نبايعك .

فقال بشير بن سعد : وأنا ثالثكما ـ وكان سيّد الأوس وسعد بن عبادة سيّد الخزرج ـ .

فلمّا رأت الأوس صنيع سيّدها بشير وما ادّعت إليه الخزرج من تأمير سعد ، أكبّوا على أبي بكر بالبيعة وتكاثروا على ذلك وتزاحموا ، فجعلوا يطأون سعداً من شدّة الزحمة وهو بينهم على فراشه مريض .

فقال : قتلتموني .

قال عمر : أُقتلوا سعداً قتله الله .

فوثب قيس بن سعد فأخذ بلحية عمر وقال : والله يابن صهّاك ؛ الجبان في الحـرب والفـرار ،

---

(١) جذيل : تصغير جذل وهو العود الّذي ينصب للإبل الجربى لتحتك به وهو تصغير تعظيم ، أي أنا ممّن يستشفى برأيه كما تستشفي الإبل الجربى بالإستكاك بهذا العود ، و عذيل تصغير العذق : النخلة ، والرجبة أن تعمد النخلة الكريمة ببناء من حجارة أو خشب إذا خيف عليها لطولها وكثرة حملها أن تقع ، وقد يكون ترجيب النخلة بأن يجعل حولها شوك لئلّا يرقى إليها ، وملخّص المراد من هذا الكلام أنّني الّذي يؤخذ برأيه وهو ستر وحفظ لما يخالف عليه من المكاره والأضرار .

(٢) المهاترة : مأخوذة من الهتر ، وهو السقط في الكلام والخطأ فيه .

الليث في الملأ والأمن ، لو حركت منه شعرة ما رجعت وفي وجهك واضحة[١] .

فقال أبوبكر : مهلاً يا عمر مهلاً فإنّ الرفق أبلغ وأفضل .

فقال سعد : يابن صهّاك ـ وكانت جدّة عمر ـ الحبشيّة أما والله لو أنّ لي قوّة على النهوض لسمعتما منّي في سككها زئيراً أزعجك وأصحابك منها ، ولألحقتكما بقوم كنتما فيهم أذناباً أذلّاء تابعين غير متبوعين ، لقد اجترأتما .

ثمّ قال للخزرج : أحملوني من مكان الفتنة ؛ فحملوه وأدخلوه منزله .

فلمّا كان بعد ذلك بعث إليه أبوبكر أن قد بايع النّاس فبايع .

فقال : لا والله حتّى أرميكم بكلّ سهم في كنانتي ، وأخضب منكم سنان رمحي ، وأضربكم بسيفي ما أقلّت يدي ، فأُقاتلكم بمن تبعني من أهل بيتي وعشيرتي ، ثمّ وأيم الله لو اجتمع الجنّ والإنس عَلَيّ لما بايعتكما ـ أيّهما الغاصبان ـ حتّى أعرض على ربّي وأعلم ما حسابي .

فلمّا جاءهم كلامه ، قال عمر : لابدّ من بيعته .

فقال بشير بن سعد : إنّه قد أبى ولجّ وليس بمبايع أو يقتل ، وليس بمقتول حتّى يقتل معه الخزرج والأوس ؛ فاتركوه فليس تركه بضائر .

فقبلوا قوله وتركوا سعداً ، فكان سعد لا يصلّي بصلاتهم ، ولا يقضي بقضائهم ، ولو وجد أعواناً لصال بهم ولقاتلهم ، فلم يزل كذلك مدّة ولاية أبي بكر حتّى هلك أبوبكر ، ثمّ ولّى عمر وكان كذلك ، فخشي سعد غائلة عمر فخرج إلى الشّام فمات بحوران[٢] في ولاية عمر ولم يبايع أحداً . وكان سبب موته أن رُمِي بسهم في الليل فقتله ، وزُعِمَ أنّ الجنّ رمَوه ، وقيل أيضاً أنّ محمّد بن سلمة الأنصاري تولّى ذلك بجُعْلٍ جعل له عليه ، وروي أنّه تولّى ذلك المغيرة بن شعبة وقيل خالد ابن الوليد .

قال : وبايع جماعة الأنصار ومن حضر من غيرهم ، وعليّ بن أبي طالب مشغول بجهاز رسول الله ﷺ ، فلمّا فرغ من ذلك وصلّى على النّبيّ ﷺ ـ والنّاس يصلّون عليه ؛ مَن بايع أبابكر ومَن لم يبايع ـ جلس في المسجد واجتمع عليه بنوهاشم ومعهم الزبير بن العوام ، واجتمعت بنو أُميّة إلى

---

(١) الواضحة : الأسنان الّتي تبدو عند الضحك .

(٢) حوران ـ بالفتح ـ : كورة واسعة من أعمال دمشق في القبلة ذات قرى كثيرة ومزارع ، قصبتها بصرى ، ومنها أذرعات وزرع وغيرهما . [مراصد الإطّلاع ١/٤٣٥]

عثمان بن عفّان ، وبنو زهرة إلى عبدالرّحمن بن عوف ، فكانوا في المسجد كلّهم مجتمعين إذ أقبل أبوبكر ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجرّاح فقالوا : ما لنا نراكم خلقاً شتّى ، قوموا فبايعوا أبابكر فقد بايعته الأنصار والنّاس .

فقام عثمان وعبدالرّحمن بن عوف ومن معهما فبايعوا ، وانصرف عليّ وبنوهاشم إلى منزل عليّ عليه السلام ومعهم الزّبير .

قال : فذهب إليهم عمر في جماعة ممّن بايع فيهم أُسيد بن الحضير وسلمة بن سلامة فألفوهم مجتمعين ، فقالوا لهم : بايعوا أبابكر فقد بايعه النّاس .

فوثب الزبير إلى سيفه ، فقال عمر : عليكم بالكلب العقور فاكفونا شرّه ؛ فبادر سلمة بن سلامة فانتزع السيف من يده فأخذه عمر فضرب به الأرض فكسره ، وأحدقوا بمن كان هناك من بني هاشم ومضوا بجماعتهم إلى أبي بكر ، فلمّا حضروا قالوا : بايعوا أبابكر فقد بايعه النّاس ، وأيم الله لئن أبيتم ذلك لنحاكمنّكم بالسّيف .

فلمّا رأى ذلك بنو هاشم ، أقبل رجل رجل فجعل يبايع حتّى لم يبق ممّن حضر إلّا عليّ بن أبي طالب ، فقالوا له : بايع أبابكر .

فقال عليّ عليه السلام : «أنا أحقّ بهذا الأمر منه ، وأنتم أولى بالبيعة لي ، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من الرّسول ، وتأخذونه منّا أهل البيت غصباً . ألستم زعمتم للأنصار أنّكم أولى بهذا الأمر منهم لمكانكم من رسول الله صلى الله عليه وآله فأعطوكم المقادة وسلّموا لكم الإمارة ، وأنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار ؛ أنا أولى برسول الله حيّاً وميّتاً ، وأنا وصيّه ووزيره ومستودع سرّه وعلمه ، وأنا الصدّيق الأكبر والفاروق الأعظم ، أوّل من آمن به وصدّقه ، وأحسنكم بلاءاً في جهاد المشركين ، وأعرفكم بالكتاب والسنّة ، وأفقهكم في الدين ، وأعلمكم بعواقب الأُمور ، وأذربكم لساناً[1] وأثبتكم جناناً ، فعلام تنازعونا هذا الأمر ؟ أنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم ، واعرفوا لنا الأمر مثل ما عرفته لكم الأنصار ، وإلّا فبوؤا بالظلم والعدوان وأنتم تعلمون» .

فقال عمر : يا علي أما لك بأهل بيتك أُسوة ؟

فقال عليّ عليه السلام : «سلوهم ذلك» .

---

(١) الذرب ككتف : حديدة الإسكاف الّتي يقطع بها ، وذرب اللسان : حديده .

فابتدر القوم الّذين بايعوا من بني هاشم فقالوا : والله ما بيعتنا لكم بحجّة على عليّ ، ومعاذ الله أن نقول أنّا نوازيه في الهجرة وحسن الجهاد والمحلّ من رسول الله ﷺ .

فقال عمر : إنّك لست متروكاً حتّى تبايع ؛ طوعاً أو كرهاً .

فقال عليّ عليه السلام : «إحلب حلباً لك شطره ، أُشدد له اليوم ليردّ عليك غداً ، إذا والله لا أقبل قولك ولا أحفل بمقامك ولا أُبايع» .

فقال أبوبكر : مهلاً يا أباالحسن ، ما نشكّ فيك ولا نكرهك .

فقام أبو عبيدة إلى عليّ عليه السلام فقال : يابن عم ، لسنا ندفع قرابتك ولا سابقتك ولا علمك ولا نصرتك ، ولكنّك حدث السنّ ـ وكان لعليّ عليه السلام يومئذٍ ثلاث وثلاثون سنة ـ وأبوبكر شيخ من مشايخ قومك ، وهو أحمل لثقل هذا الأمر ، وقد مضى الأمر بما فيه فسُلِّم له ، فإن عمّرك الله يسلّموا هذا الأمر إليك ، ولا يختلف فيك اثنان بعد هذا إلّا وأنت به خليق وله حقيق ، ولا تبعث الفتنة في أوان الفتنة فقد عرفت ما في قلوب العرب وغيرهم عليك .

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : «يا معاشر المهاجرين والأنصار ، الله الله لا تنسوا عهد نبيّكم إليكم في أمري ، ولا تُخرجوا سلطان محمّد من داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم ، ولا تدفعوا أهله عن حقّه ومقامه في النّاس . فوالله معاشر الجمع إنّ الله قضى وحكم ونبيّه أعلم وأنتم تعلمون بأنّا أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم ، أما كان القارئ منكم لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، المضطلع بأمر الرعيّة ، والله إنّه لفينا لا فيكم فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحقّ بعداً ، وتفسدوا قديمكم بشرٍّ من حديثكم» .

فقال بشير بن سعد الأنصاري ـ الّذي وطّأ الأرض لأبي بكر ، وقالت جماعة من الأنصار ـ : يا أباالحسن لو كان هذا الأمر سمعته منك الأنصار قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف فيك اثنان .

فقال عليّ عليه السلام : «يا هؤلاء كنت أدع رسول الله مسجّى لا أُواريه وأخرج أُنازع في سلطانه ؟ والله ما خفت أحداً يسمو له وينازعنا أهل البيت فيه ويستحلّ ما استحللتموه ، ولا علمت أنّ رسول الله ﷺ ترك يوم غدير خم لأحد حجّه ولا لقائل مقالاً ، فأُنشد الله رجلاً سمع النّبيّ يوم غدير خم يقول : «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله» أن يشهد الآن بما سمع» .

قال زيد بن أرقم : فشهد إثنا عشر رجلاً بدريّاً بذلك ، وكنت ممّن سمع القول من رسول

الله ﷺ فكتمت الشهادة يومئذٍ ، فدعا عليّ عَلَيَّ فذهب بصري .

قال : وكثر الكلام في هذا المعنى وارتفع الصوت وخشي عمر أن يصغي النّاس إلى قول عليّ عليه السلام ، ففسح المجلس وقال : إنّ الله يقلّب القلوب ، ولا تزال يا أباالحسن ترغب عن قول الجماعة ، فانصرفوا يومهم ذلك .

وعن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبدالله جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام : جعلت فداك هل كان أحد في أصحاب رسول الله ﷺ أنكر على أبي بكر فعله وجلوسه مجلس رسول الله ﷺ ؟

قال : «نعم ،كان الّذي أنكر على أبي بكر إثنى عشر رجلاً من المهاجرين : خالد بن سعيد بن العاص ـوكان من بني أُميّة ـوسلمان الفارسي ، وأبوذر الغفاري ، والمقداد بن الأسود ، وعمّار بن ياسر ، وبريدة الأسلمي ، ومن الأنصار : أبوالهيثم بن التيهان ، وسهل وعثمان ابنا حنيف ، وخزيمة بن ثابت ذوالشهادتين ، وأُبيّ بن كعب ، وأبو أيّوب الأنصاري .

قال : فلمّا صعد أبوبكر المنبر ، تشاوروا بينهم ، فقال بعضهم لبعض : والله لنأتينّه ولننزلنّه عن منبر رسول الله ﷺ ، وقال آخرون منهم : والله لئن فعلتم ذلك إذاً أعنتم على أنفسكم فقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[1] فانطلقوا بنا إلى أميرالمؤمنين عليه السلام لنستشيره ونستطلع رأيه .

فانطلق القوم إلى أميرالمؤمنين بأجمعهم فقالوا : يا أميرالمؤمنين تركت حقّاً أنت أحقّ به وأولى به من غيرك ، لأنّا سمعنا رسول الله يقول : «عليّ مع الحقّ والحقّ مع علي ؛ يميل مع الحقّ كيف ما مال» ولقد هممنا أن نصير إليه فننزله عن منبر رسول الله ﷺ ، فجئناك لنستشيرك ونستطلع رأيك ، فما تأمرنا ؟

فقال أميرالمؤمنين : وأيم الله لو فعلتم ذلك لماكنتم لهم إلّا حرباً ، ولكنّكم كالملح في الزاد وكالكحل بالعين ، وأيم الله لو فعلتم ذلك لأتيتموني شاهرين بأسيافكم مستعدّين للحرب والقتال وإذاً لآتوني فقالوا لي: بايع وإلّا قتلناك ، فلابدّ لي مِن أدفع القوم عن نفسي ، وذلك أنّ رسول الله ﷺ أوعز إليّ قبل وفاته وقال لي : «يا أباالحسن إنّ الأُمّة ستغدر بك من بعدي ، وتنقض فيك عهدي ، وإنّك منّي بمنزلة هارون من موسى ، وإنّ الأُمّة من بعدي كهارون ومن اتّبعه والسّامري ومن اتّبعه» ، فقلت : يا رسول الله فما تعهد إليّ إذاكان كذلك ؟ فقال : إذا وجدت أعواناً فبادر إليهم

---

(١) البقرة ١٩٥.

وجاهدهم ، وإن لم تجد أعواناً كفّ يدك واحقن دمك حتّى تلحق بي مظلوماً . فلمّا توفّي رسول الله ﷺ اشتغلت بغسله وتكفينه والفراغ من شأنه ، ثمّ آليت على نفسي يميناً أن لا أرتدي برداء إلّا للصّلاة حتّى أجمع «القرآن» ، ففعلت ثمّ أخذت بيد فاطمة وابني الحسن والحسين فدرت على أهل بدر وأهل السّابقة فناشدتهم حقّي ودعوتهم إلى نصرتي فما أجابني منهم إلّا أربعة رهط : سلمان وعمّار وأبوذر والمقداد ، ولقد راودت في ذلك بقيّة أهل بيتي ، فأبوا علَيّ إلّا السّكوت لما علموا من وغارة[١] صدور القوم وبغضهم لله ورسوله ولأهل بيت نبيّه ، فانطلقوا بأجمعكم إلى الرّجل فعرّفوه ما سمعتم من قول نبيّكم ليكون ذلك أوكد للحجّة وأبلغ للعذر وأبعد لهم من رسول الله ﷺ إذا وردوا عليه .

فسار القوم حتّى أحدقوا بمنبر رسول الله ﷺ ـ وكان يوم الجمعة ـ ، فلمّا صعد أبوبكر المنبر قال المهاجرون للأنصار : تقدّموا وتكلّموا .

فقال الأنصار للمهاجرين : بل تكلّموا وتقدّموا أنتم ، فإنّ الله ﷻ بدأ بكم في الكتاب إذ قال الله ﷻ : ﴿ لَقَد تَابَ ٱللَّهُ بِالنَّبِيِّ عَلَى ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾[٢]» .

قال أبان : قلت له : يابن رسول الله إنّ العامّة لا تقرأ كما عندك .

قال : «وكيف تقرأ» ؟

قلت : إنّها تقرأ «لقد تاب الله على النّبيّ والمهاجرين الأنصار» .

فقال : «ويلهم فأيّ ذنب كان لرسول الله ﷺ حتّى تاب الله عليه عنه ، إنّما تاب الله به على اُمّته .

«فأوّل من تكلّم به خالد بن سعيد بن العاص ثمّ باقي المهاجرين ثمّ بعدهم الأنصار» .

وروي أنّهم كانوا غيّباً عن وفاة رسول الله ﷺ فقدموا وقد تولّى أبوبكر وهم يومئذٍ أعلام مسجد رسول الله ﷺ .

«**فقام خالد بن سعيد بن العاص وقال** : إتّق الله يا أبابكر ، فقد علمت أنّ رسول الله ﷺ قال ونحن محتوشوه[٣] يوم بني قريظة حين فتح الله له باب النّصر وقد قتل عليّ بن أبي طالب ﷺ يومئذٍ

---

(١) الوغر : الحقد والضغن والعداوة والتوقّد من الغيض .

(٢) التوبة ١١٧ .

(٣) احتوشوه واحتوشوا به : أحاطوا به .

عدّة من صناديد رجالهم وأُولي البأس والنجدة منهم : «يا معاشر المهاجرين والأنصار إنّي موصيكم بوصيّة فاحفظوها ، وموعدكم أمراً فاحفظوه ، ألا إنّ عليّ بن أبي طالب أميركم بعدي وخليفتي فيكم ، بذلك أوصاني ربّي ، ألا وإنّكم إن لم تحفظوا فيه وصيّتي وتوازروه وتنصروه اختلفتم في أحكامكم واضطرب عليكم أمر دينكم وولاّكم أشراركم ، ألا وإنّ أهل بيتي هم الوارثون لأمري ، والعالمون لأمر أُمّتي من بعدي ، اللّهمّ من أطاعهم من أُمّتي وحفظ فيهم وصيّتي فاحشرهم في زمرتي ، واجعل لهم نصيباً من مرافقتي يدركون به نور الآخرة ، اللّهمّ ومن أساء خلافتي في أهل بيتي فاحرمه الجنّة الّتي عرضها كعرض السّماء والأرض» .

فقال له عمر بن الخطّاب : أُسكت يا خالد فلست من أهل المشورة ولا ممّن يقتدى برأيه .

فقال له خالد : بل أُسكت أنت يابن الخطّاب ، فإنّك تنطق على لسان غيرك ، وأيم الله لقد علمت قريش أنّك من ألأمها حسباً وأدناها منصباً وأخسّها قدراً وأخملها ذكراً وأقلّهم عناءاً عن الله ورسوله ، وإنّك لجبان في الحروب ، بخيل بالمال ، لئيم العنصر ، مالَكَ في قريش من فخر ولا في الحروب من ذكر ، وإنّك في هذا الأمر بمنزلة الشيطان ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنكَ إِنِّي أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاؤُا ٱلظَّالِمِينَ﴾[١] فأبلس[٢] عمر وجلس خالد بن سعيد .

ثمّ قام سلمان الفارسي وقال : «كرديد و نكرديد» أي فعلتم ولم تفعلوا ، وقد كان امتنع من البيعة قبل ذلك حتّي وجئ[٣] عنقه ، فقال : يا أبابكر إلى من تسند أمرك إذا نزل بك ما لا تعرفه ؟ وإلى من تفزع إذا سُئِلت عمّا لا تعلمه ؟ وما عذرك في تقدّمك على من هو أعلم منك وأقرب إلى رسول الله وأعلم بتأويل كتاب الله ﷻ وسنّة نبيّه ومن قدّمه النّبيّ ﷺ في حياته وأوصاكم به عند وفاته ، فنبذتم قوله وتناسيتم وصيّته وأخلفتم الوعد ونقضتم العهد وحللتم العقد الّذي كان عقده عليكم من النفوذ تحت راية أُسامة بن زيد حذراً من مثل ما أتيتموه وتنبيهاً للأُمّة على عظيم ما اجترمتموه من مخالفة أمره فعن قليل يصفو لك الأمر وقد أثقلك الوزر ، ونقلت إلى قبرك وحملت معك ماكسبت يداك ، فلو راجعت الحقّ من قريب وتلافيت نفسك وتبت إلى الله من عظيم ما

---

(١) الحشر ١٦ـ١٧.

(٢) أبلس : سكت على مضض أو خوف.

(٣) وجئ عنقه : لوي وضرب .

اجترمت كان ذلك أقرب إلى نجاتك يوم تفرد في حفرتك ويسلمك ذوو نصرتك ، فقد سمعت كما سمعنا ورأيت كما رأينا ، فلم يردعك ذلك عمّا أنت متشبّث به من هذا الأمر الّذي لا عذر لك في تقلّده ، ولا حظّ للدّين ولا المسلمين في قيامك ، فالله الله في نفسك ، فقد أعذر من أنذر ، ولا تكن كمن أدبر واستكبر .

ثمّ قام أبوذر الغفاري فقال : يا معشر قريش أصبتم قباحة وتركتم قرابة ، والله ليرتدنّ جماعة من العرب ولتشكّنّ في هذا الدّين ، ولو جعلتم الأمر في أهل بيت نبيّكم ما اختلف عليكم سيفان ، والله لقد صارت لمن غلب ، ولتطمحنّ إليها عين من ليس من أهلها ، وليسفكنّ في طلبها دماء كثيرة - فكان كما قال أبوذر - ثمّ قال : لقد علمتم وعلم خياركم أنّ رسول الله ﷺ قال : «الأمر بعدي لعليّ ثمّ لابني الحسن والحسين ثمّ للطاهرين من ذرّيّتي» فأطرحتم قول نبيّكم وتناسيتم ما عهد به إليكم ، فأطعتم الدّنيا الفانية ونسيتم الآخرة الباقية - الّتي لا يهرم شابّها ولا يزول نعيمها ولا يحزن أهلها ولا يموت سكّانها - بالحقير التافه الفاني الزائل ، فكذلك الأُمم من قبلكم كفرت بعد أنبيائها ونكصت على أعقابها[1] وغيّرت وبدّلت واختلفت ، فساويتموهم حذوالنعل بالنعل والقذّة بالقذّة ، وعمّا قليل تذوقون وبال أمركم وتجزون بما قدّمت أيديكم ، وما الله بظلّام للعبيد .

ثمّ قام المقداد بن الأسود فقال : يا أبابكر إرجع عن ظلمك ، وتب إلى ربّك ، والزم بيتك ، وابك على خطيئتك ، وسلّم الأمر لصاحبه الّذي هو أولى به منك ، فقد علمت ما عقده رسول الله ﷺ في عنقك من بيعته ، وألزمك من النفوذ تحت راية أُسامة بن زيد وهو مولاه ، ونبّه على بطلان وجوب هذا الأمر لك ولمن عضدك عليه بضمّه لكما إلى عَلَم النّفاق ومعدن الشنان والشقاق عمرو بن العاص الّذي أنزل الله فيه على نبيّه ﷺ ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾[2] فلا إختلاف بين أهل العلم أنّها نزلت في عمرو ، وهو كان أميراً عليكما وعلى سائر المنافقين في الوقت الّذي أنفذه رسول الله ﷺ في غزاة ذات السّلاسل ، وإنّ عمراً قلّدكما حرس عسكره ، أين الحرس إلى الخلافة ؟ اتّق الله وبادر بالإستقالة قبل فوتها ، فإنّ ذلك أسلم لك في حياتك وبعد وفاتك ، ولا تركن إلى دنياك ولا تغرّنّك قريش وغيرها ، فعن قليل تضمحلّ عنك دنياك ثمّ تصير إلى ربّك فيجزيك بعملك ، وقد علمت وتيقّنت أنّ عليّ بن أبي طالب ؏ هو صاحب الأمر بعد رسول الله ، فسلّمه إليه بما جعله الله

---

(١) نكصت على أعقابها : رجعت إلى القهقرى .

(٢) الكوثر ٣.

له فإنّه أتمّ لسترك وأخفّ لوزرك ، فقد والله نصحت لك إن قبلت نصحي وإلى الله ترجع الأُمور .

ثمّ قام إليه بريدة الأسلمي فقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، ماذا لقى الحقّ من الباطل ؟ يا أبابكر أنسيت أم تناسيت ؟ وخدعت أم خدعتك نفسك أم سوّلت لك الأباطيل ؟ أولم تذكر ما أمرنا به رسول الله ﷺ من تسمية عليّ ﷺ بإمرة المؤمنين والنبيّ ﷺ بين أظهرنا ، وقوله له في عدّة أوقات «هذا عليّ أميرالمؤمنين وقاتل القاسطين» ، اتّق الله وتدارك نفسك قبل أن لا تداركها ، وأنقذها ممّا يهلكها ، واردد الأمر إلى من هو أحقّ به منك ، ولا تتماد في اغتصابه ، وراجع وأنت تستطيع أن تراجع ، فقد محّضتك النّصح ودللتك على طريق النجاة ، فلا تكوننّ ظهيراً للمجرمين .

ثمّ قام عمّار بن ياسر فقال : يا معاشر قريش ويا معاشر المسلمين إن كنتم علمتم وإلّا فاعلموا أنّ أهل بيت نبيّكم أولى به وأحقّ بإرثه وأقوم بأُمور الدّين وآمن على المؤمنين وأحفظ لملّته وأنصح لأُمّته ، فمروا صاحبكم فليردّ الحقّ إلى أهله قبل أن يضطرب حبلكم ويضعّف أمركم ويظهر شتاتكم وتعظم الفتنة بكم وتختلفون فيما بينكم ويطمع فيكم عدوّكم ، فقد علمتم أنّ بني هاشم أولى بهذا الأمر منكم ، وعليّ [أقرب منكم إلى نبيّكم ، وهو] من بينهم وليّكم بعهد الله ورسوله ، وفرق ظاهر قد عرفتموه في حال بعد حال عند سدّ النبيّ ﷺ أبوابكم الّتي كانت إلى المسجد كلّها غير بابه ، وإيثاره إيّاه بكريمته فاطمة دون سائر من خطبها إليه منكم ، وقوله ﷺ «أنا مدينة العلم وعليّ بابها ؛ فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها» وإنّكم جميعاً مضطرّون فيما أشكل عليكم من أُمور دينكم إليه وهو مستغن عن كلّ أحد منكم إلى ما له من السوابق الّتي ليست لأفضلكم عند نفسه، فما بالكم تحيدون عنه وتبتزّون عليّاً حقّه وتؤثرون الحياة الدّنيا على الآخرة ، بئس للظّالمين بدلاً ، أعطوه ما جعله الله له ولا تتولّوا عنه مدبرين ، ولا ترتدّوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين .

ثمّ قام أُبي بن كعب فقال : يا أبابكر لا تجحد حقّاً جعله الله لغيرك ، ولا تكن أوّل من عصى رسول الله ﷺ في وصيّه وصفيّه ، وصدف عن أمره ، أردد الحقّ إلى أهله تسلم ، ولا تتماد في غيّك تندم ، وبادر الإنابة يخفّ وزرك ، ولا تخصّص بهذا الأمر الّذي لم يجعله الله لك نفسك فتلقى وبال عملك ، فعن قليل تفارق ما أنت فيه وتصير إلى ربّك فيسألك عمّا جنيت وما ربّك بظلّام للعبيد .

ثمّ قام خزيمة بن ثابت ذوالشهادتين فقال : أيّها النّاس ألستم تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قَبِل شهادتي وحدي ولم يُرِد معي غيري ؟

قالوا : بلى .

قال : فأشهد أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : «أهل بيتي يفرّقون بين الحقّ والباطل ، وهم الأئمّة الّذين يقتدى بهم» وقد قلت ما علمت ، وما على الرّسول إلّا البلاغ المبين .

ثمّ قام أبوالهيثم بن التّيهان فقال : وأنا أشهد على نبيّنا ﷺ أنّه أقام عليّاً ـ يعني يوم غدير خم ـ فقالت الأنصار : ما أقامه للخلافة ، وقال بعضهم : ما أقامه إلّا ليعلم النّاس أنّه مولى من كان رسول الله ﷺ مولاه ، وكثر الخوض في ذلك فبعثنا رجالاً منّا إلى رسول الله ﷺ فسألوه عن ذلك فقال : «قولوا لهم عليّ وليّ المؤمنين بعدي وأنصح النّاس لاُمّتي» وقد شهدت بما حضرني ؛ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، إنّ يوم الفصل كان ميقاتا .

ثمّ قام سهل بن حنيف فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النّبيّ محمّد وآله ثمّ قال : يا معاشر قريش إشهدوا عَلَيّ أنّي أشهد على رسول الله وقد رأيته في هذا المكان ـ يعني الروضة ـ وقد أخذ بيد عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول : «أيّها النّاس هذا عليّ إمامكم من بعدي ، ووصيّي في حياتي وبعد وفاتي ، وقاضي ديني ، ومنجز وعدي ، وأوّل من يصافحني على حوضي ، فطوبى لمن اتّبعه ونصره ، والويل لمن تخلّف عنه وخذله» .

وقام معه أخوه عثمان بن حنيف وقال : سمعنا رسول الله ﷺ يقول : «أهل بيتي نجوم الأرض فلا تتقدّموهم ، وقدّموهم فهم الولاة من بعدي» ، فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله وأيّ أهل بيتك ؟ فقال : «عليّ والطّاهرون من ولده» ، وقد بيّن ﷺ فلا تكن يا أبابكر أوّل كافر به ، ولا تخونوا الله والرّسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون .

ثمّ قام أبو أيّوب الأنصاري فقال : إتّقوا الله عباد الله في أهل بيت نبيّكم ، واردُدوا إليهم حقّهم الّذي جعله الله لهم ، فقد سمعتم مثل ما سمع إخواننا في مقام بعد مقام لنبيّنا ﷺ ومجلس بعد مجلس يقول : «أهل بيتي أئمّتكم بعدي» ويؤمي إلى عليّ ويقول : «هذا أمير البررة وقاتل الكفرة ؛ مخذول من خذله منصور من نصره» فتوبوا إلى الله من ظلمكم إيّاه إنّ الله توّاب رحيم ، ولا تتولّوا عنه مدبرين ولا تتولّوا عنه معرضين» .

قال الصّادق عليه السلام : «فاُفحم أبوبكر على المنبر حتّى لم يحر جواباً ، ثمّ قال : ولّيتكم ولست بخيركم ، أقيلوني أقيلوني .

فقال له عمر بن الخطّاب : أنزل عنها يا لكع[١] إذاكنت لا تقوم بحجج قريش لِمَ أقمت نفسك هذا المقام ؟ والله لقد هممت أن اخلعك وأجعلها في سالم مولى أبي حذيفة» .

قال : «فنزل ثمّ أخذ بيده وانطلق إلى منزله وبقوا ثلاثة أيّام لا يدخلون مسجد رسول الله ﷺ ، فلمّاكان في اليوم الرّابع جائهم خالد بن الوليد ومعه ألف رجل ، فقال لهم : ما جلوسكم ؟ فقد طمع فيها والله بنو هاشم . وجاءهم سالم مولى أبي حذيفة ومعه ألف رجل ، وجاءهم معاذ بن جبل ومعه ألف رجل ، فما زال يجتمع إليهم رجل رجل حتّى اجتمع أربعة آلاف رجل ، فخرجوا شاهرين بأسيافهم يقدمهم عمر بن الخطّاب حتّى وقفا بمسجد رسول الله ﷺ ، فقال عمر : والله يا أصحاب علي لئن ذهب منكم رجل يتكلّم بالّذي تكلّم بالأمس لنأخذنّ الّذي فيه عيناه .

فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص وقال : يابن صهّاك الحبشيّة ، أبأسيافكم تهدّدونا ؟ أم بجمعكم تفزعوننا ؟ والله إنّ أسيافنا أحدّ من أسيافكم ، وإنّا لأكثر منكم وإن كنّا قليلين لأنّ حجّة الله فينا ، والله لولا أنّي أعلم أنّ طاعة الله ورسوله وطاعة إمامي أولى بي لشهرت سيفي وجاهدتكم في الله إلى أن أبلي عذري[٢] .

فقال أميرالمؤمنين : إجلس يا خالد فقد عرف الله لك مقامك وشكّر لك سعيك .

فجلس .

وقام إليه سلمان الفارسي فقال : الله أكبر الله أكبر ، سمعت رسول الله ﷺ بهاتين الأُذنين وإلّا صمّتا يقول : «بينا أخي وابن عمّي جالس في مسجدي مع نفر من أصحابه إذ تكبسه جماعة من كلاب أصحاب النّار يريدون قتله وقتل من معه ، فلست أشكّ ألا وإنّكم هم» .

فهمّ به عمر بن الخطّاب فوثب إليه أميرالمؤمنين عليه السلام وأخذ بمجامع ثوبه ثمّ جلّد به الأرض ثمّ قال : يابن صهّاك الحبشيّة لولاكتاب من الله سبق وعهد من رسول الله تقدّم لأريتك أيّنا أضعف ناصراً وأقلّ عدداً . ثمّ التفت إلى أصحابه فقال : انصرفوا رحمكم الله ، فوالله لا دخلت المسجد إلّا كما دخل أخواي موسى وهارون إذ قال له أصحابه ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا

---

(١) اللكع : اللئيم والعبد والأحمق .

(٢) يقال : أبلاه عذراً : أدّاه إليه فقبله . [لسان العرب ٨٢/١٤]

قَاعِدُونَ ﴾[١] ، والله لا دخلته إلّا لزيارة رسول الله ﷺ أو لقضيّة أقضيها فإنّه لا يجوز بحجّة أقامها رسول الله ﷺ أن يترك النّاس في حيرة» .

وعن عبدالله بن عبدالرّحمن قال : ثمّ إنّ عمر احتزم بأزاره وجعل يطوف بالمدينة وينادي : ألا إنّ أبابكر قد بويع له فهلمّوا إلى البيعة ؛ فينثال[٢] النّاس يبايعون ، فعرف أنّ جماعة في بيوت مستترون ، فكان يقصدهم في جمع كثير ويكبسهم ويحضرهم المسجد فيبايعون ، حتّى إذا مضت أيّام أقبل في جمع كثير إلى منزل عليّ عليه السلام فطالبه بالخروج فأبى ، فدعا عمر بحطب ونار وقال : والّذي نفس عمر بيده ليخرجنّ أو لأحرقنّه على ما فيه .

فقيل له : إنّ فاطمة بنت رسول الله وولد رسول الله وآثار رسول الله ﷺ فيه ، وأنكر النّاس ذلك من قوله ، فلمّا عرف انكارهم قال : ما بالكم ؟ أترونني فعلت ذلك ؟ إنّما أردت التهويل .

فراسلهم عليّ أن ليس إلى خروجي حيلة لأنّي في جمع كتاب الله الّذي قد نبذتموه وألهتكم الدّنيا عنه ، وقد حلفت أن لا أخرج من بيتي ولا أدع ردائي على عاتقي حتّى أجمع «القرآن» .

قال : وخرجت فاطمة بنت رسول الله ﷺ إليهم فوقفت خلف الباب ثمّ قالت : «لا عهد لي بقوم أسوء محضراً منكم ؛ تركتم رسول الله ﷺ جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم فيما بينكم ولم تؤمّرونا ولم تروا لنا حقّاً ، كأنّكم لم تعلموا ما قال يوم غدير خم ، والله لقد عقد له يومئذٍ الولاء ليقطع منكم بذلك منها الرّجاء ، ولكنّكم قطعتم الأسباب بينكم وبين نبيّكم ، والله حسيب بيننا وبينكم في الدّنيا والآخرة» .

وفي رواية سليم بن قيس الهلالي[٣] عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنّه قال : أتيت عليّاً عليه السلام وهو يغسل رسول الله ﷺ ، وقد كان أوصى أن لا يغسله غير عليّ عليه السلام ، وأخبر أنّه لا يريد أن يقلّب منه عضواً إلّا قُلّب له ، وقد قال أميرالمؤمنين عليه السلام لرسول الله ﷺ : «من يعينني على غسلك يا رسول الله» ؟ قال : «جبرئيل» .

---

(١) المائدة ١٤.

(٢) انثال النّاس : انصبّوا واجتمعوا .

(٣) أبو صادق سليم بن قيس الهلالي ، كان من أصحاب عليّ عليه السلام ، وكان هارباً من الحجّاج لأنّه طلبه ليقتله فلجأ إلى أبان بن عياش ، فآواه ، فلمّا حضرته الوفاة قال لأبان : «إنّ لك عَلَيّ حقّاً ، وقد حضرتني الوفاة يابن أخي ، إنّه كان من أمر رسول الله كيت وكيت» وأعطاه كتاباً وهو كتاب سليم بن قيس الهلالي المشهور ، رواه عنه أبان بن عياش . [الفهرست للطوسي ٨١]

فلمّا غسّله وكفّنه أدخلني وأدخل أباذر والمقداد وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام فتقدّم وصففنا خلفه فصلّى عليه ، وعائشة في الحجرة لا تعلم ، قد أخذ جبرئيل ببصرها ، ثمّ أدخل عشرة من المهاجرين وعشرة من الأنصار فيصلّون ويخرجون ، حتّى لم يبق من المهاجرين والأنصار إلّا صلّى عليه .

وقلت لعليّ عليه السلام حين يغسل رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ القوم فعلوا كذا وكذا ، وإنّ أبابكر السّاعة لعلى منبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وما يرضى النّاس أن يبايعوا له بيد واحدة إنّهم ليبايعون بيديه جميعاً ؛ يميناً وشمالاً .

فقال عليّ عليه السلام : «يا سلمان فهل تدري مَن أوّل من يبايعه على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله» ؟

فقلت : لا إلّا أنّي قد رأيته في ظلّة بني ساعدة حين خصمت الأنصار ، وكان أوّل من بايعه بشير ابن سعد ثمّ أبو عبيدة بن الجرّاح ثمّ عمر بن الخطّاب ثمّ سالم مولى أبي حذيفة [ومعاذ بن جبل] .

قال : «لست أسألك عن هذا ، ولكن تدري مَن أوّل من بايعه حين صعد منبر رسول الله صلى الله عليه وآله» ؟

قلت : لا ولكنّي رأيت شيخاً كبيراً متوكّئاً على عصاه ، بين عينيه سجّادة شديدة التشمير ، وهو يبكي ويقول : الحمد لله الّذي لم يمتني ولم يخرجني من الدّنيا حتّى رأيتك في هذا المكان ، أبسط يدك أُبايعك ؛فبسط يده فبايعه ثمّ نزل فخرج من المسجد .

فقال لي عليّ عليه السلام : «يا سلمان وهل تدري من هو» ؟

قلت : لا ولكنّي ساءتني مقالته كأنّه شامت بموت رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال عليّ : «إنّ ذلك إبليس لعنه الله ، أخبرني رسول الله أنّ إبليس ورؤساء أصحابه شهدوا نصب رسول الله صلى الله عليه وآله إيّاي بغدير خم بأمر الله تعالى ، فأخبرهم أن يبلّغ الشاهد الغائب ، فأتاه أبالسة ومردة أصحابه فقالوا : إنّ هذه أُمّة مرحومة معصومة وما لنا ولا لك عليهم من سبيل ، قد علموا إمامهم ومفزعهم بعد نبيّهم ، فانطلق إبليس كئيباً حزيناً ، فأخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن لو قد قُبِض إنّ النّاس سيبايعون أبابكر في ظلّة بني ساعدة بعد أن تخاصمهم بحقّك وحجّتك ، ثمّ يأتون المسجد فيكون أوّل من يبايعه على منبري إبليس في صورة شيخ كبير مستبشر يقول كذا وكذا ، ثمّ تجتمع شياطينه وأبالسته فيخرّ ويكسع[1] ثمّ يقول : كذا زعمتم أن ليس لي عليهم سبيل ، فكيف

---

(١) يكسع : يضرب دبره بيده أو بصدر قدمه .

رأيتموني صنعت بهم حين تركوا أمر من أمرهم الله بطاعته وأمرهم رسوله ؟» .

فقال سلمان : فلمّا كان اللّيل ، حمل عليّ فاطمة على حمار وأخذ بيد ابنيه الحسن والحسين ، فلم يدع أحداً من أهل بدر من المهاجرين ولا من الأنصار إلّا أتى منزله وذكر حقّه ودعاه إلى نصرته ، فما استجاب له من جميعهم إلّا أربعة وأربعون رجلاً ، فأمرهم أن يصبحوا بكرة محلّقين رؤوسهم ، معهم سلاحهم ، وقد بايعوه على الموت ، فأصبح ولم يوافه منهم أحد غير أربعة .

قلت لسلمان : من الأربعة ؟

قال : أنا وأبوذر والمقداد والزبير بن العوام .

ثمّ أتاهم من الليلة الثانية فناشدهم الله ، فقالوا : نصبحك بكرة ، فما منهم أحد وفى غيرنا ، ثمّ الليلة الثالثة فما وفى أحد غيرنا ، فلمّا رأى عليّ عليه السلام عذرهم وقلّة وفائهم لزم بيته وأقبل على «القرآن» يؤلّفه ويجمعه ، فلم يخرج حتّى جمعه كلّه فكتبه على تنزيله والنّاسخ والمنسوخ .

فبعث إليه أبوبكر أن أُخرج فبايع ، فبعث إليه أنّي مشغول ، فقد آليت بيمين أن لا أرتدي برداء إلّا للصّلاة حتّى أُؤلّف «القرآن» وأجمعه ، فجمعه في ثوب وختمه ثمّ خرج إلى النّاس وهم مجتمعون مع أبي بكر في مسجد رسول الله ﷺ ، فنادى عليه السلام بأعلى صوته : «أيّها النّاس إنّي لم أزل منذ قبض رسول الله ﷺ مشغولاً بغسله ثمّ بالقرآن حتّى جمعته كلّه في هذا الثّوب ، فلم ينزل الله على نبيّه آية من «القرآن» إلّا وقد جمعتها كلّها في هذا الثّوب ، وليست منه آية إلّا وقد أقرأنيها رسول الله ﷺ وعلّمني تأويلها» .

فقالوا : لا حاجة لنا به ، عندنا مثله ، ثمّ دخل بيته وهو يتلو : ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾[1] .

فقال عمر لأبي بكر : أرسل إلى عليّ فليبايع ، فإنّا لسنا في شيء حتّى يبايع ولو قد بايع أمنّاه وغائلته .

فأرسل أبوبكر رسولاً أن أجب خليفة رسول الله ؛ فأتاه الرّسول فأخبره بذلك .

فقال عليّ عليه السلام : «ما أسرع ما كذّبتم على رسول الله ﷺ ، إنّه ليعلم ويعلم الّذين حوله أنّ الله ورسوله لم يستخلفا غيري» .

فذهب الرّسول فأخبره بما قاله ، فقال : إذهب فقل : أجب أميرالمؤمنين أبابكر ؛ فأتاه فأخبره بذلك .

---

(١) آل عمران ١٨٧.

فقال عليّ عليه‌السلام : «سبحان الله ، والله ما طال العهد بالنّبيّ منّي وإنّه ليعلم أنّ هذا الإسم لا يصلح إلّا لي ، وقد أمره رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله سابع سبعة فسلّموا عَلَيّ بإمرة المؤمنين ، فاستفهمه هو وصاحبه عمر من بين السبعة فقالا : أمرٌ من الله ورسوله ؟ فقال لهما رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وآله : نعم حقّاً من الله ورسوله إنّه أميرالمؤمنين وسيّد المسلمين وصاحب لواء الغرّ المحجّلين ، يقعده الله يوم القيامة على الصّراط فيدخل أولياءه الجنّة وأعداءه النّار» .

قال : فانطلق الرّسول إلى أبي بكر فأخبره بما قال ، فكفّوا عنه يومئذٍ .

فلمّا كان اللّيل حمل فاطمة عليها‌السلام على حمار ثمّ دعاها إلى نصرته فما استجاب له رجل غيرنا أربعة ، فإنّا حلقنا رؤوسنا وبذلنا نفوسنا ونصرتنا .

وكان عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام لمّا رأى خذلان النّاس له ، وتركهم نصرته ، واجتماع كلمة النّاس مع أبي بكر وطاعتهم له وتعظيمهم له ، جلس في بيته ، فقال عمر لأبي بكر : ما يمنعك أن تبعث إليه فيبايع ، فإنّه لم يبق أحدٌ إلّا وقد بايع غيره وغير هؤلاء الأربعة معه.

وكان أبوبكر أرقّ الرّجلين وأرفقهما وأدهاهما وأبعدهما غوراً ، والآخر أفظّهما وأغلظهما وأخشنهما وأجفاهما .

فقال : من نُرسل إليه ؟

فقال عمر : أرسل إليه قنفذاً ـ وكان رجلاً فظّاً غليظاً جافياً من الطّلقاء أحدّ بني تيم ـ فأرسله وأرسل معه أعواناً .

فانطلق فأستأذن فأبى عليٌّ عليه‌السلام أن يأذن له ، فرجع أصحاب قنفذ إلى أبي بكر وعمر وهما في المسجد والنّاس حولهما ، فقالوا : لم يأذن لنا .

فقال عمر : هو إن أذن لكم وإلّا فادخلوا عليه بغير إذنه ، فانطلقوا فاستأذنوا .

فقالت فاطمة عليها‌السلام : «أُحرّج عليكم[1] أن تدخلوا بيتي بغير إذن» .

فرجعوا وثبت قنفذ فقالوا : إنّ فاطمة قالت كذا وكذا فحرّجتنا أن ندخل عليها البيت بغير إذن منها .

فغضب عمر وقال : ما لنا وللنّساء . ثمّ أمر أُناساً حوله فحملوا حطباً وحمل معهم فجعلوه حول منزله ـ وفيه عليّ وفاطمة وابناهما عليهم‌السلام ـ ثمّ نادى عمر حتّى أسمع عليّاً عليه‌السلام : والله لتخرجنّ ولتبايعنّ

(١) التحرّج : التضييق وعدم الإذن والإلجاء.

خليفة رسول الله أو لأضرمنّ عليك بيتك ناراً ، ثمّ رجع فقعد إلى أبي بكر وهو يخاف أن يخرج عليّ بسيفه لما قد عرف من بأسه وشدّته ، ثمّ قال لقنفذ : إن خرج وإلّا فاقتحم عليه ، فإن امتنع فاضرم عليهم بيتهم ناراً .

فانطلق قنفذ فاقتحم هو وأصحابه بغير إذن ، وبادر عليّ إلى سيفه ليأخذه فسبقوه إليه فتناول بعض سيوفهم فكثروا عليه فقبضوه وألقوا في عنقه حبلاً أسود ، وحالت فاطمة عليها السلام بين زوجها وبينهم عند باب البيت ، فضربها قنفذ بالسوط على عضدها ، فبقي أثره في عضدها من ذلك مثل الدملوج[1] من ضرب قنفذ إيّاها ، فأرسل أبوبكر إلى قنفذ أضربها فألجأها إلى عضادة باب بيتها ، فدفعها فكسر ضلعاً من جنبها وألقت جنيناً من بطنها ، فلم تزل صاحبة فراش حتّى ماتت من ذلك شهيدة صلوات الله عليها .

ثمّ انطلقوا بعليّ عليه السلام ملبّباً بحبل حتّى انتهوا به إلى أبي بكر ، وعمر قائم بالسيف على رأسه ، وخالد به الوليد وأبو عبيدة بن الجرّاح وسالم والمغيرة بن شعبة وأُسيد بن حصين وبشير بن سعد وسائر النّاس قعود حول أبي بكر ، عليهم السلاح ، وهو يقول : «أما والله لو وقع سيفي بيدي لعلمتم أنّكم لن تصلوا إليّ ، هذا جزاء منّي وبالله لا ألوم نفسي في جهد ولو كنت في أربعين رجلاً لفرّقت جماعتكم ، فلعن الله قوماً بايعوني ثمّ خذلوني» .

فانتهره عمر فقال : بايع .

فقال : «وإن لم أفعل» ؟

قال : إذاً نقتلك ذُلّاً وصغاراً .

قال : «إذن تقتلون عبدالله وأخا رسول الله ﷺ» .

فقال أبوبكر : أمّا عبدالله فنعم [كلّنا عبيدالله] وأمّا أخو رسوله فلا نقرّ لك به .

فقال عليه السلام : «أتجحدون أنّ رسول الله ﷺ آخى بين نفسه وبيني» ؟

فأعادوا عليه ذلك ثلاث مرّات .

ثمّ أقبل عليّ عليه السلام فقال : «يا معاشر المهاجرين والأنصار أُنشدكم بالله أسمعتم رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم كذا وكذا ؟ وفي غزاة تبوك كذا وكذا» ؟

فلم يدع شيئاً قاله فيه ﷺ علانية للعامّة إلّا ذكره .

---

(١) الدملوج : حلي يلبس في المعصم.

فقالوا : اللّهمّ نعم .

فلمّا خاف أبوبكر أن ينصروه ويمنعوه بادرهم فقال :كلّ ما قلته قـد سـمعناه بآذانـنا ووعـته قلوبنا ، ولكن سمعت رسول الله يقول بعد هذا : إنأا أهل بيت اصطفانا الله وأكرمنا واختار لنا الآخرة على الدّنيا ، وإنّ الله لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النبوّة والخلافة .

فقال عليّ ﷺ : «أما أحد من من أصحاب رسول الله ﷺ شهد هذا معك» ؟

قال عمر : صدق خليفة رسول الله ! قد سمعنا منه هذا كما قال ، وقال أبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل : صدق قد سمعنا ذلك من رسول الله .

فقال لهم : «لشدّ ما وفيتم بصحيفتكم الملعونة الّتي تعاقدتم عليها في الكعبة : إن قتل الله محمّداً أو أماته أن تزووا هذا الأمر عنّا أهل البيت» .

فقال أبوبكر : وما علمك بذلك ؟ أطلعناك عليها ؟

قال عليّ : «يا زبير ويا سلمان وأنت يا مقداد أُذكّركم بالله وبالإسلام أسمعتم رسول الله ﷺ يقول ذلك لي ، إنّ فلاناً وفلاناً حتّى عدّ هؤلاء الخمسة قدكتبوا بينهم كتاباً وتعاهدوا وتعاقدوا على ما صنعوا» ؟

قالوا : اللّهمّ نعم قد سمعناه يقول ذلك لك ، فقلت له: بأبي أنت وأُمّي يا نبيّ الله فما تأمرني أن أفعل إذا كان ذلك ؟ فقال لك : إن وجدت عليهم أعواناً فجاهدهم ونابذهم ، وإن لم تـجد أعـواناً فبايعهم واحقن دمك .

فقال عليّ ﷺ : «أما والله لو أنّ أولئك الأربعين رجلاً الّذين بايعوني ووفوا لجاهدتكم فـي الله ولله ، أما والله لا ينالها أحد من عقبكم إلى يوم القيامة» .

ثمّ نادى قبل أن يبايع : يـ﴿ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ﴾[1] ، ثمّ مدّوا يده وهو يقبضها ، حتّى وضعوها فوق يد أبي بكر فبايعه .

فقيل للزبير : بايع الآن ؛ فأبى ، فوثب عليه عمر وخالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة في أُناس فانتزعوا سيفه من يده فضربوا به الأرض حتّى كسر ، فقال الزبير وعمر على صدره : يابن صهّاك ، أما والله لو أنّ سيفي في يدي لحدتَ عنّي ؛ ثمّ بايع .

---

(١) الأعراف ١٥٠.

قال سلمان : ثمّ أخذوني وفوجؤا عنقي[١] حتّى تركوها مثل السلعة[٢] ثمّ فتلوا يدي ، فبايعت مكرهاً ، ثمّ بايع أبوذر والمقداد مكرَهين ، وما من الاُمّة أحد بايع مكرَهاً غير عليّ وأربعتنا ، ولم يكن أحد منّا أشدّ قولاً من الزبير ، فلمّا بايع قال : يابن صهّاك أما والله لولا هؤلاء الطّلقاء الّذين أعانوك ماكنت لتقدّم عَلَيّ ومعي السيف لما قد علمت من جبنك ولؤمك ، ولكنّك وجدت من تقوى بهم وتصول بهم .

فغضب عمر فقال : أتذكر صهّاكاً ؟

فقال الزبير : ومَن صهّاك وما يمنعني من ذلك ، وإنّما كانت صهّاك أمة حبشيّة لجدّي عبدالمطّلب فزنا بها نفيل فولدت أباك الخطّاب فوهبها عبدالمطّلب له بعد ما ولدته ، فإنّه لعبد جدّي فولد زنى .

فأصلح بينهما أبوبكر وكفّ كلّ منهما عن صاحبه .

فقال سليم : فقلت : يا سلمان بايعت أبابكر ولم تقل شيئاً ؟

قال : قد قلت بعد ما بايعت : تبّاً لكم سائر الدّهر ، أو تدرون ماذا صنعتم بأنفسُكم ؟ أصبتم وأخطأتم ؛ أصبتم سنّة الأوّلين ، وأخطأتم سنّة نبيّكم حتّى أخرجتموها من معدنها وأهلها .

فقال لي عمر : أمّا إذا بايع صاحبك وبايعت فقل ما بدا لك وليقل ما بدا له .

قال : قلت : فإنّي أشهد أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : «إنّ عليك وعلى صاحبك الّذي بايعته مثل ذنوب اُمّته إلى يوم القيامة ومثل عذابهم» .

وقال : قل ما شئت ، أليس قد بايع ولم يقرّ الله عينك بأن يليها صاحبك .

قال : قلت : فإنّي أشهد أنّي قرأت في بعض كتب الله المنزلة آية باسمك ونسبك وصفتك باب من أبواب جهنّم .

قال : قل ما شئت ، أليس قد عزلها الله عن أهل البيت الّذين قد اتّخذتموهم أرباباً .

قال : قلت : فأشهد أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ـ وقد سألته عن هذه الآية ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾[٣] فقال ـ : إنّك أنت هو .

---

(١) وَجأتُ عنقه وجأ : إذا دُستها برجلك ووَجَأته بالسكين : ضربته بها .

(٢) السلعة : خراج كهيئة الغدّة .

(٣) الفجر ٢٥ـ٢٦ .

فقال عمر : أُسكت .

قال : قلت : أسكت الله نأمتك[١] أيّها العبد يابن اللخناء[٢] .

فقال لي عليّ عليه السلام : «أُسكت يا سلمان» ؛ فسكتُّ ، فوالله لولا أنّه أمرني بالسّكوت لأخبرته بكلّ شيء نزل فيه وفي صاحبه .

فلمّا رأى ذلك عمر أنّه قد سكت ، قال : إنّك له مطيع مسلّم ، وإذاً لم يقل أبوذر والمقداد شيئاً كما قال سلمان .

قال عمر : يا سلمان ألا تكفّ عنّا كما كفّ صاحباك ، فوالله ما أنت بأشدّ حبّاً لأهل هذا البيت منهما ، ولا أشدّ تعظيماً لهم ولحقّهم ، فقد كفّا كما ترى وبايعا .

فقال أبوذر : أفتعيّرنا يا عمر بحبّ آل محمّد وتعظيمهم ؟ لعن الله من أبغضهم وافترى عليهم وظلمهم حقّهم وحمل النّاس على رقابهم وردّ النّاس على أدبارهم القهقري وقد فعل ذلك بهم .

فقال عمر : آمين ، فلعن الله من ظلمهم حقّهم ، لا والله ما لهم فيها حقّ وما هم وعرض النّاس[٣] في هذا الأمر إلّا سواء .

قال أبوذر : فلِمَ خاصمتم بحقّهم وحجّتهم ؟

فقال عليّ عليه السلام : «يابن صهّاك فليس لنا حقّ وهو لك ولابن آكلة الذّباب» ؟

فقال عمر : كفّ يا أباالحسن إذا بايعت ، فإنّ العامّة رضوا بصاحبي ولم يرضوا بك ، فما ذنبي ؟

قال عليّ عليه السلام : «لكن الله ورسوله لم يرضيا إلّا بي ، فابشر أنت وصاحبك ومن اتّبعكما وآزركما بسخط من الله وعذابه وخزيه ، ويلك يابن الخطّاب أوَتدري ممّا خرجت وفيم دخلت وماذا جنيت على نفسك وعلى صاحبك» ؟

فقال أبوبكر : يا عمر أمّا إذا بايع وأمنّا شرّه وفتكه وغائلته فدعه يقول ما شاء .

فقال عليّ عليه السلام : «لست بقائل غير شيء واحد ، أُذكّركم بالله أيّها الأربعة ـ يعنيني والزبير وأباذر والمقداد ـ أسمعتم رسول الله يقول : إنّ تابوتاً من نار فيه اثنا عشر رجلاً ؛ ستّة من الأوّلين وستّة من الآخرين ، في جبّ في قعر جهنّم في تابوت مقفّل ، على ذلك الجبّ صخرة ، إذا أراد الله أن يسعر

---

(١) النأمة : الصوت ، يقال «أسكت الله نامته» أي نغمته وصوته .

(٢) اللخناء : المرأة المنتنة الفرج .

(٣) عُرْضُ الناس : أي هو من العامّة .

نار جهنّم كشف تلك الصخرة عن ذلك الجبّ فاستعاذت جهنّم من وهج ذلك الجب ، فسألناه عنهم وأنتم شهود ، فقال ﷺ : أمّا الأوّلون فابن آدم الّذي قتل أخاه ، وفرعون الفراعنة نمرود ، والذي حاجّ إبراهيم في ربّه ، ورجلان من بني إسرائيل بدّلا كتابهم وغيّرا سنّتهم ؛ أمّا أحدهما فهوّد اليهود والآخر نصّر النصارى[١] ، وإبليس سادسهم ، والدجّال في الآخرين ، وهؤلاء الخمسة أصحاب الصحيفة الّذين تعاهدوا وتعاقدوا على عداوتك يا أخي والتظاهر عليك بعدي ؛ هذا وهذا وهذا حتّى عدّهم وسمّاهم» .

قال سلمان : فقلنا : صدقت نشهد أنّا سمعنا ذلك من رسول الله ﷺ .

فقال عثمان : يا أباالحسن أما عندك وعند أصحابك هؤلاء فيّ حديث ؟

فقال : «بلى قد سمعت رسول الله ﷺ يلعنك ثمّ لم يستغفر الله لك مذ لعنك» .

فغضب عثمان فقال : مالي ولك ، أما تدعني على حالي على عهد رسول الله ولا بعده ؟

فقال الزبير : نعم فأرغم الله أنفك .

فقال عثمان : فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إنّ الزّبير يقتل مرتدّاً عن الإسلام» .

قال سلمان : فقال لي عليّ عليه السلام فيما بيني وبينه : «صدق عثمان ، وذلك أنّه يبايعني بعد قتل عثمان ثمّ ينكث بيعتي فيقتل مرتدّاً عن الإسلام» .

قال سليم : ثمّ أقبل عَلَيّ سلمان فقال : إنّ القوم ارتدّوا بعد رسول الله ﷺ إلّا من عصمه الله بآل محمّد ، إنّ النّاس بعد رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى ومن تبعه ، وبمنزلة العجل ومن تبعه ، فعليّ في سنّة هارون ، وعتيق في سنّة السامري ، وسمعت رسول الله ﷺ يقول : «لتركبنّ أُمّتي سنّة بني إسرائيل حذو القذّة بالقذّة وحذو النّعل بالنّعل شبراً بشبر وذراعاً بذراع وباعاً بباع» .

وروي عن الصّادق عليه السلام أنّه قال : «لمّا استخرج أميرالمؤمنين عليه السلام من منزله ، خرجت فاطمة صلوات الله عليها خلفه ، فما بقيت امرأة هاشميّة إلّا خرجت معها ، حتّى انتهت قريباً من القبر فقالت لهم : خلّوا عن ابن عمّي ، فوالّذي بعث محمّداً أبي ﷺ بالحقّ إن لم تخلوا عنه لأنشرنّ شعري ، ولأضعنّ قميص رسول الله ﷺ على رأسي ، ولأصرخنّ إلى الله تبارك وتعالى ، فما صالح بأكرم على الله من أبي ، ولا الناقة بأكرم منّي ، ولا الفصيل بأكرم على الله من ولدَيّ» .

قال سلمان رضي الله عنه : كنت قريباً منها ، فرأيت والله أساس حيطان مسجد رسول الله ﷺ تقلّعت من

---

(١) يعني أحدهما غيّر دين موسى وحرّف كتابه بعده ، والآخر غيّر دين عيسى وحرّف كتابه بعده .

أسفلها حتّى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها لنفذ ، فدنوت منها فقلت : يا سيّدتي ومولاتي إنّ الله تبارك وتعالى بعث أباك رحمة فلا تكوني نقمة ؛ فرجعت ورجعت الحيطان حتّى سطعت الغبرة من أسفلها فدخلت في خياشيمنا .

وروي عن الباقر عليه السلام أنّ عمر بن الخطّاب قال لأبي بكر : «اُكتب إلى اُسامة بن زيد يقدم عليك ، فإنّ في قدومه قطع الشنيعة عنّا . فكتب أبوبكر إليه : من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اُسامة ابن زيد ، أمّا بعد ؛ فانظر إذا أتاك كتابي فاقبل إليّ أنت ومن معك ، فإنّ المسلمين قد اجتمعوا عَلَيّ وولّوني أمرهم فلا تتخلّفنّ فتعصي ويأتيك منّي ما تكره ، والسّلام» .

قال : «فكتب اُسامة إليه جواب كتابه : من اُسامة بن زيد عامل رسول الله صلى الله عليه وآله على غزوة الشام ، أمّا بعد ؛ فقد أتاني منك كتاب ينقض أوّله آخره ، ذكرت في أوّله أنّك خليفة رسول الله ، وذكرت في آخره أنّ المسلمين قد اجتمعوا عليك فولّوك أمرهم ورضوك ، فاعلم أنّي ومن معي من جماعة المسلمين والمهاجرين فلا والله ما رضيناك ولا ولّيناك أمرنا ، وانظر أن تدفع الحقّ إلى أهله وتخلّيهم وإيّاه فإنّهم أحقّ به منك ، فقد علمت ماكان من قول رسول الله صلى الله عليه وآله في عليّ يوم الغدير ، فما طال العهد فتنسى ، اُنظر مركزك ولا تخالف فتعصي الله ورسوله وتعصي من استخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله عليك وعلى صاحبك ، ولم يعزلني حتّى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّك وصاحبك رجعتما وعصيتما فأقمتما في المدينة بغير إذن .

فأراد أبوبكر أن يخلعها من عنقه» .

قال : «فقال له عمر : لا تفعل قميص قمّصك الله ، لا تخلعه فتندم ولكن ألحّ عليه بالكتب والرسائل ومُر فلاناً وفلاناً أن يكتبوا إلى اُسامة أن لا يفرّق جماعة المسلمين وأن يدخل معهم فيما صنعوا» .

قال : «فكتب إليه أبوبكر وكتب إليه النّاس من المنافقين أنِ آرض بما اجتمعنا عليه وإيّاك أن تشتمل المسلمين فتنة من قبلك فإنّهم حديثو عهد بالكفر» .

قال : «فلمّا وردت الكتب على اُسامة انصرف بمن معه حتّى دخل المدينة ، فلمّا رأى اجتماع الخلق على أبي بكر ، إنطلق إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال له : ما هذا ؟

قال له عليّ : «هذا ما ترى» .

قال له اُسامة : فهل بايعته ؟

فقال : «نعم يا أُسامة» .

فقال : طائعاً أو كارهاً ؟

فقال : «لا ، بل كارهاً» .

قال : «فانطلق أُسامة فدخل على أبي بكر وقال له : السّلام عليك يا خليفة المسلمين» .

قال : «فردّ عليه أبوبكر وقال : السّلام عليك أيّها الأمير» .

وروي أنّ أبا قحافة كان بالطائف لمّا قبض رسول الله ﷺ وبويع لأبي بكر ، فكتب ابنه إليه كتاباً عنوانه «من خليفة رسول الله إلى أبي قحافة ، أمّا بعد ؛ فإنّ النّاس قد تراضوا بي ، فإنّي اليوم خليفة الله ، فلو قدمت علينا كان أقرّ لعينك» .

قال : فلمّا قرأ أبو قحافة الكتاب ، قال للرّسول : ما منعكم من عليّ ؟

قال : هو حدث السنّ وقد أكثر القتل في قريش وغيرها ، وأبوبكر أسنّ منه .

قال أبو قحافة : إن كان الأمر في ذلك بالسنّ فأنا أحقّ من أبي بكر ، لقد ظلموا عليّاً حقّه وقد بايع له النّبي ﷺ وأمرنا ببيعته . ثمّ كتب إليه : «من أبي قحافة إلى ابنه أبي بكر ، أمّا بعد ؛ فقد أتاني كتابك فوجدته كتاب أحمق ؛ ينقض بعضه بعضاً ؛ مرّة تقول خليفة رسول الله ﷺ ومرّة تقول خليفة الله ، ومرّة تقول تراضى بي النّاس ، وهو أمر ملتبس ، فلا تدخلنّ في أمر يصعب عليك الخروج منه غداً ويكون عقباك منه إلى النّار والندامة وملامة النّفس اللوّامة لدى الحساب بيوم القيامة ، فإنّ للأُمور مداخل ومخارج وأنت تعرف من هو أولى بها منك ، فراقب الله كأنّك تراه ولا تدعنّ صاحبها ، فإن تركها اليوم أخفّ عليك وأسلم لك» .

وعن عامر الشعبي عن عروة بن الزبير بن العوام قال : لمّا قال المنافقون إنّ أبابكر تقدّم عليّاً وهو يقول أنا أولى بالمكان منه ، قام أبوبكر خطيباً ، فقال : صبراً على من ليس يؤول إلى دين ولا يحتجب برعاية ولا يرعوي لولاية ، أظهر الأيمان ذلّة وأسرّ النّفاق غلّة ، هؤلاء عصبة الشيطان وجمع الطغيان ، يزعمون إنّي أقول أنّي أفضل من عليّ ، وكيف أقول ذلك ومالي سابقته ولا قرابته ولا خصوصيّته ، وحّد الله وأنا ملحده ، وعَبَده عليّ قبل أن أعبده ، ووالى الرّسول وأنا عدوّه ، وسبقني بساعات لو انقطعت لم ألحق شأوه ولم أقطع غباره ، وإنّ عليّ بن أبي طالب فاز والله من الله بمحبّة ومن الرّسول بقرابة ومن الإيمان برتبة ، لو جهد الأوّلون والآخرون إلّا النبيّين لم يبلغوا درجته ولم يسلكوا منهجه ، بذل في الله مهجته ولابن عمّه مودّته ، كاشف الكرب ودامغ الرّيب

وقاطع السّبب إلّا سبب الرّشاد ، وقامع الشّرك ومظهر ما تحت سويداء حبّة النّفاق ، محنة لهذا العالم ، لحق قبل أن يلاحق ، وبرز قبل أن يسابق ، جمع العلم والحلم والفهم ، فكان جميع الخيرات لقلبه كنوزاً لا يدّخر منها مثقال ذرّة إلّا أنفقه في بابه ، فمن ذا يؤمّل أن ينال درجته وقد جعله الله ورسوله للمؤمنين وليّاً وللنّبيّ وصيّاً وللخلافة راعياً وبالإمامة قائماً ، أفيغترّ الجاهل بمقام قمته إذ أقامني وأطعته إذ أمرني ؟ سمعت رسول الله يقول : «الحقّ مع عليّ وعليّ مع الحقّ ، من أطاع عليّاً رشد ، ومن عصى عليّاً فسد ، ومن أحبّه سعد ، ومن أبغضه شقي» والله لو لم يحب ابن أبي طالب إلّا لأجل أنّه لم يواقع لله محرّماً ، ولا عَبَد من دونه صنماً ، ولحاجة النّاس إليه بعد نبيّهم لكان في ذلك ما يجب ، فكيف لأسباب أقلّها موجب وأهونها مرغب ، للرّحم الماسّة بالرّسول ، والعلم بالدقيق والجليل ، والرّضا بالصّبر الجميل ، والمواساة في الكثير والقليل ، وخلال لا يبلغ عدّها ولا يدرك مجدها ، ودّ المتمنّون أن لو كانوا تراب أقدام ابن أبي طالب ، أليس هو صاحب لواء الحمد والساقي يوم الورود وجامع كلّ كرم وعالم كلّ علم والوسيلة إلى الله وإلى رسوله» ؟

وعن محمّد بن عمر بن علي عن أبيه عن أبي رافع قال : إنّي لعند أبي بكر إذ طلع عليٌّ والعبّاس بتدافعان ويختصمان في ميراث النّبيّ ﷺ ، فقال أبوبكر : يكفيكم القصير الطويل - يعني بالقصير عليّاً وبالطويل العبّاس - .

فقال العبّاس : أنا عمّ النّبيّ ﷺ ووارثه ، وقد حال علي بيني وبين تركته .

فقال أبوبكر : فأين كنت يا عبّاس حين جمع النّبيّ ﷺ بني عبدالمطّلب وأنت أحدهم فقال «أيّكم يوازرني ويكون وصيّي وخليفتي في أهلي ينجز عدتي ويقضي ديني ؟» فأحجمتم عنها إلّا علي ، فقال النّبيّ ﷺ أنت كذلك ؟

فقال العبّاس : فما أقعدك في مجلسك هذا ؛ تقدّمته وتأمّرت عليه ؟

قال أبوبكر : إعذروني يا بني عبدالمطّلب .

وروى رافع بن أبي رافع الطائي عن أبي بكر وقد صحبه في سفر قال : قلت له : يا أبابكر علّمني شيئاً ينفعني الله به .

قال : قدكنت فاعلاً ولو لم تسألني ، لا تشرك بالله شيئاً ، وأقم الصلاة ، وآت الزكاة ، وصم شهر رمضان ، وحجّ البيت واعتمر ، ولا تأمرنّ على اثنين من المسلمين .

قال : قلت له : أمّا ما أمرتني به من الإيمان والصلاة والزكاة والصوم والحجّ والعمرة فأنا أفعله ،

وأمّا الإمارة فإنّي رأيت النّاس لا يصيبون هذا الشرف وهذا الغنى والعزّ والمنزلة عند رسول الله إلّا بها .

قال : إنّك استنصحتني فأجهدت نفسي لك .

فلمّا توفّي رسول الله ﷺ واستخلف أبوبكر جئته وقلت له : يا أبابكر ألم تنهني أن أتأمّر على اثنين ؟

قال : بلى .

قلت : فما بالك تأمّرت على اُمّة محمّد ﷺ ؟

قال : اختلف النّاس وخفت عليهم الضلالة ودعوني فلم أجد من ذلك بدّاً .

وروي أنّ أبابكر وعمر بعثا إلى خالد بن الوليد فواعداه وفارقاه على قتل عليّ عليه السلام وضمن ذلك لهما ، فسمعت ذلك الخبر أسماء بنت عميس امرأة أبي بكر وهي في خدرها ، فأرسلت خادمة لها وقالت : تردّدي في دار عليّ وقولي له : ﴿ إِنَّ المَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوك ﴾[1] ؛ ففعلت الجارية ، وسمعها عليّ عليه السلام ، فقال : «رحمها الله ، قولي لمولاتك : فمن يقتل النّاكثين والمارقين والقاسطين» ؟

ووقعت المواعدة لصلاة الفجر إذكان أخفى ، واختيرت للسدفة[2] والشبهة [فإنّهم كانوا يغلسون[3] بالصلاة حتّى لا تعرف المرأة من الرّجل] ولكنّ الله بالغ أمره .

وكان أبوبكر قال لخالد بن الوليد : إذا انصرفت من صلاة الفجر فاضرب عنق عليّ ، فصلّى خالد إلى جنبه لأجل ذلك وأبوبكر في الصلاة يفكّر في العواقب ، فندم ، فجلس في صلاته حتّى كادت الشّمس تطلع يتعقّب الآراء ويخاف الفتنة ولا يأمن على نفسه ، فقال قبل أن يسلّم في صلاته : يا خالد لا تفعل ما أمرتك به ـ ثلاثاً ـ ، وفي رواية اُخرى : لا يفعلنّ خالد ما اُمر به .

فالتفت عليّ عليه السلام فإذاً خالد مشتمل على السيف إلى جانبه ، فقال : «يا خالد ما الّذي أمرك به» ؟

قال : بقتلك يا أميرالمؤمنين .

قال : «أوَ كنت فاعلاً» ؟

---

(١) القصص ٢٠.

(٢) السدفة : ظلمة فيها ضوء من أوّل النّهار وآخره .

(٣) الغلس : ظلمة آخر الليل ، يغلسون بالصلاة : يصلّون في الغلس .

فقال : إي والله لولا أنّه نهاني لوضعته في أكثرك شعراً[١] .

فقال له عليّ عليه السلام : «كذبت لا اُمّ لك ، من يفعله أضيق حلقة اُست[٢] منك ، أما والّذي فلق الحبّة وبرئ النّسمة لولا ما سبق به القضاء لعلمت أيّ الفريقين شرٌّ مكاناً وأضعف جندا» .

وفي رواية اُخرى لأبي ذر رضي الله عنه أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام أخذ خالداً بأصبعيه السبّابة والوسطى في ذلك الوقت فعصره عصراً فصاح خالد صيحة منكرة ، ففزع النّاس وهمّتهم أنفسهم ، وأحدث خالد في ثيابه وجعل يضرب برجليه الأرض ولا يتكلّم .

فقال أبوبكر لعمر : هذه مشورتك المنكوسة ، كأنّي كنت أنظر إلى هذا ، وأحمد الله على سلامتنا .

وكلّما دنى أحد ليخلّصه من يده لحظة تنحّى عنه رعباً ، فبعث أبوبكر وعمر إلى العبّاس فجاء وتشفّع إليه وأقسم عليه فقال : بحقّ هذا القبر ومَن فيه وبحقّ ولديه واُمّهما إلّا تركته ؛ ففعل ذلك وقبّل العبّاس بين عينيه .

احتجاج اميرالمؤمنين عليه السلام على أبي بكر وعمر لمّا منعا فاطمة الزهراء عليها السلام فدك بالكتاب والسنّة

عن حمّاد بن عثمان[٣] عن أبي عبدالله عليه السلام قال : «لمّا بويع أبوبكر واستقام له الأمر على جميع

---

(١) يريد به الرأس لأنّه أكثر الأعضاء شعراً.

(٢) الاست: العجز ويراد به حلقة الدبر والأصل: سَتَهٌ بالتحريك، ولهذا يجمع على أستاه مثل السبب وأسباب. [المصباح ٣٢٢/١]

(٣) قال العلّامة الحلّي في خلاصته: حمّاد بن عثمان بن عمرو بن خالد الفزاري، مولاهم كوفي، وكان يسكن عرزم فذهب إليها وأخوه عبدالله ثقتان، رويا عن أبي عبدالله عليه السلام، وروى حمّاد عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام ومات حمّاد بالكوفة رحمه الله سنة تسعين ومائة، ذكرهما أبوالعبّاس في كتابه، وسبقه بذكر حمّاد بن عثمان الناب مولى غني وعدّه من أصحاب الكاظم والرّضا عليهما السلام.

وعدّه الشيخ في رجاله تارة من أصحاب الصادق عليه السلام واُخرى من أصحاب الكاظم عليه السلام وثالثه من أصحاب الرّضا عليه السلام وسمّاه ذوالناب ولم يتعرّض لذكر حمّاد الفزاري، ولعلّه إنّما لم يتعرّض لذكره لاعتقاده باتّحادهما فقد اعتقد ذلك بعض أصحاب الرّجال واستدلّوا على ما ذهبوا إليه باتّحاد سنة الوفاة واتّحاد عشيرتهما.

ونقل المامقاني بتفصيل أقوال الرجاليين فيهما وقال في تنقيح المقال: أقول: الأظهر إتّحاد الرّجلين فإنّ غنياً حيّ من غطفان، وفزارة أبو قبيلة من غطفان، إنتهى.

المهاجرين والأنصار ، بعث إلى فدك[1] مَن أخرج وكيل فاطمة عليها السلام بنت رسول الله منها ، فجاءت فاطمة الزهراء عليها السلام إلى أبي بكر ثمّ قالت : لِمَ تمنعني ميراثي من أبي رسول‌الله صلى الله عليه وآله وأخرجت وكيلي من فدك وقد جعلها لي رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر الله تعالى ؟

➲ أقول : وهذا لا يكفي بل إنّ دليل التعدّد ظاهر والإختلاف بينهما واضح بيّن لاختلاف اسم الجدّ والإخوة ؛ فحمّاد ذوالنّاب هو حمّاد بن عثمان بن زياد ، والفزاري هو حمّاد بن عثمان بن عمرو بن خالد والأوّل أخواه حسين وجعفر والثّاني أخوه عبدالله ، وعليه فيكون المراد هنا حمّاداً الفزاري لأنّه يروي عن الصّادق عليه السلام ، وذوالنّاب يروي عن الكاظم والرّضا عليهما السلام فقط كما في الخلاصة . [راجع : رجال الطوسي ، رجال الكشي ، رجال المامقاني ، الخلاصة للعلّامة ، فهرست للشيخ الطوسي ، أعيان الشيعة ، قاموس الرجال]

(١) فدك : قرية في الحجاز ، بينها وبين المدينة يومان ، وقيل ثلاثة ، وهي أرض يهوديّة ، كان يسكنها طائفة من اليهود حتّى السنة السابعة حيث قذف الله بالرّعب في قلوب أهليها فصالحوا رسول الله صلى الله عليه وآله على النّصف من فدك ، وروي أنّهم صالحهم عليها كلّها ، فصارت ملكاً لرسول الله صلى الله عليه وآله خاصّة ، لأنّها لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ، ثمّ قدّمها لابنته الزّهراء عليها السلام وكانت بيدها في عهد أبيها وبعد وفاته صلى الله عليه وآله وكانت وضعت عليها وكيلاً عنها فانتزعها الخليفة الأوّل وطرد وكيلها ، ولمّا تولّى عمر الخلافة ردّها إلى ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلمّا ولّى عثمان بن عفّان أقطعها مروان بن الحكم ، فلمّا صار الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان أقطع مروان ثلثها ، وعمر بن عثمان ثلثاً ، ويزيد ابنه ثلثها الآخر ، فلم يزالوا يتداولونها حتّى خلصت لمروان بن الحكم أيّام ملكه ، ثمّ صفت لعمر بن عبدالعزيز بن مروان ، فلمّا ولّى الأمر ردّها لولد فاطمة عليها السلام ثمّ انتزعها يزيد ابن عبدالملك من أولاد فاطمة وظلّت في أيدي بني مروان حتّى انقرضت دولتهم ، فلمّا تقلّد الخلافة أبوالعبّاس السفّاح ردّها على عبدالله المحض بن الحسن المثنّى بن الحسن بن علي عليه السلام ، ثمّ قبضها أبو جعفر المنصور في خلافته من بني الحسن ، وردّها المهدي ابن المنصور على الفاطميّين ، ثمّ انتزعها موسى بن المهدي من أيديهم ، ثمّ ردّها المأمون عليهم سنة مائتين وعشرة ، ولمّا بويع المتوكّل انتزعها منهم وأقطعها عبدالله بن عمر البازيار من أهل طبرستان ، وردّها المعتضد ، وحازها المكتفي ، وقيل : إنّ المقتدر ردّها عليهم ، وكان فيها بضعة عشر نخلة غرسها رسول الله بيده .

قال ابن أبي الحديد ـ في شرح النهج ـ : وقلت لمتكلّم من متكلّمي الإماميّة يعرف بعليّ بن تقي من بلدة النيل : وهل كانت فدك إلّا نخلاً يسيراً وعقاراً ليس بذلك الخطير ؟

فقال لي : ليس الأمر كذلك ، بل كانت جليلة جدّاً ، وكان فيها من النّخل نحو ما بالكوفة الآن من النخل ، وما قصد أبوبكر وعمر بمنع فاطمة عنها إلّا أن لا يتقوّى عليّ بحاصلها وغلّتها على المنازعة في الخلافة الخ .

وقال أيضاً : وسألت علي بن الفارقي مدرّس المدرسة الغربيّة ببغداد فقلت له : أكانت فاطمة صادقة ؟

قال : نعم .

قلت : فلِمَ لم يدفع إليها أبوبكر فدكاً وهي عنده صادقة ؟

فتبسّم ثمّ قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه ومرحمته وقلّة دعابته ، قال : لو أعطاها اليوم فدكاً بمجرّد دعواها لجائت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه ولم يكن يمكنه الإعتذار بشيء لأنّه يكون قد سجّل على نفسه بأنّها صادقة فيما تدّعي . [راجع : معجم البلدان لياقوت الحموي ، أعيان الشيعة للسيّد الأمين ، فدك في التاريخ للسيّد الصدر ، فتوح البلدان للبلاذري ، شرح النهج لابن أبي الحديد]

فقال : هاتي على ذلك بشهود .

فجاءت بأُمّ أيمن ، فقالت له أمّ أيمن : لا أشهد يا أبابكر حتّى أحتجّ عليك بما قال رسول الله ﷺ ، أُنشدك بالله ألست تعلم أنّ رسول الله ﷺ قال : إنّ أُمّ أيمن امرأة من أهل الجنّة(1) ؟

فقال : بلى .

قالت : فأشهد أنّ الله ﷻ أوحى إلى رسول الله ﷺ ﴿ وَآتِ ذَاالْقُرْبىٰ حَقَّهُ ﴾(2) فجعل فدكاً لها طعمة بأمر الله .

فجاء عليّ عليه السلام فشهد بمثل ذلك ؛ فكتب لها كتاباً ودفعه إليها ، فدخل عمر فقال : ما هذا الكتاب ؟

فقال : إنّ فاطمة ادّعت في فدك وشهدت لها أُمّ أيمن وعليّ ، فكتبته لها .

فأخذ عمر الكتاب من فاطمة فتفل فيه ومزّقه ، فخرجت فاطمة عليها السلام تبكي ، فلمّا كان بعد ذلك

---

(١) أمّ أيمن : مولاة النّبي ﷺ وحاضنته .. اسمها بركة بنت ثعلبة ابن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو ابن النعمان ، مهاجرة جليلة ، هاجرت الهجرتين إلى أرض الحبشة وإلى المدينة ، وشهدت حنيناً وأُحداً وخيبراً ، وكانت في أُحد تسقي الماء وتداوي الجرحى ، وكان النّبيّ ﷺ يخاطبها يا أُمّه ، ويقول : «هي أُمّي بعد أُمّي» ، وكان إذا نظر إليها يقول : «هذه بقيّة أهل بيتي» .

قال ابن حجر في تهذيب التهذيب : روت عن النّبيّ ﷺ وعن أنس بن مالك وحنش بن عبدالله الصنعاني وأبو يزيد المدني .

وكُنّيت بابنها أيمن بن عبيد وهي أم أُسامة بن زيد بن حارثة ، تزوّجها زيد بعد عبيد الحبشي .

قيل : كانت لعبدالله بن عبدالمطّلب عليه السلام فصارت للنّبيّ ﷺ ميراثاً . وقيل : إنّه كانت لأمّه ﷺ . وروي إنّها كانت لأُخت خديجة فوهبتها للنّبيّ ﷺ فلمّا تزوّج من خديجة عليها السلام أعتقها .

وفي الإصابة : إنّ النّبيّ ﷺ قال : «من سرّه أن يتزوّج امرأة من أهل الجنّة فليتزوّج أمّ أيمن» ...

وتوفّيت في أوائل عهد عثمان ، وروى البخاري أنّها توفّيت بعد النّبيّ بخمسة أشهر . [راجع : الإصابة ، تهذيب التهذيب ، أعلام النساء ، طبقات ابن سعد ، البخاري ، قاموس الرّجال ، أعيان الشيعة]

(٢) الإسراء ٢٦ . قال الطبرسي في مجمع البيان : «وأخبرنا السيّد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسيني قراءة ، قال : حدّثنا أبوالقاسم عبيدالله بن الحسكاني ، قال : حدّثنا الحاكم الوالد أبو محمّد ، قال : حدّثنا عبدالله بن عمر بن عثمان ببغداد شفاهاً ، قال : أخبرني عمر بن الحسن بن علي بن مالك ، قال : حدّثنا جعفر بن محمّد الأحمسي قال : حدّثنا حسن بن حسين ، قال : حدّثنا أبو معمر سعيد بن خثيم وعلي بن القاسم الكندي ويحيى بن يعلى وعلي بن مسهّر عن فضل بن مرزوق عن عطيّة العوفي عن أبي سعيد الخدري قال : لمّا نزل قوله : ﴿ آتِ ذَاالْقُرْبىٰ حَقَّهُ ﴾ أعطى رسول الله ﷺ فاطمة فدكاً .

قال عبدالرّحمن بن صالح : كتب المأمون إلى عبدالله بن موسى يسأله عن قصّة فدك ، فكتب إليه عبدالله بهذا الحديث ورواه الفضل بن مرزوق عن عطيّة ، فردّ المأمون فدكاً إلى ولد فاطمة» ، إنتهى .

جاء عليّ عليه السلام إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون والأنصار ، فقال : يا أبابكر لم منعت فاطمة ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

فقال أبوبكر : هذا فيْ للمسلمين ، فإن أقامت شهوداً أنّ رسول الله جعله لها وإلّا فلا حقّ لها فيه .

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : يا أبابكر تحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين ؟

قال : لا .

قال : فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه ثمّ ادّعيت أنا فيه مَن تسأل البيّنة ؟

قال : إيّاك أسأل البيّنة .

قال : فما بال فاطمة سألتها البيّنة على ما في يديها وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعده ؟ ولم تسأل المسلمين بيّنة على ما ادّعوها شهوداً كما سألتني على ما ادّعيت عليهم(١) ؟

فسكت أبوبكر ، فقال عمر : يا علي دعنا من كلامك ، فإنّا لا نقوى على حجّتك ، فإن أتيت بشهود عدول وإلّا فهو فيْ للمسلمين ؛ لا حقّ لك ولا لفاطمة فيه .

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : يا أبابكر تقرأ كتاب الله ؟

قال : نعم .

قال : أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾(٢) فيمن نزلت ؛ فينا أم في غيرنا ؟

قال : بل فيكم .

قال :فلو أنّ شهوداً شهدوا على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله بفاحشة ماكنت صانعاً بها؟

قال :كنت أُقيم عليها الحد كما أُقيمه على نساء المسلمين .

---

(١) إذ أنّها عليها السلام كانت صاحبة اليد والمسلمون يمثّلون دور المدّعي .

(٢) روى محبّ الدين الطبري في ذخائر العقبى : عن عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله قال : نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ [الأحزاب ٣٣] في بيت أُم سلمة رضي الله عنها فدعى النبيّ صلى الله عليه وآله فاطمة وحسناً وحسيناً فجلّلهم بكساء وعلى خلف ظهره ثمّ قال : «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً» .

قالت أُم سلمة : وأنا معهم يا رسول الله ؟

قال : «أنت على مكانك وأنت على خير» .

قال : إذن كنت عند الله من الكافرين .

قال : ولِمَ ؟

قال : لأنّك ردد شهادة الله لها بالطهارة ، وقبلت شهادة النّاس عليها كما رددت حكم الله وحكم رسوله أن جعل لها فدكاً قد قبضته في حياته ، ثمّ قبلت شهادة أعرابيّ بائل على عقبيه عليها وأخذت منها فدكاً وزعمت أنّه في فيْ المسلمين ، وقد قال رسول الله ﷺ : البيّنة على من ادّعى واليمين على من ادُّعي عليه» .

قال : «فدمدم النّاس وأنكروا ، ونظر بعضهم إلى بعض ، وقالوا : صدق والله عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، ورجع إلى منزله» .

قال : «ثمّ دخلت فاطمة المسجد وطافت بقبر أبيها وهي تقول :

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كانت شاهدها لم تكثر الخطب

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختلّ قومك فاشهدهم ولا تغب[١]

قد كان جبريل بالآيات يؤنسنا ... فغاب عنّا فكلّ الخير محتجب

وكنت بدراً ونوراً يستضاء به ... عليك ينزل من ذي العزّة الكتب

تجهّمتنا رجال واستخفّ بنا ... إذ غبت عنّا فنحن اليوم نغتصب

فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت ... منّا العيون بتهمال لها سكب

قال : فرجع أبوبكر وعمر إلى منزلهما ، وبعث أبوبكر إلى عمر فدعاه ثمّ قال له : أما رأيت مجلس عليّ منّا في هذا اليوم ؟ والله لئن قعد مقعداً آخر مثله ليفسدنّ علينا أمرنا ، فما الرّأي ؟

فقال عمر : الرّأي أن تأمر بقتله .

قال : فمن يقتله ؟

قال : خالد بن الوليد[٢] .

---

(١) في كشف الغمّة : ثمّ التفتت إلى قبر أبيها متمثّلة بقول هند ابنة أثاثة :

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختلّ قومك لمّا غبت وانقلبوا

(٢) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي . قال ابن حجر ـ في الإصابة ـ : «وشهد مع كفّار قريش الحروب إلى غزوة الحديبيّة ، كما ثبت في الصّحيح ، إنّه كان على خيل قريش طليعة ، ثمّ أسلم في سنة سبع بعد خيبر وقيل قبلها ، ووهم من زعم أنّه أسلم سنة خمس» .

فبعثوا خالداً فأتاهما ، فقالا : إنّا نريد أن نحملك على أمر عظيم .

فقال : إحملاني على ما شئتما ، ولو على قتل عليّ بن أبي طالب .

قالا : فهو ذلك .

قال خالد : متى أقتله ؟

قال أبوبكر : إحضر المسجد وقم بجنبه في الصّلاة ، فإذا سلّمت فقم إليه واضرب عنقه .

قال : نعم .

فسمعت أسماء بنت عميس[1] وكانت تحت أبي بكر ، فقالت لجاريتها : إذهبي الى منزل عليّ

وقال ابن الأثير ـ في أسد الغابة ـ: «ولا يصحّ لخالد مشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل فتح مكّة ، ولمّا فتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكّة بعثه إلى بني جذيمة من بني عامر بن لؤي فقتل منهم من لم يجز قتله ، فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله : اللّهمّ إنّي أبرأ إليك ممّا صنع خالد ؛ فأرسل مالاً مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام فودّى القتلى وأعطاهم ثمن ما أُخذ منهم حتّى ثمن ميلغة الكلب ، وفضل معه فضلة من المال فقسّمها فيهم ، فلمّا أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك استحسنه ...» .

وقال فيه أيضاً: ثمّ إنّ أبابكر أمره بعد رسول الله صلى الله عليه وآله على قتال المرتدّين منهم مسيلمة الحنفي في اليمامة ، وله في قتالهم الأثر العظيم ، ومنهم : مالك ابن نويرة من بني يربوع من تميم وغيرهم إلّا أنّ النّاس اختلفوا فـي قـتل مالك بن نويرة فقيل : إنّه قُتِل مسلماً لظنّ ظنّه خالد به ، وكلام سمعه منه ، وأنكر عليه أبو قتادة وأقسم أنّه لا يقاتل تحت رايته ، وأنكر عليه ذلك عمر بن الخطّاب ...» .

وقال في أُسد الغابة أيضاً ـ في ترجمة مالك بن نويرة ـ: فلمّا فرغ خالد من بني أسد وغطفان ، سار إلى مالك وقدم البطاح فلم يجد به أحداً كان مالك قد فرّقهم ونهاهم عن الإجتماع ، فلمّا قدم خالد البطاح بثّ سراياه فأُتي بمالك ابن نويرة ونفر من قومه ، فاختلف السريّة فيهم ، وكان فيهم أبو قتادة وكان فيمن شهد أنّهم أذّنوا وأقاموا وصلّوا ، فحبسهم في ليلة باردة ، وأمر خالد فنادى : أدفئوا أسراكم ـ وهي في لغة كـنانة : القـتل ـ فـقتلوهم ، فـسمع خـالد الواعية ، فخرج وقد قتلوا ، فتزوّج خالد امرأته ، فقال عمر لأبي بكر : سيف خالد فيه رهق وأكثر عليه .

فقال أبوبكر : تأوّل فأخطأ ولا أشيم سيفاً سلّه الله على المشركين ، وودّى مالكاً!!

وقدم خالد على أبي بكر ، فقال له عمر : يا عدوّ الله قتلت امرءً مسلماً ثمّ نزوت على امرأته ، لأرجمنّك» .

قال : «وقيل إنّ المسلمين لمّا غشّوا مالكاً وأصحابه ليلاً ، أخذوا السلاح ، فقالوا : نحن المسلمون ، فقال أصحاب مالك : ونحن المسلمون ، فقالوا لهم : ضعوا السلاح ؛ فوضعوه وصلّوا ، وكان خالد يعتذر في قتله أنّ مالكاً قال : ما أخال صاحبكم إلّا قال كذا ، فقال : أوما تعدّه لك صاحباً ؟ فقتله . فقدم متمّم على أبي بكر يطلب بدم أخيه وأن يردّ عليهم سبيهم ، فأمر أبوبكر بردّ السّبي وودّى مالكاً من بيت المال ، فهذا جميعه ذكره الطبري وغيره مـن الأئـمّة ويدلّ على أنّه لم يرتدّ ...» إنتهى .

وجعله أبوبكر والياً من قبله على الشام ، فلمّا ولّى عمر الخلافة عزله ومات فيها بحمص في خلافة عمر . [راجع : الإصابة لابن حجر ، أُسد الغابة لابن الأثير ، ابن أبي الحديد ج ٤ من شرح النهج ، الإستيعاب]

(١) أسماء بنت عميس الخثعميّة : هي أُخت ميمونة زوج النّبيّ صلى الله عليه وآله وأُخت لبابة زوج العبّاس بـن عـبدالمـطّلب وأمّ

وفاطمة عليها السلام واقرأيهما السّلام وقولي لعليّ : ﴿ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّاصِحِينَ ﴾ ؛ فجاءت ، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : قولي لها : إنّ الله يحول بينهم وبين ما يريدون ، ثمّ قام وتهيّأ للصّلاة ، وحضر المسجد ، وصلّى خلف أبي بكر ، وخالد بن الوليد يصلّي بجنبه ، ومعه السّيف ، فلمّا جلس أبوبكر في التشهّد ندم على ما قال وخاف الفتنة ، وعرف شدّة عليّ وبأسه ، فلم يزل متفكّراً لا يجسر أن يسلّم ، حتّى ظنّ النّاس أنّه قد سهى ، ثمّ التفت إلى خالد فقال : يا خالد لا تفعلنّ ما أمرتك ، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : يا خالد ما الّذي أمرك به ؟

فقال : أمرني بضرب عنقك .

قال : أوكنت فاعلاً ؟

قال : إي والله ، لولا أنّه قال لي لا تقتله قبل التسليم لقتلتك .

قال : فأخذه عليّ عليه السلام فجلّد به الأرض ، فاجتمعت النّاس عليه .

فقال عمر : يقتله وربّ الكعبة .

الفضل وعبدالله .

هاجرت مع زوجها جعفر بن أبي طالب عليه السلام إلى الحبشة .

ذكر ابن الأثير في أسد الغابة : «إنّ عمر بن الخطّاب قال لها : نعم القوم لولا أنّنا سبقناكم إلى الهجرة ، فذكرت ذلك للنّبيّ صلى الله عليه وآله ، فقال : بل لكم هجرتان إلى أرض الحبشة وإلى المدينة» إنتهى .

وأعقبت أسماء من جعفر بن أبي طالب الطيّار في الجنان عليه السلام ثمانية بنين وهم : عبدالله ، وعون ، ومحمّد الأكبر ، ومحمّد الأصغر ، وعبدالله الأكبر ، وعبدالله الأصغر ، وحميد ، وحسين ؛ أمّا محمّد الأكبر فقُتل مع عمّه أميرالمؤمنين عليه السلام بصفّين ، وأمّا عون ومحمّد الأصغر فقُتلا مع ابن عمّهما الحسين عليه السلام يوم الطفّ ، وأمّا عبدالله الأكبر فهو أحد أجواد بني هاشم الأربعة وهم : الحسن والحسين وعبدالله بن العبّاس وهو الرّابع عليه السلام ، ولم يبايع رسول الله صلى الله عليه وآله طفلاً غير هؤلاء الأربعة ، ولد بأرض الحبشة ، وله في الجود أخبار كثيرة ، حتّى لُقّب بقطب السخاء ، حضر مع عمّه صفّين ، وعقد له يوم الجمل على عشرة آلاف ، وليس لجعفر عقب إلّا منه .

فلمّا قتل جعفر بن أبي طالب عليه السلام تزوّجها أبوبكر فأولدت له محمّداً حبيب عليّ وربيب حجره وواليه على مصر ، قتله معاوية بن أبي سفيان ، وللإمام عليه السلام عند قتل محمّد بن أبي بكر خطبة موجودة في النّهج ، ولمّا مات أبوبكر تزوّجها أميرالمؤمنين عليه السلام فأولدت له يحيى بإجماع ، واختلف في عون بن عليّ بن أبي طالب فقيل إنّه منها .

وروي أنّها كانت تحت حمزة بن عبدالمطّلب فأولدت له بنتاً اسمها أمامة .

في كشف الغمّة : «عن أسماء بنت عميس قالت : أوصتني فاطمة عليها السلام أن لا يغسلها إلّا أنا وعلي ؛ فغسلتها أنا وعليّ عليه السلام» . [راجع : الإصابة ، أسد الغابة ، أعلام النساء ، ريحانة الأدب ، شرح النهج لابن أبي الحديد ، كشف الغمة للإربلي ، أعيان الشيعة]

فقال النّاس : يا أباالحسن الله الله ، بحقّ صاحب القبر ، فخلّى عنه ، ثمّ التفت إلى عمر فأخذ بتلابيبه وقال : يابن صهّاك والله لولا عهد من رسول الله وكتاب من الله سبق لعلمت أيّنا أضعف ناصراً وأقلّ عدداً ، ودخل منزله .

رسالة لأميرالمؤمنين عليه السلام إلى أبي بكر لمّا بلغه عنه كلام بعد منع الزهراء عليها السلام فدك

«شَقّوا متلاطمات أمواج الفتن بحيازيم سفن النّجاة ، وحطّوا تيجان أهل الفخر بجميع أهل الغدر ، واستضاؤا بنور الأنوار ، واقتسموا مواريث الطاهرات الأبرار ، واحتقبوا[١] ثقل الأوزار ، بغصبهم نحلة النبيّ المختار ، فكأنّي بكم تتردّدون في العَمى كما يتردّد البعير في الطاحونة ، أما والله لو أُذن لي بما ليس لكم به علم لحصدت رؤوسكم عن أجسادكم كحبّ الحصيد ، بقواضب[٢] من حديد ، ولقلعت من جماجم شجعانكم ما أقرح به آماقكم[٣] ، وأوحش به محالّكم ، فإنّي ـ مذ عرفت ـ : مُردي العساكر[٤] ، ومفني الجحافل[٥] ، ومبيد خضرائكم ، ومخمل ضوضائكم[٦] ، وجزّار الدوارين[٧] إذ أنتم في بيوتكم معتكفون ، وإنّي لصاحبكم بالأمس ، لعمر أبي وأُمّي لن تحبّوا أن يكون فينا الخلافة والنبوّة ، وأنتم تذكرون أحقاد بدر وثارات أُحد ، أما والله لو قلت ما سبق من الله فيكم لتداخلت أضلاعكم في أجوافكم كتداخل أسنان دوّارة الرحى ، فإن نطقتُ يقولون حسداً ، وإن سكتُّ فيقال ابن أبي طالب جزع من الموت ، هيهات هيهات ! الساعة يقال لي هذا ؟! وأنا المُميت المائت ، وخوّاض المنايا في جوف ليل حالك ، حامل السيفين الثقيلين ، والرمحين الطويلين ، ومُنكّس الرايات في غطامط الغمرات[٨] ، ومفرّج الكربات عن وجه خير البريّات ،

---

(١) احتقبوا : حملوا على ظهورهم .

(٢) القواضب : جمع القاضب ، يقال سيف قاضب أي قاطع .

(٣) مؤق العين ـ بهمزة ساكنة ـ : مؤخّرها ، وجمع المؤق : آماق ـ بسكون الميم ـ مثل قفل وأقفال ، ويجوز القلب فيقال : آماق .

(٤) الردى : الهلاك ، أرداكم : أهلككم .

(٥) الجحفلُ : الجيش الكثير .

(٦) الضوضاء : أصوات الناس .

(٧) الجزّار ـ بالتشديد ـ : اسم فاعل من الجزر وهو بمعنى القطع والنحر . قال المجلسي رحمه الله : لعلّ المراد بالدّوارين : الدهور والأزمنة .

(٨) غطامط : عظيم الأمواج ، والغمرات جمع غمرة وهي : الشدّة ، وغمرة الشيء : شدّته ومزدحمه .

أيهنوا فوالله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل إلى محالب أُمّه ، هبلتكم الهوابل[١] ، لو بحت بما أنزل الله سبحانه في كتابه فيكم لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة[٢] ، ولخرجتم من بيوتكم هاربين ، وعلى وجوهكم هائمين ، ولكنّي أهون وجدي حتّى ألقى ربّي ، بيد جذّاء صفراء من لذّاتكم ، خلواً من طحناتكم ، فما مثل دنياكم عندي إلّا كمثل غيم علا فاستعلا ، ثمّ استغلظ فاستوى ، ثمّ تمزّق فانجلا ، رويداً فعن قليل ينجلي لكم القسطل[٣] وتجنون ثمر فعلكم مرّا ، وتحصدون غرس أيديكم ذعافاً ممقرا[٤] ، وسمّاً قاتلاً ، وكفى بالله حكيماً ، وبرسول الله خصيما ، وبالقيامة موقفا ، فلا أبعد الله فيها سواكم ، ولا أتعس فيها غيركم ، والسّلام على من اتّبع الهدى» .

فلمّا أن قرأ أبوبكر الكتاب رعب من ذلك رعباً شديداً وقال : يا سبحان الله ما أجرأه عَلَيّ وأنكله عن غيري .

معاشر المهاجرين والأنصار تعلمون أنّي شاورتكم في ضياع فدك بعد رسول الله ﷺ ، فقلتم : أنّ الأنبياء لا يورثون ، وأنّ هذه الأموال يجب أن تضاف إلى مال الفئ ، وتصرف في ثمن الكراع والسلاح ، وأبوباب الجهاد ، ومصالح الثغور فأمضينا رأيكم ، ولم يُمضِهِ من يدّعيه ، وهو ذا يبرق وعيداً ، ويرعد تهديداً ، إيلاءً بحقّ محمّد ﷺ أن يمضحها[٥] دماً ذعافاً ، والله لقد استقلت منها فلم أقل ، وأستعزلتها عن نفسي فلم أعزل ، كلّ ذلك كراهيّة منّي لابن أبي طالب ، وهرباً من نزاعه ، مالي ولابن أبي طالب ؟ أهل نازعه أحد ففلج[٦] عليه ؟

فقال له عمر : أبيت أن تقول إلّا هكذا ؟ فأنت ابن مَن لم يكن مقداماً في الحروب ولا سخيّاً في الجدوب ، سبحان الله ما أهلع[٧] فؤادك ، وأصغر نفسك ، قد صفيت لك سجالاً[٨] لتشربها فأبيت إلّا أن تظمأ كظمائك ، وأنخت لك رقاب العرب ، وثبت لك الإشارة والتدبير ، ولولا ذلك لكان ابن

---

(١) هبلت فلاناً أمّه : ثكله فهي هابل .
(٢) الأرشية : جمع رشاء وهو حبل الدلو ، والطوى : السقاء الّذي يجعلون فيها الماء .
(٣) القسطل : الغبار الساطع في الحرب .
(٤) الذعاف : السمّ الّذي يقتل من ساعته ، والممقر : المر .
(٥) وفي نسخة يمضخها .
(٦) فلج عليه : فاز .
(٧) الهلع : الجبن عند اللقاء .
(٨) السجال جمع سجل وهو دلو عظيم فيه ماء .

أبي طالب قد صيّر عظامك رميماً ، فاحمد الله على ما قد وهب لك منّي ، واشكره على ذلك فإنّه من رقى منبر رسول الله صلى الله عليه وآله كان حقيقاً عليه أن يحدث لله شكراً ، وهذا عليّ بن أبي طالب الصخرة الصمّاء الّتي لا ينفجر ماءها إلّا بعد كسرها ، والحيّة الرقشاء الّتي لا تجيب إلّا بالرقى ، والشجرة المرّة الّتي لو طليت بالعسل لم تنبت إلّا مرّا ، قتل سادات قريش فأبادهم ، وألزم آخرهم العار ففضحهم ، فطب عن نفسك نفساً ، ولا تغرّنّك صواعقه ، ولا يهولنّك رواعده وبوارقه ، فإنّي أسدّ بابه قبل أن يسدّ بابك .

فقال له أبوبكر : ناشدتك الله يا عمر لما أن تركتني من أغاليطك وتربيدك ، فوالله لو همّ ابن أبي طالب بقتلي وقتلك لقتلنا بشماله دون يمينه ، وما ينجينا منه إلّا إحدى ثلاث خصال : إحداها أنّه وحيد ولا ناصر له ، والثانية أنّه ينتهج فينا وصيّة رسول الله ، والثالثة أنّه ما من هذه القبائل أحد إلّا وهو يتخضّمه[1] كتخضّم الثنية الإبل أوان الربيع ، فتعلم لولا ذلك لرجع الأمر إليه وإن كنّا له كارهين ، أمّا إنّ هذه الدّنيا أهون إليه من لقاء أحدنا للموت ، أنسيت له يوم أُحد ؟ وقد فررنا بأجمعنا ، وصعدنا الجبل ، وقد أحاطت به ملوك القوم ، وصناديدهم موقنين بقتله ، لا يجد محيصاً للخروج من أوساطهم ، فلمّا أن سدّد عليه القوم رماحهم نكّس نفسه عن دابّته حتّى جاوزه طعان القوم ، ثمّ قام قائماً في ركابيه وقد طرّق عن سرجه وهو يقول : «يا الله يا الله يا جبرئيل يا جبرئيل يا محمّد يا محمّد النجاة النجاة» ثمّ عمد إلى رئيس القوم فضربه ضربة على أُمّ رأسه فبقي على فكّ واحد ولسان ، ثمّ عمد إلى صاحب الراية العظمى فضربه ضربة على جمجمته ففلقها ، ومرّ السيف يهوي في جسده فبراه ودابّته بنصفين ، ولمّا أن نظر القوم إلى ذلك انجفلوا من بين يديه ، فجعل يمسحهم بسيفه مسحاً حتّى تركهم جراثيم جموداً على تلعة من الأرض يتمرّغون في حسرات المنايا ، يتجرّعون كؤوس الموت، قد اختطف أرواحهم بسيفه ، ونحن نتوقّع منه أكثر من ذلك ، ولم نكن نضبط من أنفسنا من مخافته حتّى ابتدأت منك إليه التفاتة ، وكان منه إليك ما تعلم ، ولولا أنّه نزلت آية من كتاب الله لكنّا من الهالكين ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ﴾[2] ؛ فاترك هذا الرّجل ما تركك ، ولا يغرّنّك قول خالد أنّه يقتله ، فإنّه لا يجسر على ذلك ، ولو رام لكان أوّل مقتول بيده ، فإنّه من ولد عبد مناف ، إذا هاجوا هيبوا ، وإذا غضبوا أدموا ، ولاسيّما عليّ بن أبي طالب عليه السلام نابها الأكبر ، وسنامها الأطول ، وهامتها الأعظم ، والسّلام على من اتّبع الهدى .

---

(١) في بعض النسخ «يتهضّمه كتهضّم».

(٢) آل عمران ١٥٢.

احتجاج فاطمة الزهراء عليها السلام على القوم لمّا منعوها فدك وقولها لهم عند الوفاة بالإمامة

روى **عبدالله بن الحسن**[١] بإسناده عن آبائه عليهم السلام أنّه لمّا أجمع[٢] أبوبكر وعمر على منع فاطمة عليها السلام فدكاً، وبلغها ذلك[٣] لاثت خمارها[٤] على رأسها، واشتملت بجلبابها[٥]، وأقبلت في لمّة[٦] من حفدتها[٧] ونساء قومها تطأ ذيولها[٨]، ما تخرم مشيتها مشية

---

(١) هو عبدالله المحض بن الحسن المثنّى بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

في عمدة الطالب: وإنّما سمّي المحض لأنّ أباه الحسن بن الحسن عليه السلام وأمّه فاطمة بنت الحسين عليه السلام، وكان يشبه برسول الله صلى الله عليه وآله.

وكان شيخ بني هاشم في زمانه، وقيل له: بما صرتم أفضل النّاس؟ قال: لأنّ النّاس كلّهم يتمنّون أن يكونوا منّا ولا نتمنّى أن نكون من أحد.

وقال أبوالفرج الإصفهاني - في مقاتل الطالبيّين - عند ذكر من قتل أيّام أبي جعفر المنصور: وكان أبو جعفر المنصور قد طلب محمّداً وإبراهيم فلم يقدر عليهما فحبس عبدالله بن الحسن وإخوته وجماعة من أهل بيته بالمدينة ثمّ أحضرهم إلى الكوفة فحبسهم بها، فلمّا ظهر محمّد قتل عدّة منهم في الحبس - إلى أن قال: - وعبدالله ابن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام يكنّىٰ أبامحمّد - إلى أن قال: - وقتل عبدالله بن الحسن في محبسه بالهاشميّة، وهو ابن خمس وسبعين، سنة خمس وأربعين ومائة.

وفي معجم البلدان: والهاشميّة أيضاً مدينة بناها السفّاح بالكوفة - إلى أن قال: - وبالهاشميّة هذه حبس المنصور عبدالله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام ومن كان معه من أهل بيته.

(٢) أجمع: أحكم النيّة والعزيمة.

(٣) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: قال أبوبكر - يعني: الجوهري - فحدّثني محمّد بن زكريّا قال: حدّثني جعفر ابن محمّد بن عمارة الكندي قال: حدّثني أبي عن الحسين بن صالح بن حي قال: حدّثني رجلان من بني هاشم عن زينب بنت عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قال: وقال جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين عن أبيه.

قال أبوبكر: وحدّثني عثمان بن عمران العجيفي عن نائل بن نجيح بن عمير بن شمر عن جابر الجعفي عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام.

قال أبوبكر: وحدّثني أحمد بن محمّد بن يزيد عن عبدالله بن محمّد بن سليمان عن أبيه عن عبدالله بن حسن بن حسن قالوا جميعاً: لمّا بلغ فاطمة ... الخ.

(٤) اللوث: الطي والجمع، ولاث العمامة: شدّها وربطها، ولاثت خمارها: لفّته، والخمار بالكسر: المقنعة، سُمّيت بذلك لأنّ الرّأس يخمر بها أي يغطّى.

(٥) الإشتمال بالشي جعله شاملاً ومحيطاً لنفسه، والجلباب: الرداء والإزار.

(٦) في لمّة: أي جماعة. وفي بعض النسخ «في لميمة» بصيغة التصغير أي في جماعة قليلة.

(٧) الحفدة بالتحريك: الأعوان والخدم.

(٨) أي إنّ أثوابها كانت طويلة تستر قدميها، فكانت تطأها عند المشي، وفي بعض النسخ «أدراعها» والمعنى واحد.

رسول الله صلى الله عليه وآله[١] حتّى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم[٢] ، فنيطت دونها ملاءة[٣] ، فجلست ثمّ أنّت أنّة أجهش القوم[٤] لها بالبكاء ، فارتجّ المجلس ، ثمّ أمهلت هنيئة حتّى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم ، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصّلاة على رسوله ، فعاد القوم في بكائهم ، فلمّا أمسكوا عادت في كلامها ، فقالت عليها السلام :

«الحمد لله على ما أنعم ، وله الشّكر على ما ألهم ، والثناء بما قدّم ، من عموم نعم ابتداها ، وسبوغ آلاء أسداها ، وتمام منن أولاها ، جمّ عن الإحصاء عددها ، ونأى عن الجزاء أمدها ، وتفاوت عن الإدراك أبدها ، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتّصالها ، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها ، وثنّى بالنّدب إلى أمثالها .

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، كلمة جعل الإخلاص تأويلها ، وضمن القلوب موصولها ، وأنار في التفكّر معقولها ، الممتنع من الأبصار رؤيته ، ومن الألسن صفته ، ومن الأوهام كيفيّته ، إبتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها ، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها ، كوّنها بقدرته ، وذرأها بمشيّته ، من غير حاجة منه إلى تكوينها ، ولا فائدة له في تصويرها ، إلاّ تثبيتاً لحكمته ، وتنبيهاً على طاعته ، وإظهاراً لقدرته ، تعبّداً لبريّته ، وإعزازاً لدعوته ، ثمّ جعل الثواب على طاعته ، ووضع العقاب على معصيته ، ذيادة[٥] لعباده من نقمته ، وحياشة[٦] لهم إلى جنّته .

وأشهد أنّ أبي محمّداً عبده ورسوله ، اختاره قبل أن أرسله ، وسمّاه قبل أن اجتباه ، واصطفاه قبل أن ابتعثه ، إذ الخلائق بالغيب مكنونة ، وبستر الأهاويل مصونة ، وبنهاية العدم مقرونة ، علماً من الله تعالى بمآيل الأُمور ، وإحاطة بحوادث الدهور ، ومعرفة بمواقع الأُمور ، ابتعثه الله إتماماً لأمره ، وعزيمة على إمضاء حكمه ، وإنفاذاً لمقادير حتمه ، فرأى الأُمم فرقاً في أديانها ، عُكّفاً على نيرانها ، عابدة لأوثانها ، منكرة لله مع عرفانها ، فأنار الله بأبي محمّد صلى الله عليه وآله ظُلَمها ، وكشف عن

---

(١) الخرم ـ بضمّ الخاء وسكون الراء ـ : الترك ، والنقص ، والعدول .

(٢) الحشد : الجماعة .

(٣) نيطت : علّقت ، وناط الشيء : علّقه ، والملاءة الإزار .

(٤) أجهش القوم : تهيّئوا .

(٥) والذود والذياد بالذال المعجمة : السوق والطرد والدفع والإبعاد .

(٦) حاش الإبل : جمعها وساقها .

القلوب بهمها[١] ، وجلى عن الأبصار غممها[٢] ، وقام في النّاس بالهداية ، فأنقذهم من الغواية ، وبصّرهم من العماية ، وهداهم إلى الدّين القويم ، ودعاهم إلى الطريق المستقيم ، ثمّ قبضه الله إليه قبض رأفة واختيار ، ورغبة وإيثار ؛ فمحمّد ﷺ من تعب هذه الدّار في راحة ، قد حفّ بالملائكة الأبرار ، ورضوان الربّ الغفّار ، ومجاورة الملك الجبّار ، صلّى الله على أبي نبيّه ، وأمينه ، وخيرته من الخلق وصفيّه ، والسّلام عليه ورحمة الله وبركاته» .

ثمّ التفتت إلى أهل المجلس وقالت : «أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه ، وحملة دينه ووحيه ، وأُمناء الله على أنفسكم ، وبلغاءه إلى الأُمم ، وزعمتم حقّ له فيكم ، وعهد قدّمه إليكم ، وبقيّة استخلفها عليكم :كتاب الله الناطق ، و«القرآن» الصّادق ، والنّور السّاطع ، والضياء اللامع ، بيّنة بصائره ، منكشفة سرائره ، منجلية ظواهره ، مغتبطة به أشياعه ، قائداً إلى الرضوان أتباعه ، مؤدّ إلى النجاة استماعه ، به تنال حجج الله المنوّرة ، وعزائمه المفسّرة ، ومحارمه المحذّرة ، وبيّناته الجالية ، وبراهينه الكافية ، وفضائله المندوبة ، ورخصه الموهوبة ، وشرائعه المكتوبة ، فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك ، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر ، والزكاة تزكية للنّفس ونماء في الرزق ، والصيام تثبيتاً للإخلاص ، والحجّ تشييداً للدين ، والعدل تنسيقاً للقلوب ، وطاعتنا نظاماً للملّة ، وإمامتنا أماناً من الفرقة ، والجهاد عزّاً للإسلام ، والصّبر معونة على استيجاب الأجر ، والأمر بالمعروف مصلحة للعامّة ، وبرّ الوالدين وقاية من السخط ، وصلة الأرحام منسأة في العمر[٣] ومنماة للعدد ، والقصاص حقناً للدماء ، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة ، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس ، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس ، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة ، وترك السرقة إيجاباً بالعفّة ، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبيّة ، فاتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون ، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه ، فإنّه يخشى اللهَ مِن عباده العلماء» .

ثمّ قالت : «أيّها النّاس اعلموا أنّي فاطمة وأبي محمّد ﷺ ، أقول عَوداً وبدواً ، ولا أقول ما أقول غلطاً ، ولا أفعل ما أفعل شططاً[٤] ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ[٥] حَرِيصٌ

---

(١) بهمها : أي مبهماتها وهي المشكلات من الأُمور .

(٢) الغمم : جمع غمّة وهي المبهم والملتبس ، وفي بعض النسخ «عماها» .

(٣) منسأة للعمر : مؤخره .

(٤) شططاً : الشطط بالتحريك هو البعد عن الحق ومجاوزة الحد في كلّ شيء .

(٥) عنتّم : أنكرتم وجحدتم .

عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[١] فإن تعزوه[٢] وتعرفوه تجدون أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمّي دون رجالكم[٣] ولنعم المعزّى إليه صلى الله عليه وآله، فبلغ الرسالة، صادعاً بالنذارة[٤] مائلاً عن مدرجة المشركين[٥]، ضارباً ثبجهم[٦] آخذاً بأكظامهم[٧]، داعياً إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجفّ الأصنام[٨] وينكث الهام، حتّى انهزم الجمع وولّوا الدّبر، حتّى تفرّى الليل عن صبحه[٩]، وأسفر الحقّ عن محضه، ونطق زعيم الدّين، وخرست شقاشق الشياطين[١٠]، وطاح وشيظ النفاق[١١]، وانحلّت عقد الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الإخلاص[١٢] في نفر من البيض الخماص[١٣]، وكنتم على شفا حفرة من النّار، مذقة الشارب[١٤]، ونهزة الطامع[١٥]، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام[١٦]، تشربون الطَرَق[١٧]، وتقتاتون القدّ[١٨]، أذلّة خاسئين، تخافون أن يتخطّفكم النّاس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمّد صلى الله عليه وآله، بعد اللتيا والّتي، وبعد أن مُني ببهم[١٩] الرّجال وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلّما أوقدوا ناراً

---

(١) التوبة ١٢٨.

(٢) تعزوه: تنبوه.

(٣) سيأتي قول النّبيّ لعليّ: أنت أخي وحديث المؤاخاة.

(٤) صادعاً: الصدع هو الإظهار، والنذارة ـ بالكسر ـ الإنذار وهو الإعلام على وجه التخويف.

(٥) المدرجة: هي المذهب والمسلك.

(٦) ثبجهم: الثبج ـ بالتحريك ـ وسط الشيء ومعظمه.

(٧) أكظامهم: الكظم ـ بالتحريك ـ مخرج النّفس من الحلق.

(٨) يجفّ الأصنام: في بعض النسخ «يكسر الأصنام» وفي بعضها «يجذّ» أي يكسر.

(٩) تفرّى الليل عن صبحه: أي انشقّ حتّى ظهر وجه الصّباح.

(١٠) شقاشق الشياطين: الشقاشق: جمع شقشقة ـ بالكسر ـ وهي شيء كالرية يخرجها البعير من فيه إذا هاج.

(١١) طاح: هلك. والوشيظ السفلة والرذل من النّاس.

(١٢) كلمة الإخلاص: كلمة التوحيد.

(١٣) البيض الخماص: المراد بهم أهل البيت عليهم السلام.

(١٤) مذقة الشارب: شربته.

(١٥) نهزة الطامع ـ بالضم ـ الفرصة أي محلّ نهزته.

(١٦) قبسة العجلان: مثل في الإستعجال، وموطئ الأقدام: مثل مشهور في المغلوبيّة والمذلّة.

(١٧) الطرق ـ بالفتح ـ ماء السّماء الّذي تبول به الإبل وتبعر.

(١٨) القد ـ بكسر القاف وتشديد الدال ـ: سير يقد من جلد غير مدبوغ.

(١٩) بهم الرّجال: شجعانهم.

للحرب أطفأها الله ، أو نجم قرن الشيطان[١] أو فغرت فاغرة من المشركين[٢] قذف أخاه في لهواتها[٣] فلا ينكفئ حتّى يطأ جناحها بأخمصه[٤] ويخمد لهبها بسيفه ، مكدوداً في ذات الله ، مجتهداً في أمر الله ، قريباً من رسول الله ، سيّداً في أولياء الله ، مشمراً ناصحاً ، مجدّاً ، كادحاً ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، وأنتم في رفاهيّة من العيش وادعون[٥] فاكهون[٦] آمنون ، تتربّصون بنا الدوائر[٧] وتتوكّفون الأخبار[٨] وتنكصون عند النزال ، وتفرّون من القتال ، فلمّا اختار الله لنبيّه دار أنبيائه ، ومأوى أصفيائه ، ظهر فيكم حسكة النفاق[٩] وسمل جلباب الدين[١٠] ، ونطق كاظم الغاوين[١١] ، ونبغ خامل الأقلّين[١٢] ، وهدر فنيق المبطلين[١٣] فخطر في عرصاتكم[١٤] وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم[١٥] فألفاكم لدعوته مستجيبين ، وللعزّة فيه ملاحظين ، ثمّ استنهضكم فوجدكم خفافاً ، وأحشمكم فألفاكم غضاباً[١٦] فوسمتم غير إبلكم[١٧] ووردتم غير مشربكم[١٨] هذا والعهد قريب ، والكلم رحيب[١٩] والجرح لما يندمل[٢٠] والرسول لما يقبر ،

---

(١) نجم : ظهر ، وقرن الشيطان أمّته وتابعوه .

(٢) فغر فاه : أي فتحه ، والفاغرة من المشركين : الطائفة منهم .

(٣) قذف : رمى ، واللهوات ـ بالتحريك ـ : جمع لهات وهي اللحمة في أقصى شفة الفم .

(٤) ينكفئ : يرجع ، والأخمص ما لا يصيب الأرض من باطن القدم .

(٥) وادعون : ساكنون .

(٦) فاكهون : ناعمون .

(٧) الدوائر : صروف الزمان ، أي كنتم تنتظرون نزول البلايا علينا .

(٨) تتوقّعون أخبار المصائب والفتن النازلة بنا .

(٩) في بعض النسخ «حسيكة» وحسكة النّفاق عداوته .

(١٠) وسمل جلباب الدين : سمل صار خَلِقاً ، والجلباب الإزار .

(١١) الكظوم : السكوت .

(١٢) الخامل : من خفي ذكره وكان ساقطاً لا نباهة له .

(١٣) الهدير : ترديد البعير صوته في حنجرته ، والفنيق : الفحل المكرم من الابل الّذي لا يركب ولا يهان .

(١٤) خطر البعير بذنبه إذا رفعه مرّة بعد مرّة وضرب به فخذيه .

(١٥) مغرزه : أي ما يختفي فيه تشبيهاً له بالقنفذ فإنّه يطلع رأسه بعد زوال الخوف .

(١٦) أي حملكم على الغضب فوجدكم مغضبين لغضبه .

(١٧) الوسم أثر الكي .

(١٨) الورود : حضور الماء للشرب .

(١٩) الكلم ـ بالضم ـ : الجرح ، الرحب ـ بالضم ـ : السعة .

(٢٠) أي لم يصلح بعد .

ابتداراً ، زعمتم خوف الفتنة ، ألا في الفتنة سقطوا وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين ، فهيهات منكم ، وكيف بكم وأنّىٰ تؤفكون وكتاب الله بين أظهركم ، أُموره ظاهرة ، وأحكامه زاهرة ، وأعلامه باهرة ، وزواجره لايحة ، وأوامره واضحة ، وقد خلّفتموه وراء ظهوركم ، أرغبة عنه تريدون[1] ؟ أم بغيره تحكمون ؟ بئس للظالمين بدلاً ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴾[2] ثمّ لم تلبثوا إلّا ريث أن تسكن نفرتها[3] ويسلس قيادها[4] ثمّ أخذتم تورون وقدتها[5] وتهيجون جمرتها ، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي ، وإطفاء أنوار الدّين الجلي ، وإهمال سنن النبيّ الصفي ، تشربون حسواً في ارتغاء[6] وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضرّاء[7] ويصير[8] منكم على مثل حزّ المدى[9] ، ووخز السنان في الحشا ، وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا ، أفحكم الجاهليّة تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ؟! أفلا تعلمون ؟ بلى قد تجلّى لكم كالشمس الضاحية : أنّي ابنته .

أيّها المسلمون ءأغلب على إرثي[10] ؟ يابن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي ؟ لقد جئت شيئاً فريّاً ! أفعلى عمدٍ تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم ؟ إذ يقول : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُد ﴾[11] ، وقال فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريّا إذ قال : ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً ۞ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾[12] وقال : ﴿ وأُولُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللهِ ﴾[13] وقال :

---

(١) في بعض النسخ «تدبرون» .

(٢) آل عمران ٨٥.

(٣) نفرتها : نفرت الدابة : جزعت وتباعدت .

(٤) يسلس : يسهل .

(٥) أي : لهبها.

(٦) الحسو : هو الشرب شيئاً فشيئاً ، والارتغاء : هو شرب الرغوة وهي اللبن المشوب بالماء ، وحسواً في الارتغاء : مثل يضرب لمن يظهر شيئاً ويريد غيره .

(٧) الخمر ـ بالفتح ـ : ما واراك من شجر وغيره ، والضرّاء ـ بالفتح ـ : الشجر الملتفّ بالوادي .

(٨) وفي بعض النسخ «يصبر» .

(٩) الحز : القطع ، والمدى : السكاكين .

(١٠) في بعض النسخ «إرثه» .

(١١) النمل ١٦.

(١٢) مريم ٥ـ٦.

(١٣) الأنفال ٧٥.

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾[١] وقال : ﴿ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾[٢] وزعمتم أن لا حظوة[٣] لي ولا أرث من أبي ، ولا رحم بيننا ، أفخصّكم الله بآية أخرج أبي منها ؟ أم هل تقولون أنّ أهل ملّتين لا يتوارثان ؟ أولست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة ؟ أم أنتم أعلم بخصوص «القرآن» وعمومه من أبي وابن عمّي ؟ فدونكها مخطومة مرحولة[٤] تلقاك يوم حشرك ، فنعم الحكم الله ، والزعيم محمّد ، والموعد القيامة ، وعند الساعة يخسر المبطلون ، ولا ينفعكم إذ تندمون ، ولكلّ نبأ مستقرٌّ وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم» .

ثمّ رمت[٥] بطرفها نحو الأنصار فقالت : «يا معشر النّقيبة وأعضاد الملّة[٦] وحضنة الإسلام ، ما هذه الغميزة في حقّي[٧] والسنة عن ظلامتي[٨] ؟ أما كان رسول الله ﷺ أبي يقول : «المرء يُحفظ في ولده» ؟ سرعان ما أحدثتم ، وعجلان ذا إهالة[٩] ولكم طاقة بما أُحاول ، وقوّة على ما أطلب وأُزاول ، أتقولون مات محمّد ﷺ ؟ فخطب جليل ، استوسع وهنه واستنهر فتقه[١٠] وانفتق رتقه ، واظلمّت الأرض لغيبته ، وكسفت الشمس والقمر ، وانتثرت النجوم لمصيبته ، وأكدت[١١] الآمال ، وخشعت الجبال ، وأُضيع الحريم ، وأُزيلت الحرمة عند مماته ، فتلك والله النازلة الكبرى ، والمصيبة العظمى ، لا مثلها نازلة ، ولا بائقة[١٢] عاجلة ، أعلن بها كتاب الله جلّ ثناؤه في

---

(١) النساء ١١.

(٢) البقرة ١٨٠.

(٣) الحظوة : المكانة .

(٤) مخطومة : من الخطام ـ بالكسر ـ وهو كلّ ما يدخل في أنف البعير ليقاد به ، والرحل ـ بالفتح ـ : هو للناقة كالسرج للفرس .

(٥) في بعض النسخ «رنت» .

(٦) النقيبة : الفتية .

(٧) الغميزة ـ بفتح الغين المعجمة والزاي ـ : ضعفة في العمل .

(٨) السنة ـ بالكسر ـ : النوم الخفيف .

(٩) إهالة ـ بكسر الهمزة ـ الدسم ، وسرعان ذا إهالة مثل يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته .

(١٠) وهنه الوهن : الخرق ، واستنهر : اتّسع .

(١١) أكدت : قلّ خيرها .

(١٢) بائقة : داهية .

أفنيتكم ، وفي ممساكم ، ومصبحكم ، يهتف في أفنيتكم هتافاً وصراخاً وتلاوة وألحاناً ، ولقبله ما حلّ بأنبياء الله ورسوله ، حكم فصل ، وقضاء حتم : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّاكِرِينَ ﴾[١] ، إيهاً بني قيلة[٢] ، ءأهضم تراث أبي وأنتم بمرئ منّي ومسمع ومنتدى[٣] ومجمع ؟ تلبسكم الدعوة ، وتشملكم الخبرة ، وأنتم ذوو العدد والعدّة ، والأداة والقوّة ، وعندكم السّلاح والجنّة[٤] ، توافيكم الدعوة فلا تجيبون ، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون ، وأنتم موصوفون بالكفاح ، معروفون بالخير والصلاح ، والنخبة الّتي انتخبت ، والخيرة الّتي اختيرت لنا أهل البيت ، قاتلتم العرب ، وتحمّلتم الكد والتعب ، وناطحتم الأُمم ، وكافحتم[٥] البهم ، لا نبرح أو تبرحون[٦] ، نأمركم فتأتمرون ، حتّى إذا دارت بنا رحى الإسلام ، ودرّ حلب الأيّام ، وخضعت ثغرة الشرك ، وسكنت فورة الإفك ، وخمدت نيران الكفر ، وهدأت دعوة الهرج ، واستوسق نظام الدين[٧] فأنّى حزتم بعد البيان ؟ وأسررتم بعد الإعلان ؟ ونكصتم بعد الإقدام ؟ وأشركتم بعد الإيمان ؟ بؤساً لقوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وهمّوا بإخراج الرّسول وهم بدؤوكم أوّل مرّة ، أتخشونهم ؟ فالله أحقّ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ، ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض[٨] ، وأبعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض ، وخلوتم بالدعة[٩] ، ونجوتم بالضيق من السعة ، فمججتم ما وعيتم ، ودسعتم الّذي تسوّغتم[١٠] ، فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإنّ الله لغنيّ حميد ، ألا وقد قلت ما قلت هذا على معرفة منّي بالجذلة الّتي خامرتكم[١١] والغدرة الّتي استشعرتها قلوبكم ، ولكنّها فيضة

---

(١) آل عمران ١٤٤.

(٢) بنو قيلة : قبيلتا الأنصار : الأوس والخزرج .

(٣) المنتدى : المجلس .

(٤) الجُنّة ـ بالضم ـ : ما استترت به من السلاح .

(٥) وفي بعض النسخ «كالحتم» .

(٦) لا نبرح : لا نزال .

(٧) استوسق : اجتمع .

(٨) أخلدتم : ملتم ، والخفض : السعة والخصب واللين .

(٩) الدعة : الراحة والسّكون .

(١٠) الدسغ : القيء ، وتسوغ الشراب شربه بسهولة .

(١١) الجذلة : ترك النصر ، خامرتكم : خالطتكم .

النّفس ، ونفثة الغيظ ، وخور القناة[١] وبثّة الصدر[٢] ، وتقدمة الحجّة ، فدونكموها فاحتقبوها دبرة[٣] الظهر نقبة الخف[٤] باقية العار ، موسومة بغضب الجبّار ، وشنار الأبد ، موصولة بنار الله الموقدة ، الّتي تطّلع على الأفئدة ، فبعين الله ما تفعلون ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[٥] ، وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فاعملوا إنّا عاملون ، وانتظروا إنّا منتظرون» .

فأجابها أبوبكر عبدالله بن عثمان وقال : يا بنت رسول الله لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً ، رؤوفاً رحيماً ، وعلى الكافرين عذاباً أليماً ، وعقاباً عظيماً ، إن عزوناه وجدناه أباك دون النّساء ، وأخا إلفك[٦] دون الأخلّاء ، آثره على كلّ حميم ، وساعده في كلّ أمر جسيم ، لا يحبّكم إلّا سعيد ، ولا يبغضكم إلّا شقيّ[٧] بعيد ، فأنتم عترة رسول الله الطيّبون ، الخيرة المنتجبون ، على الخير أدلّتنا ، وإلى الجنّة مسالكنا ، وأنتِ يا خيرة النّساء ، وابنة خير الأنبياء ، صادقة في قولك ، سابقة في وفور عقلك ، غير مردودةٍ عن حقّك ، ولا مصدودة عن صدقك ، والله ما عدوت رأي رسول الله ، ولا عملت إلّا بإذنه ، والرائد لا يكذّب أهله ، وإنّي أُشهد الله وكفى به شهيداً ، أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ذهباً ولا فضّة ولا داراً ولا عقاراً وإنّما نورّث الكتاب والحكمة والعلم والنبوّة ، وماكان لنا من طعمة فلوليّ الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه»[٨] وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح يقاتل بها المسلمون ويجاهدون الكفّار ،

---

(١) الخور : الضعف ، والقناة الرمح . والمراد من ضعف القناة هنا ضعف النفس على الصبر على الشدة .

(٢) البث : أشد الحزن الذي لا يصبر عليه صاحبه حتّىٰ يبثه أو يشكوه .

(٣) فاحتقبوها :أي احملوها على ظهوركم ، ودبّر البعيرة أصابته الدبرة ـ بالتحريك ـ وهي جراحة تحدث من الرحل.

(٤) نقب خف البعير : رقّ وتثقّب .

(٥) الشعراء ٢٢٧.

(٦) الإلف : هو الأليف بمعنى المألوف ، والمراد به هنا الزوج لأنّه إلف الزوجة ، وفي بعض النسخ «ابن عمّك» .

(٧) في ذخائر العقبى ـ لمحبّ الدين الطبري ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «لا يحبّنا أهل البيت إلّا مؤمن تقي ، ولا يبغضنا إلّا منافق شقي» أخرجه الملا .

(٨) نقل المجاهد السيّد عبدالحسين شرف الدين رحمه الله في كتابه الجليل «النصّ والإجتهاد» عن الأُستاذ المصري المعاصر محمود أبو رية ما يلي :

قال : بقي أمر لابدّ أن نقول فيه كلمة صريحة ، ذلك هو موقف أبي بكر من فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وما فعل معها في ميراث أبيها ، لأنّا إذا سلّمنا بأنّ خبر الآحاد الظنّي يخصّص الكتاب القطعي ، وإنّه قد

ويجالدون المردة الفجّار ، وذلك بإجماع من المسلمين ، لم أنفرد به وحدي ، ولم أستبدّ بما كان الرّأي عندي[١] ، وهذه حالي ومالي ، هي لك وبين يديك ، لا نزوى عنك[٢] ، ولا ندّخر دونك ، وأنتِ سيّدة أُمّةِ أبيكِ ، والشجرة الطيّبة لبنيكِ ، لا ندفع مالكِ من فضلك ، ولا يوضع في فرعك وأصلك ، حكمك نافذ فيما مَلَكَتْ يداي ، فهل ترين أنّي أُخالف في ذلك أباك ؟

فقالت عليها السلام : «سبحان الله ، ما كان أبي رسول الله صلى الله عليه وآله عن كتاب الله صادفاً[٣] ، ولا لأحكامه مخالفاً ! بل كان يتبع إثره ، ويقفو سوره ، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور والبهتان ، وهذا

⬅ ثبت أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قد قال : إنّه لا يورّث ، وأنّه لا تخصيص في عموم هذا الخبر ، فإنّ أبابكر كان يسعه أن يعطي فاطمة رضي الله عنها بعض تركة أبيها صلى الله عليه وآله كأن يخصّها بفدك ، وهذا من حقّه الّذي ليس يعارضه فيه أحد ، إذ يجوز للخليفة أن يخصّ من يشاء بما يشاء .

قال : وقد خصّ هو نفسه الزبير بن العوام ومحمّد بن مسلمة وغيرهما ببعض متروكات النّبيّ صلى الله عليه وآله على أنّ فدكاً هذه الّتي منعها أبوبكر لم تلبث أن أقطعها الخليفة عثمان لمروان ، هذا كلامه بنصّه .

ثمّ أعقب السيّد رحمه الله قائلاً :

ونقل ابن أبي الحديد عن بعض السلف كلاماً مضمونه العتب على الخليفتين والعجب منهما في مواقفهما مع الزهراء بعد أبيها صلى الله عليه وآله قالوا في آخره :

«وقد كان الأجل أن يمنعهما التكرّم عمّا ارتكباه من بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، فضلاً عن الدّين» فذيّله ابن أبي الحديد بقوله :

«وهذا الكلام لا جواب عنه» . [النصّ والإجتهاد ١٢٣ ـ ١٢٤]

(١) خطر ببالي وأنا أُفكّر في قول الخليفة «وذلك بإجماع المسلمين لم أنفرد به» وفي قوله في آخر الحديث الّذي تفرّد بنقله عن النّبي صلى الله عليه وآله «وما كان لنا من طعمة فلوليّ الأمر أن يحكم فيه بحكمه» نعم خطر ببالي وأنا أُفكّر في هاتين الفقرتين وما إذا كانت فدك من حقّ المسلمين حتّى يؤخذ رأيهم فيه أم من حقّه الخاصّ حتّى يحكم فيه بحكمه كما جاء في ذيل الحديث الّذي استنكرته الصدّيقة الطاهرة عليها السلام واعتبرته كذباً وزوراً وافتراءً على الرّسول صلى الله عليه وآله اعتلالاً منهم لمّا أجمعوا على الغدر بذرّيّته كما اعتبرته طعناً في عصمته صلى الله عليه وآله لو صدر ذلك منه ، واسمع ذلك كلّه في جوابها لأبي بكر : «سبحان الله ، ما كان أبي رسول الله صلى الله عليه وآله عن كتاب الله صادفاً ، ولا لأحكامه مخافاً ، بل كان يتبع إثره ، ويقفوا سوره ، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزّور ، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل في حياته» ، ثمّ إن كان من حقّة الخاص فلماذا لم يعطها سيّدة النّساء وبنت سيّد الأنبياء إكراماً لمقام أبيها صلى الله عليه وآله ، وإذا كان من حقّ المسلمين لماذا لم يؤخذ رأيهم أوّلاً في إعطائه إيّاها ؟

نعم خطر ببالي وأنا أجيل الفكر في هذا وشبهه قول الشريف قتادة بن إدريس من قصيدته العصماء في رثاء سيّدة النّساء عليها السلام والّتي يقول في أوّلها :

(٢) لا نزوى : لا نقبض .

(٣) صادفاً : معرضاً .

بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل[١] في حياته ، هذا كتاب الله حكماً عدلاً ، وناطقاً فصلاً يقول : ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾[٢] ويقول : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ داود ﴾[٣] وبيّن ﷺ فيما وزّع من الأقساط ، وشرع من الفرائض والميراث ، وأباح من حظّ الذكران والإناث ، ما أزاح به علّة المبطلين ، وأزال التظنّي والشّبهات في الغابرين ،كلّا بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون» .

فقال أبوبكر : صدق الله ورسوله ، وصدقت ابنته ، أنتِ معدن الحكمة ، وموطن الهدى والرحمة ، وركن الدين ، وعين الحجّة ، لا أبعد صوابك ، ولا أنكر خطابك ، هؤلاء المسلمونْ بيني وبينك ، قلّدوني ما تقلّدت ، وباتّفاق منهم أخذتُ ما أخذتُ غير مكابر ولا مستبدّ ، ولا مستأثر ، وهم بذلك شهود .

فالتفتت فاطمة عليها السلام إلى النّاس وقالت : «معاشر المسلمين ، المسرعة إلى قيل الباطل[٤] ، المغضية على الفعل القبيح الخاسر ، أفلا تتدبّرون «القرآن» أم على قلوب أقفالها ؟كلّا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم ، فأخذ بسمعكم وأبصاركم ، ولبئس ما تأوّلتم ، وساء ما به أشرتم ، وشرّ ما منه اغتصبتم ، لتجدنّ والله محمله ثقيلاً ، وغبّه وبيلاً ، إذا كشف لكم الغطاء ، وبان ما ورائه الضرّاء ، وبدا لكم من ربّكم ما لم تكونوا تحتسبون ، وخسر هنالك المبطلون» .

ثمَ عطفت على قبر النّبيّ صلى الله عليه وآله وقالت :

«قد كان بعدك أنباء وهنبثة	لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها	واختلّ قومك فاشهدهم ولا تغب
وكلّ أهل له قربى ومنزلة	عند الإله على الأدنين مقترب
أبدت رجال لنا نجوى صدورهم[٥]	لمّا مضيت وحالت دونك الترب
تهجّمتْنا رجال واستخفّ بنا	لمّا فقدت وكلّ الأرض مغتصب
وكنت بدراً ونوراً يستضاء به	عليك ينزل من ذي العزّة الكتب

---

(١) الغوائل : المهالك .

(٢) مريم ٦ .

(٣) النمل ١٦ .

(٤) في بعض النسخ «قبول الباطل» .

(٥) النجوى : السرّ .

وكـــان جـــبريل بـــالآيات يـؤنسنا فــقد فـقدت وكـلّ الخـير مـحتجب

فــليت قــبلك كــان المـوت صـادفنا لمّـا مـضيت وحـالت دونك الكـثب»[١]

ثمّ انكفئت عليها السلام ، وأميرالمؤمنين عليه السلام يتوقع رجوعها إليه ، ويتطلّع طلوعها عليه ، فلمّا استقرّت بها الدّار ، قالت لأميرالمؤمنين عليه السلام : «يابن أبي طالب ، اشتملت شملة الجنين ، وقعدت حجرة الظنين ، نقضت قادمة الأجدال[٢] ، فخانك ريش الأعزل[٣] ، هذا ابن أبي قحافة يبتزّني نحلة أبي وبلغة[٤] ابنيّ ! لقد أجهد[٥] في خصامي ، وألفيته ألدّ في كلامي[٦] ، حتّى حبسني قيلة نصرها ، والمهاجرة وصلها ، وغضّت الجماعة دوني طرفها ، فلا دافع ولا مانع ، خرجت كاظمة ، وَعُدْتُ راغمة ، أضرعت خدّك[٧] يوم أضعت حدّك ، إفترست الذئاب ، وافترشت التراب ، ما كففت قائلاً ، ولا أغنيت طائلاً[٨] ولا خيار لي ، ليتني متّ قبل هنيئتي ودون ذلّتي ، عذيري الله منك عاديا[٩] ومنك حاميا، ويلاي في كلّ شارق ! ويلاي في كلّ غارب ! مات العمد ، ووهن العضد[١٠]، شكواي إلى ربّي ! وعدواي[١١] إلى ربّي ! اللّهمّ إنّك أشدّ منهم قوّة وحولاً ، وأشدّ بأساً وتنكيلا» .

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : «لا ويل لك بل الويل لشانئكِ[١٢] ، ثمّ نهنهي عن وجدك[١٣] يابنة الصفوة ، وبقيّة النبوّة ، فما ونيت[١٤] عن ديني ، ولا أخطأت مقدوري[١٥] ، فإن كنت تريدين

---

(١) الكثب ـ بضمّتين ـ : جمع الكثيب وهو : الرمل .

(٢) قوادم الطير : مقادم ريشه وهي عشرة ـ والأجدل : الصقر .

(٣) الأعزل من الطير : ما لا يقدر على الطيران .

(٤) يبتزّني : يسلبني ، والبلغة ما يتبلّغ به من العيش .

(٥) في بعض النسخ «أجهر» .

(٦) ألفيته : وجدته ، والألدّ : شديد الخصومة .

(٧) ضرع : خضع وذلّ .

(٨) أي ما فعلت شيئاً نافعاً ، وفي بعض النسخ «ولا أغنيت باطلاً» : أي كففته .

(٩) العذير بمعنى العاذر أي : الله قابل عذري ، وعاديا : متجاوزا .

(١٠) الوهن : الضعف في العمل أو الأمر أو البدن .

(١١) العدوى : طلبك إلى وال لينتقم لك من عدوّك .

(١٢) الشانئ : المبغض .

(١٣) أي كفّي عن حزنك ، وخفّفي من غضبك .

(١٤) ماكللت ولا ضعفت ولا عييت .

(١٥) ما تركت ما دخل تحت قدرتي أي لست قادراً على الإنتصاف لك كما أوصاني به الرّسول صلى الله عليه وآله .

البلغة ، فرزقك مضمون ، وكفيلك مأمون ، وما أعدّ لك أفضل ممّا قطع عنك ، فاحتسبي الله» .

فقالت : «حسبي» وأمسكت .

وقال سويد بن غفلة[١] : لمّا مرضت فاطمة سلام الله عليها ؛ المرضة الّتي توفّيت فيها[٢] دخلت عليها نساء المهاجرين والأنصار يعدنها ، فقلن لها : كيف أصبحت من علّتك يا بنت رسول الله ؟

فحمدت الله ، وصلّت على أبيها ، ثمّ قالت : «أصبحت والله عائفة لدنيا كنّ ، قالية لرجالكنّ ، لفظتهم بعد أن عجمتهم[٣] ، وسئمتهم بعد أن سبرتهم[٤] ، فقبحاً لفلول الحد ، واللعب بعد الجد ، وقرع الصفات ، وصدع القناة ، وختل الآراء[٥] ، وزلل الأهواء ، وبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ، لا جرم لقد قلّدتهم ربقتها ، وحملتهم أوقتها[٦] وشننت عليهم غاراتها[٧] ، فجدعاً ، وعقراً وبعداً للقوم الظالمين ، ويحهم أنّى زعزعوها عن رواسي الرسالة ، وقواعد النبوّة والدلالة ، ومهبط الروح الأمين ، والطبين بأُمور الدنيا[٨] والدين ؟! ألا ذلك هو الخسران المبين ! وما الّذي نقموا من أبي الحسن عليه السلام ؟! نقموا والله منه نكير سيفه ، وقلّة

---

(١) قال العلّامة في الخلاصة : سويد بن غفلة الجعفي ، قال البرقي : إنّه من أولياء أميرالمؤمنين ، إنتهى .
وفي أسد الغابة : «أدرك الجاهلية كبيراً ، وأسلم في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يره ، وأدّى صدقته إلى مصدّق النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، ثمّ قدم المدينة فوصل يوم دفن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان مولده عام الفيل ، وسكون الكوفة ...» .
وفي تهذيب التهذيب : «أدرك الجاهليّة وقد قيل إنّه صلّى مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولا يصحّ ، وقدم المدينة حين نفضت الأيدي من دفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا أصحّ ... إلى أن قال : قال ابن معين والعجلي : ثقة ... وقال أبو نعيم : مات سنة ثمانين ، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام وغير واحد : مات سنة إحدى وثمانين ، وقال عمرو بن علي وغيره : مات سنة ٨٨» . [وهي خطبة أُخرىٰ لها عليها السلام ألقتها على نساء المهاجرين والأنصار عند احتضارها]

(٢) قال ابن أبي الحديد في المجلّد الرابع من شرحه على النهج : «قال أبوبكر : وحدّثنا محمّد بن زكريّا ، قال : حدّثنا محمّد بن عبدالرّحمن المهلّبي عن عبدالله بن حمّاد بن سليمان عن أبيه عن عبدالله بن حسن بن حسن عن أُمّه فاطمة بنت الحسين عليه السلام قالت : لمّا اشتدّ بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوجع وثقلت في علّتها ، دخلت عليها ... الخ» .

(٣) لفظتهم : رميت بهم وطرحتهم بعد أن عجمتهم : أي بعد أن اختبرتهم وامتحنتهم .

(٤) سئمتهم : مللتهم ، وسبرتهم : جرّبتهم واختبرتهم واحداً واحداً .

(٥) ختل الآراء : زيفها وخداعها .

(٦) أوقتها : ثقلها .

(٧) شننت الغارة عليهم : وجّهتها عليهم من كلّ جهة .

(٨) الطبين : الفطن الحاذق العالم بكلّ شيء .

مبالاته لحتفه ، وشدّة وطأته ، ونكال[١] وقعته ، وتنمّره في ذات الله[٢] ، وتالله لو مالوا عن المحجّة اللايحة ، وزالوا عن قبول الحجّة الواضحة ، لَردّهم إليها ، وحملهم عليها ، ولسار بهم سيراً سجحاً[٣] ، لا يكلم حشاشه[٤] ولا يكلّ سائره[٥] ، ولا يملّ راكبه ، ولأوردهم منهلاً نميراً ، صافياً ، رويّاً ، تطفح ضفتاه ، ولا يترنّق جانباه ، ولأصدرهم بطاناً ، ونصح لهم سرّاً وإعلاناً ، ولم يكن يتحلّى من الدّنيا بطائل ، ولا يحظى منها بنائل ، غير ريّ الناهل ، وشبعة الكافل ، ولَبان لهم : الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰ آمَنُوا وَٱتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[٦] ﴿ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هٰؤُلاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴾[٧] ألا هلمّ فاسمع ؟! وما عشت أراك الدّهر عجباً ! وإن تعجب فعجب قولهم !! ليت شعري إلى أيّ إسناد استندوا ؟! وإلى أيّ عماد اعتمدوا ؟! وبأيّ عروة تمسّكوا ؟! وعلى أيّة ذرّيّة أقدموا واحتنكوا[٨] لبئس المولى ولبئس العشير ، وبئس للظّالمين بدلاً ، استبدلوا والله الذنابى بالقوادم[٩] والعجز بالكاهل[١٠] فرغماً لمعاطس[١١] قوم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً ، ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ، ويحهم ﴿ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لَا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[١٢] أما لعمري لقد لقحت ، فنظرة ريثما تنتج ، ثمّ احتلبوا ملء القعب دماً عبيطاً[١٣] وزعافاً مبيداً ، هنالك يخسر المبطلون ، ويعرف البطّالون غبّ[١٤] ما أسّس

---

(١) النكال : ما نكلت به غيرك كائناً من كان.

(٢) تنمّر : عبس وغضب.

(٣) سجحاً : سهلاً.

(٤) كلمه : جرحه.

(٥) يكلّ : يتعب.

(٦) الأعراف ٩٦.

(٧) الزمر ٥١.

(٨) احتنكه : استولى عليه.

(٩) الذنابى : ذنب الطائر ، وقوادمه : مقادم ريشه.

(١٠) العجز : مؤخر الشيء ، والكاهل : مقدّم أعلى الظهر ممّا يلي العنق.

(١١) المعطس : الأنف.

(١٢) يونس ٣٥.

(١٣) القعب : القدح ، والدم العبيط : الخالص الطري.

(١٤) الغب : العاقبة.

الأوّلون ، ثمّ طيبوا عن دنيا كم أنفساً ، واطمأنّوا للفتنة جأشاً ، وابشروا بسيف صارم ، وسطوة معتد غـاشم ، وبـهرج شـامل ، واسـتبداد مـن الظـالمين ، يـدع فـيئكم زهـيداً ، وجـمعكم حـصيداً ، فياحسرةلكم ! وأنّى بكم وقد عميت عليكم ! ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾[1]».

قال سويد بن غفلة : فأعادت النّساء قـولها عليها السلام عـلى رجـالهنّ ، فـجاء إليـها قـوم مـن وجـوه المهاجرين والأنصار معتذرين ، وقالوا : يا سيّدة النّساء ، لو كان أبوالحسن ذكر لنا هذا الأمر قبل أن يبرم العهد ، ويحكم العقد ، لما عدلنا عنه إلى غيره .

فقالت عليها السلام : «إليكم عنّي فلا عذر بعد تعذيركم ، ولا أمر بعد تقصيركم» .

---

(١) هود ٢٨.

احتجاج سلمان الفارسي رضي الله عنه[1] في خطبة خطبها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله على القوم

(١) أبو عبدالله سلمان الفارسي أو [illegible]دي ويُلقّب أيضاً بسلمان الخير، أصله من رامهرمز، وقيل من إصفهان من بلدة يقال لها: جي.

كان من أوصياء عيسى عليه السلام، وهذا هو السبب الّذي جعل أميرالمؤمنين عليه السلام يحضر عنده بالمدائن حين حضرته الوفاة، ويتولّى تغسيله بيده الشريفة، إذ أنّ الوصيّ لا يغسله إلّا وصيّ مثله.

هرب سلمان عليه السلام من فارس لأنّ أهلها كانوا يعبدون النّار، وصادف ذلك سفر قافلة إلى الشام، فذهب معها، ونزل بحمص، وكان يجتمع بالقسس والرهبان ويجادلهم في الدّين برهة من الزمن.

ثمّ صحب جماعة من التجّار وسار معهم قاصداً مكّة المكرّمة ليحظى بالتشرّف بحضرة النّبيّ الأُمّيّ وصحبته، وكان سليمان عليه السلام يعلم أنّه سيبعث من هناك لأنّه كما مرّ كان من أوصياء عيسى عليه السلام.

واعتدى عليه هؤلاء الّذين سار بصحبتهم وأساءوا الصحبة فانتبهوا ما كان عنده وأسروه ثمّ باعوه من يهوديّ في المدينة على أنّه رقّ.

وبقي عند ذلك اليهودي إلى أن هاجر النّبيّ صلى الله عليه وآله إلى المدينة، وكان سلمان عليه السلام كاتب ذلك اليهودي على أن يدفع له مبلغاً من المال ليحرّره من الرقّ، فأعانه رسول الله صلى الله عليه وآله على ذلك فتحرّر.

ولمّا زحف الجيش بقيادة أبي سفيان ـ لقتل النّبيّ صلى الله عليه وآله وأصحابه وهدم المدينة على أهلها ـ في غزوة الأحزاب ـ أشار سلمان بحفر الخندق، فقال أبو سفيان لمّا رآه: هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها.

وكان إذا قيل له: ابن من أنت؟ يقول: أنا سلمان بن الإسلام، أنا من بني آدم.

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله من وجوه أنّه قال: «لو كان الدّين في الثريّا لناله سلمان»، وفي رواية أُخرى: «لناله رجل من فارس».

وروي عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إنّ الله يحبّ من أصحابي أربعة» فذكره منهم.

وقال صلى الله عليه وآله: «ثلاثة تشتاق إليهم الحور العين: علي، وسلمان، وعمّار».

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا سابق ولد آدم، وسلمان سابق أهل فارس».

وعنه أيضاً: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّ الجنّة تشتاق إلى أربعة: علي، وسلمان، وعمّار، والمقداد».

ودخل ذات يوم مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله فوجد وجهاء قريش، فتخطّاهم وجلس في صدر المجلس، فغلى الدم في عروقهم، وقال له بعضهم: من أنت حتّى تتخطّانا؟ وقال له آخر: ما حسبك ونسبك؟!

قال سلمان: أنا ابن الإسلام؛ كنت عبداً فأعتقني الله بمحمّد صلى الله عليه وآله، ووضيعاً فرفعني بمحمّد صلى الله عليه وآله، وفقيراً فأغناني بمحمّد صلى الله عليه وآله؛ فهذا حسبي ونسبي.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: صدق سلمان، صدق سلمان، من أراد أن ينظر إلى رجل نوّر الله قلبه بالإيمان، فلينظر إلى سلمان.

وتنافس المهاجرون والأنصار كلّ يقول: سلمان منّا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بل سلمان منّا أهل البيت.

وروي عن أبي الأسود الدؤلي قال: كنّا عند عليّ ذات يوم فقالوا: يا أميرالمؤمنين حدّثنا عن سلمان.

⟵

لمّا تركوا أميرالمؤمنين عليه السلام واختاروا غيره ونبذوا العهد المأخوذ عليهم وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون

عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: «خطب النّاس سلمان الفارسي رحمة الله عليه، بعد أن دفن النّبيّ صلى الله عليه وآله بثلاثة أيّام، فقال فيها: ألا يا أيّها النّاس، إسمعوا عنّي حديثي ثمّ اعقلوه عنّي، ألا وإنّي أُوتيت علماً كثيراً، فلو حدّثتكم بكلّ ما أعلم من فضايل أميرالمؤمنين عليه السلام لقالت طائفة منكم: هو مجنون، وقالت طائفة أُخرى: اللّهمّ اغفر لقاتل سلمان، ألا إنّ لكم منايا، تتبعها بلايا، ألا وإنّ عند عليّ عليه السلام علم المنايا والبلايا وميراث الوصايا وفصل الخطاب وأصل الأنساب على منهاج هارون بن عمران من موسى عليه السلام إذ يقول له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت وصيّي في أهل بيتي، وخليفتي في أُمّتي، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى، ولكنّكم أخذتم سنّة بني إسرائيل، فأخطأتهم الحقّ فانتم تعلمون ولا تعلمون، أما والله لتركبنّ طبقاً عن طبق على سنّة بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة، أما والّذي نفس سلمان بيده لو ولّيتموها عليّاً لأكلتم من فوقكم ومن تحت أقدامكم، ولو دعوتم الطّير لأجابتكم في جوّ السّماء، ولو دعوتم الحيتان من البحار لأتتكم، ولما عال[1] وليّ الله، ولا طاش لكم سهم من فرائض الله[2]، ولا اختلف اثنان في حكم الله، ولكن أبيتم فولّيتموها غيره، فابشروا بالبلايا، واقنطوا من الرخاء، وقد نابذتكم على سواء، فانقطعت العصمة فيما بيني وبينكم من الولاء، عليكم بآل محمّد صلى الله عليه وآله فإنّهم القادة إلى الجنّة، والدعاة إليها يوم القيامة، عليكم بأميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فوالله لقد سلّمنا

⬅ قال عليه السلام: «من لكم بمثل لقمان الحكيم، ذلك امرؤ منّا أهل البيت، أدرك العلم الأوّل والعلم الآخر، وقرأ الكتاب الأوّل والكتاب الآخر، بحر لا ينزف.

ولّى المدائن في عهد عمر بن الخطّاب، وكان يسف الخوص وهو أمير عليها ويبيعه ويأكل منه، ويقول: لا أحبّ أن آكل إلّا من عمل يدي.

وتوفّي في المدائن سنة ٣٦، وقيل ٣٧، وقيل بل ٣٣.

ولمّا حضرته الوفاة بكى، فقيل: ما يبكيك؟ قال: عهد عهده إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ليكن بلاغ أحدكم كزاد الراكب»، فلمّا مات نظروا في بيته فلم يجدوا إلّا كزاد الراكب ووطاء ومتاعاً، قوّم نحواً من عشرين درهماً.

[راجع: صفة الصفوة ٢١٠/١، تهذيب التهذيب ١٣٧/٤، أسد الغابة ٣٢٨/٢، تنقيح المقال ٤٥/٢، وكتاب نفس الرحمان في أخبار سلمان، والمجلد الرابع من ابن أبي الحديد، وكتاب مع علماء النجف الأشرف]

(١) عال: افتقر.

(٢) طاش إليهم: مال عن الهدف.

عليه بالولاية وإمرة المؤمنين مراراً جمّة[١] مع نبيّنا ،كلّ ذلك يأمرنا به ويؤكّده علينا ، فما بال القوم عرفوا فضله فحسدوه ؟ وقد حسد هابيل قابيل فقتله ، وكفّاراً قد ارتدّت أُمّة موسى بن عمران ، فأمر هذه الأُمّة كأمر بني إسرائيل ، فأين يذهب بكم ؟

أيّها النّاس ويحكم مالنا وأبو فلان وفلان ؟! أجهلتم أم تجاهلتم ؟ أم حسدتم أم تحاسدتم ؟ والله لترتدنّ كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسّيف ، يشهد الشاهد على الناجي بالهلكة ، ويشهد الشاهد على الكافر بالنجاة ، ألا وإنّي أظهرت أمري ، وسلّمت لنبيّي ، واتّبعت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة عليّاً أميرالمؤمنين عليه السلام وسيّد الوصيّين ، وقائد الغرّ المحجّلين ، وإمام الصدّيقين ، والشهداء والصّالحين» .

احتجاج لأبي بن كعب[٢] على القوم مثل ما احتجّ به سلمان رضي الله عنه

عن محمّد ويحيى[٣] ابني عبدالله بن الحسن عن أبيهما عن جدّهما عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام

---

(١) جمّة : كثيرة .

(٢) أُبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجّار .

عدّه الشّيخ رحمه الله في رجاله بهذا العنوان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : يكنّى أباالمنذر ، شهد العقبة مع السبعين ، وكان يكتب الوحي ، آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينه وبين سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، شهد بدراً والعقبة ، وبايع لرسول الله صلى الله عليه وآله .

ومثله بحذف اسم آبائه إلى كنيته ما في الخلاصة في قسم المعتمدين ، وكذا في رجال ابن داود ، وعن المجالس ما يظهر منه جلالته وإخلاصه لأهل البيت ...

وقال العلّامة الطباطبائي : إنّه من الإثنى عشر الّذين أنكروا على أبي بكر تقدّمه وجلوسه في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال له : يا أبابكر لا تجحد حقّاً جعله الله لغيرك ، ولا تكن أوّل من عصى رسول الله صلى الله عليه وآله في وصيّته ، وأوّل من صدف عن أمره ، وردّ الحقّ إلى أهله تسلم ، ولا تتمادى في غيّك تستندم ، وبادر بالإنابة يخفّ وزنك ، ولا تخصص بهذا الأمر الّذي لم يجعله الله لك نفسك فتلقى وبال عملك ، فعن قليل تفارق ما أنت فيه ، وتصير إلى ربّك فيسألك عمّا جنت وما ربّك بظلّام للعبيد .

وعن تقريب بن حجر متّصلاً بنسبة المذكور ما لفظه : الأنصاري الخزرجي ، أبوالمنذر سيّد القرّاء ، يكنّى أباالطفيل ، أيضاً من فضلاء الصحابة ، مات في زمن عمر ، فقال عمر : مات اليوم سيّد المسلمين ، شهد العقبة مع السبعين . [٤٤/١ من رجال المامقاني]

(٣) محمّد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ذوالنفس الزكيّة ، ويكنّى أباعبدالله ، وقيل أباالقاسم . ولد سنة ١٠٠ وقتل سنة ١٤٥ . بايعه المنصور مع جماعة من بني هاشم ، فلمّا بويع لبني العبّاس اختفى

قال : «لمّا خطب أبوبكر قام إليه أُبي بن كعب وكان يوم الجمعة أوّل يوم من شهر رمضان وقال : «يا معشر المهاجرين الّذين اتّبعوا مرضات الله ، وأثنى الله عليهم في «القرآن» ، ويا معشر الأنصار الّذين تبوّؤا الدّار والإيمان ، وأثنى الله عليهم في «القرآن» ، تناسيتم أم نسيتم ؟ أم بدّلتم أم غيّرتم ؟ أم خذلتم أم عجزتم ؟

ألستم تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قام فينا مقاماً أقام فيه عليّاً فقال : «من كنت مولاه فهذا مولاه» ؛ يعني عليّاً ، «ومن كنت نبيّه فهذا أميره» ؟

ألستم تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : «يا علي أنت منّي بمنزلة هارون من موسى ، طاعتك

محمّد وإبراهيم مدّة خلافة العبّاس ، فلمّا ملك المنصور وعلم أنّهما على عزم الخروج عليه جدّ في طلبهما وقبض على أبيهما .

وأتيا أباهما وهو في السجن فقالا له : يقتل رجلان من آل محمّد خير من أن يقتل ثمانية ، فقال لهما : إن منعكما أبوجعفر أن تعيشا كريمَين فلا يمنعكما أن تموتا كريمَين ، ولمّا عزم محمّد على الخروج واعد أخاه إبراهيم على الظهور في يوم واحد ، وذهب محمّد إلى المدينة ، وإبراهيم إلى البصرة ، فاتّفق أنّ إبراهيم مرض ، فخرج أخوه بالمدينة وهو مريض بالبصرة ، ولمّا خلص من مرضه وظهر أتاه خبر أخيه أنّه قُتل وهو على المنبر ، فقال :

سأبكيك بالبيض الصفاح وبالقنا ... فإنّ بها ما يدرك الطالب الوترا
ولست كمن يبكي أخاه بعبرة ... يعصرها من ماء مقلته عصرا
ولكن أُروّي النّفس منّي بغارة ... تلهب في قطرى كتائبها جمرا
وإنّا أناس لا تفيض دموعنا ... على هالك منّا وإن قصم الظّهرا

ولمّا بلغ المنصور خروج محمّد بن عبدالله خلا ببعض أصحابه فقال له : ويحك !! قد ظهر محمّد فماذا ترى ؟

فقال : وأين ظهر ؟

قال : بالمدينة .

فقال : غلبت عليه وربّ الكعبة .

قال : وكيف ؟

قال : لأنّه خرج بحيث لا مال ولا رجال ، فعاجله بالحرب ، فأرسل إليه عيسى بن موسى بن علي بن عبدالله بن العبّاس في جيش كثيف ، فحاربهم محمّد خارج المدينة وتفرّق أصحابه عنه حتّى بقي وحده ، فلمّا أحسّ بالخذلان دخل داره وأمر بالتنّور فسجر ، ثمّ عمد إلى الدفتر الّذي أثبت فيه أسماء الّذين بايعوه فألقاه في التنّور فاحترق ثمّ خرج فقاتل حتّى قتل بأحجار الزيت ، ومن هنا لقّب بذي النّفس الزكيّة لأنّه صدق عليه ما روي عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : «تقتل بأحجار الزيت من ولدي نفس زكيّة» . [راجع : عمدة الطالب ٨٩، ومقاتل الطالبيين ٢٣٢]

ويحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، «صاحب الديلم» الشهيد ، ويكنّى أباالحسن ، وأمّه قريبة بنت عبدالله ، كان مقدماً في أهل بيته ، بعيداً ممّا يعاب على مثله ، وقد روى الحديث وأكثر الرواية عن جعفر بن محمّد عليهما السلام ، وروى عن أبيه وعن أخيه محمّد . [راجع : رجال ابن داود ١٣٩، مقاتل الطالبيين ٣٣٧]

واجبة على من بعدي كطاعتي في حياتي غير أنّه لا نبيّ بعدي» ؟

ألستم تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال : «أُوصيكم بأهل بيتي خيراً فقدّموهم ولا تقدّموهم ، وأمّروهم ولا تأمّروا عليهم» ؟

ألستم تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال : «أهل بيتي منار الهدى ، والدالّون على الله» ؟

أولستم تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ عليه السلام : «أنت الهادي لمن ضلّ» ؟

ألستم تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال : «عليّ المحيي لسنّتي ، ومعلّم أُمّتي ، والقائم بحجّتي ، وخير من أخلف من بعدي ، وسيّد أهل بيتي ، وأحبّ النّاس إليّ ، طاعته كطاعتي على أُمّتي» ؟

ألستم تعلمون أنّه لم يولّ على عليّ أحداً منكم ، وولّاه في كلّ غيبته عليكم ؟

ألستم تعلمون أنّه كان منزلهما في أسفارهما واحداً ، وارتحالهما واحداً أمرهما واحداً» ؟

ألستم تعلمون أنّه قال : «إذا غبت فخلّفت عليكم عليّاً فقد خلّفت فيكم رجلاً كنفسي» ؟

ألستم تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قبل موته قد جمعنا في بيت ابنته فاطمة عليها السلام فقال لنا : «إنّ الله أوحى إلى موسى بن عمران أن اتّخذ أخاً من أهلك فاجعله نبيّاً ، واجعل أهله لك ولداً أطهرهم من الآفات ، وأخلّصهم من الريب ، فاتّخذ موسى هارون أخاً وولده أئمّة لبني إسرائيل من بعده الّذين يحلّ لهم في مساجدهم ما يحلّ لموسى ، وأنّ الله تعالى أوحى إليّ أن أتّخذ عليّاً أخاً كما أنّ موسى اتّخذ هارون أخاً ، واتّخذ ولده ولداً ، فقد طهّرتُهم كما طهّرت ولد هارون ، ألا إنّي قد ختمت بك النبيّين فلا نبيّ بعدك» ؛ فهم الأئمّة الهادية ، أفما تبصرون ؟ أفما تفهمون ؟ أفما تسمعون ؟! ضربت عليكم الشبهات ، فكان مثلكم كمثل رجل في سفر فأصابه عطش شديد حتّى خشي أن يهلك ، فلقي رجلاً هادياً في الطريق ، فسأله عن الماء ، فقال له : أمامك عينان إحداهما مالحة والأُخرى عذبة ، فإن أصبت المالحة ضللت ، وإن أصبت العذبة هديت ورويت ، فهذا مثلكم أيّتها الأُمّة المهملة كما زعمتم ، وأيم الله ما أهملتم ، لقد نصب لكم عَلَم ، يحلّ لكم الحلال ، ويحرّم عليكم الحرام ، ولو أطعتموه ما اختلفتم ، ولا تدابرتم ، ولا تقاتلتم ، ولا برئ بعضكم من بعض ، فوالله إنّكم بعده لناقضون عهد رسول الله ﷺ ، وإنّكم على عترته لمختلفون ، وإن سُئل هذا عن غير ما يعلم أفتى برأيه فقد أبعدتم وتخارستم وزعمتم أنّ الخلاف رحمة ، هيهات أبى الكتاب ذلك عليكم ، يقول الله تعالى جدّه[1] : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ

---

(١) جدّه : عظمته .

وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[١] ثمّ أخبرنا باختلافكم فقال سبحانه : ﴿ وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[٢] أي للرحمة وهم آل محمّد ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يا علي أنت وشيعتك على الفطرة ، والنّاس منها براء» فهلّا قبلتم من نبيّكم كيف وهو خبّركم بانتكاصكم[٣] عن وصيّه عليّ بن أبي طالب وأمينه ، ووزيره ، وأخيه ، ووليّه ، دونكم أجمعين ، وأطهركم قلباً ، وأقدكم سلماً وأعظمكم وعياً ، مَن رسول الله ﷺ أعطاه تراثه ، وأوصاه بعداته ، فاستخلفه على أُمّته ، ووضع عنده سرّه ، فهو وليّه دونكم أجمعين ، وأحقّ به منكم أكتعين[٤] ، سيّد الوصيّين ، ووصيّ خاتم المرسلين ، أفضل المتّقين ، وأطول الأمّة لربّ العالمين ، سلّمتم عليه بإمرة المؤمنين ، في حياة سيّد النبيّين ، وخاتم المرسلين ، فقد أعذر من أنذر ، وأدّى النّصيحة من وعظ ، وبصّر من عمى ، فقد سمعتم كما سمعنا ، ورأيتم كما رأينا ، وشهدتم كما شهدنا .

فقام إليه عبدالرّحمن بن عوف وأبو عبيدة الجرّاح ، ومعاذ بن جبل فقالوا : يا أُبي أصابك خَبَل ؟ أم بك جنّة ؟

فقال : بل الخبل فيكم ، والله كنت عند رسول الله ﷺ يوماً فألفيته يكلّم رجلاً أسمع كلامه ولا أرى شخصه ، فقال فيما يخاطبه : ما أنصحه لك ولأمّتك ! وأعلمه بسنّتك !

فقال رسول الله ﷺ : أفترى أُمّتي تنقاد له من بعدي ؟

قال : يا محمّد يتبعه من أُمّتك أبرارها ، ويخالف عليهم من أُمّتك فجّارها ، وكذلك أوصياء النبيّين من قبلك ، يا محمّد إنّ موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون ، وكان أعلم بني إسرائيل وأخوفهم لله ، وأطوعهم له ، فأمره الله ﷻ أن يتّخذه وصيّاً كما اتّخذت عليّاً وصيّاً ، وكما أمرت بذلك ، فحسده بنو إسرائيل ، سبط موسى خاصّة ، فلعنوه ، وشتموه ، وعنّفوه ، ووضعوا له ، فإن أخذت أُمّتك سنن بني إسرائيل كذّبوا وصيّك ، وجحدوا إمرته ، وابتزّوا خلافته ، وغالطوه في علمه .

فقلت : يا رسول الله مَن هذا ؟

فقال رسول الله ﷺ : هذا ملك من ملائكة ربّي ﷻ ينبئني أنّ أُمّتي تتخلّف على وصيّي عليّ

---

(١) آل عمران ١٠٥.

(٢) هود ١١٨ـ١١٩.

(٣) أي برجوعكم القهقري.

(٤) أكتعين : كلّكم.

ابن أبي طالب صلوات الله عليه ، وإنّي أُوصيك يا أُبي بوصيّة ؛ إن حفظتها لم تزل بخير ، يا أُبي عليك بعليّ ، فإنّه الهادي المهدي ، النّاصح لأُمّتي ، المحيي لسنّتي ، وهو إمامكم بعدي ، فمن رضي بذلك لقيني على ما فارقته عليه ، يا أُبي ومن غيّر أو بدّل لقيني ناكثاً لبيعتي ، عاصياً أمري ، جاحداً لنبوّتي ، لا أشفع له عند ربّي ، ولا أسقيه من حوضي .

فقامت إليه رجال من الأنصار فقالوا : أُقعد رحمك الله يا أُبي ، فقد أدّيت ما سمعت الّذي معك ، ووفيت بعهدك» .

احتجاج أميرالمؤمنين عليه السلام على أبي بكر لمّا كان يعتذر إليه من بيعة النّاس له ويظهر الإنبساط له

عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال : «لمّا كان من أمر أبي بكر وبيعة النّاس له وفعلهم بعليّ ، لم يزل أبوبكر يظهر له الإنبساط ، ويرى منه الإنقباض ، فكبر ذلك على أبي بكر وأحبّ لقاءه واستخراج ما عنده والمعذرة إليه ممّا اجتمع النّاس عليه وتقليدهم إيّاه أمر الأُمّة وقلّة رغبته في ذلك وزهده فيه . أتاه في وقت غفلة وطلب منه الخلوة ، فقال : يا أباالحسن والله ماكان هذا الأمر عن مواطاة منّي ، ولا رغبة فيما وقعت عليه ، ولا حرص عليه ، ولا ثقة بنفسي فيما تحتاج إليه الأُمّة ، ولا قوّة لي بمال ، ولا كثرة لعشيرة ، ولا استيثار به دون غيري ، فمالك تضمر عَلَيّ ما لم أستحقّه منك ، وتظهر لي الكراهة لما صرت فيه ، وتنظر إليّ بعين الشنآن» ؟

قال : «فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : فما حملك عليه إذ لم ترغب فيه ولا حرصت عليه ولا وثقت بنفسك في القيام به» ؟!!

قال : «فقال أبوبكر : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله : «إنّ الله لا يجمع أُمّتي على ضلال» ولمّا رأيت إجماعهم أتبعت قول النّبيّ صلى الله عليه وآله ، وأحلت أن يكون إجماعهم على خلاف الهدى من ضلال ، فأعطيتهم قود الإجابة ، ولو علمت أنّ أحداً يتخلّف لامتنعت .

فقال عليّ عليه السلام : أمّا ما ذكرت من قول النّبيّ صلى الله عليه وآله «إنّ الله لا يجمع أُمّتي على ضلال» فكنت من الأُمّة أم لم أكن ؟

قال : بلى .

قال : وكذلك العصابة الممتنعة عنك : من سلمان ، وعمّار ، وأبي ذر ، والمقداد ، وابن عبادة ،

ومن معه من الأنصار ؟

قال : كلّ من الأُمّة .

قال عليّ عليه السلام : فكيف تحتج بحديث النّبيّ وأمثال هؤلاء قد تخلّفوا عنك ؟! وليس للأُمّة فيهم طعن ، ولا في صحبة الرّسول لصحبته منهم تقصير .

قال : ما علمت بتخلّفهم إلّا بعد إبرام الأمر ، وخفت إن قعدت عن الأمر أن يرجع النّاس مرتدّين عن الدّين ، وكان ممارستهم إليّ إن أجبتهم أهون مؤنة على الدّين ، و إبقاءً له من ضرب النّاس بعضهم ببعض فيرجعون كفّاراً ، وعلمت أنّك لست بدوني في الإبقاء عليهم وعلى أديانهم .

فقال عليّ عليه السلام : أجل ولكن أخبرني عن الّذي يستحقّ هذا الأمر بما يستحقّه ؟

فقال أبوبكر : بالنصيحة ، والوفاء ، ودفع المداهنة ، وحسن السيرة ، وإظهار العدل ، والعلم بالكتاب والسنّة ، وفصل الخطاب ، مع الزهد في الدّنيا ، وقلّة الرّغبة فيها ، وانتصاب المظلوم من الظالم للقريب والبعيد ؛ ثمّ سكت .

فقال عليّ عليه السلام : والسابقة ، والقرابة ؟

فقال أبوبكر : والسابقة والقرابة .

فقال عليّ عليه السلام : أُنشدك بالله يا أبابكر أفي نفسك تجد هذه الخصال أو فيّ ؟

فقال أبوبكر : بل فيك يا أباالحسن .

قال : فأُنشدك بالله ، أنا المجيب لرسول الله صلى الله عليه وآله قبل ذُكران المسلمين[1] أم أنت ؟

قال : بل أنت .

---

(١) في «ذخائر العقبى» : عن زيد بن أرقم قال : كان أوّل من أسلم عليّ بن أبي طالب .

وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال : عليّ أوّل من أسلم بعد خديجة .

وذكر الحجّة الأميني في ج٣ من كتاب الغدير ص٢١٩ مائة حديث من طرق مختلفة ، رواها أئمّة الحديث وحفّاظه ، في أنّ عليّاً أوّل من أسلم .

وروى محبّ الدّين الطبري في «ذخائر العقبى» عن عمر بن الخطّاب قال : كنت أنا وأبو عبيدة وأبوبكر وجماعة ، إذ ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله منكب عليّ بن أبي طاب ، فقال : «يا علي أنت أوّل المؤمنين إيماناً ، وأنت أوّل المسلمين إسلاماً ، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى» .

وبعد أن نقل عدّة روايات في الموضوع أعقبها بقوله : وقد وردت أحاديث في أنّ أبابكر أوّل من أسلم وهي محمولة على أنّه أوّل من أظهر إسلامه ، وعليّ عليه السلام أوّل من بدر إلى الإسلام . [ذخائر العقبى ٥٨]

قال عليه السلام : فأُنشدك بالله ، أنا صاحب الأذان لأهل الموسم والجمع الأعظم للأُمّة بسورة براءة(١) أم أنت ؟

قال : بل أنت .

قال : فأُنشدك بالله ، أنا وقيت رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسي يوم الغار(٢) أم أنت ؟

قال : بل أنت .

قال :فأُنشدك بالله ،أنا الموالي لك ولكلّ مسلم بحديث النّبيّ صلى الله عليه وآله يوم الغدير(٣) أم أنت؟

---

(١) عن أبي سعيد وأبي هريرة قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله أبابكر على الحجّ ، فلمّا بلغ ضجنان ، سمع بغام ناقة عليّ ، فعرفه فأتاه ، فقال : ما شأنك ؟

فقال : خيراً ، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعثني ببرائة .

فلمّا رجعا ، انطلق أبوبكر إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله مالي ؟

قال : خيراً ، أنت صاحبي في الغار ، غير أنّه لا يبلّغ عنّي غيري أو رجل منّي ؛ يعني عليّاً . أخرجه أبو حاتم .

وفي رواية عنده من حديث جابر : إنّ أبابكر قال له : أمير أم رسول ؟

فقال : بل رسول ؛ أرسلني رسول الله صلى الله عليه وآله ببرائة أقرؤها على النّاس في مواقف الحجّ .

وفي رواية من حديث أحمد عن عليّ : إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله لمّا راجعه أبوبكر قال له : جبرئيل جائني فقال : لن يؤدّي عنك إلّا أنت أو رجل منك . [عن ذخائر العقبى ٩٦]

وذكر الشيخ الأميني في ج٦ من الغدير ص٣٣٨(٧٣) مصدراً قدّم لها بقوله : «هذه الأثارة أخرجها كثير من أئمّة الحديث وحفّاظه بعدّة طرق صحيحة يتأتّى التواتر بأقلّ منها ، عند جمع من القوم ، وإليك أُمّة ممّن أخرجها ... الخ .

(٢) وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أراد الهجرة خلّف عليّ بن أبي طالب عليه السلام بمكّة لقضاء ديونه وردّ الودايع الّتي كانت عنده ، وأمره ليلة خرج إلى الغار ـ وقد أحاط المشركون بالدار ـ أن ينام على فراشه ، وقال له : «اتّشح ببردي الحضرمي الأخضر ، فإنّه لا يخلص إليك منهم مكروه إن شاء الله تعالى» ؛ ففعل ذلك فأوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل عليهما السلام : إنّي آخيت بينكما ، وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر ، فأيّكما يؤثر صاحبه بالحياة ؟ فاختارا كلاهما الحياة ، فأوحى الله عزّ وجلّ إليهما : أفلا كنتما مثل عليّ بن أبي طالب ؛ آخيت بينه وبين نبيّي محمّد صلى الله عليه وآله فبات على فراشه ، يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة ، إهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوّه ؛ فنزلا فكان جبريل عند رأس عليّ وميكائيل عند رجليه ، وجبريل ينادي : بخّ بخّ من مثلك يابن أبي طالب يباهي الله عزّ وجلّ به الملائكة ؟!! فأنزل الله عزّ وجلّ إلى رسوله وهو متوجّه إلى المدينة في شأن عليّ : **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ الله﴾**. [أسد الغابة ٩٥/٤]

(٣) مرّ في ص من هذا الكتاب حديث الغدير كما أُشير في الهامش إلى ما ذكره الحجّة الأميني في الجزء الأوّل من كتاب الغدير من عدد رواته من الصحابة والتابعين ومن أئمّة الحديث وحفّاظه والأساتذة ، وما استعرضه من أسماء من ألّفوا فيه من الفريقين كتباً مستقلّة فبلغ عددهم ٢٦ مؤلّفاً .

وبالمناسبة أحببنا ذكر ما نقله صاحب ينابيع المودّة في ص٢٦ منه إذ قال : حكى العلّامة عليّ بن موسى ، وعليّ بن

قال : بل أنت .

قال : فأُنشدك بالله ، ألي الولاية مع الله مع رسوله في آية الزكاة بالخاتم[1] أم لك ؟

محمّد أبي المعالي الجويني الملقّب بإمام الحرمين ، أُستاذ أبي حامد الغزالي يتعجّب ويقول : رأيت مجلّداً في بغداد في يد صحّاف فيه روايات خبر غديرخم مكتوباً عليه : المجلّدة الثامنة والعشرون من طرق قوله صلى الله عليه وآله «من كنت مولاه فعليّ مولاه» ويتلوه المجلّد التاسعة والعشرون ، إنتهى .

وفي واقعة الغدير هذه يقول حسّان بن ثابت ـ بعد أن استأذن النبيّ صلى الله عليه وآله فأذن له ـ :

يناديهم يوم الغدير نبيّهم	بخمّ واسمع بالنّبيّ مناديا
وقد جاء جبرائيل عن أمر ربّه	بأنّك معصوم فلا تك وانيا
وبلّغهم ما أنزل الله ربّهم	إليك ولا تخش هناك الأعاديا
فقام به إذ ذاك رافع كفّه	بكفّ عليّ معلن الصّوت عاليا
فقال : فمن مولاكم ووليّكم ؟	فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت وليّنا	ولن تجدن فينا لك اليوم عاصيا
فقال له : قم يا عليّ فإنّني	رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
(فمن كنت مولاه فهذا وليّه)	فكونوا له أنصار صدقٍ مواليا
هناك دعا : اللّهمّ وال وليّه	وكن للّذي عادى عليّاً معاديا
فياربّ انصر ناصريه لنصرهم	إمامهدى كالبدر يجلو الدياجيا

ويقول ـ مشيراً إليها ـ قيس بن سعد بن عبادة :

وعليٌّ إمامنا وإمام لس	وانا أتى به التنزيل
يوم قال النّبيّ : من كنت مو	لاه فهذا خطب جليل
إنّما قاله النّبيّ على الأمّة	حتم ما فيه قال وقيل

(١) عن أنس بن مالك : إنّ سائلاً أتى المسجد وهو يقول : من يقرض الملي الوفي ، وعليّ عليه السلام راكع ، يقول بيده خلفه للسّائل أي اخلع الخاتم من يدي .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا عمر وجبت .

قال : بأبي أنت وأمّي يا رسول الله ما وجبت ؟

قال : وجبت له الجنّة ، وما خلعه من يده حتّى خلعه الله من كلّ ذنب ومن كلّ خطيئة .

قال : فما خرج أحد من المسجد حتّى نزل جبرئيل بقوله عزّ وجلّ : **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾** .

ذكر الأميني في ج٣ من الغدير ص١٥٦ ـ ١٦٢ ، (٦٦) طريقاً ممّن رواه من الحفّاظ والثقاة من الرواة .

ولحسّان بن ثابت :

أباحسن تفديك نفسي ومهجتي	وكلّ بطيء في الهدى ومسارع
أيذهب مدحي والمحبّين ضايعاً	وما المدح في ذات الإله بضائع

قال : بل لك .

قال : فأُنشدك بالله، ألي الوزارة مع رسول الله صلى الله عليه وآله والمثل من هارون من موسى[١] أم لك ؟

قال : بل لك .

قال : فأُنشدك بالله ، أبي برز رسول الله صلى الله عليه وآله وبأهلي وولدي في مباهلة المشركين[٢] أم بك

فأنت الّذي أعطيت إذ أنت راكع ... فدتك نفوس القوم يا خير راكع

بخاتمك الميمون يا خير سيّد ... ويا خير شار ثمّ يا خير بايع

فأنزل فيك الله خير ولاية ... وبينها في محكمات الشرايع

(١) إنّ قول النّبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى» قد تكرّر منه صلى الله عليه وآله في مناسبات شتّى ، ففي حديث تبوك عندما قال عليّ عليه السلام : يا رسول الله أتخلّفني في النّساء والصّبيان ؟ قال : أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبيّ بعدي ؟ [الصواعق المحرقة ١١٩]

وحين آخى النّبيّ صلى الله عليه وآله بين أصحابه ، فقال عليّ عليه السلام : آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد ؟ فقال : والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً ما أخّرتك إلّا لنفسي ، فأنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي . [ينابيع المودّة ٥٦]

وعن عبدالله بن عبّاس : سمعت عمر وعنده جماعة فتذاكروا السابقين إلى الإسلام ، فقال عمر : أمّا علي فسمعت رسول الله يقول فيه ثلاث خصال ، لوددت أن تكون لي واحدة منهنّ وكانت أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشّمس ، كنت أنا وأبو عبيدة وأبوبكر وجماعة من أصحابه إذ ضرب على منكب عليّ فقال له : «يا علي أنت أوّل المؤمنين إيماناً ، وأوّل المسلمين إسلاماً ، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى» . [شرح النهج لابن أبي الحديد ٢٥٨/٣]

وعن سعد بن أبي وقّاص : إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال لعلي : «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي» أخرجه البخاري ومسلم . [ذخائر العقبى ٦٣]

وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : «اللّهمّ إنّي أقول كما قال أخي موسى : **﴿وَٱجْعَل لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * ٱشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً * وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً﴾**» . أخرجه أحمد في المناقب . [ذخائر العقبى ٦٣]

إلى غير ذلك من المواطن المتعدّدة

(٢) وقد رويت هذه القصّة على وجوه عن جماعة من التابعين ، وأخرج الحاكم وصحّحه ، وابن مردويه ، وأبو نعيم في الدلائل عن جابر قال : قدم على النّبيّ صلى الله عليه وآله العاقب والسيّد ، فدعاهما إلى الإسلام ، فقالا : أسلمنا يا محمّد .

فقال : «كذبتما ، إن شئتما أخبرتكما بما يمنعكما من الإسلام» ؟

قالا : فهات ؟

قال : «حبّ الصّليب ، وشرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير» .

قال جابر : فدعاهما إلى الملاعنة ، فواعداه على الغد ، فغدا رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذ بيد عليّ وفاطمة والحسن والحسين ، ثمّ أرسل إليهما ، فأبيا أن يجيباه وأقرّا له ، فقال : «والّذي بعثني بالحقّ لو فعلا لأمطر الوادي عليهما ناراً .

وبأهلك وولدك ؟

قال : بل بكم .

قال : فأُنشدك بالله ، ألي ولأهلي وولدي آية التطهير من الرجس(١) أم لك ولأهل بيتك ؟

قال : بل لك ولأهل بيتك .

قال : فأُنشدك بالله ، أنا صاحب دعوة رسول الله ﷺ وأهلي وولدي يوم الكساء «اللّهمّ هؤلاء أهلي إليك لا إلى النّار»(٢) أم أنت ؟

قال : بل أنت وأهلك وولدك .

⬅ قال جابر : فيهم نزلت : ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا﴾ الآية .

قال جابر : ﴿أَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ رسول الله ﷺ وعليّ ﴿وَأَبْنَاءَنَا﴾ الحسن والحسين ، و﴿نِسَاءَنَا﴾ فاطمة .

ورواه أيضاً الحاكم من وجه آخر عن جابر وصحّحه .

وأخرج مسلم والترمذي وابن منذر والحاكم والبيهقي عن سعد بن أبي وقّاص قال : لمّا نزلت هذه الآية ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ دعا رسول الله ﷺ عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : «اللّهمّ هؤلاء أهلي» . [عن الفتح القدير للشوكاني في تفسير قوله تعالى : ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ﴾]

(١) أخرج أحمد عن أبي سعيد الخدري أنّها نزلت في خمسة : النّبيّ ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين .

وأخرجه ابن جرير مرفوعاً بلفظ : أُنزلت هذه الآية في خمسة : فيّ وفي علي والحسن والحسين وفاطمة .

وأخرجه الطبراني أيضاً . [عن الصواعق المحرقة لابن حجر ١٤١]

وفي ينابيع المودّة ص١٠٧ : حدّثنا قتيبة بن سعيد قال : حدّثنا محمّد بن سليمان الإصبهاني عن يحيى بن عبيد عن عطا عن عمر بن أبي سلمة ربيب النّبيّ ﷺ قال : نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ في بيت أُم سلمة ، فدعى النّبيّ ﷺ عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً ، فجلّلهم بكساء ، ثمّ قال : «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً» .

قالت أُم سلمة : وأنا معهم يا نبيّ الله ؟

قال : أنت على مكانك وأنت إلى خير .

وفي ذخائر العقبى لمحبّ الدّين الطّبري ص٢٢ : عن أنس بن مالك : إنّ رسول الله ﷺ كان يمرّ بباب فاطمة ستّة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر ويقول : الصّلاة يا أهل بيتي ـ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ﴾ الآية ـ . أخرجه عبد بن حميد .

(٢) عن أُم سلمة قالت : بينما رسول الله ﷺ في بيته يوماً إذ قالت الخادمة : إنّ عليّاً وفاطمة بالسدة .

قالت : فقال لي : «قومي فتنحّي عن أهل بيتي» .

قالت : فقمت فتنحّيت في البيت قريباً ، فدخل عليّ وفاطمة ومعهما الحسن والحسين ـ وهما صبيّان صغيران ـ فأخذ الصبيّين فوضعهما في حجره وقبّلهما واعتنق بإحدى يديه عليّاً ، وفاطمة بالأُخرى ، وقبّل فاطمة وقبّل عليّاً ، فأغدق عليهم خميصة سوداء ، ثمّ قال : «اللّهمّ إليك لا إلى النّار أنا وأهل بيتي» .

قالت : قلت : وأنا يا رسول الله صلّى الله عليك ؟

قال : وأنت . أخرجه أحمد ، وخرّج الدولابي معناه مختصراً . [عن ذخائر العقبى لمحبّ الدّين الطبري ٢١ ـ ٢٢]

قال : فأُنشدك بالله أنا صاحب آية ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾[١] أم أنت ؟

قال : بل أنت .

قال : فأُنشدك بالله ، أنت الّذي رُدّت عليه الشّمس لوقت صلاته فصلّاها ثمّ توارت[٢] أم أنا ؟

---

(١) الإنسان ٧.

ينابيع المودّة ص٩٣ قال : أيضاً الحمويني أخرجه عن مجاهد عن ابن عبّاس في قوله تعالى : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ﴾ قال : مرض الحسن والحسين رضي الله عنهما ، فعادهما جدّهما صلى الله عليه وآله وعادهما بعض الصحابة ، فقالوا : يا أباالحسن لو نذرت على ولديك .

فقال عليّ عليه السلام : إن برأ ولداي ممّا بهما صمت لله ثلاثة أيّام شكراً لله .

وقالت فاطمة رضي الله عنها مثل ذلك .

وقالت جارية يقال لها فضّة مثل ذلك .

وقال الصبيّان نحن نصوم ثلاثة أيّام .

فألبسهما الله العافية ، وليس عندهم قليل ولا كثير ، فانطلق علي عليه السلام إلى رجل من اليهود يقال له : شمعون بن حابا ، فقال له : هل تؤتيني جزّة من صوف تغزلها لك بنت محمّد صلى الله عليه وآله بثلاثة أصواع من شعير ؟

قال : نعم ؛ فأعطاه .

ثمّ قامت فاطمة رضي الله عنها إلى صاع فطحنته واختبزت منه خمسة أقراص ، لكلّ واحد منهم قرص ، وصلّى عليّ عليه السلام مع النّبيّ صلى الله عليه وآله المغرب ، ثمّ أتى فوضع الطّعام بين يديه ، إذ أتاهم مسكين فوقف بالباب فقال : السّلام عليكم يا أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله ، أنا مسكين أطعموني شيئاً ؛ فأعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئاً إلّا الماء القراح .

وفي الليلة الثانية أتاهم يتيم فقال : أطعموني ؛ فأعطوه طعامهم .

وفي الليلة الثالثة أتاهم أسير فقال : أطعموني ؛ فأعطوه ، ومكثوا ثلاثة أيّام ولياليها لم يذوقوا شيئاً إلّا الماء القراح .

فلمّا أن كان في اليوم الرّابع وقد قضوا نذرهم ، أخذ عليّ بيده اليمنى الحسن ، وبيده اليسرى الحسين عليه السلام ، وأقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وهما يرتعشان كالفراخ من شدّة الجوع ، فلمّا أبصرهم صلى الله عليه وآله انطلق إلى ابنته فاطمة رضي الله عنها ، فانطلقوا إليها وهي في محرابها تصلّي وقد لصق بطنها بظهرها من شدّة الجوع ، وغارت عيناها ، فلمّا رآها رسول الله صلى الله عليه وآله قال : «وا غوثاه ! أهل بيت محمّد يموتون جوعاً» .

فهبط جبرئيل عليه السلام فأقرأه : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَذْكُوراً ﴾ إلى آخر السورة .

وهذا الخبر مذكور في تفسير البيضاوي ، وروح البيان .

أقول : وذكر الحجّة الأميني في ج٣ من الغدير ص١٠٧ ـ ١١١ من رواة هذا الحديث ٣٤ طريقاً ؛ فراجع .

(٢) جاء في ينابيع المودّة ص١٣٧ ـ ١٣٨ وفي كتاب الإرشاد أنّ أمّ سلمة وأسماء بنت عميس وجابر بن عبدالله وأبا سعيد الخدري وغيرهم من جماعة الصحابة رضي الله عنهم قالوا : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان في المنزل ، فلمّا تغشّاه الوحي توسّد فخذ عليّ ، فلم يرفع رأسه حتّى غابت الشّمس ، وصلّى عليّ صلاة العصر بالإيماء ، فلمّا أفاق النّبيّ صلى الله عليه وآله

قال : بل أنت

قال : فأُنشدك بالله ، أنت الفتى الذي نودي من السّماء «لا سيف إلّا ذوالفقار ولا فتى إلّا عليّ»(١) أم أنا ؟

قال : بل أنت .

قال : «اللّهمّ اردد الشّمس لعليّ» ؛ فردّت الشّمس حتّى صارت في السّماء وقت العصر ، فصلّى عليٌّ العصر ، ثمّ غربت . فأنشأ حسّان بن ثابت :

يا قوم من مثل عليٍّ وقد ... رُدّت عليه الشّمس من غائب

أخو رسول الله وصهره ... والأخ لا يعدل بالصّاحب

قال الحجّة الأميني في ج٣ من الغدير ص١٢٧ : إنّ حديث ردّ الشّمس أخرجه جمع من الحفّاظ الأثبات ، بأسانيد جمّة ، صحّح جمع من مهرة الفنّ بعضها ، وحكم آخرون بحسن آخر ، وشدّد جمع منهم النّكير على من غمز فيه وضعّفه ، وهم الأبناء الأربعة حملة الروح الأُمويّة الخبيثة ألا وهم : ابن حزم ، ابن الجوزي ، ابن تيميّة ، ابن كثير . وجاء آخرون من الأعلام وقد عظم عليهم الخطب بإنكار هذه المأثرة النبويّة ، والمكرمة العلويّة الثابتة فأفردوها بالتأليف وجمعوا فيه طرقها وأسانيدها ، وعدّ منهم ٩ ثمّ قال : ولا يسعنا ذكر تلكم المتون وتلكم الطرق والأسانيد إذ يحتاج إلى تأليف ضخم يخصّ به ، غير أنّا نذكر نماذج ممّن أخرجه من الحفّاظ والأعلام ؛ بين من ذكره من غير غمز فيه ، وبين من تكلّم حوله وصحّحه ، وفيها مقنع وكفاية ، وعدّ من ذلك ١٩ سنداً ؛ فراجع .

(١) وذلك في غزوة أُحد ، ذكر الطبري في ج٣ ص١٧ عن عبيدالله بن أبي رافع قال : لمّا قتل عليّ بن أبي طالب أصحاب الألوية ، أبصر رسول الله ﷺ جماعة من مشركي قريش ، فقال لعليّ : إحمل عليهم ؛ فحمل عليهم ففرّق جمعهم ، وقتل عمرو بن عبدالله الجمحي .

قال : ثمّ أبصر رسول الله ﷺ جماعة من مشركي قريش ، فقال لعليّ : إحمل عليهم ؛ فحمل عليهم ، ففرّق جماعتهم ، وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بن لؤي .

فقال جبريل : يا رسول الله إنّ هذا للمواسات .

فقال رسول الله ﷺ : إنّه منّي وأنا منه .

فقال جبريل : وأنا منكما .

قال : فسمعوا صوتاً :

لا سيف إلّا ذوالفقار ... ولا فتى إلّا علي

وأخرج ابن هشام في سيرته ج٣ ص٥٢ عن ابن أبي نجيح قال : نادى منادٍ من السّماء :

لا سيف إلّا ذوالفقار ... ولا فتى إلّا علي

قال حسّان بن ثابت :

جبريل نادى معلناً ... والنقع ليس بمنجلي

والمسلمون قد أحدقوا ... حول النّبيّ المرسل

لا سيف إلّا ذوالفقار ... ولا فتى إلّا علي

قال : فأُنشدك بالله أنت الّذي حباك رسول الله ﷺ برايته يوم خيبر ففتح الله له[١] أم أنا ؟

قال : بل أنت .

قال : فأُنشدك بالله ، أن الّذي نفّست عن رسول الله وعن المسلمين بقتل عمرو بن عبدود[٢] أم أنا ؟

قال : بل أنت .

---

(١) عن سهل بن سعد : إنّ رسول الله ﷺ قال : «لأُعطيّن غداً الراية رجلاً يحبّه الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله ، يفتح الله على يديه» .

قال : فبات النّاس يدوكون ليلتهم أيّهم يُعطى .

فلمّا أصبح النّاس غدوا على رسول الله ﷺ كلّهم يرجو أن يعطاها ، فقال ﷺ : «أين عليّ بن أبي طالب» ؟

فقالوا : يشتكي عينيه يا رسول الله .

قال : «فأرسلوا إليه» .

فلمّا جاء بصق ﷺ في عينيه ، ودعا له ، فبرأ حتّى كأن لم يكن به وجع ، وأعطاه الراية .

فقال علي : يا رسول الله أُقاتلهم حتّى يكونوا مثلنا ؟

قال : إنفذ على رسلك حتّى تنزل بساحتهم ثمّ ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله فيه ، فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النّعم . أخرجه البخاري ومسلم . [ذخائر العقبى]

(٢) وكان عمرو بن عبدود قد قاتل يوم بدر حتّى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أُحد ، فلمّا كان يوم الخندق ، خرج معلماً ليرى مكانه ، وقف هو وخيله ، قال : من يبارز ؛ فبرز له عليّ بن أبي طالب ، فقال له : «يا عمرو إنّك قد كنت عاهدت الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلّتين إلّا أخذتها منه» .

قال له : أجل .

قال له علي : «فإنّي أدعوك إلى الله ورسوله وإلى الإسلام» .

قال : لا حاجة لي بذلك .

قال : «فإنّي أدعوك إلى النّزال» .

فقال له : لِم يابن أخي ؟ فوالله لا أُحبّ أن أقتلك .

قال له عليّ : «ولكنّي والله أُحبّ أن أقتلك» .

فحمى عمرو عند ذلك فأقحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ، ثمّ أقبل على عليّ فتنازلا وتجاولا ؛ فقتله عليّ عليه السلام .

قال ابن إسحاق : وقال عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك :

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ... ونصرت ربّ محمّد بصوابي
فصدرت حين تركته متجدّلاً ... كالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو أنّني ... كنت المقطّر بزّني أثوابي
لا تحسبنّ الله خاذل دينه ... ونبيّه يا معشر الأحزاب

قال: فأنشدك بالله، أنت الّذي ائتمنك رسول الله ﷺ على رسالته إلى الجنّ فأجابت[1] أم أنا؟

---

(١) بحار الأنوار ٣١٥/٦: عيون المعجزات من كتاب الأنوار مسنداً عن سلمان قال: كان النّبيّ ﷺ ذات يوم جالساً بالأبطح وعنده جماعة من أصحابه وهو مقبل علينا بالحديث، إذ نظرنا إلى زوبعة قد ارتفعت فأثارت الغبار، وما زالت تدنو والغبار يعلو إلى أن وقفت بحذاء النّبيّ ﷺ، ثمّ برز منها شخص كان فيها، ثمّ قال: يا رسول الله إنّي وافد قوم وقد استجرنا بك فأجرنا، وابعث معي مِن قبلك من يشرف على قومنا فإنّ بعضهم قد بغى علينا، ليحكم بيننا وبينهم بحكم الله وكتابه، وخذ عَلَيّ العهود والمواثيق المؤكّدة أن أردّه إليك في غداة غد سالماً إلّا أن تحدث عَلَيّ حادثة من عند الله.

فقال النّبيّ ﷺ: «من أنت ومن قومك»؟

قال: أنا عطرفة بن شمراخ أحد بني نجاح، وأنا وجماعة من أهلي كنّا نسترق السّمع فلمّا منعنا من ذلك آمنّا، ولمّا بعثك الله نبيّاً آمنّا بك، على ما علمته، وقد صدّقناك وقد خالفنا بعض القوم، وأقاموا على ماكانوا عليه، فوقع بيننا وبينهم الخلاف، وهم أكثر منّا عدداً وقوّة، وقد غلبوا على الماء والمرعى، وأضرّوا بنا وبدوابّنا، فابعث معي من يحكم بيننا بالحق.

فقال له النّبيّ ﷺ: «فاكشف لنا عن وجهك حتّى نراك على هيئتك الّتي أنت عليها».

قال: فكشف لنا عن صورته فنظرنا فإذا شخص عليه شعر كثير، وإذا رأسه طويل، طويل العينين، عيناه في طول رأسه، صغير الحدقتين، وله أسنان كأنّها أسنان السباع.

ثمّ إنّ النّبيّ ﷺ أخذ عليه العهد والميثاق على أن يردّ عليه في غد من يبعث به معه، فلمّا فرغ من ذلك التفت إلى أبي بكر فقال: «سر مع أخينا عطرفة وانظر إلى ما هم عليه، واحكم بينهم بالحق».

فقال: يا رسول الله وأين هم؟

قال: «هم تحت الأرض».

فقال أبوبكر: وكيف أطيق النزول تحت الأرض؟ وكيف أحكم بينهم ولا أحسن كلامهم؟

ثمّ التفت إلى عمر بن الخطّاب، فقال له مثل قوله لأبي بكر، فأجاب مثل جواب أبي بكر.

ثمّ أقبل على عثمان وقال له مثل قولهما، فأجابه كجوابهما.

ثمّ استدعى عليّاً وقال له: يا علي سر مع أخينا عطرفة، وتشرف على قومه، وتنظر إلى ما هم عليه، وتحكم بينهم بالحقّ.

فقام أميرالمؤمنين مع عطرفة وقد تقلّد سيفه.

قال سلمان: فتبعتهما إلى أن صارا إلى الوادي، فلمّا توسّطاه نظر إليّ أميرالمؤمنين عليه السلام وقال: «قد شكّر الله تعالى سعيك يا أباعبدالله، فارجع» فوقفت أنظر إليهما، فانشقّت الأرض ودخلا فيها، ورجعت، وتداخلني من الحسرة ما الله أعلم به، كلّ ذلك إشفاقاً على أميرالمؤمنين.

وأصبح النّبيّ وصلّى بالنّاس الغداة، وجاء وجلس على الصّفا، وما زال يحدّث أصحابه، إلى أن وجبت صلاة العصر، وأكثر القوم الكلام، وأظهروا اليأس من أميرالمؤمنين عليه السلام، فصلّى النّبيّ ﷺ صلاة العصر وجاء وجلس على الصّفا، وأظهر الفكر في أميرالمؤمنين عليه السلام، وظهرت شماتة المنافقين بأميرالمؤمنين عليه السلام، وكادت الشمس

قال : بل أنت .

قال :فأنشدك بالله ،أناالّذي أطهره الله من السّفاح من لدن آدم إلى أبيه بقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «خرجت أنا وأنت من نكاح لا من سفاح[1] من لدن آدم إلى عبدالمطّلب» أم أنت ؟

قال : بل أنت .

قال : فأنشدك بالله ، أنا الّذي اختارني رسول الله وزوّجني ابنته فاطمة عليها السلام وقال : «الله زوّجك إيّاها في السّماء»[2] أم أنت ؟

تغرب ، فتيقّن القوم أنّه قد هلك ، وإذا قد انشقّ الصفا ، وطلع أميرالمؤمنين عليه السلام منه ، وسيفه يقطر دماً ، ومعه عطرفة ، فقام إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله وقبّل بين عينيه وجبينه ، وقال له : «ما الّذي حبسك عنّي إلى هذا الوقت» ؟

فقال عليه السلام : «صرت إلى جنّ كثير قد بغوا على عطرفة وقومه من المنافقين ، فدعوتهم إلى ثلاث خصال فأبوا عَلَيّ ، وذلك أنّي دعوتهم إلى الإيمان بالله تعالى والإقرار بنبوّتك ورسالتك فأبوا ، فدعوتهم إلى أداء الجزية فأبوا ، فسألتهم أن يصالحوا عطرفة وقومه فيكون بعض المرعى لعطرفة وقومه وكذلك الماء فأبوا ذلك كلّه ، فوضعت سيفي فيهم وقتلت منهم ثمانين ألفاً ، فلمّا نظروا إلى ما حلّ بهم طلبوا الأمان والصّلح ثمّ آمنوا وزال الخلاف بينهم ، وما زلت معهم إلى السّاعة .

فقال عطرفة : يا رسول الله جزاك الله وأميرالمؤمنين عنّا خيراً .

(١) ينابيع المودّة ص١٦ قال : «وفي الشفاء : وروي عن عليّ كرّم الله وجهه عنه صلى الله عليه وآله في قوله تعالى : ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ**﴾ قال : نسباً وصهراً وحسباً ، ليس في آبائي من لدن آدم عليه السلام سفاح ، كلّنا نكاح» .

وفي كنز العمّال ج٦ ص١٠٠ الحديث ١٤٩٤ : عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال في حديث له رواه البيهقي في الدلائل عن أنس : «وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم حتّى انتهيت إلى أبي وأمّي ، فأنا خيركم نسباً وخيركم أباً» .

والحديث ١٤٩٥ منه أيضاً عن عائشة عنه صلى الله عليه وآله : «خرجت من نكاح غير سفاح» .

والحديث ١٤٩٧ عن ابن عبّاس عنه صلى الله عليه وآله : «خرجت من لدن آدم من نكاح غير سفاح» .

والحديث ١٤٩٨ في ص١٠١ منه عن عليّ عليه السلام : «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمّي ، لم يصبني من سفاح الجاهليّة شيء» .

وفي ص١٦ من ينابيع المودّة : «وفي جمع الفوائد رفعه : خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمّي . للأوسط ...» .

ابن عبّاس رفعه : «ما ولدني في سفاح الجاهليّة شيء ، وما ولدني إلّا نكاح كنكاح الإسلام» للكبير .

(٢) ينابيع المودّة ص١٧٥ عن أنس قال : كنت عند النّبيّ صلى الله عليه وآله فغشيه الوحي ، فلمّا أفاق قال : «يا أنس أتدري بما جاءني به جبرئيل من عند صاحب العرش عزّ وجلّ» ؟

قلت : بأبي وأمّي بما جائك جبرائيل ؟

قال : «قال جبرائيل : إنّ الله يأمرك أن تزوّج فاطمة بعلي ، فانطلق فادع لي أبابكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير

قال : بل أنت .

قال : فأُنشدك بالله ، أنا والد الحسن والحسين سبطيه وريحانتيه إذ يقول : «هما سيّدا شباب أهل الجنّة وأبوهما خيرٌ منهما»[(١)] أم أنت ؟

قال : بل أنت .

قال : فأُنشدك بالله ، أخوك المزيّن بالجناحين يطير في الجنّة مع الملائكة أم أخي[(٢)] ؟

ونفراً من الأنصار» .

قال : فانطلقت فدعوتهم ، فلمّا أن أخذوا مقاعدهم ، قال رسول الله ﷺ : «الحمد لله المحمود بنعمته» .. وذكر الخطبة المشتملة على التزويج وفي آخرها : «فجمع الله شملهما ، وأطاب نسلهما ، وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ، ومعادن الحكمة ، وأمن الأمّة» ثمّ حضر عليّ وكان غائباً ، فتبسّم رسول الله ﷺ وقال : «يا علي إنّ الله أمرني أن أزوّجك فاطمة عليها السلام وإنّي قد زوّجتكها على أربعمائة مثقال فضّة» .

فقال عليّ : «قد رضيتها يا رسول الله ﷺ» .

ثمّ إنّ علياً خرّ لله ساجداً شكراً ، فلمّا رفع رأسه قال له رسول الله ﷺ : «بارك الله لكما ، وبارك فيكما ، وأسعد جدّكما ، وأخرج منكما الكثير الطيّب» .

قال أنس : والله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيّب .

أخرجه أبو علي الحسن بن شاذان فيما نقله عنه الحافظ جمال الدين الزرندي في نظم درر السمطين ، وقد أورده المحب الطبري في ذخائره ، وأخرجه أبو الخير القزويني الحاكمي ، إنتهى .

(١) ابن ماجة عن نافع عن ابن عمر قال رسول الله ﷺ : «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة ، وأبوهما خيرٌ منهما» .

وفي الإصابة : مالك بن الحويرث الليثي قال : قال رسول الله ﷺ : «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة وأبوهما خير منهما» . [ينابيع المودّة ١٦٦]

وأخرج ابن عساكر عن علي ، وعن ابن عمر

وابن ماجة والحاكم عن ابن عمر

والطبراني عن قرّة ، وعن مالك بن الحويرث

والحاكم عن ابن مسعود

أنّ النّبيّ ﷺ قال : «ابناي هذان الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة وأبوهما خير منهما» . [الصواعق المحرقة ١٨٩]

(٢) هو جعفر بن أبي طالب بن عبدالمطّلب بن هاشم بن عبد مناف ، كنيته أبو عبدالله ، ابن عمّ الرّسول ، وأخو عليّ بن أبي طالب لأبويه ، أسلم قديماً بعد إسلام أخيه عليّ بن أبي طالب بقليل .

هاجر الهجرتين إلى أرض الحبشة ـ في الهجرة الثانية ، مع زوجته أسماء بنت عميس ـ فأسلم النجاشي ومن تبعه على يديه ، وأقام جعفر عنده ، ثمّ هاجر منها إلى المدينة ، فقدم والنّبيّ ﷺ بخيبر ، فقال النّبيّ ﷺ : «ما أدري

قال : بل أخوك .

قال : فأُنشدك بالله ، أنا ضمنت دين رسول الله وناديت في المواسم بإنجاز موعده(١) أم أنت ؟

قال : بل أنت .

قال : فأُنشدك بالله أنا الّذي دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله والطّير عنده يريد أكله يقول : «اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك إلي وإليك بعدي يأكل معي هذا الطّير»(٢) فلم يأته غيري أم أنت ؟

بأيّهما أنا أفرح ؛ بقدوم جعفر أم بفتح خيبر».

وكان أشبه النّاس برسول الله خلقاً وخلقاً، وقال له النّبيّ صلى الله عليه وآله : «أشبهت خلقي وخلقي».

مرّ أبو طالب عليه السلام فرأى النّبيّ صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام يصلّيان، وعليّ عن يمينه، فقال لجعفر : «صل جناح ابن عمّك وصلّ عن يساره».

استشهدبمؤتة من أرض الشام مقبلاً غير مدبر، مجاهداً للروح في حياة النّبيّ صلى الله عليه وآله سنة ثمان في جمادي الأُولى.

عن ابن عمر قال : وجد فيما أقبل من بدن جعفر مابين منكبيه تسعين ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف .

وعن أنس بن مالك : إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله نعى جعفراً وزيداً نعاهما قبل أن يجيء خبرهما نعاهما وعيناه تذرفان .

وكان أسنّ من علي بعشر سنين، فاستوفى أربعين سنة وزاد عليها .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أتاه نعي جعفر عليه السلام على امرأته أسماء بنت عميس عليها السلام فعزّاها فيه، ودخلت فاطمة عليها السلام وهي تبكي وتقول : «واعمّاه».

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «على مثل جعفر فالتبك البواكي» ودخله همّ شديد حتّى أتاه جبرئيل فأخبره أنّ الله قد جعل لجعفر جناحين مضرّجين بالدم يطير بهما مع الملائكة .

وقال صلى الله عليه وآله : «رأيت جعفراً يطير في الجنّة مع الملائكة».

وعن ابن عمر : إنّه صلى الله عليه وآله كان إذا سلّم على عبدالله بن جعفر قال : «السّلام عليك يابن ذي الجناحين». [راجع : الإصابة ٢٣٩/١ ـ ٢٤٠، صفة الصفوة ٢٠٥/١ ـ ٢٠٩، أُسد الغابة ٢٨٦/٢ ـ ٢٨٩]

(١) ينابيع المودّة ص١٠٥ : «وفي مسند أحمد بسنده عن عباد بن عبدالله الأسدي عن عليّ عليه السلام قال : لمّا نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ جمع النّبيّ صلى الله عليه وآله أهل بيته، فاجتمع ثلاثون نفراً فأكلوا وشربوا ثلاثاً، ثمّ قال لهم : من يضمن عنّي ديني ومواعيدي يكون معي في الجنّة، ويكون خليفتي في أهلي»، فقال عليّ : أنا يا رسول الله صلى الله عليه وآله . أيضاً الثعلبي ذكر هذا الحديث في تفسير هذه الآية .

(٢) عن أنس بن مالك : أهدي لرسول الله صلى الله عليه وآله طير، فقال : «اللّهمّ ائتني برجل يحبّه الله ويحبّه رسوله».

قال أنس : فأتى عليّ فقرع الباب، فقلت : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مشغول، وكنت أُحبّ أن يكون رجلاً من الأنصار، ثمّ إنّ علياً فعل مثل ذلك، ثمّ أتى الثالثة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أدخله فقد عنيته» .

وفي مسند أحمد بن حنبل بسنده عن سفينة مولى النّبيّ صلى الله عليه وآله قال : أهدت امرأة من الأنصار طيرين مشويين بين رغيفين، فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله : «اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك وإلى رسولك» فجاء عليّ فأكل معه من الطيرين حتّى كفيا. [أُسد الغابة ٣٠/٤]

قال : بل أنت .

قال : فأُنشدك بالله ، أنا الّذي بشّرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ، على تأويل «القرآن»[1] أم أنت ؟

قال : بل أنت .

➲ وفي المستدرك ج٣ ص ١٣٠ ـ ١٣١ : عن أنس بن مالك أيضاً قال : كنت أخدم رسول الله ﷺ ، فقُدِّم لرسول الله ﷺ فرخ مشوي ، فقال : «اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير» .

قال : فقلت : اللّهمّ اجعله رجلاً من الأنصار .

فجاء عليّ فقلت : إنّ رسول الله على حاجة ، ثمّ جاء ، فقلت : إنّ رسول الله على حاجة ، ثمّ جاء ، فقال رسول الله : «إفتح» ، فدخل ، فقال رسول الله ﷺ : «ما حبسك يا علي» ؟

فقال : «إنّ هذه آخر ثلاث كرّات يردّني أنس ، يزعم أنّك على حاجة» .

فقال : «ما حملك على ما صنعت» ؟

فقلت : يا رسول الله سمعت دعائك فأحببت أن يكون رجلاً من قومي .

فقال رسول الله ﷺ : «إنّ الرّجل قد يحبّ قومه» .

ثمّ قال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(١) في ج٢ من الرياض النضرة ص ٢٢٠ : وعن ابن مسعود أنّ رسول الله ﷺ أتى منزل أُم سلمة فجاء عليّ ، فقال رسول الله ﷺ : «يا أُم سلمة هذا قاتل القاسطين والناكثين والمارقين ، من بعدي» .

وفي ج٦ من كنز العمال ص ١٥٥ الحديث ٢٥٨٥ : «إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله» .

قيل : أبوبكر وعمر ؟

قال : «لا ولكنّه خاصف النّعل» ـ يعني علياً ـ.

وفي مستدرك الحاكم ج٣ ص١٢٢ : عن أبي سعيد قال : كنّا مع رسول الله ﷺ فانقطعت نعله ، فتخلّف عليّ يخصفها ، فمشى قليلاً فقال : «إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله» .

فاستشرف لها القوم وفيهم أبوبكر وعمر ، قال أبوبكر : أنا هو ؟

قال : «لا» .

قال عمر : أنا هو ؟

قال : «لا ، ولكن خاصف النعل» ـ يعني علياً ـ.

فأتيناه فبشّرناه ، فلم يرفع به رأسه ، كأنّه قد كان سمعه من رسول الله ﷺ .

ثمّ قال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وفيه ص١٣٩ ـ ١٤٠ عن الأصبغ بن نباتة عن أبي أيّوب الأنصاري رضي الله عنه قال : سمعت النّبيّ ﷺ يقول لعليّ بن أبي طالب : «تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بالطرقات والنهروانات وبالشعفات» .

قال أبو أيّوب : قلت : يا رسول الله : مع من نقاتل هؤلاء الأقوام ؟

قال : «مع عليّ بن أبي طالب» .

قال : فأُنشدك بالله ، أنا الّذي دلّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله بعلم القضاء وفصل الخطاب بقوله : «علي أقضاكم»[(١)] أم أنت ؟

قال : بل أنت .

---

(١) الإستيعاب ج ٢ ص ٤٦١ : وروي عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : «أنا مدينة العلم وعليّ بابها ؛ فمن أراد العلم فليأته من بابه» .

وقال صلى الله عليه وآله في أصحابه : «أقضاهم عليّ بن أبي طالب» .

وقال عمر بن الخطّاب : علي أقضانا ، وأُبي أقرؤنا ، وإنّا لنترك أشياء من قراءة أُبي .

وأيضاً مرفوعاً عن سعيد بن المسيّب قال : كان عمر يتعوّذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن ، وقال في المجنونة الّتي أمر برجمها ، وفي الّتي وضعت لستّة أشهر فأراد عمر رجمها ، فقال له عليّ : «إنّ الله تعالى يقول : **﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرَاً﴾**» الحديث . وقال له : «إنّ الله رفع القلم عن المجنون» الحديث ، فكان عمر يقول : لولا علي لهلك عمر .

وأيضاً ص ٤٦٢ مرفوعاً عن زر بن حبيش قال : جلس رجلان يتغدّيان ؛ مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة ، فلمّا وضعا الغذاء بين أيديهما ، مرّ بهما رجل فسلّم ، فقالا : إجلس للغداء ، فجلس وأكل معهما واستوفوا في أكلهم الأرغفة الثمانية ، فقام الرجل وطرح بينهما ثمانية دراهم وقال : خذا هذا عوضاً ممّا أكلت لكما ونلته من طعامكما ، فتنزعا وقال صاحب الخمسة الأرغفة : لي خمسة دراهم ولك ثلاث ، فقال صاحب الثلاثة الأرغفة : لا أرضى إلّا أن تكون الدراهم بيننا نصفين ، وارتفعا إلى أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقصّا عليه قصّتهما ، فقال لصاحب الثلاثة الأرغفة : «قد عرض عليك صاحبك ما عرض وخبزه أكثر من خبزك فارض بثلاثته» .

فقال : لا والله لا رضيت منه إلّا بمرّ الحق .

فقال عليّ عليه السلام : «ليس لك في مُرّ الحقّ إلّا درهم واحد وله سبعة» .

فقال الرّجل : سبحان الله يا أميرالمؤمنين هو يعرض عَلَيّ ثلاثة فلم أرض ، وأشرتَ عَلَيّ بأخذها فلم أرض ، وتقول لي الآن إنّه لا يجب في مرّ الحقّ إلّا درهم واحد ؟!

فقال له عليّ : «عرض عليك صاحبك الثلاثة صلحاً فقلت لم أرض إلّا بمرّ الحقّ ، ولا يجب لك بمرّ الحقّ إلّا واحد» .

فقال الرّجل : فعرّفني بالوجه في مُر الحقّ حتّى أقبله .

فقال عليّ عليه السلام : أليس للثمانية الأرغفة أربعة وعشرون ثلثاً ، أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس ، ولا يعلم الأكثر منكم أكلاً ولا الأقل ، فتحملون في أكلكم على السواء» ؟

قال : بلى .

قال : «فأكلت أنت ثمانية أثلاث ، وإنّما لك تسعة أثلاث ، وأكل صاحبك ثمانية أثلاث وله خمسة عشر ثلثاً أكل منها ثمانية ويبقى له سبعة ، وأكل لك واحدة من تسعة فلك واحد بواحدك ، وله سبعة بسبعته» .

فقال له الرّجل : رضيت الآن .

قال : فأُنشدك بالله أنا الّذي أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالسّلام عليه بالإمرة في حياته[(١)] أم أنت ؟

قال : بل أنت .

قال : فأُنشدك بالله ، أنا الّذي شهدت آخر كلام رسول الله ﷺ ووليت غسله ودفنه[(٢)] أم أنت ؟

---

(١) في ص١٢٥ من كتاب «اليقين في إمرة أميرالمؤمنين عليه السلام» قال : فيما نذكره من كتاب الرسالة الموضحة تأليف المظفّر بن جعفر بن الحسين ... وهو ممّن يروي عنه محمّد بن جرير الطبري ، ننقل ذلك من خطّ مصنّفه من الخزانة العتيقة بالنظامية ببغداد ، فقال ما هذا لفظه : «وعنه قال : حدّثنا محمّد بن همام عن علي بن العبّاس ومحمّد ابن الحسين بن حفص قالا : حدّثنا إسماعيل بن إسحاق قال : حدّثنا يحيى بن سالم عن صباح بن يحيى عن العلا ابن المسيّب عن أبي داود عن بريدة الأسلمي قال : كنّا نسلّم على عليّ بن أبي طالب عليه السلام بحضرة رسول الله ﷺ بإمرة المؤمنين ، نقول : «السّلام عليك يا أميرالمؤمنين ورحمة الله وبركاته» ويردّ علينا .

وفي ج٩ من بحار الأنوار ص٢٤٧ عن بريدة وعن يحيى بن سالم قالا : أمرنا النّبيّ ﷺ أن نُسلّم على عليّ بإمرة المؤمنين .

وفيه أيضاً عن الرّضا عن آبائه عليهم السلام عن الحسين بن علي عليهما السلام قال : «قال لي بريدة : أمرنا رسول الله ﷺ أن نُسلّم على أبيك بإمرة المؤمنين» .

وفيه أيضاً عن عمرو بن حصيب أخي بريدة بن حصيب قال : بينا أخي بريدة عند النّبيّ ﷺ إذ دخل أبوبكر فسلّم على رسول الله ، فقال له : «إنطلق فسلّم على أميرالمؤمنين» .

فقال : يا رسول الله ومَن أميرالمؤمنين ؟

قال : «علي بن أبي طالب عليه السلام» .

قال : عن أمر الله وأمر رسوله ؟

قال : «نعم» .

ثمّ دخل عمر فسلّم ، فقال : «إنطلق فسلّم على أميرالمؤمنين) .

فقال : يا رسول الله ومَن أميرالمؤمنين ؟

قال ﷺ : «علي ابن أبي طالب عليه السلام» .

قال : عن أمر الله ورسوله ؟

قال : «نعم» .

(٢) في ذخائر العقبى ص٧٢ والرياض النضرة ج٢ ص٢٣٧ : عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ ـ لمّا حضرته الوفاة ـ : «أُدعوا لي حبيبي» ، فدعوا له أبابكر ، فنظر إليه ثمّ وضع رأسه فقال : «أُدعوا لي حبيبي» ؛ فدعوا له عمر ، فلمّا نظر إليه وضع رأسه ثمّ قال : «أُدعوا لي حبيبي» ؛ فدعا له عليّاً ، فلمّا رآه أدخله معه الثوب الّذي كان عليه ، فلم يزل يحتضنه حتّى قبض . أخرجه الرازي .

وفيهما أيضاً وفي ج٣ من المستدرك عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : والّذي أحلف به أن كان علي أقرب النّاس

←

قال : بل أنت .

قال : فأنشدك بالله ، أنت الّذي سبقت له القرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله[(١)] أم أنا ؟

قال : بل أنت .

قال : فأنشدك بالله أنت الّذي حباك الله بالدينار عند حاجته إليه وباعك جبرئيل وأضفت محمّداً فأطعمت ولده[(٢)] أم أنا ؟

عهداً برسول الله صلى الله عليه وآله ، عدنا رسول الله صلى الله عليه وآله غداة بعد غداة يقول : «جاء علي ـ مراراً ـ» ؟ وأظنّه كان بعثه في حاجة فجاء بعد فظننت أنّ له حاجة فخرجنا من البيت وقعدنا عند الباب فكنت من أدناهم إلى الباب ، فأكبّ عليه علي فجعل يسارّه ويناجيه ثمّ قبض صلى الله عليه وآله يومه ذلك فكان من أقرب النّاس به عهداً .

أخرجه الإمام أحمد .

وفي ج٣ من المستدرك ص ١١١ عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال : لعلي أربع خصال ليست لأحد : هو أوّل عربي وعجمي صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو الّذي كان لواؤه معه في كلّ زحف ، وهو الّذي صبر معه يوم المهراس ، وهو الذي غسّله وأدخله قبره .

(١) عن الشعبي : إنّ أبابكر نظر إلى عليّ بن أبي طالب فقال : من سرّه أن ينظر إلى أقرب النّاس قرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله وأعظمهم عنه غنا ، وأحظهم عنده منزلة ؛ فلينظر وأشار إلى عليّ بن أبي طالب .

خرّجه ابن السمان . [الرياض النضرة ٢/٢١٥]

(٢) أخرج الخوارزمي الحنفي في ص ٢٢٤ من مناقبه ، عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد قال : انقضّ عليّ وفاطمة ، فقالت له فاطمة : «ليس في الرحل شيء ، فخرج عليّ يبتغي» .

قال : فوجد ديناراً فعرفه فلم يجد له طالباً ، ولم يصب شيئاً ، ورجع .

فقالت له فاطمة : «ما صنعت» ؟

قال : «ما أصبت شيئاً إلّا أنّي وجدت ديناراً فعرفت حتّى سئمت فلم أجد له طالباً باغياً» .

فقالت : «هل لك في خير ؟ هل لك في أن نقترضه فنتعشّى به ؟ فإذا جاء صاحبه أعطيته ديناراً ، فإنّما هو دينار مكان دينار» .

فقال عليّ عليه السلام : «أفعل» ؛ فأخذ الدينار وأخذ وعاءاً ثمّ خرج إلى السّوق فإذا رجل عنده طعام يبيعه ، فقال عليّ عليه السلام : «كيف تبيع من طعامك هذا» ؟

قال : كذا وكذا بدينار .

فناوله عليّ عليه السلام الدينار ثمّ فتح وعاء ، وذهب ليقوم ، ردّ عليه الدّينار وقال : لتأخذنّه والله .

فأخذه ورجع إلى فاطمة فحدّثها حديثه .

فقالت فاطمة عليها السلام : «هذا رجل عرف حقّنا وقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وآله» .

فأكلوه حتّى أنفذوه ولم يصيبوا ميسرة ، فقالت له فاطمة عليها السلام : «هل لك في خير تستقرضه فنتعشّى به» مثل قولها الأوّل ؟

قال : فبكى أبوبكر قال : بل أنت .

قال : فأُنشدك بالله ، أنت الّذي جعلك رسول الله ﷺ على كتفه في طرح صنم الكعبة وكسره حتّى لو شئت أن أنال أُفق السّماء لنلتها[1] أم أنا ؟

➲ قال : «أفعل» ؛ فخرج إلى السّوق فإذا صاحبه ، فقال له مثل قوله الأوّل ، وفعل الرّجل مثل فعله الأوّل ، فرجع فأخبر فاطمة عليها السلام ، فدعت له مثل دعائها الأوّل ؛ فأكلوا حتّى أنفذوا ، فلمّا كان الثالثة ، قالت له فاطمة : «إن ردّ عليك الدّينار فلا تقبله» .

فذهب عليّ عليه السلام فوجده ، فلمّا كان له ذهب يردّه عليه ، فقال له عليّ عليه السلام : «والله لا آخذه» ، فسكت عنه .

قال أبو هارون : فقمت فانصرفت من عنده فمررت برجل من الأنصار له صحبة ـ يطيّن بيته ـ فسلّمت عليه ، فردّ عَلَيّ وسايلني ، فقال : ما حدّثكم اليوم أبو سعيد ؟

فقلت : حدّثنا بكذا وكذا !!

فقال الأنصاري : من كان الّذي اشترى منه عليّ عليه السلام ؟

فقلت : لا أعلم !

قال : كتمكم أبو سعيد ؟

قلت : ومن كان البايع ؟

قال : لمّا ذهب عليّ عليه السلام إلى رسول الله ﷺ قال له : «يا علي تخبرني أو أخبرك» ؟

قال : «أخبرني يا رسول الله» .

قال : «صاحب الطعام جبرئيل ، والله لولا تحلف لوجدته ما دام الدّينار في يدك» .

(١) في ج٢ من الرياض النضرة ص٢٦٥ ـ ٢٦٦ عن عليّ قال : «إنطلقت أنا والنبيّ ﷺ حتّى أتينا الكعبة ، فقال لي رسول الله ﷺ : إجلس ، وصعد على منكبي ، فذهبت لأنهض به فرأى منّي ضعفاً ، فنزل ، وجلس لي نبيّ الله ﷺ وقال : إصعد على منكبي ، فصعدت على منكبيه .

قال : فنهض .

قال : فتخيّل إليّ أن لو شئت لنلت أُفق السّماء ، حتّى صعدت على البيت وعليه تمثال صفراء ونحاس ، فجعلت أُزاوله عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه حتّى إذا استمكنت منه ، قال لي رسول الله ﷺ : إقذف به ؛ فقذفت به فتكسّر كما تتكسّر القوارير ، ثمّ نزلت ، فانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نستبق حتّى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من النّاس .

أخرجه أحمد ، وصاحب الصفوة ، وأخرجه الحاكمي وقال ـ بعد قوله : «فصعدت على الكعبة» ـ «فقال لي : ألق صنمهم الأكبر ، وكان من نحاس موتّد بأوتاد من حديد إلى الأرض ، فقال رسول الله ﷺ : عالجه ، فلم أزل أعالجه حتّى استمكنت منه ، فقال : إقذفه ؛ فقذفته» ، ثمّ ذكر باقي الحديث وزاد : فما صعد حتّى الساعة ، إنتهى .

وإلى هذه المكرمة الجليلة يشير الإمام الشافعي بقوله :

قيل لي قل في عليٍّ مدحاً ... ذكره يخمد ناراً موصده

قلت لا أقدم في مدح امرئ ... ضلّ ذواللب إلى أن عبده

➲

قال : بل أنت .

قال : فأُنشدك بالله ، أنت الّذي قال لك رسول الله صلى الله عليه وآله : «أنت صاحب لوائي في الدّنيا والآخرة»[١] أم أنا ؟

قال : بل أنت .

قال : فأُنشدك بالله أنت الّذي أمرك رسول الله صلى الله عليه وآله بفتح بابه في مسجده عندما أمر بسدّ أبواب جميع أهل بيته وأصحابه وأحلّ لك فيه ما أحلّ الله له[٢] أم أنا ؟

والنبيّ المصطفى قال لنا ليلة المعراج لمّا صعده
وضع الله بظهري يده فأحسّ القلب ممّا برده
وعليٌّ واضع أقدامه في محلّ وضع الله يده

(١) في ذخائر العقبى ص٧٥ عن عليّ قال : «كسرت يد علي عليه السلام يوم أُحد فسقط اللواء من يده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ضعوه في يده اليسرى فإنّه صاحب لوائي في الدّنيا والآخرة» .
أخرجه ابن الحضرمي .
وعن مالك بن دينار : سألت سعيد بن جبير وإخوانه من القرّاء : من كان حامل راية رسول الله صلى الله عليه وآله ؟
قالوا : كان حاملها علي عليه السلام .
أخرجه أحمد في المناقب .
وفي الرياض النضرة ج٢ ص٢٦٧ عن جابر قالوا : يا رسول الله من يحمل رايتك يوم القيامة ؟
قال : «من عسى أن يحملها يوم القيامة إلّا من كان يحملها في الدّنيا !! عليّ بن أبي طالب» .
أخرجه نظام الملك في أماليه .
وفي ص٧٥ من ذخائر العقبى عن مخدوع الذهلي : إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ : «أما علمت يا علي أنّي أوّل من يدعى به يوم القيامة فأقوم عن يمين العرش في ظلّه ، فأكسى حلّة خضراء من حلل الجنّة ، ثمّ يدعى بالنبيّين بعضهم على أثر بعض ، فيقومون سماطين عن يمين العرش ، ويكسون حللاً خضراء من حلل الجنّة ، ألا وإنّي أُخبرك يا علي : إنّ أُمّتي أوّل الأُمم يحاسبون يوم القيامة ، ثمّ ابشر أنّك أوّل من يدعى بك لقرابتك منّي ، وميزتك ومنزلتك عندي فيدفع إليك لوائي وهو : «لواء الحمد» تسير به بين السماطين ؛ آدم وجميع خلق الله تعالى مستظلّون بظلّ لوائي يوم القيامة ، فتسير باللواء ، الحسن عن يمينك ، والحسين عن يسارك ، حتّى تقف بيني وبين إبراهيم في ظلّ العرش ، نعم الأب أبوك إبراهيم ، ونعم الأخ أخوك يا علي ، إبشر يا علي أنّك تكسى إذا كسيت ، وتدعى إذا دُعيت ، وتحيى إذا حييت» .
أخرجه أحمد في المناقب .

(٢) في ج٣ ص١٢٥ من مستدرك الحاكم ، وفي كنز العمّال ج٦ ص١٥٢ الحديث ٢٤٦٥ عن زيد بن أرقم قال : كانت لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أبواب شارعة في المسجد ، فقال يوماً : «سدّوا هذه الأبواب إلّا باب علي» .
قال : فتكلّم في ذلك ناس ، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : «أمّا بعد فإنّي أمرت بسدّ هذه

قال : بل أنت .

قال : فأُنشدك بالله ، أنت الّذي قدمت بين يدي نجوى رسول الله ﷺ صدقة[١] فناجيته إذ عاتب الله قوماً فقال : ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَات ﴾[٢] أم أنا ؟

قال : بل أنت .

قال : فأُنشدك بالله ، أنت قال رسول الله ﷺ لفاطمة : «زوّجتك أوّل النّاس إيماناً وأرجحهم

الأبواب غير باب علي ، فقال فيه قائلكم ، والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكن أُمرت بشيء فاتّبعته» .

ثمّ قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وفي الرياض النضرة ج٢ ص٢٥٣ ـ ٢٥٤ عن أبي هريرة قال : قال عمر : ثلاث خصال لعليّ لأن يكون لي خصلة منهنّ أحبّ إليّ من أن يكون لي حمر النّعم : تزويجه فاطمة بنت النّبيّ ﷺ ، وسكناه في المسجد مع رسول الله ﷺ ، والراية يوم خيبر .

أخرجه ابن السمّان في الموافقة .

وعن أبي سعيد عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «يا علي لا يحلّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك» .

وأيضاً عن ابن عمر قال : لقد أُوتي ابن أبي طالب ثلاث خصال لأن يكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النّعم : زوجّه رسول الله ﷺ ابنته وولدت له ، وسدّ الأبواب إلّا بابه في المسجد ، وأعطاه الراية يوم خيبر .

أخرجه أحمد .

وفي كنز العمّال ص١٥٩ ج٦ الحديث ٢٦٧٠ عن أم سلمة : «لا يحلّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد إلّا أنا وعلي» .

والحديث ٢٦٧١ عن أبي سعيد : «يا علي لا يحلّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيرك» .

(١) الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٦٥ عن علي عليه السلام أنّه قال : «آية في كتاب الله عزّ وجلّ لم يعمل بها أحد بعدي : آية النّجوى ؛ كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم ، فلمّا أردت أن أُناجي رسول الله ﷺ قدمت درهما ، فنسختها الآية الأُخرى ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ ﴾ الآية» .

أخرجه ابن الجوزي في أسباب النزول .

قال الحافظ محمّد بن أحمد بن جزي الكلبي في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ج٤ ص١٠٥ : روي أنّه كان له ديناراً فصرفه بعشرة دراهم ، وناجاه عشر مرّات ، تصدّق في كلّ مرّة منها بدرهم . وقيل : تصدّق في كلّ مرّة بدينار .. الخ .

وفي تفسير القرطبي ج١٧ ص٣٠٢ قال : وقد روي عن مجاهد : إنّ أوّل من تصدّق في ذلك عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال : «في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي ، وهي : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾ كان لي دينار فبعته ، فكنت إذا ناجيت الرّسول تصدّقت بدرهم حتّى نفد ، فنسخت بالآية الأُخرى ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ﴾» كذلك قال ابن عبّاس : نسخها الله بالآية الّتي بعدها .

وقال ابن عمر : لقد كان لعلي ثلاث لو كانت لي واحدة منهنّ كانت أحبّ إليّ من حمر النّعم : تزويجه فاطمة ، وإعطائه الراية يوم خيبر ، وآية النجوى .

(٢) المجادلة ١٣ .

إسلاماً في كلام له»[1] أم أنا ؟

قال : بل أنت .

قال : فأُنشدك بالله يا أبابكر أنت الّذي سلّمت عليه ملائكة سبع سماوات يوم القليب[2] أم أنا ؟

قال : بل أنت» .

قال : «فلم يزل يورد مناقبه الّتي جعل الله له ورسوله دونه ، ودون غيره ، ويقول له أبوبكر : بل أنت .

قال : فبهذا وشبهه تستحقّ القيام بأُمور اُمّة محمّد ، فما الّذي غرّك عن الله وعن رسوله ودينه

---

(١) كنز العمّال ج٦ ص١٥٣ الحديث ٢٥٤٣ عن أبي هريرة وعن ابن عبّاس : «أما ترضين أنّي زوّجتك أوّل المسلمين إسلاماً ، وأعلمهم علماً ، فإنّك سيّدة نساء أُمّتي كما سادت مريم قومها ؟ أما ترضين يا فاطمة أنّ الله اطّلع على أهل الأرض فاختار منهم رجلين فجعل أحدهما أباك والآخر بعلك» ؟

وأيضاً الحديث ٢٥٤٣ عن معقل بن يسار : «أما ترضين أنّي زوّجتك أقدم أُمّتي سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً» ؟

والحديث ٢٥٤٤ عن بريدة : «زوّجتك خير أهلي ؛ أعلمهم علماً ، وأفضلهم حلماً ، وأوّلهم سلماً» .

والحديث ٢٥٤٥ عن أبي إسحاق : «لقد زوّجتكه وإنّه لأوّل أصحابي سلماً ، وأكثرهم علماً ، وأعظمهم حلماً» .

وفي ينابيع المودّة ص٨٠ ـ ٨١ : موفّق بن أحمد بسنده عن أبي أيّوب الأنصاري قال : إنّ فاطمة رضي الله عنها أتت في مرض أبيها صلى الله عليه وآله وبكت فقال : «يا فاطمة إنّ لكرامة الله إيّاك زوّجك من هو أقدمهم سلماً ، وأكثرهم علماً ، وأعظمهم حلماً ، إنّ الله عزّ وجلّ اطّلع إلى أهل الأرض اطلاعة فاختارني منهم فبعثني نبيّاً مرسلاً ، ثمّ اطّلع اطلاعة فاختار منهم بعلك ، فأوحى إليّ أن أُزوّجه إيّاك وأتّخذه وصيّاً .

(٢) في ص٢٨ من تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : قال أحمد في الفضائل : حدّثنا عبدالله بن سليمان بن الأشعث ، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم النهشلي ، حدّثنا سعيد بن الصلت ، حدّثنا أبوالجارود الرحبي عن أبي إسحاق الهمداني عن الحرث عن علي قال : «لمّا كانت ليلة بدر ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من يستقي لنا من الماء ؟ فأحجم النّاس .

قال : فقمت فاحتضنت قربة ثمّ أتيت قليباً بعيد القعر مظلماً ، فانحدرت فيه ، فأوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل وإسرافيل : تأهّبوا لنصرة محمّد صلى الله عليه وآله وحزبه ، فهبطوا من السّماء لهم دويّ يذهل من يسمعه ، فلمّا حاذوا القليب وقفوا وسلّموا عَلَيّ من عند آخرهم إكراماً وتبجيلاً وتعظيماً .

وذكره أرباب المغازي .

وفي ذخائر العقبى ص٦٨ ـ ٦٩ قال : لمّا كان ليلة يوم بدر ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «من يستقي لنا من الماء» ؟ فأحجم النّاس . فقام عليّ فاحتضن قربة فأتى بئراً بعيدة القعر مظلمة ، فانحدر فيها ، فاوحى الله عزّ وجلّ إلى جبرئيل وميكائيل وإسرافيل : «تأهّبوا لنصر محمّد صلى الله عليه وآله وحزبه» ؛ فهبطوا من السّماء لهم لغط يذهبل من سمعه ، فلمّا حاذوا بالبئر سلّموا عليه من عند آخرهم إكراماً وتبجيلا .

وأنت خلو ممّا يحتاج إليه أهل دينه» ؟

قال : «فبكى أبوبكر وقال : صدقت يا أباالحسن ، أنظرني قيام يومي فأُدبّر ما أنا فيه وما سمعت منك .

فقال عليّ عليه السلام : لك ذلك يا أبابكر» .

فرجع من عنده وطابت نفسه[١] يومه ولم يأذن لأحد إلى اللّيل ، وعمر يتردّد في النّاس لما بلغه من خلوته بعلي ، فبات في ليلته فرأى في منامه كأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله تمثّل له في مجلسه فقام إليه أبوبكر يسلّم عليه فولّى عنه وجهه ، فصار مقابل وجهه فسلّم عليه فولّى وجهه عنه ، فقال أبوبكر : يا رسول الله أمرت بأمرٍ لم أفعله ؟

فقال : أردّ عليك السّلام وقد عاديت من والاه الله ورسوله ؟ ردّ الحقّ إلى أهله .

فقلت : من أهله ؟

قال : من عاتبك عليه ؛ عليّ .

قلت : فقد رددته عليه يا رسول الله .

ثمّ لم يره .

فأصبح وبكّر[٢] إلى عليّ عليه السلام وقال : أبسط يدك يا أباالحسن أُبايعك ، وأخبره بما قد رأى» .

قال : «فبسط عليّ يده فمسح عليها أبوبكر وبايعه وسلّم إليه وقال له : أخرج إلى مسجد رسول‌الله صلى الله عليه وآله فأُخبرهم بما رأيت من ليلتي وما جرى بيني وبينك ، وأُخرج نفسي من هذا الأمر وأُسلّمه إليك ؟

فقال عليّ عليه السلام : نعم .

فخرج من عنده متغيّراً لونه ، عاتباً نفسه ، فصادفه عمر وهو في طلبه ، فقال له : مالك يا خليفة رسول الله ؟

فأخبره بما كان وما رأى وما جرى بينه وبين علي .

فقال له : أُنشدك بالله يا خليفة رسول الله والإغترار بسحر بني هاشم والثقة بهم ، فليس هذا بأوّل سحر منهم، فما زال به حتّى ردّه عن رأيه وصرفه عن عزمه ورغّبه فيما هو بالثبات عليه والقيام به».

---

(١) طاب عن شيء نفساً : تركه وفارقه .

(٢) بكّر : أتاه بكرة وسبق إليه في أوّل أحواله .

قال: «فأتى عليّ المسجد على الميعاد فلم ير فيه منهم أحداً، فأحسّ بشيء منهم، فقعد إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله».

قال: «فمرّ به عمر، فقال: يا علي دون ما تريد خرط القتاد[1].

فعلم عليه السلام بالأمر ورجع إلى بيته.

احتجاج سلمان الفارسي على عمر بن الخطّاب في جواب كتاب كتبه إليه حين كان عامله على المداين بعد حذيفة بن اليمان[2]

---

(١) القتاد: شجر صلب له شوك كالأبر. وخرط القتاد: هو انتزاع قشره أو شوكه باليد، يقال: «من دون ذلك خرط القتاد» أي إنّه لا ينال إلّا بمشقّة عظيمة.

(٢) أبو عبدالله، حذيفة بن اليمان، واسم اليمان: حسل، أو حُسيل، وإنّما سُمّي باليمان لأنّه أصاب دماً فهرب إلى المدينة فحالف بني عبدالأشهل، فسمّاه قومه اليمان لكونه حالف اليمانيّة.

كان رضي الله عنه من كبار صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله، هاجر إليه، فخيّره النبيّ صلى الله عليه وآله بين الهجرة والنصرة، فاختار النصرة، وكان يقول: خيّرني رسول الله صلى الله عليه وآله بين الهجرة والنّصرة فاخترت النصرة، وشهد مع النّبيّ صلى الله عليه وآله أُحداً وقتل أبوه بها.

وهو صاحب سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله في المنافقين، أعلمه بهم رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد قيل: إنّ عمر بن الخطّاب كان إذا مات ميّت يسأل عن حذيفة، فإن حضر الصلاة عليه صلّى عليه عمر، وإن لم يحضر الصّلاة، لم يحضر عمر.

وفي الصحيحين: إنّ أباالدرداء قال لعلقمة: أليس فيكم صاحب السرّ الّذي لا يعلمه غيره؟ يعني حذيفة.

وروى مسلم عن عبدالله بن يزيد الخطمي عن حذيفة قال: لقد حدّثني رسول الله صلى الله عليه وآله ماكان وما يكون حتّى تقوم السّاعة.

وسُئل يوماً: أيّ الفتن أشدّ؟

قال: أن يعرض عليك الخير والشرّ لا تدري أيّهما تركب.

وقال أبو إدريس الخولاني: سمعت حذيفة يقول: كان النّاس يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله عن الخير وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني.

وعداده في الأنصار وهو أحد الأركان الأربعة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وممّن صلّى على سيّدة النّساء فاطمة، وحضر تشييعها.

روي عن زرارة عن أبي جعفر عن أبيه عن جدّه عن عليّ عليه السلام قال: «ضاقت الأرض بسبعة؛ بهم تُرزقون، وبهم تُنصرون، وبهم تُمطرونم، منهم سلمان الفارسي، والمقداد، وأبوذر، وعمّار، وحذيفة رحمهم الله تعالى.

وكان عليّ عليه السلام يقول: وأنا إمامهم.

استعمله عمر على المدائن، فلم يزل بها حتّى مات بعد مقتل عثمان وبيعة أمير المؤمنين عليه السلام بأربعين يوماً سنة ٣٦.

[راجع: رجال الشيخ الطوسي ١٦، جامع الرواة ١٨٢/١، رجال الكشي ٢٧، أُسد الغابة ٢٩٨/١، الإصابة ٣١٦/١، صفة الصفوة ٢٤٩/١، تهذيب التهذيب ٢١٩/٢]

من سلمان مولى رسول الله ﷺ إلى عمر بن الخطّاب .

أمّا بعد ؛ فإنّه أتاني منك كتاب يا عمر ، تؤنّبني[١] وتعيّرني وتذكر فيه : إنّك بعثتني أميراً على أهل المدائن ، وأمرتني أن أقصّ إثر حذيفة[٢] ، وأستقصي أيّام أعماله وسيره ، ثمّ أُعلمك قبيحها ، وقد نهاني الله عن ذلك يا عمر في محكم كتابه حيث قال : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُوا ٱللهَ إِنَّ ٱللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾[٣] وماكنت لأعصي الله في أثر حذيفة وأُطيعك .

وأمّا ما ذكرت أنّي أقبلت على سف الخوص[٤] وأكل الشعير ، فما هما ممّا يُعيَّر به مؤمن ويؤنَّب به ، وأيم الله يا عمر لأكل الشّعير وسف الخوص والإستغناء به عن رفيع المطعم والمشرب ، وعن غصب مؤمن حقّه وادّعاء ما ليس له بحق أفضل وأحبّ إلى الله ﷻ وأقرب للتّقوى ، ولقد رأيت رسول الله ﷺ إذا أصاب الشعير أكل وفرح به ولم يسخطه .

وأمّا ما ذكرت مِن إعطائي فإنّي قدّمته ليوم فاقتي وحاجتي ، وربّ العزّة يا عمر ما أُبالي إذا جاز طعامي لهواتي ، وانساغ[٥] في حلقي ، لباب البرّ ومخّ المعزة كان أوخشارة الشعير[٦] .

وأمّا قولك أنّي ضعفت سلطان الله ووهنته ، وأذللت نفسي وإمتهنتها[٧] حتّى جهل أهل المدائن إمارتي ، واتّخذوني جسراً يمشون فوقي ، ويحملون عَلَيّ ثقل حمولتهم[٨] وزعمت أنّ ذلك ممّا يوهن سلطان الله ويذلّه ، فاعلم : إنّ التذلّل في طاعة الله أحبّ إليّ من التعزّز في معصيته ، وقد علمت أنّ رسول الله ﷺ يتألّف النّاس[٩] ويتقرّب منهم ويتقرّبون منه في نبوّته وسلطانه ، حتّى

---

(١) أنّبه : عنّفه ولامه .

(٢) قصّ إثره : تتبّعه شيئاً فشيئاً .

(٣) الحجرات ١٢ .

(٤) سف الخوص : نسجه .

(٥) انساغ : مرّ في حلقه .

(٦) الخشارة : ما لا لُبّ له من الشعير .

(٧) أي وضعتها موضع الإهانة .

(٨) كلّ ما له قدر ووزن فهو ثقل ، والحمولة ـ بالفتح ـ : الإبل الّتي تطيق أن يحمل عليها .

(٩) التألّف : المدارات والإستيناس .

كأنّه بعضهم في الدنوّ منهم ، وقد كان يأكل الجشب[١] ويلبس الخشن ، وكان النّاس عنده ؛ قرشيّهم ، وعربيّهم ، وأبيضهم ، وأسودهم ، سواء في الدّين ، وأشهد أنّي سمعته يقول : «من ولّى سبعة من المسلمين بعدي ثمّ لم يعدل فيهم لقى الله وهو عليه غضبان» فليتني يا عمر أسلم من عمارة المدائن[٢] مع ما ذكرت أنّي أذللت نفسي وامتهنتها ، فكيف يا عمر حال من ولي الأمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ وإنّي سمعت الله يقول : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي ٱلأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٣] .

إعلم أنّي لم أتوجّه أسوسهم وأقيم حدود الله فيهم إلّا بإرشاد دليل عالم ، فنهجت فيهم بنهجه ، وسرت فيهم بسيرته[٤] .

واعلم أنّ الله تبارك وتعالى لو أراد بهذه الأُمّة خيراً أو أراد بهم رشداً لولّى عليهم أعلمهم وأفضلهم ، ولو كانت هذه الأُمّة من الله خائفين ، ولقول نبيّ الله متّبعين ، وبالحقّ عاملين ، ما سمّوك أميرالمؤمنين ، فاقض ما أنت قاض ، إنّما تقضي هذه الحياة الدّنيا ، ولا تغترّ بطول عفو الله عنك وتمديده بذلك من تعجيل عقوبته .

واعلم أنّك سيدركك عواقب ظلمك في دنياك وآخرتك ، وسوف تُسئَل عمّا قدّمت وأخّرت ، والحمد لله وحده .

احتجاج أميرالمؤمنين عليه السلام على القوم لمّا مات عمر بن الخطّاب وقد جعل الخلافة شورى بينهم[٥]

---

(١) الجشب ـ بفتح الجيم وسكون الشين ـ: الغليظ الخشن .

(٢) العمارة ـ بالفتح ـ الحيّ العظيم . والمدائن هي مدينة كسرى ، وقيل : هي عدّة مدن متقاربة ، تقع على سبع فراسخ من بغداد ، وهي دار مملكة الفرس ، وأوّل من نزلها أنو شيروان ، وبها إيوانه ، ولم تزل آثاره باقية حتّى يومنا هذا ، وبها قبرا سلمان وحذيفة ، وهما مشيّدان ويعرف المكان باسم : «سلمان باك» .

(٣) القصص ٨٣.

(٤) يريد عليّاً عليه السلام .

(٥) في ج ٢ من شرح النهج لابن أبي الحديد ص ٦١ قال : ونحن نذكر في هذا الموضع ما استفاض في الروايات من مناشدته أصحاب الشورى وتعديده فضائله وخصائصه الّتي بان بها منهم ومن غيرهم ، قد روى النّاس ذلك فأكثروا ... ـ إلى أن قال : ـ في كلام قد ذكره أهل السيرة وقد أوردنا بعضه فيما تقدّم ، ثمّ قال لهم :

«أنشدكم الله أفيكم أحد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين نفسه حيث آخى بين بعض المسلمين وبعض غيري»؟

فقالوا: لا.

فقال: «أفيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فهذا مولاه غيري»؟

فقالوا: لا.

قال: «أفيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»؟

قالوا: لا.

قال: «أفيكم من اؤتمن على سورة براءة وقال له رسول الله ﷺ: إنّه لا يؤدّي عنّي إلّا أنا أو رجل منّي غيري»؟

قالوا: لا.

قال: «ألا تعلمون أنّ أصحاب رسول الله ﷺ فرّوا عنه في مأقط الحرب في غير موطن وما فررت قط»؟

قالوا: بلى.

قال: «ألا تعلمون أنّي أوّل النّاس إسلاماً»؟

قالوا: بلى.

قال: «فأيّنا أقرب إلى رسول الله نسباً»؟

قالوا: أنت.

فقطع عليه عبدالرّحمن بن عوف .. الخ.

وفي الصواعق المحرقة ص٢٤: وأخرج الدارقطني: إنّ عليّاً قال للستّة الّذين جعل عمر الأمر شورى بينهم كلاماً طويلاً من جملته: «أنشدكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: يا علي أنت قسيم الجنّة والنّار يوم القيامة غيري»؟

قالوا: اللّهمّ لا.

وفي ج٢ من لسان الميزان ص١٥٦ ـ ١٥٧ عن ابن أبي الطفيل قال: كنت على الباب يوم الشورى، فارتفعت الأصوات، فسمعت عليّاً يقول: «بايع النّاس لأبي بكر وأنا والله أولى بالأمر منه وأحقّ به، فسمعت وأطعت، مخافة أن يرجع النّاس كفّاراً يضرب بعضهم رقاب بعض، ثمّ بايع النّاس عمر وأنا والله أولى بالأمر منه، فسمعت وأطعت، مخافة أن يضرب بعضهم رقاب بعض، ثمّ أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان ... ـ إلى أن قال: ـ وأيم الله لو أشا أن أتكلّم فثمّ لا يستطيع عربيّه ولا عجميّهم ردّه: نشدتكم بالله، أفيكم من آخى رسول الله ﷺ غيري»؟

قالوا: لا.

قال: «نشدتكم بالله، أفيكم أحد مثل عمّي حمزة»؟

قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «نشدتكم بالله أفيكم أحدٌ له أخ مثل أخي جعفر ذي الجناحين يطير بهما في الجنّة»؟

قالوا: لا.

قال: «أفيكم أحد له مثل سبطي الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة»؟
قالوا: لا.
قال: «أفيكم أحدٌ له زوجة مثل زوجتي»؟
قالوا: لا.
قال: «أفيكم أحد كان أقتل لمشركي قريش عند كلّ شديدة تنزل برسول الله صلى الله عليه وآله منّي»؟
قالوا: لا.
وفي مناقب الخوارزمي ص٢١٧: أخبرني الشيخ الإمام شهاب الدين أفضل الحفّاظ أبو النجيب سعد بن عبدالله بن الحسن الهمداني المعروف بالمروزي فيما كتب إليّ من همدان، أخبرني الحافظ أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسن فيما أذن لي في الرواية عنه، أخبرني الشيخ الأديب أبو يعلى عبدالرزّاق بن عمر بن إبراهيم الطهراني سنة ٤٧٣، أخبرني الإمام الحافظ طراز المحدّثين أبوبكر أحمد بن موسى بن مردويه الإصبهاني.
وقال الشيخ الإمام شهاب الدين أبو نجيب سعد بن عبدالله الهمداني: وأخبرني بهذا الحديث عالياً الإمام الحافظ سليمان بن إبراهيم الإصبهاني في كتابه إليّ من إصبهان سنة ٤٨٨ عن أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه، حدّثني سليمان بن محمّد بن أحمد، حدّثني يعلى بن سعد الرازي، حدّثني محمّد بن حميد، حدّثني زافر بن سليمان بن الحرث بن محمّد، عن أبي الطفيل عامر بن وائلة قال: كنت على الباب يوم الشورى مع علي وسمعته يقول: «لأحتجنّ بما لا يستطيع عربيّكم ولا عجميّكم تغيير ذلك. ثمّ قال:
أنشدكم الله أيّها النفر جميعاً أفيكم أحدٌ وحّد الله قبلي»؟
قالوا: لا.
قال: «فأُنشدكم الله هل منكم أحدٌ له مثل جعفر الطيّار في الجنّة مع الملائكة»؟
قالوا: اللّهمّ لا.
قال: «أُنشدكم الله هل فيكم أحد له عمٌّ كعمّي حمزة؛ أسد الله وأسد رسوله سيّدالشهداء غيري»؟
قالوا: اللّهمّ لا.
قال: «أُنشدكم الله هل فيكم أحدٌ له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت محمّد سيّدة نساء أهل الجنّة غيري»؟
قالوا: اللّهمّ لا.
قال: أُنشدكم بالله هل فيكم أحد له سبطان مثل سبطي الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة غيري»؟
قالوا: اللّهمّ لا.
قال: فأُنشدكم بالله هل فيكم أحد ناجى رسول الله صلى الله عليه وآله مرّات؛ قدّم بين يدي نجواه صدقة قبلي»؟
قالوا: اللّهمّ لا.
قال: «فأُنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره، ليبلّغ الشاهد الغائب»، غيري»؟
قالوا: اللّهمّ لا.

قال : «فأنشدكم الله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : «اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك وإليّ وأشدّهم لك حبّاً ولي حبّاً يأكل معي من هذا الطّير» فأتاه وأكل معه غيري» ؟

قالوا : اللّهمّ لا .

قال : «فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : «لأعطينّ الرّاية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله ، لا يرجع حتّى يفتح الله على يده» إذ رجع غيري منهزماً غيري» ؟

قالوا : اللّهمّ لا .

قال : «فأنشدكم الله هل فيكم أحد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله لوفد بني ربيعة : «لتؤمننّ أو لأبعثنّ إليكم رجلاً نفسه كنفسي ، وطاعته كطاعتي ، ومعصيته كمعصيتي ، يقتلكم بالسّيف» غيري» ؟

قالوا : اللّهمّ لا .

قال : «فأنشدكم الله هل فيكم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «كذب من زعم أنّه يحبّني ويبغض هذا» غيري» ؟

قالوا : اللّهمّ لا .

قال : «فأنشدكم بالله هل فيكم أحد سلّم عليه في ساعة واحدة ثلاثة آلاف ملك من الملائكة منهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل حيث جئت بالماء إلى رسول الله من القليب غيري» ؟

قالوا : اللّهمّ لا .

قال : «فأنشدكم الله هل فيكم أحد قال له جبرئيل : هذه هي المواساة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : «إنّه منّي وأنا منه» وقال جبرئيل : وأنا منكما ، غيري» ؟

قالوا : اللّهمّ لا .

قال : «فأنشدكم الله هل فيكم أحد نودي من السّماء «لا سيف إلّا ذوالفقار ولا فتى إلّا علي» غيري» ؟

قالوا : اللّهمّ لا .

قال : «فأنشدكم الله هل فيكم أحد يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين على لسان النّبيّ صلى الله عليه وآله غيري» ؟

قالوا : اللّهمّ لا .

قال : «فأنشدكم الله هل فيكم أحدٌ قال له رسول الله صلى الله عليه وآله «قاتلت على تنزيل القرآن وتقاتل على تأويل القرآن» غيري» ؟

قالوا : اللّهمّ لا .

قال : «فأنشدكم الله هل فيكم أحد رُدّت عليه الشّمس حتّى صلّى العصر في وقتها غيري» ؟

قالوا : اللّهمّ لا .

قال : «فأنشدكم بالله هل فيكم أحد أمره رسول الله أن يأخذ براءة من أبي بكر ، فقال أبوبكر : يا رسول الله نزل فيّ شيء ؟ فقال : «إنّه لا يؤدّي عنّي إلّا علي» غيري» ؟

قالوا : اللّهمّ لا .

قال : «فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : «لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا كافر» غيري» ؟

روى **عمر بن شمر** عن جابر الجعفي عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه وعلى آبائه السّلام قال: «إنّ عمر بن الخطّاب لمّا حضرته الوفاة وأجمع على الشورى، بعث إلى ستّة نفر من قريش: إلى عليّ بن أبي طاب، وإلى عثمان بن عفّان، وإلى زبير بن العوام، وإلى طلحة بن عبيدالله، وعبدالرّحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقّاص، وأمرهم أن يدخلوا إلى بيت ولا يخرجوا منه حتّى

قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم بالله أتعلمون أنّه أمر بسدّ ابوابكم وفتح بابي، فقلتم في ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما سددت أبوابكم ولا فتحت بابه بل الله سدّ أبوابكم وفتح بابه» غيري»؟

قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: «فأنشدكم بالله أتعلمون أنّه ناجاني يوم الطائف دون النّاس فأطال ذلك فقلتم: ناجاه دوننا، فقال: «ما أنا انتجيته بل الله انتجاه» غيري»؟

قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: «فأنشدكم الله أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الحقّ مع عليّ وعليّ مع الحقّة يدور الحقّ مع عليّ كيف دار»؟

قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: «فأنشدكم بالله أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن تضلّوا ما إن تمسّكتم بهما، ولن يتفرّقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض»؟

قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: «فأنشدكم الله هل فيكم أحد وقى رسول الله من المشركين بنفسه واضطجع في مضجعه غيري»؟

قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم الله هل فيكم أحد بارز عمرو بن عبد ود العامري حيث دعاكم إلى البراز غيري»؟

قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم بالله هل فيكم أحد أنزل الله فيه آية التطهير حيث قال: ﴿**إنّما يُريدُ**﴾ الخ غيري»؟

قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم الله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنت سيّد العرب» غيري»؟

قالوا: اللّهمّ لا.

قال: «فأنشدكم الله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما سألت الله شيئاً إلّا سألت لك» غيري»؟

قالوا: اللّهمّ لا.

وارتفعت الأصوات بينهم، فسمعت عليّاً عليه السلام يقول: «بايع النّاس أبابكر وأنا والله أولى بالأمر وأحقّ منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع النّاس كفّاراً؛ يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثمّ بايع أبوبكر لعمر وأنا والله أحقّ بالأمر منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع النّاس كفّاراً، ثمّ أنتم تريدون أن تبايعوا لعثمان» الخ.

يبايعوا لأحدهم ، فإن اجتمع أربعة على واحد وأبى واحد أن يبايعهم قُتِل ، وإن امتنع اثنان وبايع ثلاثة قُتلا ، فأجمع رأيهم على عثمان .

فلمّا رأى أميرالمؤمنين عليه السلام ما همّ القوم به من البيعة لعثمان ، قام فيهم ليتّخذ عليهم الحجّة ، فقال عليه السلام لهم : إسمعوا منّي كلامي ؛ فإن يك ما أقول حقّاً فاقبلوا ، وإن يك باطلاً فانكروا .

ثمّ قال : أُنشدكم بالله الّذي يعلم صدقكم إن صدقتم ويعلم كذبكم إن كذبتم ، هل فيكم أحد صلّى القبلتين كلتيهما[1] غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم من بايع البيعتين كلتيهما ؛ الفتح وبيعة الرّضوان غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد أخوه المزيّن بالجناحين في الجنّة غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد عمّه سيّدالشهداء غيري[2] ؟

---

(١) القبلة الأُولى هي بيت المقدس وكانت قبلة المسلمين حتّى بعد الهجرة بـ«١٦» أو «١٧» شهراً، فلمّا نزل قوله تعالى : ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا...﴾ الخ توجّه النبيّ إلى القبلة الثانية «شطر المسجد الحرام» وهي قبلة إبراهيم عليه السلام .

(٢) هو حمزة بن عبدالمطّلب بن هاشم بن عبد مناف ، أُمّه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرّة ، وهي أبنة عمّ آمنة بنت وهب أُمّ النبيّ صلى الله عليه وآله رضيع رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ أرضعتهما ثويبة امرأة أبي لهب .

وكان أسنّ من رسول الله صلى الله عليه وآله بسنتين ، كنيته أبو عمارة ، وقيل : أبو يعلى .

آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينه وبين زيد بن حارثة .

أسلم في السنة الثانية من المبعث . قال محمّد بن كعب القرظي : قال أبوجهل في رسول الله فبلغ ذلك حمزة فدخل المسجد مغضباً، فضرب رأس أبي جهل بالقوس ضربة أوضحته وأسلم حمزة فعزّ به رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون .

وهاجر إلى المدينة ، وأوّل لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وآله حين قدم المدينة لحمزة ، وشهد بدراً وأبلى فيه بلاءاً عظيماً مشهوراً، وشهد أُحداً وقُتِل بها ، ومثّل به المشركون ، وبقرت هند بطن حمزة سلام الله عليه فأخرجت كبده ، فجعلت تلوكها ، فلمّا شهده النبيّ صلى الله عليه وآله اشتدّ وجده عليه ، وروي أنّه صلى الله عليه وآله وقف عليه وقد مُثّل به ، فلم ير منظراً كان أوجع لقلبه منه ، فقال : «رحمك الله أي عم فلقد كنت وصولاً للرّحم ، فعولاً للخيرات» .

وروي عن جابر قال : لمّا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله حمزة قتيلاً بكى ، فلمّا رأى ما مُثّل به شهق .

ولمّا عاد صلى الله عليه وآله إلى المدينة سمع النّوح على قتلى الأنصار ، قال : «لكن حمزة لا بواكي له» ؛ فسمع الأنصار فأمروا

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد زوجته سيّدة نساء العالمين غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد إبناه إبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وهما سيّدا شباب أهل الجنّة غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد عرف النّاسخ من المنسوخ[1] غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد أذهب الله عنه الرّجس وطهّره تطهيراً غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد عاين جبرئيل في مثال دحية الكلبي غيري[2] ؟

نساءهم أن يندبن حمزة قبل قتلاهم ؛ ففعلن ذلك .

قال الواقدي : فلم يزلن يبدأن بالنّدب لحمزة .

وقال صلى الله عليه وآله : «كلّ نادبة كاذبة إلّا نادبة حمزة» .

وقال : «سيّدالشهداء حمزة بن عبدالمطّلب» .

وقال : «والّذي نفسي بيده إنّه لمكتوب عند الله سبحانه وتعالى في السّماء السابعة : حمزة بن عبدالمطّلب ؛ أسد الله وأسد رسوله» .

وكان مقتله للنّصف من شوّال من سنة ثلاث ، وكان عمره سبعاً وخمسين سنة .

وصلّى النّبيّ على حمزة ثمّ لم يؤت بقتيل إلّا وصلّى عليه معه حتّى صلّى عليه ٧٢ صلاة .

(١) أخرج ابن سعد وغيره عن أبي الطّفيل قال : قال عليّ : «سلوني عن كتاب الله فإنّه ليس من آية إلّا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار ، أم في سهل أم جبل» .

وأخرج ابن سعد أيضاً عن ابن عبّاس عنه عليه السلام قال : «والله ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيم نزلت ، وأين نزلت ، وعلى من نزلت ، إنّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً» . [الصواعق المحرقة ١٢٥ ـ ١٢٦]

(٢) في بحار الأنوار ج ٩ ص ٥٤٩ عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال : «دخل عليّ عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه وقد أغمي عليه ، ورأسه في حجر جبرئيل ، وجبرئيل في صورة دحية الكلبي ، فلمّا دخل عليّ عليه السلام قال جبرئيل : دونك رأس ابن عمّك فأنت أحقّ به منّي ، لأنّ الله يقول في كتابه : ﴿ **وأُولوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ الله** ﴾ فجلس عليّ عليه السلام وأخذ رأس رسول الله صلى الله عليه وآله فوضعه في حجره ، فلم يزل رأس رسول الله في حجره حتّى غابت الشّمس ، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أفاق ، فرفع رأسه فنظر إلى عليّ عليه السلام فقال : يا علي أين جبرئيل ؟

فقال : يا رسول الله ما رأيت إلّا دحية الكلبي ، دفع إليّ رأسك .

قال : يا علي دونك رأس ابن عمّك فأنت أحقّ به منّي ... الخ .



قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد ناول رسول الله ﷺ قبضة من التراب فرمى بها في وجوه الكفّار فانهزموا غيري ؟

➲ السيّئات : عتبة ، وشيبة ، والوليد بن المغيرة ، والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات : عليّ عليه السلام .

خامساً: قوله تعالى : ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمٰنُ وُدّاً**﴾ [مريم ٩٦]

في تذكرة الخواص ص ١٠ : قال ابن عبّاس : هذا الود جعله الله لعليّ في قلوب المؤمنين .

وقد روى أبو إسحاق الثعلبي هذا المعنى مسنداً في تفسيره إلى البراء بن عازب قال : قال رسول الله ﷺ لعلي : «قل اللّهمّ اجعل لي عندك عهداً واجعل لي في صدور المؤمنين مودّة» ؛ فأنزل الله هذه الآية .

سادساً: قوله تعالى : ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ**﴾ [البيّنة ٧]

ذكر ابن حجر في الصواعق ص١٩٥ : عن ابن عبّاس : إنّ هذه الآية لمّا نزلت ، قال ﷺ لعليّ : «هو أنت وشيعتك ؛ تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين ، ويأتي عدوّك غضاباً مقمحين» .

قال : «ومن عدوّي» ؟

قال : «من تبرّأ منك ولعنك» .

سابعاً: قوله تعالى : ﴿**وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ**﴾ [سورة والعصر]

في تفسير الدرّ المنثور ج٦ ص٣٩٢ : أخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس في قوله : ﴿**وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾ يعني أباجهل بن هشام ﴿**إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ**﴾ ذكر : عليّاً وسلمان .

ثامناً: قوله تعالى : ﴿**مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ [الأحزاب ٢٣]

في الصواعق ص١٣٢ : وسُئل وهو على المنبر بالكوفة عن قوله تعالى : ﴿**رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ فقال : «اللّهمّ غفراً ، هذه الآية نزلت فيّ ، وفي عمّي حمزة ، وفي عمّي عبيدة بن الحرث بن عبدالمطّلب ؛ فأمّا عبيدة فقضى نحبه شهيداً يوم بدر ، وحمزة قضى نحبه شهيداً يوم أُحد ، وأمّا أنا فأنتظر أشقاها يخضب هذه من هذه ـ وأشار بيده إلى لحيته ورأسه ـ عهدٌ عَهِد إليّ حبيبي أبو القاسم ﷺ» .

تاسعاً: قوله تعالى : ﴿**هُوَ ٱلَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأنفال ٦٢]

في ينابيع المودّة ص٩٤ : أبو نعيم الحافظ بسنده عن أبي هريرة ، أيضاً عن أبي صالح عن ابن عبّاس ، أيضاً عن جعفر الصّادق عليه السلام في قوله تعالى : ﴿**هُوَ ٱلَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾ قالوا : نزلت في عليّ ، وأنّ رسول الله ﷺ قال : «رأيت مكتوباً على العرش : لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، محمّد عبدي ورسولي ، أيّدته ونصرته بعليّ بن أبي طالب» .

عاشراً: قوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ [المائدة ٥٥]

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد وقفت الملائكة معه يوم أُحد حتّى ذهب النّاس غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قضى دين رسول الله صلى الله عليه وآله غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد غسّل رسول الله وكفّنه ولحّده غيري ؟

قالوا : لا .

قال :نشدتكم بالله هل فيكم أحد ورث سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله ورايته وخاتمه غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد جعل رسول الله صلى الله عليه وآله طلاق نسائه بيده غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد حمله رسول الله صلى الله عليه وآله على ظهره حتّى كسّر الأصنام على باب الكعبة غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد نودي باسمه من السماء يوم بدر «لا سيف إلّا ذوالفقار ولا فتى إلّا علي» غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله «أنت صاحب رايتي في الدّنيا وصاحب لوائي في الآخرة» غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قدّم بين يدي نجواه صدقة غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد خصف نعل رسول الله صلى الله عليه وآله غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله «أنا أخوك وأنت أخي» غيري ؟

بالله وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد علّمه رسول الله ﷺ ألف كلمة ؛كلّ كلمة مفتاح ألف كلمة(١) غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد ناجاه رسول الله يوم الطائف ، فقال أبوبكر وعمر : يا رسول الله ناجيت علياً دوننا ، فقال لهما النبيّ ﷺ : «ما أنا ناجيته بل الله أمرني بذلك»(٢) غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد سقاه رسول الله ﷺ من المهراس غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : «أنت أقرب الخلق منّي يوم القيامة يدخل بشفاعتك الجنّة أكثر من عدد ربيعة ومضر» غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : «يا علي أنت تُكسىٰ حين أُكْسى»(٣) غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : «أنت وشيعتك الفائزون يوم القيامة» غيري ؟

قالوا : لا .

---

(١) ينابيع المودّة ص٧٦: وفي المناقب عن الأصبغ بن نباتة قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام فأتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إنّي اُحبّك في الله.
قال: «إنّ رسول الله ﷺ حدّثني ألف حديث؛ وكلّ حديث مفتاح ألف باب ...» الخ.

(٢) الرياض النضرة ج٢ ص٢٦٥ عن جابر قال: دعا النبيّ ﷺ علياً يوم الطائف فانتجاه، فقال النّاس: لقد طال نجواه مع ابن عمّه، فقال ﷺ: «ما انتجيته ولكن الله انتجاه». أخرجه الترمذي.

(٣) الرياض النضرة ج٢ ص٢٦٧: وأخرج المخلص الذهبي عن أبي سعيد أنّ النبيّ ﷺ كسى نفراً من أصحابه ولم يكس علياً، فكأنّه رأى في وجه عليّ، فقال: «يا علي أما ترضى أنّك تُكسىٰ إذا كُسيت وتُعطى إذا أعطيت».

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : «كذب من زعم أنّه يحبّني ويبغض هذا» غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : «من أحبّ شطراتي هذه فقد أحبّني ، ومن أحبّني فقد أحبّ الله» فقيل له : وما شطراتك ، قال : «علي ، والحسن والحسين ، وفاطمة» غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : «أنت خير البشر بعد النبيّين»[1] غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : «أنت الفاروق ؛ تفرّق بين الحقّ والباطل»[2] غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله : «أنت أفضل الخلايق عملاً يوم القيامة بعد النبيّين» غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله كساه عليه وعلى زوجته وعلى ابنيه ثمّ قال : «اللّهمّ أنا وأهل بيتي إليك لا إلى النّار» غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد كان يبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله الطعام وهو في الغار ، ويخبره بالأخبار غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : «أنت أخي ووزيري وصاحبي من أهلي» غيري ؟

---

(١) كنز العمّال ج٦ ص١٥٩ عن جابر : عليٌّ خير البشر ، من أبى فقد كفر .

(٢) في ذخائر العقبى : عن أبي ذر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ : «أنت الصدّيق الأكبر ، وأنت الفاروق الّذي يفرّق بين الحقّ والباطل ، وأنت يعسوب الدّين» .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد صلّى قبل النّاس بسبع سنين وأشهر[١] غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : «أنا يوم القيامة آخذ بحجزة ربّي ، والحجزة النّور ، وأنت آخذ بحجزتي وأهل بيتي آخذ بحجزتك» غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : «أنت كنفسي ، وحبّك حبّي ، وبغضك بغضي»[٢] غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : «ولايتك كولايتي ، عهد عهده إليّ ربي وأمرني أن أُبلّغكموه» غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : «اللّهمّ اجعله لي عوناً وعضداً وناصراً» غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : «المال يعسوب الظلمة وأنت يعسوب المؤمنين»[٣] غيري ؟

قالوا : لا .

---

(١) الرياض النضرة ج٢ ص٢٠٩ عن رافع قال : صلّى النّبي ﷺ يوم الإثنين ، وصلّت خديجة آخر يوم الإثنين ، وصلّى يوم الثلاثاء من الغد قبل أن يصلّي مع رسول الله ﷺ أحد سبع سنين وأشهر .

وعنه قال : «صلّيت قبل أن تصلّي النّاس بسبع سنين» .

وعنه :أنّه كان يقول : «أنا عبدالله وأخو رسول الله ﷺ ، وأنا الصدّيق الأكبر ، ولقد صلّيت قبل النّاس بسبع سنين» . خرّجهنّ الخلعي .

(٢) الإستيعاب ج٢ ص٤٦٤ عن المطلّب بن عبدالله بن حنطب قال : قال رسول الله ﷺ لوفد ثقيف حين جاءه : «لتسلمنّ أو لأبعثنّ رجلاً منّي ـ أو قال : مثل نفسي ـ فليضربنّ أعناقكم ، وليسبينّ ذراريكم ، وليأخذنّ أموالكم» .

قال عمر : فوالله ما تمنّيت الإمارة إلّا يومئذ ، وجعلت أنصب صدري له رجاء أن يقول : هو هذا .

قال : فالتفت إلى عليّ فأخذ بيده ثمّ قال : «هو هذا» .

(٣) كنز العمّال ج٢ ص١٥٣ الحديث ٢٥٣٦ : «علي يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب المنافقين» .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : «لأبعثنّ إليكم رجلاً امتحن الله قلبه للإيمان» غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد أطعمه رسول الله صلى الله عليه وآله رمّانة وقال : «هذه من رمّان الجنّة ؛ لا ينبغي أن يأكل منها إلّا نبيّ أو وصيّ نبيّ» غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : «ما سألت ربّي شيئاً إلّا أعطانيه ولم أسأل ربّي شيئاً إلّا سألت لك مثله»(١) غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : «أنت أقومهم بأمر الله ، وأوفاهم بعهد الله ، وأعلمهم بالقضيّة ، وأقسمهم بالسويّة ، وأعظمهم عند الله مزيّة» غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : «فضلك على هذه الأُمّة كفضل الشمس على القمر ، وكفضل القمر على النجوم» غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : «يُدخل الله وليّك الجنّة وعدوّك النّار» غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : «النّاس من أشجار شتّى ، وأنا وأنت من شجرة واحدة»(٢) غيري ؟

قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : «أنا سيّد ولد آدم وأنت سيّد العرب

---

(١) كنز العمّال ج٦ ص١٥٩ الحديث ٢٦٦٧ : «قم يا علي فقد برئت ، ما سألت الله شيئاً إلّا سألت لك مثله ، إلّا أنّه قيل لي : لا نبوّة بعدك» .

(٢) كنز العمّال ج٦ ص١٥٤ الحديث ٢٥٦١ عن جابر : «أنا وعلي من شجرة واحدة ، والنّاس من أشجار شتّى» . والحديث ٢٥٦٢ عنه : «يا علي النّاس من شجر شتّى ، وأنا وأنت من شجرة واحدة» .

قالوا : لا .

قال : فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : «ترد عَلَيّ الحوض أنت وشيعتك روّاء مرويّين مبيضّة وجوههم ، ويرد عَلَيّ عدوّك مظمئين مقتحمين[١] مسودّة وجوههم» غيري ؟

قالوا : لا .

قال لهم أميرالمؤمنين عليه السلام : أمّا إذا أقررتم على أنفسكم ، واستبان لكم ذلك من قول نبيّكم ، فعليكم بتقوى الله وحده لا شريك له ، وأنهاكم عن سخطه ، ولا تعصوا أمره ، وردّوا الحقّ إلى أهله ، واتّبعوا سنّة نبيّكم ، فإنّكم إن خالفتم خالفتم الله ؛ فادفعوها إلى من هو أهله وهي له» .

قال : «فتغامزوا فيما بينهم ، وتشاوروا ، وقالوا : قد عرفنا فضله ، وعلمنا أنّه أحقّ النّاس بها ، ولكنّه رجل لا يفضّل أحداً على أحد ، فإن ولّيتموها إيّاه جعلكم وجميع النّاس فيها شرعاً سواء ، ولكن ولّوها عثمان فإنّه يهوى الّذي تهوون ؛ فدفعوها إليه» .

احتجاجه عليه السلام على جماعة كثيرة من المهاجرين والأنصار لمّا تذاكروا فضلهم بما قال رسول الله ﷺ من النصّ عليه وغيره من القول الجميل[٢]

روي عن سليم بن قيس الهلالي أنّه قال : رأيت عليّاً عليه السلام في مسجد رسول الله ﷺ ، في خلافة عثمان ، وجماعة يتحدّثون ويتذاكرون العلم ، فذكروا قريشاً وفضلها وسوابقها وهجرتها ، وما قال فيها رسول الله ﷺ من الفضل ، مثل قوله :

«الأئمّة من قريش» ؛

وقوله : «النّاس تبع لقريش ، وقريش أئمّة العرب» ؛

وقوله : «لا تسبقوا[٣] قريشاً» ؛

---

(١) راجع هامش ص في تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ وفي بعض النسخ «ظماء مقحمين» .

(٢) قال الأميني في ج١ ص١٦٣ من الغدير : روى شيخ الإسلام أبو إسحاق إبراهيم بن سعدالدين ابن حمويه بإسناده في فرائد السمطين في السمط الأوّل في الباب الثامن والخمسين ، عن التابعي الكبير سليم بن قيس الهلالي قال : رأيت عليّاً وساق الرواية ... ثمّ قال : هذا لفظ الحمويني ، وفي كتاب سليم بن قيس نفسه باختلاف يسير وزيادات .

(٣) وفي نسخة «لا تسبّوا» .

وقوله : «إنّ للقريشي مثل قوّة رجلين من غيرهم» ؛

وقوله : «من أبغض قريشاً أبغضه الله» ؛

وقوله : «من أراد هوان قريش أهانه الله» .

وذكروا الأنصار وفضلها وسوابقها ونصرتها ، وما أثنى الله عليهم في كتابه ، وما قال فيهم رسول‌الله من الفضل مثل قوله :

«الأنصار كُرشي وعيبتي» ؛

ومثل قوله : «من أحبّ الأنصار أحبّه الله ، ومن أبغض الأنصار أبغضه الله» ؛

ومثل قوله صلى الله عليه وآله : «لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله وبرسوله» ؛

وقوله : «لو سلك النّاس شعباً لسلكت شعب الأنصار» .

وذكروا ما قال في سعد بن معاذ في جنازته ، وأنّ العرش اهتزّ لموته ؛

وقوله صلى الله عليه وآله لمّا جيء إليه بمناديل من اليمن فأعجب النّاس بها ، فقال : «لمناديل سعد في الجنّة أحسن منها» ؛

والّذي غسّلته الملائكة ؛

والّذي حمته الدبر .

فلم يدعوا شيئاً من فضلهم ، حتّى قال كلّ حيّ منها : «منّا فلان وفلان» .

وقالت قريش : «منّا رسول الله ، ومنّا حمزة ، ومنّا جعفر ، ومنّا عبيدة بن الحارث ، وزيد بن حارثة ، ومنّا أبوبكر ، وعمر ، وسعد ، وأبو عبيدة ، وسالم ، وابن عوف» فلم يدعو من الحيين أحداً من أهل السابقة إلّا سمّوه .

وفي الحلقة أكثر من مائتي رجل ، فيهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وسعد بن أبي وقّاص ، وعبدالرّحمن بن عوف ، وطلحة ، والزّبير ، وعمّار ، والمقداد ، وأبوذر ، وهاشم بن عتبة ، وابن عمر ، والحسن والحسين عليهما السلام ، وابن عبّاس ، ومحمّد بن أبي بكر ، وعبدالله بن جعفر .

ومن الأنصار اُبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو أيّوب الأنصاري ، وأبو هيثم بن التيهان ، ومحمّد بن سلمة ، وقيس بن سعد بن عبادة ، وجابر بن عبدالله ، وأنس بن مالك ، وزيد بن أرقم ، وعبدالله بن أبي أوفى ، وأبو ليلى ومعه ابنه ، وعبدالرّحمن قاعد بجنبه غلام أمرد الوجه مديد القامة ، فجاء أبوالحسن البصري ومعه ابنه الحسن غلام أمرد صبيح الوجه معتدل القامة .

قال : فجعلت أنظر إليه وإلى عبدالرّحمن بن أبي ليلى فلا أدري أيّهما أجمل ، غير أنّ الحسن أعظمهما وأطولهما .

وأكثر القوم في الحديث ، وذلك من بكرة إلى حين الزوال ، وعثمان في داره لا يعلم بشيء ممّا هم فيه .

وعليّ بن أبي طالب لا ينطق هو ولا أحد من أهل بيته .

فأقبل القوم عليه فقالوا : يا أباالحسن ما يمنعك أن تتكلّم ؟

فقال عليه السلام لهم : «ما من الحيين أحد إلّا وقد ذكر فضلاً ، وقال حقّاً ، فأنا أسألكم يا معشر قريش والأنصار ، بمن أعطاكم الله هذا الفضل ؟ أفبأنفسكم وعشائركم وأهل بيوتاتكم ؟ أم بغيركم» ؟

قالوا : بل أعطانا الله ومَنّ به علينا بمحمّد وعشيرته ، لا بأنفسنا وعشائرنا ، ولا بأهل بيوتنا .

قال : «صدقتم ، يا معشر قريش والأنصار أتعلمون الّذي نلتم به من خير الدّنيا والآخرة منّا أهل البيت خاصّة دون غيرهم ؟ فإنّ ابن عمّي رسول الله قال : إنّي وأهل بيتي كنّا نوراً بين يدي الله تبارك وتعالى قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف سنة ، فلمّا خلق الله آدم وضع ذلك النّور في صلبه وأهبطه إلى الأرض ، ثمّ حمله في السّفينة في صلب نوح عليه السلام ، ثمّ قذف به في النّار في صلب إبراهيم عليه السلام ، ثمّ لم يزل الله عزّ وجلّ ينقلنا من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة ، ومن الأرحام الطاهرة إلى الأصلاب الكريمة ، من الآباء والأمّهات ، لم يلتق واحد منهم على سفاح قطّ» .

فقال أهل السابقة وأهل بدر وأهل أُحد : نعم ، قد سمعنا ذلك من رسول الله .

ثمّ قال : «أُنشدكم بالله أتعلمون أنّي أوّل الأمّة إيماناً بالله وبرسوله» ؟

قالوا : اللّهمّ نعم .

قال: «فأُنشدكم بالله أتعلمون أنّ الله عزّ وجلّ فضّل في كتابه السّابق على المسبوق في غير آية ، وأنّي لم يسبقني إلى الله عزّ وجلّ وإلى رسوله صلى الله عليه وآله أحد من هذه الأُمّة» ؟

قالوا : اللّهمّ نعم .

قال: «فأُنشدكم بالله أتعلمون حيث نزلت ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ والأَنْصَار ﴾[1] و﴿ السَّابِقُونَ السَّابِقُون * أولئِكَ المُقَرَّبُون ﴾[2] وسُئل عنها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : «أنزله الله عزّ وجلّ في

---

(١) التوبة ١٠٠.

(٢) الواقعة ١٠ ـ ١١.

الأنبياء وأوصيائهم ؛ فأنا أفضل أنبياء الله وعليّ بن أبي طالب عليه السلام وصيّي أفضل الأوصياء» ؟

قالوا : اللّهمّ نعم .

قال: «فأُنشدكم بالله أتعلمون حيث نزلت ﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[1] وحيث نزلت : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ وحيث نزلت : ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ ٱللّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾[2] قال النّاس : يا رسول الله أخاصّة في بعض المؤمنين أم عامّة لجميعهم ؟

فأمر الله عزّ وجلّ نبيّة أن يُعلمهم ولاة أمرهم ، وأن يفسّر لهم من الولاية ما فسّر لهم من صلاتهم وزكاتهم وصومهم ، وحجّهم ، فنصبني للنّاس علماً بغديرخم .

ثمّ خطب فقال : أيّها النّاس إنّ الله أرسلني برسالة ضاق بها صدري فظننت أنّ النّاس مكذّبي فأوعدني لأبلغنّها أو ليعذّبني .

ثمّ أمر فنودي بالصّلاة جامعة ، ثمّ خطب فقال : أيّها النّاس أتعلمون أنّ الله عزّ وجلّ مولاي وأنا مولى المؤمنين ، وأنا أولى بهم من أنفسهم ؟

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : قم يا علي ؛ فقمت ، فقال : من كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه .

فقام سلمان فقال : يا رسول الله والاه كماذا ؟

فقال : والاه كولائي ؛ فمن كنت أولى به من نفسه فعليّ أولى به من نفسه .

فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلإِسْلاَمَ دِيناً ﴾[3] ؛ فكبّر رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال : الله أكبر على تمام نبوّتي وتمام دين الله وولاية عليّ بعدي .

فقام أبوبكر وعمر فقالا : يا رسول الله هؤلاء الآيات[4] خاصّة في علي ؟

قال صلّى الله عليه وآله : بلى فيه ، وفي أوصيائي إلى يوم القيامة .

قالا : يا رسول الله بيّنهم لنا .

---

(١) النساء ٥٩.

(٢) التوبة ١٦.

(٣) المائدة ٣.

(٤) في بعض النسخ : «هذه» الآيات .

قال: أخي ووزيري ووارثي ووصيّي وخليفتي في اُمّتي، ووليّ كلّ مؤمن بعدي، ثمّ ابنيّ الحسن والحسين، ثمّ تسعة من ولد الحسين؛ واحد بعد واحد، «القرآن» معهم وهم مع «القرآن»، لا يفارقونه ولا يفارقهم، حتّى يردوا علَيّ الحوض».

فقالوا كلّهم: اللّهمّ نعم، قد سمعنا ذلك وشهدنا كما قلت سواء. وقال بعضهم: قد حفظنا جلّ ما قلت ولم نحفظ كلّه، وهؤلاء الّذين حفظوا أخيارنا وأفاضلنا.

فقال عليّ عليه السلام: «صدقتم، ليس كلّ النّاس يستوي في الحفظ. اُنشدكم بالله من حفظ ذلك من رسول الله لمّا قام وأخبر به».

فقام زيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وأبوذر، والمقداد، وعمّار، فقالوا: نشهد لقد حفظنا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وهو قائم على المنبر وأنت إلى جنبه وهو يقول:

«أيّها النّاس أمرني الله أن أنصب لكم إمامكم والقائم فيكم بعدي ووصيّي وخليفتي، والّذي فرض على المؤمنين في كتابه طاعته، وقرنه بطاعته وطاعتي، وأمركم بولايته، وإنّي رجعت ربّي خشية طعن أهل النّفاق وتكذيبهم، فأوعدني لأبلغنّها أو ليعذّبنّي.

أيّها النّاس إنّ الله أمركم في كتابه بالصّلاة، فقد بيّنها لكم، والزّكاة والصّوم والحجّ فقد بيّنتها لكم وفسّرتها، وأمركم بالولاية وإنّي اُشهدكم أنّها لهذا خاصّة» ووضع يده على يد علي بن أبي طالب «ثمّ لابنيه من بعده، ثمّ الأوصياء من بعدهم ومن ولدهم عليهم السلام، لا يفارقون «القرآن» ولا يفارقهم «القرآن» حتّى يردونا علَيّ الحوض.

أيّها النّاس قد بيّنت لكم مفزعكم[1] بعدي، وإمامكم، ودليلكم، وهاديكم، وهو: أخي عليّ ابن أبي طالب، وهو فيكم بمنزلتي فيكم، فقلّدوه دينكم، وأطيعوه في جميع اُموركم، فإنّ عنده جميع ما علّمني الله عزّ وجلّ من علمه وحكمته، فاسألوه وتعلّموا منه ومن أوصيائه بعده ولا تعلّموهم، ولا تتقدّموهم، ولا تخلّفوا عنهم، فإنّهم مع الحقّ والحقّ معهم لا يزايلهم[2]».

ثمّ جلسوا.

قال سليم: ثمّ قال عليّ عليه السلام: «أيّها النّاس أتعلمون أنّ الله عزّ وجلّ أنزل في كتابه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فجمعني وفاطمة وابنيه حسناً وحسيناً ثمّ ألقى

---

(١) المفزع: الملجأ.

(٢) زايله: فارقه.

علينا كساءً فدكياً وقال : اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي ولحمي ، يؤلمني ما يؤلمهم ، ويجرحني ما يجرحهم ، فأذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً .

فقالت أُم سلمة : وأنا يا رسول الله ؟

فقال : أنت إلى خير ، إنّما نزلت فيّ ، وفي أخي عليّ ، وفي ابنتي فاطمة ، وفي ابنيَّ ، وفي تسعة من ولد الحسين خاصّة ، وليس معنا أحد غيرنا» ؟

فقالوا كلّهم : نشهد أنّ أُم سلمة حدّثتنا بذلك ، فسألنا رسول الله صلى الله عليه وآله فحدّثنا كما حدّثتنا به أُم سلمة .

قال عليّ عليه السلام : «أُنشدكم بالله أتعلمون أنّ الله أنزل : ﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّادِقِينَ ﴾[1] فقال سلمان : يا رسول الله عامّة هذه الآية أم خاصّة ؟

فقال : أمّا المأمورون فعامّة المؤمنين أُمروا بذلك ، وأمّا الصّادقون خاصّة لأخي عليٌّ وأوصيائي من بعده إلى يوم القيامة» ؟

فقالوا : اللّهمّ نعم .

قال : «أُنشدكم بالله أتعلمون أنّي قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله في غزاة تبوك : لِمَ تخلّفني ؟

فقال : «إنّ المدينة لا تصلح إلّا بي أو بك ، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي» ؟

قالوا : اللّهمّ نعم .

قال : «أُنشدكم بالله أتعلمون أنّ الله عزّ وجلّ أنزل في سورة الحج : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱرْكَعُوا وَٱسْجُدُوا وَٱعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2] إلى آخر السورة ، فقام سلمان فقال : يا رسول الله مَن هؤلاء الّذين أنت عليهم شهيد وهم شهداء على النّاس ، الّذين اجتباهم ولم يجعل عليهم في الدّين من حرج ، ملّة أبيكم إبراهيم ؟

قال : عنى بذلك ثلاثة عشر رجلاً خاصّة دون هذه الأُمّة .

فقال سلمان : بيّنهم لنا يا رسول الله .

فقال : أنا ، وأخي علي ، وأحد عشر من ولدي» ؟

---

(١) التوبة ١١٩.

(٢) الحج ٧٧.

قالوا : اللّهمّ نعم .

قال : «أُنشدكم بالله أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قام خطيباً ولم يخطب بعد ذلك ، فقال : «أيّها النّاس إنّي تارك فيكم الثقلين[1] :كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فتمسّكوا بهما لا تضلّوا ، فإنّ اللّطيف الخبير أخبرني وعهد إليّ أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض» .

فقام عمر بن الخطّاب ـ وهو شبه المغضب ـ فقال : يا رسول الله أكلّ أهل بيتك ؟

قال : لا ، ولكن أوصيائي منهم ؛ أوّلهم أخي ووزيري وخليفتي في اُمّتي ووليّ كلّ مؤمن ومؤمنة بعدي ، هو أوّلهم ، ثمّ ابني الحسن ، ثمّ ابني الحسين ، ثمّ تسعة من ولد الحسين ، واحد بعد واحد ، حتّى يردوا عَلَيّ الحوض ، شهداء لله في أرضه ، وحججه على خلقه ، وخُزّان علمه ، ومعادن حكمته ، من أطاعهم فقد أطاع الله ، ومن عصاهم فقد عصى الله» ؟

فقالوا كلّهم : نشهد أنّ رسول الله ﷺ قال ذلك .

ثمّ تمادى بعليّ عليه السلام السؤال والمناشدة ، فما ترك شيئاً إلّا ناشدهم الله فيه وسألهم عنه ، حتّى أتى على أكثر مناقبه وما قال له رسول الله ﷺ ، كلّ ذلك يصدّقونه ويشهدون أنّه حقّ . ثمّ قال حين فرغ : «اللّهمّ اشهد عليهم» .

---

(١) قال السيّد شرف الدين في «المراجعات» ص ٥١ في المراجعة ٨: والصّحاح الحاكمة بوجوب التمسّك بالثقلين متواترة ، وطرقها عن بضع وعشرين صحابيّاً متضافرة ، وقد صدع بها رسول الله ﷺ في مواقف له شتّى ؛ تارة يوم غدير خم كما سمعت ، وتارة يوم عرفة في حجّة الوداع ، وتارة بعد انصرافه من الطّائف ، ومرّة على منبره في المدينة ، وأخرى في حجرته المباركة في مرضه ، والحجرة غاصّة بأصحابه إذ قال : «أيّها النّاس يوشك أن أُقبض قبضاً سريعاً فيُنطلق بي ، وقد قدّمت إليكم القول معذرة إليكم ، ألا إنّي مُخلّف فيكم كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي أهل بيتي» ثمّ أخذ بيد عليّ فرفعها فقال : «هذا عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ ، لا يفترقان حتّى يردا عَلَيّ الحوض» الحديث .

وقد اعترف بذلك جماعة من أعلام الجمهور ، حتّى قال ابن حجر ـ إذ أورد حديث الثقلين ـ : ثمّ اعلم أنّ لحديث التمسّك بهما طرقاً كثيرة وردت عن نيّف وعشرين صحابيّاً . قال : ومرّ له طرق مبسوطة في حادي عشر الشبه ، وفي بعض تلك الطرق أنّه قال ذلك بحجّة الوداع بعرفة ، وفي أُخرى أنّه قاله بالمدينة في مرضه ، وقد امتلأت الحجرة بأصحابه ، وفي أُخرى أنّه قال ذلك بغدير خم ، وفي أُخرى أنّه قال ذلك لمّا قام خطيباً بعد انصرافه من الطّائف كما مرّ .

قال : ولا تنافي إذ لا مانع من أنّه كرّر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة ، إلى آخر كلامه .

إنتهى ما أردنا نقله من كتاب المراجعات ، وتجد ما نقله السيّد رحمه الله من كلام ابن حجر في ص ٧٥ و ٨٩ من صواعقه .

وقالوا : اللّهمّ اشهد أنّا لم نقل إلّا ما سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وما حدّثنا من نثق به من هؤلاء وغيرهم أنّهم سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال : «أتقرّون بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : «من زعم أنّه يحبّني ويبغض عليّاً فقد كذب وليس يحبّني» ووضع يده على رأسي ، فقال له قائل : كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : «لأنّه منّي وأنا منه ، ومن أحبّه فقد أحبّني ، ومن أحبّني فقد أحبّ الله ، ومن أبغضه فقد أبغضني ، ومن أبغضني فقد أبغض الله» ؟

قال نحو عشرين رجلاً من أفاضل الحيين : اللّهمّ نعم ، وسكت بقيّتهم .

فقال للسكوت : «ما لكم سكتّم» ؟

قالوا : هؤلاء الّذين شهدوا عندنا ثقاة في قولهم ، وفضلهم ، وسابقتهم .

فقال : «اللّهمّ اشهد عليهم» .

فقال طلحة بن عبدالله ـ وكان يقال له : داهية قريش ـ : فكيف نصنع بما ادّعى أبوبكر وأصحابه الّذين صدّقوه وشهدوا على مقالته يوم أتوه بك بعتل[1] وفي عنقك حبل ، فقالوا لك : بايع ، فاحتججت بما احتججت به ، فصدّقوك جميعاً ، ثمّ ادّعى أنّه سمع رسول الله يقول : أبى الله أن يجمع لنا أهل البيت النبوّة والخلافة ، فصدّقه بذلك عمر وأبوعبيدة وسالم ومعاذ .

ثمّ قال طلحة : كلّ الّذي قلت وادّعيت واحتججت به من السّابقة والفضل حقٌّ ، نَقِرُّ به ونعرفه ، وأمّا الخلافة فقد شهد أولئك الأربعة بما سمعت .

فقام عليّ عليه السلام عند ذلك ، وغضب من مقالته ، فأخرج شيئاً قد كان يكتمه ، وفسّر شيئاً قال له عمر يوم مات لم يدر ما عنى به ، فأقبل على طلحة ـ والنّاس يسمعون ـ فقال : «أما والله يا طلحة ، ما صحيفة ألقى الله بها يوم القيامة أحبّ إليّ من صحيفة الأربعة الّذين تعاهدوا على الوفاء به في الكعبة ؛ إن قتل الله محمّداً أو توفّاه أن يتوازروا دون عليّ ويتظاهروا فلا تصل إليّ الخلافة ، والدّليل والله على باطل ما شهدوا وما قلت يا طلحة قول نبيّ الله يوم غدير خم : «من كنت أولى به من نفسه فعليّ أولى به من نفسه» ، فكيف أكون أولى بهم من أنفسهم وهم أُمراء عَلَيّ وحكّام ؟ وقول رسول الله صلى الله عليه وآله : «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير النبوّة» ، فلو كان مع النبوّة غيرها لاستثناه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقوله : «إنّي تركت فيكم أمرين : كتاب الله وعترتي ، لن تضلّوا ما إن

---

(١) العتل : الجذب العنيف ، تقول : عتلت الرّجل إذا جذبته جذباً عنيفاً .

تمسّكتم بهما ، لا تقدّموهم ولا تخلّفوا عنهم ولا تُعلّموهم ، فإنّهم أعلم منكم» أفينبغي أن لا يكون الخليفة على الأُمّة إلّا أعلمهم بكتاب الله وسنّة نبيّه ؟ وقد قال الله ﷻ : ﴿ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لاَ يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾(١) وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ ٱصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾(٢) وقال : ﴿ ٱئْتُونِي بِكِتَابٍ مِن قَبْلِ هٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ ﴾(٣) وقال رسول الله ﷺ : «ما ولّت أُمّة قطّ أمرها رجلاً وفيهم من هو أعلم منه إلّا لم يزل يذهب أمرهم سفالاً حتّى يرجعوا إلى ما تركوا» ؛ فما الولاية غير الإمارة ؟

والدليل على كذبهم وباطلهم وفجورهم أنّهم سلّموا عَلَيّ بإمرة المؤمنين بأمر رسول الله ، ومن الحجّة عليهم وعليك خاصّة وعلى هذا معك ـ يعني الزبير ـ وعلى الأُمّة وعلى سعد بن أبي وقّاص ، وابن عوف ، وخليفتكم هذا القائم ـ يعني عثمان ـ فإنّا معشر الشورى أحياء كلّنا ، أن جعلني عمر ابن الخطّاب في الشورى ، إن كان قد صدق هو وأصحابه على رسول الله ﷺ ؛ أجعلنا في الشورى في الخلافة أم في غيرها ؟ فإن زعمتم أنّه جعلها شورى في غير الإمارة فليس لعثمان إمارة وإنّما أمرنا أن نتشاور في غيرها ، وإن كان الشورى فيها فلِمَ أدخلني فيكم ، فهلّا أخرجني وقد قال : إنّ رسول الله ﷺ أخرج أهل بيته من الخلافة وأخبر أنّه ليس لهم فيها نصيب ، ولِمَ قال عمر حين دعانا رجلاً رجلاً» .

فقال عليّ ﷺ لعبدالله ابنه ، وها هو ذا : «أنشدك بالله يا عبدالله بن عمر ، ما قال لك حين خرجت» ؟

فقال : أمّا إذا ناشدتني بالله فإنّه قال : إن يتّبعوا أصلع قريش يحملهم على المحجّة البيضاء ، وأقامهم على كتاب ربّهم وسنّة نبيّهم .

قال : «يابن عمر فما قلت له عند ذلك» ؟

قال : قلت له : فما يمنعك أن تستخلفه ؟

قال : «وما ردّ عليك» ؟

قال : ردّ عَلَيّ شيئاً أكتمه .

---

(١) يونس ٣٥.

(٢) البقرة ٢٤٧.

(٣) الأحقاف ٤.

قال عليّ : «فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خبّرني به في حياته ، ثمّ أخبرني به ليلة مات أبوك في منامي ، ومن رأى رسول الله صلى الله عليه وآله مناماً فقد رآه» .

قال : فما أخبرك به ؟

قال عليه السلام : «فأُنشدك بالله يابن عمر لئن أخبرتك به لتصدّقنّ» ؟

قال : إذن أسكت .

قال : «فإنّه قال لك حين قلت له : فما يمنعك أن تستخلفه ؟ قال : الصحيفة الّتي كتبناها بيننا ، والعهد في الكعبة» .

فسكت ابن عمر .

فقال : «أسألك بحقّ رسولك لِمَ سكتَّ عنّي» ؟

قال سليم : فرأيت ابن عمر في ذلك المجلس خنقته العبرة وعيناه تسيلان .

وأقبل أميرالمؤمنين عليه السلام على طلحة والزّبير ، وابن عوف ، وسعد ، فقال : «لئن كان أولئك الخمسة أو الأربعة كذبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله ما يحلّ لكم ولايتهم ، وإن كانوا صدقوا ما حلّ لكم أيّها الخمسة أو الأربعة أن تدخلوني معكم في الشورى لأنّ إدخالكم إيّاي فيها خلاف على رسول الله صلى الله عليه وآله وردٌّ عليه» .

ثمّ أقبل على النّاس فقال : «أخبروني عن منزلتي فيكم وما تعرفوني به ؛ أصادق أنا فيكم أم كاذب» ؟

قالوا : صدوق ، لا والله ما علمناك كذبت قطّ في الجاهليّة ولا الإسلام .

قال : «فوالله الّذي أكرمنا أهل البيت بالنبوّة ، وجعل منّا محمّداً ، وأكرمنا بعده بأن جعلنا أئمّة المؤمنين ، لا يبلّغ عنه غيرنا ، ولا تصلح الإمامة والخلافة إلّا فينا ، ولم يجعل لأحد من النّاس فيها معنا أهل البيت نصيباً ولا حقّاً ، أمّا رسول الله صلى الله عليه وآله خاتم النّبيّين ، ليس بعده نبيّ ولا رسول ، ختم برسول الله الأنبياء إلى يوم القيامة ، وجعلنا من بعد محمّد خلفاء في أرضه وشهداء على خلقه ، فرض طاعتنا في كتابه ، وقرننا بنفسه ونبيّه في غير آية من «القرآن» ، فالله عزّ وجلّ جعل محمّداً نبيّاً ، وجعلنا خلفاء من بعده في كتابه المنزل ، ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ أمر نبيّه أن يبلّغ ذلك أُمّته ، فبلّغهم كما أمره الله ، فأيّكما أحقّ بمجلس رسول الله صلى الله عليه وآله ومكانه وقد سمعتم رسول الله صلى الله عليه وآله حين بعثني ببراءة فقال : «لا يبلّغ عنّي إلّا رجل منّي» ؟ أنشدتكم بالله أسمعتم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله» ؟

قالوا : اللّهمّ نعم ، نشهد أنّا سمعنا ذلك من رسول الله ﷺ حين بعثك ببرائة .

فقال أميرالمؤمنين ﷺ : «لا يصلح لصاحبكم أن يبلّغ عنه صحيفة[1] أربع أصابع ، ولن يصلح أن يكون المبلّغ عنه غيري ، فأيّهما أحقّ بمجلسه ومكانه الّذي سمّي بخاصّه ، إنّه من رسول الله ﷺ ومن حضر مجلسه من الأُمّة» ؟

فقال طلحة : قد سمعنا ذلك من رسول الله ﷺ ، ففسّر لنا كيف لا يصلح لأحد أن يبلّغ عن رسول الله غيرك ؟ وقد قال ـ لنا ولسائر النّاس ـ : «ليبلّغ الشاهد الغائب» ، فقال ـ بعرفة في حجّة الوداع ـ : «نصر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها ثمّ بلّغها غيره ، فرُبّ حامل فقه لا فقه له ، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يحلّ عليهنّ قلب امرئ مسلم أخلص العمل لله ﷻ : السمع والطاعة والمناصحة لولاة الأمر ولزوم جماعتهم ، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم» . وقال ـ في غير موطن ـ : «ليبلّغ الشاهد الغائب» .

فقال عليّ ﷺ : «إنّ الّذي قال رسول الله ﷺ يوم غدير خم ، ويوم عرفة في حجّة الوداع في آخر خطبة خطبها حين قال : «إنّي تركت فيكم أمران ، لن تضلّوا ما إن تمسّكتم بهما : كتاب الله وأهل بيتي ، فإنّ اللّطيف الخبير قد عهد إليّ أنّهما لا يفترقان حتّى يردا عَلَيّ الحوض ، كهاتين ولا أقول كهاتين ـ فأشار إلى سبابته وإبهامه لأنّ أحدهما قدّام الآخر ـ فتمسّكوا بهما لن تضلّوا ولا تزالوا ، ولا تقدّموهم ولا تخلّفوا عنهم ، ولا تعلّموهم ، فإنّهم أعلم منكم» إنّما أمر العامّة جميعاً أن يبلّغوا من لقوا من العامّة إيجاب طاعة الأئمّة من آل محمّد ﷺ ، وإيجاب حقّهم ، ولم يقل ذلك في شيء من الأشياء غير ذلك ، وإنّما أمر العامّة أن يبلّغوا العامّة حجّة من لا يبلّغ عن رسول الله جميع ما بعثه الله به غيرهم ، ألا ترى يا طلحة أنّ رسول الله ﷺ قال لي ـ وأنتم تسمعون ـ : «يا أخي إنّه لا يقضي عنّي ديني ولا يبرئ ذمّتي غيرك ، تبرئ ذمّتي ، وتؤدّي ديني وغراماتي ، وتقاتل على سنّتي» فلمّا ولّى أبوبكر قضى عن رسول الله ﷺ عداته ودينه ، فاتّبعتموه جميعاً ، فقضيت دينه وعدائته ، وقد أخبرهم أنّه لا يقضي عنه ديني وعداته غيري ، ولم يكن ما أعطاهم أبوبكر قضاء لدينه وعداته ، وإنّما كان الّذي قضى من الدّين والعدة هو الّذي أبرء منه ، وإنّما بلّغ عن رسول الله ﷺ جميع ما جاء به من عند الله من بعد الأئمّة الّذين فرض الله في الكتاب طاعتهم ، وأمر بولايتهم ، الّذين من أطاعهم فقد أطاع الله ، ومن عصاهم فقد عصى الله» .

---

(١) يريد الصحيفة الّتي كتبت بها سورة براءة .

فقال طلحة : فرّجت عنّي ، ماكنت أدري ما عنى بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى فسّرته لي ، فجزاك الله يا أباالحسن عن جميع أُمّة محمّد الجنّة .

يا أباالحسن شيئاً أُريد أن أسألك عنه ؛ رأيتك خرجت بثوب مختوم ، فقلت : «أيّها النّاس إنّي لم أزل مشتغلاً برسول الله بغسله ، وكفنه ، ودفنه ، ثمّ اشتغلت بكتاب الله حتّى جمعته ، فهذا كتاب الله عندي مجموعاً لم يسقط حتّى حرف واحد» ، ولم أر ذلك الّذي كتبت وألّفت ، وقد رأيت عمر بعث إليك أن ابعث به إليّ فأبيت أن تفعل ، فدعا عمر النّاس فإذا شهد رجلان على آية كتبها ، وإن لم يشهد عليها غير رجل واحد أرجأها[1] فلم يكتب ، فقال عمر ـ وأنا أسمع ـ إنّه قد قتل يوم اليمامة قوم كانوا يقرؤون قرآناً لا يقرأه غيرهم ، فقد ذهب وقد جاءت شاة إلى صحيفة وكتاب يكتبون فأكلتها وذهب ما فيها ، والكاتب يومئذٍ عثمان ، وسمعت عمر وأصحابه الّذين ألّفوا ما كتبوا على عهد عمر وعلى عهد عثمان يقولون : إنّ الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة ، وإنّ النّور ستّون مائة آية ، والحجر تسعون ومائة آية ، فما هذا ؟ وما يمنعك يرحمك الله أن تخرج كتاب الله إلى النّاس ، وقد عهد عثمان حين أخذ ما ألّف عمر فجمع له الكتاب ، وحمل النّاس على قراءة واحدة ، فمزّق مصحف أُبي بن كعب ، وابن مسعود ، وأحرقهما بالنّار ؟

فقال له عليّ عليه السلام : «يا طلحة إنّ كلّ آية أنزلها الله جلّ وعلا على محمّد عندي بإملاء رسول الله وخطّ يدي ، وتأويل كلّ آية أنزلها الله على محمّد وكلّ حرام وحلال أو حدّ أو حكم أو شيء تحتاج إليه الأُمّة إلى يوم القيامة مكتوب بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطّ يدي ، حتّى أرش الخدش»[2] .

قال طلحة : كلّ شيء من صغير وكبير أو خاصّ أو عام كان أو يكون إلى يوم القيامة فهو عندك مكتوب ؟

قال : «نعم ، وسوى ذلك إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أسرّ إليّ في مرضه مفتاح ألف باب من العلم يفتح من كلّ باب ألف باب ، ولو أنّ الأُمّة منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله اتّبعوني وأطاعوني لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم .

يا طلحة ألست قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله حين دعا بالكتف ليكتب فيه ما لا تضلّ أُمّته ، فقال

---

(١) أرجأها : أخّرها .

(٢) الأرش : الدية .

صاحبك : إنّ نبيّ الله يهجر[١] ، فغضب رسول الله ﷺ وتركها» ؟

قال : بلى قد شهدته .

قال : «فإنّكم لمّا خرجتم أخبرني رسول الله ﷺ بالّذي أراد أن يكتب ويُشهد عليه العامّة ، فأخبره جبرئيل أنّ الله قد قضى على أُمّتك الإختلاف والفرقة ، ثمّ دعا بصحيفة فأملى عَلَيّ ما أراد أن يكتب في الكتف ، وأشهد على ذلك ثلاثة رهط : سلمان ، وأباذر ، والمقداد ، وسمّى من يكون من أئمّة الهدى الّذين أمر الله بطاعتهم إلى يوم القيامة[٢] فسمّاني أوّلهم ، ثمّ ابنيّ هذا ـ وأشار بيده إلى الحسن والحسين ـ ثمّ تسعة من ولد ابني الحسين ، كذلك كان يا أباذر ويا مقداد» ؟

فقاما ثمّ قالا : نشهد بذلك على رسول الله ﷺ .

فقال طلحة : والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما أقلّت الغبراء ولا أظلّت الخضراء على ذي لهجة أصدق ولا أبرّ عند الله من أبي ذر» ، وأنا أشهد أنّهما لم يشهدا إلّا بالحق ، ولأنت عندي

---

(١) في شرح النهج لابن أبي الحديد ص ٢٠ من مجلّد ٢ مسنداً عن علي بن عبدالله بن العبّاس عن أبيه قال : لمّا حضرت رسول الله ﷺ الوفاة ـ وفي البيت رجالٌ فيهم عمر بن الخطّاب ـ قال رسول الله ﷺ : «ايتوني بكتاب وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعدي» ، فقال عمر كلمة معناها أنّ الوجع قد غلب على رسول الله ﷺ ، ثمّ قال : عندنا القرآن ، حسبنا كتاب الله ، فاختلف من في البيت واختصموا ؛ فمن قائل يقول : القول ما قال رسول الله ﷺ ، ومن قائل يقول : القول ما قاله عمر ، فلمّا أكثروا اللغط واللغو والإختلاف ، غضب رسول الله ﷺ فقال : «قوموا إنّه لا ينبغي لنبيّ أن يختلف عنده هكذا» ؛ فقاموا ، فمات رسول الله ﷺ في ذلك اليوم . فكان ابن عبّاس يقول : إنّ الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله ﷺ .

قال ابن أبي الحديد : قلت : هذا الحديث قد خرّجه الشيخان : محمّد بن إسماعيل البخاري ، ومسلم بن الحجّاج القشيري في صحيحيهما ، واتّفق المحدّثون كافّة على روايته .

(٢) ينابيع المودّة ص ٤٤٠ قال : وفي فرائد السمطين بسنده عن مجاهد عن ابن عبّاس قال : قدم يهوديّ يقال له «الأعتل» ، فقال : يا محمّد أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين ، فإن أجبتني عنها أسلمت على يديك .

قال : «سل يا أباعمارة» .

فقال : يا محمّد صف لي ربّك ...

إلى أن قال : صدقت ، فأخبرني عن وصيّك من هو ؟ فما من نبيّ إلّا وله وصيّ ، وإنّ نبيّنا موسى بن عمران أوصى يوشع بن نون .

فقال : «إنّ وصيّي عليّ بن أبي طالب ، وبعده سبطاي الحسن والحسين ، تتلوه تسعة أئمّة من صلب الحسين» .

قال : يا محمّد فسمّهم لي .

قال : «إذا مضى الحسين فابنه علي ، فإذا مضى علي فابنه محمّد ، فإذا مضى محمّد فابنه جعفر ، فإذا مضى جعفر فابنه موسى ، فإذا مضى موسى فابنه علي ، فإذا مضى علي فابنه محمّد ، فإذا مضى محمّد فابنه علي ، فإذا مضى علي فابنه الحسن ، فإذا مضى الحسن فابنه الحجّة محمّد المهدي ؛ فهؤلاء إثنى عشر» الخ .

أصدق وأبرّ منهما .

ثمّ أقبل عليّ عليه السلام فقال : «اتّق الله يا طلحة ، وأنت يا زبير ، وأنت يا سعد ، وأنت يابن عوف ، اتّقوا الله وآثروا رضاه ، واختاروا ما عنده ، ولا تخافوا في الله لومة لائم» .

ثمّ قال طلحة: لا أراك يا أباالحسن أجبتني عمّا سألتك عنه من أمر «القرآن»، ألا تظهره للنّاس؟

قال : «يا طلحة ، عمداً كففت عن جوابك ، فأخبرني عمّا كتب عمر وعثمان أقرآن كلّه أم فيه ما ليس بقرآن» ؟

قال طلحة : بل قرآن كلّه .

قال : «إن أخذتم بما فيه نجوتم من النّار ، ودخلتم الجنّة ، فإنّ فيه حجّتنا وبيان حقّنا وفرض طاعتنا» .

قال طلحة : حسبي ، أمّا إذا كان قرآناً فحسبي» .

ثمّ قال طلحة : فأخبرني عمّا في يدك من القرآن وتأويله ، وعلم الحلال والحرام ، إلى من تدفعه ؟ ومَن صاحبه بعدك ؟

قال : «إنّ الّذي أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أدفعه إليه وصيّي وأولى النّاس بعدي بالنّاس ابني الحسن ، ثمّ يدفعه ابني الحسن إلى ابني الحسين ، ثمّ يصير إلى واحد بعد واحد من ولد الحسين حتّى يرد آخرهم حوضه ، هم مع «القرآن» لا يفارقونه ، والقرآن معهم لا يفارقهم ، أمّا إنّ معاوية وابنه سيليان بعد عثمان ، ثمّ يليها سبعة من ولد الحكم بن أبي العاص ؛ واحد بعد واحد ، تكملة اثنا عشر إمام ضلالة ، وهم الّذين رأى رسول الله صلى الله عليه وآله على منبره ؛ يردّون الأمّة على أدبارهم القهقهري[1] عشرة منهم من بني أُميّة ورجلان أسّسا ذلك لهم وعليهما مثل جميع أوزار هذه الأُمّة إلى يوم القيامة» .

وفي رواية أبي ذر الغفاري[2] أنّه قال : لمّا توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله جمع عليّ عليه السلام «القرآن» وجاء

---

(١) تفسير الطبري ج١٥ ص٧٣، والقرطبي ج١٠ ص٢٨٣ من طريق سهل ابن سعد قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وآله بني أُميّة ينزون على منبره نزو القردة ، فساءه ذلك ، فما استجمع ضاحكاً حتّى مات ، وأنزل الله تعالى : ﴿**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً**﴾ [الإسراء ٦٠]

(٢) أبوذر الغفاري ، واسمه جندب ـ بالجيم المضمومة والنون الساكنة والدال غير المعجمة المفتوحة ، والباء المنقّطة

تحتها نقطة ـ بن جنادة ـ بالجيم المضمومة والنون والدال بعد الألف غير المعجمة ـ وقيل جندب بن السكن، وقيل بريد بن جنادة.

عن عبدالله بن الصامت قال: قال لي أبوذر: يابن أخي صلّيت قبل الإسلام بأربع سنين.

قلت له: مَن كنت تعبد؟

قال: إله السّماء.

قلت: فأين كانت قبلتك؟

قال: حيث وجّهني الله عزّ وجلّ.

وهو رابع من أسلم من الرّجال، فأوّل من أسلم عليّ بن أبي طالب، ثمّ أخوه جعفر الطيّار، ثمّ زيد بن حارثة، وكان أبوذر رحمه الله رابعهم.

وأمره رسول الله صلّى الله عليه وآله بالرجوع إلى أهله، وقال له: «إنطلق إلى بلادك حتّى يظهر أمرنا»؛ فرجع إليها حتّى ظهر أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله، فهاجر إلى المدينة، وآخى النّبيّ صلّى الله عليه وآله بينه وبين المنذر بن عمرو في المؤاخاة الثانية، وهي مؤاخاة الأنصار مع المهاجرين بعد الهجرة بثمانية أشهر، ثمّ شهد مشاهد رسول الله صلّى الله عليه وآله.

وفيه قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «ما أظلّت الخضراء وما أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر، يعيش وحده، ويموت وحده، ويحشر وحده، ويدخل الجنّة وحده».

وقال صلّى الله عليه وآله: «أبوذر في أُمّتي شبيه عيسى بن مريم في زهده وورعه».

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام: «وعى أبوذر علماً عجز النّاس عنه، ثمّ أولى عليه فلم يخرج شيئاً».

وعن أبي عبدالله عليه السلام: «دخل أبوذر على رسول الله صلّى الله عليه وآله ومعه جبرئيل، فقال جبرئيل: مَن هذا يا رسول الله؟

قال: أبوذر.

قال: أبوذر؛ أمّا إنّه في السّماء أعرف منه في الأرض، سل عن كلمات يقولهنّ إذا أصبح.

قال: فقال: «يا أباذر كلمات تقولهنّ إذا أصبحت، فما هنّ»؟

قال: يا رسول الله «اللّهمّ إنّي أسألك الإيمان بك، والتصديق بنبيّك، والعافية من جميع البلايا، والشكر على العافية، والغنى عن شرار النّاس».

وبعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله لم يرتد أبوذر، وامتنع عن البيعة لأبي بكر، وأنكر عليه قيامه مقام النّبيّ صلّى الله عليه وآله وغصبه للخلافة، وهو أحد الأركان الأربعة وهم: سلمان والمقداد وحذيفة وأبوذر، وممّن حضر تشييع فاطمة، ولزم عليّاً عليه السلام وجاهر بذكر مناقب أهل البيت، ومثالب أعدائهم، وصبر على المشقّة والعناء.

وماكانت تأخذه في الله لومة لائم، وكان يقول: أوصاني خليلي بستّ: حبّ المساكين، وأن أنظر إلى من هو فوقي، وأن أقول الحقّ وإن كان مرّاً، وأن لا تأخذني في الله لومة لائم.

وقال له فتى من قريش مرّة: أما نهاك أميرالمؤمنين عن الفتيا؟

فقال: أرقيب أنت عَلَيّ؟ فوالّذي نفسي بيده لو وضعتم الصمامة هاهنا، ثمّ ظننت أنّي منفذ كلمة سمعتها من رسول الله صلّى الله عليه وآله قبل أن تحتزّوا لأنفذتها.

به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلمّا فتحه أبوبكر خرج في أوّل صفحة فتحها فضائح القوم ، فوثب عمر وقال : يا علي اُردده فلا حاجة لنا فيه ، فأخذه عليه السلام وانصرف ، ثمّ أحضروا زيد بن ثابت ـ وكان قارياً للقرآن ـ فقال له عمر : إنّ عليّاً جاء بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار ، وقد رأينا أن نؤلّف «القرآن» ونسقط منه ماكان فيه فضيحة وهتك للمهاجرين والأنصار .

فأجابه زيد إلى ذلك ، ثمّ قال : فإن أنا فرغت من «القرآن» على ما سألتم ، وأظهر عليّ

وبينما هو واقف مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً إذ قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «يا أباذر أنت رجل صالح وسيصيبك بلاء بعدي» .

قال أبوذر : في الله ؟

قال : «في الله» .

فقال أبوذر : مرحباً بأمر الله .

ولمّا قام ثالث القوم نافجاً حضنيه ـ كما قال أميرالمؤمنين عليه السلام ـ بين نثيله ومعتلفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الرّبيع ، كان من الطبيعي أن يشتدّ نكير أبي ذر على الدولة الاُمويّة ، والسلالة الخبيثة ، والشجرة الملعونة .

فأرسل إليه عثمان ٢٠٠ دينار بيد مولَيين له وقال لهما : إنطلقا إلى أبي ذر وقولا له : إنّ عثمان يقرئك السّلام ويقول لك : هذه ٢٠٠ دينار فاستعن بها على ما نابك .

فقال أبوذر : هل أعطى أحداً من المسلمين مثل ما أعطاني ؟

قالا : لا .

فردّها عليه .

ودخل يوماً على عثمان وكانوا يقتسمون مال عبدالرّحمن بن عوف ، وكان عنده كعب ، فقال عثمان لكعب : ما تقول فيمن جمع هذا المال فكان يتصدّق منه ، ويعطي في السبل ويفعل ويفعل ؟

قال كعب : إنّي لأرجو له خيراً .

فغضب أبوذر ورفع العصا على كعب وقال : يابن اليهوديّة أنت تعلّمنا معالم ديننا ؟ وما يدريك ليردنّ صاحب هذا المال يوم القيامة لو كانت عقارب تلسع السويداء من قلبه ؟

ولمّا اشتدّ إنكاره على عثمان ، نفاه إلى الشام ، فواصل النكير على عثمان ومعاوية ، وكان يقول : والله إنّي لأرى حقّاً يطمى ، وباطلاً يحيى ، وصادقاً مكذّباً ، وإثرة بغير تقى ، وصالحاً مستأثراً عليه .

فكتب معاوية بذلك إلى عثمان ، فكتب إليه أن احمل أباذر على باب صعبة ، وقتب ، ثمّ ابعث من ينجش به نجشاً عنيفاً حتّى يدخل به عَلَيّ .

ثمّ نفاه عثمان إلى الربذة وشيّعه عند خروجه إلى الربذة أميرالمؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام ، ومات رضي الله عنه في الربذة سنة ٣٢ ، وصلّى عليه ابن مسعود . [خلاصة العلاّمة ٣٦، رجال الكشي ٢٧ ، تهذيب التهذيب ٩٠/١٢، حلية الأولياء ١٥٦/٧ ، صفة الصفوة ٢٣٨/١ ، رجال المامقاني ج ١ ، رجال الشيخ الطوسي ١٣ ـ ٣٦]

«القرآن» الّذي ألّفه أليس قد بطل كلّ ما عملتم ؟

قال عمر : فما الحيلة ؟

قال زيد : أنتم أعلم بالحيلة .

فقال عمر : ما حيلته دون أن نقتله ونستريح منه ، فدبّر في قتله على يد خالد بن الوليد ، فلم يقدر على ذلك ، وقد مضى شرح ذلك .

فلمّا استخلف عمر ، سأل عليّاً عليه السلام أن يدفع إليهم «القرآن» فيحرّفوه فيما بينهم ، فقال : يا أباالحسن إن جئت بالقرآن الّذي كنت قد جئت به إلى أبي بكر حتّى نجتمع عليه .

فقال عليه السلام : «هيهات ، ليس إلى ذلك سبيل ، إنّما جئت به إلى أبي بكر لتقوم الحجّة عليكم ، ولا تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين ، أو تقولوا ما جئتنا به ، إنّ «القرآن» الّذي عندي لا يمسّه إلّا المطهّرون والأوصياء من ولدي» .

قال عمر : فهل لإظهاره وقت معلوم ؟

فقال عليه السلام : «نعم ، إذا قام القائم من ولدي يظهره ويحمل النّاس عليه ، فتجري السنّة به صلوات الله عليه»[(١)] .

وقال سليم بن قيس : بينا أنا وحبش بن معمر بمكّة إذ قام أبوذر وأخذ بحلقة الباب ثمّ نادى بأعلا صوته في الموسم : «أيّها النّاس من عرفني فقد عرفني ، ومن جهلني فأنا جندب بن جنادة ، أنا أبوذر ، أيّها النّاس إنّي قد سمعت نبيّكم يقول : «إنّ مثل أهل بيتي في اُمّتي كمثل سفينة نوح في قومه ، من ركبها نجى ومن تركها غرق ، ومثل باب حطّة في بني إسرائيل» أيّها النّاس إنّي سمعت نبيّكم يقول : «إنّي تركت فيكم أمرين ، لن تضلّوا ما إن تمسّكتم بهما : كتاب الله وأهل بيتي» إلى آخر الحديث .

فلمّا قدم إلى المدينة بعث إليه عثمان وقال له : ما حملك على ما قمت به في الموسم ؟

قال : عهد عهده إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأمرني به .

فقال : من يشهد بذلك ؟

---

(١) ذكر المجلسي في بحار الانوار ج٨ ص٤٦٣ بعد نقل هذه الرواية عن الإحتجاج ما يلي : أقول : روى الصّدوق رحمه الله مختصراً من هذا الإحتجاج عن أبيه وابن الوليد معاً عن سعد عن ابن يزيد عن حمّاد بن عيسى عن اُذينة عن أبان ابن أبي عياش عن سليم بن قيس .

فقام عليّ والمقداد فشهدا ، ثمّ انصرفوا يمشون ثلاثتهم .

فقال عثمان : إنّ هذا وصاحبيه يحسبون أنّهم في شيء .

وروي : أنّ يوماً من الأيّام قال عثمان بن عفّان لعليّ بن أبي طالب عليه السلام : إن تربّصت بي فقد تربّصت بمن هو خير منّي ومنك .

قال عليّ عليه السلام : «ومن هو خير منّي ومنك» ؟

قال : أبوبكر وعمر .

فقال عليّ عليه السلام : «كذبت أنا خير منك ومنهما عبدت الله قبلكم وعبدته بعدكم» .

قال سليم بن قيس : حدّثني سلمان والمقداد ، وحدّثنيه بعد ذلك أبوذر ، ثمّ سمعته من عليّ بن أبي طالب عليه السلام قالوا : إنّ رجلاً فاخر عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا سمع به لعليّ ابن أبي طالب عليه السلام : «فاخر العرب وأنت أكرمهم ابن عمّاً ، وأكرمهم صهراً ، وأكرمهم زوجة ، وأكرمهم ولداً ، وأكرمهم أخاً ، وأكرمهم عمّاً ، وأعظمهم حلماً ، وأكثرهم علماً ، وأقدمهم سلماً ، وأعظمهم غناً بنفسك ومالك ، وأقراهم بكتاب الله ، وأعلمهم بسنّتي ، وأشجعهم لقاء ، وأجودهم كفّاً ، وأزهدهم في الدّنيا ، وأشدّهم اجتهاداً ، وأحسنهم خلقاً ، وأصدقهم لساناً ، وأحبّهم إلى الله وإليّ ، وستبقى بعدي ثلاثين سنة تعبد الله وتصبر على ظلم قريش لك ، ثمّ تجاهدهم في سبيل الله إذا وجدت أعواناً ، فتقاتل على تأويل «القرآن» كما قاتلت معي على تنزيله ، ثمّ تقتل شهيداً تخضب لحيتك من دم رأسك ، قاتلك يعدل عاقر الناقة في البغض إلى الله والبعد منه» .

قال سليم بن قيس : جلست إلى سلمان وأبي ذر والمقداد ، فجاء رجل من أهل الكوفة فجلس إليهم مسترشداً ، فقال له سلمان : عليك بكتاب الله فالزمه وعليّ بن أبي طالب فإنّه مع «القرآن» لا يفارقه ، فأنا أشهد إنّا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : «إنّ عليّاً يدور مع الحقّ حيث دار ، وإنّ عليّاً هو الصدّيق والفاروق ؛ يفرّق بين الحقّ والباطل» .

قال : فما بال القوم يسمّون أبابكر الصدّيق وعمر الفاروق ؟

قال : نحلهما النّاس إسم غيرهما كما نحلوهما خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وإمرة المؤمنين ، لقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وأمرهما معنا فسلّمنا جميعاً على عليّ بإمرة المؤمنين .

وروى القاسم بن معاوية[1] **قال** : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : هؤلاء يروون حديثاً في معراجهم أنّه

---

(١) لم أعثر في كتب الرجال على صاحب هذا الإسم ، ولعلّه القاسم بن بريد بن معاوية العجلي ، عدّه الشيخ الطوسي ←

لمّا أُسري برسول الله رأى على العرش مكتوباً : لا إله إلّا الله ، محمّد رسول الله ، أبوبكر الصدّيق ؟!

فقال عليه السلام : «سبحان الله ! غيّروا كلّ شيء حتّى هذا» ؟

قلت : نعم .

قال : «إنّ الله عزّ وجلّ لمّا خلق العرش كتب عليه : لا إله إلّا الله ، محمّد رسول الله ، علي أميرالمؤمنين ، ولمّا خلق الله عزّ وجلّ الماء كتب في مجراه : لا إله إلّا الله ، محمّد رسول الله ، علي أميرالمؤمنين ، ولمّا خلق الله عزّ وجلّ الكرسي كتب على قوائمه : لا إله إلّا الله ، محمّد رسول الله ، علي أميرالمؤمنين ، ولمّا خلق الله عزّ وجلّ اللوح كتب فيه : لا إله إلّا الله ، محمّد رسول الله ، علي أميرالمؤمنين ، ولمّا خلق الله إسرافيل كتب على جبهته : لا إله إلّا الله ، محمّد رسول الله ، علي أميرالمؤمنين ، ولمّا خلق الله جبرئيل كتب على جناحيه : لا إله إلّا الله ، محمّد رسول الله ، علي أميرالمؤمنين ، ولمّا خلق الله عزّ وجلّ السماوات كتب في أكنافها : لا إله إلّا الله ، محمّد رسول الله ، علي أميرالمؤمنين ، ولمّا خلق الله عزّ وجلّ الأرضين كتب في أطباقها : لا إله إلّا الله ، محمّد رسول الله ، علي أميرالمؤمنين ، ولمّا خلق الله عزّ وجلّ الجبال كتب في رؤوسها : لا إله إلّا الله ، محمّد رسول الله ، علي أميرالمؤمنين ، ولمّا خلق الله عزّ وجلّ الشمس كتب عليها : لا إله إلّا الله ، محمّد رسول الله ، علي أميرالمؤمنين ، ولمّا خلق الله عزّ وجلّ القمر كتب عليه : لا إله إلّا الله ، محمّد رسول الله ، علي أميرالمؤمنين ؛ وهو السّواد الّذي ترونه في القمر ، فإذا قال أحدكم لا إله إلّا الله ، محمّد رسول الله ، فليقل علي أميرالمؤمنين عليه السلام» .

وعن عبدالله بن الصامت قال : رأيت أباذر آخذاً بحلقة باب الكعبة ، مقبلاً بوجهه للنّاس وهو يقول : أيّها النّاس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فسأُنبّئه باسمي ، أنا جندب ابن السكن بن عبدالله ، أنا أبوذر الغفاري ، أنا رابع أربعة ممّن أسلم مع رسول الله صلّى الله عليه وآله ، سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول ـ وذكر الحديث بطوله إلى قوله ـ : ألا أيّتها الأُمّة المتحيّرة بعد نبيّها ، لو قدّمتم من قدّمه الله ، وأخّرتم من أخّره الله ، وجعلتم الولاية حيث جعلها الله ، لما عال وليّ الله ، ولما ضاع فرض من فرائض الله ، ولا اختلف اثنان في حكم من أحكام الله إلّا كان علم ذلك عند أهل بيت نبيّكم ، فذوقوا وبال ماكسبتم ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ .

↩ في أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام ، وفي خلاصة العلّامة : القاسم بن بريد ـ بالباء المنقّطة تحتها نقطة مضمومة ـ ابن معاوية العجلي ثقة ، روى عن أبي عبدالله عليه السلام .

وروي عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «إنّ العلم الّذي هبط به آدم من الجنّة ، وما فضّلت به النبيّون عليهم السلام في عترة نبيّكم ، فأين يتاه بكم» ؟

قال سليم بن قيس: سأل رجل عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال ـ وأنا أسمع ـ : أخبرني بأفضل منقبة لك .

قال عليه السلام : «ما أنزل الله في كتابه» .

قال : وما أنزل الله فيك ؟

قال : «﴿ **أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ** ﴾[1] أنا الشاهد من رسول الله صلى الله عليه وآله .

وقوله : ﴿ **وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ** ﴾[2] إيّاي عنى بـ «مَن عنده علم الكتاب» .

فلم يدع شيئاً أنزله الله فيه إلّا ذكره ، مثل قوله : ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** ﴾ وقوله : ﴿ **أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾[3] وغير ذلك .

---

(١) هود ١٧.

الحمويني في فرائد السمطين أخرج بسنده عن ابن عبّاس ، وبسنده عن زرارة وهما عن عليّ كرّم الله وجهه قال : «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان على بيّنة من ربّه وأنا التّالي الشاهد منه» .

أيضاً ابن المغازلي أخرج بسنده عن عباد بن عبدالله قال : سمعت عليّاً كرّم الله وجهه يقول في خطبته : «ما نزلت آية من كتاب الله إلّا وقد علمت متى أُنزلت ، وفيمن أُنزلت ، وما من قريش رجل إلّا وقد نزلت فيه آية من كتاب الله عزّ وجلّ تسوقه إلى جنّة أو نار» .

قال رجل : يا أميرالمؤمنين فما نزلت فيك ؟

قال : «أما تقرأ ﴿ **أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ** ﴾ الآية ؛ فرسول الله على بيّنة من ربّه وأنا التّالي الشاهد منه . [ينابيع المودّة ٩٩]

(٢) الرعد ٤٣.

عن عطيّة العوفي عن أبي سعيد الخدري قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن هذه الآية : ﴿ **الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ** ﴾ قال : «ذاك وزير أخي سليمان بن داود عليهما السلام» ، وسألته عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ** ﴾ قال : «ذاك أخي عليّ بن أبي طالب» . [ينابيع المودّة ١٠٣]

(٣) النساء ٥٩.

في ص ١١٤ من ينابيع المودّة قال : في المناقب في تفسير مجاهد : إنّ هذه الآية نزلت في أميرالمؤمنين عليه السلام حين خلّفه رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة فقال : «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى حين قال موسى : أخلفني في قومي وأصلح» .

قال : قلت : فأخبرني بأفضل منقبة لك من رسول الله صلى الله عليه وآله .

فقال : «نصبه إيّاي يوم غدير خم ، فقال لي بالولاية بأمر الله عزّ وجلّ ، وقوله : «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى» ، وسافرت مع رسول الله صلى الله عليه وآله ليس له خادم غيري ، وكان له لحاف ليس له لحاف غيره ، ومعه عائشة ، وكان رسول الله ينام بيني وبين عائشة ليس علينا ثلاثتنا لحاف غيره ، فإذا قام إلى صلاة الليل يخطّ بيده اللحاف من وسطه بيني وبين عائشة حتّى يمسّ اللحاف الفراش الّذي تحتنا ، فأخذتني الحمّىٰ ليلة فأسهرتني ، فسهر رسول الله صلى الله عليه وآله لسهري ، فبات ليلته بيني وبين مصلّاه يصلّي ما قدّر له ، ثمّ يأتيني يسألني وينظر إليّ ، فلم يزل ذلك دأبه حتّى أصبح ، فلمّا صلّى بأصحابه الغداة قال : «اللّهمّ اشف علياً وعافه فإنّه أسهرني الليلة ممّا به» ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله ـ بمسمع من أصحابه ـ : «أبشر يا علي» .

قلت : بشّرك الله بخير يا رسول الله وجعلني فداك .

قال : «إنّي لم أسأل الله الليلة شيئاً إلّا أعطانيه ، ولم أسأله لنفسي شيئاً إلّا سألت لك مثله ، وإنّي دعوت الله عزّ وجلّ أن يؤاخي بيني وبينك ففعل ، وسألته أن يجعلك وليّ كلّ مؤمن ومؤمنة ففعل ، وسألته أن يجمع عليك اُمّتي بعدي فأبى عَلَيّ» .

فقال رجلان أحدهما لصاحبه : أرأيت ما سأل ؟ فوالله لصاع من تمر خير ممّا سأل ، ولو كان سأل ربّه أن ينزّل عليه ملكاً يعينه على عدوّه ، أو ينزّل عليه كنزاً ينفقه وأصحابه فإنّ بهم حاجة كان خيراً ممّا سأل ، وما دعا علياً قط إلى خير إلّا استجاب له .

احتجاجه عليه السلام على الناكثين بيعته في خطبة خطبها حين نكثوها

فقال : «إنّ الله ذاالجلال والإكرام لمّا خلق الخلق واختار خيرة من خلقه ، واصطفى صفوة من عباده ، وأرسل رسولاً منهم ، وأنزل عليه كتابه ، وشرع له دينه وفرض فرائضه ، فكانت الجملة قول الله عزّوجلّ ذكره حيث أمر فقال : ﴿ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ فهو لنا أهل البيت خاصّة دون غيرنا ، فانقلبتم على أعقابكم ، وارتددتم ونقضتم الأمر ، ونكثتم العهد ، ولم تضرّوا الله شيئاً ، وقد أمركم أن تردّوا الأمر إلى الله وإلى رسوله وإلى أولي الأمر منكم ؛ المستنبطين للعلم ، فأقررتم ثمّ جحدتم ، وقد قال الله لكم : ﴿ أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾[1] إنّ

---

(١) البقرة ٤٠.

أهل الكتاب والحكمة والإيمان آل إبراهيم عليه السلام ، بيّنه الله لهم فحسدا ، فأنزل الله جلّ ذكره : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُلْكاً عَظِيماً * فَمِنْهُم مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيراً ﴾[1] ؛ فنحن آل إبراهيم فقد حُسِدنا كما حُسِد آبائنا ، وأوّل من حسد آدم الّذي خلقه الله عزّ وجلّ بيده ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلّمه الأسماء كلّها ، وأصطفاه على العالمين ، فحسده الشيطان فكان من الغاوين ، ثمّ حسد قابيل هابيل فقتله فكان من الخاسرين ، ونوح حسده قومه فقالوا : ﴿ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ ﴾[2] ولله الخيرة ؛ يختار من يشاء ويختصّ برحمته من يشاء ، ويؤتي الحكمة والعلم من يشاء ، ثمّ حسدوا نبيّنا محمّداً .

ألا ونحن أهل البيت الّذين أذهب الله عنهم الرّجس ، ونحن المحسودون كما حُسِد آبائنا ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ ﴾[3] وقال : ﴿ وَأُولُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللهِ ﴾[4] ؛ فنحن أولى النّاس بإبراهيم ، ونحن ورثناه ، ونحن أولوا الأرحام الّذين ورثنا الكعبة ، ونحن آل إبراهيم ، أفترغبون عن ملّة إبراهيم وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾[5] ؟

يا قوم أدعوكم إلى الله وإلى رسوله ، وإلى كتابه ، وإلى وليّ أمره ، وإلى وصيّه ووارثه من بعده ، فاستجيبوا لنا ، واتّبعوا آل إبراهيم ، واقتدوا بنا ، فإنّ ذلك لنا آل إبراهيم فرضاً واجباً ، والأفئدة من النّاس تهوي إلينا ، وذلك دعوة إبراهيم حيث قال : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾[6] ؛ فهل نقمتم منّا إلّا أن آمنّا بالله وما أنزل علينا ، ولا تتفرّقوا فتضلّوا ، والله شهيد عليكم ، قد أنذرتكم ، ودعوتكم ، وأرشدتكم ، وأنتم وما تختارون» .

---

(١) النساء ٥٤ ـ ٥٥.

(٢) المؤمنون ٣٣ ـ ٣٤.

(٣) آل عمران ٦٨.

(٤) الأحزاب ٦.

(٥) إبراهيم ٣٦.

(٦) إبراهيم ٣٧.

احتجاج اميرالمؤمنين عليه السلام على الزبير بن العوام وطلحة بن عبدالله لمّا أزمعا على الخروج عليه والحجّة في أنهما خرجا من الدّنيا غير تائبين من نكث البيعة

روي عن ابن عبّاس رضي الله عنه أنّه قال: كنت قاعداً عند عليّ عليه السلام حين دخل عليه طلحة والزبير، فاستأذناه في العمرة، فأبى أن يأذن لهما، وقال: «قد اعتمرتما»، فأعادا عليه الكلام، فأذن لهما، ثمّ التفت إليّ فقال: «والله ما يريدان العمرة، وإنّما يريدان الغدرة».

قلت له: فلا تأذن لهما.

فردّهما ثمّ قال لهما: «والله ما تريدان العمرة، وما تريدان إلّا نكثاً لبيعتكما، وفرقة لأُمّتكما».

فحلفا له، فأذن لهما، ثمّ التفت إليّ فقال: «والله ما يريدان العمرة».

قلت: فلم أذنت لهما ؟

قال: «حلفا لي بالله».

قال: فخرجا إلى مكّة فدخلا على عائشة فلم يزالا بها حتّى أخرجاها.

وروي أنّه عليه السلام قال - عند توجّههما إلى مكّة للإجتماع مع عايشة للتأليب عليه - بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه: «أمّا بعد؛ فإنّ الله صلى الله عليه وآله بعث محمّداً للنّاس كافّة، وجعله رحمة للعالمين؛ فصدع بما أُمر به[1] وبلّغ رسالات ربّه، فلمّ به الصّدع[2] ورتّق به الفتق[3] وأمن به السّبل[4] وحقن به الدّماء[5] وألّف بين ذوي الأحن[6] والعداوة والوغر في الصّدور، والضغائن الراسخة في القلوب، ثمّ قبضه الله إليه حميداً لم يقصر في الغاية الّتي إليها أدّى الرّسالة، ولا بلّغ شيئاً كان في التقصير عنه عند الفقد، وكان من بعده ماكان من التنازع في الإمرة، وتولّى أبوبكر، وبعده عمر، ثمّ عثمان، فلمّا كان من أمره ماكان أتيتموني، فقلتم: بايعنا، فقلت: لا أفعل، فقلتم: بلى، فقلت: لا،

---

(١) صدع بالأمر: أبانه وأظهره.

(٢) الصدع: الكسر.

(٣) الرتق: ضدّ الفتق وهو الإلتيام.

(٤) السبل: الطرق.

(٥) حقنت دمه: خلاف هدرته، كأنّك جمعته في صاحبه.

(٦) الأحن: الضغائن.

وقبضت يدي فبسطتموها ، ونازعتكم فجذبتموها ، وتداككتم عَلَيّ تداكّ الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها ، حتّى ظننت أنّكم قاتلي ، وأنّ بعضكم قاتل بعض ، فبسطت يدي فبايعتموني مختارين ، وبايعني في أوّلكم طلحة والزبير طائعَين غير مكرهَين ، ثمّ لم يلبثا أن استأذناني في العمرة ، والله يعلم أنّهما أرادا الغدرة ، فجدّدت عليهما العهد في الطاعة ، وأن لا يبغيا للأُمّة الغوائل ، فعاهداني ، ثمّ لم يفيا لي ، ونكثا بيعتي ، ونقضا عهدي ، فعجباً من انقيادهما لأبي بكر وعمر ، وخلافهما لي ، ولست بدون أحد الرّجلين ، ولو شئت أن أقول لقلت : اللّهمّ اغضب عليهما بما صنعا ، وظفّرني بهما» .

وقال في أثناء كلام آخر : «وهذا طلحة والزبير ليسا من أهل النبوّة ، ولا من ذرّيّة الرسول ، حين رأيا أن الله قد ردّ علينا حقّنا ، بعد أن أُعصر ، فلم يصبرا حولاً كاملاً ، ولا شهراً كاملاً ، حتّى وثبا عَلَيّ ، دأب الماضين قبلهما ، ليذهبا بحقّي ، ويفرّقا جماعة المسلمين عنّي» ثمّ دعا عليهما .

وعن سليم بن قيس الهلالي قال : لمّا التقى أمير المؤمنين عليه السلام أهل البصرة يوم الجمل ، نادى الزبير : «يا أباعبدالله أُخرج إليّ» ، فخرج الزبير ومعه طلحة ، فقال لهما : «والله إنّكما لتعلمان وأولوا العلم من آل محمّد وعائشة بنت أبي بكر أنّ كلّ أصحاب الجمل ملعونون على لسان محمّد صلى الله عليه وآله ، وقد خاب من افترى» .

قالا : كيف نكون ملعونين ونحن أصحاب بدر وأهل الجنّة ؟!

فقال عليه السلام : «لو علمت أنّكم من أهل الجنّة لما استحللت قتالكم» .

فقال له الزبير : أما سمعت حديث سعيد بن عمرو بن نفيل وهو يروي أنّه سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : عشرة من قريش في الجنّة ؟

قال عليّ عليه السلام : «سمعته يحدّث بذلك عثمان في خلافته» .

فقال الزبير : أفترى كذّب على رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

فقال له عليّ عليه السلام : «لست أُخبرك بشيء حتّى تسمّيهم» .

قال الزبير : أبوبكر ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وعبدالرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقّاص ، وأبوعبيدة بن الجرّاح ، وسعيد بن عمرو بن نفيل .

فقال له عليّ عليه السلام : «عددت تسعة ، فمن العاشر» ؟

قال له : أنت .

قال عليّ عليه‌السلام : «قد أقررت أنّي من أهل الجنّة ، وأمّا ما ادّعيت لنفسك وأصحابك فأنا به من الجاحدين الكافرين» .

قال له الزبير : أفتراه كذّب على رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ؟

قال عليه‌السلام : «ما أراه كذّب ، ولكنّه والله اليقين» .

فقال عليّ عليه‌السلام : «والله إنّ بعض من سمّيته لفي تابوت في شعب في جبّ في أسفل درك من جهنّم ، على ذلك الجبّ صخرة إذا أراد الله أن يسعر جهنّم رفع تلك الصّخرة ، سمعت ذلك من رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ، وإلّا أظفرك الله بي وسفك دمي على يديك ، وإلّا أظفرني الله عليك وعلى أصحابك وسفك دمائكم على يدي ، وعجّل أرواحكم إلى النّار» .

فرجع الزبير إلى أصحابه وهو يبكي .

وروى نصر بن مزاحم أنّ أميرالمؤمنين عليه‌السلام حين وقع القتال وقُتِل طلحة ، تقدّم على بغلة رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وآله الشهباء بين الصفّين ، فدعا الزبير ، فدنى إليه حتّى اختلف أعناق دابّتيهما ، فقال : «يا زبير أُنشدك بالله أسمعت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله يقول «إنّك ستقاتل عليّاً وأنت له ظالم» ؟

قال : نعم .

قال : «فَلِم جئت» ؟

قال : جئت لأصلح بين النّاس .

فأدبر الزّبير وهو يقول :

ترك الأُمور الّتي تخشى عواقبها ... لله أجمل في الدّنيا وفي الدّين

أتى عليّ بأمر كنت أعرفه ... قد كان عمر أبيك الخير مذ حين

فقلت حسبك من عذل أباحسن ... بعض الّذي قلت هذا اليوم يكفيني

فاخترت عاراً على نار مؤجّجة ... أنّى يقوم لها خلق من الطّين

نبّئت طلحة وسط النقع منجدلاً ... مأوى الضيوف ومأوى كلّ مسكين

قد كنت أنصر أحياناً وينصرني ... في النائبات ويرمي من يراميني

حتّى ابتُلينا بأمر ضاق مصدره ... فأصبح اليوم ما يعنيه يعنيني

قال : وأقبل الزبير على عائشة ، فقال : يا أُمّه مالي في هذا بصيرة ، وإنّي منصرف .

فقالت عائشة : يا أباعبدالله أفررت من سيوف ابن أبي طالب ؟

فقال : إنّها والله طوال حداد ، تحملها فتية أنجاد[1] ؛ ثمّ خرج راجعاً ، فمرّ بوادي السباع ، وفيه الأحنف بن قيس قد اعتزل من بني تميم ، فأخبر الأحنف بانصرافه ، فقال : ما أصنع به إن كان الزبير ألقى بين غارتين[2] من المسلمين وقتل أحدهما بالآخر ثمّ هو يريد اللحاق بأهله ، فسمعه ابن جرموز فخرج هو ورجلان معه ـ وقد كان لحق بالزبير رجل من كليب ومعه غلامه ـ فلمّا أشرف ابن جرموز وصاحباه على الزبير ، فحرّك الرجلان رواحلهما ، وخلّفا الزبير وحده ، فقال لهما الزبير : مالكما ؟ هم ثلاثة ونحن ثلاثة ، فلمّا أقبل ابن جرموز قال له الزبير : إليك عنّي .

فقال ابن جرموز : يا أباعبدالله إنّي جئتك لأسألك عن أُمور النّاس .

قال : تركت النّاس يضرب بعضهم وجوه بعضهم بالسيف .

قال ابن جرموز : أخبرني عن أشياء أسألك عنها .

قال : هات .

قال : أخبرني عن خذلان عثمان ، وعن بيعتك عليّاً ، وعن نقضك بيعته ، وعن إخراجك أُمّ المؤمنين عائشة ، وعن صلاتك خلف ابنك ، وعن هذه الحرب الّتي جنيتها ، وعن لحوقك بأهلك ؟

فقال : أمّا خذلي عثمان فأمر قدّم الله فيه الخطبة وأخّر فيه التوبة ، وأمّا بيعتي عليّاً فلم أجد منها بدّاً إذ بايعه المهاجرون والأنصار ، وأمّا نقضي بيعته فإنّما بايعته بيدي دون قلبي ، وأمّا إخراجي أُمّ المؤمنين فأردنا أمراً وأراد الله أمراً غيره ، وأمّا صلاتي خلف ابني فإن خالته قدّمته .

فتنحّى ابن جرموز عنه وقال : قتلني الله إن لم أقتلك .

وروي أنّه جيء إلى أميرالمؤمنين برأس الزبير وسيفه ، فتناول سيفه ، وقال : «طالما والله جلى به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولكنّ الحَيْن ومصارع السوء» .

وروي أنّه عليه السلام لمّا مرّ على طلحة من بين القتلى قال : «أقعدوه» ؛ فأُقعد ، فقال : «إنّه كانت لك سابقة من رسول الله ، لكن الشيطان دخل في منخريك فأوردك النّار» .

وروي أنّه عليه السلام مرّ عليه فقال : «هذا ناكث بيعتي ، والمنشئ للفتنة في الأُمّة ، والمُجلب عَلَيّ ،

---

(١) أنجاد : أشدّاء ، شجعان .

(٢) قال ابن الأثير ـ في النهاية ٣/٣٩٤ ـ : في حديث عليّ عليه السلام قال يوم الجمل : «ما ظنّك بامرءٍ جمع بين هذين الغارين» أي الجيشين ، والغار : الجماعة .

الدّاعي إلى قتلي وقتل عترتي ، أجلسوا طلحة» فأُجلس ، فقال أميرالمؤمنين : «يا طلحة بن عبيدالله قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً ، فهل وجدت ما وعدك ربّك حقّاً» ؟ ثمّ قال : «أضجِعوا طلحة» ، وسار .

فقال له بعض من كان معه : يا أميرالمؤمنين أتكلّم طلحة بعد قتله ؟

فقال : «أما والله سمع كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله ﷺ يوم بدر» .

هكذا فعل عليه السلام بكعب بن شور القاضي لمّا مرّ به قتيلاً ، وقال : «هذا الّذي خرج علينا في عنقه مصحف ، يزعم أنّه ناصر أُمّه[1] يدعو النّاس إلى ما فيه ، وهو لا يعلم ما فيه ، ثمّ استفتح وخاب كلّ جبّار عنيد ، أمّا إنّه دعا الله أن يقتلني فقتله الله» .

وروي أنّ مروان بن الحكم هو الّذي قتل طلحة بسهم رماه به .

وروي أيضاً أنّ مروان بن الحكم يوم الجمل كان يرمي بسهامه في العسكرين معاً ، ويقول : من أصبت منهما فهو فتح ، لقلّة دينه ، وتهمته للجميع .

وقيل : إنّ اسم الجمل الّذي ركبته يوم الجمل عائشة «عسكر» من ولد إبليس اللعين ، ورؤي منه ذلك اليوم كلّ عجيب ، لأنّه كلّما أُبتر منه قائمة من قوائمه ثبت على أُخرى ، حتّى نادى أميرالمؤمنين عليه السلام : «اُقتلوا الجمل فإنّه شيطان» ، وتولّى محمّد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر رحمة الله عليهما عقره بعد طول دمائه[2] .

وروى الواقدي[3] أنّ عمّار بن ياسر رحمة الله عليه ، لمّا دخل على عائشة ، فقال : كيف رأيت ضرب نبيّك على الحق ؟

فقالت : استبصرت من أجل أنّك غلبت .

فقال عمّار : أنا أشدّ استبصاراً من ذلك ، والله لو ضربتمونا حتّى تبلغونا سعيفات هجر لعلمنا أنّا

---

(١) أي ناصر عائشة .

(٢) في بعض النسخ «بعد طول دعائه» .

(٣) أبو عبدالله محمّد بن عمر بن واقد المدني ، كان إماماً عالماً له التصانيف ، والمغازي وفتوح الأمصار ، وله كتاب الردّة وغير ذلك ، تولّى القضاء بشرقي بغداد ، وولّاه المأمون القضاء بعسكر المهدي ، وهي المحلّة المعروفة بالرصافة بالجانب الشرقي من بغداد ، عمّرها المنصور لولده المهدي فنسب إليه .

قال ابن النديم : إنّ الواقدي كان يتشيّع ، حسن المذهب ، يلزم التقيّة ، وهو الّذي روى أنّ عليّاً عليه السلام كان من معجزات النّبيّ ﷺ كالعصا لموسى عليه السلام وإحياء الموتى لعيسى بن مريم .

ولد سنة ١٣٠ وتوفّي سنة ٢٠٧ ، وصلّى عليه محمّد بن سماعة ، ودفن بمقابر خيزران . [عن الكنى والألقاب للقمّي ٣/٢٣٠ ـ ٢٣٣]

على الحق ، وأنّكم على الباطل .

فقالت عائشة : هكذا يخيّل إليك يا عمّار ، أذهبت دينك لابن أبي طالب .

وروي عن الباقر عليه السلام أنّه قال : «لمّا كان يوم الجمل ، وقد رشق هودج عائشة بالنّبل ، قال أميرالمؤمنين عليه السلام : والله ما أراني إلّا مطلّقها ، فأُنشد الله رجلاً سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : «يا علي أمر نسائي بيدك من بعدي» لمّا قام فشهد» ؟

فقال : «فقام ثلاثة عشر رجلاً فيهم بدريّان فشهدونا أنّهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ بن أبي طالب عليه السلام : «يا علي أمر نسائي بيدك من بعدي» .

قال : «فبكت عائشة عند ذلك حتّى سمعوا بكائها ، فقال عليّ عليه السلام : لقد أنبأني رسول الله صلى الله عليه وآله بنبأ ، فقال : «إنّ الله يمدّك يا علي يوم الجمل بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين» .

وروي أنّ ابن عبّاس قال لأميرالمؤمنين عليه السلام ـ حين أبت عائشة الرجوع ـ : دعها في البصرة ولا ترحّلها .

فقال عليّ عليه السلام : «إنّها لا تألو شرّاً ، ولكنّي أردّها إلى بيتها» .

وروى محمّد بن إسحاق[1] أنّ عائشة لمّا وصلت إلى المدينة راجعة من البصرة ، لم تزل تحرّض النّاس على أميرالمؤمنين ، وكتبت إلى معاوية وأهل الشام مع الأسود بن أبي البختري ؛ تحرّضهم عليه عليه السلام .

وروي أنّ عمرو بن العاص قال لعائشة : لوددت أنّكِ قُتلت يوم الجمل !

فقالت : ولِمَ ، لا أباً لك ؟

قال : كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنّة ، ونجعلكِ أكثر للتشنيع على عليّ .

---

(١) محمّد بن إسحاق أخو يزيد شعر ـ بالشين المعجمة والعين المهملة والراء ـ.

روى الكشي عن حمدويه عن الحسن بن موسى قال : حدّثني يزيد بن إسحاق شعر : إنّ محمّداً أخاه كان يقول بحيات الكاظم عليه السلام فدعا له الرضا عليه السلام حتّى قال بالحق . [خلاصة العلّامة ١٥١]

احتجاج أم سلمة رضي الله عنها[1] زوجة رسول الله على عائشة في الإنكار عليها بخروجها على عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام

روى الشعبي[2] عن عبدالرحمن بن مسعود العبدي قال: كنت بمكّة مع عبدالله بن الزبير وطلحة والزبير، فأرسلا عبدالله بن الزبير وأنا معه، فقالا له: إنّ عثمان قتل مظلوماً، وإنّا نخاف أن ينقضّ أمر اُمّة محمّد، فإن رأت عائشة أن تخرج معنا لعلّ الله أن يرتق بها فتقاً، ويشعب بها صدعاً.

قال: فخرجنا نمشي حتّى انتهينا إليها، فدخل عبدالله بن الزبير معها في سترها، وجلست على الباب، فأبلغها ما أرسلا به إليها، فقالت: سبحان الله! ما اُمرت بالخروج، وما تحضرني من اُمّهات

---

(١) اُمّ المؤمنين اُمّ سلمة: بنت أبي اُميّة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشيّة المخزوميّة، واُمّها عاتكة بنت عبدالمطّلب زوج النبيّ صلى الله عليه وآله، واسمها هند، وكان أبوها يعرف بزاد الركب، من المهاجرات إلى الحبشة، وإلى المدينة.

وكانت مستودعة لبعض الوصايا وميراث النبوّة، وكان عندها البساط الّذي سار به أميرالمؤمنين إلى أصحاب الكهف، ولمّا سار أميرالمؤمنين عليه السلام إلى الكوفة استودعها كتبه والوصيّة، فلمّا رجع الحسن عليه السلام دفعتها إليه، ولمّا توجّه الحسين عليه السلام إلى العراق استودعها كتبه والوصيّة وأوصاها أن تدفعها إلى عليّ بن الحسين؛ ففعلت.

وفي الدرّ النظيم للشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي، قال بعد خطبة فاطمة عليها السلام وكلام أبي بكر: فقالت اُمّ سلمة رضي الله عنها، حيث سمعت ما جرى لفاطمة عليها السلام: ألمثل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله يقال هذا القول؟! هي والله الحوراء بين الإنس، والنفس للنفس، ربّيت في حجور الأتقياء، وتناولتها أيدي الملائكة، ونمت في حجور الطاهرات، ونشأت خير نشأ، وربّيت خير مربى، أتزعمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حرّم عليها ميراثه ولم يعلمها؟ وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ أفأنذرها وخالفت متطلّبة وهي خيرة النسوان، واُمّ سادة الشبّان، وعديلة ابنة عمران، تمّت بأبيها رسالات ربّه، فوالله لقد كان يشفق عليها من الحرّ والقرّ، ويوسّدها يمينه، ويلحفها بشماله، رويداً ورسول الله صلى الله عليه وآله بمرأى منكم!! وعلى الله تردّون واهاً لكم فسوف تعلمون!!

قال: فحُرمت اُمّ سلمة عطاها تلك السنة.

نعم وفي بيتها نزلت آية التطهير.

وهي آخر من مات من نساء النبيّ صلى الله عليه وآله، ماتت في زمن يزيد سنة ٦٣. [راجع: اُسد الغابة ٥/٥٨٨، سفينة البحار ١/٦٤٢ـ٦٤٣]

(٢) الشعبي ـ بفتح الأوّل وسكون الثاني ـ أبو عمر عامر بن شراحيل الكوفي، ينسب إلى شعب بطن من همدان، يُعَدّ من كبار التابعين وجلّتهم، وكان فقيهاً شاعراً. روى عن خمسين ومائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كذا عن السمعاني. مات فجأة بالكوفة سنة ١٠٤، ويظهر من ابن خلّكان أنّ الشعبي كان قاضياً على الكوفة. [الكنى والألقاب ٢/٣٢٧ـ٣٢٨]

المؤمنين إلّا أُم سلمة ، فإن خرجَت ، خرجتُ معها .

فرجع إليهما فبلّغهما ذلك ، فقالا : إرجع إليها فلتأتها فهي أثقل عليها منّا .

فرجع إليها فبلّغها ، فأقبلت حتّى دخلت على أُمّ سلمة ، فقالت أمّ سلمة : مرحباً بعائشة ، والله ما كنت لي بزوّارة ، فما بدا لك ؟

قالت : قدم طلحة والزبير فخبّرا أنّ أميرالمؤمنين عثمان قتل مظلوماً .

قال : فصرخت أُم سلمة صرخة أسمعت مَن في الدّار فقالت : يا عائشة أنت بالأمس تشهدين عليه بالكفر ، وهو اليوم أميرالمؤمنين قتل مظلوماً !! فما تريدين ؟!

قالت : تخرجين معنا ، فلعلّ الله أن يصلح بخروجنا أمر أُمّة محمّد .

قالت : يا عائشة أخرج ، وقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله ما سمعنا ؟ نشدتك بالله يا عائشة ، الّذي يعلم صدقك إن صدقت ، أتذكرين يوماً كان نوبتك من رسول الله صلى الله عليه وآله فصنعت حريرة في بيتي فأتيته بها وهو صلى الله عليه وآله يقول : «والله لا تذهب اللّيالي والأيّام حتّى تتنابح كلاب ماء بالعراق يقال له : الحوأب ، امرأة من نسائي في فئة باغية» ، فسقط الإناء من يدي ، فرفع رأسه إليّ وقال : «مالكِ يا أُمّ سلمة» ؟ فقلت : يا رسول الله ألا يسقط الإناء من يدي وأنت تقول ما تقول ؟ ما يؤمنني أن أكون هي أنا ؟ فضحكتِ أنتِ ، فالتفت إليكِ فقال صلى الله عليه وآله : «ممّا تضحكين يا حمراء السّاقين» ؟ إنّي أحسبكِ هي» ؟

ونشدتكِ بالله يا عائشة ، أتذكرين ليلة أُسري بنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله من مكان كذا وكذا وهو بيني وبين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يحدّثنا ، فأدخلت جملك فحال بينه وبين عليّ عليه السلام ، فرفع مقرعة كانت معه يضرب بها وجه جملك وقال : «أما والله ما يومه منك بواحد ، ولا بليّته منك بواحدة ، أمّا إنّه لا يبغضه إلّا منافق كذّاب» ؟

وأُنشدكِ بالله ، أتذكرين مرض رسول الله صلى الله عليه وآله الّذي قبض فيه ، فأتاه أبوك يعوده ومعه عمر ـ وقد كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام يتعاهد ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله ونعله وخفّه ويصلح ما وهىٰ منها ، فدخل قبل ذلك فأخذ نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وهي حضرميّة فهو يخصفها خلف البيت ـ فاستأذنا عليه فأذن لهما ، فقالا : يا رسول الله كيف أصبحت ؟ فقال : «أصبحت أحمد الله» . قالا : لابدّ من الموت ؟ قال : «أجل لابدّ من الموت» . قالا : يا رسول الله فهل استخلفت أحداً ؟ قال : «ما خليفتي عليكم إلّا خاصف النّعل» . فخرجا فمرّا على عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو يخصف نعل

رسول الله صلى الله عليه وآله ،كلّ ذلك تعرفينه يا عائشة وتشهدين عليه ؟!

ثمّ قالت أُمّ سلمة : يا عائشة ! أنا أخرج على عليّ عليه السلام بعد الّذي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله ؟!

فرجعت عائشة إلى منزلها ، فقالت : يابن الزّبير ، أبلغهما أنّي لست بخارجة من بعد الّذي سمعته من أُمّ سلمة .

فرجع فبلّغهما .

قال : فما انتصف اللّيل حتّى سمعت رغاء إبلهما ترتحل ، فارتحلت معهما .

وروي عن الصّادق عليه السلام أنّه قال : «دخلت أُمّ سلمة بنت أبي أُميّة على عائشة لمّا أزمعت الخروج إلى البصرة ، فحمدت الله وصلّت على النّبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ قالت : يا هذه إنّك سدة بين رسول الله وبين أُمّته ، وحجابه عليك مضروب وعلى حرمته ، وقد جمع «القرآن» ذيلك فلا تندحيه[1] ، وضمّ ظفرك فلا تنشريه ، وشدّ عقيرتك فلا تصحريها[2] ، إنّ الله من وراء هذه الأُمّة ، وقد علم رسول الله صلى الله عليه وآله مكانك ، لو أراد أن يعهد إليك فعل ، بل نهاك عن الفرطة في البلاد[3] ، إنّ عمود الدّين لن يثاب[4] بالنساء إن مال ، ولا يرأب بهنّ إن انصدع[5] ، حمادي النّساء غضّ الأطراف ، وضمّ الذيول والأعطاف ، وماكنت قائلة لو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عارضك في بعض هذه الفلوات ، وأنت ناصّةً قعوداً من منهل إلى منهل ، ومنزل إلى منزل ، ولغير الله مهواك ، وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله تردين ، وقد هتكت عنك سجافه ، ونكثت عهده ، وبالله أحلف أن لو سرتُ مسيرك ، ثمّ قيل لي ادخلي الفردوس لاستحييت من رسول الله صلى الله عليه وآله أن ألقاه هاتكة حجاباً ضربه عَلَيّ ، فاتّقي الله ، واجعليه حصناً ، وقاعة الستر منزلاً ، حتّى تلقيه ، إنّ أطوع ما تكونين لربّك ما قصرت عنه ، وأنصح ما تكونين لله ما لزمتيه ، وأنصر ما تكونين للدّين ما قعدتِ عنه ، وبالله أحلف لو حدّثتكِ بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله لنهشتني نهش الرقشاء المطرقة[6] .

فقالت لها عائشة : ما أعرفني بموعظتك ، وأقبلني لنصحك ، ليس مسيري على ما تظنّين ، ما أنا

---

(١) أي لا توسّعيه وتنشريه .

(٢) العقيرة الصوت . وصحر الحمار : نهق .

(٣) الفرطة ـ بالضم ـ الخروج والتقدّم ، يقال «فلان ذو فرطه في البلاد» أي أسفار كثيرة .

(٤) ثاب : رجع بعد ذهابه .

(٥) رأب الصدع : أصلحه .

(٦) الرقشاء : الأفعىٰ المنقطة بسواد وبياض ، وفي المثل «نهشتني نهش الرقشاء المطرق» .

بالمغترّة ، ولنعم المطّلع تطلّعت فيه ، فرّقت بين فئتين متشاجرتين ، فإن أقعد ففي غير حرج ، وإن أخرج ففي ما لا غنىً بي عنه من الإزدياد في الأجر» .

قال الصّادق عليه السلام : «فلمّا كان من ندمها أخذت أُمّ سلمة تقول :

لو كان معتصماً من زلّة أحد ... كانت لعائشة الرتبىٰ على النّاس

من زوجة لرسول الله فاضلة ... وذكر آي من «القرآن» مدراس

وحكمة لم تكن إلّا لهاجسها ... في الصدر يذهب عنها كلّ وسواس

يستنزع الله من قوم عقولهم ... حتّى يمرّ الّذي يقضي على الراس

ويرحم الله أُمّ المؤمنين لقد ... تبدّلت لي إيحاشاً بإيناس

فقالت لها عائشة : شتمتِني يا أُخت .

فقالت لها أُمّ سلمة : لا ، ولكنّ الفتنة إذا أقبلت غضّت عين البصير ، وإذا أدبرت أبصرها العاقل والجاهل .

احتجاج أميرالمؤمنين عليه السلام بعد دخوله البصرة بأيّام على من قال من أصحابه أنّه ما قسّم الفيْ فينا بالسويّة، ولا عدل في الرعيّة وغير ذلك من المسائل الّتي سُئِل عنها في خطبة خطبها عليه السلام

روى **يحيى بن عبدالله بن الحسن** ، عن أبيه عبدالله بن الحسن قال : كان أميرالمؤمنين عليه السلام يخطب بالبصرة بعد دخولها بأيّام ، فقام إليه رجل فقال : يا أميرالمؤمنين أخبرني مَن أهل الجماعة ؟ ومَن أهل الفرقة ؟ ومَن أهل البدعة ؟ ومَن أهل السُنّة ؟

فقال : «ويحك أمّا إذا سألتني فافهم عنّي ، ولا عليك أن تسأل عنها أحداً بعدي ؛ أمّا أهل الجماعة فأنا ومن اتّبعني وإن قلّوا ؛ وذلك أنّ الحقّ عن أمر الله تعالى وعن أمر رسوله ، وأمّا أهل الفرقة فهم المخالفون لي ولمن اتّبعني وإن كثروا ، وأمّا أهل السنّة فالمتمسّكون بما سنّه الله لهم ورسوله وإن قلّوا ، وأمّا أهل البدعة فالمخالفون لأمر الله تعالى ولكتابه ولرسوله والعاملون برأيهم وأهوائهم وإن كثروا ، وقد مضى منهم الفوج الأوّل وبقيت أفواج ، وعلى الله قصمها واستيصالها عن جدد الأرض» .

فقام إليه عمّار فقال : يا أميرالمؤمنين ، إنّ النّاس يذكرون الفيْ ويزعمون أنّ من قاتلنا فهو

وماله وولده فئ لنا .

فقام إليه رجل من بكر بن وائل ، يُدعى عبّاد بن قيس ، وكان ذا عارضة ولسان شديد ، فقال : يا أميرالمؤمنين ، والله ما قسمت بالسويّة ، ولا عدلت في الرعيّة .

فقال عليه‌السلام : «ولِمَ ويحك» ؟

قال : لأنّك قسمت ما في العسكر وتركت الأموال والنساء والذريّة .

فقال عليه‌السلام : «أيّها النّاس مَن كانت به جراحة فليداووها بالسمن» .

فقال عبّاد : جئنا نطلب غنائمنا فجاءنا بالترّهات .

فقال له أميرالمؤمنين عليه‌السلام : «إن كنت كاذباً فلا أماتك الله حتّى يدركك غلام ثقيف» .

فقيل : ومَن غلام ثقيف ؟

فقال عليه‌السلام : «رجل لا يدع لله حرمة إلّا انتهكها» .

فقيل : أفيموت أو يُقتل ؟

فقال عليه‌السلام : «يقصمه قاصم الجبّارين بموت فاحش ، يحترق منه دبره لكثرة ما يجري من بطنه .

يا أخا بكر ، أنت امرؤ ضعيف الرأي ، أوَما علمت أنّا لا نأخذ الصغير بذنب الكبير ، وأنّ الأموال كانت لهم قبل الفرقة ، وتزوّجوا على رشدة ، وولدوا على فطرة ، وإنّما لكم ما حوىٰ عسكركم ، وماكان في دورهم فهو ميراث ، فإن عدا أحد منهم أخذناه بذنبه ، وإن كفّ عنّا لم نحمل عليه ذنب غيره .

يا أخا بكر ، لقد حكمت فيهم بحكم رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله في أهل مكّة ، فقسّم ما حوىٰ العسكر ، ولم يتعرّض لما سوى ذلك ، وإنّما اتّبعت أثره حذو النّعل بالنّعل .

يا أخا بكر ، أما علمت أنّ دار الحرب يحلّ ما فيها ، وأنّ دار الهجرة يحرّم ما فيها إلّا بحقّ ؟ فمهلاً مهلاً رحمكم الله ، فإن لم تصدّقوني وأكثرتم عَلَيّ ـ وذلك أنّه تكلّم في هذا غير واحد ـ فأيّكم يأخذ عائشة بسهمه» ؟

فقالوا : يا أميرالمؤمنين ، أصبت وأخطأنا ، وعلمت وجهلنا ، فنحن نستغفر الله تعالى .

ونادى النّاس من كلّ جانب : أصبت يا أميرالمؤمنين ، أصاب الله بك الرشاد والسداد .

فقام عبّاد فقال : أيّها النّاس إنّكم والله إن اتّبعتموه وأطعتموه لن يضلّ بكم عن منهل نبيّكم صلى‌الله‌عليه‌وآله حتّى قيس شعرة ، وكيف لا يكون ذلك وقد استودعه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله علم المنايا

والقضايا وفصل الخطاب على منهاج هارون عليه السلام ، وقال له : «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي» فضلاً خصّه الله تعالى به ، وإكراماً منه لنبيّه صلى الله عليه وآله حيث أعطاه ما لم يعط أحداً من خلقه .

ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السلام «اُنظروا رحمكم الله ما تؤمرون فامضوا له ، فإنّ العالم أعلم بما يأتي به من الجاهل الخسيس الأخسّ ، فإنّي حاملكم إن شاء الله إن أطعتموني على سبيل النجاة ، وإن كان فيه مشقّة شديدة ، ومرارة عتيدة ، والدّنيا حلوة الحلاوة لمن اغترّ بها من الشقوة والنّدامة عمّا قليل . ثمّ إنّي اُخبركم أنّ جيلاً من بني إسرائيل أمرهم نبيّهم أن لا يشربوا من النهر ، فلجوا في يترك أمره فشربوا منه إلّا قليل منهم ، فكونوا رحمكم الله من أولئك الّذين أطاعوا نبيّهم ولم يعصوا ربّهم ، وأمّا عائشة فأدركها رأي النّساء ، ولها بعد ذلك حرمتها الاُولى ، والحساب على الله ، يعفو عمّن يشاء ، ويعذّب من يشاء» .

عن الأصبغ بن نباتة[1] قال : كنت واقفاً مع أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل ، فجاء رجل حتّى وقف بين يديه فقال : يا أمير المؤمنين ، كبّر القوم وكبّرنا ، وهلّل القوم وهلّلنا ، وصلّى القوم

---

(١) الأصبغ بن نباتة - بضمّ النون - المجاشعي الحنظلي ، كان من خاصّة أمير المؤمنين ومن ذخائره ، وقد بايعه على الموت . وكان من ثقاته عليه السلام .

روي أنّه دعا يوماً كاتبه عبيدالله بن أبي رافع فقال : «أدخل عشرة من ثقاتي» !

فقال : سمّهم يا أمير المؤمنين ، فسمّاه في أوّلهم .

وكان رحمه الله من فرسان أهل العراق ، وكان يوم صفّين على شرطة الخميس ، وقال لأمير المؤمنين عليه السلام : قدّمني في البقيّة من النّاس فإنّك لا تفقد لي اليوم صبراً ولا نصراً . قال عليه السلام : «تقدّم باسم الله والبركة» وأخذ رايته وسيفه ، فمضى بالراية مرتجزاً ، فرجع وقد خُضّب سيفه ورمحه دماً ، وكان إذا لقى القوم لا يغمد سيفه .

وكان شيخاً ناسكاً عابداً ، قال : كنت أركع عند باب أمير المؤمنين عليه السلام وأنا أدعو الله عزّ وجلّ إذ خرج أمير المؤمنين عليه السلام فقال : «يا أصبغ» !

قلت : لبّيك .

قال : «أيّ شيء كنت تصنع» ؟

قلت : ركعت وأنا أدعو الله .

قال : «أفلا اُعلّمك دعاءاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله» ؟

قلت : بلى .

قال : «قل : الحمد لله على ما كان والحمد لله على كلّ حال» . ثمّ ضرب بيده اليمنى على منكبي الأيسر وقال : «يا أصبغ لئن ثبتت قدمك ، وتمّت ولايتك ، وانبسطت يدك ، فالله أرحم بك من نفسك» .

روى عن أمير المؤمنين عليه السلام عهده للأشتر ووصيّته لمحمّد بن الحنفيّة ، وعمّر بعد أمير المؤمنين عليه السلام ومات مشكوراً . [رجال الطوسي ٣٤ ، رجال العلّامة ٢٤ ، سفينة البحار ٧/٢ ، ٨ ، ١٠]

وصلّينا ، فعلىٰ ما نقاتلهم ؟

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : «على ما أنزل الله عزّوجلّ في كتابه» .

فقال : يا أميرالمؤمنين ، ليس كلّ ما أنزل الله في كتابه أعلمه ، فعلّمنيه .

فقال عليّ عليه السلام : «ما أنزل الله في سورة البقرة» .

فقال : يا أميرالمؤمنين ليس كلّ ما أنزل الله في سورة البقرة أعلمه ، فعلّمنيه .

فقال عليّ عليه السلام : «هذه الآية : ﴿ **تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُم مَن كَلَّمَ ٱللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ ٱللهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ وَلٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ ٱللهُ مَا ٱقْتَتَلُوا وَلٰكِنَّ ٱللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾(١) ؛ فنحن الّذين آمنّا وهم الّذين كفروا» .

فقال الرّجل :كفر القوم وربّ الكعبة ، ثمّ حمل فقاتل حتّى قُتِل رحمه الله .

عن المبارك بن فضالة عن رجل ذكره قال : أتى رجل أميرالمؤمنين عليه السلام بعد الجمل ، فقال : يا أميرالمؤمنين رأيت في هذه الواقعة أمراً هالني من روح قد بانت وجثّة قد زالت ، ونفس قد فاتت ، لا أعرف فيهم مشركاً بالله تعالى ، فالله الله ممّا يجلّلني من هذا ؛ إن يك شرّاً فهذا نتلقّى بالتوبة ، وإن يك خيراً ازددنا منه ، أخبرني عن أمرك هذا الّذي أنت عليه ؛ أفتنة عرضت لك فأنت تنفح النّاس بسيفك(٢) ؟ أم شيء خصّك به رسول الله ؟

فقال عليه السلام : «إذن أُخبرك ، إذن أُنبّئك ، إذن أُحدّثك ، إنّ ناساً من المشركين أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وأسلموا ، ثمّ قالوا لأبي بكر : إستأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى تأتي قومنا فنأخذ أموالنا ثمّ نرجع . فدخل أبوبكر على رسول الله صلى الله عليه وآله فاستأذن لهم ، فقال عمر : يا رسول الله أنرجع من الإسلام إلى الكفر ؟

فقال : «وما علمك يا عمر أن ينطلقوا فيأتوا بمثلهم معهم من قومهم» ؟

ثمّ إنّهم أتوا أبابكر في العام المقبل فسألوه عن يستأذن لهم على النّبيّ ، فاستأذن لهم ، وعنده عمر ، فقال مثل قوله ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال : «والله ما أراكم تنتهون حتّى يبعث الله عليكم رجلاً من قريش يدعوكم إلى الله فتختلفون عنه اختلاف الغنم الشرود» .

---

(١) البقرة ٢٥٣.

(٢) أي تأخذهم بطرف سيفك من بعيد.

فقال له أبوبكر : فداك أبي وأُمّي يا رسول الله أنا هو ؟

قال : «لا» .

قال عمر : فمن هو يا رسول الله ؟

فأومى إليّ وأنا أخصف نعل رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال : «هو خاصف النّعل عندكما ، ابن عمّي ، وأخي ، وصاحبي ، ومبرئ ذمّتي ، والمؤدّي عنّي ديني ، وعداتي ، والمبلّغ عنّي رسالاتي ، ومعلّم النّاس من بعدي ، ومبيّنهم من تأويل «القرآن» ما لا يعلمون» .

فقال الرجل : أكتفي منك بهذا يا أميرالمؤمنين ما بقيت .

فكان ذلك الرّجل أشدّ أصحاب عليّ عليه السلام فيما بعد على من خالفه .

عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: لمّا فرغ عليّ عليه السلام من قتال أهل البصرة ، وضع قتباً على قتب[1] ، ثمّ صعد عليه فخطب ، فحمد الله وأثنى عليه ، فقال : «يا أهل البصرة ، يا أهل المؤتفكة[2] يا أهل الداء العضال[3] أتباع البهيمة[4] يا جند المرأة[5] رغا فأجبتم[6] وعقر فهربتم ، ماءكم زعاق[7] ودينكم نفاق ، وأخلاقكم دقاق» .

ثمّ نزل يمشي بعد فراغه من خطبته ، فمشينا معه ، فمرّ بالحسن البصري وهو يتوضّأ ، فقال : «يا حسن أسبغ الوضوء» .

فقال : يا أميرالمؤمنين لقد قتلت بالأمس أُناساً يشهدون أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله ، يصلّون الخمس ، ويسبغون الوضوء .

فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام : «قد كان ما رأيت فما منعك أن تُعين علينا عدوّنا» ؟

فقال : والله لأُصدّقنّك يا أميرالمؤمنين ، لقد خرجت في أوّل يوم فاغتسلت وتحنّطت وصببت

---

(١) القتب ـ بالتحريك ـ : رحل البعير .

(٢) المؤتفكة : المنقلبة ، قال تعالى ـ في قرى قوم لوط الّتي انقلبت بأهلها ـ : ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ ، وفي حديث البصرة إحدى المؤتفكات .

(٣) الداء العضال ـ بعين مضمومة ـ : المرض الصعب الشديد الّذي يعجز عنه الطبيب .

(٤) يريد : الجمل الّذي ركبته عائشة .

(٥) يريد : عائشة .

(٦) رغا فأجبتم أي الجمل رغا . والرغاء ـ كغراب ـ : صوت ذوات الخف وقد رغا البعير يرغوا رغاً إذا ضجّ ورغت الناقة صوّتت فهي راغية .

(٧) الزعاق ـ كغراب ـ : الماء المرّ الغليظ الّذي لا يطاق شربه .

علَيّ سلاحي وأنا لا أشكُّ في أنّ التخلّف عن أُمّ المؤمنين عائشة هو الكفر ، فلمّا انتهيت إلى موضع من الخريبة ناداني مناد : يا حسن إلى أين ؟ إرجع فإنّ القاتل والمقتول في النّار ؛ فرجعت ذعراً وجلست في بيتي ، فلمّا كان اليوم الثاني لم أشكّ أنّ التخلّف عن أُمّ المؤمنين عائشة هو الكفر ، فتحطنّت وصببت عَلَيّ سلاحي وخرجت أُريد القتال ، حتّى انتهيت إلى موضع من الخريبة فناداني مناد من خلفي : يا حسن إلى أين ؟ مرّة بعد أُخرى ، فإنّ القاتل والمقتول في النّار .

قال عليّ عليه السلام : «صدقت ، أفتدري من ذلك المنادي» ؟

قال : لا .

قال عليه السلام : «ذاك أخوك إبليس ، وصدقك أنّ القاتل والمقتول منهم في النّار»[1] .

فقال الحسن البصري : الآن عرفت يا أميرالمؤمنين أنّ القوم هلكى .

وعن أبي يحيى الواسطي[2] قال : لمّا افتتح أميرالمؤمنين عليه السلام ، اجتمع النّاس عليه ، وفيهم الحسن البصري ومعه الألواح ، فكان كلّما لفظ أميرالمؤمنين عليه السلام بكلمة كتبها ، فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام ـ بأعلى صوته ـ : «ما تصنع» ؟

فقال : نكتب آثاركم لنحدّث بها بعدكم .

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : «أمّا إنّ لكلّ قوم سامري ، وهذا سامري هذه الأُمّة ، أمّا إنّه لا يقول لا مساس ولكن يقول لا قتال» .

احتجاجه عليه السلام على قومه في الحث على المسير إلى الشام لقتال معاوية وفيما أخذ عليهم من العهد والميثاق بالطاعة له حال بيعتهم إيّاه

روي أنّه عليه السلام لمّا عزم على المسير إلى الشام لقتال معاوية قال ـ بعد حمد الله والثناء عليه والصّلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله ـ : «اتّقوا الله عباد الله وأطيعوه ، وأطيعوا إمامكم ، فإنّ الرعيّة الصالحة تنجو بالإمام العادل ، ألا وإنّ الرعيّة الفاجرة تهلك بالإمام الفاجر ، وقد أصبح معاوية غاصباً لما في يديه من حقّي ، ناكثاً لبيعتي ، طاغياً في دين الله عزّ وجلّ ، وقد علمتم أيّها المسلمون ما فعل النّاس بالأمس ،

---

(١) أي : القاتل والمقتول من أصحاب الجمل في النّار .

(٢) أبو يحيى الواسطي واسمه سهيل بن زياد الواسطي ، له كتاب . لقى أبا محمّد العسكري ، أُمّه بنت محمّد بن نعمان أبي جعفر الأحول الملقّب بمؤمن الطاق ، المتكلّم المشهور . [رجال الشيخ ٤٧٦ ، رجال النجاشي ١٣٧]

فجئتموني راغبين إليّ في أمركم ، حتّى استخرجتموني من منزلي لتبايعوني ، فالتويت عليكم لأبلو[١] ما عندكم ، فرادّدتموني القول مراراً ، وراددتكم ، وتداككتم عَلَيّ تداكّ الإبل الهيم[٢] على حياضها حرصاً على بيعتي ، حتّى خفت أن يقتل بعضكم بعضاً ، فلمّا رأيت ذلك منكم روّيت في أمركم وأمري ، وقلت : إن أنا لم أجبهم إلى القيام بأمرهم لم يصيبوا أحداً منهم يقوم فيهم مقامي ويعدل فيهم عدلي ، وقلت : والله لآلينّهم وهم يعلمون حقّي وفضلي أحبّ إليّ من أن يلوني وهم لا يعرفون حقّي وفضلي ، فبسطت لكم يدي فبايعتموني يا معشر المسلمين ، وفيكم المهاجرون والأنصار ، والتابعون بإحسان ، فأخذت عليكم عهد بيعتي ، وواجب صفقتي ، عهد الله وميثاقه ، وأشدّ ما أُخذ على النبيّين من عهد وميثاق ، لتفرّنّ لي ، ولتسمعنّ لأمري ، ولتطيعوني ، وتناصحوني ، وتقاتلون معي كلّ باغ عَلَيّ أو مارق إن مرق ، فأنعمتم لي بذلك جميعاً ، وأخذت عليكم عهد الله وميثاقه ، وذمّة الله وذمّة رسوله ، فأجبتموني إلى ذلك جميعاً ، وأشهدت الله عليكم ، وأشهدت بعضكم على بعض ، فقمت فيكم بكتاب الله ، وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله ، فالعجب من معاوية بن أبي سفيان ينازعني الخلافة ، ويجحد لي الإمامة ، ويزعم أنّه أحقّ بها منّي ، جرأة منه على الله وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، بغير حقّ له فيها ولا حجّة ، ولم يبايعه المهاجرون ، ولا سلم له الأنصار والمسلمون .

يا معشر المهاجرين والأنصار وجماعة من سمع كلامي ، أما أوجبتم لي على أنفسكم الطاعة ؟ أما بايعتموني على الرغبة ؟ أما أخذت عليكم العهد بالقبول لقولي ؟ أمّا بيعتي لكم يومئذ أوكد من بيعة أبي بكر وعمر ، فما بال من خالفني لم ينقض عليهما حتّى مضيا ونقض عَلَيّ ولم يف لي ؟ أما يجب عليكم نصحي ويلزمكم أمري ؟ أما تعلمون أنّ بيعتي يلزم الشاهد منكم والغائب ؟ فما بال معاوية وأصحابه طاغون في بيعتي ؟ ولِمَ لم يفوا لي وأنا في قرابتي وسابقتي وصهري أولى بالأمر ممّن تقدّمني ؟ أما سمعتم قول رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الغدير في ولايتي وموالاتي ؟ فاتّقوا الله أيّها المسلمون وتحاثّوا على جهاد معاوية ؛ القاسط الناكث ، وأصحابه القاسطين الناكثين ، إسمعوا ما أتلوا عليكم من كتاب الله المنزل ، على نبيّه المرسل لتتّعظوا ، فإنّه والله أبلغ عظة لكم ، فانتفعوا بموعظة الله ، وازدجروا عن معاصي الله ، فقد وعظكم الله بغيركم ، فقال لنبيّه صلى الله عليه وآله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى

(١) أي لأختبر ما عندكم .

(٢) الهيم : الإبل العطاش .

ٱلْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَٱللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللهَ ٱصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَٱللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[١] .

أيها النّاس إنّ لكم في هذه الآيات عبرة ، لتعلموا أنّ الله جعل الخلافة والإمرة من بعد الأنبياء في أعقابهم ، وإنّه فضّل طالوت وقدّمه على الجماعة باصطفائه إيّاه ، وزيادة بسطة في العلم والجسم ، فهل تجدون أنّ الله اصطفى بني أُميّة على بني هاشم ، وزاد معاوية عَلَيّ بسطة في العلم والجسم ؟

واتّقوا الله عباد الله وجاهدوا في سبيله قبل أن ينالكم سخطه بعصيانكم له ، قال الله سبحانه : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[٢] ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ ﴾[٣] ، وقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[٤] .

اتّقوا الله عباد الله وتحاثّوا على الجهاد مع إمامكم ، فلو كان لي منكم عصابة بعدد أهل بدر ؛ إذا أمرتهم أطاعوني ، وإذا استنهضتهم نهضوا معي لاستغنيت بهم عن كثير منكم ، وأسرعت النهوض إلى حرب معاوية وأصحابه فإنّه الجهاد المفروض» .

ومن كلامه عليه السلام يجري مجرى الإحتجاج مشتملاً على التوبيخ لأصحابه على تثاقلهم عن قتال معاوية والتفنيد متضمّناً اللوم والوعيد :

«أيّها النّاس إنّي استنفرتكم لجهاد هؤلاء فلم تنفروا[٥] ، وأسمعتكم فلم تجيبوا ، ونصحت لكم

---

(١) البقرة ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٢) المائدة ٧٨ ـ ٧٩.

(٣) الحجرات ١٥.

(٤) الصف ١٠ ـ ١٢.

(٥) النفر : الخروج إلى الغزو ، وأصله الفزع .

فلم تقبلوا ، شهوداً بالغيب[١] ، أتلوا عليكم الحكمة فتعرضون عنها ، وأعظكم بالموعظة البالغة فتنفرون عنها ،كأنّكم حمر مستنفرة ، فرّت من قسورة ، وأحثّكم على جهاد أهل الجور فما آتي على آخر قولي حتّى أراكم متفرّقين أيادي سبأ ، ترجعون إلى مجالسكم تتربّعون حلقاً ، تضربون الأمثال وتنشدون الأشعار ، وتجسّسون الأخبار ، حتّى إذا تفرّقتكم تسألون عن الأخبار جهلاً من غير علم ، وغفلة من غير ورع ، وتتبّعاً من غير خوف ، ونسيتم الحرب والإستعداد لها ، فأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها ، شغلتموها بالأعاليل والأضاليل ، فالعجب كلّ العجب ، وكيف لا أعجب من اجتماع قوم على باطلهم ، وتخاذلكم عن حقّكم .

يا أهل الكوفة أنتم كأُمّ مجالد حملت فأملصت[٢] فمات قيّمها وطال أيّمها[٣] ، وورثها أبعدها ، والّذي فلق الحبّة وبرئ النّسمة إنّ من ورائكم الأغبر الأدبر جهنّم الدّنيا ، لا تبقي ولا تذر ، ومن بعده النهاش الفراس ، الجموع المنوع ، ثمّ ليتوارثنّكم من بني أُميّة عدّة ما الآخر منهم بأرقّ بكم من الأوّل ، ما خلا واحد ، بلاء قضاه الله على هذه الأمّة لا محالة كائن ، يقتلون أخياركم ، ويستعبدون أراذلكم ، ويستخرجون كنوزكم وذخايركم في جوف حجالكم ، نقمة بما صنعتم من أُموركم ، وصلاح أنفسكم ودينكم .

يا أهل الكوفة أُخبركم بما يكون قبل أن يكون ، لتكونوا منه على حذر ، ولتنذروا به من اتّعظ واعتبر ،كأنّي بكم تقولون : إنّ عليّاً يكذب ،كما قالت قريش لنبيّها صلى الله عليه وآله وسلم وسيّدها نبيّ الرّحمة «محمّد بن عبدالله» ، فياويلكم فعلى مَن أكذب ؟ أعلى الله ؛ فأنا أوّل من عبده ووحّده ؟ أم على رسول الله ؛ فأنا أوّل من آمن به وصدّقه ونصره ؟كلّا ولكنّها لهجة خدعة ،كنتم عنها أغنياء ، والّذي فلق الحبّة وبرئ النسمة لتعلمنّ نبأها بعد حين ، وذلك إذا صيّركم إليها جهلكم ، ولا ينفعكم عندها علمكم ، فقبحاً لكم يا أشباه الرّجال ولا رجال ، حلوم الأطفال ، وعقول ربّات الحجال[٤] ، أما والله أيّها الشاهدة أبدانهم ، الغائبة عنهم عقولهم ، المختلفة أهوائهم[٥] ، ما أعزّ الله نصر من

---

(١) الشهود : الحضور .

(٢) أملصت المرأة : أسقطت .

(٣) الأيّم : الّتي مات زوجها .

(٤) الحجال ـ جمع حجلة ـ وهي : الغرفة ، وربّات الحجال النساء .

(٥) الأهواء ـ جمع هو ـ وهو ما تميل إليه النّفس محموداًكان أو مذموماً ، ثمّ غلب في الإستعمال على غير المحمود .

دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم[١] ، ولا قرّت عين من آواكم ، كلامكم يوهن الصمّ الصلاب[٢] ، وفعلكم يطمع فيكم عدوّكم المرتاب ، ويحكم أيّ دار بعد داركم تمتّعون به ؟ ومع أيّ إمام بعدي تقاتلون ؟ المغرور والله من غررتموه ، ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب ، أصبحت لا أطمع في نصرتكم ، ولا أُصدّقكم قولكم ، فرّق الله بيني وبينكم ، وأعقبني بكم من هو خيراً لي منكم ، وأعقبكم بي من هو شرٌّ لكم منّي ، إمامكم يطيع الله وأنتم تعصونه ، وإمام أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه ، والله لوددت أنّ معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم ؛ فأخذ منّي عشرة منكم وأعطاني واحداً منهم ، والله لوددت أنّي لم أعرفكم ولم تعرفوني ، فإنّها معرفة جرت ندماً ، لقد وريتم صدري غيظاً ، وأفسدتم عَلَيّ أمري بالخذلان والعصيان ، حتّى لقد قالت قريش : إنّ عليّاً رجل شجاع لكن لا علم له بالحروب ، لله درّهم ، هل كان فيهم أحد أطول لها مراساً منّي ، وأشدّ بها مقاساة[٣] ، لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، ثمّ ها أنا ذا قد ذرفت على الستّين ، لكن لا أمر لمن لا يطاع ، أما والله لوددت أنّ ربّي قد أخرجني من بين أظهركم إلى رضوانه ، وأنّ المنيّة لترصدني فما يمنع أشقاها أن يخضبها ؟ ـ وترك يده على رأسه ولحيته ـ عهداً عهده إليّ النبيّ الأُمّي وقد خاف من افترى ، ونجا من اتّقى وصدّق بالحسنى .

يا أهل الكوفة ، قد دعوتكم إلى جهاد هؤلاء ليلاً ونهاراً ، وسرّاً وإعلاناً ، وقلت لكم : إغزوهم فإنّه ما غزي قوم في عقر دارهم إلّا ذلّوا ، فتواكلتم[٤] وتخاذلتم وثقل عليكم قولي ، واستصعب عليكم أمري ، واتّخذتموه ورائكم ظهريّاً ، حتّى شنّت عليكم الغارات ، وظهرت فيكم الفواحش والمنكرات ، تمسيكم وتصبحكم ، كما فعل بأهل المثلات من قبلكم ، حيث أخبر الله ﷻ عن الجبابرة العتاة الطغاة ، المستضعفين الغوات ، في قوله تعالى : ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[٥] ، أما والّذي فلق الحبّة وبرئ النّسمة لقد حلّ بكم الّذي توعدون .

عاتبتكم يا أهل الكوفة بمواعظ «القرآن» فلم أنتفع بكم ، وأدّبتكم بالدرّة[٦] فلم تستقيموا لي ، وعاقبتكم بالسوط الّذي يقام به الحدود فلم ترعووا ، ولقد علمت أنّ الّذي يصلحكم هو

---

(١) قاساكم : قهركم .

(٢) الصم ـ جمع أصم ـ وهو من الحجارة : الصلب المصمت . الصلاب ـ جمع صليب ـ وهو الشديد .

(٣) أي : أطول ممارسة وأشدّ معالجة .

(٤) أي أحال كلّ منكم الأمر إلى صاحبه ووكّله إليه ولم يتولّه أحد منكم .

(٥) البقرة ٤٣ .

(٦) الدرّة : السوط والجمع درر مثل سدرة وسدر .

السّيف ، وماكنت متحرّياً صلاحكم بفساد نفسي[١] ، ولكن سيسلّط عليكم سلطان صعب ، لا يوقّر كبيركم ، ولا يرحم صغيركم ، ولا يكرم عالمكم ، ولا يقسم الفيئ بالسويّة بينكم ، وليضربنّكم ، وليذلّنّكم ، وليجرّنّكم في المغازي ، وليقطعنّ سبلكم ، وليجمعنّكم على بابه ، حتّى يأكل قويّكم ضعيفكم ، ثمّ لا يبعد الله إلّا من ظلم ، ولقلّ ما أدبر شيء فأقبل ، وإنّي لأظنّكم على فترة ، وما عَلَيّ إلّا النّصح لكم .

يا أهل الكوفة منيت منكم بثلاث واثنتين[٢] ؛ صُمٌّ ذووا أسماع ، وبُكْمٌ ذووا ألسن ، وعُميٌ ذووا أبصار ، لا إخوان صدق عند اللقاء ، ولا إخوان ثقة عند البلاء .

اللّهمّ إنّي قد مللتهم وملّوني ، وسئمتهم وسئموني[٣] ، اللّهمّ لا ترض عنهم أميراً ولا ترضهم عن أمير ، وأمث قلوبهم كما يماث الملح[٤] بالماء ، أما والله لو أجد بدّاً[٥] من كلامكم ومراسلتكم ما فعلت ، ولقد عاتبتكم في رشدكم حتّى لقد سئمت الحياة ، كلّ ذلك تراجعون بالهزء من القول ، فراراً من الحق ، وإلحاداً إلى الباطل الّذي لا يعزّ الله بأهله الدين ، وإنّي لأعلم أنّكم لا تزيدونني غير تخسير ، كلّما أمرتكم بجهاد عدوّكم اثّاقلتم إلى الأرض ، وسألتموني التأخير ، دفاع ذي الدَين المطول[٦] ، إن قلت لكم في القيظ سيروا ، قلتم : الحرّ شديد ، وإن قلت لكم في البرد سيروا ، قلتم : القرّ شديد ، كلّ ذلك فراراً عن الحرب ، إذاكنتم عن الحر والبرد تعجزون ، فأنتم عن حرارة السيف أعجز وأعجز ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

يا أهل الكوفة قد أتاني الصريح يخبرني أنّ ابن عمر قد نزل الأنبار[٧] على أهلها ليلاً في أربعة آلاف ، فأغار عليهم كما يغار على الروم والخزر ، فقتل بها عاملي ابن حسان ، وقتل معه رجالاً صالحين ، ذوي فضل وعبادة ونجدة ، بوّأ الله لهم جنّات النّعيم ، وإنّه أباحها ، ولقد بلغني أنّ العصبة[٨] من أهل الشام كانوا يدخلون على المرأة المسلمة والأُخرى المعاهدة فيهتكون سترها ،

---

(١) أي متطلّباً صلاحكم بفساد ديني .

(٢) منيت به : امتحنت واختبرت به .

(٣) سئمه : ملّه .

(٤) يماث الملح : يذوب .

(٥) لم تجد لك بدّاً من كذا أي : مَخلصاً منه .

(٦) المطول : الكثير المطل ، وهو : تأخير أداء الدين بلا عذر .

(٧) الأنبار : بلدة على الشاطئ الشرقي للفرات ، ويقابلها على الجانب الغربي هيت .

(٨) العصبة ـ بضمّ العين ـ : جماعة من الرّجال نحو العشرة ، وقيل من العشرة إلى الأربعين .

ويأخذون القناع من رأسها ، والخرص من أُذنها ، والأوضاح من يديها ورجليها وعضديها ، والخلخال والميزر عن سوقها ، فما تمتنع إلّا بالإسترجاع والنداء : يا للمسلمين ، فلا يغيثها مغيث ، ولا ينصرها ناصر ، فلو أنّ مؤمناً مات دون هذا ماكان عندي ملوماً ، بل كان عندي بارّاً محسناً ، واعجباكلّ العجب من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم ، وفشلكم عن حقّكم ، قد صرتم غرضاً[١] يرمى ولا ترمون ، وتُغْزَون ولا تغزون ، ويعصى الله وترضون ، فترِبَت أيديكم يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها ،كلّما اجتمعت من جانب تفرّقت من جانب» .

احتجاجه عليه السلام على معاوية في جواب كتاب كتبه إليه في غيره من المواضع وهو من احسن الحِجاج وأصوبها

«أمّا بعد ؛ فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله تعالى محمّداً لدينه ، وتأييده إيّاه بمن أيّده من أصحابه ، فلقد خبأ[٢] لنا الدهر منك عجباً إذ طفقت[٣] تخبرنا ببلاء الله عندنا ، ونعمته علينا في نبيّنا ، فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هجر[٤] ، أو داعي مُسدّده إلى النضال[٥] ، وزعمت أنّ أفضل النّاس في الإسلام فلان وفلان[٦] ، فذكرت أمراً إن تمّ اعتزلك كلّه ، وإن نقص لم يلحقك ثلمه ، وما أنت والفاضل والمفضول ، والسايس والمسوس ، وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأوّلين ، وترتيب درجاتهم ، وتعريف طبقاتهم ، هيهات لقد حنّ قدح ليس منها[٧] ، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها ، ألا تربّع أيّها الإنسان على ظلعك وتعرّف قصور ذرعك[٨] ،

---

(١) الغرض -بالتحريك- : الهدف الّذي يرمي إليه .

(٢) خبأه : ستره وأخفاه .

(٣) طفق : جعل .

(٤) مثل يضرب لمن يحمل الشيء إلى معدنه لينتفع به فيه ، وهجر معروفة بكثرة التمر .

(٥) المناضلة المرامات ، يقال : ناضله إذا راماه ، ومسدّده : الّذي يعلّمه الرمي ، وهو مثل يضرب لمن يتعالم على معلّمه ، ومثله قوله :

أعلّمه الرّماية كلّ يوم ... فلمّا اشتدّ ساعده رماني

(٦) يريد أبابكر وعمر .

(٧) القدح : السهم ، وهذا المثل يضرب لمن يفتخر بشيء ليس فيه .

(٨) أربع : توقّف وانتظر ، يقال : «أربع على نفسك أو على ظلعك» أي توقّف ولا تستعجل ، والظّلع العيب ، أي أنت ضعيف فانته عمّا لا تطيقه ويقصر عنه باعك .

وتتأخّر حيث أخّرك القدر ، فما عليك غلبة المغلوب ، ولا لك ظفر الظافر ، فإنّك لذهّاب في التيه ، روّاغ عن القصد(١) .

ألا ترى ـ غير مخبر لك لكن بنعمة الله أُحدّث ـ : إنّ قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين ولكلٍّ فضلٌ ، حتّى إذا استشهد شهيدنا قيل : «سيّدالشهداء» ، وخصّه رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه(٢) ؟

أولا ترى أنّ قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله ولكلٍّ فضلٌ ، حتّى إذا فُعِل بواحدنا كما فُعِل بواحدهم قيل : «الطيّار في الجنّة وذوالجناحين»(٣) ؟

ولولا ما نهى الله عن تزكية المرأ نفسه لذكر ذاكر فضائل جمّة تعرفها قلوب المؤمنين ، ولا تمجّها آذان السامعين ، فدع عنك من مالت به الرمية(٤) ، فإنّا صنايع ربّنا ، والنّاس بعد صنايع لنا(٥) ، لم يمنعنا قديم عزّنا ، ولا عادى طولنا(٦) على قومك أن خلطناكم بأنفسنا ، فنكحنا وأنكحنا ،

---

(١) أي حائد عن القصد .

(٢) هو حمزة بن عبدالمطّلب عمّ الرّسول صلى الله عليه وآله ، وقد مرّ ذكره في هامش ص فراجعه .

(٣) هو جعفر بن أبي طالب عليه السلام ، وقد مرّ ذكره في هامش ص من هذا الكتاب .

(٤) الرمية : الصيد ، وهو مثل يضرب لمن أعوج غرضه فمال عن الإستقامة لطلبه ، والمراد هنا بمن مالت به الرمية الأوّل والثاني .

(٥) قال العلّامة المجلسي في ج٨ ص٥٣٦ من بحار الأنوار : قوله عليه السلام : «فإنّا صنايع ربّنا» هذا كلام مشتمل على أسرار عجيبة من غرائب شأنهم الّتي تعجز عنها العقول ،ولنتكلّم على ما يمكننا إظهاره والخوض فيه ، فنقول :

صنيعة الملك : من يصطنعه ويرفع قدره ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ أي اخترتك وأخذتك صنيعتي ، لتتصرّف عن إرادتي ومحبّتي .

فالمعنى : أنّه ليس لأحد من البشر علينا نعمة ، بل الله تعالى أنعم علينا ، فليس بيننا وبينه واسطة ، والنّاس بأسرهم صنايعنا فنحن الوسائط بينهم وبين الله سبحانه .

ويحتمل أن يريد بالنّاس بعض النّاس أي المختار من النّاس ، نصطنعه ونرفع قدره .

وفي ج٣ من شرح النهج لابن أبي الحديد ص ٤٥١ قال : هذا كلام عظيم ، عال على الكلام ، ومعناه عال على المعاني ، وصنيعة الملك من يصطنعه الملك ويرفع قدره ، يقول : ليس لأحد من البشر علينا نعمة ، بل الله تعالى هو الّذي أنعم علينا ، فليس بيننا وبينه واسطة ، والنّاس بأسرهم صنائعنا فنحن الواسطة بينهم وبين الله تعالى ، وهذا مقام جليل ظاهره ما سمعت ، وباطنه أنّهم عبيدالله ، وإنّ النّاس عبيدهم .

وقال محمّد بن عبده في ص٣٦ من ج٣ من نهج البلاغة : آل النّبيّ : أُسراء إحسان الله ، والنّاس أُسراء فضلهم بعد ذلك .

(٦) الطول : الفضل .

قال العلّامة المجلسي في ص٥٣٦ من ج٨ من بحار الأنوار : أقول : قد ظهر لك ممّا سبق أنّ بني أُميّة لم يكن لهم

فعل الأكفّاء ، ولستم هناك ، وأنّى يكون ذلك كذلك ومنّا النّبي ومنكم المكذّب[١] ، ومنّا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف[٢] ، ومنّا سيّدا شباب أهل الجنّة ومنكم صبية النّار[٣] ، ومنّا خير نساء العالمين ومنكم حمّالة الحطب[٤] ، في كثير ممّا لنا عليكم فإسلامنا ما قد سمع ، وجاهليّتكم لا تدفع[٥] ، وكتاب الله يجمع لنا ما شذّ عنّا ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٦] ؛ فنحن مرّة أولى بالقرابة وتارة أولى بالطاعة .

ولمّا احتجّ المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله ﷺ فلجوا عليهم ، فإن يكن الفلج به فالحقّ لنا دونكم ، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم[٧] . وزعمت أنّي لكلّ الخلفاء حسدت ، وعلى كلّهم بغيت ، فإن يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر إليك .

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها[٨]

وقلت : إنّي كنت أُقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتّى أُبايع ، ولعمر الله لقد أردت أن تذمّ

⬅ نسب صحيح ليشاركوا في الحسب آباءه عليه السلام ، مع أنّ قديم عزّهم لم ينحصر في النّسب بل أنوارهم عليهم السلام أوّل المخلوقات ، ومن بدو خلق أنوارهم إلى خلق أجسادهم وظهور آثارهم كانوا معروفين بالعزّ والشرف والكمالات ، في الأرضين والسماوات ، يخبر بفضلهم كلّ سلف خلفاً ، ورفع الله ذكرهم في كلّ عزّاً وشرفاً .

(١) المكذّب : أبو سفيان ، كان المكذّب لرسول الله وعدوّه المجلب عليه ، وقيل المراد به أبو جهل .

(٢) أسد الله حمزة ، وأسد الأحلاف قيل هو : أسد بن عبدالعزّى ، وقيل : عتبة بن ربيعة ، وقيل : أبوسفيان لأنّه حزّب الأحزاب ، وحالفهم على قتال النّبيّ ﷺ في غزوة الخندق .

(٣) وصبية النّار : إشارة إلى الكلمة الّتي قالها النّبيّ ﷺ لعقبة بن أبي معيط حين قتله يوم بدر وقال ـ كالمستعطف له ﷺ ـ : من للصبية يا محمّد ؟ قال : «النّار» .

(٤) حمّالة الحطب : أُم جميل بنت حرب بن أُميّة امرأة أبي لهب .

(٥) لاتدفع أي لاتنكر ، وفي بعض النسخ «وجاهليّتنا» وحينئذ يكون المعنى شرفنا وفضلنا في الجاهليّة لا ينكره أحد .

(٦) آل عمران ٦٨ .

(٧) وذلك أنّ المهاجرين احتجّوا يوم السقيفة بأنّهم شجرة الرّسول ففلجوا ـ أي : ظفروا بهم ـ وظفر المهاجرين بهذه الحجّة ظفر لأمير المؤمنين على معاوية وإلّا فالأنصار على حقّهم من دعوى الخلافة ، وفي كلا الحالين ليس لمعاوية فيها نصيب .

(٨) والبيت من قصيدة لأبي ذؤيب الهذلي يرثي بها نشيبة بن محرث الهذلي أوّلها :

هل الدهر إلّا ليلة ونهارها ... وإلّا طلوع الشمس ثمّ غيارها

أبى القلب إلّا أمّ عمرو أصبحت ... تحرق ناري بالشكاة ونارها

وعيرها الواشون عنّي أحبّها ... وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

فمدحت ، وأن تفضح فافتضحت ، وما على المسلم من غضاضة[١] في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكّاً في دينه ، ولا مرتاباً في يقينه ، وهذه حجّتي إلى غيرك قصدها ، ولكنّي أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها .

ثمّ ذكرت ماكان من أمري وأمر عثمان ، فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه فأيّناكان أعدى له وأهدى إلى مقاتلته ؟ أم من بذل له نصرته فاستقعده واستكفّه ؟ أم من استنصره فتراخى عنه وبثّ المنون إليه حتّى أتى عليه قدره ؟كلّا والله لقد علم الله المعوّقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا ، ولا يأتون البأس إلّا قليلاً ، وماكنت لأعتذر من أنّي كنت أنقم عليه أحداثاً ، فإن كان الذنب إليه ارشادي وهدايتي له ، فربّ ملوم لا ذنب له ، وقد يستفيد الظنّة المتنصّح ، وما أردت إلّا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقي إلّا بالله ، عليه توكّلت وإليه أُنيب .

وذكرت أنّه ليس لي ولا لأصحابي عندك إلّا السّيف ، ولقد أضحكت بعد استعبار ، متى ألفيت بنوعبدالمطّلب عن الأعداء ناكلين[٢] ، وبالسيوف مخوفين ، فالبث قليلاً يلحق الهيجاء حَمَل[٣] ، فسيطلبك من تطلب ، ويقرب منك ما تستبعد ، وأنا مرقل[٤] نحوك في جحفل[٥] من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، شديد زحامهم ، ساطع قتامهم[٦] ، متسربلين سرابيل الموت[٧] ، أحبّ اللقاء إليهم لقاء ربّهم ، وقد صحبتهم ذرّيّة بدريّة ، وسيوف هاشميّة ، قد عرفت مواقع نصالها[٨] في أخيك ، وخالك ، وجدّك[٩] وأهلك ، وما هي من الظالمين ببعيد» .

---

(١) الغضاضة : النقص .

(٢) ناكلين : متأخّرين .

(٣) لبث ـ بتشديد الباء ـ: فعل أمر من «لبث» إذا استزاد لبثه ـ أي مكثه ، والهيجاء : الحرب ، وحمل ـ بالتحريك ـ: هو حمل بن بدر ، رجل من قشير ـ أُغير على إبله في الجاهليّة فاستنقذها وقال :

لبّث قليلاً يلحق الهيجا حَمَل   لا بأس بالموت إذا الموت نزل

فصار مثلاً يضرب للتهديد بالحرب .

(٤) مرقل : مسرع .

(٥) الجحفل : الجيش العظيم .

(٦) الساطع : المنتشر . والقتام ـ بالفتح ـ: الغبار .

(٧) السربال : اللباس ، أي : لابسين لباس الموت كأنّهم في أكفانهم .

(٨) النصال : السهام .

(٩) أخوه : حنظلة ، وخاله : الوليد بن عتبة ، وجدّه : عتبة بن ربيعة وهو جدّه لأُمّه .

وكتب أيضاً عليه السلام[١] **ـ إلى معاوية ـ:** «أمّا بعد ؛ فإنّا كنّا نحن وأنت على ما ذكرت من الألُفة والجماعة ، ففرّق بيننا وبينكم بالأمس أنّا آمنّا وكفرتم ، واليوم إنّا استقمنا وفتنتم ، وما أسلم مسلمكم إلّا كرهاً[٢] ، وبعد أن كان أنف الإسلام كلّه لرسول الله حزباً[٣] .

وذكرت أنّي قتلت طلحة والزبير ، وشرّدت بعايشة ، ونزلت بين المصرَين[٤] ، وذلك أمر غبت عنه ، فلا الجناية عليك ، ولا العذر فيه إليك .

وذكرت أنّك زائري في المهاجرين والأنصار ، وقد انقطعت الهجرة يوم أُسر أخوك[٥] ، فإن كان فيك عجل فاسترفه[٦] فإنّي إن أزرك فذلك جدير أن يكون الله ﷻ إنّما بعثني للنقمة منك ، وأن تزرني ، فكما قال أخو بني أسد :

مستقبلين رياح الصيف تضربهم ... بحاصب بين أغوار وأنجاد

وعندي السيف الذي أعضضته بجدّك وخالك وأخيك في مقام واحد[٧] ، وإنّك والله ما علمت الأغلف القلب ، المقارب للعقل[٨] ، والأولى أن يقال لك : إنّك رقيت سُلّماً أطلعك مطلع سوء عليك لا لك ، لأنّك نشدت غير ضالّتك[٩] ، ورعيت غير سائمتك[١٠] ، وطلبت أمراً لست من أهله ، ولا في معدنه ، فما أبعد قولك من فعلك !! وقريب ما أشبهت من أعمام وأخوال حملتهم الشقاوة وتمنّي الباطل على الجحود بمحمّد ﷺ ، فصرعوا بمصارعهم حيث علمت ؛ لم يدفعوا عظيماً ، ولم يمنعوا حريماً ، بوقع سيوف ما خلا منها الوغى ، فلم يماشها الهوينا[١١] ، وقد أكثرت في قتلة

---

(١) تجد هذا الكتاب في ص١٣٤ من ج٣ من نهج البلاغة .

(٢) وذلك أنّ أباسفيان لم يسلم حتّى قبل فتح مكّة وإنّما دخل الإسلام خوف القتل .

(٣) أنف الإسلام : أشراف العرب الّذين دخلوا فيه قبل الفتح .

(٤) المصران : الكوفة والبصرة .

(٥) أخوه : عمرو بن أبي سفيان ، أُسر يوم بدر .

(٦) أي استح ولا تستعجل ، وفي بعض النسخ «فاسترقه» بالقاف فيكون المعنى فاخفه ولا تظهره .

(٧) أعضضته : جعلته يعضّه ، والمراد ضربته به ، وهؤلاء كلّهم قتلهم أميرالمؤمنين عليه السلام يوم بدر .

(٨) أي : أنت الّذي أعرفه ، والأغلف للقلب : الّذي لا يدرك كأنّ قلبه في غلاف لا تنفذ إليه المعاني ، ومقارب العقل : ناقصه ضعيفه ، كأنّه يكاد يكون عاقلاً وليس به .

(٩) الضالّة : ما فقدته من مال وغيره ، ونشدت : طلبت ، وهذا مثل يضرب لمن يطلب حقّاً ليس له .

(١٠) السائمة : الماشية من الحيوان .

(١١) الوغى : الحرب . أي : إنّ تلك السيوف باقية لم تخل منها الحروب ولم ترافقها المساهلة .

عثمان ، فادخل فيما دخل فيه النّاس[١] ثمّ حاكم القوم إليّ ، أحملك وإيّاهم على كتاب الله .

وأمّا تلك الّتي تريد[٢] فإنّها خدعة الصبي عن اللبن في أوّل الفصال ، والسّلام لأهله» .

وكتب عليه السلام إلى معاوية في كتاب آخر[٣] : «فسبحان الله ما أشدّ لزومك للأهواء المبتدعة ، والحيرة المتّبعة[٤] ، مع تضييع الحقايق ، وإطراق الوثايق ، الّتي هي لله طلبة ، وعلى عباده حجّة ، فأمّا إكثارك الحِجاج في عثمان وقتلته ، فإنّك إنّما نصرت عثمان حيث كان النّصر لك ، وخذلته حيث كان النّصر له ، والسّلام» .

وروى أبو عبيد[٥] **قال** : كتب معاوية إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنّ لي فضائل كثيرة ؛ كان أبي سيّداً في الجاهليّة ، وصرت ملكاً في الإسلام ، وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وخال المؤمنين ، وكاتب الوحي .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : «أَبِا الفضائل يبغي عَلَيّ ابن آكلة الأكباد[٦] ؟ أُكتب يا غلام :

محمّد النّبيّ أخي وصنوي ... وحمزة سيّد الشهداء عمّي

وجعفر الّذي يضحي ويمسي ... يطير مع الملائكة ابن أُمّي

وبنت محمّد سكني وعرسي ... مسوط لحمها بدمي ولحمي

وسبطا أحمد ولداي منها ... فأيّكم له سهم كسهمي

سبقتكم إلى الإسلام طرّاً ... غلاماً ما بلغت أوان حلمي

وصلّيت الصلاة وكنت طفلاً ... مقرّاً بالنّبي في بطن أُمّي

وأوجب لي ولايته عليكم ... رسول الله يوم غدير خمّ

---

(١) أي البيعة له عليه السلام .

(٢) أي الّذي تريده من إبقائك والياً في الشام .

(٣) تجد هذا الكتاب في ج٣ من نهج البلاغة ص٦٩ .

(٤) وفي نسخة «والحيرة المتعبة» .

(٥) أبو عبيدة معمر ـ كجعفر ـ البصري النحوي اللغوي ، كان متبحّراً في علم اللغة وأيّام العرب وأخبارها ، ويحكى أنّه يقول : ما التقى فرسان في جاهليّة وإسلام إلّا عرفتهما وعرفت فارسهما ، وهو أوّل من صنّف غريب الحديث .
وفي مروج الذهب : وفي سنة ٢٧١ مات أبو عبيدة العمري معمر بن المثنى ، كان يرى رأي الخوارج ، وبلغ نحواً من مئة سنة ، ولم يحضر جنازته أحد من النّاس بالمصلّى حتّى اكتري لها من يحملها ، وله مصنّفات حسان في أيّام العرب وغيرها ، منها كتاب المثالب ، الخ . [عن الكنى والألقاب ١٤/١]

(٦) آكلة الأكباد هند أمّ معاوية ، وهي الّتي أخرجت كبد حمزة وجعلت تلوكها .

أنـا الرّجـل الذي لا تـنكروه ليـوم كـريهة أو يـوم سـلم
فـويل ثـمّ ويـل ثـمّ ويـل لمن يلقى الإله غداً بظلمي»[١]

فقال معاوية : إخفوا هذا الكتاب ، لا يقرأه أهل الشام فيميلوا إلى ابن أبي طالب عليه السلام .

وروي عن الصّادق عليه السلام أنه قال : «لمّا قُتل عمّار بن ياسر[٢] ارتعدت فرائص خلق كثير ، وقالوا :

---

(١) وفي بعض النسخ «لمن يرد القيامة وهو خصمي».

(٢) عمّار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة المذحجي ثمّ العنسي ، أبواليقظان ، حليف بني مخزوم ، وأُمّه سميّة وهي أوّل من استشهد في سبيل الله ، طعنها أبوجهل في قلبها فاستشهدت ، وهو وأبوه وأُمّه من السّابقين الأوّلين إلى الإسلام .

كان من المستضعفين ، وعذّب في الله عذاباً شديداً ، أحرقه المشركون بالنّار ، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يمرّ به ويمرّ يده على رأسه ويقول : «يا نار كوني برداً وسلاماً على عمّار ، كما كنت على إبراهيم عليه السلام» .

عن عثمان بن عفّان قال : أقبلت أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله أخذ بيدي نتماشى في البطحاء حتّى أتينا على أبي عمّار وعمّار وأُمّه وهم يعذّبون ، فقال ياسر : الدهر هكذا !! فقال له النّبيّ صلى الله عليه وآله : «إصبر اللّهمّ اغفر لآل ياسر» . قال : وقد فعلت .

وروي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مرّ بعمّار وأهله وهم يُعذّبون في الله ، فقال : «أبشروا آل عمّار فإنّ موعدكم الجنّة» .

قال الطبرسي في قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ أنّها نزلت في جماعة أكرهوا وهم عمّار وياسر أبوه وأُمّه سميّة وصهيب وبلال وخبّاب ، عُذّبوا وقُتل أبو عمّار وأُمّه ، فأعطاهم عمّار بلسانه ما أرادوا منه ، ثمّ أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال قوم : كفر عمّار ، فقال صلى الله عليه وآله : «كلا إنّ عمّاراً مليء إيماناً من قرنه إلى قدمه ، واختلط الإيمان بلحمه ودمه» .

وجاء عمّار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يبكي ، فقال صلى الله عليه وآله : «ما وراك» ؟

قال : يا رسول الله ما تركت حتّى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير .

فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يمسح عينيه ويقول : «إن عادوا فعدهم» ؛ فنزلت الآية .

وشهد بدراً ولم يشهدها ابن مؤمنَين غيره ، وشهد أُحد والمشاهد كلّها مع رسول الله صلى الله عليه وآله .

وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : «أبشر يا أبااليقظان فإنّك أخو علي في ديانته ، ومن أفاضل أهل ولايته ، ومن المقتولين في محبّته ، تقتلك الفئة الباغية ، وآخر زادك من الدنيا ضياح من لبن» .

وعن عليّ عليه السلام قال : «جاء عمّار يستأذن على النّبيّ صلى الله عليه وآله ، فقال : ائذنوا له ، مرحباً بالطيّب المطيّب» .

وقال علي عليه السلام فيه : «ذاك امرؤ حرّم الله لحمه ودمه على النّاس ، وأن تمسّ شيئاً منها» .

وكان رضي الله عنه من كبار الفقهاء ، وكان طويل الصمت ، طويل الحزن والكآبة ، وكان عامّة كلامه عائذاً بالله من فتنة .

وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : «يا عمّار ستكون بعدي فتنة ، فإذا كان كذلك فاتّبع علياً عليه السلام وحزبه فإنّه مع الحقّ والحقّ معه . يا عمّار إنّك ستقاتل مع عليّ صنفين : الناكثين والقاسطين ، ثمّ تقتلك «الفئة الباغية» .

قلت : يا رسول الله أليس ذلك على رضا الله ورضاك ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «عمّار تقتله الفئة الباغية» .

فدخل عمرو على معاوية وقال : يا أميرالمؤمنين قد هاج النّاس واضطربوا .

قال : لماذا ؟

قال : قتل عمّار .

فقال : قتل عمّار فماذا ؟

قال : أليس قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «تقتله الفئة الباغية» .

فقال معاوية : دحضت في قولك ، أنحن قتلناه ؟ إنّما قتله عليّ بن أبي طالب لمّا ألقاه بين رماحنا .

فاتّصل ذلك بعليّ بن أبي طالب عليه السلام قال : فإذاً رسول الله صلى الله عليه وآله هو الّذي قتل حمزة لمّا ألقاه بين رماح المشركين» .

وكتب عليه السلام[1] إلى عمرو بن العاص في أثناء كتاب : «فإنّك جعلت دينك تبعاً لدنيا امرىءٍ ظاهر غيّه ، مهتوك ستره ، يشين الكريم بمجلسه ، ويسفّه الحليم بخلطته ، فاتّبعت أثره ، وطلبت فضله

قال : «نعم على رضا الله ورضاي ، ويكون آخر زادك شربة من لبن تشربه» .

فلمّا كان يوم صفّين خرج عمّار بن ياسر إلى أميرالمؤمنين عليه السلام ، فقال له : يا أخا رسول الله أتأذن لي في القتال ؟

قال : «مهلاً رحمك الله» .

فلمّا كان بعد ساعدة أعاد عليه الكلام ، فأجابه بمثله ، فأعاده ثالثاً ، فبكى أميرالمؤمنين عليه السلام ، فنظر إليه عمّار فقال : يا أميرالمؤمنين إنّه اليوم الّذي وصف لي رسول الله صلى الله عليه وآله .

فنزل أميرالمؤمنين عن بغلته وعانق عمّاراً وودّعه ، ثمّ قال : «يا أبااليقظان جزاك الله عن الله وعن نبيّك خيراً ، فنعم الأخ كنت ونعم الصاحب كنت» ، ثمّ بكى ، وبكى عمّار .

ثمّ برز إلى القتال ، فقاتل حتّى قُتل رحمه الله ؛ فأتاه أميرالمؤمنين عليه السلام وقال : «إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، إن امرءاً لم يدخل عليه مصيبة من قتل عمّار فما هو في الإسلام من شيء» ثمّ صلّى عليه ، ثمّ قال :

ألا أيّها الموت الّذي ليس تاركي ... أرحني فقد أفنيت كلّ خليل
أراك بصيراً بالّذين أحبّهم ... كأنّك تمضي نحوهم بدليل

وفي خبر أنّه أُتي يومئذ بلبن فضحك ، ثمّ قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : «آخر شراب تشربه من الدّنيا مذقة من لبن حتّى تموت» .

وقال : والله لو ضربونا حتّى بلغونا سعفات هجر لعلمت أنّنا على الحقّ وإنّهم على الباطل ، ثمّ قُتل رحمه الله ، قتله أبوالعادية لعنه الله ، واحتزّ رأسه ابوالجوي السكسكي ، وكان عمره رحمه الله يوم قُتل ٩٤ سنة . [راجع : صفة الصفوة ١٧٥/١ ، أُسد الغابة ٤٣/٤ سفينة البحار ٢٧٥/٢]

(١) تجد هذا الكتاب في ج ٣ من نهج البلاغة ص ٧١.

اتباع الكلب للضرغام[١] يلوذ إلى مخالبه ، وينتظر ما يلقي إليه من فضل فريسته ، فأذهبت دنياك وآخرتك ، ولو أخذت بالحقّ أدركت ما طلبت ، فإن يمكّني الله منك ومن أبن أبي سفيان أخبر تكما بما قدّمتما[٢] ، فإن تعجز أو تبقيا فما أمامكما شرّ لكما ، والسّلام» .

وقال عليه السلام ـ في عمرو جواباً عمّا قال فيه ـ: «عجباً لابن النابغة[٣] ، يزعم لأهل الشام أنّ فيّ دعابة[٤] ، وأنّي امرؤ تلعابة[٥] ، أُعافس[٦] وأُمارس[٧] ، لقد قال باطلاً ، ونطق آثماً ، أما وشرّ القول الكذب ، أنّه يقول فيكذب ، ويعد فيخلف ، ويُسئل فيلحف[٨] ، ويسأل فيبخل ، ويخون العهد ، ويقطع الأل[٩] ، فإذا كان عند الحرب فأيّ زاجر وآمر هو ما لم تأخذ السيوف مأخذها ، فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القوم أُسته[١٠] ، أما والله إنّي ليمنعني من اللعب ذكر الموت ، وإنّه ليمنعه من قول الحقّ نسيان الآخرة ، وإنّه لم يبايع معاوية حتّى شرط له أن يؤتيه على البيعة أتيّة[١١] ، ويرضخ له على ترك الدين رضيخة[١٢]» .

وكتب محمّد بن ابي بكر[١٣] إلى معاوية احتجاجاً عليه

---

(١) الضرغام : الأسد .

(٢) وفي بعض النسخ «أجزكما» .

(٣) نبغ الشيء : ظهر ، وإنّما سُمّيت أمّ عمرو «النابغة» لشهرتها بالفجور وتظاهرها به .

(٤) الدعابة ـ بالضم ـ: المزاح .

(٥) تلعابة ـ بالكسر ـ: أي كثير اللعب .

(٦) العفاس ـ بالكسر ـ: اللعب . وفي بعض النسخ «أعارس» من أعرس الرجل إذا دخل بامرأته .

(٧) الممارسة : المزاولة والملاعبة .

(٨) الإلحاف : شدة الإلحاح في المسألة .

(٩) الأل ـ بالكسر ـ: العهد والقرابة .

(١٠) الأُست : العجز أو حلقة الدبر . أشار عليه السلام إلى ما ذكر أرباب السير وصار مضرباً للأمثال من كشفه سوءته شاخراً برجليه حين لقيه أمير المؤمنين عليه السلام في بعض أيّام صفّين ، وقد اختلطت السيوف ، واشتدّ نار الحرب ، فانصرف عنه أمير المؤمنين عليه السلام .

(١١) أي العطيّة .

(١٢) الرضخ : العطاء القليل .

(١٣) محمّد بن أبي بكر بن أبي قحافة ، وأمّه أسماء بنت عميس ، مرّ لها ذكر في هامش ص . ولد بالبيداء في حجّة الوداع .

➲ روي أنّ أبابكر خرج في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله في غزاة، فرأت أسماء بنت عميس ـ وهي تحته ـ كأنّ أبابكر متخضّب بالحنّاء رأسه ولحيته، وعليه ثياب بيض، فجاءت إلى عائشة، فبكت عائشة وقالت: إن صدّقت رؤياك فقد قُتل أبوبكر، إنّ خضابه الدّم، وإنّ ثيابه أكفانه.

فدخل النّبيّ صلى الله عليه وآله وهي كذلك، فقال: «ما أبكاها»؟

فذكروا الرؤيا.

فقال: «ليس كما عبّرت عائشة، ولكن يرجع أبوبكر، فتحمل منه أسماء بغلام تُسمّيه محمّداً، يجعله الله تعالى غليظاً على الكافرين والمنافقين».

قال ابن أبي الحديد: ونشوؤه في حجر أميرالمؤمنين عليه السلام، وإنّه لم يكن يعرف أباً غير علي، حتّى قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «محمّد ابني من صلب أبي بكر».

وكان يكنّى «أباالقاسم»، وكان من نُسّاك قريش، وكان ممّن أعان في يوم الدّار، ومن ولده «القاسم بن محمّد»؛ فقيه أهل الحجاز وفاضلها، ومن ولد القاسم «عبدالرّحمن» من فضلاء قريش ويكنّى «أبامحمّد»، ومن ولد القاسم أيضاً أم فروة، تزوّجها الإمام الباقر أبو جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام.

وكان من حواري أميرالمؤمنين عليه السلام وخواصّه وأحد المحامدة الّتي تأبى أن يعصى الله.

وروي عن حمزة بن محمّد الطيّار قال: ذكرنا محمّد بن أبي بكر عند أبي عبدالله عليه السلام، فقال أبو عبدالله عليه السلام: «رحمه الله وصلّى عليه، قال لأميرالمؤمنين عليه السلام ـ يوماً من الأيّام ـ: أبسط يدك أُبايعك.

فقال: أوما فعلت؟

قال: بلى.

فبسط يده فقال: أشهد أنّك إمام مفترض طاعتك، وإنّ أبي في النّار».

فقال أبوعبدالله عليه السلام: «كان النجابة من أمّه أسماء بن عميس رحمة الله عليها لا من قِبَل أبيه».

وعن زرارة بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام: «إنّ محمّد بن أبي بكر بايع علياً عليه السلام على البراءة من أبيه».

وعن شعيب عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: «ما من أهل بيت إلّا ومنهم نجيب من أنفسهم، وأنجب النجباء من أهل بيت سوء، محمّد بن أبي بكر».

ويُنسب إليه قوله:

يا أبانا قد وجدنا ما صلح	خاب من أنت أبوه وافتضح
إنّما أنقذني منك الّذي	أنقذ الدرّ من الماء الملح
يا بني الزّهراء أنتم عدّتي	وبكم في الحشر ميزاني رجح
وإذا صحّ ولائي فيكم	لا أُبالي أيّ كلب قد نبح

وقُتل بمصر ـ وكان فيها والياً من قِبَل أميرالمؤمنين عليه السلام ـ قتله معاوية بن خديج، ثمّ وضعه في جوف حمار ميّت وأحرقه.

ولمّا بلغ أميرالمؤمنين عليه السلام قتل محمّد بن أبي بكر، حزن لذلك حزناً شديداً حتّى ظهر ذلك عليه وتبيّن في وجهه، ➲

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمّد بن أبي بكر ، إلى الغاوي معاوية بن صخر ، سلام الله على أهل طاعة الله ممّن هو أهل دين الله وأهل ولاية الله .

أمّا بعد ؛ فإنّ الله بجلاله وسلطانه خلق خلقاً بلا عبث منه ، ولا ضعف به ، في قوّة ، ولكنّه خلقهم عبيداً ؛ فمنهم شقيّ وسعيد ، وغويّ ورشيد ، ثمّ اختارهم على علم منه ، واصطفى وانتجب منهم محمّداً ﷺ واصطفاه لرسالته ، وائتمنه على وحيه ، فدعا إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة ، فكان أوّل من أجاب وأناب وأسلم وسلّم أخوه وابن عمّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام ؛ فصدّقه بالغيب المكتوم ، وآثره على كلّ حميم ، ووقاه من كلّ مكروه ، وواساه بنفسه في كلّ خوف ، وقد رأيتك تساويه وأنت أنت وهو هو ، المبرّز والسابق في كلّ خير ، وأنت اللعين ابن اللعين ، لم تزل أنت وأبوك تبغضان وتبغيان في دين الله الغوائل ، وتجتهدان على إطفاء نور الله ، تجمعان الجموع على ذلك ، وتبذلان فيه الأموال ، وتخالفان عليه القبائل ، على ذلك مات أبوك ، وعليه خلّفته أنت ، فكيف لك الويل تعدل عن عليّ وهووارث علم رسول الله ووصيّه ، وأوّل النّاس له أتباعاً وآخرهم به عهداً ؟ وأنت عدوّه وابن عدوّه ، فتمتّع بباطلك ما استطعت ، وتبدّد بابن العاص في غوايتك ، فكأنّ أجلك قد انقضى ، وكيدك قد وهى ، ثمّ تستبين لك لمن تكون العاقبة العليا ، والسّلام على من اتّبع الهدى .

فأجابه معاوية : هذا إلى الزاري[١] على أبيه محمّد بن أبي بكر ، سلام على أهل طاعة الله .

أمّا بعد ؛ فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهّله في قدرته وسلطانه مع كلام ألفته ورصفته[٢] لرأيك فيه ، وذكرت حقّ عليّ وقديم سوابقه وقرابته من رسول الله ﷺ ونصرته ومواساته إيّاه في

⇐ وقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ـ إلى أن قال : ـ «ألا وإنّ محمّد بن أبي بكر قد استشهد رحمة الله عليه وعند الله نحتسبه ...» .

وقيل له عليه السلام : قد جزعت على محمّد جزعاً شديداً يا أمير المؤمنين ؟!

فقال : «وما يمنعني أنّه كان لي ربيباً وكان لبني أخاً ، وكنت له والداً ، أعدّه ولداً» .

ولمّا سمعت أمّه أسماء بقتله كظمت غيظها حتّى شخبت ثدياها دماً .

وكان استشهاده سنة ٣٧ هجريّة . [سفينة البحار ٣١٢/١ ، رجال الكشي ٦٠ ، خلاصة العلامة ١٣٨ ، النجوم الزاهرة ١١٠/١] .

(١) زرى عليه عمله : عابه عليه .

(٢) رصف الحجارة : ضمّ بعضها إلى بعض .

كلّ خوف وهول ، وتفضيلك عليّاً وعيبك لي بفضل غيرك لا بفضلك ، فالحمد لله الّذي صرف ذلك عنك وجعله لغيرك ، وقدكنّا وأبوك معنا في زمن نبيّنا صلى الله عليه وآله نرى حقّ عليّ عليه السلام لازماً لنا ، وسبقه مبرّزاً علينا ، فلمّا اختار الله لنبيّه ما عنده ، وأتمّ له ما وعده ، قبضه الله إليه ، وكان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزّه[1] وخالفه على ذلك ، واتّفقا ثمّ دعواه على أنفسهما ، فأبطأ عليهما ، فهمّا به الهموم ، وأرادا به العظيم ، فبايع وسلّم لأمرهما ، لا يشركانه في أمرهما ، ولا يطلعانه على سرّهما ، حتّى قضى الله من أمرهما ما قضى ، ثمّ قام بعدهما ثالثهما يهدي بهداهما ، ويسير بسيرتهما ، فعبته أنت وأصحابك حتّى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي ، حتّى بلغتما منه مناكما ، وكان أبوك مهّد مهاده ، فإن يك ما نحن فيه صواباً فأبوك أوّله ، وإن يك جوراً فأبوك سنّه ، ونحن شركائه وبهداه اقتدينا ، ولولا ما سبقنا إليه أبوك ما خالفنا عليّاً ولسلّمنا له ، ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك فأخذنا بمثاله ؛ فعِب أباك أو دعه ، والسّلام على من تاب وأناب .

احتجاجه عليه السلام على الخوارج[2] لمّا حملوه على التحكيم ثمّ أنكروا عليه ذلك ونقموا عليه أشياء فأجابهم عليه السلام عن ذلك بالحجّة، وبيّن لهم أنّ الخطأ من قِبَلهم بل وإليهم يعود

روي أنّ رجلاً من أصحابه قام إليه فقال : إنّك نهيتنا عن الحكومة ثمّ أمرتنا بها ، فما ندري أيّ الأمرين أرشد ؟

---

(١) ابتزّ منه الشيء : استلبه قسراً.

(٢) قال الشهرستاني ـ في الملل والنحل ـ : الخوارج : كلّ من خرج على الإمام الحق الذي اتّفقت الجماعة عليه يسمّى خارجيّاً ، سواء كان الخروج في أيّام الصحابة على الأئمّة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان ، والأئمّة في كلّ زمان.

قال : إعلم أنّ أوّل من خرج على أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام جماعة ممّن كان معه في حرب صفّين ، وأشدّهم خروجاً عليه ومروقاً من الدّين الأشعث بن قيس ومسعود بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي ، حين قالوا : القوم يدعوننا إلى كتاب الله وأنت تدعونا إلى السّيف ، حتّى قال : «أنا أعلم بما في كتاب الله ، إنفروا إلى بقيّة الأحزاب ، إنفروا إلى من يقول كذب الله ورسوله وأنتم تقولون صدق الله ورسوله».

قالوا : لترجعنّ الأشتر عن قتال المسلمين وإلّا لنفعلنّ بك كما فعلنا بعثمان ؛ فاضطرّ إلى ردّ الأشتر بعد أن هزم الجمع وولّوا مدبرين ، وما بقي منهم إلّا شرذمة قليلة فيهم حشاشة قوّة ، فامتثل الأشتر أمره ، وكان من أمر الحكمين أنّ الخوارج حملوه على التحكيم أوّلاً ، وكان يريد أن يبعث عبدالله بن عبّاس فما رضي الخوارج بذلك وقالوا : هو منك ؛ فحملوه على بعث أبي موسى الأشعري ـ على أن يحكما بكتاب الله تعالى ـ فجرى الأمر على خلاف ما رضي به ، فلمّا لم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه وقالوا : لِمَ حكمت الرّجال ؟ ولا حكم إلّا لله .

فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأُخرى ثمّ قال : «هذا جزاء من ترك العقدة[١] ، أما والله لو أنّي حين أمرتكم بما أمرتكم به حملتكم على المكروه الّذي جعل الله فيه خيراً كثيراً[٢] فإن استقمتم هديتكم ، وإن اعوججتم قوّمتكم ، وإن أبيتم تداركتكم[٣] لكانت الوثقى ، ولكن بمن وإلى من[٤] ؟ أُريد أن أُداوي بكم وأنتم دائي ، كناقش الشوكة بالشوكة ، وهو يعلم أنّ ضلعها معها[٥] ، اللّهمّ قد ملت أطبّاء هذا الدّاء الدويّ[٦] ، وكلت النزعة بأشطان الركي[٧]» .

فقال عليه السلام[٨] ـ وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة ، بعد كلام طويل ـ : «ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة ، وغيلة[٩] ومكراً ، وخديعة : إخواننا ، وأهل مودّتنا ، استقالونا ، واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه ، فالرأي القبول منهم ، والتنفيس عنهم[١٠] ، فقلت لكم : هذا أمر ظاهره إيمان ، وباطنه عدوان ، وأوّله رحمة ، وآخره ندامة ، فأقيموا على شأنكم ، والزموا طريقتكم ، وعضّوا على الجهاد بنواجذكم[١١] ، ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق[١٢] ، إن أُجيب أضلّ ، وإن ترك ذلّ ، فلقد كنّا مع رسول الله وإنّ القتل ليدور بين الآباء والأبناء ، والإخوان والقرابات ، فما

---

(١) العقدة : الرأي والحزم ، أي هذا جزاؤكم حين تركتم الرأي الحازم الذي أمرتكم به فوقعتم في الحيرة والشك من جرّاء عنادكم واتّباعكم أهوائكم .

(٢) المكروه : الحرب ، إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً** ﴾ .

(٣) يريد عليه السلام بالإعوجاج : العصيان ، وبالتقيوم : الارشاد ، فإن أبيتم ولم تسمعوا النصيحة تداركتكم بالإستنجاد بغيركم وأخذتكم بالقوّة والقهر .

(٤) هذا هو الطريق ولكن بمن أستعين في هذا الأمر ؟ وإلى مَن أرجع ؟

(٥) نقش الشوكة إذا استخرجها من جسمه ، ومنه سُمّي «المنقاش» الّذي ينقش به ، والضلع ـ بالتحريك ـ : الميل والطبع . يُريد عليه السلام أنّ طباع بعضهم تشبه طباع بعضهم الآخر ، وميولهم متماثلة كما تميل الشوكة لمثلها ، وهذا مثل للعرب : «لا تنقش الشوكة بالشوكة فإنّ ضلعها معها» أي إذا استخرجت الشوكة بمثلها فسوف تنكسر في رجلك كما انكسرت الأُولى .

(٦) الداء الدوي : الشديد .

(٧) النزعة : جمع نازع وهو الذي يستقي الماء ، والشطن : هو الحبل ، والركي : جمع ركية وهي البئر .

(٨) تجد هذا الكلام له عليه السلام في نهج البلاغة ج ٢ ص ٢ .

(٩) الغيلة ـ بالكسر ـ : الخديعة .

(١٠) نفّس عنه : فرّج عنه .

(١١) النواجذ من الأسنان ـ بالذال المعجمة ـ : الضواحك وهي الّتي تبدوا عند الضحك .

(١٢) النعيق : صوت الراعي بغنمه . يريد عليه السلام لا تتبعوا كلّ داع إلى ضلالة .

نزداد على كلّ مصيبة وشدّة إلّا إيماناً ، ومضياً على الحق ، وتسليماً للأمر ، وصبراً على مضض الجراح[١] ، ولكنّا إنّما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والإعوجاج ، والشبهة والتأويل ، فإذا طمعنا في خصلة يلمّ الله بها شعثنا ، ونتدانى بها إلى البقيّة فيما بيننا ، رغبنا فيها وأمسكنا عمّا سواها» .

وقال عليه السلام **ـ في التحكيم**[٢] **ـ**: «إنّا لم نحكّم الرّجال[٣] وإنّما حكّمنا «القرآن» إنّما هو خطّ مسطور بين الدفّتين ، لا ينطق بلسان ولابدّ له من ترجمان ، وإنّما ينطق عنه الرّجال ، ولمّا أن دعانا القوم إلى أن يحكم بيننا «القرآن» لم نكن الفريق المتولّي عن كتاب الله عزّ وجلّ وقد قال الله سبحانه : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ باللهِ وَٱلْيَومِ ٱلآخِرِ ﴾[٤] ؛ فردّه إلى الله أن نحكم بكتابه ، وردّه إلى الرّسول أن نأخذ بسنّته ، فإذا حكم بالصّدق في كتاب الله فنحن أحقّ النّاس به ، وإذا حكم بسنّة رسوله فنحن أولاهم به[٥] .

وأمّا قولكم لِمَ جعلت بينك وبينهم أجلاً في التحكيم ؟ فإنّما فعلت ذلك ليتبيّن الجاهل[٦] ، ويتثبّت العالم[٧] ، ولعلّ الله أن يصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأُمّة ولا تؤخذ بأكظامها[٨] فتجعل عن تبيّن الحقّ وتنقاد لأوّل الغيّ[٩]» .

---

(١) المضض : وجع المصيبة .

(٢) تجد هذا الكلام في ج ٢ ص ٧ من نهج البلاغة .

(٣) هذا ردّ على قولهم ـ بعد أن حملوه على التحكيم ـ : لم حكّمت الرّجال ، لا حكم إلّا لله ؛ فردّهم عليه السلام بهذا القول لأنّ القوم إنّما دعوه لتحكيم القرآن ، لا لتحكيم الرجلين ، وحيث أنّ القرآن صامت يحتاج إلى ترجمان اضطرّ عليه السلام إلى تحكيم الرجال والقرآن في الواقع هو الحكم وقد اشترط على الحكمين أن يحكما بكتاب الله وسنّة رسوله ، فلمّا خالفا الشرط بطل تحكيمهما ولم يلزمه اتّباع قولهما .

(٤) النساء ٥٩.

حين دعاه القوم لتحكيم القرآن لم يكن عليه السلام ليتخلّف حتّى ينطبق عليه قوله تعالى : **﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾** [النور ٤٨] .

(٥) أي : أحقّ بكتاب الله وأولى برسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم .

(٦) أي ليظهر له وجه الحق .

(٧) أي يطمئنّ قلبه بدفع الشبهة .

(٨) الأكظام جمع كظم ـ بالتحريك ـ وهو : مخرج النّفس من الحلق .

(٩) أي حين عرضت لهم الشبهة من رفع المصاحف .

وروي أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام أرسل عبدالله بن العبّاس إلى الخوارج -وكان بمرآى منهم ومسمع- قالوا له في الجواب : إنّا نقمنا يابن عبّاس على صاحبك خصالاً كلّها مكفّرة ، موبقة ، تدعوا إلى النّار :

أمّا أوّلها فإنّه محي اسمه من إمرة المؤمنين[١] ثمّ كتب بينه وبين معاوية ، فإذا لم يكن أميرالمؤمنين ونحن المؤمنون لسنا نرضى بأن يكون أميرنا .

وأمّا الثانية فإنّه شكّ في نفسه حين قال للحكمين : «اُنظرا فإن كان معاوية أحقّ بها فاثبتاه ، وإن كنت أولى بها فاثبتاني» فإذا هو شكّ في نفسه ولم يدر أهو المحقّ أم معاوية ، فنحن فيه أشدّ شكّاً .

والثالثة أنّه جعل الحكم إلى غيره وقد كان عندنا أحكم النّاس .

والرابعة أنّه حكّم الرّجال في دين الله ولم يكن ذلك إليه .

والخامسة أنّه قسّم بيننا الكراع والسّلاح يوم البصرة ومنعنا النّساء والذرّيّة .

والسادسة أنّه كان وصيّاً فضيّع الوصيّة .

قال ابن عبّاس : قد سمعت يا أميرالمؤمنين مقالة القوم ، وأنت أحقّ بجوابهم .

فقال عليه السلام : «نعم» .

ثمّ قال : «يابن عبّاس قل لهم ألستم ترضون بحكم الله وحكم رسوله» ؟

قالوا : نعم .

قال : «أبدأ على ما بدأتم به[٢] في بدئ الأمر» .

ثمّ قال : «كنت أكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله الوحي ، والقضايا ، والشروط والأمان يوم صالح أباسفيان وسهيل بن عمرو ، فكتبت : «بسم الله الرّحمن الرّحيم ، هذا ما اصطلح عليه محمّد رسول الله أباسفيان صخر بن حرب وسهيل بن عمرو» .

---

(١) حين أمر أميرالمؤمنين عليه السلام كاتبه أن يكتب : «إنّ هذا ما تقاضى عليه أميرالمؤمنين عليه السلام عليّ بن أبي طالب ومعاوية ابن أبي سفيان» قال عمرو بن العاص : اُكتب اسمه واسم أبيه ولا تُسمّيه بإمرة المؤمنين فإنّما هو أمير هؤلاء وليس هو بأميرنا ، ولمّا أصرّوا على ذلك ، قال أميرالمؤمنين : «الله أكبر ، سنّة بسنّة ، ومثل بمثل» وذكر قول النّبيّ صلى الله عليه وآله له يوم الحديبيّة : «لك مثلها» ثمّ أمر فكتبوا : «هذا ما تقاضى عليه عليّ بن أبي طالب بن عبدالمطّلب» .

(٢) أي أبدأ في الردّ على إشكالاتكم ممّا بدأتم به في عرضها حسب التسلسل ، أو أبدأ معكم بتحكيم القرآن كما بدأتم في أوّل الأمر .

فقال سهيل : لا نعرف الرّحمن الرّحيم ، ولا نقرّ أنّك رسول الله ، ولكنّا نحسب ذلك شرفاً لك أن تقدّم اسمك على أسمائنا ، وإن كنّا أسنّ منك وأبي أسنّ من أبيك .

فأمرني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : «اُكتب مكان بسم الله الرّحمن الرّحيم «باسمك اللّهمّ» ؛ فمحوت ذلك وكتبت : «باسمك اللّهمّ» ، ومحوت «رسول الله» وكتبت «محمّد بن عبدالله» فقال لي : «إنّك تدعى إلى مثلها فتجيب وأنت مكره»[١] .

وهكذا كتبت بيني وبين معاوية وعمرو بن العاص : «هذا ما اصطلح عليه أميرالمؤمنين ومعاوية وعمرو بن العاص» فقالا : لقد ظلمناك بأن أقررنا بأنّك أميرالمؤمنين وقاتلناك ، ولكن اكتب : «علي بن أبي طالب» ؛ فمحوت كما محى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإن أبيتم ذلك فقد جحدتم» .

فقالوا : هذه لك خرجت منها .

قال : «وأمّا قولكم «إنّي شككت في نفسي حيث قلت للحكمين : اُنظرا فإن كان معاوية أحقّ بها منّي فاثبتاه» فإنّ ذلك لم يكن شكّاً منّي ، ولكن أنصفت في القول ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[٢] ولم يكن ذلك شكّاً وقد علم الله أنّ نبيّه على الحق» .

قالوا : وهذه لك .

قال : «وأمّا قولكم «إنّي جعلت الحكم إلى غيري وقد كنت عندكم أحكم النّاس» فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله قد جعل الحكم إلى سعد يوم بني قريظة وقد كان من أحكم النّاس ، وقد قال الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[٣] فتأسّيت برسول الله صلى الله عليه وآله» .

قالوا : وهذه لك بحجّتنا .

قال : «وأمّا قولكم «إنّي حكّمت في دين الله الرجال» فما حكّمت الرّجال وإنّما حكّمت كلام ربّي ، الّذي جعله الله حكماً بين أهله ، وقد حكّم الله الرّجال في طائر فقال : ﴿ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾[٤] فدماء المسلمين أعظم من دم طائر» .

---

(١) جاء في قصّة الحديبيّة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : «يا علي إنّك أبيت أن تمحو اسمي من النبوّة ، والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً لتجيبنّ أبنائهم إلى مثلها وأنت مضيض مضطهد» .

(٢) سبأ ٢٤.

(٣) الأحزاب ٢١.

(٤) المائدة ٩٥.

قالوا : وهذه لك بحجّتنا .

قال : «وأمّا قولكم «إنّي قسّمت يوم البصرة لمّا ظفّرني الله بأصحاب الجمل الكراع والسّلاح ومنعتكم النّساء والذرّيّة» فإنّي مننت على أهل البصرة كما منّ رسول الله على أهل مكّة ، فإن عدوا علينا أخذناهم بذنوبهم ، ولم نأخذ صغيراً بكبير ، فأيّكم كان يأخذ عائشة في سهمه» ؟

قالوا : وهذه لك بحجّتنا .

قال : «وأمّا قولكم «إنّي كنت وصيّاً فضيّعت الوصيّة» فأنتم كفرتم وقدّمتم عَلَيّ ، وأزلتم الأمر عنّي ، وليس على الأوصياء الدعاء إلى أنفسهم ، إنّما يبعث الله الأنبياء عليهم السلام فيدعون إلى أنفسهم ، وأمّا الوصيّ فمدلول عليه مستغن عن الدعاء إلى نفسه ، وذلك لمن آمن بالله ورسوله ، ولقد قال الله جلّ ذكره : ﴿ وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا ﴾[1] ؛ فلو ترك النّاس الحجّ لم يكن البيت ليكفر بتركهم إيّاه ، ولكن كانوا يكفرون بتركهم ، لأنّ الله تعالى قد نصبه لهم عَلَماً ، وكذلك نصبني عَلَماً حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «يا علي أنت منّي بمنزلة هارون من موسى وأنت منّي بمنزلة الكعبة تُؤتىٰ ولا تأتي» .

فقالوا : وهذه لك بحجّتنا .

فأذعنوا ، فرجع بعضهم وبقي منهم أربعة آلاف لم يرجعوا ممّن كانوا قعدوا عنه ؛ فقاتلهم وقتلهم .

احتجاجه عليه السلام في الإعتذار من قعوده عن قتال من تامّر عليه من الأوّلين وقيامه إلى قتال من بغي عليه من النّاكثين والقاسطين والمارقين

روي أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام كان جالساً في بعض مجالسه بعد رجوعه من النهروان[2] فجرى الكلام حتّى قيل له : لِم لا حاربت أبابكر وعمر كما حاربت طلحة والزبير ومعاوية ؟

فقال عليّ عليه السلام : «إنّي كنت لم أزل مظلوماً مستأثراً على حقّي[3]» .

---

(١) آل عمران ٩٧.

(٢) النهروان : وهي ثلاث نهروانات : أعلى وأوسط وأسفل ، وهو : كورة واسعة أسفل من بغداد من شرقي تامرا ، منحدراً إلى واسط ، فيها عدّة بلاد متوسّطة منها إسكاف وجرجرايا ، والصافية ، وديرقنى وغير ذلك. [مراصد الإطّلاع ١٤٠٧/٣]

(٣) استأثر بالشيء على الغير : استبدّ به وخصّ به نفسه .

فقام الأشعث بن قيس فقال : يا أميرالمؤمنين لِمَ لم تضرب بسيفك ، ولم تضرب بحقّك ؟

فقال : «يا أشعث قد قلت قولاً فاسمع الجواب وعِهِ ، واستشعر الحجّة ، إنّ لي أُسوة بستّة من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين :

أوّلهم نوح حيث قال : ﴿ رَبِّ إِنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴾[١] فإن قال قائل : إنّه قال هذا لغير خوف ؛ فقد كفر ، وإلّا فالوصيّ أعذر .

وثانيهم لوط حيث قال : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾[٢] فإن قال قائل : إنّه قال هذا لغير خوف ؛ فقد كفر ، وإلّا فالوصيّ أعذر .

وثالثهم إبراهيم خليل الله حيث قال : ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونَ اللهِ ﴾[٣] فإن قال قائل : إنّه قال هذا لغير خوف ؛ فقد كفر ، وإلّا فالوصيّ أعذر .

ورابعهم موسى عليه السلام حيث قال : ﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾[٤] فإن قال قائل : إنّه قال هذا لغير خوف ؛ فقد كفر ، وإلّا فالوصيّ أعذر .

وخامسهم أخوه هارون حيث قال : ﴿ يَابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ﴾[٥] فإن قال قائل : إنّه قال هذا لغير خوف ؛ فقد كفر ، وإلّا فالوصيّ أعذر .

وسادسهم أخي محمّد خير البشر صلى الله عليه وآله حيث ذهب إلى الغار ونوّمني على فراشه فإن قال قائل : إنّه ذهب إلى الغار لغير خوف ؛ فقد كفر ، وإلّا فالوصيّ أعذر» .

فقام إليه النّاس بأجمعهم فقالوا : يا أميرالمؤمنين قد علمنا أنّ القول قولك ونحن المذنبون التائبون ، وقد عذّرك الله .

وعن إسحاق بن موسى[٦] **عن أبيه** موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمّد عن آبائه عليهم السلام قال : «خطب أميرالمؤمنين عليه السلام خطبة بالكوفة ، فلمّا كان في آخر كلامه قال : ألا وإنّي لأولى النّاس

(١) القمر ١٠.

(٢) هود ٨٠.

(٣) مريم ٤٨.

(٤) الشعراء ٢١.

(٥) الأعراف ١٥٠.

(٦) إسحاق بن موسى : عدّه الشّيخ في أصحاب الإمام الرضا عليه السلام وكان يلقّب بالأمين كما في عمدة الطالب، وتوفّي سنة ٢٤٠ كما في منتهى الآمال للشيخ عبّاس القمي.

بالنّاس وما زلت مظلوماً منذ قبض رسول الله ﷺ .

فقام إليه أشعث بن قيس فقال : يا أميرالمؤمنين لم تخطبنا خطبة منذ قدمت العراق إلّا وقلت : «والله إنّي لأولى النّاس بالنّاس ، فما زلت مظلوماً منذ قبض رسول الله» ولمّا ولّى تيم[١] وعدي[٢] ألا ضربت بسيفك دون ظلامتك ؟

فقال أميرالمؤمنين : يابن الخمارة ، قد قلت قولاً فاسمع منّي ، والله ما منعني من ذلك إلّا عهد أخي رسول الله ﷺ ، أخبرني وقال لي : «يا أباالحسن إنّ الاُمّة ستغدر بك وتنقض عهدي ، وإنّك منّي بمنزلة هارون من موسى» . فقلت : يا رسول الله فما تعهد إليّ إذا كان كذلك ؟ فقال : «إن وجدت أعواناً فبادر إليهم وجاهدهم ، وإن لم تجد أعواناً فكفّ يدك واحقن دمك حتّى تلحق بي مظلوماً» .

فلمّا توفّي رسول الله ﷺ اشتغلت بدفنه والفراغ من شأنه ، ثمّ آليت يميناً[٣] أنّي لا أرتدي إلّا للصّلاة حتّى أجمع «القرآن» ؛ ففعلت ، ثمّ أخذته وجئت به فأعرضته عليهم ، قالوا : لا حاجة لنا به ، ثمّ أخذت بيد فاطمة وابنيّ الحسن والحسين ثمّ درتُ على أهل بدر وأهل السابقة فأنشدتهم حقّي ، ودعوتهم إلى نصرتي ، فما أجابني منهم إلّا أربعة رهط : سلمان ، وعمّار ، والمقداد ، وأبوذر ، وذهب من كنت أعتضد بهم على دين الله من أهل بيتي ، وبقيت بين حفيرَين قريبي العهد بجاهليّة : عقيل والعبّاس .

فقال له الأشعث : كذلك كان عثمان لمّا لم يجد أعواناً وكفّ يده حتّى قُتل .

فقال له أميرالمؤمنين : يابن الخمارة ، ليس كما قست ، إنّ عثمان جلس في غير مجلسه ، وارتدى بغير ردائه ، صارع الحقّ فصرعه الحقّ ، والّذي بعث محمّداً بالحقّ لو وجدت يوم بويع أخو تيم أربعين رهط لجاهدتهم في الله إلى أن أبلي عذري .

ثمّ قال : أيّها النّاس إنّ الأشعث لا يزن عند الله جناح بعوضة ، وإنّه أقلّ في دين الله من عفطة عنز[٤] .

وروى جماعة من أهل النّقل من طرق مختلفة عن ابن عبّاس قال : كنت عند أميرالمؤمنين

---

(١) تيم : في قريش رهط أبي بكر وهو تيم بن مرّة.

(٢) عدي : قبيلة من قريش وهم رهط عمر بن الخطّاب.

(٣) آليت : أقسمت.

(٤) العفطة من الشاة كالعطاس من الإنسان.

بالرحبة[١] فذكرت الخلافة وتقدّم من تقدَّم عليه، فتنفّس الصّعداء[٢] ثمّ قال:

«أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة[٣] وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرّحى[٤]؛ ينحدر عنّي السّيل، ولا يرقى إليّ الطّير؛ فسدلت دونها ثوباً[٥]، وطويت عنها كشحاً[٦] وطفقت

---

(١) تجد هذه الخطبة في ج ١ من نهج البلاغة ص ٢٥ وهي الخطبة المعروفة بـ«الشقشقيّة» لقوله عليه السلام في جواب ابن عبّاس: «هيهات هيهات تلك شقشقة هدرت ثمّ قرّت» وتُعرف أيضاً بـ«المقمّصة» لقوله عليه السلام: «أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة» تسمية للشيء بأشهر ألفاظه، كما هو الحال في أسماء سور القرآن الكريم كسورة آل عمران، والرحمن، والواقعة، ويس وغيرها.

وهذه الخطبة الجليلة في حسن أُسلوبها، وبديع نظمها، وفصاحة ألفاظها، دليل لا يقبل التردّد، ولا يتطرّق إليه الشكّ في كونها صادرة عن مركز الثقل الإلهي، ومعدن الوصاية والإمامة، فهي حقّاً كما قيل: «فوق كلام المخلوق، دون كلام الخالق».

وقد رواها الشيخ المفيد في الإرشاد ص ١٣٧.

وقال ابن أبي الحديد في شرحه على النهج ج ١ ص ٦٩: حدّثني شيخي أبو الخير مصدق بن شبيب الواسطي في سن ٦٠٣ قال: قرأت على الشيخ أبي محمّد بن عبدالله بن أحمد المعروف بابن الخشّاب هذه الخطبة ـ إلى أن قال: ـ فقلت له: أتقول أنّها منحولة؟

فقال: لا والله وإنّي لأعلم صدورها منه كما أعلم أنّك مصدق.

قال: فقلت له: إنّ كثيراً من النّاس يقولون: إنّها من كلام الرضي رحمه الله تعالى.

فقال: أنّى للرضي ولغير الرضي هذا النفس وهذا الأُسلوب؟ قد وقفنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفنّه في الكلام المنثور، وما يقع مع هذا الكلام في «خلّ ولا خمر».

ثمّ قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنّفت قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها، وأعرف من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والد الرضي.

قلت: وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديين من المعتزلة، وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدّة طويلة، ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر ابن قبّة أحد متكلّمي الإماميّة، وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب «الإنصاف» وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي رحمه الله تعالى، ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي رحمه الله تعالى موجوداً.

(٢) تنفّس الصعداء ـ بضمّ الصاد وفتح المهملتين ـ: المدفوع من التنفّس بصعده المتلهّف الحزين.

(٣) ابن أبي قحافة أبو بكر، واسمه عبدالله، وفي الجاهليّة عتيق، واسم أبيه عثمان، والضمير في تقمّصها عائد إلى الخلافة، وإنّما لم يذكرها للعلم بها، وتقمّصها جعلها مشتملة عليه كالقميص كناية عن تلبّسه بها.

(٤) قطب الرحا مسمارها الّذي عليه تدور، فكما أنّ الرحى لا تدور إلّا على القطب، وبغيره لا يستقيم لها دوران، فكذلك الخلافة محلّه منها محلّ القطب من الرّحى: لا تستقيم حركتها ولا تأخذ استقامتها بغيره، وهو وحده القادر على تدبير شؤونها وإدارتها حسب المصلحة العامّة ووفق الخطّة الإلهيّة الحكيمة.

(٥) سدلت: أرخيت. كناية عن إعراضه عنها، واحتجابه عن طلبها.

(٦) الكشح: مابين الخاصرة والجنب. أنزل الخلافة منزلة المأكول الّذي منع نفسه عنه، فلم يشتمل عليه كشحه.

أرتأي بين أن أصول بيد جذّاء أو أصبر على طخية عمياء[١] ؛ يشيب فيها الصغير ، ويهرم فيها الكبير ، ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقى ربّه[٢] ؛ فرأيت أنّ الصّبر على هاتا أحجى[٣] ، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا[٤] أرى تراثي نهبا[٥] حتّى إذا مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها إلى عمر من بعده ، فيا عجباً بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته[٦] ، لشدّ ما تشطّرا ضرعيها[٧] ، ثمّ تمثّل بقول الأعشى[٨] :

شتّان ما يومي على كورها ... ويوم حيّان أخي جابر

---

(١) طفقت : جعلت ، وأخذت ، وشرعت . وأرتأي الفكر : أفكّر طلباً للرأي الصائب . وصال : حمل نفسه على الأمر بقوّة . والطخية : قطعة من الغيم .

أي جعلت أدير الفكر وأُجيله في أمر الخلافة ، وأُردّده في طرفي نقيض ؛ إمّا أن أُشهر السيف وأصول على الغاصبين للخلافة ، والمعتدين على حقّي ، أو أترك وأصبر ، وفي كلا الحالين خطر ؛ فأمّا القيام والثورة فبيد مقطوع من غير ناصر ولا معين ، وأمّا الثّاني فلمّا يؤلّ إليه الحال من اختلاط الأُمور ، وعدم انتظام الحياة ، والتمييز بين الحقّ والباطل ، فكما أنّ الظلمة والعمى لا يهتدي معهما للتمييز بين الأشياء ، فكذلك اضطراب الهيئة الإجتماعيّة وتشابك المشاكل وازدحامها لا يهتدي معه لوجه الحق .

(٢) الهرم : شدّة كبر السنّ . والكدح : سعي المجهود .

وتلك الشدّة ، وذلك الإضطراب ، وهاتيك الأحوال المظلمة وطول مدّتها أدّت إلى أن يهرم فيها الكبير ، ويشيب الصغير ،ويتعب المؤمن في تمييز الحقائق وتمحيصها وما يبذله من جهد في سبيل الدفاع عن الحق حتّى يلقى ربّه.

(٣) هاتا : هذه . وأحجى أقرب للحجى وهو العقل .

فرأيت الصّبر على هذه الحال وترك المقاومة أقرب للعقل ، وألصق بنظام الإسلام ، وأحفظ لبيضته ، سيّما وهو بعد غضّ لم ترسخ له قدم في نفوس أتباعه ، والثورة في هذه الحال ربّما تؤدّي إلى خلاف الغرض ، وتعكس النتيجة ، وتكون سبباً للردّة ، والرجوع عن الدّين ؛ فترك المقاومة أحجى وأضمن لسلامة الإسلام ، وتحمّل الشرّ الحادث من جرّاء ذلك أهون .

(٤) القذى : الرمد . والشجا : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه .

أي صبرت ولكن على مضض كما يصبر الأرمد وهو يحسّ بوجع العين ، وكما يصبر من غصّ بشيء فهو يكابد الخنق .

(٥) يريد بتراثه : الخلافة .

(٦) أدلى بها : ألقى بها إليه . والإقالة : فكّ العهد ، والإستقالة : طلب ذلك .

أشار بقوله عليه‌السلام «يستقيلها» إلى قول أبي بكر : أقيلوني لست بخيركم .

(٧) شدّ الأمر : صعب وعظم . وتشطّرا : اقتسما . والضرع : للحيوانات مثل الثدي للمرأة .

(٨) هو أعشى قيس واسمه ميمون بن جندل من بني قيس ، من قصيدة أوّلها :

علقم ما أنت إلى عامر ... الناقض الأوتار والواتر

فصيّرها في ناحية خشناء يجفو مسّها ويغلظ كلمها[١]، ويكثر العثار فيها، والإعتذار منها[٢]، فصاحبها كراكب الصعبة؛ إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحّم[٣]، فمني النّاس لعمر الله بخبط وشماس، وتلوّن واعتراض[٤]، حتّى إذا مضى لسبيله فجعلها شورى في جماعة زعم أنّي أحدهم[٥] فيالله وللشورى، متى اعترض الرّيب فيّ مع الأوّل منهم حتّى صرت أُقرن إلى هذه

---

(١) الكلم: الجرح.
كنّى عن طباع عمر بن الخطّاب بـ«الناحية الخشناء» لأنّه كان يوصف بالجفاوة وسرعة الغضب، وغلظ الكلام، حتّى روي أنّه أمر أن يُؤتى بامرأة لحال اقتضت ذلك ـ وكانت حاملاً ـ فلمّا دخلت عليه أجهزت جنيناً لما شاهدته من غلظ طبيعة أبي حفص وظهور القوّة الغضبيّة على قسمات وجهه وشدّته في الكلام، وذلك ما أراده أميرالمؤمنين من قوله: «في ناحية خشناء» ثمّ إنّه عليه السلام وصف تلك الطبيعة بوصفين:
أحدهما: غلظ المواجهة بالكلام وقد قيل: جرح اللسان أشدّ من وخز السنان.
وثانيهما: جفاوة المس المانعة من ميل الطباع إليه.

(٢) عثر: إذا أصابت رجله حجر أو نحوه.
فيه إشارة إلى ماكان عليه عمر بن الخطّاب من التسرّع في إصدار الأحكام غير الصائبة كأمره برجم المرأة الحامل وطلاق الحائض، وغيرها من الأُمور الّتي كانت تدعوه للإعتذار بعد أن يتبيّن له الخطأ بإرشاد أميرالمؤمنين عليه السلام، وقد تكرّر قوله: «لولا علي لهلك عمر» و«لا كنت لمعضلة ليس لها أبوالحسن»، و«لا عشت لمعضلة لا تكون لها ياأباالحسن».

(٣) الصعبة من الإبل: الغير المذلّلة. وأشنق لها بالزمام: إذا جذبه إلى نفسه وهو راكب ليمسكها عن الحركة العنيفة. والخرم: الشق. وأسلس لها: أرخى لها. وتقحّم في الأمر: ألقى نفسه فيه بقوّة. فصاحبها: أي صاحب تلك الطباع الخشنة مثله ـ وهو يتولّى شئون الرعيّة وتدبير أُمورهم ـ كمثل راكب الناقة الصعبة الّتي لم تذلّل، فهو بين خطرين؛ إن جذبها إليه شقّ أنفها، وإن أرخى لها القياد ألقت به في المهالك، والناقة الصعبة هي الرعيّة لأنّها لم تألفه وتنفر من طباعه فلا تستقيم له بحال، أو يكون المراد بالناقة الصعبة هو صاحب تلك الطباع، وحينئذٍ يكون المقصود من قوله عليه السلام «إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحّم» أنّ الّذي يريد إصلاح صاحب تلك الطباع واقع بين خطرين فإن أنكر عليه عمله وقع الإنشقاق والإختلاف بينهما، وإن تركه وشأنه أدّى به الأمر إلى الإخلال بالواجب. ووجه ثالث يمكن أن يكون المقصود بالناقة الخلافة، فإذا استرجعها بالقوّة شقّ عصا المسلمين وأوقع الخلاف في صفوفهم ممّا يؤدّي بالنتيجة إلى الردّة، وإن تركها وسكت عنها سارت في غير اتّجاهها فهو منها بين خطرين.

(٤) مُني النّاس: ابتلوا. والخبط: الحركة على غير استقامة. والشماس ـ بكسر الشين ـ كثرة النفار والإضطراب. والتلوّن: اختلاف الأحوال. والإعتراض ضرب من التلوّن وأصله المشي في عرض الطريق.

(٥) خلاصة حديث الشورى: إنّ عمر بن الخطّاب لمّا طعنه أبو لؤلؤة وأيقن بالموت دعا وجوه الصحابة وعرض عليهم موضوع الخلافة، وأُشير فيما أُشير عليه بابنه عبدالله، فقال: لا يليها رجلان من ولد الخطّاب، حسب عمر ما حمل، حسب عمر ما احتقب، لا أتحمّلها حيّاً وميّتاً. ثمّ قال: إنّ رسول الله مات وهو راض عن هذه السّتة: علي،

النظائر ، لكنّني أسففت إذ أسفوا ، وطرت إذ طاروا[(١)] ، فصبرت على طول المحنة ، وانقضاء المدّة ، فمال رجل منهم لضغنه ، وصغى الآخر لصهره ، مع هنّ وهنّ[(٢)] ، إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه[(٣)] ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الرّبيع[(٤)] ، إلى أنتكث عليه فتله ، وكبّت به بطنته ، وأجهز عليه عمله[(٥)] ، فما راعني إلّا والنّاس رسل إليّ

وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقّاص ، وعبدالرّحمن بن عوف ؛ فأمّا سعد فلا يمنعني منه إلّا عنفه وفضاضته ، وأمّا من عبدالرّحمن فلأنّه قارون هذه الأمّة ، وأمّا من طلحة فتكبّره ونخوته ، وأمّا من الزبير فشحّه ، ولقد رأيته بالبقيع يقاتل على صاع من شعير ، ولا يصلح لهذا الأمر إلّا رجل واسع الصدر ، وأمّا من عثمان فحبّه لقومه وعصبيّته لهم ، وأمّا من علي فحرصه على هذا الأمر ودعابة فيه !!! ثمّ قال : يصلّي صهيب بالنّاس ثلاثة أيّام ، وتخلوا السّتّة نفر في البيت ثلاثة أيّام ليتّفقوا على رجل منهم ، فإن استقام أمر خمسة وأبى رجل فاقتلوه ، وإن استقرّ أمر ثلاثة وأبى ثلاثة فكونوا مع الثلاثة الّذين فيهم عبدالرّحمن بن عوف .

(١) أسف الطائر : إذا دنى من الأرض في طيرانه .

(٢) صغا : مال . والضغن : الحقد . والهن : على وزن إخ كناية عن شيء قبيح .
الّذي مال لحقده هو سعد بن أبي وقاص ، والّذي مال لصهره عبدالرّحمن بن عوف حيث مال إلى عثمان لمصاهرة بينهما .
روى الشيخ المفيد في الإرشاد عن جيش الكناني قال : لمّا صفق عبدالرّحمن على يد عثمان بالبيعة في يوم الدار ، قال له أمير المؤمنين عليه السلام : «حرّكك الصّهر وبعثك على ما صنعت ، والله ما أمّلت منه إلّا ما أمّل صاحبك من صاحبه ، دقّ الله بينكما عطر منشم» ـ وعطر منشم هو عطر صعب الدق ، والمراد به هنا الموت ـ . وهكذا كان فقد بلغ الحال في الخلاف بينهما أن أعلن عثمان تحريم مجالسة عبدالرّحمن بن عوف ، ووجوب نبذه ، وأبرأ الذمّة ممّن يكلّمه أو يعاطيه معاطاة أي مواطن يتمتّع بحقوقه الإجتماعيّة .

(٣) النفج : النفخ . والنثيل : الروث . والمعتلف : موضع الإعتلاف .

(٤) الخضم : الأكل بجميع الفم وقيل : المضغ بأقصى الأضراس .
قال ابن أبي الحديد ـ في شرح على النهج ج ١ ص٦٦ ـ : وصحّت فيه فراسة عمر بن الخطّاب ، إذ قد أوطأ بني أُميّة رقاب النّاس ، وأولاهم الولايات ، وأقطعهم القطايع ، وافتتحت أرمينيا في أيّامه ، فأخذ الخمس كلّه فوهبه لمروان إلى أن قال : وطلب منه عبدالله بن خالد بن أسيد صلة فأعطاه أربعمائة ألف درهم ، وأعاد الحكم بن أبي العاص بعد أن سيّره رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ لم يردّه أبوبكر ولا عمر ، وأعطاه مائة ألف درهم ، وتصدّق رسول الله صلى الله عليه وآله بموضع سوق بالمدينة يعرف «بنهروز» على المسلمين فأقطعه عثمان الحارث بن الحكم أخا مروان بن الحكم ، وأقطع مروان فدكاً وقد كانت فاطمة طلبتها بعد وفاة أبيها رسول الله تارة بالميراث وتارة بالنحلة فدفعت عنها ، إلى آخر ما ذكره ابن أبي الحديد فاليراجع ، وعمل الحجّة الأميني في ج ٩ من كتاب الغدير قائمة بمصروفاته على قومه وذويه ، فالتراجع أيضاً .

(٥) انتكث : انتقض . والفتل : برم الحبل . وكبا الفرس : أُسقط لوجهه . والبطنة : شدّة الإمتلاء من الطعام . وأجهز ـ على المريض ـ : قتله وأسرع .

كعرف الضبع ، ينثالون عَلَيّ من كلّ جانب[١] ، حتّى لقد وطئ الحسنان ، وشقّ عطفاي[٢] ، مجتمعين حولي كربيضة الغنم[٣] . فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفة ، ومرقت أُخرى ، وفسق آخرون[٤] ، كأنّهم لم يسمعوا الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي ٱلأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٥] بلى والله لقد سمعوها ووعوها ، ولكن حليت الدّنيا في أعينهم ، وراقهم زبرجها[٦] . أما والّذي فلق الحبّة وبرئ النّسمة ، لولا حضور الحاضر ، وقيام الحجّة بوجود النّاصر ، وما أخذ الله على أولياء الأمر أن لا يقرّوا على كظّة الظالم ، ولا سغب مظلوم ، لألقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها ، ولألفيتم دنياكم عندي أهون من عفطة عنز» .

قال : فقام إليه رجل من أهل السواد فناوله كتاباً فقطع كلامه ، فأقبل ينظر إليه ، فلمّا فرغ من قرائته ، قال ابن عبّاس : قلت له : يا أميرالمؤمنين لو أطردت مقالتك من حيث أفضيتها .

قال : «يابن عبّاس هيهات هيهات تلك شقشقة هدرت ثمّ قرّت» .

قال ابن عبّاس : فما أسفت على شيء ولا تفجّعت كتفجّعي على ما فاتني من كلام أميرالمؤمنين عليه السلام .

وأمثال هذه الأخبار من كلام أميرالمؤمنين عليه السلام كثيرة ، أوردنا طرفاً منها للإيجاز والإختصار .

وممّا يوضّح ما أثبتناه ما روي عن أم سلمة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّها قالت : كنّا عند رسول الله تسع نسوة ، وكانت ليلتي ويومي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأتيت الباب ، فقلت : أدخل يا رسول الله ؟

فقال : «لا» .

قالت : فكبوت كبوة شديدة ، مخافة أن يكون ردّني من سخط أو نزل فيّ شيء من السماء ، ثمّ لم ألبث أن أتيت الباب ثانية ، فقلت : أدخل يا رسول الله ؟

---

(١) الروع : الخلد والذهن ، وأراعني : أفزعني ، وانثال ـ الشيء ـ : إذا وقع يتلو بعضه بعضاً .

(٢) العطاف : الرداء ، وعطفا الرجل : جانباه من لدن رأسه إلى وركيه .

أي شقّ قميصه من جانبيه من شدّة الإزدحام عليه .

(٣) ربيضة الغنم : المجتمعة برعاتها .

(٤) مروق السهم : خروجه من الرمية .

المراد بالناكثين للبيعة هم : طلحة والزبير بايعوا ثمّ نكثوا البيعة . والمارقين هم : الخوارج . والفاسقين هم : القاسطين أصحاب معاوية .

(٥) القصص ٨٣.

(٦) الزبرج ـ بكسر الزاء والراء ـ : الزينة .

فقال : «لا» .

فكبوت كبوة أشدّ من الأُولى ، ثمّ لم ألبث أن أتيت الباب ثالثة ، فقلت : أدخل يا رسول الله ؟

فقال : «أُدخلي يا أُمّ سلمة» .

فدخلت وعلي جاث بين يديه وهو يقول : «فداك أبي وأُمّي يا رسول الله ، إذا كان كذا وكذا فما تأمرني» ؟

فقال : «آمرك بالصبر» .

ثمّ أعاد عليه القول ثانية ، فأمره بالصبر ، ثمّ أعاد عليه القول ثالثة فأمره بالصبر ، ثمّ أعاد عليه القول رابعة فقال له : «يا علي يا أخي إذا كان ذلك منهم فسل سيفك وضعه على عاتقك ، واضرب به قدماً حتّى تلقاني وسيفك شاهر يقطر من دمائهم» .

ثمّ التفت إليّ وقال : «ما هذه الكآبة يا أُم سلمة» ؟

قلت : للّذي كان من ردّك إيّاي يا رسول الله .

فقال لي : «والله ما رددتك إلّا لشيء خُبّرت من الله ورسوله ، لكن أتيتني وجبرئيل يخبرني بالأحداث الّتي تكون من بعدي ، وأمرني أن أُوصي بذلك عليّاً .

يا أُمّ سلمة اسمعي واشهدي ، هذا عليّ بن أبي طالب وزيري في الدّنيا ووزيري في الآخرة .

يا أُمّ سلمة اسمعي واشهدي ، هذا عليّ بن أبي طالب وصيّي وخليفتي من بعدي ، وقاضي عداتي ، والذائد عن حوضي .

إسمعي واشهدي هذا عليّ بن أبي طالب سيّد المسلمين ، وإمام المتّقين ، وقائد الغرّ المحجّلين ، وقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين» .

قلت : يا رسول الله مَن الناكثون ؟

قال : «الّذين يبايعونه بالمدينة وينكثون بالبصرة» .

قلت : مَن القاسطون ؟

قال : «معاوية وأصحابه من أهل الشام» .

قلت : مَن المارقون ؟

قال : «أصحاب نهروان» .

وروي أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قال في أثناء خطبة خطبها بعد فتح البصرة بأيام

حاكياً عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله : «يا علي إنّك باق بعدي ، ومبتلى بأُمّتي ، ومخاصم بين يدي الله ، فأعدد للخصومة جواباً .

فقلت : بأبي وأُمّي أنت ، بيّن لي ما هذه الفتنة الّتي أبتلي بها ؟ وعلى ما أُجاهد بعدك ؟

فقال لي : إنّك ستقاتل بعدي الناكثة ، والقاسطة ، والمارقة ـ وجلاهم[1] وسمّاهم رجلاً رجلاً ـ وتجاهد من أُمّتي كلّ من خالف «القرآن» وسنّتي ، وممّن يعمل في الدّين بالرأي ، ولا رأي في الدّين ، إنّما هو أمر الرب ونهيه .

فقلت : يا رسول الله فأرشدني إلى الفلج عند الخصومة يوم القيامة .

فقال : نعم ، إذا كان ذلك كذلك فاقتصر على الهدى ، إذا قومك عطفوا الهدى على الهوى ، وعطفوا «القرآن» على الرأي ، فتأوّلوه برأيهم بتتبّع الحجج من «القرآن» لمشتهيات الأشياء الطارية عند الطمأنينة إلى الدّنيا ، فاعطف أنت الرأي على «القرآن» ، وإذا قومك حرّفوا الكلمة عن مواضعه عند الأهوال الساهية ، والأُمراء الطامحة ، والقادة الناكثة ، والفرقة القاسطة ، والأُخرى المارقة أهل الإفك المردي ، والهوى المطغي ، والشبهة الخالفة ، فلا تنكلنّ عن فضل العاقبة ، فإنّ العاقبة للمتّقين» .

وعن ابن عبّاس رضي الله عنه قال : لمّا نزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيّ جاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِين ﴾ الخ[2] قال النبيّ صلى الله عليه وآله : «لأُجاهدنّ العمالقة» ؛ يعني الكفّار والمنافقين ، فأتاه جبرئيل فقال : أنت أو عليّ عليه السلام .

وعن جابر بن عبدالله الأنصاري[3] قال : إنّي كنت لأدناهم من رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع

---

(١) جلى الشيء : كشفه وأوضحه .

(٢) التوبة ٧٣.

(٣) جابر بن عبدالله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، شهد بدراً ، وأدرك الإمام محمّد الباقر عليه السلام وبلّغه سلام رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان من السابقين الّذين رجعوا إلى أميرالمؤمنين عليه السلام ، وممّن انقطع لأهل البيت .
روي عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال : «إنّ جابر بن عبدالله كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان رجلاً منقطعاً إلينا أهل البيت ، وكان يقعد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو معتمّ بعمامة سوداء ، وكان ينادي : يا باقر

بمنى ، فقال : «لأعرفنّكم ترجعون بعدي كفّاراً ؛ يضرب بعضكم رقاب بعض ، وأيم الله لو فعلتموها لتعرفنّني في الكتيبة الّتي تضاربكم» ، ثمّ التفت إلى خلفه فقال : «أو علي ، أو علي ، أو علي» ـ ثلاث مرّات ـ فرأينا على أثر ذلك أنّ جبرئيل عليه السلام غمزه ، فأنزل الله تعالى على أثر ذلك : ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُنتَقِمُونَ * أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُقْتَدِرُونَ ﴾[1]».

وعن ابن عبّاس أنّ عليّاً عليه السلام كان يقول ـ في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ـ : «إنّ الله يقول : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾[2] والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله ، والله لئن مات أو قتل لأُقاتلنّ على ما قاتل عليه حتّى أموت ، لأنّي أخوه وابن عمّه ، ووارثه ؛ فمن أحقّ به منّي ؟» .

وعن أحمد بن همام قال : أتيت عبادة بن الصامت في ولاية أبي بكر ، فقلت : يا عبادة أكان النّاس على تفضيل أبي بكر قبل أن يستخلف ؟

فقال : يا أبا ثعلبة ، إذا سكتنا عنكم فاسكتوا ، ولا تبحثونا ، فوالله لعليّ بن أبي طالب كان أحقّ بالخلافة من أبي بكر ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله أحقّ بالنبوّة من أبي جهل .

قال : وأزيدكم أنّا كنّا ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء عليّ عليه السلام ، وأبوبكر وعمر إلى باب رسول الله صلى الله عليه وآله ، فدخل أبوبكر ، ثمّ دخل عمر ، ثمّ دخل عليّ عليه السلام على أثرهما ، فكأنّما سفي على وجه رسول الله الرماد ، ثمّ قال : «يا علي أيتقدّمانك هذان ، وقد أمّرك الله عليهما» ؟

فقال أبوبكر : نسيت يا رسول الله .

وقال عمر : سهوت يا رسول الله .

فقال رسول الله : «ما نسيتما ولا سهوتما ، وكأنّي بكما قد سلبتماه ملكه ، وتحاربتما عليه ، وأعانكما على ذلك أعداء الله ، وأعداء رسوله ، وكأنّي بكما قد تركتما المهاجرين والأنصار يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف على الدنيا ، ولكأنّي بأهل بيتي وهم المقهورون المشتّتون في أقطارها ، وذلك لأمر قد قضي» .

العلم ، يا باقر العلم ، وكان أهل المدينة يقولون : جابر يهجر ، فكان يقول : لا والله لا أهجر ولكنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : «إنّك ستدرك رجلاً من أهل بيتي ، اسمه اسمي ، وشمائله شمائلي ، يبقر العلم بقراً» فذاك الّذي دعاني إلى ما أقول» . [رجال العلّامة ٣٤، رجال الكشي ٤٢ـ٤٥]

(١) الزخرف ٤١ـ٤٢.

(٢) آل عمران ١٤٤.

ثمّ بكى رسول الله ﷺ حتّى سالت دموعه ، ثمّ قال : «يا علي الصبر الصبر حتّى ينزل الأمر ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم ، فإنّ لك من الأجر في كلّ يوم ما لا يحصيه كاتباك ، فإذا أمكنك الأمر فالسيف السيف ، القتل القتل ، حتّى يفيئوا إلى أمر الله وأمر رسوله ، فإنّك على الحقّ ، ومن ناواك على الباطل ، وكذلك ذرّيّتك من بعدك إلى يوم القيامة» .

وعن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن عليّ عليه السلام قال : «كنت أنا ورسول الله ﷺ في المسجد بعد أن صلّى الفجر ، ثمّ نهض ونهضت معه ، وكان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يتّجه إلى موضع أعلمني بذلك ، وكان إذا أبطأ في ذلك الموضع صرت إليه لأعرف خبره ، لأنّه لا يتصابر قلبي على فراقه ساعة واحدة ، فقال لي : «أنا متّجه إلى بيت عائشة» ؛ فمضى عليه السلام ومضيت إلى بيت فاطمة الزهراء عليها السلام ، فلم أزل مع الحسن والحسين فأنا وهي مسروران بهما ، ثمّ إنّي نهضت وسرت إلى باب عائشة ، فطرقت الباب ، فقالت : من هذا ؟

فقلت لها : أنا علي .

فقالت : إنّ النّبيّ راقد .

فانصرفت ، ثمّ قلت : النّبي راقد وعائشة في الدّار ؛ فرجعت وطرقت الباب ، فقالت لي عائشة : مَن هذا ؟

فقلت لها : أنا علي .

فقالت : إنّ النّبيّ على حاجة .

فانثنيت مستحيياً من دقّ الباب ، ووجدت في صدري ما لا أستطيع عليه صبراً ؛ فرجعت مسرعاً فدققت الباب دقّاً عنيفاً ، فقالت لي عائشة : مَن هذا ؟

فقلت : أنا علي ؛ فسمعت رسول الله ﷺ يقول : يا عائشة افتحي له الباب ؛ ففتحت ودخلتُ ، فقال لي : اُقعد يا أباالحسن اُحدّثك بما أنا فيه ، أو تحدّثني بإبطاءك عنّي ؟

فقلت : يا رسول الله تحدّثني فإنّ حديثك أحسن .

فقال : يا أباالحسن كنت في أمر كتمته من ألم الجوع ، فلمّا دخلت بيت عائشة وأطلت القعود ، ليس عندها شيء تأتي به ، فمددت يدي وسألت الله القريب المجيب ، فهبط عَلَيّ حبيبي جبرئيل عليه السلام ومعه هذا الطير ـ ووضع إصبعه على طائر بين يديه ـ فقال : إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إليّ : أن آخذ هذا الطير وهو أطيب طعام في الجنّة فآتيك به يا محمّد ؛ فحمدت الله عزّ وجلّ كثيراً ، وعرج

جبرئيل ؛ فرفعت يدي إلى السّماء فقلت : «اللّهمّ يسّر عبداً يحبّك ويحبّني يأكل معي من هذا الطّير» ؛ فمكثت مليّاً فلم أر أحداً يطرق الباب ، فرفعت يدي ثمّ قلت : «اللّهمّ يسّر عبداً يحبّك ويحبّني وتحبّه وأُحبّه يأكل معي من هذا الطّير» ؛ فسمعت طرق الباب وارتفاع صوتك ، فقلت لعائشة : أدخلي عليّاً ؛ فدخلت ، فلم أزل حامداً لله حتّى بلغت إليّ إذكنت تحبّ الله وتحبّني ، ويحبّك الله وأُحبّك ؛ فكل يا علي .

فلمّا أكلت أنا والنّبي الطائر ، قال لي : يا علي حدّثني .

فقلت : يا رسول الله لم أزل منذ فارقتك أنا وفاطمة والحسن والحسين مسرورين جميعاً ، ثمّ نهضت أُريدك ، فجئت فطرقت الباب ، فقالت لي عائشة : من هذا ؟ فقلت : أنا علي ، فقالت : إنّ النّبيّ راقد ، فانصرفت ، فلمّا أن صرت إلى بعض الطريق الّذي سلكته رجعت ، فقلت : النّبيّ ﷺ راقد وعائشة في الدّار ، لا يكون هذا ، فجئت فطرقت الباب ، فقالت لي : من هذا ؟ فقلت لها : أنا علي ، فقالت : إنّ النّبيّ على حاجة ، فانصرفت مستحيياً ، فلمّا انتهيت إلى الموضع الّذي رجعت منه أوّل مرّة ، وجدت في قلبي ما لا أستطيع عليه صبراً ، وقلت : النّبيّ ﷺ على حاجة وعائشة في الدّار ، فرجعت فدققت الباب الدقّ الّذي سمعته ، فسمعتك يا رسول الله وأنت تقول لها : أدخلي عليّاً .

فقال النّبيّ ﷺ : أبى الله إلّا أن يكون الأمر هكذا ، يا حميراء ما حملك على هذا ؟

قالت : يا رسول الله اشتهيت أن يكون أبي يأكل من هذا الطير .

فقال لها : ما هو بأوّل ضغن بينك وبين علي ، وقد وقفت لعليّ ـ إن شاء الله ـ لتقاتلنّه .

فقالت : يا رسول الله وتكون النّساء يقاتلن الرّجال ؟

فقال لها : يا عائشة إنّك لتقاتلين عليّاً ، ويصحبك ويدعوك إلى هذا نفر من أهل بيتي وأصحابي[1] فيحملونك عليه ، وليكوننّ في قتالك له أمر يتحدّث به الأوّلون والآخرون ، وعلامة ذلك أنّك تركبين الشيطان ، ثمّ تبتلين قبل أن تبلغي إلى الموضع الّذي يقصد بك إليه ، فتنبح عليك كلاب الحوأب ، فتسألين الرجوع ، فتشهد عندك قسامة أربعين رجلاً ما هي كلاب الحوأب ،

---

(١) يريد بأهل بيته المعنى العام لأهل البيت الرجل أي أقاربه ، والمقصود هنا هو : الزبير بن العوام ، وليس المقصود من أهل البيت المعنى الخاص المقصور على الخمسة من أصحاب الكساء ، الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرا .

فتنصرفين إلى بلد أهله أنصارك[1] وهو أبعد بلاد على الأرض من السّماء، وأقربها إلى الماء، ولترجعنّ وأنت صاغرة بالغة ما تريدين، ويكون هذا الّذي يردّك مع من يثق به من أصحابه، وإنّه لك خير منك له، ولينذرنّك بما يكون الفراق بيني وبينك في الآخرة، وكلّمن فرّق عليّ بيني وبينه بعد وفاتي ففراقه جائز.

فقالت: يا رسول الله ليتني متّ قبل أن يكون ما تعدني.

فقال لها: هيهات هيهات! والّذي نفسي بيده ليكوننّ ما قلت، حقّ كأنّي أراه.

ثمّ قال لي: قم يا علي فقد وجبت صلاة الظهر، حتّى آمر بلالاً بالأذان.

فأذّن بلال وأقام وصلّى وصلّيت معه ولم يزل في المسجد».

احتجاجه عليه السلام فيما يتعلّق بتوحيد الله، وتنزيهه عمّا لا يليق به من صفات المصنوعين من الجبر والتشبيه والرؤية والمجيء والذهاب والتغيير والزوال والإنتقال من حال إلى حال في أثناء خطبة ومجاري كلامه ومخاطباته ومحاوراته

«الحمد لله الّذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يُحصي نعمه العادّون، ولا يؤدّي حقّه المجتهدون[2]، الّذي لا يدركه بُعد الهِمَم، ولا يناله غوص الفِطَن[3]، الّذي ليس لصفته حدّ

---

(١) وفي نسخة «فتصيرين» بدل تنصرفين.

(٢) الحمد هو: الثناء على الجميل من نعمة وغيرها، والبلوغ هو: الوصول إلى المشارفة. والمدحة: فعلة من المدح وهي: الهيئة كالجلسة للجالس، والركبة للراكب، والإحصاء: إنهاء العدد والإحاطة بالمعدود، والمجتهد: من اجتهد في الأمر إذا بذل وسعه وطاقته في طلبه.

في الجملة الأُولى إشارة إلى العجز عن القيام بالثناء عليه سبحانه كما يستحقّه وكما هو أهله، وهي في معنى قول النّبيّ صلى الله عليه وآله: «لا أُحصي ثناءاً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك».

وفي الجملة الثانية اعتراف بالقصور عن القدرة على حصر أنعم الله على تعدّدها وكثرتها بحيث لا يحيط بها الإنسان، وهذه الجملة مقتبسة من قوله تعالى: **﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا﴾**.

وفي الثالثة اعتراف بالعجز عن أداء شكر المنعم، وأداء حقّه اللازم على العباد مهما بذلوا من جهد، فكلّ حركة وسكون يصدران من الإنسان مستندان إلى وجوده تعالى، وهي نعمة منه تعالى على عباده، ولذا جاء في الأثر: إنّ موسى عليه السلام سأل ربّه قائلاً: يا ربّ كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكر إلّا بنعمة ثانية من نعمك. فأوحى الله تعالى إليه: إذا عرفت هذا فقد شكرتني.

(٣) الهِمم ـ جمع الهمّة ـ وهي: العزم والجزم الثابت الّذي لا يعتريه فتور، والنيل: الإصابة، والفطن ـ جمع فطنة ←

محدود ، ولا نعت موجود ، ولا وقت معدود ، ولا أجل ممدود[١] ، فطّر الخلايق بقدرته ، ونشر الرياح برحمته ، ووتّد بالصخور مَيدان أرضه[٢] ، أوّل الدّين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به ، وكمال تصديقه توحيده ، وكمال توحيده الإخلاص له ، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه[٣] لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف ، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصّفة ؛ فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ، ومن قرنه فقد ثنّاه ، ومن ثنّاه فقد جزّأه ، ومن جزّأه فقد جهله[٤] ، ومن أشار إليه فقد حدّه ، ومن حدّه فقد عدّه ، ومن قال : فيمَ ؟ فقد ضمّنه ، ومن قال عَلىمَ ؟ فقد أخلى منه[٥] ، كائن لا عن حدث ، موجود لا عن عدم ، مع كلّ شيء لا بمقارنة ، وغير كلّ شيء لا

⬅ بالكسر ـ وهي : الحذق وجودة استعداد الذهن لتصوّر ما يرد عليه .
بُعد الهمم علوّها وتعلّقها بالأُمور العالية أي : إنّ الهمم وإن علت وبعدت لا يمكن أن تدركه مهما حلقت في سماء المدارك العالية ، كما أنّ الفطن الغائصة في بحار الأفكار هي الأُخرى لا تصل إلى كنه حقيقته .

(١) حدّ الشيء : منتهاه ، والنعت : الصفة ، والأجل : المدّة المضروبة للشيء .
أي : ليس لصفاته الذاتيّة من القدرة والإختيار والعلم والحياة حدّ معيّن ينتهي إليه ويقف عنده كما هو الحال في الموجودات الممكنة ، فإنّها جميعاً لها حدّ تنقطع إليه وتقف عنده ، كما أنّها لا تنعت بنعوت موجودة أي زائدة متغيّرة ، فعلمه مثلاً لا ينعت بالزيادة والنقصان ـ كما هو الحال بالنسبة لنا ـ وقدرته لا توصف بالقوّة والضعف بل هو منزّه عن كلّ هذه النعوت ، وصفاته عين ذاته ، كما أنّها أزليّة فليس لها وقت معدود ، وأبديّة فليس لها أجل ممدود .

(٢) فطّر : خلق ، والنشر : البسط ، ووتّد ـ بالتخفيف والتشديد ـ : ثبّت ، والمَيَدان ـ بفتح الميم والياء ـ : الحركة .
أي : سكّن الأرض بعد اضطرابها ، وهي من قوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا الْجِبَالَ أَوْتَادًا** ﴾ ، وقوله : ﴿ **وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ** ﴾ .

(٣) أوّل الدين معرفته أي : إنّ معرفته سبحانه أساس الطاعة والعبادة ، فما لم يعرف لا يمكن أن يطاع ، ولا تتمّ معرفته ما لم يذعن العبد ويحكم بوجوب وجوده ، ولا يذعن ويحكم بوجوب وجوده ما لم يؤمن ويحكم له بالوحدانيّة وأنّه لا شريك له في ذاته ، لأنّ الواجب لا يتعدّد ، ثمّ إنّ كمال هذا التوحيد يكون بالإخلاص له وهو إمّا جعله خالياً عن النقائص وسلب الجسميّة والعرضيّة وأمثالها عنه ، أو الإخلاص له بالعمل ، وكمال هذا الإخلاص هو نفي الصفات الزائدة عنه تعالى ؛ فصفاته تعالى عين ذاته ؛ علمه وقدرته وإرادته وحياته وسمعه وبصره كلّها موجودة بوجود ذاته الأحديّة ، وذاته جامعة ومستوعبة لها وهي عينها ، وليست هي على كثرتها وتعدّد معانيها وتغاير مفهوماتها زائدة على الذات خارجة عنها .

(٤) أي : من وصف الله سبحانه بصفة زائدة على ذاته خارجة عنها فقد قرنه بغيره في الوجود ، ومن قرنه بغيره فقد صيّره ثانياً لقديمَين يصدق عليهما واجب الوجود ، وحينئذٍ يكون قد جزّأه لأنّ كلّ واحد من القديمَين جزء لذلك الواجب ، ومن جزّأه فقد جهله إذ جعله في عداد الممكنات ، ولم يعرف الوجود الواجب فهو لا يتعدّد ولا يتجزّأ كما هو ثابت في علم الكلام .

(٥) ضمّنه : جعله محتوياً عليه ، وأخلى منه : جعله خالياً منه .

بمزايلة ، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة ، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه ، متوحّدٌ اذ لا سكن يستأنس به ، ولا يستوحش لفقده[١] ، أنشأ الخلق إنشاءاً ، وابتدأه ابتداءاً بلا رويّة أجالها ، ولا تجربة استفادها ، ولا حركة أحدثها ، ولا همامة نفس اضطرب فيها ، أحال الأشياء لأوقاتها ، ولائم بين مختلفاتها ، وغرّز غرائزها ، وألزمها أشباحها ، عالماً بها قبل ابتدائها ، محيطاً بحدودها وانتهائها ، عارفاً قرائنها وأحنائها[٢]» .

ومن أشار إليه : سواء بالإشارة العقليّة كأن يجعل له حدّاً منطقيّاً مركّباً من جنس وفصل ، أو بالإشارة الحسيّة ، فقد حدّه وذلك أنّ كلّ مشارٍ إليه لابدّ أن يكون في جهة ما ، وكلّ ما هو في جهة فلابدّ له من اطراف وأقطار هي حدوده وينتهي عندها ، ومَن فعل ذلك وحدّه فقد عدّه في عداد الممكنات ، ومن قال فيم هو فقد جعله ضمن شيء ، ومن قال عليمَ هو فقد جعله مستعل على شيء وغير مستعل على غيره ، وحينئذٍ يكون قد أخلى منه ذلك الغير .

(١) حدث الشيء : تجدّد وجوده ، والمزايلة : المفارقة ، والسكن ـ بفتحتين ـ : ما يسكن إليه من أهل ومال .
هذه الفقرات كلّ منها مركّبة من قضيّتين : إحداهما موجبة والأُخرى سالبة ، والفرق بين الفقرتين الأوّليّتين «كائن لا عن حدث و«موجود لا عن عدم» إذ يبدو أنّ معناهما واحد في نفيهما تجدّد الوجود ، هو : أنّ الفقرة الأُولى تنفي تجدّد الحدوث الزماني يعني أنّه كائن منذ الأزل ، والثانية تنفي التجدّد الذاتي وتثبت وجوب وجوده .
مع كلّ شيء لا بمقارنة ، كما أنّه غير كلّ شيء ، ولكن لا بمزايلة ومفارقة ؛ فالمقارنة والمفارقة من الصفات الجسمانيّة ، وذاته المقدّسة منزّهة عن الجسمانيّات فهو مع كلّ شيء بمعنى أنّه علام بكلّ شيء محيط به ، شاهد عليه ، غير غائب عنه ، ولكن هذه المعيّة وتلك الغيريّة ليست كما هي بالنسبة لنا من المقارنة والمفارقة الّتي هي من خصائص الجسميّة ولوازمها ، وذاته المجرّدة لا تشبه شيئاً من ذوات الموجودات الممكنة ؛ فهو فاعل ولكن لا بمعنى الحركات والآلة ، ومن ضيق الألفاظ نعبّر عن صفاته القدسيّة بهذه الألفاظ المتعارفة بيننا ، والتّي نطلقها عليه كما نطلقها على سائر الممكنات ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً .
بصير منذ الأزل إذ لا منظور إليه من خلقه ، متوحّد في سلطانه وملكوته إذ لا سكن يستأنس به ، ولا أنيس يستوحش لفقده ؛ فالوحشة والأنس من لوازم الطبيعة الحيوانيّة ، وهو منزّه عنها .

(٢) نشأ الشيء : حدّث وتجدّد ، والابتداء : بمعنى الانشاء ، والرويّة : الفكر والتدبّر ، وأجال به : إذا أداره ، والتجربة : الإختبار ، والهمامة : التردّد ، وأحال الأشياء : صرفها وحوّلها ، ولائم : أصلح ، والغريزة : الطبيعة ، والأشباح : الأشخاص ، والإحاطة : الإستدارة والشمول ، والأحناء ـ جمع الحنوء ـ : الجانب والناحية .
أنشأ الخلق انشاءاً من غير مادّة ، وابتدأهم ابتداءاً من دون مثال سبق ، بلا رويّة أجالها ولا فكر أداره ، ولا تجربة استفادها ولا خبرة اكتسبها من قبل ، ولا أحدثها كالحركة الحادثة لنا إذا أردنا فعل شيء ما ، ولا همامة نفس اضطرب فيها كما تتردّد نفوسنا وتضطرب ، فكلّ هذه الأُمور من لوازم الجسميّة تقدّست ذاته عنها ، وأحال الأشياء ونقلها وصرفها حسب مقتضيّات الحكمة والمصلحة لأوقاتها ؛ للقضاء والقدر ، وأصلح ولائم بين ماكان من عالم الغيب كالأرواح المجرّدة وماكان من عالم الشهود كالأجسام المركّبة ، وغير ذلك من مختلفاتها كتوفيقه بين سائر

وقال عليه السلام في خطبة اُخرى[1]: «أوّل عبادة الله معرفته، وأصل معرفته توحيده، ونظام توحيده نفي الصفات عنه، جلّ أن تحلّه الصفات بشهادة العقول: أن كلّ من حلّته الصفات فهو مصنوع، وشهادة العقول: أنّه جلّ جلاله صانع ليس بمصنوع، بصنع الله يستدلّ عليه، وبالعقول يعتقد معرفته، وبالفكر تثبت حجّته، جعل الخلق دليلاً عليه، فكشف به ربوبيّته، هو الواحد الفرد في أزليّته، لا شريك له في إلهيّته، ولا ندّ له في ربوبيّته، بمضادّته بين الأشياء المتضادّة علم أن لا ضدّ له، وبمقارنته بين الاُمور المقترنة علم أن لا قرين له».

وقال عليه السلام في خطبة اُخرى: «دليله آياته، ووجوده إثباته، ومعرفته توحيده، وتوحيده تمييزه من خلقه، وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة، أنّه ربّ خالق غير مربوب مخلوق، كلّ ما تصوّر فهو بخلافه».

ثمّ قال ـ بعد ذلك ـ: «ليس بآله من عرف بنفسه، هو الدالّ بالدليل عليه، والمؤدّي بالمعرفة إليه».

وقال عليه السلام في خطبة اُخرى[2]: «لا يشمل بحدّ، ولا يحسب بعدّ، وإنّما تحدّ الأدوات أنفسها، وتشير الآلات إلى نظائرها، منعتها منذ القدمة، وحمتها قد الأزليّة، وجنبتها لولا التكملة، بها تجلّى صانعها للعقول، وبها امتنع عن نظر العيون[3]، لا تجري عليه الحركة والسكون، وكيف

العناصر، وغرّز للأشياء غرائزها ثمّ خصّ كلّ جنس أو نوع بغرائزه الخاصّة به، وألزمها أشباحها وأشخاصها عالماً بها قبل ابتدائها كما هو عالم بها بعد إيجادها من غير فرق بين الحالين، محيطاً بحدودها وانتهائها؛ شاملاً بقدرته وعلمه جميع أطرافها.

(١) ارشاد الشيخ المفيد رحمه الله: أبوالحسن الهذلي عن الزهري وعيسى بن زيد عن صالح بن كيسان عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال ـ في الحثّ على معرفة الله ـ: «أوّل عبادة الله معرفته ...» الخ.

(٢) تجد هذه الخطبة الجليلة ـ الّتي هي حقّاً من معجزات أميرالمؤمنين عليه السلام، ولو لم تكن له معجزة سواها لكفى، كما لو لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وآله معجزة سوا أميرالمؤمنين عليه السلام لكفى ـ في ج٢ ص١٤٢ من نهج البلاغة. قال السيّد الرضي رحمه الله: وتجمع هذه الخطبة من اُصول العلوم ما لا تجمعه خطبة. وأوّلها كما هي مثبتة في النهج: «ما وحّده من كيّفه، ولا حقيقته أصاب من مثّله، ولا إيّاه عنى من شبّهه، ولا صمّده من أشار إليه وتوهّمه، كلّ معروف بنفسه مصنوع، وكلّ قائم في سواه معلول، فاعل لا باضطراب آلة، مقدور لا بجول فكرة، غنيّ لا باستفادة، لا تصحبه الأوقات، ولا ترفده الأدوات، سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والإبتداء أزله، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، وبمضادّته بين الأمور عرف أن لا ضدّ له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له، ضادّ النّور بالظلمة، والوضوح بالبهمة، والجمود بالبلل، والحرور بالصرد، مؤلّف بين متعادياتها، مقارنٌ بين متبايناتها، مقرّبٌ بين متباعداتها، مفرّقٌ بين متدانياتها، لا يشمل بحدّ ...» الخ.

(٣) لا يشمل بحدّ من الحدود المنطقية المركّبة من الجنس والفصل، وذاته خالية من التركيب أو من الحدود والأبعاد

يجري عليه ما هو أجراه ؟ ويعود إليه ما هو أبداه ؟ ويحدث فيه ما هو أحدثه ؟ إذاً لتفاوتت ذاته ، ولتجزّأ كنهه ، ولامتنع من الأزل معناه ، ولكان له وراء إذا وجد له أمام ، ولالتمس التمام إذ لزمه النقصان ، وإذاً لقامت آية المصنوع فيه ، ولتحوّل دليلاً بعد أن كان مدلولاً عليه[1] ، الّذي لا يحول ،

الهندسيّة الّتي هي من لوازم الأجسام ، وذاته تعالى ليست بجسم .

ولا يحسب بعد لعدم المثال له ، وواجب الوجود لا يتعدّد كما هو ثابت في محلّه ، كما أنّ صفاته عين ذاته غير زائدة عليها ، فلا تدخل تحت العدد ، ولا بداية لوجوده حتّى يقال كان منذ كذا وكذا ، وإنّما تحدّ الأدوات أنفسها لتركّبها من جنس وفصل ، ولكونها من الأجسام فتشملها الحدود والأبعاد الهندسيّة .

وتشير الآلات إلى نظائرها فتدخل تحت العدد ، وقد منعتها ـ اطلاق لفظة منذ عليها ـ القدمة ، في قولنا : وجدت هذه الآلات منذ كذا ، ومتى كان للشيء ابتداء فهو غير قديم .

وحمتها ـ اطلاق لفظة قد عليها ـ الأزليّة ، في قولنا : قد وجدت هذه الآلات والأدوات منذ كذا ، لأنّ قد تفيد تقريب الزمان الماضي من الحال ، ومتى تعيّن زمن وجود الشيء انتفت أزليّته .

وجنبتها ـ اطلاق كلمة : لولا عليها ـ التكملة ، في قولنا : ما أحسن هذه الآلات والأدوات لولا أنّ فيها كذا ، لدلالتها على امتناع كمال الشيء لوجود النقص فيه . ويمكن أن يكون المعنى : إنّ قدمه وأزليّته وكماله منعت من اطلاق لفظة «منذ» و«قد» و«لولا» على ذاته المقدّسة ، لدلالتها على الحدوث والإبتداء والنّقص .

بها ؛ بتلك الآلات والأدوات ببديع صنعها ، بإتقانها ، بحكمة تدبيرها تجلّى صانعها للعقول ، الّتي هي طبعاً بعض تلك الآلات لدلالة الأثر على المؤثّر ، وامتنع بدليل تجرّده وتنزّهه عن المادّة والجسميّة واللون والجهة الّتي هي من لوازم المرئيّات عن نظر العيون .

(١) الحركة سواء كانت بمعناها الفلسفي الّذي هو : الخروج من القوّة إلى الفعل ، أو بمعناها الفيزيائي الّذي هو : الإنتقال من مكان إلى آخر ، فهي تتقوّم بالتدرّج والإنتقال من حال إلى حال ، ومن مكان إلى آخر ، وتخلع صورة وتلبس أُخرى ، وتصل إلى جزء وتنفصل عن سابقه ، وهكذا ، ويقابلها السكون الّذي هو : التوقّف والخمود فيما يقبل الحركة ، والحركة والسكون كلاهما من الحوادث المستندة في وجودها إلى علّة ، وحيث ثبت أن لا موجد إلّا الله ، ولا خالق سواه ، فيكون هو الّذي خلقهما وأجراهما على نفسه ، وأحدثهما في ذاته ، ولاستحالة أن يكون مخلوقه جزء ذاته ، نفى أميرالمؤمنين عليه السلام ذلك في صورة استفهام انكاري في قوله : «وكيف يجري عليه ما هو أجراه ؟ ويعود إليه ما هو أبداه ؟ ويحدث فيه ما هو أحدثه ؟» ثمّ إنّه عليه السلام شرع في إقامة الأدلّة على استحالة هذه النسبة فقال :

١ ـ إذاً لتفاوتت ذاته : أي تغيّرت ، لأنّها تكون متحرّكة تارة وساكنة أُخرى ؛ فالحركة والسكون من الحوادث المتغيّرة ، فيكون محلًّا للحوادث ، وذلك من لوازم الإمكان ، فيكون واجب الوجود ممكن الوجود ، وهو مستحيل .

٢ ـ ولتجزّأ كنهه : لأنّ الحركة والسكون من لوازم الأجسام ، والأجسام مركّبة فيلزم حقيقته التركيب وهو باطل .

٣ ـ ولامتنع من الأزل معناه : لأنّ الحركة والسكون من لوازم الأجسام الحادثة ، والحادث لا يكون أزليّاً .

٤ ـ ولكان له وراء إذ وجد له أمام : إذ لو جرت عليه الحركة لكان له أمام يتحرّك نحوه ، وحينئذٍ يلزم أن يكون له وراء لأنّهما أمران إضافيّان لا ينفكّ أحدهما عن الآخر ، وحينئذٍ يكون له وجهان وكلّ ذي وجهين منقسم ، وكلّ

ولا يزول ، ولا يجوز عليه الأُفول[١] ، لم يلد فيكون مولوداً ، ولم يولد فيصير محدوداً[٢] ، جلّ عن اتّخاذ الأبناء ، وطهر عن ملامسة النساء ، لا تناله الأوهام فتقدّره ، ولا تتوهّمه الفطن فتصوّره ، ولا تدركه الحواس فتحسّه ، ولا تلمسه الأيدي فتمسّه ، ولا يتغيّر بحال ، ولا يتبدّل بالأحوال ، ولا تبليه اللّيالي والأيّام ، ولا يغيّره الضياء والظلام ، ولا يوصف بشيء من الأجزاء ، ولا الجوارح والأعضاء ، ولا بعرض من الأعراض ، ولا بالغيريّة والأبعاض ، ولا يقال له حدّ ولا نهاية ، ولا انقطاع ولا غاية ، ولا أنّ الأشياء تحويه ؛ فتقلّه أو تهويه ، ولا أنّ شيئاً يحمله ؛ فيميله أو يعدله[٣] ، ليس في الأشياء بوالج ، ولا عنها بخارج ، يُخبر لا بلسان ولهوات ، ويسمع لا بخروق وأدوات ، يقول ولا يلفظ ، ويحفظ ولا يتحفّظ ، ويريد ولا يضمر ، يحبّ ويرضى من غير رقّة ، ويبغض ويغضب من غير مشقّة ، يقول ـ لمّا أراد كونه ـ : «كن ؛ فيكون» لا بصوت يقرع ، ولا نداء يسمع ، وإنّما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه ، ومثله لم يكن من قبل ذلك كائناً ، ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً[٤] ، ولا يقال له : «كان بعد أن لم يكن» فتجري عليه الصفات المحدثات ، ولا يكون بينه

منقسم ممكن .

٥ ـ ولا لتمس التمام إذ لزمه النقصان : إذ هو في حركته يتوجّه نحو غاية ؛ إمّا لجلب نفع أو لدفع ضرر ، وذلك كمال مطلوب له لنقصان لازم لذاته ، وذلك يستلزم الإمكان فهو باطل ، وإذاً لقامت آية المصنوع فيه وثبت إمكانه وحدوثه وتحوّل دليلاً يستدلّ بوجوده على خالقه .

(١) لا يحول : لا يتغيّر ، والأفول : الغيبة .

(٢) الولادة تحصل بانفصال شيء عن آخر من جنسه ونوعه ، فالوالد والولد يشتركان في النوع والصنف والعوارض ، ولا يكون هذا الإنفصال والتجزّي إلّا بواسطة المادّة القابلة للتجزأة ، وإذا كان كذلك فهو متولّد من مادّة وصورة ، ويحتمل أن يكون المراد بالمولود المخلوق ، فيكون المعنى لم يلد فيثبت كونه جسماً مخلوقاً ، وعلى كلا التقديرين سواء كان مولوداً من مادّة وصورة ، أو كان جسماً مخلوقاً ، فإنّه يكون محدوداً بالحدود المنطقيّة ، والأبعاد الهندسيّة .

(٣) لا تناله الأوهام فتقدّره بمقدار وكم ، وشكل وكيف ، والفطنة : سرعة الفهم ، ولا تتوهّمه الفطن فتصوّره بصور خياليّة أو عقليّة ، ولا تدركه الحواسّ بنحو المباشرة ، ولا تلمسه وتحسّه الأيدي بنحو المماسّة ، ولا يتغيّر أبداً ، ولا يوصف بالغيريّة والأبعاض ؛ فصفاته لا يغاير بعضها بعضاً ، وليس هو بذي مكان يحويه ؛ فيرتفع بارتفاعه وينخفض بانخفاضه ، كما أنّه غير محمول على شيء ؛ فيميله إلى جانب ، أو يعدله على ظهره من غير ميل .

(٤) يحفظ عباده ويحرسهم ، ولا يتحرّز ولا يخاف ، ويبغض ويغضب ولا يستلزم بغضه وغضبه مشقّة وانزعاجاً ، كما هو الحال بالنسبة لنا ممّا يستلزمانه فينا من فوران دم القلب واضطرابه . يقول ـ لمّا أراد كونه ـ كن ؛ فيكون ، وليس المراد بالقول هو التكلّم الحقيقي حتّى يكون له صوت يقرع الآذان فيسمع ، وإنّما كلامه سبحانه هو نفس فعله ، وخلقه للأشياء وتصويرها بنشوءه ويمثّله لجبرئيل في اللوح وليس هو بقديم ، ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً .

وبينها فصل ، ولا له عليها فضل ، فيستوي الصانع والمصنوع ، ويتكافأ المبتدع والبديع[١] خلق الخلائق على غير مثال خلا من غيره[٢] ولم يستعن على خلقها بأحد من خلقه ، أنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال ، وأرساها على غير قرار[٣] وأقامها بغير قوائم ، ورفعها بغير دعائم ، وحصّنها من الأود والإعوجاج ، ومنعها من التهافت والإنفراج[٤] أرسى أوتادها ، وضرب أسدادها ، واستفاض عيونها ، وخدّ أوديتها[٥] فلم يهن ما بناه ، ولا ضعف ما قوّاه ، هو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته ، والباطن لها بعلمه ومعرفته ، والعالي على كلّ شيء منها بجلالته وعزّته ، لا يعجزه شيء منها طلبه ، ولا يمتنع عليه فيغلبه ، ولا يفوته السريع منها فيسبقه ، ولا يحتاج إلى ذي مالٍ فيرزقه ، خضعت الأشياء له ، وظلّت مستكينة لعظمته[٦] لا تستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره ، فتمتنع من نفعه وضرّه ، ولا كفؤ له فيكافئه[٧] ولا نظير له فيساويه ، هو المفني لها بعد وجودها ، حتّى يصير موجودها كمفقودها ، وليس فناء الدّنيا بعد ابتداعها بأعجب من إنشائها وإختراعها ، وكيف !! ولو اجتمع جميع حيوانها : من طيرها ، وبهائمها ، وما كان من مراحها ، وسائمها ، وأصناف أشباحها ، وأجناسها ، ومتلبّدة اُممها وأكياسها[٨] على إحداث بعوضة ما قدرت على إحداثها ، ولا عرفت كيف السبيل إلى إيجادها ، ولتحيّرت عقولها في علم ذلك وتاهت ، وعجزت قواها وتناهت ، ورجعت خاسئة حسيرة[٩] عارفة بأنّها مقهورة مقرّة بالعجز عن إنشائها ، مذعنة بالضعف عن إفنائها ، وأنّه يعود سبحانه بعد فناء الدّنيا وحده لا شيء معه ، كما كان قبل ابتدائها ، كذلك يكون بعد فنائها ، لا وقت ولا مكان ، ولا حين ولا زمان ، عدمت عند ذلك الآجال والأوقات ، وزالت السنون والساعات ، فلا شيء إلّا الواحد القهّار ، الّذي إليه مصير جميع الاُمور ، بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها ، وبغير امتناع منها كان فناؤها ، ولو قدرت على

---

(١) في بعض النسخ «الصفات المحدثات».

(٢) خلا : أي مضى.

(٣) أرساها : أثبتها على غير قرار.

(٤) الأود ـ بالتحريك ـ الإعوجاج. والتهافت : التساقط قطعة قطعة.

(٥) الأسداد ـ جمع السد ـ بمعنى الجبل أو الحاجز. وبالضم بمعنى السحاب. وخدّ : بمعنى شقّ.

(٦) الإستكانة : الخضوع.

(٧) أي : يساويه في وجوب الوجود.

(٨) المتلبّدة : ذو البلادة ضدّ الأكياس.

(٩) الخاسئ : الذليل الصاغر. والحسير : حَسَّرَ فلاناً أوْقعه في الحسرة أو حقّره وأذاه.

الإمتناع لدام بقاؤها ، لم يتكأدّه[1] صنع شيء منها إذا صنعه ، ولم يؤوده[2] منها خلق ما برأه وخلقه ، ولم يكوّنها لتشديد سلطان ، ولا لخوف من زوال ونقصان ، ولا للإستعانة بها على ندّ[3] مكاثر[4] ، ولا للإحتراز بها من ضدّ مساور[5] ولا للإزدياد بها في ملكه ، ولا لمكاثرة شريك في شركته ، ولا لوحشة كانت منه فأراد أن يستأنس إليها ، ثمّ هو يفنيها بعد تكوينها لا لسأم دخل عليه من تصريفها وتدبيرها ، ولا لراحة واصلة إليه ، ولا لثقل شيء منها عليه ، لا يملّه طول بقائها فيدعوه إلى نزعة إفنائها ، لكنّه سبحانه دبّرها بلطفه ، وأمسكها بأمره ، وأتقنها بقدرته ، ثمّ يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه إليها ، ولا استعانة بشيء منها عليها ، ولا لانصراف من حال وحشة إلى حال استيناس ، ولا من حال جهل وعمى إلى حال علم والتماس ، ولا من فقر ولا حاجة إلى غنى وكثرة ، ولا من ذلّ وضعة إلى عزّ وقدرة» .

ومن خطبة له عليه السلام[6] : «الحمد لله الّذي لا تدركه الشواهد[7] ولا تراه النواظر ، ولا تحجبه السواتر ، الدالّ على قدمه بحدوث خلقه ، وبحدوث خلقه على وجوده ، وباشتباههم على أن لا شبه له ، الّذي صدّق في ميعاده ، وارتفع عن ظلم عباده ، وقام بالقسط في خلقه ، وعدل عليهم في حكمه ، مستشهد بحدوث الأشياء على أزليّته ، وبما وسمها به من العجز على قدرته ، وبما اضطرّها إليه من الفناء على دوامه ، واحد لا بعدد ، ودائم لا بأمد ، وقائم لا بعمد ، تتلقّاه الأذهان لا بمشاعرة[8] وتشهد له المرائي لا بمحاضرة[9] لم تحط به الأوهام ، بل تجلّى لها بها ، وبها امتنع منها ، وإليها حاكمها[10] ليس بذي كبر امتدّت به النهايات فكبّرته تجسيماً ، ولا بذي عظم تناهت

---

(١) لم يتكأدّه : لم يشقّ عليه .

(٢) لم يؤوده : لم يثقّله .

(٣) الند : المثل .

(٤) المكاثرة : المغالبة بالكثرة .

(٥) المساورة : المواثبة .

(٦) ج ٢ ص ١٣٧ من نهج البلاغة .

(٧) المراد بالشواهد : الحواس .

(٨) أي : لا بطريق المشاعر والأحاسيس .

(٩) أي : المرئيات تشهد له بالوجود من غير أن يكون محسوساً معها .

(١٠) أي : لم تحط به العقول بل بها تجلّى وظهر وثبت وجوده لها وبالنظر والتعقّل علمنا أنّه ممتنع من أن تدركه العقول وجعل العقول السقيمة المدّعية بالإحاطة به تعالى خصمه ، ثمّ حاكمها إلى العقول السليمة فحكمت عليها .

به الغايات فعظّمته تجسيداً ، بل كبر شأناً ، وعظم سلطاناً» .

ومنها في الإستدلال عليه تعالى بعجيب خلقه من أصناف الحيوان وغيره : «ولو فكّروا في عظيم القدرة ، وجسيم النعمة ، لرجعوا إلى الطريق ، وخافوا عذاب الحريق ، ولكن القلوب عليلة ، والأبصار مدخولة ، أفلا ينظرون إلى صغير ما خلق كيف أحكم خلقه ، وأتقن تركيبه ، وفلق له السمع والبصر ، وسوّا له العظم والبشر ، اُنظروا إلى النملة في صغر جثّتها ، ولطافة هيئتها ، لا تكاد تنال بلحظ البصر ، ولا بمستدرك الفكر ، كيف دبّت على أرضها ، وصبّت على رزقها ، تنقل الحبّة إلى جحرها ، وتعدّها في مستقرّها ، تجمع في حرّها لبردها ، وفي ورودها لصدورها ، مكفولة برزقها ، مرزوقة بوفقها ، لا يغفلها المنّان ، ولا يحرمها الديّان ، ولو في الصفاء اليابس ، والحجر الجامس ، ولو فكّرت في مجاري أكلها ، وفي علوّها وسفلها ، وما في الجوف من شراسيف بطنها ، وما في الرأس من عينها وأُذنها ، لقضيت من خلقتها عجباً ، ولقيت من وصفها تعباً ، فتعالى الّذي أقامها على قوائمها ، وبناها على دعائمها ، ولم يشركه في فطرتها فاطر ، ولم يعنه على خلقها قادر ، ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ما دلّتك الدلالة إلّا على أنّ فاطر النملة هو فاطر النحلة ، لدقيق تفصيل كلّ شيء ، وغامض اختلاف كلّ حيّ ، وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقويّ والضعيف في خلقه إلّا سواء ، وكذلك السماء والهواء ، والريح والماء ، فانظر إلى الشمس والقمر ، والنبات والشجر ، والماء والحجر ، واختلاف هذا الليل والنهار ، وتفجّر هذه البحار والأنهار ، وكثرة هذه الجبال ، وطول هذه القلال ، وتفرّق هذه اللغات والألسن المختلفات ، فالويل لمن أنكر المقدّر ، أو جحد المدبّر ، وزعموا أنّهم كالنبات ما لهم زارع ، ولا لاختلاف صورهم صانع ، لم يلجؤا إلى حجّة فيما ادّعوا ، ولا تحقيق فيما أوعوا ، وهل يكون بناء من غير بان ، أو جناية من غير جان ، وإن شئت قلت في الجرادة : إذ خلق لها عينين حمراوين ، وأسرج لها حدقتين قمراوين ، وجعل لها السمع الخفي ، وفتح لها الفم السوي ، وجعل لها الحس القوي ، ونابين بهما تقرض ، ومنجلين بهما تقبض ، ترهبها الزرّاع في زرعهم ، ولا يستطيعون ذبّها ولو أجمعوا بجمعهم ، حتّى تردّ الحرث من نزواتها ، وتقضي منها شهواتها ، وخلقها كلّه لا يكون إصبعاً مستدقّة ، فتبارك الله الّذي يسجد له من في السّماوات والأرض طوعاً وكرهاً ، ويعفر له خدّاً ووجهاً ، ويلقى بالطاعة له سلماً وضعفاً ، ويعطى له القياد رهبة وخوفاً ، والطير مسخّرة لأمره ، أحصى عدد الريش منها والنفس ، وأرسى قوائمها على الندى واليبس ، قدّر أقواتها ، وأحصى

أجناسها ، فهذا غراب ، وهذا عقاب ، وهذا حمام ، و هذا نعام ، دعاكلّ طائر باسمه ، وكفل له برزقه ، وأنشأ السحاب الثقال فأهطل ديمها ، وعدّد قسمها ، فبلّ الأرض بعد جفوفها ، وأخرج نبتها بعد جدوبها» .

وروي انّه وفد وفد من بلاد الروم إلى المدينة على عهد أبي بكر وفيهم راهب من رهبان النصارى، فاتى مسجد رسول اللهﷺ ومعه بختي[1] موقر[2] ذهباً وفضّة وكان ابوبكر حاضراً وعنده جماعة من المهاجرين والأنصار

فدخل عليهم ، وحيّاهم ، ورحّب بهم ، وتصفّح وجوههم ، ثمّ قال : أيّكم خليفة رسول الله وأمين دينكم ؟

فأُومِيَ إلى أبي بكر ؛ فأقبل إليه بوجهه ثمّ قال : أيّها الشيخ ما اسمك ؟

قال : عتيق .

قال : ثمّ ماذا ؟

قال : صدّيق .

قال : ثمّ ماذا ؟

قال : لا أعرف لنفسي اسماً غيره .

فقال : لست بصاحبي .

فقال له : وما حاجتك ؟

قال : أنا من بلاد الرّوم ، جئت منها ببختيّ موقَّر ذهباً وفضّة ، لأسأل أمين هذه الأُمّة مسألة ؛ إن أجابني عنها أسلمت ، وبما أمرني أطعت ، وهذا المال بينكم فرّقت ، وإن عجز عنها رجعت إلى الوراء بما معي ولم أُسلم .

فقال له أبوبكر : سل عمّا بدا لك .

فقال الراهب : والله لا أفتح الكلام ، ما لم تؤمنّي من سطوتك وسطوة أصحابك .

فقال أبوبكر : أنت آمن ، وليس عليك بأس ، قل ما شئت .

---

(١) البخت : نوع من الإبل : بختي ، مثل روم ورومي ، والأُنثى بختية .

(٢) الوقر ـ بالكسر ـ : الحمل ، يقال : جاء يحمل وقره .

فقال الراهب : أخبرني عن شيء ليس لله ، ولا من عند الله ، ولا يعلمه الله .

فارتعش أبوبكر ولم يحر جواباً ، فلمّاكان بعد هنيئة قال ـ لبعض أصحابه ـ : ائتني بأبي حفص عمر ؛ فجاء به فجلس عنده ثمّ قال : أيّها الرّاهب سله .

فأقبل بوجهه إلى عمر وقال له مثل ما قال لأبي بكر ، فلم يحر جواباً .

ثمّ أُتِيَ بعثمان ، فجرى بين الرّاهب وعثمان مثل ما جرى بينه وبين أبي بكر وعمر ، فلم يحر جواباً .

فقال الراهب : أشياخ كرام ، ذووا فجاج لإسلام ، ثمّ نهض ليخرج .

فقال أبوبكر : يا عدوّ الله لولا العهد لخضّبت الأرض بدمك .

فقام سلمان الفارسي رضي الله عنه وأتى عليّ بن أبي طاب عليه السلام وهو جالس في صحن داره مع الحسن والحسين عليهما السلام ، وقصّ عليه القصّة .

فقام عليّ عليه السلام وخرج ومعه الحسن والحسين عليهما السلام حتّى أتى المسجد ، فلمّا رأى القوم عليّاً عليه السلام كبرّوا الله ، وحمدوا الله ، وقاموا إليه أجمعهم ، فدخل عليّ عليه السلام وجلس .

فقال أبوبكر : أيّها الراهب سله فإنّه صاحبك وبغيتك .

فأقبل الراهب بوجهه إلى عليّ عليه السلام ثمّ قال : يا فتى ما اسمك ؟

قال : «اسمي عند اليهود «إليا» ، وعند النصارى «ايليا» وعند والدي «عليّ» وعند أُمّي «حيدرة»» .

قال : ما محلّك من نبيّكم ؟

قال : «أخي وصهري وابن عمّي لحّاً» .

قال الراهب : أنت صاحبي وربّ عيسى ، أخبرني عن شيء ليس لله ، ولا من عند الله ، ولا يعلمه الله .

قال عليه السلام : «على الخبير سقطت ؛ أمّا قولك «ليس لله» فإنّ الله تعالى أحد ليس له صاحبة ولا ولد ، وأمّا قولك «ولا من عند الله» فليس من عند الله الظلم لأحد ، وأمّا قولك «لا يعلمه الله» فإنّ الله لا يعلم له شريكاً في الملك» .

فقام الراهب وقطع زنّاره وأخذ رأسه وقبّل مابين عينيه ، وقال : أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمّداً رسول الله ، وأشهد أنّك الخليفة وأمين هذه الأُمّة ، ومعدن الدين والحكمة ، ومنبع عين الحجّة ، لقد قرأت اسمك في «التوراة» اليا ، وفي «الإنجيل» ايليا ، وفي «القرآن» عليّاً ، وفي

الكتب السابقة حيدرة ، ووجدتك بعد النّبي وصيّاً ، وللإمارة وليّاً ، وأنت أحقّ بهذا المجلس من غيرك ، فأخبرني ما شأنك وشأن القوم ؟

فأجابه بشيء ، فقام الراهب وسلّم المال إليه بأجمعه ، فما برح عليّ عليه السلام مكانه حتّى فرّقه في مساكين أهل المدينة ، ومحاويجهم ، وانصرف الراهب إلى قومه مسلماً .

وروي أنّه اتّصل بأميرالمؤمنين عليه السلام أنّ قوماً من أصحابه خاضوا في التّعديل والتجريح ، فخرج حتّى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : «أيّها النّاس ، إنّ الله تبارك وتعالى لمّا خلق خلقه ، أراد أن يكونوا على آداب رفيعة ، وأخلاق شريفة ، فعلم أنّهم لم يكونوا كذلك إلّا بأن يعرّفهم ما لهم وما عليهم ، والتعريف لا يكون إلّا بالأمر والنّهي ، والأمر والنّهي لا يجتمعان إلّا بالوعد والوعيد ، والوعد لا يكون إلّا بالترغيب ، والوعيد لا يكون إلّا بالترهيب ، والترغيب لا يكون إلّا بما تشتهيه أنفسهم وتلذّ أعينهم ، والترهيب لا يكون إلّا بضدّ ذلك ، ثمّ خلقهم في داره وأراهم طرفاً من اللذّات ، ليستدلّوا به على ما ورائهم من اللذّات الخالصة الّتي لا يشوبها ألم ، ألا وهي الجنّة ، وأراهم طرفاً من الآلام ليستدلّوا به على ما ورائهم من الآلام الخالصة الّتي لا يشوبها لذّة ، ألا وهي النّار ؛ فمن أجل ذلك ترون نعيم الدّنيا مخلوطاً بمحنها ، وسرورها ممزوجاً بكدرها وهمومها» .

قيل : فحدّث الجاحظ[1] بهذا الحديث ، فقال : هو جماع الكلام الّذي دوّنه النّاس في كتبهم ، ولتحاوره بينهم .

قيل : ثمّ سمع أبو علي الجبّائي[2] بذلك ، فقال : صدق الجاحظ ؛ هذا ما لا يحتمله الزيادة والنقصان .

وروي عن عليّ بن محمّد العسكري عليهما السلام - في رسالته إلى أهل الأهواز في نفي الجبر

---

(١) الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الليثي البصري اللغوي النحوي ، كان من غلمان النظّام ، وكان مائلاً إلى النّصب والعثمانيّة ، وله كتب منها : العثمانيّة ؛ الّتي نقض عليها أبو جعفر الإسكافي ، والشيخ المفيد ، والسيّد أحمد بن طاوس.

وطال عمره وأصابه الفالج في آخر عمره ، ومات في البصرة سنة ٢٥٥. [الكنى والألقاب ١٢١/٢]

(٢) الجبّائي : أبو علي محمّد بن عبدالوهّاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان مولى عثمان بن عفّان ، ويطلق على ابنه أبي هاشم عبدالسّلام بن محمّد ، ويقال لهما : الجبّائيّان ، وكلاهما من رؤساء المعتزلة ، ولهما مقالات على مذهب الإعتزال ، والكتب الكلاميّة مشحونة بمذاهبهما واعتقادهما ، توفّي أبو علي الجبّائي سنة ٣٠٣. [الكنى والألقاب ١٢٦/٢]

والتفويض[١] ـ أنّه قال: «روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه سأله رجل بعد انصرافه من الشام فقال: يا أميرالمؤمنين أخبرني عن خروجنا إلى الشام أبِقَضاءٍ وقَدَر؟

فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: نعم يا شيخ؛ ما علوتم تلعة[٢] ولا هبطتم بطن وادٍ إلّا بقضاء من عند الله وقدر.

فقال الرّجل: عند الله أحتسب عنائي، والله ما أرى لي من الأجر شيئاً.

فقال عليّ عليه السلام: بلى فقد عظّم الله لكم الأجر في مسيركم وأنتم ذاهبون، وعلى منصرفكم وأنتم منقلبون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين، ولا إليه مضطرّين.

فقال الرّجل: وكيف لا نكون مضطرّين والقضاء والقدر ساقانا، وعنهما كان مسيرنا؟!

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: لعلّك أردت قضاءاً لازماً، وقدراً حتماً، ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، والأمر من الله والنّهي، وماكانت تأتي من الله لائمة لمذنب، ولا محمدة لمحسن، ولاكان المحسن أولى بثواب الإحسان من المذنب، ولا المذنب أولى بعقوبة الذنب من المحسن، تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان، وجنود الشيطان، وخصماء الرّحمن، وشهداء الزور والبهتان، وأهل العمى والطغيان[٣]، وهم قدريّة هذه الأُمّة ومجوسها، إنّ الله تعالى أمر تخييراً، ونهىٰ تحذيراً، وكلّف يسيراً، ولم يُعْصَ مغلوباً، ولم يُطَع مكرهاً، ولم يرسل الرّسل هزلاً، ولم ينزل «القرآن» عبثاً، ولم يخلق السّماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظنّ الّذين كفروا، فويل للّذين كفروا من النّار. ثمّ تلى عليهم: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[٤].

قال: فنهض الرّجل مسروراً وهو يقول:

أنت الإمام الّذي نرجو بطاعته ... يوم النشور من الرّحمن رضوانا

---

(١) تتلخّص عقيدتنا نحن الشيعة الإماميّة الإثنى عشريّة في «القضاء والقدر» بما يلي: لمّا كان الله سبحانه وتعالى مفيض الوجود ومعطيه، فالأفعال الصادرة منّا تكون داخلة تحت سلطانه، ومن جملة مقدوراته، ومن ناحية كونها صادرة منّا ونحن أسبابها الطّبيعيّة فهي داخلة تحت قدرتنا واختيارنا، وهو لم يجبرنا عليها، بل أعطانا القدرة والإختيار في أفعالنا، ولذا فهو حين يعاقبنا على المعاصي لا يكون ظالماً لنا، ولا فوّض خلقها إلينا حتّى تخرج عن سلطانه، وخلاصة الكلام أنّنا نقول بالطريق الوسط في القول بين القولين كما علّمنا أئمّتنا عليهم السلام، وكما قال إمامنا الصّادق عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض بل أمرٌ بين الأمرين».

(٢) التلعة: ما علا من الأرض.

(٣) في بعض النسخ «أهل الغيّ والطغيان».

(٤) الإسراء ٢٣.

أوضحت من ديننا ماكان ملتبساً — جزاك ربك عنّا فيه إحسانا

وليس معذرة في فعل فاحشة — قدكنت راكبها فسقاً وعصيانا

كلّا ولا قائلاً ناهيه أوقعه — فيه عبدت إذاً يا قوم شيطانا

ولا أحبّ ولا شاء الفسوق ولا — قتل الوليّ له ظلماً وعدوانا

أنّى يحبّ وقد صحّت عزيمته — على الّذي قال أعلن ذاك إعلانا»

وروي أنّ رجلاً قال : فما القضاء والقدر الّذي ذكرته يا أميرالمؤمنين ؟

قال عليه السلام : «الأمر بالطاعة ، والنهي عن المعصية ، والتمكين من فعل الحسنة ، وترك المعصية ، والمعونة على القربة إليه ، والخذلان لمن عصاه ، والوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب ، كلّ ذلك من قضاء الله في أفعالنا ، وقدره لأعمالنا ، وأمّا غير ذلك فلا تظنّه فإنّ الظنّ له محبط للأعمال».

فقال الرّجل : فرّجت عنّي يا أميرالمؤمنين فرّج الله عنك .

وروي أنّه سُئِل عن القضاء والقدر ، فقال : «لا تقولوا : وكّلهم الله على أنفسهم ؛ فتوهنوه ، ولا تقولوا : أجبرهم على المعاصي ؛ فتظلموه ، ولكن قولوا : الخير بتوفيق الله ، والشرّ بخذلان الله ، وكلّ سابق في علم الله» .

وروى أهل السير : إنّ رجلاً جاء إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فقال : يا أميرالمؤمنين خبّرني عن الله أرأيته حين عبدته ؟

فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام : «لم أك بالّذي أعبد من لم أره» .

فقال له :كيف رأيته يا أميرالمؤمنين ؟

فقال له : «يا ويلك لم تره العيون بمشاهدة العيان ، ولكن رأته العقول بحقايق الإيمان ، معروف بالدلالات ، منعوت بالعلامات ، لا يقاس بالنّاس ، ولا يُدرَك بالحواس» .

فانصرف الرجل وهو يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

وروي أنّ بعض الأحبار جاء إلى أبي بكر فقال له : أنت خليفة نبيّ هذه الأُمّة ؟

فقال : نعم .

قال : فإنّا نجد في «التوراة» أنّ خلفاء الأنبياء أعلم أُممهم ، فخبّرني عن الله أين هو ؛ أفي السّماء أم في الأرض ؟

فقال له أبوبكر : في السّماء على العرش .

قال اليهودي : فأرى الأرض خالية منه ، وأراه ـ على هذا القول ـ في مكان دون مكان ؟

فقال أبوبكر : هذا كلام الزنادقة ، إعزب عنّي[1] وإلّا قتلتك .

فولّى الرّجل متعجّباً يستهزئ بالإسلام ، فاستقبله أميرالمؤمنين عليه السلام فقال له : «يا يهودي قد عرفت ما سألت عنه ، وما أُجبت به ، وإنّا نقول : إنّ الله عزّ وجلّ أيّن الأين فلا أين له ، وجلّ عن أن يحويه مكان ، وهو في كلّ مكان ، بغير مماسّة ولا مجاورة ، يحيط علماً بها[2] ، ولا يخلو شيء من تدبيره تعالى ، وإنّي مخبرك بما جاء في كتاب من كتبكم يصدّق ما ذكرته لك ، فإن عرفته أتؤمن به» ؟

قال اليهودي : نعم .

قال : «ألستم تجدون في بعض كتبكم أنّ موسى بن عمران كان ذات يوم جالساً إذ جاءه ملك من المشرق ، فقال له : من أين جئت ؟ قال : من عند الله . وجاءه ملك آخر من المغرب ، فقال له : من أين جئت ؟ فقال : من عند الله . ثمّ جاءه ملك ، فقال له : من أين جئت ؟ فقال : قد جئتك من السماء السابعة من عند الله عزّ وجلّ . وجاء ملك آخر قال : قد جئتك من الأرض السابعة السفلى من عندالله عزّ وجلّ . فقال موسى عليه السلام : سبحان من لا يخلو منه مكان ، ولا يكون إلى مكان أقرب من مكان» .

فقال اليهودي : أشهد أنّ هذا هو الحقّ المبين ، وأنّك أحقّ بمقام نبيّك ممّن استولى عليه .

وروى الشّعبي أنّه سمع أميرالمؤمنين عليه السلام رجلاً يقول : والّذي احتجب بسبع طباق ؛ فعلاه عليه السلام بالدرّة[3] ثمّ قال له : «يا ويلك إنّ الله أجلّ من أن يحتجب عن شيء ، أو يحتجب عنه شيء ، سبحان الّذي لا يحويه مكان ، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء» .

فقال الرّجل : أفأكفّر عن يميني يا أميرالمؤمنين ؟

قال : «لم تحلف بالله فيلزمك كفّارة ، فإنّما حلفت بغيره» .

وعن أبي عبدالله الصّادق عليه السلام قال : «جاء حبر من الأحبار إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فقال : يا أميرالمؤمنين متى كان ربّك ؟

فقال له : ثكلتك أُمّك ، ومتى لم يكن حتّى يقال : متى كان ؟! كان ربّي قبل القبل بلا قبل ، وبعد

---

(١) عزب : غاب وخفي فهو عازب .

(٢) وفي بعض النسخ «بما فيها» .

(٣) الدرة ـ بالكسر ـ : التي يضرب بها ـ السوط ـ .

البعد بلا بعد، ولا غاية ولا منتهى لغايته، انقطعت الغايات عنده فهو منتهى كلّ غاية.

فقال: يا أميرالمؤمنين أفنبيٌّ أنت؟

فقال: ويلك إنّما أنا عبد من عبيد محمّد».

احتجاجه عليه السلام على اليهود من أحبارهم ممّن قرأ الصحف والكتب في معجزات النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وكثير من فضائله

روي عن موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن الحسين بن علي عليهما السلام قال: «إنّ يهوديّاً من يهود الشام وأحبارهم كان قد قرأ «التوراة» و«الانجيل» و«الزبور» وصحف الأنبياء، وعرف دلائلهم، جاء إلى مجلس فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفيهم عليّ بن أبي طالب، وابن عبّاس، وابن مسعود، وأبو سعيد الجهني؛ فقال: يا اُمّه محمّد، ما تركتم لنبيّ درجة، ولا لمرسل فضيلة إلّا نحلتموها نبيّكم، فهل تجيبوني عمّا أسألكم عنه؟

فكاع القوم عنه[1].

فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: نعم، ما أعطى الله نبيّاً درجة، ولا مرسلاً فضيلة إلّا وقد جمعها لمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وزاد محمّداً على الأنبياء أضعافاً مضاعفة.

فقال له اليهودي: فهل أنت مجيبي؟

قال له: نعم سأذكر لك اليوم من فضائل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يقرّ الله به عين المؤمنين، ويكون فيه إزالة لشكّ الشاكّين في فضائله صلى الله عليه وآله وسلم، إنّه كان إذا ذكر لنفسه فضيلة قال: «ولا فخر»، وأنا أذكر لك فضائله غير مزر بالأنبياء، ولا منتقص لهم، ولكن شكراً لله على ما أعطى محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم مثل ما أعطاهم، وما زاده الله وما فضّله عليهم.

قال له اليهودي: إنّي أسألك فأعد له جواباً.

قال له عليّ عليه السلام: هات.

قال اليهودي: هذا آدم عليه السلام أسجد الله له ملائكته، فهل فعل لمحمّد شيئاً من هذا؟

فقال له عليّ عليه السلام: لقد كان كذلك، أسجد الله لآدم ملائكته، فإنّ سجودهم له لم يكن سجود طاعة، وأنّهم عبدوا آدم من دون الله عزّ وجلّ، ولكن اعترافاً بالفضيلة، ورحمة من الله له،

---

(١) كاع القوم عنه: هابوه وجبنوا.

ومحمّد صلى الله عليه وآله أُعطي ما هو أفضل من هذا ؛ إنّ الله عزّ وجلّ صلّى عليه في جبروته والملائكة بأجمعها ، وتعبّد المؤمنين بالصلاة عليه ؛ فهذه زيادة له يا يهودي .

قال له اليهودي : فإنّ آدم عليه السلام تاب الله عليه بعد خطيئته ؟

قال له عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمّد نزل فيه ما هو أكبر من هذا من غير ذنب أتى ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[1] ، إنّ محمّداً غير موافٍ يوم القيامة بوزر ، ولا مطلوب فيها بذنب .

قال اليهودي : فإنّ هذا إدريس رفعه الله عزّ وجلّ مكاناً عليّاً ، وأطعمه من تحف الجنّة بعد وفاته ؟

قال له عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمّد صلى الله عليه وآله أُعطي ما هو أفضل من هذا ، إنّ الله جلّ ثناؤه قال فيه : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[2] فكفى بهذا من الله رفعة ، ولئن أُطعِم إدريس من تحف الجنّة بعد وفاته ، فإنّ محمّداً أُطعم في الدّنيا في حياته ؛ بينما يتضوّر جوعاً فأتاه جبرئيل عليه السلام بجام من الجنّة فيه تحفة ، فهلّل الجام وهلّلت التحفة في يده ، وسبّحا ، وكبّرا ، وحمّدا ، فناولها أهل بيته ، ففعلت الجام مثل ذلك ، فهمّ أن يناولها بعض أصحابه فتناولها جبرئيل عليه السلام وقال له : كُلها فإنّها تحفة من الجنّة أتحفك الله بها ، وإنّها لا تصلح إلّا لنبيّ أو وصيّ نبيّ ؛ فأكل منها صلى الله عليه وآله وأكلنا معه ، وإنّي لأجد حلاوتها ساعتي هذه .

قال اليهودي : فهذا نوح عليه السلام صبر في ذات الله تعالى ، وأعذر قومه إذ كُذِّب ؟

قال له عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمّد صلى الله عليه وآله صبر في ذات الله عزّ وجلّ فأعذر قومه إذ كُذِّب ، وشُرِّد ، وحُصِّب بالحصا ، وعلاه أبو لهب بسلا ناقة وشاة ، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى جابيل ملك الجبال : أن شقّ الجبال وانته إلى أمر محمّد ، فأتاه فقال : إنّي أُمرت لك بالطاعة فإن أمرت أن أطبق عليهم الجبال فأهلكتهم بها . قال صلى الله عليه وآله : «إنّما بُعثت رحمة ، ربّ اهد أُمّتي فإنّهم لا يعلمون» ويحك يا يهودي إنّ نوحاً لمّا شاهد غرق قومه رقّ عليهم رقّة القرابة ، وأظهر عليهم شفقة ، فقال : ﴿ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾[3] ، فقال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾[4] أراد جلّ ذكره أن يسلّيه بذلك ، ومحمّد صلى الله عليه وآله لمّا غلبت عليه من قومه المعاندة ، شَهَرَ عليهم سيف النقمة ،

---

(١) الفتح ٢.

(٢) الشرح ٤.

(٣) هود ٤٥.

(٤) هود ٤٦.

ولم تدركه فيهم رقّة القرابة ، ولم ينظر إليهم بعين الرحمة .

فقال اليهودي : فإنّ نوحاً دعا ربّه ، فهطلت السماء بماء منهمر ؟

قال له عليه السلام : لقد كان كذلك ، وكانت دعوته دعوة غضب ، ومحمّد صلى الله عليه وآله هطلت له السماء بماء منهمر رحمة ، وذلك أنّه صلى الله عليه وآله لمّا هاجر إلى المدينة أتاه أهلها في يوم جمعة ، فقالوا له : يا رسول الله احتبس القطر ، واصفرّ العود ، وتهافت الورق ؛ فرفع يده المباركة حتّى رُئِيَ بياض إبطه ، وما ترى في السماء سحابة ، فما برح حتّى سقاهم الله حتّى أنّ الشاب المعجب بشبابه لهمّته نفسه في الرجوع إلى منزله فما يقدر على ذلك من شدّة السيل ، فدام أُسبوعاً ، فأتوه في الجمعة الثانية فقالوا : يا رسول الله تهدّمت الجدر ، واحتبس الركب والسفر ؛ فضحك صلى الله عليه وآله وقال : هذه سرعة ملالة ابن آدم ، ثمّ قال : اللّهمّ حوالينا ولا علينا ، اللّهمّ في أُصول الشيح ومراتع البقع[1] ؛ فرُئِيَ حوالي المدينة المطر يقطر قطراً ، وما يقع بالمدينة قطرة ، لكرامته صلى الله عليه وآله على الله عزّ وجلّ .

قال له اليهودي : فإنّ هذا هود قد انتصر الله له من أعدائه بالريح ، فهل فعل لمحمّد صلى الله عليه وآله شيئاً من هذا ؟

قال له عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمّد صلى الله عليه وآله أُعطي ما هو أفضل من هذا ، إنّ الله عزّ وجلّ قد انتصر له من أعدائه بالريح يوم الخندق ، إذ أرسل عليهم ريحاً تذروا الحصى ، وجنوداً لم يروها ، فزاد الله تعالى محمّداً صلى الله عليه وآله بثمانية ألف ملَك ، وفضّله على هود بأنّ ريح عاد ريح سخط وريح محمّد ريح رحمة ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[2] .

قال له اليهودي : فهذا صالح أخرج الله له ناقة جعلها لقومه عبرة ؟

قال عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمّد صلى الله عليه وآله أُعطي ما هو أفضل من ذلك ، إنّ ناقة صالح لم تكلّم صالحاً ، ولم تناطقه ، ولم تشهد له بالنبوّة ، ومحمّد صلى الله عليه وآله بينما نحن معه في بعض غزواته إذ هو ببعير قد دنا ، ثمّ رغا فأنطقه الله عزّ وجلّ فقال : يا رسول الله فلاناً استعملني حتّى كبرت ، ويريد نحري ، فأنا أستعيذ بك منه ؛ فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى صاحبه فاستوهبه منه ، فوهبه له وخلّاه .

---

(١) الشيح : نبات أنواع كثيرة ، كلّه طيّب الرائحة ، والمراتع ـ جمع مرتع ـ وهو موضع الرتع : أي الخصب . والبقع جمع بقعة : القطعة من الأرض.

(٢) الأحزاب ٩.

ولقد كنّا معه فإذا نحن بأعرابيّ معه ناقة له يسوقها ، وقد استسلم للقطع لمّا زوّر عليه من الشهود ، فنطقت الناقة فقالت : يا رسول الله إنّ فلاناً منّي بريء ، وإنّ الشهود يشهدون عليه بالزّور ، وإنّ سارقي فلان اليهودي .

قال له اليهودي : فإنّ هذا إبراهيم قد تيقّظ بالإعتبار على معرفة الله تعالى وأحاطت دلالته بعلم الإيمان ؟

قال له عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، وأُعطي محمّداً أفضل منه ، وتيقّظ إبراهيم وهو ابن خمسة عشر سنة ومحمّد ابن سبع سنين ، قدم تجّار من النّصارى فنزلوا بتجارتهم بين الصّفا والمروة ، فنظر إليهم بعضهم فعرفه بصفته ورفعته ، وخبر مبعثه وآياته ، فقالوا : يا غلام ما اسمك ؟ قال : محمّد . قالوا : ما اسم أبيك ؟ قال : عبدالله . قالوا : ما اسم هذه ـ وأشاروا بأيديهم إلى الأرض ـ ؟ قال : الأرض . قالوا : وما اسم هذه ـ وأشاروا بأيديهم إلى السماء ـ ؟ قال : السماء . قالوا : فمن ربّهما ؟ قال : الله . ثمّ انتهرهم وقال : أتشكّكوني في الله عزّ وجلّ ؟ ويحك يا يهودي لقد تيقّظ بالإعتبار على معرفة الله عزّ وجلّ مع كفر قومه إذ هو بينهم ؛ يستقسمون بالأزلام ، ويعبدون الأوثان ، وهو يقول : لا إله إلّا الله .

قال له اليهودي : فإنّ إبراهيم عليه السلام حجب عن نمرود بحجب ثلاث ؟

قال عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمّد صلى الله عليه وآله حجب عمّن أراد قتله بحجب خمس ؛ فثلاثة بثلاثة واثنان فضل ، قال الله عزّ وجلّ ـ وهو يصف أمر محمّد صلى الله عليه وآله ـ : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً ﴾ ؛ فهذا الحجاب الأوّل ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً ﴾ ؛ فهذا الحجاب الثاني ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُون ﴾[1] ؛ فهذا الحجاب الثالث ، ثمّ قال : ﴿ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُورا ﴾[2] ؛ فهذا الحجاب الرابع ، ثمّ قال : ﴿ فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴾[3] ؛ فهذه حجب خمس .

قال له اليهودي : فإنّ هذا إبراهيم قد بهت الّذي كفر ببرهان نبوّته ؟

قال عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمّد صلى الله عليه وآله أتاه مكذّب بالبعث بعد الموت وهو أُبيّ بن خلف

---

(١) يس ٩.

(٢) الإسراء ٤٥.

(٣) يس ٨.

الجمحي ، معه عظم نخر ، ففركه ثمّ قال : يا محمّد ﴿ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيم ﴾[١] ؟ فأنطق الله محمّداً بمحكم آياته ، وبهّته ببرهان نبوّته ، فقال : ﴿ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيم ﴾[٢] ؛ فانصرف مبهوتاً .

قال له اليهودي : فهذا إبراهيم جذّ أصنام[٣] قومه غضباً لله ﷻ ؟

قال له عليّ ؑ : لقد كان كذلك ، ومحمّد ﷺ قد نكّس عن الكعبة ثلثمائة وستّين صنماً ، ونفاها عن جزيرة العرب ، وأذلّ من عبدها بالسّيف .

قال له اليهودي : فإنّ إبراهيم قد أضجع ولده وتلّه للجبين[٤] ؟

فقال عليّ ؑ : لقد كان كذلك ، ولقد أُعطي إبراهيم بعد الإضطجاع الفداء ، ومحمّد أُصيب بأفجع منه فجيعة أنّه وقف على عمّه حمزة أسد الله وأسد رسوله ، وناصر دينه ، وقد فرّق بين روحه وجسده ، فلم يبن عليه حرقة ، ولم يفض عليه عبرة ، ولم ينظر إلى موضعه من قلبه وقلوب أهل بيته ليُرضي الله ﷻ بصبره ، ويستسلم لأمره في جميع الفعال ، وقال ﷺ : لولا أن تحزن صفيّة لتركته حتّى يحشر من بطون السّباع ، وحواصل الطير ، ولولا أن يكون سنّة بعدي لفعلت ذلك .

قال له اليهودي : فإنّ إبراهيم ؑ قد أسلمه قومه إلى الحريق فصبر فجعل الله ﷻ عليه النّار برداً وسلاماً[٥] فهل فعل بمحمّد شيئاً من ذلك ؟

قال له عليّ ؑ : لقد كان كذلك ، ومحمّد ﷺ لمّا نزل بخيبر سمّته الخيبريّة فصيّر الله السمّ في جوفه برداً وسلاماً إلى منتهى أجله ؛ فالسمّ يحرق إذا استقرّ في الجوف كما أنّ النّار تحرق ، فهذا من قدرته لا تنكره .

قال له اليهودي : فإنّ هذا يعقوب ؑ أعظم في الخير نصيبه إذ جعل الأسباط من سلالة صلبه ، ومريم بنت عمران من بناته ؟

قال عليّ ؑ : لقد كان كذلك ، ومحمّد ﷺ أعظم في الخير نصيباً إذ جعل فاطمة سيّدة نساء العالمين من بناته ، والحسن والحسين من حفدته .

---

(١) يس ٧٨.

(٢) يس ٧٩.

(٣) جذّ أصنامهم : استأصلها ، إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً ﴾ أي فتاتاً مستأصلين .

(٤) تلّه : إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وتَلَّه لِلْجَبِين ﴾ أي : صرعه ، وهو كقولهم كبّه لوجهه .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيم ﴾ .

قال له اليهودي : فإنّ يعقوب عليه السلام قد صبر على فراق ولده حتّى كان يحرض[١] من الحزن .

قال له عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، حزن يعقوب حزناً بعده تلاق ، ومحمّد صلى الله عليه وآله قبض ولده إبراهيم عليه السلام ؛ قرّة عينه في حياته منه ، فخصّه بالإختيار ، ليعظم له الإدّخار ، فقال صلى الله عليه وآله : «يحزن النّفس ، ويجزع القلب ، وإنّا عليك يا إبراهيم لمحزونون ، ولا نقول ما يسخط الرب» ، في كلّ ذلك يؤثر الرضا عن الله عزّ وجلّ والإستسلام له في جميع الفعال .

قال له اليهودي : فإنّ هذا يوسف قاسى مرارة الفرقة ، وحبس في السجن توقّياً للمعصية ، واُلقي في الجبّ وحيداً ؟

قال له عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمّد صلى الله عليه وآله قاسى مرارة الغربة ، وفراق الأهل والأولاد والمال ، مهاجراً من حرم الله تعالى وأمنه ، فلمّا رأى الله عزّ وجلّ كآبته واستشعاره والحزن ، أراه تبارك اسمه رؤيا توازي رؤيا يوسف في تأويلها ، وأبان للعالمين صدق تحقيقها ، فقال : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَاءَ ٱللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ ﴾[٢] ولئن كان يوسف عليه السلام حبس في السّجن ، فلقد حبس رسول الله نفسه في الشعب ثلاث سنين ، وقطع منه أقاربه وذووا الرّحم ، وألجأوه إلى أضيق المضيق ، ولقد كادهم الله عزّ ذكره له كيداً مستبيناً ، إذ بعث أضعف خلقه فأكل عهدهم الّذي كتبوه بينهم في قطيعة رحمه ، ولئن كان يوسف اُلقي في الجبّ ، فلقد حبس محمّد نفسه مخافة عدوّه في الغار حتّى قال لصاحبه : لا تحزن إنّ الله معنا ، ومدحه إليه بذلك في كتابه .

فقال له اليهودي : فهذا موسى بن عمران آتاه الله عزّ وجلّ «التوراة» الّتي فيها حكمه ؟

قال له عليّ عليه السلام : فلقد كان كذلك ، ومحمّد صلى الله عليه وآله اُعطي ما هو أفضل منه ؛ اُعطي محمّد البقرة وسورة المائدة بالإنجيل ، وطواسين وطه ونصف المفصّل والحواميم بالتوراة ، واُعطي نصف المفصل والتسابيح بالزّبور ، واُعطي سورة بني إسرائيل وبرائة بصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام ، وزاد الله عزّ وجلّ محمّداً السبع الطوال[٣] وفاتحة الكتاب[٤] وهي السبع المثاني والقرآن العظيم ، واُعطي الكتاب والحكمة .

---

(١) يحرض : يهلك .

(٢) الفتح ٢٧ .

(٣) السبع الطوال من البقرة إلى الأعراف ، والسابعة سورة يونس أو الأنفال وبراءة ، لأنّهما سورة واحدة عند بعض .

(٤) هي سورة الحمد .

قال له اليهودي : فإنّ موسى ناجاه الله على طور سيناء ؟

قال له عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، ولقد أوحى الله إلى محمّد صلى الله عليه وآله عند سدرة المنتهى ، فمقامه في السّماء محمود ، وعند منتهى العرش مذكور .

قال اليهودي : فلقد ألقى الله على موسى بن عمران محبّة منه ؟

قال عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، وقد أُعطي محمّد صلى الله عليه وآله ما هو أفضل من هذا ؛ لقد ألقى الله محبّة منه ، فمن هذا الّذي يشركه في هذا الإسم إذ تمّ من الله به الشهادة فلا تتمّ الشهادة إلّا أن يقال : «أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمّداً رسول الله» ينادى به على المنابر ، فلا يرفع صوت بذكر الله إلّا رفع بذكر محمّد صلى الله عليه وآله معه .

قال له اليهودي : فلقد أوحى الله إلى أمّ موسى لفضل منزلة موسى عليه السلام عند الله ؟

قال له عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، ولقد لطف الله جلّ ثناؤه لأُمّ محمّد صلى الله عليه وآله بأن أوصل إليها اسمه ، حتّى قالت : أشهد والعالمون أنّ محمّداً رسول الله منتظر ، وشهد الملائكة على الأنبياء أنّهم أثبتوه في الأسفار ، وبلطف من الله ساقه إليها ، وأوصل إليها اسمه لفضل منزلته عنده ، حتّى رأت في المنام أنّه قيل لها : إنّ ما في بطنك سيّد ، فإذا ولدتِهِ فسمّيه محمّداً ، فاشتقّ الله له اسماً من أسمائه ؛ فالله المحمود وهذا محمّد .

قال له اليهودي : فإنّ هذا موسى بن عمران قد أرسله الله إلى فرعون وأراه الآية الكبرى ؟

قال له عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمّد أُرسل إلى فراعنة شتّى ، مثل أبي جهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة ، وأبي البختري ، والنضر بن الحرث ، وأُبيّ بن خلف ، ومنبه ونبيه ابنَي الحجّاج ، وإلى الخمسة المستهزئين : الوليد بن المغيرة المخزومي ، والعاص بن وائل السهمي ، والأسود بن عبد يغوث الزهري ، والأسود بن المطلب ، والحرث بن أبي الطلالة ، فأراهم الآيات في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ .

قال له اليهودي : لقد انتقم الله عزّ وجلّ لموسى من فرعون ؟

قال له عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، ولقد انتقم الله جلّ اسمه لمحمّد صلى الله عليه وآله من الفراعنة ؛ فأمّا المستهزؤون فقال الله : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾[1] فقتل الله خمستهم كلّ واحد منهم بغير قتلة

---

(١) الحجر ٩٥.

صاحبه في يوم واحد ؛ فأمّا الوليد بن المغيرة فمرّ بنبل لرجل من خزاعة قد راشه[١] ووضعه في الطريق فأصابه شظية[٢] منه فانقطع أكحله[٣] حتّى أدماه ، فمات وهو يقول : «قتلني ربّ محمّد» ، وأمّا العاص بن الوائل السهمي فإنّه خرج في حاجة له إلى موضع فتدهده[٤] تحته حجر ، فسقط فتقطّع قطعة قطعة ، فمات وهو يقول : «قتلني ربّ محمّد» ، وأمّا الأسود بن عبد يغوث فإنّه خرج يستقبل ابنه زمعة ، فاستظلّ بشجرة ، فأتاه جبرئيل فأخذ رأسه فنطح به الشجرة ، فقال لغلامه : إمنع هذا عنّي ، فقال : ما أرى أحداً يصنع شيئاً إلّا نفسك ، فقتله وهو يقول : «قتلني ربّ محمّد» ، وأمّا الأسود بن الحرث فإنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله دعا عليه أن يعمي الله بصره ، وأن يثكله ولده ، فلمّا كان في ذلك اليوم خرج حتّى صار إلى موضع ، أتاه جبرئيل بورقة خضراء فضرب بها وجهه فعمي ، فبقي حتّى أثكله الله ولده ، وأمّا الحرث بن أبي الطلالة فإنّه خرج من بيته في السموم فتحوّل حبشيّاً ، فرجع إلى أهله فقال : أنا الحرث ، فغضبوا عليه فقتلوه وهو يقول : «قتلني ربّ محمّد» .

وروي أنّ الأسود بن الحرث أكل حوتاً مالحاً فأصابه العطش ، فلم يزل يشرب الماء حتّى انشقّ بطنه ، فمات وهو يقول : «قتلني ربّ محمّد»[٥] .

«كلّ ذلك ساعة واحدة ، وذلك أنّهم كانوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا له : يا محمّد ننتظر بك إلى الظهر فإن رجعت عن قولك وإلّا قتلناك ، فدخل النّبيّ صلى الله عليه وآله منزله فأغلق عليه بابه مغتمّاً لقولهم ، فأتاه جبرئيل عن الله من ساعته فقال : يا محمّد السّلام يقرأ عليك السّلام وهو يقول لك : ﴿ إِصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾[٦] ؛ يعني أظهر أمرك لأهل مكّة ، وادعهم إلى الإيمان . قال : يا جبرئيل كيف أصنع بالمستهزئين وما أوعدوني ؟ قال له : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ . قال : يا جبرئيل كانوا الساعة بين يدي . قال : كفيتهم ، وأظهر أمره عند ذلك ، وأمّا بقيّة الفراعنة قُتلوا يوم بدر بالسّيف[٧] ؛ فهزم الله الجميع وولّوا الدُّبُر .

---

(١) راش السهم : الزق عليه الريش .

(٢) الشظية : الفلقة من العصا ونحوها .

(٣) الأكحل : عرق في اليد يفصد .

(٤) تدهده : تدحرج .

(٥) الظاهر أنّ هذا الكلام للمؤلّف رحمه الله أدخله في الخبر .

(٦) الحجر ٩٤.

(٧) روي عن ابن مسعود قال : كنّا مع النّبيّ صلى الله عليه وآله فصلّى في ظلّ الكعبة ، وناس من قريش وأبوجهل نحروا جزوراً ←

قال له اليهودي: فإنّ هذا موسى بن عمران قد أُعطي العصا فكان تحوّل ثعباناً؟

قال له عليّ عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمّد صلى الله عليه وآله أُعطي ما هو أفضل من هذا؛ إنّ رجلاً كان يطالب أباجهل بدين ثمن جزور قد اشتراه، فاشتغل عنه وجلس يشرب، فطلبه الرّجل فلم يقدر عليه، فقال له بعض المستهزئين: مَن تطلب؟ فقال: عمرو بن هشام - يعني أباجهل - لي عليه دين. قال: فأدلّك على من يستخرج منه الحقوق؟ قال: نعم؛ فدلّه على النّبيّ صلى الله عليه وآله، وكان أبوجهل يقول: ليت لمحمّد إليّ حاجة فأسخر به وأردّه، فأتى الرّجل النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد بلغني أنّ بينك وبين عمرو بن هشام حُسن صداقة، وأنا أستشفع بك إليه، فقام معه رسول الله صلى الله عليه وآله فأتى بابه، فقال له: قم يا أباجهل فأدّ إلى الرّجل حقّه، وإنّما كنّاه بأبي جهل ذلك اليوم، فقام مسرعاً حتّى أدّى إليه حقّه، فلمّا رجع إلى مجلسه قال له بعض أصحابه: فعلت ذلك فرقاً[1] من محمّد؟ قال: ويحكم إعذروني، إنّه لمّا أقبل رأيت عن يمينه رجالاً معهم[2] حراب تتلألأ، وعن يساره ثعبانين تصطكّ أسنانهما، وتلمع النيران من أبصارهما، لو امتنعت لم آمن أن يبعجوا[3] بالحراب بطني وتقضمني الثعبانان، هذا أكبر ممّا أُعطِيَ موسى، وزاد الله محمّداً ثعباناً وثمانية أملاك معهم الحراب.

ولقد كان النّبيّ صلى الله عليه وآله يؤذي قريشاً بالدعاء، فقام يوماً فسفَّه أحلامهم، وعاب دينهم، وشتم أصنامهم، وضلّل آباءهم، فاغتمّوا من ذلك غمّاً شديداً، فقال أبوجهل: والله للموت خير لنا من الحياة، فليس فيكم معاشر قريش أحد يقتل محمّداً فيُقْتَل به؟ قالوا: لا. قال: فأنا أقتله؛ فإن شاءت بنو عبدالمطّلب قتلوني به، وإلّا تركوني. قال: إنّك إن فعلت ذلك اصطنعت إلى أهل الوادي معروفاً لا تزال تُذْكَرُ به. قال: إنّه كثير السجود حول الكعبة، فإذا جاء وسجد أخذت حجراً فشدختُه[4] به، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله فطاف بالبيت أُسبوعاً، ثمّ صلّى وأطال السجود، فأخذ

⮌ في ناحية مكّة، فبعثوا وجاؤوا بسلاه فطرحوه بين كتفيه، فجاءت فاطمة عليها السلام فطرحته عنه، فلمّا انصرف قال: «اللّهمّ عليك بقريش، اللّهمّ عليك بأبي جهل، وبعتبة، وشيبة، ووليد بن عتبة، وأُميّة بن خلف، وبعقبة بن أبي معيط».

قال عبدالله: ولقد رأيتهم قتلى في قليب بدر.

(١) فرقاً: فزعاً.

(٢) في بعض النسخ «بأيديهم».

(٣) يبعجوا - بفتح العين - يشقّوا.

(٤) الشدخ: كسر الشيء الأجوف.

أبوجهل حجراً فأتاه من قِبَل رأسه ، فلمّا أن قرب منه أقبل فَحْلٌ من قِبَل رسول الله صلى الله عليه وآله فاغراً فاه نحوه ، فلمّا أن رآه أبوجهل فزع منه وارتعدت يده ، وطرح الحجر فشدخ رجله ، فرجع مدمى ، متغيّر اللون ، يفيض عرقاً ، فقال له أصحابه : ما رأيناك كاليوم ؟ قال : ويحكم إعذروني ، فإنّه أقبل من عند فحل فاغراً فاه فكاد يبتلعني ، فرميت بالحجر فشدخت رجلي .

قال اليهودي : فإنّ موسى قد أُعطي اليد البيضاء ، فهل فعل بمحمّد شيئاً من ذلك ؟

قال له عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمّد صلى الله عليه وآله أُعطي ما هو أفضل من هذا ، إنّ نوراً كان يضيء عن يمينه حيثما جلس ، وعن يساره حيثما جلس ، وكان يراه النّاس كلّهم .

قال له اليهودي : فإنّ موسى عليه السلام قد ضرب به طريق في البحر ، فهل فعل بمحمّد شيء من هذا ؟

فقال له عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمّد أُعطي ما هو أفضل من هذا ، خرجنا معه إلى حنين فإذا نحن بواد يشخب ، فقدّرناه فإذا هو أربعة عشر قامة ، فقالوا : يا رسول الله العدوّ من ورائنا والوادي أمامنا ، كما قال أصحاب موسى : ﴿ إنَّا لَمُدْرَكُون ﴾ ؛ فنزل رسول الله ثمّ قال : «اللّهمّ إنّك جعلت لكلّ مرسل دلالة ، فأرني قدرتك» وركب صلوات الله عليه ، فعبرت الخيل لا تندي حوافرها ، والإبل لا تندي أخفافها ، فرجعنا فكان فتحنا .

قال له اليهودي : فإنّ موسى عليه السلام قد أُعطي الحجر فانبجست منه اثنتى عشرة عيناً ؟

قال عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمّد صلى الله عليه وآله لمّا نزل الحديبيّة وحاصره أهل مكّة ، قد أُعطي ما هو أفضل من ذلك ، وذلك أنّ أصحابه شكوا إليه الظمأ وأصابهم ذلك حتّى التقت خواصر الخيل ، فذكروا له صلى الله عليه وآله ؛ فدعا بركوة يمانيّة ثمّ نصب يده المباركة فيها ، فتفجّرت من بين أصابعه عيون الماء ، فصدرنا وصدرت الخيل رواء ، وملأنا كلّ مزادة وسقاء ، ولقد كنّا معه بالحديبيّة فإذا ثمّ قليب جافّة ، فأخرج صلى الله عليه وآله سهماً من كنانته فناوله البراء بن عازب وقال له : إذهب بهذا السهم إلى تلك القليب الجافّة فاغرسه فيها ؛ ففعل فتفجّرت اثنتا عشرة عيناً من تحت السهم ، ولقد كان يوم الميضاة[1] عبرة وعلامة للمنكرين لنبوّته ، كحجر موسى حيث دعا بالميضاة فنصب يده فيها ففاضت بالماء وارتفع ، حتّى توضّأ منه ثمانية آلاف رجل فشربوا حاجتهم ، وسقوا دوابّهم ، وحملوا ما أرادوا .

قال اليهودي : فإنّ موسى عليه السلام أُعطي المنّ والسّلوى فهل أُعطي لمحمّد نظير هذا ؟

---

(١) الميضاة : مطهرة كبيرة يتوضّأ منها.

قال له عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمّد صلى الله عليه وآله أُعطي ما هو أفضل من هذا ، إنّ الله عزّ وجلّ أحلّ له الغنائم ولأُمّته ، ولم تحلّ الغنائم لأحد غيره قبله ، فهذا أفضل من المنّ والسلوى ، ثمّ زاده أن جعل النيّة له ولأُمّته بلا عمل ، عملاً صالحاً ولم يجعل لأحد من الأُمم ذلك قبله ، فإذا هَمّ أحدهم بحسنة ولم يعملها كُتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشر .

قال له اليهودي : إنّ موسى عليه السلام قد ظلّل عليه الغمام ؟

قال له عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، وقد فعل ذلك بموسى في التيه ، وأُعطي محمّد صلى الله عليه وآله أفضل من هذا ، إنّ الغمامة كانت تظلّه من يوم ولد إلى يوم قبض في حضره وأسفاره ؛ فهذا أفضل ممّا أُعطي موسى .

قال له اليهودي : فهذا داود عليه السلام قد ليّن الله له الحديد ؛ فعمل منه الدروع ؟

قال له عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمّد صلى الله عليه وآله قد أُعطي ما هو أفضل من هذا ، إنّه ليّـن الله له الصمّ الصخور الصلاب وجعلها غاراً ، ولقد غارت الصخرة تحت يده ببيت المـقدس ليّـنة حتّى صارت كهيئة العجين[1] ، وقد رأينا ذلك والتمسناه تحت رايته .

قال له اليهودي : هذا داود بكى على خطيئته حتّى سارت الجبال معه لخوفه ؟

قال له عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمّد صلى الله عليه وآله أُعطي ما هو أفضل من هذا ، إنّه كان إذا قام إلى الصلاة سمع لصدره وجوفه أزيز كأزيز المرجل على الأثافي من شدّة البكاء[2] ، وقد آمنه الله عزّ وجلّ من عقابه ، فأراد أن يتخشّع لربّه ببكائه فيكون إماماً لمن اقتدى به ، ولقد قام صلى الله عليه وآله عشر سنين على أطراف أصابعه حتّى تورّمت قدماه واصفرّ وجهه ، يقوم اللّيل أجمع ، حتّى عوتب في ذلك فقال الله عزّ وجلّ : ﴿ طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾[3] بل لتسعد به ، ولقد كان يبكي حتّى يغشى عليه ، فقيل له : يا رسول الله أليس الله غفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر ؟ قال : بلى أفلا أكون عـبداً شكوراً ؟

ولئن سارت الجبال وسبّحت معه لقد عمل بمحمّد صلى الله عليه وآله ما هو أفضل من هذا ؛ إذ كنّا معه على جبل حراء إذ تحرّك الجبل فقال له : «قر فإنّه ليس عليك إلاّ نبيٌّ أو صدّيق شهيد» ؛ فقرّ الجبل مطيعاً

---

(١) وذلك ليلة المعراج .

(٢) الأزيز : هو أن يجيش جوفه ويغلي بالبكاء . والمرجل ـ كمنبر ـ : القدر . والأثـافي : الأحـجار الّتي يـوضع عـليها القدر .

(٣) طه ١ ـ ٢.

لأمره ومنتهياً إلى طاعته ، ولقد مررنا معه بجبل وإذا الدموع تخرج من بعضه ، فقال له النّبيّ صلى الله عليه وآله : «ما يبكيك يا جبل» ؟ فقال : يا رسول الله كان المسيح مرّ بي وهو يخوّف النّاس من نار وقودها النّاس والحجارة ، وأنا أخاف أن أكون من تلك الحجارة . قال له : «لا تخف تلك الحجارة الكبريت» ؛ فقرّ الجبل وسكن وهدأ وأجاب لقوله صلى الله عليه وآله .

قال له اليهودي : فإنّ هذا سليمان أُعطي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ؟

فقال عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمّد صلى الله عليه وآله أُعطي ما هو أفضل من هذا ؛ إنّه هبط إليه ملك لم يهبط إلى الأرض قبله ، وهو : ميكائيل ، فقال له : يا محمّد عش ملكاً منعّماً وهذه مفاتيح خزائن الأرض معك ، وتسير معك جبالها ذهباً وفضّة ، ولا ينقص لك ممّا ادّخر لك في الآخرة شيء ، فأومى إلى جبرئيل ـ وكان خليله من الملائكة ـ فأشار عليه أن تواضع ، فقال له : بل أعيش نبيّاً عبداً ؛ آكل يوماً ولا آكل يومين ، وألحق بإخواني من الأنبياء ، فزادة الله تبارك وتعالى الكوثر ، وأعطاه الشفاعة ، وذلك أعظم من ملك الدّنيا من أوّلها إلى آخرها سبعين مرّة ، ووعده المقام المحمود ، فإذا كان يوم القيامة أقعده الله عزّ وجلّ على العرش ، فهذا أفضل ممّا أُعطي سليمان .

قال له اليهودي : فإنّ هذا سليمان قد سخّرت له الرياح ، فسارت به في بلاده غدوّها شهر ورواحها شهر ؟

قال له عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمّد صلى الله عليه وآله أُعطي ما هو أفضل من هذا ؛ إنّه أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسيرة شهر ، وعرج به في ملكوت السماوات مسيرة خمسين ألف عام ، في أقلّ من ثلث ليلة ، حتّى انتهى إلى ساق العرش ، فدنى بالعلم فتدلّى من الجنّة ، رفرف أخضر ، وغشى النّور بصره ، فرأى عظمة ربّه عزّ وجلّ بفؤاده ، ولم يرها بعينه ، فكان كقاب قوسين بينه وبينها أو أدنى ، فأوحى الله إلى عبده ما أوحى ، وكان فيما أوحى إليه : الآية الّتي في سورة البقرة قوله : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] وكانت الآية قد عرضت على الأنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى أن بعث الله تبارك وتعالى محمّداً ، وعرضت على الأُمم فأبوا أن يقبلوها من ثقلها ، وقبلها رسول الله وعرضها على أُمّته فقبلوها ، فلمّا رأى الله تبارك وتعالى منهم القبول علم أنّهم لا يطيقونها ، فلمّا أن سار إلى ساق العرش كرّر عليه الكلام ليفهمه ، فقال : ﴿ آمَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ

---

(١) البقرة ٢٨٤.

مِنْ رَبِّهِ ﴾ فأجاب ﷺ مجيباً عنه وعن اُمّته ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ باللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾[١] فقال جلّ ذكره : لهم الجنّة والمغفرة عَلَيّ إن فعلوا ذلك ، فقال النّبيّ ﷺ : أمّا إذا فعلت ذلك بنا ، فغفرانك ربّنا وإليك المصير ؛ يعني المرجع في الآخرة . قال : فأجابه الله ﷻ : قد فعلت ذلك بك وباُمّتك ، ثمّ قال ﷻ : أمّا إذا قبلت الآية بتشديدها وعظم ما فيها وقد عرضتها على الاُمم فأبوا أن يقبلوها وقبلتها اُمّتك حقّ عَلَيّ أن أرفعها عن اُمّتك ، وقال : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ ـ من خير ـ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ـ من شرّ ـ ﴾[٢] ، فقال النّبيّ ﷺ ـ لمّا سمع ذلك ـ : أمّا إذا فعلت ذلك بي وباُمّتي فزدني ، قال : سل ، قال : ﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾[٣] ، قال الله ﷻ : لست اُؤاخذ اُمّتك بالنّسيان والخطأ لكرامتك عَلَيّ ، وكانت الاُمم السالفة إذا نسوا ما ذُكّروا به فتحت عليهم أبواب العذاب ، وقد دفعت ذلك عن اُمّتك ، وكانت الاُمم السالفة إذا أخطأوا اُخذوا بالخطأ وعوقبوا عليه ، وقد رفعت ذلك عن اُمّتك لكرامتك عَلَيّ ، فقال ﷺ : «اللّهمّ إذا أعطيتني فزدني» قال الله تبارك وتعالى له : سل ، قال : ﴿ رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾[٤] يعني بالإصر : الشدائد الّتي كانت على من كان من قبلنا ، فأجابه الله ﷻ إلى ذلك ، وقال تبارك اسمه : قد رفعت عن اُمّتك الآصار الّتي كانت على الاُمم السالفة :

كنت لا أقبل صلاتهم إلّا في بقاع معلومة من الأرض اخترتها لهم وإن بعدت ، وقد جعلت الأرض كلّها لاُمّتك مسجداً وطهوراً ؛ فهذه من الآصار الّتي كانت على الاُمم قبلك فرفعتها عن اُمّتك .

وكانت الاُمم السالفة إذا أصابهم أذىً من نجاسة قرّضوه من أجسادهم ، وقد جعلت الماء لاُمّتك طهوراً ، فهذا من الآصار الّتي كانت عليهم فرفعتها عن اُمّتك .

وكانت الاُمم السالفة تحمل قرابينها على أعناقها إلى بيت المقدس ، فمن قبلت ذلك منه أرسلتُ عليه ناراً فأكلته فرجع مسروراً ، ومن لم أقبل منه ذلك رجع مثبوراً[٥] ، وقد جعلت قربان اُمّتك في بطون فقرائها ومساكينها ؛ فمن قبلت ذلك منه أضعفت ذلك له أضعافاً مضاعفة ، ومن لم

---

(١) البقرة ٢٨٥.

(٢) البقرة ٢٨٦.

(٣) البقرة ٢٨٦.

(٤) البقرة ٢٨٦.

(٥) المثبور : الخائب.

أقبل ذلك منه رفعت عنه عقوبات الدّنيا ، وقد رفعت ذلك عن أُمّتك وهي من الآصار الّتي كانت على الأُمم من كان من قبلك .

وكانت الأُمم السالفة صلواتها مفروضة عليها في ظلم الليل وأنصاف النّار ، وهي من الشدائد الّتي كانت عليهم ، فرفعتها عن أُمّتك وفرضت صلاتهم في أطراف اللّيل والنّهار ، وفي أوقات نشاطهم .

وكانت الأُمم السالفة قد فرضت عليهم خمسين صلاة في خمسين وقتاً وهي من الآصار الّتي كانت عليهم ، فرفعتها عن أُمّتك وجعلتها خمساً في خمسة أوقات ، وهي إحدى وخمسون ركعة ، وجعلت لهم أجر خمسين صلاة .

وكانت الأُمم السالفة حسنتهم بحسنة وسيّئتهم بسيّئة وهي من الآصار الّتي كانت عليهم ، فرفعتها عن أُمّتك وجعلت الحسنة بعشرة والسيّئة بواحدة .

وكانت الأُمم السالفة إذا نوى أحدهم حسنة فلم يعملها لم تكتب له ، وإن عملها كتبت له حسنة ، وإنّ أُمّتك إذا همّ أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، وإن عملها كتبت له عشرة ، وهي من الآصار الّتي كانت عليهم فرفعتها عن أُمّتك .

وكانت الأُمم السالفة إذا همّ أحدهم بسيّئة فلم يعملها لم تكتب عليه ، وإن عملها كتبت عليه سيّئة ، وإنّ أُمّتك إذا همّ أحدهم بسيّئة لم يعملها كتبت له حسنة ، وهذه من الآصار الّتي كانت عليهم فرفعتها عن أُمّتك .

وكانت الأُمم السالفة إذا أذنبوا كتبت ذنوبهم على أبوابهم ، وجعلت توبتهم من الذنوب أن حرَّمْتُ عليهم بعد التوبة أحبّ الطّعام إليهم ، وقد رفعت ذلك عن أُمّتك وجعلت ذنوبهم فيما بيني وبينهم ، وجعلت عليهم ستوراً كثيفة ، وقبلت توبتهم بلا عقوبة ، ولا أُعاقبهم بأن أُحرّم عليهم أحبّ الطّعام إليهم .

وكانت الأُمم السالفة يتوب أحدهم إلى الله من الذنب الواحد مائة سنة ، أو ثمانين سنة ، أو خمسين سنة ، ثمّ لا أقبل توبته دون أن أُعاقبه في الدّنيا بعقوبة ، وهي من الآصار الّتي كانت عليهم فرفعتها عن أُمّتك ، وإنّ الرّجل من أُمّتك ليذنب الذّنب عشرين سنة ، أو ثلاثين سنة ، أو أربعين سنة ، أو مائة سنة ثمّ يتوب ويندم طرفة عين فأغفر ذلك كلّه .

فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله : اللّهمّ إذا أعطيتني ذلك كلّه فزدني . قال : سل . قال : ﴿ **رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ**

طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾[1] قال تبارك اسمه : قد فعلت ذلك بأُمّتك ، وقد رفعت عنهم عظم بلايا الأُمم ، وذلك حكمي في جميع الأُمم أن لا أُكلّف خلقاً فوق طاقتهم . فقال النّبيّ ﷺ : ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا ﴾[2] قال الله ﷻ : قد فعلت ذلك بتائبي أُمّتك . ثمّ قال ﷺ : ﴿ فَانْصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ ﴾[3] قال الله جلّ اسمه : إنّ أُمّتك في الأرض كالشامة البيضاء في الثور الأسود ، هم القادرون ، وهم القاهرون ، يستخدمون ولا يُستَخدَمون ، لكرامتك عَلَيّ ، وحقّ عَلَيّ أن أظهر دينك على الأديان ، حتّى لا يبقى في شرق الأرض وغربها دين إلّا دينك ، ويؤدّون إلى أهل دينك الجزية .

قال اليهودي : فإنّ هذا سليمان سُخِّرَت له الشياطين ، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل ؟

قال له عليّ ﷺ : لقد كان كذلك ، ولقد أُعطي محمّد ﷺ أفضل من هذا ؛ إنّ الشياطين سخّرت لسليمان وهي مقيمة على كفرها ، ولقد سُخّرت لنبوّة محمّد ﷺ الشياطين بالإيمان ، فأقبل إليه من الجنّة التسعة من أشرافهم ، واحد من جنّ نصيبين ، والثمان من بني عمرو بن عامر من الأحجّة[4] ؛ منهم شضاه ، ومضاه[5] والهملكان ، والمرزبان ، والمازمان ، ونضاه ، وهاضب ، وهضب ، وعمرو ؛ وهم الّذين يقول الله تبارك اسمه فيهم : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْآنَ ﴾[6] وهم التسعة ، فأقبل إليه الجنّ والنّبيّ ﷺ ببطن النخل فاعتذروا بأنّهم ظنّوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً ، ولقد أقبل إليه أحد وسبعون ألفاً منهم فبايعوه على الصوم ، والصلاة ، والزكاة ، والحجّ ، والجهاد ، ونصح المسلمين ، واعتذروا بأنّهم قالوا على الله شططاً ، وهذا أفضل ممّا أُعطي سليمان ، فسبحان من سخّرها لنبوّة محمّد ﷺ بعد أن كانت تتمرّد ، وتزعم أنّ لله ولد ، ولقد شمل مبعثه من الجنّ والإنس ما لا يحصى .

قال له اليهودي : هذا يحيى بن زكريا ﷺ يقال : إنّه أُوتي الحكم صبيّاً ، والحلم ، والفهم ، وإنّه كان يبكي من غير ذنب ، وكان يواصل الصوم ؟

---

(١) البقرة ٢٨٦.

(٢) البقرة ٢٨٦.

(٣) البقرة ٢٨٦.

(٤) الأحجّة ـ جمع حجيج ـ أي الّذين يقيمون الحجّ . وفي بعض النسخ : «الأجنحة» أي : الرؤساء .

(٥) وفي بعض النسخ : «شضاة ومضاة» .

(٦) الأحقاف ٢٩.

قال له عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمّد صلى الله عليه وآله أُعطي ما هو أفضل من هذا : إنّ يحيى بن زكريّا كان في عصر لا أوثان فيه ولا جاهليّة ، ومحمّد صلى الله عليه وآله أُوتي الحكم والفهم صبيّاً بين عبدة الأوثان ، وحزب الشيطان ، فلم يرغب لهم في صنم قط ، ولم ينشط لأعيادهم ، ولم ير منه كذب قط ، وكان أميناً ، صدوقاً ، حليماً ، وكان يواصل الصوم الأُسبوع والأقل والأكثر فيقال له في ذلك فيقول : إنّي لست كأحدهم ، إنّي أظلّ عند ربّي ، فيطعمني ، ويسقيني ، وكان يبكي صلى الله عليه وآله حتّى تبتلّ مصلّاه خشية من الله عزّ وجلّ من غير جرم .

قال له اليهودي : فإنّ هذا عيسى بن مريم يزعمون أنّه تكلّم في المهد صبيّاً ؟

قال له عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمّد صلى الله عليه وآله سقط من بطن أُمّه واضعاً يده اليسرى على الأرض ، ورافعاً يده اليمنى إلى السماء ، يحرّك شفتيه بالتوحيد ، وبدا من فيه نور رأى أهل مكّة منه قصور بصرى من الشام وما يليها ، والقصور الحمر من أرض اليمن وما يليها ، والقصور البيض من إسطخر وما يليها ، ولقد أضاءت الدّنيا ليلة ولد النّبيّ صلى الله عليه وآله حتّى فزعت الجنّ والإنس والشياطين ، وقالوا حدث في الدّنيا حدث ، ولقد رأى الملائكة ليلة وُلد تصعد ، وتنزل ، وتسبّح وتقدّس ، وتضطرب النّجوم وتتساقط ، علامة لميلاده ، ولقد همّ إبليس بالظعن في السماء لمّا رأى من الأعاجيب في تلك الليلة ، وكان له مقعد في السماء الثالثة ، والشياطين يسترقون السمع ، فلمّا رأوا العجائب أرادوا أن يسترقوا السمع ، فإذا هم قد حجبوا من السماوات كلّها ، ورموا بالشهب ، دلالة(١) لنبوّته صلى الله عليه وآله .

قال له اليهودي : فإنّ عيسى عليه السلام يزعمون أنّه قد أبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله ؟

فقال له عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمّد صلى الله عليه وآله أُعطي ما هو أفضل من ذلك ؛ أبرأ ذاالعاهة من عاهته ، بينما هوجالس صلى الله عليه وآله إذ سأل عن رجل من أصحابه فقالوا : يا رسول الله إنّه قد صار من البلاء كهيئة الفرخ الّذي لا ريش عليه ، فأتاه صلى الله عليه وآله فإذا هو كهيئة الفرخ من شدّة البلاء ، فقال له : قد كنت تدعو في صحّتك دعاءً ؟ قال : نعم كنت أقول : «يا ربّ أيّما عقوبة أنت معاقبي بها في الآخرة فعجّلها لي في الدّنيا» فقال له النّبيّ صلى الله عليه وآله : ألا قلت : «اللّهمّ آتنا في الدّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النّار» ؟ فقالها الرّجل فكأنّما نشط من عقال ، وقام صحيحاً وخرج معنا .

ولقد أتاه رجل من جهينة أجذم يتقطّع من الجذام ، فشكا إليه صلى الله عليه وآله فأخذ قدحاً من ماء فتفل

(١) وفي بعض النسخ : «جلالة».

عليه ، ثمّ قال : أمسح به جسدك ؛ ففعل فبرأ حتّى لم يوجد عليه شيء .

ولقد أُتي النّبيّ بأعرابيّ أبرص ، فتفل ﷺ من فيه عليه فما قام من عنده إلّا صحيحاً .

ولئن زعمت أنّ عيسى أبرأ ذاالعاهات من عاهاتهم ، فإنّ محمّداً ﷺ بينما هو في أصحابه إذ هو بامرأة فقالت : يا رسول الله إنّ ابني قد أشرف على حياض الموت ،كلّما أتيته بطعام وقع عليه التثاؤب ، فقام النّبيّ ﷺ وقمنا معه ،فلمّا أتيناه قال له : جانب يا عدوّ الله وليّ الله ، فأنا رسول الله ، فجانبه الشيطان فقام صحيحاً وهو معنا في عسكرنا .

ولئن زعمت أنّ عيسى أبرأ العميان ، فإنّ محمّداً قد فعل ما هو أكبر من ذلك : إنّ قتادة بن ربيع كان رجلاً صحيحاً ، فلمّا أن كان يوم أُحد أصابته طعنة في عينه فبدرت حدقته[1] فأخذها بيده ثمّ أتى بها إلى النّبيّ ﷺ فقال : يا رسول الله إنّ امرأتي الآن تبغضني ، فأخذها رسول الله من يده ثمّ وضعها مكانها فلم تكن تعرف إلّا بفضل حسنها وفضل ضوئها على العين الأُخرى .

ولقد جُرِحَ عبدالله بن عبيد[2] وبانت يده يوم حنين ، فجاء إلى النّبيّ ﷺ ليلاً فمسح عليه يده فلم تكن تعرف من اليد الأُخرى .

ولقد أصاب محمّد بن مسلم يوم كعب بن الأشرف مثل ذلك في عينه ويده ، فمسحه رسول الله ﷺ فلم تستبينا .

ولقد أصاب عبدالله بن أنيس مثل ذلك في عينه ، فمسحها فما عرفت من الأُخرى ؛ فهذه كلّها دلالة لنبوّته ﷺ .

قال له اليهودي : فإنّ عيسى يزعمون أنّه أحيى الموتى بإذن الله ؟

قال له عليّ ﷺ : لقد كان كذلك ، ومحمّد سبّحت في يده تسع حصيات تسمع نغماتها في جمودها ، ولا روح فيها لتمام حجّة نبوّته ، ولقد كلّمه الموتى من بعد موتهم ، واستغاثوه ممّا خافوا تبعته ، ولقد صلّى باصحابه ذات يوم فقال : ما هاهنا من بني النجّار أحد ، وصاحبهم محتبس على باب الجنّه بثلاثة دراهم لفلان اليهودي ، وكان شهيداً .

ولئن زعمت أنّ عيسى كلّم الموتى فلقد كان لمحمّد ما هو أعجب من هذا ؛ إنّ النّبيّ لمّا نزل بالطايف وحاصر أهلها ، بعثوا إليه بشاة مسلوخة مطلية بسمّ ، فنطق الذراع منها فقالت : يا رسول‌الله

---

(١) الحدقة : سواد العين الأعظم.

(٢) في بعض النسخ «بن عتيك».

لا تأكلني فإنّي مسمومة ، فلو كلّمته البهيمة وهي حيّة لكانت من أعظم حجج الله على المنكرين لنبوّته ، فكيف وقد كلّمته من بعد ذبح وسلخ وشيّ[١] .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يدعو بالشجرة فتجيبه ، وتكلّمه البهيمة ، وتكلّمه السباع ، وتشهد له بالنبوّة ، وتحذّرهم عصيانه ، فهذا أكثر ممّا أُعطي عيسى عليه السلام .

قال له اليهودي : إنّ عيسى يزعمون أنّه أنبأ قومه بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم ؟

قال له عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمّد كان له أكثر من هذا ؛ إن عيسى أنبأ قومه بما كان من وراء الحايط ومحمّد أنبأ عن مؤتة[٢] وهو عنها غائب ، ووصف حربهم ومن استشهد منهم ، وبينه وبينهم مسيرة شهر ، وكان يأتيه الرّجل يريد أن يسأله عن شيء فيقول صلى الله عليه وآله : تقول أو أقول ؟ فيقول : بل قل يا رسول الله ؛ فيقول : جئتني في كذا وكذا حتّى يفرغ من حاجته .

ولقد كان صلى الله عليه وآله يخبر أهل مكّة بأسرارهم بمكّة حتّى لا يترك من أسرارهم شيئاً ، منها ما كان بين صفوان بن أُميّة وبين عمير بن وهب ، إذ أتاه عمير فقال : جئت في فكاك ابني ، فقال له : كذبت بل قلت لصفوان بن أُميّة وقد اجتمعتم في الحطيم وذكرتم قتلى بدر وقلتم : والله لَلموت أهون علينا من البقاء مع ما صنع محمّد بنا ، وهل حياة بعد أهل القُليب ، فقلت أنت : لولا عيالي ، ودَين عَلَيّ لأرحتك من محمّد ، فقال صفوان : عَلَيّ أن أقضي دَينك ، وأن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهنّ ما يصيبهنّ من خير أو شر ، فقلت أنت : فاكتمها عَلَيّ وجهّزني حتّى أذهب فأقتله ، فجئت لقتلي ، فقال : صدقت يا رسول الله فأنا أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله ؛ وأشباه هذا ممّا لا يحصى .

قال له اليهودي : فإنّ عيسى يزعمون أنّه خلق من الطين كهيئة الطير فنفخ فيه فكان طيراً بإذن الله ؟

فقال له عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمّد صلى الله عليه وآله قد فعل ما هو شبيه لهذا إذ أخذ يوم حنين حجراً فسمعنا للحجر تسبيحاً وتقديساً ، ثمّ قال للحجر : إنفلق ؛ فانفلق ثلاث فلق ؛ يسمع لكلّ فلقة منها تسبيحاً لا يسمع للأُخرى .

ولقد بعث إلى شجرة يوم البطحاء فأجابته ، ولكلّ غصن منها تسبيح وتهليل وتقديس ، ثمّ قال

---

(١) أي : من بعد ما صار مشوياً مطبوخاً .

(٢) مؤتة ـ بضمّ الميم وسكون الهمزة وفتح التاء ـ : اسم موضع قُتل فيه جعفر بن أبي طالب عليه السلام والنّبيّ صلى الله عليه وآله في المدينة ، فأخبر أصحابه بقتله وهو من على المنبر .

لها : انشقّي ، فانشقّت نصفين ، ثمّ قال لها : التزقي ، فالتزقلت ، ثمّ قال لها : اشهدي لي بالنبوّة ، فشهدت ، ثمّ قال لها : ارجعي إلى مكانك بالتسبيح والتهليل والتقديس ففعلت ، وكان موضعها حيث الجزّارين بمكّة .

قال له اليهودي : فإنّ عيسى يزعمون أنّه كان سيّاحاً ؟

قال له عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمّد كانت سياحته في الجهاد ، واستنفر في عشر سنين ما لا يحصى من حاضر وباد ، وأفنى فئاماً من العرب[١] من منعوت بالسيف لا يداري بالكلام[٢] ولا ينام إلّا عن دم ، ولا يسافر إلّا وهو متجهّز لقتال عدوّه .

قال له اليهودي : فإنّ عيسى يزعمون أنّه كان زاهداً ؟

قال له عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمّد صلى الله عليه وآله أزهد الأنبياء عليهم السلام ؛كان له ثلاثة عشر زوجة سوى من يطيف به من الإماء ، ما رفعت له مائدة قط وعليها طعام ، ولا أكل خبز بُرٍّ قط ولا شبع من خبز شعير ثلاث ليال متواليات قط ، توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله ودرعه مرهونة عند يهودي بأربعة دراهم ، ما ترك صفراء ولا بيضاء مع ما وطئ له من البلاد[٣] ، ومكّن له من غنائم العباد ، ولقد كان يقسّم في اليوم الواحد الثلثمائة الف وأربعمائة ألف ويأتيه السائل بالعشيّ فيقول : والّذي بعث محمّداً بالحقّ ما أمسى في آل محمّد صاع من شعير ، ولا صاع من بُرٍّ ، ولا درهم ، ولا دينار .

قال له اليهودي : فإنّي أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمّداً رسول الله ، وأشهد أنّه ما أعطى الله نبيّاً درجة ولا مرسلاً فضيلة إلّا وقد جمعها لمحمّد صلى الله عليه وآله ، وزاد محمّداً على الأنبياء أضعاف درجات .

فقال ابن عبّاس لعليّ بن أبي طالب عليه السلام : أشهد يا أباالحسن أنّك من الراسخين في العلم .

فقال : ويحك ومالي لا أقول ما قلت في نفس من استعظمه الله عزّ وجلّ في عظمته فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٤]» .

---

(١) الفئام ـ بالكسر مهموزاً ـ: الجماعة الكثيرة ، وقد فسّر في بعض الأخبار بمائة ألف .

(٢) في بعض النسخ : «لا يبالي» .

(٣) وطئ له : مهّد وذلّل ويسّر .

(٤) القلم ٤ .

احتجاجه عليه السلام على بعض اليهود وغيره في أنواع شتّى من العلوم(١)

عن صالح بن عقبة(٢) عن الصّادق عليه السلام قال: «لمّا هلك أبوبكر واستخلف عمر، خرج عمر إلى المسجد فقعد، فدخل عليه رجل فقال: يا أميرالمؤمنين إنّي رجل من اليهود، وأنا علّامتهم، وقد أردت أن أسألك عن مسائل إن أخبرتني بها أسلمت.

قال: وما هي؟

قال: ثلاث، وثلاث، وواحدة؛ فإن شئت سألتك، وإن كان في القوم أحد أعلم منك فأرشدني.

قال: عليك بذاك الشاب؛ يعني عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فأتى عليّاً عليه السلام فسأل، فقال له: لِمَ قلت: ثلاثاً وثلاثاً وواحدة، ألا قلت سبعاً؟

قال: إنّي إذاً لجاهل، إن لم تجبني في الثلاث اكتفيت.

قال: فإن أجبتك تسلم؟

قال: نعم.

قال: سل.

قال: أسألك عن أوّل حجر وضع على وجه الأرض؟ وأوّل عين نُبعت؟ وأوّل شجرة نبتت؟

قال: يا يهودي أنتم تقولون: أوّل حجر وضع على وجه الأرض الحجر الّذي في بيت المقدس، وكذبتم، هو: «الحجر الأسود» الّذي نزل مع آدم عليه السلام من الجنّة.

قال: صدقت والله إنّه لبخطّ هارون وإملاء موسى عليهما السلام.

قال أميرالمؤمنين عليه السلام: وأمّا العين فأنتم تقولون: إنّ أوّل عين نُبِعَت على وجه الأرض: العين الّتي ببيت المقدّس، وكذبتم وهي: «عين الحياة» الّتي غَسَلَ فيها النون موسى، وهي العين الّتي شرب منها الخضر، وليس يشرب منها أحد إلّا حي.

---

(١) في ج ٤ من بحار الأنوار ص ٩٤ عن عيون أخبار الرضا والخصال للصدوق: أبي عن سعد عن ابن أبي الخطّاب عن الحكم بن مسكين الثقفي عن صالح بن عقبة عن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: «لمّا هلك أبوبكر ...» الخ ثمّ قال: قال الصّدوق في الخصال: وقد أخرجت هذا الحديث من طرق في كتاب: «الأوايل» أيضاً عن كمال الدين وتمام النعمة: أبي وابن الوليد معاً عن سعد مثله.

(٢) صالح بن عقبة بن قيس بن سمعان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله، عدّه الشيخ في أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام، وذكره العلّامة في القسم الثاني من الخلاصة.

قال : صدقت والله إنّه لبخطّ هارون وإملاء موسى .

قال عليّ عليه السلام : وأمّا الشجرة فأنتم تقولون : إنّ أوّل شجرة نبتت على وجه الأرض الزيتون وكذبتم ، وهي : «العجوة»[1] نزل بها آدم عليه السلام من الجنّة .

قال : صدقت والله إنّه لبخطّ هارون وإملاء موسى عليه السلام .

قال : والثلاث الأُخرى : كم لهذه الأمّة من إمامِ هدى لا يضرّهم من خذلهم ؟

قال : إثنى عشر إماماً .

قال : صدقت والله إنّه لبخطّ هارون وإملاء موسى .

قال : وأين يسكن نبيّكم من الجنّة ؟

قال : أعلاها درجة ، وأشرفها مكاناً ، في جنّات عدن .

قال : صدقت والله إنّه لبخطّ هارون وإملاء موسى .

قال : فمن ينزل معه في منزله ؟

قال : إثنى عشر إماماً .

قال : صدقت والله إنّه لبخطّ هارون وإملاء موسى .

قال : قد بقيت السابعة . قال : كم يعيش وصيّه بعده ؟

قال : ثلاثين سنة .

قال : ثمّ هو يموت أو يُقْتَل ؟

قال : يضرب على قرنه فتخضب لحيته .

قال : صدقت والله إنّه لبخطّ هارون وإملاء موسى .

ثمّ أسلم وحسن إسلامه» .

[إحتجاجه عليه السلام على ابن الكوّاء]

وعن أصبغ بن نباتة قال : كنت جالساً عند أميرالمؤمنين عليه السلام فجاءه ابن الكوّا[2] فقال : يا

---

(١) العجوة : نوع من تمر المدينة أكبر من الصيحاني يضرب إلى السواد من غرس النبي صلى الله عليه وآله . [النهاية ١٨٨/٣]

(٢) ابن الكوّاء اسمه عبدالله ، وهو خارجيٌّ ملعون ، قرأ خلف أميرالمؤمنين عليه السلام جهراً : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ←

أميرالمؤمنين ، مَن البيوت في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾(١) ؟

قال عليّ عليه السلام : «نحن البيوت الّتي أمر الله بها أن تؤتىٰ من أبوابها ، نحن باب الله وبيوته الّتي يؤتىٰ منه ، فمن تابعنا وأقرّ بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها ، ومن خالفنا وفضّل علينا غيرها فقد أتى البيوت من ظهورها» .

فقال : يا أميرالمؤمنين ﴿ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجالٌ يَعْرِفُوْنَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾(٢) ؟

فقال عليّ عليه السلام : «نحن أصحاب الأعراف : نعرف أنصارنا بسيماهم ، ونحن الأعراف يوم القيامة بين الجنّة والنّار ، ولا يدخل الجنّة إلّا من عرفنا وعرفناه ، ولا يدخل النّار إلّا من أنكرنا وأنكرناه ، وذلك بأنّ الله عزّ وجلّ لو شاء عرّف للنّاس نفسه حتّى يعرفوه وحده ويأتوه من بابه ، ولكنّه جعلنا أبوابه وصراطه وبابه الّذي يؤتى منه ، فقال ـ فيمن عدل عن ولايتنا وفضّل علينا غيرنا ـ : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَنِ الصِّراطِ لَنَاكِبُون ﴾(٣)» .

وعن الأصبغ بن نباتة أيضاً قال : أتى ابن الكوّا أميرالمؤمنين فقال : والله إنّ في كتاب الله آية اشتدّت على قلبي ، ولقد شككت في ديني .

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : «ثكلتك أُمّك وعدمتك ، ما هي» ؟

قال : قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَٱلطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾(٤) ؛ فما هذا الصف ؟ وما هذه الطيور ؟ وما هذه الصلاة ؟ وما هذا التسبيح ؟

فقال عليّ عليه السلام : «ويحك يابن الكوّا إنّ الله خلق الملائكة على صور شتّى ، ألا وإنّ لله ملكاً في صورة ديك ، أبح ، أشهب ، براثنه في الأرضين السفلى ، وعرفه مثنى تحت عرش الرحمن ، له جناح بالمشرق من نار ، وجناح بالمغرب من ثلج ، فإذا حضر وقت كلّ صلاة قام على براثنه ، ثمّ

⮌ ﴿ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴾ وكان عليّ عليه السلام يؤمّ النّاس وهو يجهر بالقراءة ، فسكت عليه السلام حتّى سكت ابن الكوّاء ، ثمّ عاد في قراءته فعاد ، حتّى فعل ذلك ثلاثاً ، فلمّا كان في الثالثة قرأ أميرالمؤمنين عليه السلام : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لا يُوقِنُون ﴾ .

(١) البقرة ١٨٩.

(٢) الأعراف ٤٦.

(٣) المؤمنون ٧٤.

(٤) النور ٤١.

رفع عنقه من تحت العرش ، ثمّ صفق بجناحيه كما تصفق الديكة في منازلكم ، فلا الّذي من نار يذيب الثلج ، ولا الّذي من الثلج يطفئ النّار ، ثمّ ينادي : «أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله سيّد النبيّين ، وأنّ وصيّه خير الوصيّين ، سبّوحٌ قدّوس ، ربّ الملائكة والرّوح» قال : «فتصفق الديكة بأجنحتها في منازلكم بنحو من قوله : وهو قول الله تعالى : ﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ من الديكة في الأرض» .

وعن الأصبغ بن نباتة أيضاً قال : سأل ابن الكوّا أميرالمؤمنين عليه السلام فقال : أخبرني عن بصير بالليل وبصير بالنّهار ؟ وعن أعمى بالليل وأعمى بالنّهار ؟ وعن أعمى بالليل بصير بالنّهار ؟ وعن أعمى بالنّهار بصير باللّيل ؟

فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام : «ويلك سل عمّا يعنيك ، ولا تسأل عمّا لا يعنيك ؛ ويلك أمّا بصير بالليل وبصير بالنّهار فهو رجل آمن بالرّسل والأوصياء الّذين مضوا ، وبالكتب والنبيّين ، وآمن بالله ونبيّه محمّد صلى الله عليه وآله ، وأقرّ لي بالولاية فأبصر في ليله ونهاره .

وأمّا الأعمى بالليل أعمى بالنّهار فرجل جحد الأنبياء والأوصياء ، والكتب الّتي مضت ، وأدرك النّبيفلم يؤمن به ، ولم يقرّ بولايتي ، فجحد الله عزّ وجلّ ونبيّه صلى الله عليه وآله فعمي بالليل وعمي بالنّهار .

وأمّا بصير بالليل أعمى بالنّهار فرجل آمن بالأنبياء والكتب ، وجحد النّبيّ صلى الله عليه وآله وأنكرني حقّي ، فأبصر بالليل وعمي بالنّهار .

وأمّا أعمى بالليل وبصير بالنّهار فرجل جحد الأنبياء الّذين مضوا والأوصياء والكتب ، وأدرك محمّداً صلى الله عليه وآله فآمن بالله وبرسوله محمّد صلى الله عليه وآله ، وآمن بإمامتي وقَبِلَ ولايتي ، فعمي بالليل وأبصر بالنّهار .

ويلك يابن الكوّا ، فنحن بنو أبي طالب بنا فتح الله الإسلام وبنا يختمه» .

قال الأصبغ بن نباتة : فلمّا نزل أميرالمؤمنين عليه السلام من المنبر تبعته فقلت : يا سيّدي يا أميرالمؤمنين قوّيت قلبي بما بيّنت .

فقال لي : «يا أصبغ من شكّ في ولايتي فقد شكّ في إيمانه ، ومن أقرّ بولايتي فقد أقرّ بولاية الله عزّ وجلّ ، ولايتي متّصلة بولاية الله كهاتين - وجمع بين إصبعيه - .

يا أصبغ من أقرّ بولايتي فقد فاز ، ومن أنكر ولايتي فقد خاب وخسر ، وهوى في النّار ، ومن دخل في النّار لبث فيها أحقاباً» .

وعن الأصبغ أيضاً قال: قام ابن الكوّا إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو على المنبر فقال: يا أميرالمؤمنين أخبرني عن ذي القرنين أنبيّاً كان أم ملكاً؟ وأخبرني عن قرنيه أمن ذهب كان أم من فضّة؟

فقال: «لم يكن نبيّاً، ولا ملكاً، ولم يكن قرناه من ذهب ولا فضّة، ولكنّه كان عبداً أحبّ الله فأحبّه الله، ونصح لله فنصح الله له، وإنّما سُمّي «ذاالقرنين» لأنّه دعا قومه إلى الله عزّ وجلّ فضربوه على قرنه، فغاب عنهم حيناً ثمّ عاد إليهم فضرب على قرنه الآخر، وفيكم مثله[1]».

عن الصّادق[2] عن آبائه عليهم السلام أنّ أميرالمؤمنين كان ذات يوم جالساً في الرحبة، والنّاس حوله مجتمعون، فقام إليه رجل فقال: يا أميرالمؤمنين أنت بالمكان الّذي أنزلك الله به وأبوك معذّبٌ في النّار؟

فقال له عليّ بن أبي طالب: مه فضّ الله فاك، والّذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً لو شفّع أبي في كلّ مذنب على وجه الأرض لشفّعه الله فيهم، أبي معذّب في النّار وابنه قسيم الجنّة والنّار؟!! والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً إنّ نور أبي يوم القيامة ليطفئ أنوار الخلايق كلّهم إلّا خمسة أنوار: نور محمّد صلى الله عليه وآله، ونوري، ونور الحسن، ونور الحسين، ونور تسعة من ولد الحسين، فإنّ نوره من نورنا، خلقه الله تعالى قبل أن يخلق آدم عليه السلام بألفي عام»[3].

---

(١) يعني بذلك نفسه سلام الله عليه، فقد ضربه عمرو بن عبد ود الضربة الأُولى، والضربة الثانية هي ضربة ابن ملجم لعنه الله، الّتي كانت شهادته عليه السلام فيها.

(٢) ذكر هذا الحديث العلّامة المجلسي في ج٩ من بحار الأنوار ص١٥ وذكر له مصدرين هما: الإحتجاج وهو الكتاب الّذي بين يديك، والثاني أمالي الشيخ بهذا السند: عن الحسين بن عبيدالله، عن هارون بن موسى، عن محمّد بن همام، عن عليّ بن الحسين الهمداني، عن محمّد بن البرقي، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل بن عمر، عن الصّادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام ... الخ.

وذكر الإمام شمس الدين أبي علي فخار بن معد الموسوي في كتابه الجليل «الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب» قال: وبالإسناد عن الشيخ أبي الفتح الكراجكي رحمه الله قال: حدّثنا الشيخ الفقيه أبوالحسن محمّد بن أحمد بن عليّ بن الحسن بن شاذان القمّي رحمه الله قال: حدّثني القاضي أبوالحسين محمّد بن عثمان بن عبدالله النصيبي في داره، قال: حدّثنا جعفر بن محمّد العلوي، قال: حدّثنا عبيدالله بن أحمد، قال: حدّثنا محمّد بن زياد، قال: حدّثنا مفضّل بن عمر، عن جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السلام .. الخ.

وذكره الحجّة الأميني في ج٧ ص٣٨٧ من كتاب الغدير، وذكر له عدّة مصادر فراجع.

(٣) شيخ البطحاء، ورئيس مكّة، وشيخ قريش، أبوطالب بن عبدالمطّلب ابن هاشم بن عبد مناف، عمّ الرّسول

وكافله، وأبو الأئمّة سلام الله عليهم أجمعين. اسمه الشريف عبد مناف، وقيل: «عمران» وقيل اسمه «كنيته»، والأوّل أصحّ لقول عبدالمطّلب وهو يوصّيه برسول الله ﷺ بعده:

أُوصيك يا عبد مناف بعدي ... بـواحـد بـعد أبـيه فـرد

وقوله أيضاً:

وصـيّت مـن كـنيته بـطالب ... عبد مناف وهـو ذو تـجارب

يابن الحبيب الأكرم الأقارب ... يابن الّـذي قـدغاب غير آيب

وأمّه فاطمة بنت عمرو بن عايذ بن عمران بن مخزوم، وهي أم عبدالله والد النبيّ وأمّ الزبير بن عبدالمطّلب وقد انقرض.

وأولد أبوطالب أربعة بنين: طالباً، وعقيلاً، وجعفراً، وعليّاً أميرالمؤمنين عليه السلام، وكان كلّ واحد منهم أكبر من الآخر بعشر سنين، وأمّهم جميعاً فاطمة بنت أسد بن هاشم، وهي أوّل هاشميّة ولدت هاشمي.

كان أبوطالب عليه السلام: شيخاً، وسيماً، جسيماً، عليه بهاء الملوك، ووقار الحكماء، وكانت قريش تُسمّيه: «الشيخ»، وكانوا يهابونه، ويخافون سطوته، وكانوا يتجنّبون أذيّة رسول الله ﷺ في أيامه، فلمّا توفّي سلام الله عليه اجترؤا عليه واضطرّ إلى الهجرة من وطنه مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة.

قيل لأكثم بن صيفي ـ حكيم العرب ـ: ممّن تعلّمت الحكمة والرياسة، والحلم والسيادة؟

قال: من حليف الحلم والأدب، سيّد العجم والعرب، أبوطالب بن عبدالمطّلب.

وجرى ذات يوم كلام خشن بين معاوية بن أبي سفيان وصعصعة وابن الكوّاء، فقال معاوية: لولا أنّي أرجع إلى قول أبي طالب لقتلتكم وهو:

قـابلت جـهلهم حـلماً ومـغفرة ... والعفو عن قدرةٍ ضرب من الكرم

وكان سلام الله عليه مستودعاً للوصايا، فدفعها إلى رسول الله ﷺ، وهو الّذي كفله وحماه من قريش ودافع عنه.

روي عن فاطمة بنت أسد: أنّه لمّا ظهرت أمارة وفاة عبدالمطّلب، قال لأولاده: من يكفل محمّداً؟

قالوا: هو أكيس منّا، فقل له يختار لنفسه.

فقال عبدالمطّلب: يا محمّد جدّك على جناح السفر إلى القيامة، أيّ عمومتك وعمّاتك تريد أن يكفلك؟

فنظر في وجوههم ثمّ زحف إلى عند أبي طالب.

فقال له عبدالمطّلب: يا أباطالب إنّي قد عرفت ديانتك وأمانتك فكن له كما كنت له.

وروي أنّه قال: يا بني قد علمت شدّة حبّي لمحمّد ووجدي به، أُنظر كيف تحفظني فيه.

قال أبوطالب: يا أبه لا توصني بمحمّد فإنّه ابني وابن أخي.

فلمّا توفّي عبدالمطّلب، كان أبوطالب يؤثره بالنفقة والكسوة على نفسه، وعلى جميع أهله.

فلمّا بعث النبيّ ﷺ وصدع بالأمر امتثالاً لقوله تعالى: **﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾** ونزل قوله تعالى: **﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾** أجمعت قريش على خلافه فحدب عليه أبوطالب عليه السلام ومنعه وقال:

والله لن يـصلوا إليك بـجمعهم ... حـتّى أُوسّـد بـالتراب دفـينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقرّ منك عيونا

ودعوتني وزعمت أنّك ناصح ... فلقد صدقت وكنت قبل أمينا

وعرضت ديناً قد عرفت بأنّه ... من خير أديان البريّة دينا

وروي عن زين العابدين عليه السلام «أنّه اجتمعت قريش إلى أبي طالب ورسول الله صلى الله عليه وآله عنده، فقالوا: نسألك من ابن أخيك النّصَف.

قال: وما النصف منه؟

قالوا: يكفّ عنّا ونكفّ عنه، فلا يكلّمنا ولا نكلّمه، ولا يقاتلنا ولا نقاتله، إلّا أنّ هذه الدعوة قد باعدت بين القلوب، وزرعت الشحناء، وأنبتت البغضاء.

فقال: يابن أخي أسمعت؟

قال: يا عم لو أنصفني بنو عمّي لأجابوا دعوتي، وقبلوا نصيحتي، إنّ الله تعالى أمرني أن أدعوا إلى دينه الحنيفيّة ملّة إبراهيم، فمن أجابني فله عند الله الرضوان والخلود في الجنان، ومن عصاني أقاتله حتّى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

فقالوا: قل له يكفّ عن شتم آلهتنا فلا يذكرها بسوء.

فنزل: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ﴾.

قالوا: إن كان صادقاً فاليخبرنا من يؤمن منّا ومن يكفر، فإن وجدناه صادقاً آمنّا به.

فنزل: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

قالوا: والله لنشتمنّك وإلهك.

فنزل: ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ﴾.

قالوا: قل له: فليعبد ما نعبد، ونعبد ما يعبد.

فنزلت سورة الكافرين.

فقالوا: قل له أرسله الله إلينا خاصّة أم إلى النّاس كافّة؟

قال: بل إلى النّاس أُرسلت كافّة؛ إلى الأبيض والأسود، ومَن على رؤوس الجبال، ومَن في لجج البحار، ولأدعونّ ألسنة فارس والروم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾.

فتجبّرت قريش واستكبرت وقالت: والله لو سمعت بهذا فارس والروم لاختطفتنا من أرضنا، ولقلعت الكعبة حجراً حجراً.

فنزلت: ﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَىٰ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾ وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾.

فقال المطعم بن عدي: والله يا أباطالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على أن يتخلّصوا ممّ تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً.

فقال أبو طالب: فوالله ما أنصفوني ولكنّك قد أجمعت على خذلاني، ومظاهرة القوم عَلَيّ، فاصنع ما بدا لك.

فوثب كلّ قبيلة على ما فيها من المسلمين يعذّبونهم، ويفتنونهم عن دينهم، ويستهزؤون بالنّبيّ صلى الله عليه وآله، ومنع الله

ورسوله بعمّه أبي طالب منهم، وقد قام أبوطالب حين رأى قريشاً تصنع ما تصنع في بني هاشم، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه إلّا أبالهب.

وله في الدفاع عن رسول الله ﷺ مواقف شهيرة وشعر رواه الفريقان، نذكر فيما يلي نموذجاً منها:

منها: ما روي من أنّ أباجهل بن هشام جاء إلى رسول الله ﷺ وهو ساجد وبيده حجر يريد أن يرميه، فلمّا رفع يده لصق الحجر بكفّه فلم يستطع ما أراد، فقال أبوطالب:

أفيقوا بني غالب وانتهوا ... عن الغيّ من بعض ذاالمنطق
وإلّا فإنّي إذن خائف ... بوائق في داركم تلتقي
تكون لغيركم عبرة ... وربّ المغارب والمشرق
كما نال من لان من قبلكم ... ثمود وعاد وماذا بقي
غداة أتاهم بها صرصر ... وناقة ذي العرش قد تستقي
فحلّ عليهم بها سخطة ... من الله في ضربة الأزرق
غداة بعض بعرقوبها ... حساماً من الهند ذا رونق
وأعجب من ذاك في أمركم ... عجائب في الحجر الملصق
بكفّ الّذي قام من خبثه ... إلى الصابر الصادق المتّقي
فأثبته الله في كفّه ... على رغمه الجائر الأحمق
أحيمق مخزومكم إذ غوى ... لغيّ الغواة ولم يصدق

ومنها: ما روي عن ابن عبّاس أنّ النبيّ ﷺ دخل الكعبة، وافتتح الصلاة، فقال أبوجهل: من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته؟

فقام ابن الزبعري، وتناول فرثاً ودماً، وألقى ذلك عليه ﷺ، فجاء أبوطالب -وقد سلّ سيفه- فلمّا رأوه جعلوا ينهضون، فقال: والله لئن قام أحد جلّلته بسيفي، ثمّ قال: يابن أخي مَن الفاعل بك؟

قال: هذا عبدالله.

فأخذ أبوطالب فرثاً ودماً وألقى ذلك عليه.

ومنها: قوله عليه السلام يخاطب الرّسول ﷺ مُسْكِناً جأشه، طالباً منه إظهار دعوته:

لا يمنعنّك من حقّ تقوم به ... أيدٍ تصول ولا سلق بأصوات
فإنّ كفّك كفّي إن مليت بهم ... ودون نفسك نفسي في الملمّات

ومنها: قوله يؤنّب قريشاً ويحذّرهم الحرب:

ألا من لهم آخر الليل معتم ... طواني وأُخرى النجم لمّا تقحّم
طواني وقد نامت عيون كثيرة ... وسامر أُخرى ساهر لم ينوّم
لِأحلام قوم قد أرادوا محمّداً ... بظلم ومن لا يتّقي البغي يظلم
سعوا سفهاًواقتادهم سوء أمرهم ... على حائل من أمرهم غير محكم

رجاء أُمورٍ لم ينالوا انتظامها ... ولو حشدوا في كلّ بدو وموسم
يرجون منه خطّة دون نيلها ... ضراب وطعن بالوشيج المقوّم
يرجون أن نسخي بقتل محمّد ... ولم تختضب سمر العوالي من الدّم
كذبتم وبيت الله حتّى تفلّقوا ... جماجم تلقى بالحطيم وزمزم
وتقطع أرحام وتنسى حليلة ... حليلاً ويغشى محرم بعد محرم
هم الأسد أسد الزأرتين إذا غدت ... على حنق لم تخش أعلام معلم
فيالبني فهر أفيقوا ولم تقم ... نوائح قتلى تدّعي بالتندّم
على ما مضى من بغيكم وعقوقكم ... وإتيانكم في أمركم كلّ مأثم
وهذا نبيّ جاء يدعو إلى الهدى ... وأمرٌ أتى من عند ذي العرش قيّم
فلا تحسبونا مُسلّميه ومثله ... إذا كان في قوم فليس بمسلم
فهاذي معاذير وتقدمة لكم ... لئلّا تكون الحرب قبل التقدّم

ومنها: لمّا رأى المشركون موقف أبي طالب عليه السلام من نصرة الرسول وسمعوا أقواله، اجتمعوا بينهم وقالوا: ننافي بني هاشم، ونكتب صحيفة ونودعها الكعبة: أن لا نبايعهم، ولا نشاربهم، ولا نحدّثهم، ولا نستحدثهم، ولا نجتمع معهم في مجمع، ولا نقضي لهم حاجة، ولا نقتضيها منهم، ولا نقتبس منهم ناراً حتّى يسلّموا إلينا محمّداً، ويخلوا بيننا وبينه، أو ينتهي عن تسفيه آبائنا، وتضليل آلهتنا؛ وأجمع كفّار مكّة على ذلك. فلمّا بلغ أباطالب عليه السلام قال ـ يخبرهم باستمراره على مناصرة الرّسول ومؤازرته له، ويحذّرهم الحرب، ويناهُهم عن متابعة السفهاء ـ:

ألا أبلغا عنّي على ذات بينها ... لؤيا وخصّا من لؤيٍّ بني كعب
ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّداً ... نبيّاً كموسى خطّ في أوّل الكتب
وإنّ عليه في العباد محبّة ... ولا حيف فيمن خصّه الله بالحبّ
وإنّ الّذي لفّقتم في كتابكم ... يكون لكم يوماً كراغية السقب
أفيقوا أفيقوا قبل أن تحفر الزبى ... ويصبح من لم يجن ذنباً كذي الذنب
ولا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا ... أواصرنا بعد المودّة والقرب
وتستجلبوا حرباً عواناً وربّما ... أمرّ على من ذاقه حلب الحرب
فلسنا وبيت الله نسلم أحمداً ... لعزاء من عضّ الزمان ولا حرب
ولمّا تبن منّا ومنكم سوالف ... وأيد أُبيدت بالمهنّدة الشهب
بمعترك ضنك ترى كسر القنا ... به والضباع العرج تعكف كالسرب
كأنّ مجال الخيل في حجراته ... وغمغمة الأبطال معركة الحرب
أليس أبونا هاشم شدّ أزره ... وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

ومنها: أنّه كان إذا نامت العيون وأخذ النبيّ صلى الله عليه وآله مضجعه، جاء فأنهضه وأضجع عليّاً مكانه، فقال له عليّ عليه السلام ـ ذات ليلة ـ: «يا أبتاه إنّي مقتول»؟ فقال أبو طالب:

إصبرنّ يا بني فالصبر أحجى ... كلّ حيّ مصيره لشعوب
قد بلوناك والبلاء شديد ... لفداء النجيب وابن النجيب
لفداء الأعزّ ذي الحسب الثاقب ... والباع والفناء الرحيب
أن تصبك المنون بالنبل تترى ... مصيب منها وغير مصيب
كلّ حيّ وإن تطاول عمراً ... آخذ من سهامها بنصيب

فقال عليّ عليه‌السلام:

أتأمرني بالصّبر في نصر أحمد ... ووالله ما قلت الّذي قلت جازعا
ولكنّني أحببت أن تر نصرتي ... وتعلم أنّي لم أزل لك طائعا
وسعيي لوجه الله في نصر أحمد ... نبيّ الهدى المحمود طفلاً ويافعا

هذا نزر يسير من مواقف أبي طالب عليه‌السلام ومؤازرته الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ومقاومته للمشركين، وله كثير من أمثالها في دفاعه عن محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وعن دين محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وعن قرآن محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وعن أتباع محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، فهلّا يأخذك العجب بعد اطّلاعك على هذا وشبهه من أقوال أبي طالب وأفعاله، ألّا تستغرب بعد هذا لو سمعت بعصابة أثّرت فيها الروح الأُمويّة الخبيثة، فدفعها خبث عنصرها، ورداءة نشئتها، وجرّها الحقد إلى القول بأنّ أباطالب عليه‌السلام مات كافراً!!! وإن تعجب فعجبٌ قولهم: أبوطالب يموت كافراً؟!!!

أبوطالب الّذي يقول:

ولقد علمتُ بأنّ دين محمّد ... من خير أديان البريّة دينا

أبوطالب الّذي يقول:

ليعلم خيار النّاس أنّ محمّداً ... وزير لموسى والمسيح بن مريم
أتانا بهدي مثل ما أتيا به ... فكلٌّ بأمر الله يهدي ويعصم

يالله ويالّلعجب قائل هذا يموت كافراً!!!

أبوطالب الّذي يقول:

ألا تعلموا أنّا وجدنا محمّداً ... رسولاً كموسى خُطّ في أوّل الكتب

ويقول مخاطباً رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم:

أنت النّبيّ محمّد ... قرم أغرٌّ مسود

ويقول:

قل لمن كان من كنانة في العزّ ... وأهل النّدى وأهل المعالي
قد أتاكم من المليك رسول ... فاقبلوه بصالح الأعمال

ويقول:

فخير بني هاشم أحمد ... رسول الإله على فترة

وهو الّذي يقول:

لقد أكرم الله النّبيّ محمّداً فأكرم خلق الله في النّاس أحمد
وشقّ له من اسمه ليجلّه فذو العرش محمود وهذا محمّد

ويقول:

إنّ ابن آمنة النّبيّ محمّداً عندي بمنزلة من الأولاد

ويقول:

صدق ابن آمنة النّبيّ محمّد فتميّزوا غيظاً به وتقطّعوا
إنّ ابن آمنة النّبيّ محمّد سيقوم بالحقّ الجليّ ويصدق

أبوطالب الّذي يقول:

يا شاهد الله عليّ فاشهد آمنت بالواحد ربّ أحمد
مَن ظلّ في الدّين فإنّي مهتد

كلّ هذا وأبو طالب مات كافراً!!!

إذاكان الإيمان بالتوحيد والإقرار بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله لا تكفي في إيمان الرّجل، ويكون معتقدها والمقرّ بها كافراً، فما هو الإسلام إذن ؟!

إذاكان الذبّ عن الرّسول والإعتراف بنبوّته كفراً، فما هو الإسلام ؟ طبعاً يقول لسان حال تلك العجابة في الجواب:

أبوطالب مات كافراً، وأبو سفيان مات مسلماً.

هكذا يقولون، كبرت كلمة تخرج من أفواههم، إن يقولون إلّا كذبا !!

ويقولون للّذين كفروا هؤلاء أهدى من الّذين آمنوا سبيلاً !!

وإنّهم ليقولون منكراً من القول وزوراً.

أبوسفيان الّذي حزّب الأحزاب ضدّ النّبيّ صلى الله عليه وآله، والّذي ما قامت راية كفر لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا وهو قائدها وناعقها، والّذي لم يزل يعلن الحرب والعداء لمحمّد صلى الله عليه وآله، ودين محمّد صلى الله عليه وآله، وإله محمّد صلى الله عليه وآله، وكتاب محمّد صلى الله عليه وآله، حتّى فتح مكّة فدخل الإسلام عليه رغم أنفه، ولم يدخل في قلبه، وأظهر الإسلام وأبطن الكفر، على العكس ممّا كان عليه أبو طالب تماماً.

أبوسفيان الّذي أصرّ على محو اسم محمّد رسول الله يوم صلح الحديبيّة يموت مسلماً، وأبوطالب الّذي يعترف برسالة محمّد صلى الله عليه وآله ويقول: هو رسول كموسى وعيسى، يموت كافراً!

أبوسفيان الّذي يقول ـ حين انتهت إليهم الخلافة بمحضر من عثمان ـ: يا بني أُميّة تلقّفوها تلقّف الكرة، والّذي يحلف به أبوسفيان ما من جنّة ولا نار، يموت مسلماً، والّذي يعترف بالبعث والنّشور يموت كافراً!

روي عن ابن عبّاس قال: والله ماكان أبوسفيان إلّا منافقاً، ولقد كنّا في محفل فيه أبوسفيان ـ وقد كُفّ بصره ـ وفينا عليّ عليه السلام، فأذّن المؤذّن، فلمّا قال: «أشهد أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله» قال: هاهنا من يحتشم ؟

قال واحد من القوم: لا.

احتجاجه عليه السلام على مَن قال بزوال الأدواء بمداواة الأطبّاء دون الله سبحانه وعلى مَن قال بأحكام النّجوم من المنجّمين وغيرهم من الكهنة والسحرة

وبالإسناد المقدّم ذكره عن أبي محمّد العسكري عن عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام أنّه قال :

«كان أميرالمؤمنين عليه السلام قاعداً ذات يوم ، فأقبل إليه رجل من اليونانيين المدّعين للفلسفة والطب ،

فقال : لله درّ أخي هاشم ، اُنظروا أين وضع اسمه .

فقال عليّ عليه السلام : «أسخن الله عينك يا أباسفيان ، الله فعل ذلك بقوله عزّ من قائل : ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾» .

فقال أبوسفيان : أسخن الله عين من قال : ليس هاهنا من يحتشم .

والعجيب أنّهم يقولون عنه أنّه مات مسلماً ، وأبوطالب مات كافراً !! لُعنوا بما قالوا ، نحن أعلم بما يقولون ، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، فاصبر على ما يقولون .

وأكثر من هذا عجباً ، وأبعد منه غرابة ، ما لفّقته تلك العصابة ، وافترته على الرّسول من أنّه صلى الله عليه وآله - وحاشاه - قال عنه أنّه في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه ، وأنّه متنعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه .

ولا أدري وليتني أبداً لا أدري لماذا يستحقّ أبوطالب هذا العذاب ؟ إلّا أنّه دافع عن رسول الله صلى الله عليه وآله أم هو الحقد والبغض لابن أبي طالب الّذي :

لعنته بالشام سبعين عاماً ... لعن الله كهلها وفتاها

ثمّ هل تريد أن أزيدك وأزودك من أمثال هذه الأضاليل والأباطيل ؟ فأذكر لك ما رواه الزهري عن عروة بن الزبير ، عن عائشة قالت : كنت عند رسول الله إذ أقبل العبّاس وعلي فقال : يا عائشة إنّ هذين يموتان على غير ملّتي أو قال : ديني - .

وفي أخرى بنفس السند عنها أيضاً قالت : كنت عند النّبيّ فقال : يا عائشة إن سرّك أن تنظري إلى رجلين من أهل النّار فانظري إلى هذين قد طلعا ، فنظرت فإذا العبّاس وعلي بن أبي طالب .

أسمعت هذا وبعد فهلّا ترفع يدك إلى الدّعاء وتقول معي :

«اللّهمّ أدخلني النّار الّتي يقطن فيها عليّ بن أبي طالب ، واجعلني في الضحضاح الّذي فيه أبوطالب ، ولا تدخلني الجنّة الّتي يدخل فيها أبوسفيان ، ومعاوية بن أبي سفيان ، ويزيد بن معاوية ، فسلام على تلك النّار ، ولعنة الله على هذه الجنّة» .

ولولا أبوطالب وابنه ... لما مثل الدّين شخصاً فقاما
فذاك بمكّة آوى وحامى ... وذاك بيثرب خاض الحماما
فلله ذا فاتحاً للهدى ... ولله ذا للمعالي ختاما

توفّي سلام الله عليه في ٢٦ رجب في آخر السنة العاشرة من مبعث النّبي صلى الله عليه وآله ، ورثاه أميرالمؤمنين عليه السلام بقوله :

أباطالب عصمة المستجير ... وغيث المحول ونور الظلم
لقد هدّ فقدك أهل الحفاظ ... فصلّى عليك وليّ النّعم
ولقّاك ربّك رضوانه ... فقدكنت للطهر منخير عم

فقال له : يا أباالحسن بلغني خبر صاحبك وأنّ به جنوناً ، وجئت لأُعالجه ، فلحقته قد مضى لسبيله ، وفاتني ما أردت من ذلك ، وقد قيل لي أنّك ابن عمّه وصهره ، وأرى بك صفاراً قد علاك ، وساقين دقيقين ، وما أراهما تقلّانك ؛ فأمّا الصفار فعندي دواؤه ، وأمّا الساقان الدقيقان فلا حيلة لي لتغليظهما ، والوجه أن ترفق بنفسك في المشي تُقلّله ولا تكثره ، وفيما تحمله على ظهرك وتحتضنه بصدرك ، أن تقلّلهما ولا تكثرهما ، فإنّ ساقيك دقيقان لا يؤمن عند حمل ثقيل انقصافهما ، وأمّا الصّفار فدواؤه عندي وهو هذا ، وأخرج دواءه وقال : هذا لا يؤذيك ، ولا يخيسك[1] ، ولكنّه تلزمك حميّة من اللحم أربعين صباحاً ثمّ يزيل صفارك .

فقال له عليّ بن أبي طالب عليه السلام : قد ذكرت نفع هذا الدواء لصفاري ، فهل تعرف شيئاً يزيد فيه ويضرّه ؟

فقال الرّجل : بلى حبّة من هذا ـ وأشار إلى دواء معه ـ وقال : إن تناوله إنسان وبه صفار أماته من ساعته ، وإن كان لا صفار به صار به صفار حتّى يموت في يومه .

فقال علي عليه السلام : فأرني هذا الضارّ .

فأعطاه إيّاه .

فقال له : كم قدر هذا ؟

قال : قدره مثقالين سمّ ناقع ، قدر كلّ حبّة منه يقتل رجلاً .

فتناوله عليّ عليه السلام فقمحه[2] وعرق عرقاً خفيفاً ، وجعل الرجل يرتعد ويقول في نفسه : الآن أُؤخذ بابن أبي طالب ، ويقال لي : قتلته ، ولا يقبل منّي قولي أنّه هو الجاني على نفسه .

فتبسّم عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقال : يا عبدالله أصحّ ما كنت بدناً الآن ، لم يضرّني ما زعمت أنّه سمّ . ثمّ قال : فغمّض عينيك ؛ فغمّض ، ثمّ قال : افتح عينيك ؛ ففتح ، ونظر إلى وجه عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فإذا هو أبيض أحمر مشرب حمرة ، فارتعد الرّجل لما رآه .

فتبسّم عليّ عليه السلام وقال : أين الصّفار بسمّك الّذي زعمت أنّه بي ؟

فقال : والله لكأنّك لست من رأيت ، قبل كنت مضارّاً ، فإنّك الآن مورد .

فقال عليّ عليه السلام : فزال عنّي الصفار الّذي تزعم أنّه قاتلي . وأمّا ساقاي هاتان ـ ومدّ رجليه وكشف

---

(١) أي لا ينقصك ، كناية عن عدم النفع .

(٢) قمحت السويق ـ بالكسر إذا سففته .

عن ساقيه ـ فإنّك زعمت أنّي أحتاج إلى أن أرفق ببدني في حمل ما أحمل عليه ، لئلّا ينقصف الساقان[1] ، وأنا أُريك أنّ طبّ الله ﷻ على خلاف طبّك ، وضرب بيده إلى أُسطوانة خشب عظيمة ، على رأسها سطح مجلسه الّذي هو فيه ، وفوقه حجرتان ؛ إحدهما فوق الأُخرى ، وحرّكها فاحتملها ، فارتفع السطح والحيطان وفوقهما الغرفتان ؛ فغشيَ على اليونانيّ .

فقال عليّ عليه السلام : صبّوا عليه ماء .

فصبّوا عليه ماء فأفاق وهو يقول : والله ما رأيت كاليوم عجباً .

فقال له عليّ عليه السلام : هذه قوّة الساقين الدقيقين واحتمالهما ، أفي طبّك هذا يا يونانيّ ؟

فقال اليونانيّ : أمثلك كان محمّداً ؟

فقال عليّ عليه السلام : وهل علمي إلّا من علمه ، وعقلي إلّا من عقله ، وقوّتي إلّا من قوّته ، ولقد أتاه ثقفيّ وكان أطبّ العرب ، فقال له : إن كان بك جنون داويتك ؟

فقال له محمّد صلى الله عليه وآله : أتحبّ أن أُريك آية تعلم بها غناي من طبّك وحاجتك إلى طبّي ؟

قال : نعم .

قال : أيّ آية تريد ؟

قال : تدعو ذلك العذق ـ وأشار إلى نخلة سحوق ـ فدعاها ، فانقطع أصلها من الأرض وهي تخدّ الأرض خدّاً حتّى وقفت بين يديه .

فقال له : أكفاك ؟

قال : لا .

قال : فتريد ماذا ؟

قال : تأمرها أن ترجع إلى حيث جاءت منه ، وتستقرّ في مقرّها الّذي انقلعت منه .

فأمرها ؛ فرجعت ، واستقرّت في مقرّها .

فقال اليونانيّ لأميرالمؤمنين عليه السلام : هذا الّذي تذكره عن محمّد صلى الله عليه وآله غائب عنّي ، و أنا أُريد أن أقتصر منك على أقلّ من ذلك ، أتباعد عنك فادعني وأنا لا أختار الإجابة ، فإن جئت بي إليك فهي آية .

قال أميرالمؤمنين عليه السلام : إنّما يكون آية لك وحدك ، لأنّك تعلم من نفسك أنّك لم ترده ، وإنّي أزلت اختيارك من غير أن باشرت منّي شيئاً ، أو ممّن أمرته بأن يباشرك ، أو ممّن قصد إلى

---

(١) أي : تنكسر .

اختيارك وإن لم آمره ، إلّا ما يكون من قدرة الله القاهرة ، وأنت يا يونانيّ يمكنك أن تدّعي ويمكن غيرك أن يقول : إنّي واطأتك على ذلك ، فأقترح إن كنت مقترحاً ما هو آية لجميع العالمين .

قال له اليوناني : إن جعلت الإقتراح إليّ فأنا أقترح : أن تفصّل أجزاء تلك النخلة ، وتفرّقها وتباعد مابينها ، ثمّ تجمعها وتعيدها كما كانت .

فقال عليّ عليه السلام : هذه آية وأنت رسولي إليها ـ يعني إلى النخلة ـ فقل لها : إنّ وصيّ محمّد رسول الله يأمر أجزائك أن تتفرّق وتتباعد .

فذهب فقال لها ذلك ؛ فتفاصلت وتهافتت ، وتنثّرت ، وتصاغرت أجزائها حتّى لم ير لها عين ولا أثر ، حتّى كأن لم تكن هناك نخلة قط .

فارتعدت فرائص اليونانيّ وقال : يا وصيّ محمّد رسول الله قد أعطيتني اقتراحي الأوّل ، فاعطني الآخر ، فأمرها أن تجتمع وتعود كما كانت .

فقال : أنت رسولي إليها ، فعد فقل لها : يا أجزاء النخلة إنّ وصيّ محمّد رسول الله يأمرك أن تجتمعي كما كنت وأن تعودي .

فنادى اليونانيّ فقال ذلك ، فارتفعت في الهواء كهيئة الهباء المنثور ، ثمّ جعلت تجتمع جزأ جزو منها ، حتّى تصوّر لها القضبان ، والأوراق ، وأصول السعف ، وشماريخ الأعذاق ، ثمّ تألّفت ، وتجمّعت ، وتركّبت ، واستطالت ، وعرضت ، واستقرّ أصلها في مقرّها ، وتمكّن عليها ساقها ، وتركّب على الساق قضبانها ، وعلى القضبان أوراقها ، وفي أمكنتها أعذاقها ، وكانت في الإبتداء شماريخها متجرّدة لبعدها من أوان الرطب ، والبسر ، والخلاف .

فقال اليوناني : وأُخرى أُحبّ أن تخرج شماريخها خلالها ، وتقلّبها من خضرة إلى صفرة وحمرة ، وترطيب وبلوغ ، لتأكل وتطعمني ومن حضرك منها .

فقال عليّ عليه السلام : أنت رسولي إليها بذلك ، فمرها به .

فقال لها اليوناني ما أمره أميرالمؤمنين عليه السلام ؛ فأخلت ، وأبسرت ، واصفرّت ، واحمرّت ، وترطّبت ، وثقلت أعذاقها برطبها .

فقال اليوناني : وأُخرى أُحبّها أن تقرّب من بين يدي أعذاقها ، أو تطول يدي لتنالها ، وأحبّ شيء إليّ أن تنزل إليّ إحداهما وتطول يدي إلى الأُخرى الّتي هي أُختها .

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : مدّ اليد الّتي تريد أن تنالها ، وقل : «يا مقرّب البعيد قرّب يدي

منها» ، واقبض الأُخرى الّتي تريد أن ينزل العذب إليها وقل : «يا مسهّل العسير سهّل لي تناول ما يبعد عنّي منها» ؛ ففعل ذلك فقاله ؛ فطالت يمناه فوصلت إلى العذق ، وانحطّت الأعذاق الأُخر فسقطت على الأرض وقد طالت عراجينها .

ثمّ قال أميرالمؤمنين عليه السلام : إنّك إن أكلت منها ولم تؤمن بمن أظهر لك من عجائبها ، عجّل الله عزّ وجلّ إليك من العقوبة الّتي يبتليك بها ما يعتبر به عقلاء خلقه وجهّالها .

فقال اليوناني : إنّي إن كفرت بعد ما رأيت فقد بالغت في العناد ، وتناهيت في التعرّض للهلاك ، أشهد أنّك من خاصّة الله ، صادق في جميع أقاويلك عن الله ، فأمرني بما تشاء أطعك .

قال عليّ عليه السلام : آمرك أن تقرّ لله بالوحدانيّة ، وتشهد له بالجود والحكمة ، وتنزّهه عن العبث والفساد ، وعن ظلم الإماء والعباد ، وتشهد أنّ محمّداً الّذي أنا وصيّه سيّد الأنام ، وأفضل رتبة في دار السّلام ، وتشهد أنّ عليّاً الّذي أراك ما أراك ، وأولاك من النّعم ما أولاك ، خير خلق الله بعد محمّد رسول الله ، وأحقّ خلق الله بمقام محمّد صلى الله عليه وآله بعده ، وبالقيام بشرايعه وأحكامه ، وتشهد أنّ أوليائه أولياء الله ، وأعدائه أعداء الله ، وأنّ المؤمنين المشاركين لك فيما كلّفتك ، المساعدين لك على ما أمرتك به خيرة أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله ، وصفوة شيعة علي .

وآمرك أن تواسِيَ إخوانك المطابقين لك على تصديق محمّد صلى الله عليه وآله وتصديقي والإنقياد له ولي ممّا رزقك الله وفضّلك على من فضّلك به منهم ؛ تسدّ فاقتهم ، وتجبر كسرهم وخلّتهم ، ومن كان منهم في درجتك في الإيمان ساويته من مالك بنفسك ، ومن كان منهم فاضلاً عليك في دينك آثرته بمالك على نفسك ، حتّى يعلم الله منك أنّ دينه آثر عندك من مالك ، وأنّ أولياءه أكرم عليك من أهلك وعيالك .

وآمرك أن تصون دينك ، وعلمنا الّذي أودعناك ، وأسرارنا الّتي حمّلناك ، ولا تُبْدِ علومنا لمن يقابلها بالعناد ، ويقابلك من أجلها بالشتم ، واللعن ، والتناول من العرض والبدن ، ولا تفش سرّنا إلى من يشنّع علينا ، وعند الجاهلين بأحوالنا ، ولا تعرض أوليائنا لبوادر الجهّال .

وآمرك أن تستعمل التقيّه في دينك ، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ لاَ يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾[1] ، وقد أذنت لك في تفضيل أعدائنا إن لجأك الخوف إليه ، وفي إظهار البراءة منّا إن حملك الوجل عليه ، وفي ترك الصلاة

---

(١) آل عمران ٢٨.

المكتوبات إن خشيت على حشاشتك[1] الآفات والعاهات ؛ فإنّ تفضيلك أعداءنا علينا عند خوفك لا ينفعهم ولا يضرّنا ، وإنّ إظهارك براءتك منّا عند تقيّتك لا يقدح فينا ولا ينقصنا ، ولَإن تبرّأت منّا ساعة بلسانك وأنت موال لنا بجنانك لتبقي على نفسك روحها الّتي بها قوامها ، ومالها الّذي به قيامها ، وجاهها الّذي به تماسكها ، وتصون من عرف بذلك وعرفت به من أوليائنا وإخواننا من بعد ذلك بشهور وسنين إلى أن يفرّج الله تلك الكربة ، وتزول به تلك الغمّة ، فإنّ ذلك أفضل من أن تتعرّض للهلاك وتنقطع به من عمل الدين وصلاح إخوانك المؤمنين ، وإيّاك ثمّ إيّاك أن تترك التقيّة الّتي أمرتك بها ، فإنّك شائط بدمك ودم إخوانك ، معرض لنعمتك ونعمهم على الزوال ، مذلّ لك ولهم في أيدي أعداء دين الله ، وقد أمرك الله بإعزازهم ، فإنّك إن خالفت وصيّتي كان ضررك على نفسك وإخوانك أشدّ من ضرر المناصب لنا ، الكافر بنا» .

وعن سعيد بن جبير[2] قال : استقبل أميرالمؤمنين عليه السلام دهقان من دهاقين الفرس ، فقال له ـ

---

(١) الحشاشة : بقيّة الروح في المريض .

(٢) سعيد بن جبير ـ بالجيم المضمومة ـ بن هشام الأسدي الوالبي مولى بني والبة ، أصله من الكوفة ، نزل مكّة ، تابعيّ. عدّه الشيخ الطوسي في أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام ، والعلّامة في القسم الأوّل من خلاصته روى عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال : «إنّ سعيد بن جبير كان يأتمّ بعليّ بن الحسين عليه السلام ، وكان عليّ عليه السلام يثني عليه ، وما كان سبب قتل الحجّاج له إلّا على هذا الأمر» ، وكان مستقيماً ، وذكر أنّه لمّا دخل على الحجّاج بن يوسف ، قال له : أنت شقيّ ابن كسير ؟

قال : أمّي كانت أعرف باسمي ، سمّتني «سعيد بن جبير» .

قال : ما تقول في أبي بكر وعمر ؛ أهما في الجنّة أو في النّار ؟

قال : لو دخلت الجنّة فنظرت إلى أهلها لعلمت من فيها ، ولو دخلت النّار ورأيت أهلها لعلمت من فيها .

قال : فما قولك في الخلفاء ؟

قال : لست عليهم بوكيل .

قال : أيّهم أحبّ إليك ؟

قال : أرضاهم لخالقي .

قال : فأيّهم أرضى للخالق ؟

قال : علم ذلك عند الّذي يعلم سرّهم ونجواهم .

قال : أبيت أن تصدّقني ؟

قال : بل لم أحب أن أكذّبك .

وكان ثقة مشهوراً بالفقه والزهد والعبادة وعلم التفسير ، وكان أخذ العلم عن ابن عبّاس ، وكان ابن عبّاس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول : أليس فيكم ابن أُم الدهماء ؟ ـ يعني سعيد بن جبير ـ وكان يُسمّى جهبذ العلماء ـ

بعد التهنية ـ : يا أميرالمؤمنين تناحست النجوم الطالعات ، وتناحست السعود بالنحوس ، وإذاكان مثل هذا اليوم وجب على الحكيم الإختفاء ، ويومك هذا يوم صعب ، قد اتّصلت فيه كوكبان ، وانقدح من برجك النيران ، وليس لك الحرب بمكان .

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : «ويحك يا دهقان المنبئ بالآثار ، والمحذّر من الأقدار ، ما قصّة صاحب الميزان ، وقصّة صاحب السرطان ؟ وكم المطالع من الأسد والساعات في المحرّكات ؟ وكم بين السراري والذراري» ؟

قال : سأنظر ، وأومى إلى كمّه وأخرج منه أُصطرلاباً ينظر فيه .

فتبسّم عليّ عليه السلام وقال : أتدري ما حدث البارحة ؟ وقع بيت بالصين ، وانفرج برج ماجين ، وسقط سور سرنديب ، وانهزم بطريق الروم بأرمينية ، وفقد ديّان اليهود بأبلة ، وهاج النمل بوادي النمل ، وهلك ملك أفريقيّة ، أكنت عالماً بهذا» ؟

قال : لا يا أميرالمؤمنين .

فقال : «البارحة سعد سبعون ألف عالم ، وولد في كلّ عالم سبعون ألفاً ، والليلة يموت مثلهم ، وهذا منهم» ـ وأومى بيده إلى سعد بن مسعدة الحارثي لعنه الله وكان جاسوساً للخوارج في عسكر أميرالمؤمنين عليه السلام ـ ؛ فظنّ الملعون أنّه يقول خذوه ، فأخذ بنفسه فمات ؛ فخرّ الدّهقان ساجداً .

فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام : «ألم أروِكَ من عين التوفيق» ؟

قال : بلى يا أميرالمؤمنين .

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : «أنا وأصحابي لا شرقيّون ولا غربيّون ، نحن ناشئة القطب وأعلام الفلك ، أمّا قولك انقدح من برجك النيران ، فكان الواجب عليك أن تحكم لي به لا عَلَيّ ، أمّا نوره وضياؤه فعندي ، وأمّا حريقه ولهبه فذاهب عنّي ، وهذه مسألة عميقة إحسبها إن كنت حاسباً» .

وروي أنّه عليه السلام لمّا أراد المسير إلى الخوارج ، قال له بعض أصحابه : إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك من طريق علم النّجوم .

⮌ بالكسر ـ أي النقّاد الخبير ، وكان يقرأ القرآن في ركعتين ، قيل : وما من أحد على الأرض إلّا وهو محتاج إلى علمه .

قتله الحجّاج سنة ٩٥ وهو ابن ٤٩ سنة ، ولم يبق بعده الحجّاج إلّا ١٥ ليلة ، ولم يقتل أحداً بعده لدعائه عليه حين قتله : «اللّهمّ لا تسلّطه على أحد يقتله بعدي» . [رجال الطوسي ٩٠، العلّامة ٧٩، الكشي ١١٠، تهذيب التهذيب ١١/٤، سفينة البحار ٦٢١/١]

فقال عليه السلام : «أتزعم أنّك تهدي إلى الساعة الّتي من سار فيها صرف عنه السوء ، وتخوّف الساعة الّتي من سار فيها حاق به الضر ؟ فمن صدّقك بهذا فقد كذّب «القرآن» ، واستغنى عن الإستعانة بالله في نيل المحبوب ودفع المكروه ، وينبغي في قولك للعامل بأمرك أن يولّيك الحمد دون ربّه ، لأنّك بزعمك أنت هديته إلى الساعة الّتي نال فيها النفع وأمن الضر .

أيّها النّاس إيّاكم وتعلّم النّجوم ، إلّا ما يهتدى به في برّ أو بحر ، فإنّه يدعو إلى الكهانة ، المنجّم كالكاهن ، والكاهن كالساحر ، والساحر كالكافر ، والكافر في النّار ، سيروا على اسم الله وعونه ، ومضى فظفر بمراده صلوات الله عليه .

احتجاجه عليه السلام على زنديق جاء مستدلًا عليه بآيٍ من «القرآن» متشابهة تحتاج إلى التأويل على أنّها تقتضي التناقض والإختلاف فيه وعلى أمثاله في أشياء أُخرى

جاء بعض الزنادقة إلى أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام وقال له : لولا ما في «القرآن» من الإختلاف والتناقض لدخلت في دينكم .

فقال له عليه السلام : «وما هو» ؟

قال : قوله تعالى : ﴿ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾[1] وقوله : ﴿ فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ﴾[2] وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾[3] وقوله : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفّاً لاَ يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَقَالَ صَوَاباً ﴾[4] وقوله : ﴿ وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾[5] وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴾[6] وقوله : ﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾[7] وقوله : ﴿ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ ﴾[8] وقوله : ﴿ اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا

---

(١) التوبة ٩٧.

(٢) الأعراف ٥١.

(٣) مريم ٦٤.

(٤) النبأ ٣٨.

(٥) الأنعام ٢٣.

(٦) العنكبوت ٢٥.

(٧) ص ٦٤.

(٨) ق ٢٨.

يَكْسِبُونَ ﴾[١] وقوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَة * إلى رَبِّهَا نَاظِرَة ﴾[٢] وقوله : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾[٣] وقوله : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخرىٰ * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهىٰ ﴾[٤] وقوله : ﴿ لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمٰنُ وَقَالَ صَوَاباً ﴾ الآيتين[٥] وقوله : ﴿ ومَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً ﴾[٦] وقوله : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ عَنْ رَبِّهِمْ لَمَحْجُوبُونَ ﴾[٧] وقوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلاَئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾[٨] وقوله : ﴿ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرون ﴾[٩] وقوله : ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴾[١٠] وقوله : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ ﴾[١١] وقوله : ﴿ وَرَأَى ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾[١٢] وقوله : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَة ﴾[١٣] وقوله : ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾[١٤] ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾[١٥] .

فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام : «فأمّا قوله تعالى : ﴿ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ إنّما يعني نسوا الله في دار الدّنيا ؛ لم يعملوا بطاعته ، فنسيهم الله في الآخرة أي لم يجعل لهم من ثوابه شيئاً ، فصاروا منسيين من الخير ، وكذلك تفسير قوله عزّ وجلّ : ﴿ فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ﴾ يعني بالنسيان أنّه لم يثيبهم كما يثيب أولياءه ، الّذين كانوا في دار الدّنيا مطيعين ذاكرين حين آمنوا به وبرسوله وخافوه بالغيب .

---

(١) يس ٦٥.

(٢) القيامة ٢٢.

(٣) الأنعام ١٠٣.

(٤) النجم ١٤.

(٥) النبأ ٣٨.

(٦) الشورى ٥١.

(٧) المطففين ١٥.

(٨) الأنعام ١٥٨.

(٩) السجدة ١٠.

(١٠) التوبة ٧٧.

(١١) الكهف ١١٠.

(١٢) الكهف ٥٣.

(١٣) الأنبياء ٤٧.

(١٤) المؤمنون ١٠٢.

(١٥) المؤمنون ١٠٣.

وأمّا قوله : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ فإنّ ربّنا تبارك وتعالى علوّاً كبيراً ليس بالّذي ينسى ، ولا يغفل ، بل هو الحفيظ العليم ، وقد تقول العرب : نسينا فلان فلا يذكرنا : أي إنّه لا يأمر لهم بخير ، ولا يذكرهم به» .

قال علي عليه السلام : «وأمّا قوله عزّ وجلّ : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَائِكَةُ صَفّاً لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَاباً ﴾ وقوله : ﴿ وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِين ﴾ وقوله عزّ وجلّ : ﴿ يَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضَا ﴾ وقوله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّار ﴾ وقوله : ﴿ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بالوَعِيد ﴾ وقوله : ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ فإنّ ذلك في مواطن غير واحد من مواطن ذلك اليوم الّذي كان مقداره خمسين ألف سنة ، المراد : يكفّر أهل المعاصي بعضهم ببعض ، ويلعن بعضهم بعضاً ، والكفر في هذه الآية «البراءة» يقول : فيبرأ بعضهم من بعض ، ونظيرها في سورة إبراهيم قول الشيطان : ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ﴾[1] وقول إبراهيم خليل الرحمن : ﴿ كَفَرْنا بِكُمْ ﴾[2] يعني تبرّأنا منكم .

ثمّ يجتمعون في مواطن أُخر يبكون فيها ، فلو أنّ تلك الأصوات فيها بدت لأهل الدّنيا لأزالت جميع الخلق عن معايشهم ، وانصدعت قلوبهم إلّا ما شاء الله ، ولا يزالون يبكون حتّى يستنفدوا الدّموع ، ويفضوا إلى الدّماء .

ثمّ يجتمعون في موطن آخر فيستنطقون فيه ، فيقولون : ﴿ وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِين ﴾ وهؤلاء خاصّة هم : المقرّون في دار الدّنيا بالتوحيد ، فلا ينفعهم إيمانهم بالله لمخالفتهم رسله ، وشكّهم فيما أتَوا به عن ربّهم ، ونقضهم عهودهم في أوصيائهم ، واستبدالهم الّذي هو أدنى بالّذي هو خير ، فكذّبهم الله فيما انتحلوه من الإيمان بقوله : ﴿ أُنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِم ﴾[3] فيختم الله على أفواهم ، ويستنطق الأيدي والأرجل والجلود ، فتشهد بكلّ معصية كانت منهم ، ثمّ يرفع عن ألسنتهم الختم فيقولون لجلودهم : ﴿ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا ٱللهُ ٱلَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[4] .

ثمّ يجتمعون في موطن آخر فيفرّ بعضهم من بعض لهول ما يشاهدونه من صعوبة الأمر

---

(١) إبراهيم ٢٣.

(٢) الممتحنة ٤.

(٣) الأنعام ٢٤.

(٤) فصّلت ٢١.

وعظم البلاء ، فذلك قوله ﷻ : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾[١] الآية.

ثمّ يجتمعون في موطن آخر يستنطق فيه أولياء الله وأصفياؤه ، فلا يتكلّم أحد إلّا مَن أذن له الرّحمان وقال صوابا ، فيقام الرّسل فيسألون عن تأدية الرسالة الّتي حملوها إلى أممهم ، وتُسْئَلُ الأمم فتجحد كما قال الله تعالى : ﴿ فَلَنَسْئَلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[٢] فيقولون : ﴿ مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ ﴾[٣] فتشهد الرسل رسول الله ﷺ فيشهد بصدق الرسل ، وتكذيب من جحدها من الأُمم ، فيقول ـ لكلّ أُمّة منهم ـ : بلى ﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٤] أي : مقتدر على شهادة جوارحكم عليكم بتبليغ الرسل إليكم رسالاتهم ،كذلك قال الله ـ لنبيّه ـ : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هٰؤُلاَءِ شَهِيداً ﴾[٥] فلا يستطيعون ردّ شهادته ، خوفا من أن يختم الله على أفواههم ، وأن تشهد عليهم جوارحهم بماكانوا يعملون ، ويشهد على منافقي قومه ، وأُمّته ، وكفّارهم بإلحادهم ، وعنادهم ، ونقضهم عهده ، وتغييرهم سنّته ، وإعتدائهم على أهل بيته ، وانقلابهم على أعقابهم ، وارتدادهم على أدبارهم ، واحتذائهم في ذلك سنّة من تقدّمهم من الأمم الظالمة ، الخائنة لأنبيائها ، فيقولون بأجمعهم : ﴿ قالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ ﴾[٦] .

ثمّ يجتمعون في موطن آخر يكون فيه مقام محمّد ﷺ وهو : «المقام المحمود» فيثني على الله بما لم يثن عليه أحد قبله ، ثمّ يثني على الملائكة كلّهم ، فلا يبقى ملك إلّا أثنى عليه محمّد ، ثمّ يثني على الأنبياء بما لم يثن عليهم أحد قبله ، ثمّ يثني على كلّ مؤمن ومؤمنة ، يبدأ بالصدّيقين والشهداء ثمّ الصالحين ، فيحمده أهل السماوات وأهل الأرضين ، فذلك قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً ﴾[٧] فطوبى لمن كان له في ذلك المكان حظّ ونصيب ، وويل لمن لم يكن له في ذلك المقام حظّ ولا نصيب .

---

(١) عبس ٣٤ـ٣٦.

(٢) الأعراف ٦.

(٣) المائدة ١٩.

(٤) المائدة ١٩.

(٥) النساء ٤١.

(٦) المؤمنون ١٠٦.

(٧) الإسراء ٧٩.

ثمّ يجتمعون في موطن آخر ويزال بعضهم عن بعض ، وهذا كلّه قبل الحساب ، فإذا أخذ في الحساب شغل كلّ إنسان بما لديه ، نسأل الله بركة ذلك اليوم» .

قال عليّ عليه السلام : «وأمّا قوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ذلك في موضع ينتهي فيه أولياء الله عزّ وجلّ بعدما يفرغ من الحساب ، إلى نهر يسمّى : «نهر الحيوان» فيغتسلون منه ، ويشربون من آخر فتبيضّ وجوههم ، فيذهب عنهم كلّ أذى وقذى ووعث ، ثمّ يُؤمرون بدخول الجنّة ، فمن هذا المقام ينظرون إلى ربّهم كيف يثيبهم ، ومنه يدخلون الجنّة ، فذلك قول الله عزّ وجلّ ـ في تسليم الملائكة عليهم ـ : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾[1] فعند ذلك قوله تعالى : أثيبوا بدخول الجنّة والنظر إلى ما وعدهم الله عزّ وجلّ ، فلذلك قوله تعالى : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ والناظرة في بعض اللغة هي : المنتظرة ، ألم تسمع إلى قوله تعالى : ﴿ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾[2] أي : منتظرة بم يرجع المرسلون ؟ .

وأمّا قوله : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ يعني : محمّداً كان عند سدرة المنتهى حيث لا يجاوزها خلق من خلق الله عزّ وجلّ ، وقوله ـ في آخر الآية ـ : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾[3] رأى جبرئيل في صورته مرّتين : هذه المرّة ، ومرّة أُخرى وذلك أنّ خلق جبرئيل خلق عظيم ، فهو من الروحانيين الذين لا يدرك خلقهم ولا صفتهم إلّا الله ربّ العالمين» .

قال عليّ عليه السلام : «وأمّا قوله : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ كذلك قال الله تعالى قد كان الرسول يوحي إليه رسل من السماء فتبلغ رسل السماء إلى الأرض وقد كان الكلام بين رسل أهل الأرض وبينه غير أن يرسل بالكلام مع رسل أهل السماء وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : «يا جبرئيل هل رأيت ربّك» ؟ فقال جبرئيل : إنّ ربّي لا يُرى . فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : «من أين تأخذ الوحي» ؟ قال : آخذه من إسرافيل . قال : «ومن أين يأخذه إسرافيل» ؟ قال : يأخذه من ملك فوقه من الروحانيين . قال : «ومن أين يأخذه ذلك الملك» ؟ قال : يقذف في قلبه قذفاً ؛ فهذا وحي ، وهو كلام الله عزّ وجلّ ، وكلام الله ليس بنحو واحد ، منه : ما كلّم

---

(١) الزمر ٧٣.

(٢) النمل ٣٥.

(٣) النجم ١٧ ـ ١٨.

الله به الرسل ، ومنه ما قذف في قلوبهم ، ومنه رؤيا يراها الرسل ، ومنه وحي وتنزيل يتلى ويقرأ فهو كلام الله ﷻ» .

قال عليّ عليه السلام : «وأمّا قوله : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِم يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ فإنّما يعني به يوم القيامة عن ثواب ربّهم لمحجوبون .

وقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ يخبر محمّداً عن المشركين والمنافقين ، الّذين لم يستجيبوا لله ولرسوله ، فقال : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ ﴾ حيث لم يستجيبوا لله ولرسوله ، ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ يعني بذلك العذاب ، يأتيهم في دار الدنيا كما عذّب القرون الأُولى ، فهذا خبر يخبر به النّبيّ ﷺ عنهم ، ثمّ قال : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ ﴾[1] الآية ، يعني لم تكن آمنت من قبل أن تأتي هذه الآية ، وهذه الآية هي طلوع الشمس من مغربها ، وقال ـ في آية أُخرى ـ : ﴿ فَأَتَاهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾[2] يعني أرسل عليهم عذاباً ، وكذلك إتيانه بنيانهم حيث قال : ﴿ فَأَتَى ٱللهُ بُنْيَانَهُم مِنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾[3] يعني أرسل عليهم العذاب» .

قال عليّ عليه السلام : «وأمّا قوله ﷻ : ﴿ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرون ﴾ وقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾[4] وقوله : ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴾ وقوله : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَل عَمَلاً صَالِحاً ﴾ يعني : البعث ، فسمّاه الله لقاء ، كذلك قوله : ﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللهِ لَآتٍ ﴾[5] يعني من كان يؤمن أنّه مبعوث فإن وعد الله لآت من الثواب والعقاب ، فاللقاء هاهنا ليس بالرؤية ، واللقاء هو البعث، وكذلك : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾[6] يعني أنّه لا يزول الإيمان عن قلوبهم يوم يبعثون» .

قال عليّ عليه السلام : «وأمّا قوله ﷻ : ﴿ وَرَأَى ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُوَاقِعُوهَا ﴾ يعني تيقّنوا أنّهم يدخلونها ، وكذلك قوله : ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾[7] وأمّا قوله ﷻ ـ للمنافقين ـ : ﴿ وَتَظُنُّونَ

---

(١) الأنعام ١٥٨.

(٢) الحشر ٢.

(٣) النحل ٢٦.

(٤) البقرة ٤٦.

(٥) العنكبوت ٥.

(٦) الأحزاب ٤.

(٧) الحاقه ٢٠.

باللهِ الظُّنُونَا ﴾(١) فهو ظنّ شكّ وليس ظنّ يقين ، والظنّ ظنّان : ظنّ شكٍّ وظنّ يقين ، فماكان من أمر المعاد من الظنّ فهو ظنّ يقين ، وماكان من أمر الدّنيا فهو ظنّ شكٍّ» .

قال عليّ عليه السلام : «وأمّا قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ﴾ فهو : ميزان العدل ، يؤخذ به الخلايق يوم القيامة ، بدين الله تبارك وتعالى ، الخلايق بعضهم من بعض ، ويجزيهم بأعمالهم ، ويقتصّ للمظلوم من الظالم ، ومعنى قوله : ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ فهو قلّة الحساب وكثرته ، والنّاس يومئذ على طبقات ومنازل ، فمنهم : من يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً ، ومنهم الّذين يدخلون الجنّة بغير حساب ، لأنّهم لم يتلبّسوا من أمر الدّنيا ، وإنّما الحساب هناك على من تلبّس بها هاهنا ، ومنهم من يحاسب على النقير والقطمير ويصير إلى عذاب السعير ، ومنهم أئمّة الكفر وقادة الضلالة فأولئك لا يقيم لهم يوم القيامة وزناً ، ولا يُعبَؤ بهم بأمره ونهيه يوم القيامة وهم في جهنّم خالدون ، وتلفح وجوههم النّار ، وهم فيها كالحون» .

ومن سؤال هذا الزنديق أن قال : أجد الله يقول : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾(٢) ومن موضع آخر يقول : ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها ﴾(٣) ﴿ وَالَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾(٤) ، وما أشبه ذلك ؛ فمرّة يجعل الفعل لنفسه ، ومرّة لملك الموت ، ومرّة للملائكة .

وأجده يقول : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَكُفْرَانَ لِسَعْيِهِ ﴾(٥) ويقول : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحَاً ثُمَّ اهْتَدىٰ ﴾(٦) أعلم في الآية الأُولى أنّ الأعمال الصالحة لا تكفّر ، وأعلم في الثانية أنّ الإيمان والأعمال الصالحة لا تنفع إلّا بعد الإهتداء .

وأجده يقول : ﴿ وَٱسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا ﴾(٧) فكيف يسأل الحيّ من الأموات قبل البعث والنّشور ؟

---

(١) الأحزاب ١٠.

(٢) السجدة ١١.

(٣) الزمر ٤٢.

(٤) النحل ٣٢.

(٥) الأنبياء ٩٤.

(٦) طه ٨٢.

(٧) الزخرف ٤٥.

وأجده يقول : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّماوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾[١] فما هذه الأمانة ؟ ومن هذا الإنسان ؟ وليس من صفته العزيز العليم التلبيس على عباده .

وأجده قد شهر هفوات أنبيائه بقوله : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوىٰ ﴾[٢] ، وبتكذيبه نوحاً لمّا قال : ﴿ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾[٣] بقوله : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِك ﴾[٤] ، وبوصفه إبراهيم بأنّه عَبَد كوكباً مرّة ، ومرّة قمراً ، ومرّة شمساً ، وبقوله في يوسف : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَولا أَنْ رَأىٰ بُرْهَانَ رَبِّه ﴾[٥] ،وبتهجينه موسى حيث قال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْك قَالَ لَنْ تَرانِي ﴾ الآية[٦]، وببعثه على داود جبرئيل وميكائيل حيث تسوّرا المحراب ، وبحبسه يونس في بطن الحوت حيث ذهب مغضباً مذنباً ، وأظهر خطأ الأنبياء وزللهم ، ثم وارى اسم من اغترّ وفتن خلقاً وضلّ وأضلّ ، وكنّى عن أسمائهم في قوله : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ﴾[٧] فَمَن هذا الظالم الّذي لم يذكر من اسمه ما ذكر من أسماء الأنبياء ؟

وأجده يقول : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفًّا ﴾[٨] و﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلاَئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾[٩] ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ ﴾[١٠] فمرّة يجيئهم ، ومرّة يجيئونه .

وأجده يخبر أنّه يتلو نبيّه شاهد منه ، وكان الّذي تلاه عبد الأصنام برهة من دهره .

وأجده يقول : ﴿ ثمّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾[١١] فما هذا النعيم الذي يُسئَل العباد عنه ؟

---

(١) الأحزاب ٧٢.

(٢) طه ١٢١.

(٣) هود ٤٥.

(٤) هود ٤٦.

(٥) يوسف ٢٤.

(٦) الأعراف ١٤٣.

(٧) الفرقان ٢٧ ـ ٢٩.

(٨) الفجر ٢٢.

(٩) الأنعام ١٥٨.

(١٠) الأنعام ٩٤.

(١١) التكاثر ٨.

وأجده يقول : ﴿ بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾[١] ما هذه البقيّة ؟

وأجده يقول : ﴿ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ ﴾[٢] و﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[٣] ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾[٤] ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾[٥] ما معنى الجَنْب ، والوجه ، واليمين ، والشمال ، فإنّ الأمر في ذلك ملتبس جدّاً ؟

وأجده يقول : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾[٦] ويقول : ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾[٧] ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰه ﴾[٨] ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾[٩] ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيد ﴾[١٠] ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ الآية[١١] .

وأجده يقول : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاء ﴾[١٢] وليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النّساء ، ولا كلّ النّساء أيتام فما معنى ذلك ؟

وأجده يقول : ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُون ﴾[١٣] فكيف يُظْلَم الله ؟ ومَن هؤلاء الظلمة ؟

وأجده يقول : ﴿ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَة ﴾[١٤] فما هذه الواحدة ؟

وأجده يقول : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِين ﴾[١٥] وقد أرى مخالفي الإسلام معتكفين على

---

(١) هود ٨٦.
(٢) الزمر ٥٦.
(٣) القصص ٢٨.
(٤) الواقعة ٣٧.
(٥) الواقعة ٤١.
(٦) طه ٥.
(٧) الملك ١٦.
(٨) الزخرف ٨٤.
(٩) الحديد ٤.
(١٠) ق ١٦.
(١١) المجادلة ٧.
(١٢) النساء ٣.
(١٣) الأعراف ١٦٠.
(١٤) سبأ ٤٦.
(١٥) الأنبياء ١٠٧.

باطلهم ، غير مقلعين عنه ، وأرى غيرهم من أهل الفساد مختلفين في مذاهبهم ، يلعن بعضهم بعضاً ، فأيّ موضع للرحمة العامّة لهم المشتملة عليهم ؟

وأجده قد بيّن فضل نبيّه على سائر الأنبياء ، ثمّ خاطبه في أضعاف ما أثنى عليه في الكتاب من الإزراء عليه ، وانتقاص محلّه ، وغير ذلك من تهجينه وتأنيبه ، ما لم يخاطب أحداً من الأنبياء ، مثل قوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الجَاهِلِينَ ﴾[١] وقوله : ﴿ لَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلا * إِذَنْ لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَياةِ وَضِعْفَ المَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرا ﴾[٢] وقوله : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾[٣] وقوله : ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ ﴾[٤] وقال : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[٥] ﴿ وَكُلَّ شيءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾[٦] فإذا كانت الأشياء تحصى في الإمام وهو وصيّ النّبيّ فالنّبيّ أولى أن يكون بعيداً من الصفة الّتي قال فيها : ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ ﴾ وهذه كلّها صفات مختلفة ، وأحوال متناقضة ، وأُمور مشكلة ، فإن يكن الرّسول والكتاب حقّاً فقد هلكت لشكّي في ذلك ، وإن كانا باطلَين فما عَلَيّ من بأس .

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : «سبّوح قدّوس ، ربّ الملائكة والرّوح ، تبارك وتعالى ، هو الحيّ الدائم ، القائم على كلّ نفس بما كسبت ، هات أيضاً ما شككت فيه» .

قال : حسبي ما ذكرت يا أميرالمؤمنين .

قال : «سأُنبّئك بتأويل ما سألت ، وما توفيقي إلّا بالله ، عليه توكّلت وإليه أُنيب ، وعليه فليتوكّل المتوكّلون .

فأمّا قوله : ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ وقوله : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ ﴾ ﴿ وتَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾[٧] ﴿ وَالَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾[٨] فهو

---

(١) الأنعام ٣٥.
(٢) الإسراء ٧٤ـ٧٥.
(٣) الأحزاب ٣٧.
(٤) الأحقاف ٩.
(٥) الأنعام ٣٨.
(٦) يس ١٢.
(٧) الأنعام ٦١.
(٨) النساء ٩٧.

تبارك وتعالى أجلّ واعظم من أن يتولّى ذلك بنفسه ، وفعل رسله وملائكته فعله ، لأنّهم بأمره يعملون ، فأصطفى جلّ ذكره من الملائكة رسلاً وسَفَرة بينه وبين خلقه ، وهم الّذين قال الله فيهم : ﴿ اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ ﴾[1] فمن كان من أهل الطاعة تولّت قبض روحه ملائكة الرحمة ، ومن كان من أهل المعصية تولّت قبض روحه ملائكة النقمة ، ولملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنقمة ؛ يصدرون عن أمرهم ، وفعلهم فعله ، وكلّ ما يأتون منسوب إليه ، وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت ، وفعل ملك الموت فعل الله ، لأنّه يتوفّى الأنفس على يد من يشاء ، ويعطي ويمنع ، ويثيب ويعاقب على يد من يشاء ، وإن فعل أُمنائه فعله ، كما قال : ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ ﴾[2] .

وأمّا قوله : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ ﴾ وقوله : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ فإنّ ذلك كلّه لا يغني إلّا مع الإهتداء ، وليس كلّ من وقع عليه اسم الإيمان كان حقيقاً بالنجاة ممّا هلك به الغواة ، ولو كان ذلك كذلك لنجت اليهود مع اعترافها بالتوحيد ، وإقرارها بالله ، ونجى ساير المقرّين بالوحدانيّة من إبليس فمن دونه في الكفر ، وقد بيّن الله ذلك بقوله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[3] وبقوله : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ﴾[4] وللإيمان حالات ومنازل يطول شرحها ، ومن ذلك : إنّ الإيمان قد يكون على وجهين : إيمان بالقلب ، وإيمان باللسان ، كما كان إيمان المنافقين على عهد رسول الله لمّا قهرهم بالسيف وشملهم الخوف فإنّهم آمنوا بألسنتهم ، ولم تؤمن قلوبهم ؛ فالإيمان بالقلب هو التسليم للرب ، ومن سلّم الأُمور لمالكها لم يستكبر عن أمره ، كما استكبر إبليس عن السجود لآدم ، واستكبر أكثر الأُمم عن طاعة أنبيائهم ، فلم ينفعهم التوحيد كما لم ينفع إبليس ذلك السجود الطويل ، فإنّه سجد سجدة واحدة أربعة آلاف عام ، ولم يرد بها غير زخرف الدّنيا ، والتمكين من النظرة ، فلذلك لا تنفع الصلاة والصدقة إلّا مع الإهتداء إلى سبيل النجاة ، وطرق الحق ، وقد قطع الله عذر عباده بتبيين آياته ، وإرسال رسله ، لئلّا يكون للنّاس على الله حجّة بعد الرّسل ، ولم يخل أرضه من عالم بما يحتاج إليه الخليقة ، ومتعلّم على سبيل النجاة ، أولئك هم

---

(١) الحج ٧٥.

(٢) الإنسان ٣٠.

(٣) الأنعام ٨٢.

(٤) المائدة ٤١.

الأقلّون عدداً ، وقد بيّن الله ذلك في أُمم الأنبياء وجعلهم مثلاً لمن تأخر ، مثل قوله ـ في قوم نوح : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيل ﴾[١] ، وقوله ـ فيمن آمن من أُمّة موسى ـ : ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾[٢] وقوله ـ في حواري عيسى حيث قال لسائر بني إسرائيل : ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى ٱللهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ ٱللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[٣] يعني بأنّهم مسلّمون لأهل الفضل فضلهم ، ولا يستكبرون عن أمر ربّهم ، فما أجابه منهم إلّا الحواريّون ، وقد جعل الله للعلم أهلاً ، وفرض على العباد طاعتهم بقوله : ﴿ أَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[٤] وبقوله : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي ٱلأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾[٥] وبقوله : ﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّادِقِينَ ﴾[٦] وبقوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾[٧] ﴿ وَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِن أَبْوَابِهَا ﴾[٨] والبيوت هي بيوت العلم الّذي استودعته الأنبياء ، وأبوابها أوصياؤهم ، فكلّ من عمل من أعمال الخير فجرى على غير أيدي أهل الإصطفاء ، وعهودهم ، وشرائعهم ، وسننهم ، ومعالم دينهم ، مردود غير مقبول ، وأهله بمحلّ كفر ، وإن شملتهم صفة الإيمان ، ألم تسمع إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾[٩] فمن لم يهتد من أهل الإيمان إلى سبيل النجاة لم يغن عنه إيمانه بالله مع دفع حقّ أوليائه ، وحبط عمله ، وهو في الآخرة من الخاسرين .

وكذلك قال الله سبحانه : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾[١٠] وهذا كثير في كتاب الله ﷻ ، والهداية هي الولاية كما قال الله ﷻ : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ ٱللهِ هُمُ

---

(١) هود ٤٠.
(٢) الأعراف ١٥٩.
(٣) آل عمران ٥٢.
(٤) النساء ٥٩.
(٥) النساء ٨٣.
(٦) التوبة ١١٩.
(٧) آل عمران ٧.
(٨) البقرة ١٨٩.
(٩) التوبة ٥٤.
(١٠) غافر ٨٥.

ٱلْغَالِبُونَ ﴾(١) والّذين آمنوا في هذا الموضع هم المؤتمنون على الخلائق من الحجج ، والأوصياء ، في عصر بعد عصر ، وليس كلّ من أقرّ أيضاً من أهل القبلة بالشهادتين كان مؤمناً ، إنّ المنافقين كانوا يشهدون أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله ، ويدفعون عهد رسول الله بما عهد به من دين الله ، وعزائمه ، وبراهين نبوّته إلى وصيّه ، ويضمرون من الكراهة لذلك ، والنقض لما أبرمه منه عند إمكان الأمر لهم ، فيما قد بيّنه الله لنبيّه بقوله : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾(٢) بقوله : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾(٣) ومثل قوله : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ ﴾(٤) أي : لتسلكنّ سبيل من كان قبلكم من الأُمم ؛ في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء ، وهذا كثير في كتاب الله ﷻ ، وقد شقّ على النّبيّ ما يؤلّ إليه عاقبة أمرهم ، وأطاع الله إيّاه على بوارهم ، فأوحى الله ﷻ إليه : ﴿ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ﴾(٥) ﴿ فَلاَ تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ ﴾(٦) .

وأمّا قوله : ﴿ وَٱسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا ﴾ فهذا من براهين نبيّنا الّتي آتاه الله إيّاها ، وأوجب به الحجّة على سائر خلقه ، لأنّه لمّا ختم به الأنبياء ، وجعله الله رسولاً إلى جميع الأُمم ، وسائر الملل ، خصّة الله بالإرتقاء إلى السماء عند المعراج ، وجمع له يومئذٍ الأنبياء ، فعلم منهم ما أُرسلوا به وحملوه من عزائم الله وآياته وبراهينه ، وأقرّوا أجمعين بفضله ، وفضّل الأوصياء والحجج في الأرض من بعده ، وفضل شيعة وصيّه من المؤمنين والمؤمنات ، الّذي سلّموا لأهل الفضل فضلهم ، ولم يستكبروا عن أمرهم ، وعرف من أطاعهم وعصاهم من أُممهم ، وسائر من مضى ومن غبر ، أو تقدّم أو تأخّر .

وأمّا هفوات الأنبياء وما بيّنه الله في كتابه ، ووقوع الكناية من أسماء من اجترم أعظم ممّا اجترمته الأنبياء ، ممّن شهد الكتاب بظلمهم ، فإنّ ذلك من أدلّ الدلائل على حكمة الله ﷻ الباهرة ، وقدرته القاهرة ، وعزّته الظاهرة لأنّه علم أنّ براهين الأنبياء تكبر في صدور أُممهم ، وإنّ

(١) المائدة ٥٦.

(٢) النساء ٦٥.

(٣) آل عمران ١٤٤.

(٤) الإنشقاق ١٩.

(٥) فاطر ٨.

(٦) المائدة ٦٨.

منهم من يتّخذ بعضهم إلهاً ،كالذي كان من النصارى في ابن مريم ، فذكرها دلالة على تخلّفهم عن الكمال الّذي تفرّد به ﷺ ، ألم تسمع إلى قوله في صفة عيسى حيث قال فيه وفي أُمّه : ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾[1] يعني أنّ من أكل الطعام كان له ثُفل[2] ، ومن كان له ثُفل فهو بعيد ممّا ادّعته النصارى لابن مريم ، ولم يكنّ عن أسماء الأنبياء تبجّراً وتعزّزاً[3] بل تعريفاً لأهل الإستبصار .

إنّ الكناية عن أسماء أصحاب الجرائر العظيمة من المنافقين في «القرآن» ليست من فعله تعالى ، وإنّها من فعل المغيّرين والمبدّلين ، الّذين جعلوا «القرآن» عضين ، واعتاضوا الدّنيا من الدّين ، وقد بيّن الله تعالى قصص المغيّرين بقوله : ﴿ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً ﴾[4] وبقوله : ﴿ وإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ﴾[5] وبقوله : ﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴾[6] بعد فقد الرسول ممّا يقيمون به أود باطلهم[7] حسب ما فعلته اليهود والنّصارى بعد فقد موسى وعيسى من تغير «التوراة» و«الإنجيل» ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، وبقوله : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ المشركونَ ﴾[8] يعني أنّهم أثبتوا في الكتاب ما لم يقله الله ليلبسوا على الخليقة ، فأعمى الله قلوبهم حتّى تركوا فيه ما دلّ على ما أحدثه فيه ، وبيّن عن إفكهم ، وتلبيسهم ، وكتمان ما عملوه منه ، ولذلك قال لهم : ﴿ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾[9] وضرب مثلهم بقوله : ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ﴾[10] ؛ فالزبد في هذا الموضع كلام الملحدين الّذين أثبتوا في «القرآن» فهو يضمحلّ ويبطل ويتلاشى عند التحصيل ، والّذي ينفع النّاس منه فالتنزيل الحقيقي

---

(١) المائدة ٧٥.

(٢) الثُفل ـ بضم مثلثه وكسرها ـ: النجاسة.

(٣) البجر : العيب ، والتعزيز : اللوم والتأديب.

(٤) البقرة ٧٩.

(٥) آل عمران ٧٨.

(٦) النساء ١٠٨.

(٧) الأود : الإعوجاج.

(٨) التوبة ٣٢، الصف ٨.

(٩) آل عمران ٧١.

(١٠) الرعد ١٧.

الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، والقلوب تقبله ، والأرض في هذا الموضع فهي محلّ العلم وقراره .

وليس يسوغ مع عموم التقيّة التصريح بأسماء المبدّلين ، ولا الزيادة في آياته على ما أثبتوه من تلقائهم في الكتاب ، لما في ذلك من تقوية حجج أهل التعطيل والكفر ، والملل المنحرفة عن قبلتنا ، وإبطال هذا العلم الظاهر الّذي قد استكان له الموافق والمخالف بوقوع الإصطلاح على الإيتمار لهم ، والرضا بهم ، ولأنّ الباطل في القديم والحديث أكثر عدداً من أهل الحق ، فلأنّ الصبر على ولاة الأمر مفروض لقول الله عزّ وجلّ لنبيّه : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾[١] وإيجابه مثل ذلك على أوليائه ، وأهل طاعته ، بقوله : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[٢] فحسبك من الجواب عن هذا الموضع ما سمعت ، فإنّ التقيّة تخطر التصريح بأكثر منه .

وأمّا قوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ وقوله : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ ﴾ وقوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ فذلك كلّه حقّ ، وليست جيئته جلّ ذكره كجيئة خلقه ، فإنّه ربّ كلّ شيء . ومن كتاب الله عزّ وجلّ يكون تأويله على غير تنزيله ، ولا يشبه تأويله بكلام البشر ، ولا فعل البشر ، وسأنبّئك بمثال لذلك تكتفي به إنشاء الله تعالى ؛ وهو حكاية الله عزّ وجلّ عن إبراهيم عليه السلام حيث قال : ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾[٣] فذهابه إلى ربّه توجّهه إليه في عبادته واجتهاده ، ألا ترى أنّ تأويله غير تنزيله ، وقال : ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾[٤] وقال : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾[٥] ؛ فإنزاله ذلك خلقه إيّاه . وكذلك قوله : ﴿ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾[٦] أي الجاحدين ، والتأويل في هذا القول باطنه مضادّ لظاهره .

ومعنى قوله : ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ فإنّما خاطب نبيّنا محمّداً صلّى الله عليه وآله هل ينتظر المنافقون والمشركون إلّا أن تأتيهم الملائكة فيعاينوهم ، أو يأتي ربّك أو يأتي بعض آيات ربّك ، يعني بذلك : أمر ربّك ، والآيات هي العذاب في دار الدّنيا ،

---

(١) الأحقاف ٣٥.

(٢) الأحزاب ٢١.

(٣) الصافّات ٩٩.

(٤) الزمر ٦.

(٥) الحديد ٢٥.

(٦) الزخرف ٨١.

كما عذّب الأُمم السالفة، والقرون الخالية، وقال: ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾[١] يعني بذلك: ما يهلك من القرون فسمّاه إتياناً، وقال: ﴿ قَاتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[٢] أي لعنهم الله أنّى يؤفكون؛ فسمّى اللعنة قتالاً، وكذلك قال: ﴿ قُتِلَ ٱلإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾[٣] أي لُعِن الإنسان، وقال: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[٤] فسمّى فعل النّبيّ ﷺ فعلاً له، ألا ترى تأويله على غير تنزيله؟ ومثل قوله: ﴿ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾[٥] فسمّى البعث: لقاء، وكذلك قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾[٦] أي يوقنون أنّهم مبعوثون، ومثله قوله: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[٧] أي ليس يوقنون أنّهم مبعوثون، واللقاء عند المؤمن: البعث، وعند الكافر المعاينة والنظر. وقد يكون بعض ظنّ الكافر يقيناً، وذلك قوله: ﴿ وَرَأَى ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُوَاقِعُوهَا ﴾ أي تيقّنوا أنّهم مواقعوها.

وأمّا قوله في المنافقين: ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا ﴾ فليس ذلك بيقين ولكنّه شكّ، فاللفظ واحد في الظاهر، ومخالف في الباطن، وكذلك قوله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوىٰ ﴾ يعني استوى تدبيره وعلا أمره، وقوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلهٌ وَفِي الأَرْضِ إله ﴾ وقوله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ ﴾ وقوله: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ فإنّما أراد بذلك استيلاء أُمنائه بالقدرة الّتي ركّبها فيهم على جميع خلقه، وإنّ فعله فعلهم.

فافهم عنّي ما أقول لك، فإنّي إنّما أزيدك في الشرح لأُثلّج في صدرك وصدر من لعلّه بعد اليوم يشكّ في مثل ما شككت فيه، فلا يجد مجيباً عمّا يسأل عنه، لعموم الطغيان، والإفتتان، واضطرار أهل العلم بتأويل الكتاب، إلى الإكتتام والإحتجاب، خيفة أهل الظلم والبغي. أمّا إنّه سيأتي على النّاس زمان يكون الحقّ فيه مستوراً، والباطل ظاهراً مشهوراً، وذلك إذا كان أولى النّاس به أعدائهم له، واقترب الوعد الحق، وعظم الإلحاد، وظهر الفساد، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا

---

(١) الرعد ٤١.

(٢) التوبة ٣٠.

(٣) عبس ١٧.

(٤) الأنفال ١٧.

(٥) السجدة ١٠.

(٦) البقرة ٤٦.

(٧) المطفّفين ٤ ـ ٥.

زلزالاً شديداً ، ونحلهم الكفّار أسماء الأشرار ، فيكون جهد المؤمن أن يحفظ مهجته من أقرب النّاس إليه ، ثمّ يتيح الله الفرج لأوليائه ، ويظهر صاحب الأمر على أعدائه .

وأمّا قوله : ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾[1] فذلك حجّة الله أقامها على خلقه ، وعرّفهم أنّه لا يستحقّ مجلس النّبي إلّا من يقوم مقامه ، ولا يتلوه إلّا من يكون في الطهارة مثله ، لئلا يتّسع لمن ماسّه حسّ الكفر في وقت من الأوقات انتحال الإستحقاق بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله ، وليضيق العذر على من يعينه على إثمه وظلمه ، إذكان الله قد خطر على من ماسّه الكفر تقلّد ما فوّضه إلى أنبيائه وأوليائه ، بقوله لإبراهيم : ﴿ لاَ يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّالِمِينَ ﴾[2] أي المشركين ، لأنّه سمّى الظلم شركاً بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[3] فلمّا علم إبراهيم عليه السلام أنّ عهد الله تبارك وتعالى اسمه بالإمامة لا ينال عبدة الأصنام ، قال : ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلأَصْنَامَ ﴾[4] .

واعلم أنّ من آثر المنافقين على الصادقين ، والكفّار على الأبرار ، فقد افترى إثماً عظيماً ، إذا كان قد بيّن في كتابه الفرق بين المحقّ والمبطل ، والطاهر والنجس ، والمؤمن والكافر ، وأنّه لا يتلوا النّبيّ عند فقده إلّا من حلّ محلّه صدقاً وعدلاً ، وطهارة وفضلاً .

وأمّا الأمانة الّتي لا تجب ولا تجوز أن تكون إلّا في الأنبياء وأوصيائهم ، لأنّ الله تبارك وتعالى ائتمنهم على خلقه ، وجعلهم حججاً في أرضه ، والسامري ومن أجمع معه وأعانه من الكفّار على عبادة العجل عند غيبة موسى ما تمّ انتحال محلّ موسى من الطغام[5] ، والإحتمال لتلك الأمانة الّتي لا ينبغي إلّا لطاهر من الرجس ، فاحتمل وزرها ووزر من سلك سبيله من الظالمين وأعوانهم ، ولذلك قال النّبيّ صلى الله عليه وآله : «ومن استنّ سنّة حقّ كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن استنّ بسنّة باطل كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» ، ولهذا القول من النّبيّ صلى الله عليه وآله شاهد من كتاب الله وهو قول الله عز وجل في قصّة هابيل قاتل أخيه : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا ٱلنَّاسَ

---

(١) هود ١٧.

(٢) البقرة ١٢٤.

(٣) لقمان ١٣.

(٤) إبراهيم ٣٥.

(٥) الطغام: أوغاد الناس.

جَمِيعاً ﴾[1] وللإحياء في هذا الموضع تأويل في الباطن ليس كظاهره ، وهو من هَداها ، لأنّ الهداية هي حياة الأبد ، ومن سمّاه الله حيّاً لم يمت أبداً ، إنّما ينقله من دار محنة إلى دار راحة ومنحة .

وأمّا ماكان من الخطاب بالإنفراد مرّة ، وبالجمع مرّة ، من صفة الباري جلّ ذكره ، فإنّ الله تبارك وتعالى اسمه ، على ما وصف به نفسه بالإنفراد والوحدانيّة هو النّور الأزلي القديم الّذي ليس كمثله شيء ، لا يتغيّر ، ويحكم ما يشاء ويختار ، ولا معقّب لحكمه ، ولا رادّ لقضائه ، ولا ما خلق زاد في ملكه وعزّه ، ولا نقص منه ما لم يخلقه ، وإنّما أراد بالخلق إظهار قدرته ، وإبداء سلطانه ، وتبيين براهين حكمته ، فخلق ما شاء كما شاء ، وأجرى فعل بعض الأشياء على أيدي من اصطفى من أُمنائه ، وكان فعلهم فعله ، وأمرهم أمره ، كما قال : ﴿ مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللهَ ﴾[2] وجعل السماء والأرض وعاء لمن يشاء من خلقه ، ليميز الخبيث من الطيّب ، مع سابق علمه بالفريقين من أهلها ، وليجعل ذلك مثالاً لأوليائه وأُمنائه ، وعرّف الخليقة فضل منزلة أوليائه ، وفرض عليهم من طاعتهم مثل الّذي فرضه منه لنفسه ، وألزمهم الحجّة بأن خاطبهم خطاباً يدلّ على انفراده وتوحّده ، وبأنّ له أولياء تجري أفعالهم وأحكامهم مجرى فعله ، فهم : العباد المكرمون ﴿ لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾[3] هو الّذي[4] أيّدهم بروح منه ، وعرّف الخلق اقتدارهم على علم الغيب بقوله : ﴿ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[5] وهم : النعيم الذي يُسئَل العباد عنه ، لأنّ الله تبارك وتعالى أنعم بهم على من اتّبعهم من أوليائهم» .

قال السّائل : من هؤلاء الحجج ؟

قال ﷺ : «هم رسول الله ، ومن حلّ محلّه من أصفياء الله الّذين قرنهم الله بنفسه ورسوله ، وفرض على العباد من طاعتهم مثل الّذي فرض عليهم منها لنفسه ، وهم ولاة الأمر الّذين قال الله فيهم : ﴿ أَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ وقال فيهم : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي ٱلأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾» .

قال السائل : ما ذاك الأمر ؟

---

(١) المائدة ٣٢.

(٢) النساء ٨٠.

(٣) الأنبياء ٢٧.

(٤) في بعض النسخ «وهم الّذين».

(٥) الجن ٢٦ ـ ٢٧.

قال عليه السلام : «الّذي به تنزّل الملائكة في الليلة الّتي يفرق فيها كلّ أمر حكيم من : خلق ، ورزق ، وأجل ، وعمل ، وعمر ، وحياة وموت ، وعلم غيب السماوات والأرض ، والمعجزات الّتي لا تنبغي إلاّ لله وأصفيائه والسَفَرة بينه وبين خلقه ، وهم وجه الله الّذي قال : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾[1] هم بقيّه الله يعني المهدي يأتي عند انقضاء هذه النظرة ، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، ومن آياته : الغيبة والإكتتام عند عموم الطغيان وحلول الإنتقام ، ولو كان هذا الأمر الّذي عرّفتك بأنّه للنّبيّ دون غيره ، لكان الخطاب يدلّ على فعل ماض ، غير دائم ولا مستقبل ، ولقال : «نزلت الملائكة» و«فرّق كلّ أمر حكيم» ولم يقل : «تنزّل الملائكة» «ويفرق فيها كلّ أمر حكيم» وقد زاد جلّ ذكره في التبيان وإثبات الحجّة بقوله ـ في أصفيائه وأوليائه عليهم السلام ـ : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ ﴾ تعريفاً للخليقة قربهم ، ألا ترى أنّك تقول : «فلان إلى جنب فلان» إذا أردت أن تصف قربه منه ؟

وإنّما جعل الله تبارك وتعالى في كتابه هذه الرموز الّتي لا يعلمها غيره وغير أنبيائه وحججه في أرضه ، لعلمه بما يحدّثه في كتابه المبدّلون من إسقاط أسماء حججه منه ، وتلبيسهم ذلك على الاُمّة ليعينوهم على باطلهم ، فأثبت به الرموز ، وأعمى قلوبهم وأبصارهم ، لما عليهم في تركها وترك غيرها ، من الخطاب الدالّ على ما أحدثوه فيه ، وجعل أهل الكتاب المقيمين به ، والعاملين بظاهره وباطنه من : شجرة ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾[2] ؛ اي يظهر مثل هذا العلم لمحتمليه في الوقت بعد الوقت ، وجعل أعدائها : أهل الشجرة الملعونة الّذين حاولوا إطفاء نور الله بأفواههم ، فأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره ، ولو علم المنافقون لعنهم الله ما عليهم من ترك هذه الآيات الّتي بيّنتُ لك تأويلها ، لأسقطوها مع ما أسقطوا منه ، ولكن الله تبارك اسمه ماض حكمه بإيجاب الحجّة على خلقه ، كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ فَلِلهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَالِغَةُ ﴾[3] أغشى أبصارهم ، وجعل على قلوبهم أكنّة عن تأمّل ذلك ، فتركوه بحاله ، وحجبوا عن تأكيد الملتبس بإبطاله ؛ فالسعداء ينبهون عليه ، والأشقياء يعمون عنه ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

ثمّ إنّ الله جلّ ذكره لسعة رحمته ، ورأفته بخلقه ، وعلمه بما يحدثه المبدّلون من تغيير كتابه ،

---

(١) البقرة ١١٥.

(٢) إبراهيم ٢٤ ـ ٢٥.

(٣) الأنعام ١٤٩.

قسّم كلامه ثلاثة أقسام : فجعل قسماً منه يعرفه العالم والجاهل ، وقسماً لا يعرفه إلّا من صفى ذهنه ، ولطف حسّه ، وصحّ تميزه ، ممّن شرح الله صدره للإسلام ، وقسماً لا يعرفه إلّا الله وأُمناؤه ، والراسخون في العلم ، وإنّما فعل الله ذلك لئلا يدّعي أهل الباطل من المستولين على ميراث رسول الله ﷺ من علم الكتاب ما لم يجعل الله لهم ، وليقودهم الإضطرار إلى الإيتمار لمن ولّاه أمرهم ، فاستكبروا عن طاعته ، تعزّراً[1] وافتراء على الله ﷻ ، واغتراراً بكثرة من ظاهرهم ، وعاونهم ، وعاند الله ﷻ ورسوله .

فأمّا ما علمه الجاهل والعالم ، من فضل رسول الله في كتاب الله ، فهو قول الله ﷻ : ﴿ مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللهَ ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾[2] ولهذه الآية ظاهر وباطن ؛ فالظاهر قوله : ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ ﴾ والباطن قوله : ﴿ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ أي سلّموا لمن وصّاه واستخلفه ، وفضّله عليكم ، وما عهد به إليه تسليماً ، وهذا ممّا أخبرتكُ أنّه لا يعلم تأويله إلّا من لطف حسّه ، وصفى ذهنه ، وصحّ تمييزه ، وكذلك قوله : ﴿ سَلامٌ عَلَى آلِ يس ﴾[3] لأنّ الله سمّى به النّبيّ ﷺ حيث قال : ﴿ يسٓ ۞ وَٱلْقُرْآنِ ٱلْحَكِيمِ ۞ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[4] لعلمه بأنّهم يسقطون قول الله : «سلام على آل محمّد» كما أسقطوا غيره ، وما زال رسول الله ﷺ يتألّفهم ، ويقرّبهم ، ويجلسهم عن يمينه وشماله ، حتّى أذن الله ﷻ في إبعادهم بقوله : ﴿ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً ﴾[5] وبقوله : ﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ۞ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ۞ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۞ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴾[6] وكذلك قول الله ﷻ : ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾[7] ولم يسمّ بأسمائهم ، وأسماء آبائهم وأُمّهاتهم .

وأمّا قوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ فإنّما أُنزلت كلّ شيء هالك إلّا دينه ، لأنّه من المحال أن يهلك منه كلّ شيء ويبقى الوجه ، هو أجلّ وأكرم وأعظم من ذلك ، إنّما يهلك من ليس منه ، ألا

---

(١) أي : تمنّعاً وتمرّداً.

(٢) الأحزاب ٥٦.

(٣) الصافّات ١٣٠.

(٤) يس ١ ـ ٣.

(٥) المزمّل ١٠.

(٦) المعارج ٣٦ ـ ٣٩.

(٧) الإسراء ٧١.

ترى أنّه قال : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[١] ؛ ففصل بين خلقه ووجهه .

وأمّا ظهورك على تناكر قوله : ﴿ فإنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاء ﴾ وليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النّساء ، ولاكلّ النّساء أيتام ، فهو ممّا قدّمت ذكره من إسقاط المنافقين من «القرآن» ، وبين القول في اليتامى وبين نكاح النساء من الخطاب والقصص أكثر من ثلث «القرآن» ، وهذا وما أشبهه ممّا ظهرت حوادث المنافقين فيه لأهل النظر والتأمّل ، ووجد المطّلعون وأهل الملل المخالفة للإسلام مساغاً إلى القدح في «القرآن» ، ولو شرحت لك كلّما أُسقط وحُرِّفَ وبُدِّل ممّا يجري هذا المجرى لطال ، وظهر ما تحظر التقيّة إظهاره من مناقب الأولياء ، ومثالب الأعداء .

وأمّا قوله : ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُون ﴾ فهو تبارك اسمه أجلّ وأعظم من أن يظلم ، ولكن قرن أُمناءه على خلقه بنفسه ، وعرّف الخليقة جلالة قدرهم عنده ، وأنّ ظلمهم ظلمه ، بقوله : ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا ﴾ ببغضهم أولياءنا ومعونة أعدائهم عليهم ﴿ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُون ﴾ إذ حرّموها الجنّة ، وأوجبوا عليها خلود النّار .

وأمّا قوله : ﴿ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَة ﴾ فإنّ الله جلّ ذكره نزل عزائم الشرائع وآيات الفرائض في أوقات مختلفة ، كما خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام ، ولو شاء لخلقها في أقلّ من لمح البصر ، ولكنّه جعل الأناة والمداراة أمثالاً لأُمنائه ، وإيجاباً للحجّة على خلقه ، فكان أوّل ما قيّدهم به الإقرار بالوحدانيّة والربوبيّة والشهادة بأن لا إله إلّا الله ، فلمّا أقرّوا بذلك تلاه بالإقرار لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوّة والشهادة له بالرسالة ، فلمّا انقادوا لذلك فرض عليهم الصلاة ، ثمّ الصوم ، ثمّ الحجّ ، ثمّ الجهاد ، ثمّ الزّكاة ، ثمّ الصّدقات ، وما يجري مجراها من مال الفيئ ، فقال المنافقون : هل بقي لربّك علينا بعد الّذي فرضه شيء آخر يفترضه ، فتذكره لتسكن أنفسنا إلى أنّه لم يبق غيره ، فأنزل الله في ذلك : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَة ﴾ يعني : الولاية ، وأنزل : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[٢] وليس بين الأمّة خلاف أنّه لم يؤت الزكاة يومئذٍ أحد وهو راكع غير رجل ، ولو ذكر اسمه في الكتاب لأُسقط مع ما أُسقط من ذكره ، وهذا وما

(١) الرحمن ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) المائدة ٥٥.

أشبهه من الرموز الّتي ذكرت لك ثبوتها في الكتاب ، ليجهل معناها المحرّفون فيبلغ إليك وإلى أمثالك ، وعند ذلك قال الله : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾[1] .

وأمّا قوله للنّبيّ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ وإنّك ترى أهل الملل المخالفة للإيمان ومن يجري مجراهم من الكفّار مقيمين على كفرهم إلى هذه الغاية ، وأنّه لو كان رحمة عليهم لاهتدّوا جميعاً ونجوا من عذاب السّعير ، فإنّ الله تبارك وتعالى إنّما عنى بذلك أنّه جعله سبباً لإنظار أهل هذه الدار ، لأنّ الأنبياء قبله بُعثوا بالتصريح لا بالتعريض ، وكان النّبيّ ﷺ منهم إذا صدع بأمر الله وأجابه قومه سلموا وسلم أهل دارهم من سائر الخليقة ، وإن خالفوه هلكوا وهلك أهل دارهم بالآفة الّتي كان نبيّهم يتوعّدهم بها ، ويخوّفهم حلولها ونزولها بساحتهم ، من : خسف ، أو قذف ، أو رجف ، أو ريح ، أو زلزلة ، أو غير ذلك من أصناف العذاب الّتي هلكت بها الأُمم الخالية . وإنّ الله علم من نبيّنا ﷺ ومن الحجج في الأرض : الصبر على ما لم يطق من تقدّمهم من الأنبياء الصبر على مثله ؛ فبعثه الله بالتعريض لا بالتصريح ، وأثبت حجّة الله تعريضاً لا تصريحاً بقوله ـ في وصيّه ـ : «من كنت مولاه فهذا مولاه» . ، و : «هو منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي» وليس من خليقة النّبيّ ولا من النبوّة أن يقول قولاً لا معنى له ، فلزم الأمّة أن تعلم أنّه لمّا كانت النبوّة والأُخوّة موجودتين في خلقة هارون ، ومعدومتين فيمن جعله الله النّبيّ ﷺ بمنزلته أنّه قد استخلفه على أُمّته كما استخلف موسى هارون ، حيث قال له : ﴿ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي ﴾[2] ولو قال لهم : لا تقلّدوا الإمامة إلّا فلاناً بعينه وإلّا نزل بكم العذاب ، لأتاهم العذاب وزال باب الإنظار والإمهال .

وبما أمر بسدّ باب الجميع وترك بابه ، ثمّ قال : ما سددت ولا تركت ولكنّي أُمرت فأطعت ، فقالوا : سددت بابنا وتركت لأحدثنا سنّاً .

فأمّا ما ذكروه من حداثة سنّه ، فإنّ الله لم يستصغر يوشع بن نون حيث أمر موسى أن يعهد بالوصيّة إليه ، وهو في سنّ ابن سبع سنين ، ولا استصغر يحيى وعيسى لمّا استودعهما عزائمه وبراهين حكمته ، وإنّما جعل ذلك جلّ ذكره لعلمه بعاقبة الأمور ، وأنّ وصيّه لا يرجع بعده ضالّاً ولا كافراً .

وبأن عمد النّبيّ ﷺ إلى سورة براءة فدفعها إلى من علم أنّ الأمّة تؤثره على وصيّه ، وأمره

---

(١) المائدة ٣.

(٢) الأعراف ١٤٢.

بقراءتها على أهل مكّة ، فلمّا ولّى من بين يديه أتبعه بوصيّه وأمره بارتجاعها منه ، والنفوذ إلى مكّة ليقرأها على أهلها ، وقال : «إنّ الله جلّ جلاله أوحى إليّ أن لا يؤدّي عنّي إلّا رجل منّي» دلالة منه على خيانة من علم أنّ الأُمّة اختارته على وصيّه .

ثمّ شفّع بضمّ الرّجل الّذي ارتجع سورة براءة منه ، ومن يوازره في تقدّم المحلّ عند الأُمّة ، إلى عَلَم النّفاق «عمرو بن العاص» في غزاة ذات السّلاسل ، وولّاهما عمرو : حرس عسكره .

وختم أمرهما بأن ضمّهما عند وفاته إلى مولاه أُسامة بن زيد ، وأمرهما بطاعته ، والتصريف بين أمره ونهيه ، وكان آخر ما عهد به في أمر أُمّته قوله : «أنفذوا جيش أُسامة» يكرّر ذلك على أسماعهم ، إيجاباً للحجّة عليهم في إيثار المنافقين على الصادقين .

ولو عددت كلّما كان من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله في إظهار معائب المستولين على تراثه لطال ، وإنّ السّابق منهم إلى تقلّد ما ليس له بأهل قام هاتفاً على المنبر لعجزه عن القيام بأمر الأُمّة ، ومستقيلاً(١) ممّا قلّدوه لقصور معرفته على تأويل ما كان يُسئَل عنه ، وجهله بما يأتي ويذر .

ثمّ أقام على ظلمه ، ولم يرض باحتقاب عظيم الوزر في ذلك حتّى عقد الأمر من بعده لغيره ، فأتى التالي بتسفيه رأيه ، والقدح والطعن على أحكامه ، ورفع السيف عمّن كان صاحبه وضعه عليه ، وردّ النّساء اللاتي كان سباهنّ إلى أزواجهنّ وبعضهنّ حوامل(٢) ، وقوله : «قد نهيته عن قتال أهل القبلة فقال لي : إنّك لحدب على أهل الكفر ، وكان هو في ظلمه لهم أولى باسم الكفر منهم» .

ولم يزل يخطّئه ، ويظهر الإزراء عليه ، ويقول على المنبر : «كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرّها ؛ فمن دعاكم إلى مثلها فاقتلوه» وكان يقول قبل ذلك قولاً ظاهراً : ليته حسنة من حسناته ، ويودّ أنّه كان شعرة في صدره ، وغير ذلك من القول المتناقض المؤكّد لحجج الدافعين لدين الإسلام .

وأتى من أمر الشورى وتأكيده بها : عقد الظلم والإلحاد ، والغيّ والفساد ، حتّى تقرّر على إرادته ما لم يخف ـ على ذي لبّ موضع ضرره ـ .

ولم تطق الأُمّة الصبر على ما أظهره الثالث من سوء الفعل ، فعاجلته بالقتل ، فاتّسع بما جنوه من ذلك لمن وافقهم على ظلمهم وكفرهم ونفاقهم ، محاولة مثل ما أتوه من الإستيلاء على أمر الأُمّة .

---

(١) إشارة إلى قول أبي بكر «أقيلوني فلست بخيركم» .

(٢) راجع قصّة مالك بن نويرة في ترجمة خالد بن الوليد في هامش ص من هذا الكتاب .

كلّ ذلك لتتمّ النظرة الّتي أوحاها الله تعالى لعدوّه إبليس ، إلى أن يبلغ الكتاب أجله ، ويحقّ القول على الكافرين ، ويقترب الوعد الحق الّذي بيّنه في كتابه بقوله : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[١] وذلك إذا لم يبق من الإسلام إلّا إسمه ، ومن «القرآن» إلّا رسمه ، وغاب صاحب الأمر بإيضاح الغدر له في ذلك ، لاشتمال الفتنة على القلوب حتّى يكون أقرب النّاس إليه أشدّهم عداوة له ؛ وعند ذلك يؤيّده الله بجنود لم تروها ، ويظهر دين نبيّه ﷺ -على يديه- على الدّين كلّه ولو كره المشركون .

وأمّا ما ذكرته من الخطاب الدالّ على تهجين النّبيّ ﷺ ، والإرزاء به ، والتأنيب له ، مع ما أظهره الله تعالى في كتابه من تفضيله إيّاه على سائر أنبيائه ، فإنّ الله ﷻ جعل لكلّ نبيّ عدوّاً من المشركين ،كما قال في كتابه ، وبحسب جلالة منزلة نبيّنا ﷺ عند ربّه ،كذلك عظم محنته لعدوّه الّذي عاد منه في حال شقاقه ونفاقه كلّ أذى ومشقّة لدفع نبوّته ، وتكذيبه إيّاه ، وسعيه في مكارهه ، وقصده لنقض كلّ ما أبرمه ، واجتهاده ومن مالأه على كفره ، وعناده ، ونفاقه ، وإلحاده في إبطال دعواه ، وتغيير ملّته ، ومخالفته سنّته ، ولم ير شيئاً أبلغ في تمام كيده من تنفيرهم عن موالاة وصيّه ، وإيحاشهم منه ، وصدّهم عنه ، وإغرائهم بعداوته ، والقصد لتغيير الكتاب الّذي جاء به ، وإسقاط ما فيه من فضل ذوي الفضل ، وكفر ذوي الكفر ، منه وممّن وافقه على ظلمه ، وبغيه ، وشركه ، ولقد علم الله ذلك منهم فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ﴾[٢] وقال : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ ٱللهِ ﴾[٣] ولقد أحضروا الكتاب كمّلاً مشتملاً على التأويل ، والتنزيل ، والحكم ، والمتشابه ، والناسخ ، والمنسوخ ، لم يسقط منه : حرف ألف ولا لام ، فلمّا وقفوا على ما بيّنه الله من أسماء أهل الحق والباطل ، وأنّ ذلك إن أُظهر نقص ما عهدوه ، قالوا : لا حاجة لنا فيه ، نحن مستغنون عنه بما عندنا ، وكذلك قال : ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾[٤] .

ثمّ دفعهم الإضطرار بورود المسائل عليهم عمّا لا يعلمون تأويله ، إلى جمعه ، وتأليفه ، وتضمينه من تلقائهم ما يقيمون به دعائم كفرهم ، فصرخ مناديهم : من كان عنده شيء من

---

(١) النور ٥٥.

(٢) فصّلت ٤٠.

(٣) الفتح ١٥.

(٤) آل عمران ١٨٧.

«القرآن» فليأتنا به ، ووكلوا تأليفه ونظمه إلى بعض من وافقهم على معادات أولياء الله ، فألّفه على اختيارهم ، وما يدلّ للمتأمّل له على اختلال تمييزهم ، وافترائهم ، وتركوا منه ما قدروا أنّه لهم ، وهو عليهم ، وزادوا فيه ما ظهر تناكره وتنافره ، وعلم الله أنّ ذلك يظهر ويبيّن ، فقال : ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾[1] وانكشف لأهل الإستبصار عوارهم ، وافتراءهم .

والذي بدا في الكتاب من الازراء على النبيّ صلى الله عليه وآله من فرقة الملحدين ، ولذلك قال : ﴿ وَيَقُولُونَ مُنكَراً مِنَ ٱلْقَوْلِ وَزُوراً ﴾[2] ويذكر جلّ ذكره لنبيّه صلى الله عليه وآله ما يحدثه عدوّه في كتابه من بعده بقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَىٰ ٱلشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ ٱللهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللهُ آيَاتِهِ ﴾[3] يعني أنّه ما من نبيّ تمنّى مفارقةما يعاينه من نفاق قومه ، وعقوقهم ، والإنتقال عنهم إلى دار الإقامة ، إلّا ألقى الشيطان المعرض لعداوته عند فقده في الكتاب الّذي أُنزل عليه ، ذمّه ، والقدح فيه ، والطعن عليه ، فينسخ الله ذلك من قلوب المؤمنين فلا تقبله ، ولا تصغي إليه غير قلوب المنافقين ، والجاهلين ، ويحكم الله آياته بأن يحمي أولياءه من الضلال والعدوان ، ومشايعة أهل الكفر والطغيان ، الّذين لم يرض الله أن يجعلهم كالأنعام حتّى قال : ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾[4] .

فافهم هذا واعلمه ، واعمل به ، واعلم أنّك ما قد تركت ممّا يجب عليك السؤال عنه أكثر ممّا سألت عنه ، وإنّي قد اقتصرت على تفسير يسير من كثير لعدم حملة العلم ، وقلّة الراغبين في التماسه ، وفي دون ما بيّنت لك بلاغ لذوي الألباب» .

قال السائل : حسبي ما سمعت يا أمير المؤمنين ، شكراً لله لك على استنقاذي من عماية الشرك ، وطخية[5] الإفك ، وأجزل على ذلك المثوبات ، إنّه على كلّ شيء قدير ، وصلّى الله أوّلاً وآخراً على أنوار الهدايات ، وأعلام البريّات ، محمّد وآله أصحاب الدلالات الواضحات ، وسلّم تسليماً كثيراً.

---

(١) النجم ٣٠.

(٢) المجادلة ٢.

(٣) الحج ٥٢.

(٤) الفرقان ٤٤.

(٥) الطخياء : الليلة المظلمة.

[قول أميرالمؤمنين عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني»]

عن الأصبغ بن نباتة قال: لمّا بويع أميرالمؤمنين عليه السلام ، خرج إلى المسجد متعمّماً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله ، لابساً بردته ، منتعلاً بنعل رسول الله ، ومتقلّداً بسيف رسول الله صلى الله عليه وآله ، فصعد المنبر ، فجلس متمكّناً ، ثمّ شبّك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه ، ثمّ قال : «يا معشر النّاس ، سلوني قبل أن تفقدوني ، وهذا سفط العلم ، هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، هذا ما زقّني رسول الله زقّاً زقّاً ، سلوني فإنّ عندي علم الأوّلين والآخرين ، أما والله لو ثنيت لي الوسادة فجلست عليها ، لأفتيت أهل «التوراة» بتوراتهم ، وأهل «الإنجيل» بإنجيلهم ، وأهل «الزبور» بزبورهم ، وأهل «القرآن» بقرآنهم ، حتّى ينطق كلّ كتاب من كتب الله فيقول : «صدق عليّ لقد أفتاكم بما أنزل الله فيّ» ، وأنتم تتلون «القرآن» ليلاً ونهاراً ، فهل فيكم أحد يعلم ما أنزل الله فيه ؟ ولولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة ، وهي هذه الآية : ﴿ يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَابِ ﴾[1]» .

ثمّ قال : «سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالّذي فلق الحبّة وبرئ النّسمة لو سألتموني عن آية آية في ليل نزلت أو في نهار نزلت ، مكّيّها ومدنيّها ، سفريّها وحضريّها ، وناسخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها ، وتأويلها وتنزيلها لأنبأتكم» .

فقام إليه رجل فقال : يا أميرالمؤمنين هل رأيت ربّك ؟

[فأجابه بما تقدّم ذكره إيّانا][2] .

قال : «سلوني قبل أن تفقدوني» .

فقام إليه رجل من أقصى المجلس فقال : يا أميرالمؤمنين دلّني على عمل ينجيني الله به من النّار ، ويدخلني الجنّة !

قال : «إسمع ، ثمّ افهم ، ثم استيقن ، قامت الدّنيا بثلاث : بعالم ناطق مستعمل لعلمه ، وبغنيّ لا يبخل بماله على أهل دين الله ، وبفقير صابر ؛ فإذاكتم العالم علمه ، وبخل الغنيّ بماله ، ولم يصبر الفقير على فقره ؛ فعندها الويل والثبور ، وكادت الأرض أن ترجع إلى الكفر بعد الإيمان .

---

(١) الرعد ٣٩.

(٢) مرّ جوابه عليه السلام لسائل سأله السؤال نفسه فقال : «لم أك بالّذي أعبد من لم أره ...» الخ ، فراجعه .

أيّها السّائل لا تغترنّ بكثرة المساجد ، وجماعة أقوام أجسادهم مجتمعة وقلوبهم متفرّقة ، فإنّما النّاس ثلاث : زاهد ، وراغب ، وصابر ؛ أمّا الزاهد فلا يفرح بالدّنيا إذا أتته ، ولا يحزن عليها إذا فاتته ، وأمّا الصّابر فيتمنّاها بقلبه ، فإن أدرك منها شيئاً صرف عنها نفسه لعلمه بسوء العاقبة ، وأمّا الرّاغب فلا يبالي من حِلٍّ أصابها أم من حرام» .

ثمّ قال : يا أميرالمؤمنين فما علامة المؤمن في ذلك الزّمان ؟

قال عليه السلام : «ينظر إلى وليّ الله فيتولاّه ، وإلى عدوّ الله فيتبرّأ منه ، وإن كان حميماً قريباً» .

قال : صدقت والله يا أميرالمؤمنين ، ثمّ غاب فلم يُرَ .

فقال عليه السلام : «هذا أخي الخضر عليه السلام» ، تمام الخبر .

وعن الأصبغ بن نباتة قال : خطبنا أميرالمؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : «أيّها النّاس سلوني فإنّ بين جوانحي علماً جمّاً» .

فقام إليه ابن الكوّا فقال : يا أميرالمؤمنين ما الذاريات ذرواً ؟

قال عليه السلام : «الرياح» .

قال : فما الحاملات وقراً ؟

قال عليه السلام : «السحاب» .

قال : فما الجاريات يسراً ؟

قال عليه السلام : «السفن» .

قال : فما المقسّمات أمراً ؟

قال عليه السلام : «الملائكة» .

قال : يا أميرالمؤمنين وجدت كتاب الله ينقض بعضه بعضاً !

قال عليه السلام : «ثكلتك أُمّك يابن الكوّا ،كتاب الله يصدّق بعضه بعضاً ، ولا ينقض بعضه بعضاً ، فسل عمّا بدا لك» .

قال : يا أميرالمؤمنين سمعته يقول : ﴿ رَبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾[1] وقال في آية أُخرى : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾[2] وقال في آية أُخرى : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾[3] ؟

---

(١) المعارج ٤٠.

(٢) الرحمن ١٧.

(٣) الشعراء ٢٨.

قال ﷺ: «ثكلتك أُمّك يابن الكوّا، هذا المشرق وهذا المغرب، وأمّا قوله: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ فإنّ مشرق الشتاء على حدّة، ومشرق الصيف على حدّة، أما تعرف ذلك من قرب الشمس وبعدها؟ وأمّا قوله: ﴿ رَبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبْ ﴾ فإنّ لها ثلثمائة وستّين برجاً، تطلع كلّ يوم من برج، وتغيب في آخر، فلا تعود إليه إلّا من قابل في ذلك اليوم».

قال: يا أميرالمؤمنين كم بين موضع قدمك إلى عرش ربّك؟

قال ﷺ: «ثكلتك أُمّك يابن الكوّا سل متعلّماً، ولا تسأل متعنّتاً، من موضع قدمي إلى عرش ربّي أن يقول قائل مخلصاً: «لا إله إلّا الله»».

قال: يا أميرالمؤمنين فما ثواب من قال: لا إله إلّا الله؟

قال ﷺ: «من قال لا إله إلّا الله مخلصاً طمست ذنوبه، كما يطمس الحرف الأسود من الرقّ الأبيض، فإن قال ثانية لا إله إلّا الله مخلصاً خرقت أبواب السماوات وصفوف الملائكة حتّى يقول الملائكة بعضها لبعض: إخشعوا لعظمة الله، فإذا قال ثالثة لا إله إلّا الله مخلصاً، تنته دون العرش، فيقول الجليل: «اُسكني فوعزّتي وجلالي لأغفرنّ لقائلك بما كان فيه» ثمّ تلا هذه الآية: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾[1] «يعني إذا كان عمله صالحاً ارتفع قوله وكلامه»».

قال: يا أميرالمؤمنين أخبرني عن قوس قزح؟

قال ﷺ: «ثكلتك أُمّك لا تقل: قوس قزح، فإنّ قزحاً اسم شيطان، ولكن قل: قوس الله، إذا بدت يبدو الخصب والريف».

قال: أخبرني عن المجرّة الّتي تكون في السماء؟

قال ﷺ: «هي شرج[2] في السماء، وأمان لأهل الأرض من الغرق، ومنه غرق الله قوم نوح بماء منهمر».

قال: يا أميرالمؤمنين أخبرني عن المحو الّذي يكون في القمر؟

قال ﷺ: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، رجل أعمى يسأل عن مسألة عمياء، أما سمعت تعالى

---

(١) فاطر ١٠.

(٢) قال الفيروزآبادي: الشرج ـ محرّكة ـ: العرى. ومنفسح الوادي ومجرّة السماء وفرج المرأة وانشقاق في القوس. والشرج: الفرقة وسبيل ماءٍ من الحرة إلى السهل. وشدّ الخريطة.

وقال المجلسي بعد نقل ذلك: لعلّه شبّه بالخريطة الّتي تجعل في رأس الكيس يشدّ بها أو بمسيل الماء لشباهته به ظاهراً.

يقول : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ ٱللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾[1]» ؟

قال : يا أميرالمؤمنين أخبرني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

قال عليه السلام : «عن أيّ أصحاب رسول الله تسألني» ؟

قال : يا أميرالمؤمنين أخبرني عن أبي ذر الغفاري ؟

قال عليه السلام : «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : «ما أظلّت الخضراء ، ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر» .

قال : يا أميرالمؤمنين فأخبرني عن سلمان الفارسي ؟

قال عليه السلام : «بخ بخ سلمان منّا أهل البيت ، ومَن لكم بمثل لقمان الحكيم ، عَلِمَ عِلْمَ الأوّل والآخر» .

قال : يا أميرالمؤمنين أخبرني عن حذيفة بن اليماني ؟

قال عليه السلام : «ذاك امرؤ علم أسماء المنافقين ، إن تسألوه عن حدود الله تجدوه بها عالماً» .

قال : يا أميرالمؤمنين فأخبرني عن عمّار بن ياسر ؟

قال عليه السلام : «ذاك امرؤ حرّم الله لحمه ودمه على النّار أن تمسّ شيئاً منها» .

قال : يا أميرالمؤمنين فأخبرني عن نفسك ؟

قال عليه السلام : «كنت إذا سألت أُعطيت ، وإذا سكتُّ ابتدئت» .

قال : يا أميرالمؤمنين أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴾[2] الآية ؟

قال عليه السلام : «كفرة أهل الكتاب ؛ اليهود والنّصارى ، وقدكانوا على الحقّ فابتدعوا في أديانهم ، وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا» .

ثمّ نزل عن المنبر وضرب بيده على منكب ابن الكوّا . ثمّ قال : «يابن الكوّا وما أهل النهروان منهم ببعيد» .

فقال : يا أميرالمؤمنين ما أُريد غيرك ، ولا أسأل سواك .

قال : فرأينا ابن الكوّا يوم النهروان فقيل له : ثكلتك أُمّك ، بالأمس تسأل أميرالمؤمين عمّا سألته ، وأنت اليوم تقاتله ؟ فرأينا رجلاً حمل عليه فطعنه فقتله .

---

(١) الإسراء ١٢.

(٢) الكهف ١٠٣.

وعن جعفر بن محمّد عن أبيه عن آبائه ﷺ عن عليّ ﷺ قال : «سلوني عن كتاب الله ﷻ ؛ فوالله ما نزلت آية من كتاب الله في ليل ولا نهار ، ولا مسير ولا مقام ، إلّا وقد أقرأنيها رسول الله ﷺ وعلّمني تأويلها .

فقام إليه ابن الكوّا فقال : يا أميرالمؤمنين فماكان ينزل عليه وأنت غائب عنه ؟

قال :كان رسول الله ﷺ ماكان ينزل عليه من «القرآن» وأنا غائب عنه حتّى أقدم عليه ، فيقرأنيه ويقول لي : يا عليّ أنزل الله عَلَيّ بعدك كذا وكذا ، وتأويله كذا وكذا ، فيعلّمني تنزيله وتأويله» .

وجاء في الآثار : أنّ أميرالمؤمنين ﷺ كان يخطب فقال في خطبته : «سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالله لا تسألوني عن فتنة تضلّ مائة وتهدي مائة إلّا أنبأتكم بناعقها ، وسائقها إلى يوم القيامة» .

فقام إليه رجل[1] فقال : يا أميرالمؤمنين أخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر ؟

فقال أميرالمؤمنين ﷺ : «والله لقد حدّثني خليلي رسول الله ﷺ بما سألت عنه ، وإنّ على كلّ طاقة شعر في رأسك ملكاً يلعنك ، وعلى كلّ طاقة شعر في لحيتك شيطاناً يستفزّك ، وإنّ في بيتك لسخلاً يقتل ابن رسول الله ، ذلك مصداق ما أخبرتك به ، ولولا أنّ الّذي سألت يعسر برهانه لأخبرتك به ، ولكن آية ذلك ما نبّأتك به من لعنك ، وسخلك الملعون» .

وكان ابنه في ذلك الوقت صبيّاً يحبو ، فلمّا كان من أمر الحسين ﷺ ماكان تولّى قتله ، وكان الأمر كما قال أميرالمؤمنين ﷺ .

احتجاجه ﷺ على من قال بالرأي في الشرع، والإختلاف في الفتوى وأن يتعرّض للحكم بين النّاس من ليس لذلك بأهل وذكر الوجه لاختلاف من اختلف في الدّين والرواية عن رسول الله ﷺ

روي عن أميرالمؤمنين ﷺ أنّه قال : «ترد على أحدهم القضيّة في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه ، ثمّ ترد تلك القضيّة بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله ، ثمّ يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الّذي استقضاهم فيصوّب آرائهم جميعاً ، وإلههم واحد ، ونبيّهم واحد ، وكتابهم واحد ، أفأمرهم الله سبحانه بالإختلاف فأطاعوه ؟ أم نهاهم عنه فعصوه ؟ أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان

---

(١) هو الأشعث بن قيس لعنه الله .

بهم على إتمامه ؟ أم كانوا شركاء له فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى ؟ أم أنزل الله سبحانه ديناً تامّاً فقصّر الرّسول صلى الله عليه وآله عن تبليغه وأدائه ؟ والله سبحانه يقول : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[1] ، وفيه تبيان كلّ شيء ، وذكر أنّ الكتاب يصدّق بعضه بعضاً ، وأنّه لا إختلاف فيه ، فقال سبحانه : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَافاً كَثِيراً ﴾[2] وإنّ «القرآن» ظاهره أنيق ، وباطنه عميق ، لا تفني عجائبه ، ولا تنقضي غرائبه ، ولا تكشف الظلمات إلّا به» .

وروي أنّه عليه السلام قال : «إنّ أبغض الخلايق إلى الله تعالى رجلان :

رجل وكله الله إلى نفسه ؛ فهو جائر عن قصد السبيل ، سائر بغير علم ولا دليل ، مشعوف[3] بكلام بدعة ، ودعاء ضلالة ، فهو فتنة لمن افتتن به ، ضالّ عن هدي من كان قبله ، مضلّ لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته ، حمّال خطايا غيره ، رهن بخطيئته .

ورجل قمش[4] جهلاً ، فوضع في جهّال الاُمّة ، غار في أغباش الفتنة ، قد لهج منها بالصوم والصلاة ، عمي في عقد الهدنة ، سمّاه الله : عارياً منسلخاً ، وسمّاه أشباه النّاس : عالماً وليس به ، ولما يغن في العلم يوماً ، سالماً بكّر فاستكثر من جمع ما قلّ منه خير ممّا كثر ، حتّى إذا ارتوى من آجن ، وأكثر من غير طائل ، جلس بين النّاس مفتياً ، قاضياً ، ضامناً لتلخيص ما التبس على غيره ، إن خالف من سبقه ، لم يأمن من نقض حكمه من يأتي من بعده ، كفعله بمن كان قبله ، فإن نزلت به إحدى المبهمات هيّأ لها حشواً رثّاً من رأيه ، ثمّ قطع به ، فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت ، خباط جهالات ، وركاب عشوات ، ومفتاح شبهات ، فهو لا يدري أصاب الحق أم أخطأ ، إن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ ، وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب ، فهو من رأيه في مثل نسج غزل العنكبوت الّذي إذا مرّت به النّار لم يعلم بها ، لم يعضّ على العلم بضرس قاطع ، فيغنم يذري الروايات إذراء الريح الهشيم ، لاملي والله بإصدار ما ورد عليه ، لا يحسب العلم في شيء ممّا أنكره ، ولا يرى أن من وراء ما ذهب فيه مذهب ناطق ما بلغ منه مذهباً لغيره ، وإن قاس شيئاً بشيء لم يكذّب رأيه ، كيلا يقال له : لا يعلم شيئاً ، وإن خالف قاضياً سبقه لم يؤمن فضيحته حين خالفه ، وإن أظلم عليه أمر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه ، تصرخ من جور قضائه الدماء ،

---

(١) الأنعام ٣٨.

(٢) النساء ٨٢.

(٣) المشعوف : المجنون الوله .

(٤) القَمْش ـ بالفتح فالسكون ـ : جمع الشيء من هنا وهنا .

وتعجّ منه المواريث ، إلى الله أشكو معشراً يعيشون جهّالاً ، ويموتون ضلّالاً ، لا يعتذر ممّا لا يعلم فيسلم ، وتولول منه الفتيا ، وتبكي منه المواريث ، ويحلّل بقضائه الفرج الحرام ، ويحرّم بقضائه الفرج الحلال ، ويأخذ المال من أهله فيدفعه إلى غير أهله» .

وروي أنّه ـ صلوات الله عليه ـ قال ـ بعد ذلك ـ: «أيّها النّاس عليكم بالطاعة والمعرفة بمن لا تعتذرون بجهالته ، فإنّ العلم الّذي هبط به آدم وجميع ما فضّلت به النبيّون إلى خاتم النبيّين في عترة نبيّكم محمّد ﷺ ، فأنّىٰ يتاه بكم ؟ بل أين تذهبون ؟ يا من نسخ من أصلاب أصحاب السفينة ! هذه مثلها فيكم فاركبوها ، فكما نجى في هاتيك من نجى فكذلك ينجو في هذه من دخلها ، أنا رهين بذلك قسماً حقّاً وما أنا من المتكلّفين ، والويل لمن تخلّف ثمّ الويل لمن تخلّف ، أما بلغكم ما قال فيكم نبيّكم حيث يقول ـ في حجّة الوداع ـ : «إنّي تارك فيكم الثقلين ، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض ، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما» ألا هذا عذب فرات فاشربوا منه ، وهذا ملح أُجاجٌ فاجتنبوا» .

وروي عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال ـ لرأس اليهود ـ: «على كم افترقتم» ؟

فقال : على كذا وكذا فرقة .

فقال عليّ عليه السلام : «كذبت» ثمّ أقبل على النّاس فقال : «والله لو ثنيت لي الوسادة ، لقضيت بين أهل «التوراة» بتوراتهم ، وبين أهل «الإنجيل» بإنجيلهم ، وبين أهل «الزبور» بزبورهم ، وبين أهل «القرآن» بقرآنهم .

افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ؛ سبعون منها في النّار وواحدة ناجية في الجنّة ، وهي الّتي اتّبعت يوشع بن نون وصيّ موسى عليه السلام .

وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة ؛ إحدى وسبعون فرقة في النّار وواحدة بالجنّة ، وهي الّتي اتّبعت شمعون الصّفا وصيّ عيسى عليه السلام .

وتفترق هذه الأُمّة على ثلاث وسبعين فرقة ؛ اثنتان وسبعون فرقة في النّار وواحدة في الجنّة ، وهي الّتي اتّبعت وصيّ محمّد ﷺ» .

وضرب بيده على صدره ثمّ قال : «ثلاثة عشر فرقة من الثلاث وسبعين فرقة كلّها تنتحل مودّتي وحبّي ، واحدة منها في الجنّة ، وهي النمط الأوسط ، واثنتا عشرة في النّار» .

عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمّد عليهما السلام قال : «خطب أميرالمؤمنين عليه السلام فقال : سمعت

رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «كيف أنتم إذا لبستم الفتنة، ينشأ فيها الوليد، ويهرم فيها الكبير، ويجري النّاس عليها حتّى يتّخذونها سنّة، فإذا غيّر منها شيء قيل أتى النّاس بمنكر، غيّرت السنّة، ثمّ تشتدّ البليّة، وتنشأ فيها الذرّيّة، وتدقّهم الفتن كما تدقّ النّار الحطب، وكما تدقّ الرّحا بثفالها، يتفقّه النّاس لغير الدّين، ويتعلّمون لغير العمل، ويطلبون الدّنيا بعمل الآخرة»؟

ثمّ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ومعه ناس من أهل بيته، وخاصّ من شيعته، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النّبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ قال: لقد عمل الولاة قبلي بأُمور عظيمة خالفوا فيها رسول الله متعمّدين لذلك، ولو حملت النّاس على تركها وحوّلتها إلى مواضعها الّتي كانت عليها على عهد رسول الله لتفرّق عنّي جندي، حتّى أبقى وحدي إلّا قليلاً من شيعتي، الّذين عرفوا فضلي وإمامتي من كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى المكان الّذي وضعه فيه رسول الله، ورددت فدك إلى ورثة فاطمة سلام الله عليها، ورددت صاع رسول الله ومُدّه إلى ما كان، وأمضيت إلى قطايع كان رسول الله صلى الله عليه وآله أقطعها للنّاس سنين، ورددت دار جعفر بن أبي طالب إلى ورثته، وهدّمتها وأخرجتها من المسجد، ورددت الخمس إلى أهله، ورددت قضاء كلّ من قضى بجور، ورددت سبي ذراري بني تغلب، ورددت ما قسّم من أرض خيبر، ومحوت ديوان العطاء، وأعطيت كما كان يعطي رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم أجعلها دولة بين الأغنياء.

والله لقد أمرت النّاس أن لا يجمعوا في شهر رمضان إلّا في فريضة، فنادى بعض أهل عسكري ممّن يقاتل وسيفه معي: «أنعى الإسلام وأهله، غيّرت سنّة عمر» ونهى أن يصلّي في شهر رمضان في جماعة، حتّى خفت أن يثور في ناحية عسكري على ما لقيت، ولقيت هذه الأمّة من أئمّة الضلال، والدعاة إلى النّار.

وأعظم من ذلك سهم ذوي القربى، الّذي قال الله تبارك وتعالى فيه: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[1] وذلك لنا خاصّة ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾[2]، نحن والله عنى بذوي القربى، الّذين قرنهم الله بنفسه ونبيّه، ولم يجعل لنا في الصدقة نصيباً، أكرم الله سبحانه وتعالى نبيّه وأكرمنا أن يطعمنا أوساخ أيدي النّاس.

---

(١) الأنفال ٤١.

(٢) الأنفال ٤١.

فقال له رجل: إنّي سمعت من سلمان، وأبي ذر، والمقداد أشياء في تفسير «القرآن» والرواية عن النبي ﷺ، وسمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي النّاس أشياء كثيرة في تفسير «القرآن» والأحاديث عن النبيّ ﷺ وأنتم تخالفونهم وتزعمون أنّ ذلك باطل، فترى النّاس يكذبون متعمّدين على النبيّ ﷺ ويفسّرون «القرآن» بآرائهم» ؟

قال: «فأقبل عليّ ﷺ عليه فقال له: سألت فافهم الجواب: إنّ في أيدي النّاس حقّاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وخاصّاً وعامّاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كذب على رسول الله وهو حيّ، حتّى قام خطيباً فقال: «أيها النّاس قد كثرت عَلَيّ الكذابة؛ فمن كذّب عَلَيّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النّار».

وإنّما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس:

رجل منافق، مُظهر للإيمان، متصنّع بالإسلام، لا يتأثّم ولا يتحرّج، يكذب على رسول الله ﷺ متعمّداً، فلو علم النّاس أنّه منافق، كاذب، لم يقبلوا منه، ولم يصدّقوا قوله، ولكنّهم قالوا: صاحب رسول الله، رآه وسمع منه، ولقف عنه، فيأخذون بقوله، وقد أخبرك الله تعالى عن المنافقين بما أخبرك، ووصفهم بما وصفهم به لك، ثمّ بقوا بعده ﷺ فتقرّبوا إلى أئمّة الضلالة، والدعاة إلى النّار بالزور والبهتان، فولّوهم الأعمال، وجعلوهم حكّاماً على رقاب النّاس، وأكلوا بهم الدّنيا، وإنّما النّاس مع الملوك والدّنيا إلّا من عصم الله تعالى، فهذا أحد الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله ﷺ شيئاً لم يحفظه على وجهه فوهم فيه، ولم يتعمّد كذباً، فهو في يديه، يرويه، ويعمل به، ويقول: إنّما سمعت من رسول الله ﷺ، فلو علم المسلمون أنّه وهم فيه، لم يقبلوه منه، ولو علم هو أنّه كذلك لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول الله ﷺ شيئاً يأمر به ثمّ نهى عنه، وهو لا يعلم، أو سمعه نهى عن شيء ثمّ أمر به، وهو لا يعلم، فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ، فلو علم أنّه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنّه منسوخ لرفضوه.

وآخر لم يكذب على الله، ولا على رسوله، مبغض للكذب خوفاً لله تعالى وتعظيماً لرسول الله ﷺ، ولم يهمّ به بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به على ما سمعه، لم يزد فيه ولم ينقص منه، وحفظ الناسخ فعمل به، وحفظ المنسوخ وجنّب عنه، وعرف الخاص والعام فوضع كلّ شيء موضعه، وعرف المتشابه والمحكم.

وقد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكلام له وجهان: فكلام خاصّ وكلام عام، فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله تعالى به، ولا ما عنى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيحمله السامع ويوجّهه على غير معرفة بمعناه، ولا ما قصد به، وما خرج من أجله، وليس كلّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسأله ويستفهمه، حتّى أن كانوا ليحبّون أن يجيء الأعرابي أو الطاري فيسأله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى يسمعوا كلامه، وكان لا يمرّ بي من ذلك شيء إلّا سألته عنه، وحفظته، فهذه وجوه ما عليه النّاس في اختلافهم، وعللهم في رواياتهم».

وعن يحيى الحضرمي[1] **قال**: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: «كنّا جلوساً عند النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو نائم ورأسه في حجري، قيل لي: ما الدجّال؟

فاستيقظ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم محمرّ الوجه، فقال: فيما أنتم؟

فقلت له: يا رسول الله سألوني عن الدجّال.

فقال: لغير الدجّال أنا أخوف عليكم من الدجّال؛ الأئمّة الضالّون المضلّون، يسفكون دماء عترتي، أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم».

جواب مسائل الخضر عليه السلام للحسن بن عليّ بن ابي طالب عليه السلام بحضرة أبيه عليه السلام

عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري[2] **عن أبي جعفر محمّد بن علي الثاني عليهما السلام قال**: «أقبل

---

(١) يحيى الحضرمي من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، كان هو وابنه عبدالله من شرطة الخميس، نقل أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لعبدالله بن يحيى الحضرمي ـ يوم الجمل ـ: «أبشر يابن يحيى، فإنّك وأباك من شرطة الخميس حقّاً، لقد أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باسمك واسم أبيك في شرطة الخميس، والله سمّاكم في السّماء: «شرطة الخميس» على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم».

(٢) أبو هاشم الجعفري: داود بن القاسم بن إسحاق بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم، البغدادي، وكان ثقة، جليل القدر، عظيم المنزلة عند الأئمّة عليهم السلام، وقد شاهد منهم: الرضا، والجواد، والهادي، والعسكري، وصاحب الأمر صلوات الله عليهم أجمعين، وكان منقطعاً إليهم، وقد روى عنهم كلّهم، وله أخبار ومسائل، وله شعر جيّد فيهم عليهم السلام، منه قوله في أبي الحسن الهادي عليه السلام وقد اعتلّ:

مادت الأرض بي وأدّت فؤادي	واعترتني موارد العرواء
حين قيل الإمام نضو عليل	قلت نفسي فدته كلّ الفداء
مرض الدين لاعتلالك واعتـ	ـلّ وغارت له نجوم السماء
عجباً أن منيت بالداء والسقم	وأنت الإمام حسم الداء
أنت آسي الأدواء في الدّين والد	نيا ومحيي الأموات والأحياء

أميرالمؤمنين ذات يوم ومعه الحسن بن علي عليه السلام ، وسلمان الفارسي رضي الله عنه ، وأميرالمؤمنين عليه السلام متكئ على يد سلمان ، فدخل المسجد الحرام ، فجلس ، فأقبل رجل حسن الهيئة واللباس ، فسلّم على أميرالمؤمنين عليه السلام ، فردّ عليه السّلام ، فجلس ثمّ قال : يا أميرالمؤمنين أسألك ثلاث مسائل ، إن أخبرتني بهنّ علمت أنّ القوم ركبوا من أمرك ما أفضى إليهم أنّهم ليسوا بمأمونين في دنياهم ولا في آخرتهم ، وإن يكن الأُخرى علمت أنّك وهم شرع سواء .

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : سلني عمّا بدا لك .

فقال : أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحه ؟ وعن الرّجل كيف يذكر وينسى ؟ وعن الرّجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال ؟

فالتفت أميرالمؤمنين عليه السلام إلى أبي محمّد الحسن بن علي عليه السلام فقال : يا أبا محمّد أجبه .

فقال عليه السلام : أمّا ما سألت عنه من أمر الإنسان إذا نام أين تذهب روحه ، فإنّ روحه متعلّقة بالرّيح ، والريح متعلّقة بالهواء إلى وقت ما يتحرّك صاحبها لليقظة ، فإن أذن الله بردّ تلك الرّوح على صاحبها ، جذبت تلك الرّوح الريح ، وجذبت تلك الرّيح الهواء ، فرجعت فسكنت في بدن صاحبها ، وإن لم يأذن الله عزّ وجلّ بردّ تلك الرّوح على صاحبها ، جذبت الهواء الرّيح ، فجذبت الرّيح الرّوح ، فلم ترد على صاحبها إلى وقت ما يبعث .

وأمّا ما ذكرت من أمر الذكر والنسيان ، فإنّ قلب الرّجل في حُقّ ، وعلى الحُقّ طبق ؛ فإن صلّى الرّجل عند ذلك على محمّد وآل محمّد صلاة تامّة ، انكشف ذلك الطبق عن ذلك الحُق ، فأضاء القلب ، وذكر الرّجل ماكان نسي ، وإن لم يصلّ على محمّد وآل محمّد ، أو نقص من الصلاة عليهم ، انطبق ذلك الطبق على ذلك الحُقّ ، فأظلم القلب ، ونسي الرّجل ماكان ذكره .

وأمّا ما ذكرت من أمر المولود الّذي يشبه أعمامه وأخواله ، فإنّ الرّجل إذا أتى أهله فجامعها بقلب ساكن ، وعروق هادئة ، وبدن غير مضطرب ، فأسكنت تلك النطفة في جوف الرحم ، خرج الولد يشبه أبه وأُمّه ، وإن هو أتاها بقلب غير ساكن ، وعروق غير هادية ، وبدن مضطرب ، اضطربت النطفة فوقعت في حال اضطرابها على بعض العروق ؛ فإن وقعت على عرق من عروق

⬅ وكان مقدماً عند السلطان ، وكان ورعاً ، زاهداً ، ناسكاً ، عالماً ، عاملاً ، ولم يكن أحد في آل أبي طالب عليه السلام مثله في زمانه في علوّ النّسب ، وذكر السيّد ابن طاوس رحمه الله أنّه من وكلاء الناحية الذين لا تختلف الشيعة فيهم ، توفي سنة ٢٦١ . [الكنى والألقاب ج١]

الأعمام أشبه الولد أعمامه ، وإن وقعت على عرق من عروق الأخوال أشبه الولد أخواله .

فقال الرّجل : أشهد أن لا إله إلّا الله ، ولم أزل أشهد بها ، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله ، ولم أزل أشهد بها ، وأشهد أنّك وصيّ رسول الله ، القائم بحجّته ـ وأشار إلى أميرالمؤمنين عليه السلام ـ ولم أزل أشهد بها ، وأشهد أنّك وصيّه والقائم بحجّته ـ وأشار إلى الحسن عليه السلام ـ وأشهد أنّ الحسين بن عليّ وصيّ أبيك ، والقائم بحجّته بعدك ، وأشهد على عليّ بن الحسين أنّه القائم بأمر الحسين بعده ، وأشهد على محمّد بن عليّ عليه السلام أنّه القائم بأمر عليّ بن الحسين بعده ، وأشهد على جعفر بن محمّد أنّه القائم بأمر محمّد بن عليّ بعده ، وأشهد على موسى بن جعفر أنّه القائم بأمر جعفر بن محمّد بعده ، وأشهد على عليّ بن موسى الرّضا بأنّه القائم بأمر موسى بن جعفر بعده ، وأشهد على محمّد ابن علي أنّه القائم بأمر عليّ بن موسى ، وأشهد على عليّ بن محمّد أنّه القائم بأمر محمّد بن عليّ ، وأشهد على الحسن بن علي أنّه القائم بأمر عليّ بن محمّد ، وأشهد على رجل من ولد الحسن بن علي لا يُكنّىٰ ولا يُسمّىٰ حتّى يظهر أمره فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، والسّلام عليك يا أميرالمؤمنين ورحمة الله وبركاته .

ثمّ قام فمضى ، فقال أميرالمؤمنين للحسن : يا أبا محمّد أتبعه فانظر أين يقصد .

فخرج في أثره ، فقال : فماكان إلّا أن وضع رجله خارج المسجد فما دريت أين أخذ من أرض الله ، فرجعت إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فأعلمته .

فقال عليه السلام : يا أبا محمّد تعرفه ؟

قلت : الله ورسوله وأميرالمؤمنين أعلم .

قال : هو الخضر عليه السلام» .

جوابه عن مسائل جاءت من الروم ثمّ من الشام الجاري مجرى الإحتجاج بحضرة أبيه عليهما السلام

روى محمّد بن قيس[1] عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام قال : «بينا أميرالمؤمنين في الرحبة والنّاس عليه متراكمون ، فمن بين مستفتي ، ومن بين مستعدي ، إذ قام إليه رجل فقال : السلام عليك يا أميرالمؤمنين ورحمة الله وبركاته .

---

(١) قال العلّامة في القسم الأوّل من خلاصته : محمّد بن قيس أبو نصير ـ بالنون ـ الأسدي من أصحاب الصادق عليه السلام ثقة ثقة .

فقال : وعليك السّلام ورحمة الله وبركاته ، مَن أنت ؟

قال : أنا رجل من رعيّتك وأهل بلادك .

فقال له : ما أنت برعيّتي وأهل بلادي ، ولو سلّمت عَلَيّ يوماً واحداً ما خفيت عَلَيّ .

فقال : الأمان يا أميرالمؤمنين .

فقال : هل أحدثت منذ دخلت مصري هذا ؟

قال : لا .

قال : فلعلّك من رجال الحرب ؟

قال : نعم .

قال : إذا وضعت الحرب أوزارها فلا بأس .

قال : أنا رجل بعثني إليك معاوية متغفّلاً لك ، أسألك عن شيء بعث به ابن الأصفر إليه ، وقال له : إن كنت أحقّ بهذا الأمر والخليفة بعد محمّد فأجبني عمّا أسألك ، فإنّك إن فعلت ذلك اتّبعتك ، وبعثت إليك بالجائزة ، فلم يكن عنده جواب ، وقد أقلقه فبعثني إليك لأسألك عنها .

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : قاتل الله ابن آكلة الأكباد ، وما أضلّه وأعماه ومن معه ، حكم الله بيني وبين هذه الأُمّة ، قطعوا رحمي ، وأضاعوا أيّامي ، ودفعوا حقّي ، وصغّروا عظيم منزلتي ، وأجمعوا على منازعتي ، يا قنبر عَلَيّ بالحسن والحسين ، ومحمّد ، فأُحضروا .

فقال : يا شامي هذان ابنا رسول الله ، وهذا ابني ، فاسأل أيّهم أحببت .

فقال : أسأل ذاالوفرة ؛ يعني الحسن عليه السلام .

فقال له الحسن عليه السلام : سلني عمّا بدا لك .

فقال الشامي : كم بين الحقّ والباطل ؟ وكم بين السماء والأرض ؟ وكم بين المشرق والمغرب ؟ وما قوس قزح ؟ وما العين الّتي تأوي إليها أرواح المشركين ؟ وما العين الّتي تأوي إليها أرواح المؤمنين ؟ وما المؤنّث ؟ وما عشرة أشياء بعضها أشدّ من بعض ؟

فقال الحسن عليه السلام : بين الحقّ والباطل أربع أصابع ؛ فما رأيته بعينك فهو الحق ، وقد تسمع بأُذنيك باطلاً كثيراً .

فقال الشامي : صدقت .

قال : وبين السّماء والأرض دعوة المظلوم ، ومدّ البصر ؛ فمن قال غير هذا فكذّبه .

قال : صدقت يابن رسول الله .

قال : وبين المشرق والمغرب مسيرة يوم الشمس ؛ تنظر إليها حين تطلع من مشرقها ، وتنظر إليها حين تغيب من مغربها .

قال : صدقت ، فما قوس قزح ؟

قال : ويحك لا تقل قوس قزح ، فإنّ قزح اسم الشيطان ، وهو قوس الله ، وهذه علامة الخصب ، وأمان لأهل الأرض من الغرق .

وأمّا العين الّتي تأوي إليها أرواح المشركين فهي عين يقال لها : برهوت .

وأمّا العين الّتي تأوي إليها أرواح المؤمنين فهي عين يقال لها : سلمى .

وأمّا المؤنّث فهو الّذي لا يدرى أذكر أم أُنثى ، فإنّه ينتظر به فإن كان ذكراً احتلم ، وإن كان أُنثى حاضت ، وبدا ثديها ، وإلّا قيل له : بُل على الحايط ؛ فإن أصاب بوله الحايط فهو ذكر ، وإن انتكص بوله كما ينتكص بول البعير فهي امرأة .

وأمّا عشرة أشياء بعضها أشدّ من بعض ، فأشدّ شيء خلقه الله الحجر ، وأشدّ من الحجر الحديد يقطع به الحجر ، وأشدّ من الحديد النّار تذيب الحديد ، وأشدّ من النّار الماء يطفئ النّار ، وأشدّ من الماء السحاب يحمل الماء ، وأشدّ من السحاب الريح تحمل السحاب ، وأشدّ من الريح الملك الّذي يرسلها ، وأشدّ من الملك ملك الموت الّذي يميت الملك ، وأشدّ من ملك الموت الموت الّذي يميت ملك الموت ، وأشدّ من الموت أمر الله الّذي يميت الموت .

فقال الشامي : أشهد أنّك ابن رسول الله حقّاً ، وأنّ عليّاً أولى بالأمر من معاوية ، ثمّ كتب هذه الجوابات وذهب بها إلى معاوية ، فبعثها إلى ابن الأصفر ، فكتب إليه ابن الأصفر : يا معاوية لم تكلّمني بغير كلامك ، وتجيبني بغير جوابك ، أقسم بالمسيح ما هذا جوابك ، وما هو إلّا من معدن النبوّة ، وموضع الرسالة ، وأمّا أنت فلو سألتني درهماً ما أعطيتك» .

احتجاج الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام على جماعة من المنكرين لفضله وفضل ابيه من قبل بحضرة معاوية

روي عن الشعبي وأبي مخنف[1] ويزيد بن أبي حبيب المصري[2] أنّهم قالوا: لم يكن في الإسلام يوم في مشاجرة قوم اجتمعوا في محفل، أكثر ضجيجاً ولا أعلى كلاماً ولا أشدّ مبالغة في قول، من يوم اجتمع فيه عند معاوية بن أبي سفيان عمرو بن عثمان بن عفّان، وعمرو بن العاص، وعتبة بن أبي سفيان، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، والمغيرة بن أبي شعبة، وقد تواطؤا على أمر واحد.

فقال عمرو بن العاص لمعاوية: ألا تبعث إلى الحسن بن علي فتحضره، فقد أحيى سنّة أبيه، وخفقت النعال خلفه، أمر فأُطيع، وقال فصُدِّق، وهذان يرفعان به إلى ما هو أعظم منهما، فلو بعثت إليه فقصّرنا به وبأبيه، وسببناه وسببنا أباه، وصغّرنا بقدره وقدر أبيه، وقعدنا لذلك حتّى صدّق لك فيه.

فقال لهم معاوية: إنّي أخاف أن يقلّدكم قلايد يبقى عليكم عارها، حتّى يدخلكم قبوركم، والله ما رأيته قط إلّا كرهت جنابه، وهبت عتابه، وإنّي إن بعثت إليه لأنصفنّه منكم.

قال عمرو بن العاص: أتخاف أن يتسامى باطله على حقّنا، ومرضه على صحّتنا؟

قال: لا.

---

(١) أبو مخنف: لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي، شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة، ووجههم، كما عن النجاشي، وتوفي سنة ١٥٧، يروي عن الصّادق عليه السلام، ويروي عنه هشام الكلبي، وجدّه مخنف بن سليم صحابي، شهد الجمل في أصحاب عليّ عليه السلام حاملاً راية الأزد، فاستشهد في تلك الواقعة سنة ٣٦، وكان أبو مخنف من أعاظم مؤرخي الشيعة، ومع اشتهار تشيّعه اعتمد عليه علماء السنّة في النقل عنه كالطبري، وابن الأثير، وغيرهما، وليعلم أنّ لأبي مخنف كتباً كثيرة في التاريخ والسير، منها: كتاب «مقتل الحسين» الّذي نقل عنه أعاظم العلماء المتقدّمين واعتمدوا عليه، ولكن الأسف أنّه فقد ولا يوجد منه نسخة، وأمّا المقتل الّذي بأيدينا وينسب إليه، فليس له، بل ولا لأحد من المؤرخين المعتمدين، ومن أراد تصديق ذلك فليقابل ما في هذا المقتل وما نقله الطبري وغيره عنه حتّى يعلم ذلك، وقد بيّنت ذلك في: «نفس المهموم» في طرماح بن عدي، والله العالم.
[الكنى والألقاب ١٤٨/١ للشيخ عباس القمي]

(٢) يزيد بن أبي حبيب: واسمه سويد الأزدي، مولاهم أبو رجاء المصري، وقيل غير ذلك في ولائه. قال ابن سعد: كان مفتي أهل مصر في زمانه، وكان أوّل من أظهر العلم في مصر والكلام في الحلال والحرام، وقال الليث: يزيد ابن أبي حبيب سيّدنا وعالمنا، وذكره ابن حبّان في الثقات، وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، مات سنة ١٢٨، وقال غيره بلغ زيادة على ٧٥ سنة. [عن تهذيب التهذيب ٣١٨/١١ باختصار]

قال : فابعث إذاً إليه .

فقال عتبة : هذا رأي لا أعرفه ، والله ما تستطيعون أن تلقوه بأكثر ولا أعظم ممّا في أنفسكم عليه ، ولا يلقاكم بأعظم ممّا في نفسه عليكم ، وإنّه لأهل بيت خصم جدل .

فبعثوا إلى الحسن ، فلمّا أتاه الرّسول قال له : يدعوك معاوية .

قال : «ومن عنده» ؟

قال الرسول : عنده فلان وفلان ، وسمّى كلًّا منهم باسمه .

فقال الحسن عليه السلام : «مالهم خرّ عليهم السقف من فوقهم ، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون».

ثمّ قال : «يا جارية أبلغيني ثيابي .

ثمّ قال : «اللّهمّ إنّي أدرأ بك في نحورهم ، وأعوذ بك من شرورهم ، وأستعين بك عليهم ، فاكفنيهم بما شئت ، وأنّى شئت ، من حولك وقوّتك ، يا أرحم الرّاحمين» .

وقال للرّسول : «هذاكلام الفرج» .

فلمّا أتى معاوية رحّب به ، وحيّاه وصافحه ، فقال الحسن عليه السلام : «إنّ الّذي حييت به سلامة ، والمصافحة أمن» .

فقال معاوية : أجل إنّ هؤلاء بعثوا إليك وعصوني ليقرّوك : إنّ عثمان قُتل مظلوماً ، وإنّ أباك قتله ، فاسمع منهم ، ثمّ أجبهم بمثل ما يكلّمونك ، فلا يمنعك مكاني من جوابهم .

فقال الحسن : «فسبحان الله ! البيت بيتك ، والإذن فيه إليك ! والله لئن أجبتهم إلى ما أرادوا إنّي لأستحيي لك من الفحش ، وإن كانوا غلبوك على ما تريد ، إنّي لأستحيي لك من الضعف ، فبأيّهما تقرّ ، ومن أيّهما تعتذر ، وأمّا إنّي لو علمت بمكانهم واجتماعهم ، لجئت بعدّتهم من بني هاشم مع أنّي مع وحدتي هم أوحش منّي من جمعهم ، فإنّ الله عزّ وجلّ لوليّي اليوم وفيما بعد اليوم ، فمرهم فليقولوا فأسمع ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم» .

فتكلّم عمرو بن عثمان بن عفّان فقال : ما سمعت كاليوم إن بقي من بني عبدالمطّلب على وجه الأرض من أحد بعد قتل الخليفة عثمان بن عفّان ، وكان ابن أُختهم ، والفاضل في الإسلام منزلة ، والخاصّ برسول الله أثرة ، فبئس كرامة الله حتّى سفكوا دمه اعتداء ، وطلباً للفتنة ، وحسداً ، ونفاسة ، وطلب ما ليسوا بأهلين لذلك ، مع سوابقه ومنزلته من الله ، ومن رسوله ، ومن الإسلام ، فيا ذلّاه أن يكون حسن وساير بني عبدالمطّلب قتلة عثمان ، أحياء يمشون على مناكب الأرض ،

وعثمان بدمه مضرّج ، مع أنّ لنا فيكم تسعة عشر دماً بقتلى بني اُميّة ببدر .

ثمّ تكلّم عمرو بن العاص ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : أي ابن أبي تراب ، بعثنا إليك لنقررك أنّ أباك سمّ أبابكر الصدّيق ، واشترك في قتل عمر الفاروق ، وقتل عثمان ذي النّورين مظلوماً ، وادّعى ما ليس له حقّ ، ووقع فيه ، وذكر الفتنة ، وعيّره بشأنها !

ثمّ قال : إنّكم يا بني عبدالمطّلب لم يكن الله ليعطيكم الملك فتركبون منه ما لا يحلّ لكم ، ثمّ أنت يا حسن تحدّث نفسك بأنّك كائن أميرالمؤمنين وليس عندك عقل ذلك ، ولا رأيه ، وكيف وقد سلبته وتركت أحمق في قريش ، وذلك لسوء عمل أبيك ، وإنّما دعوناك لنسبّك وأباك . ثمّ إنّك لا تستطيع أن تعيّب علينا ، ولا أن تكذّبنا به ، فإن كنت ترى أنّا كذّبناك في شيء وتقوّلنا عليك بالباطل ، وادّعينا عليك خلاف الحقّ فتكلّم ، وإلّا فاعلم أنّك وأباك من شرّ خلق الله ؛ فأمّا ابوك فقد كفانا الله قتله وتفرّد به ، وأمّا أنت فإنّك في أيدينا نتخيّر فيك ، والله أن لو قتلناك ماكان في قتلك إثم عند الله ، ولا عيب عند النّاس .

ثمّ تكلّم عتبة بن أبي سفيان ، فكان أوّل ما ابتدأ به أن قال : يا حسن إنّ أباك كان شرّ قريش لقريش ، أقطعه لأرحامها ، وأسفكه لدمائها ، وإنّك لمن قتلة عثمان ، وإنّ في الحقّ أن نقتلك به ، وإنّ عليك القود في كتاب الله ﷻ ، وإنّا قاتلوك به ، وأمّا أبوك فقد تفرّد الله بقتله فكفانا أمره ، وأمّا رجاؤك الخلافة فلست فيها ، لا في قدحة زندك ، ولا في رجحة ميزانك .

ثمّ تكلّم الوليد بن عقبة بن أبي معيط بنحو من كلام أصحابه فقال : يا معشر بني هاشم كنتم أوّل من دبّ بعيب عثمان وجمع النّاس عليه ، حتّى قتلتموه حرصاً على الملك ، وقطيعة للرحم ، واستهلاك الاُمّة ، وسفك دمائها ، حرصاً على الملك ، وطلباً للدنيا الخبيثة ، وحبّاً لها ، وكان عثمان خالكم ، فنعم الخال كان لكم ، وكان صهركم ، فكان نعم الصهر لكم ، قد كنتم أوّل من حسده وطعن عليه ، ثمّ وليّتم قتله ، فكيف رأيتم صنع الله بكم ؟

ثمّ تكلّم المغيرة بن شعبة ، فكان كلامه وقوله كلّه وقوعاً في عليّ عليه السلام ، ثمّ قال : يا حسن إنّ عثمان قتل مظلوماً ، فلئن لم يكن لأبيك في ذلك عذر بريء ، ولا اعتذار مذنب ، غير أنّا يا حسن قد ظننّا لأبيك في ضمّه قتلة عثمان ، وايواءه لهم ، وذبّه عنهم ، أنّه بقتله راض ، وكان والله طويل السيف واللسان ، يقتل الحيّ ويعيب الميّت ، وبنو اُميّة خير لبني هاشم من بني هاشم لبني اُميّة ، ومعاوية خير لك يا حسن منك لمعاوية ، وقد كان أبوك ناصب رسول الله ﷺ في حياته وأجلب

عليه قبل موته ، وأراد قتله ، فعلم ذلك من أمره رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ كره أن يبايع أبابكر حتّى أُتي به قوداً ، ثمّ دسّ عليه فسقاه سمّاً فقتله ، ثمّ نازع عمر حتّى همّ أن يضرب رقبته ، فعمد في قتله ، ثمّ طعن على عثمان حتّى قتله ،كلّ هؤلاء قد شرك في دمهم ، فأيّ منزلة له من الله يا حسن ؟ وقد جعل الله السلطان لوليّ المقتول في كتابه المنزل ؛ فمعاوية وليّ المقتول بغير حق ، فكان من الحق لو قتلناك وأخاك ، والله ما دم عليّ بأخطر من دم عثمان ، وماكان الله ليجمع فيكم يا بني عبدالمطّلب الملك والنبوّة .

ثمّ سكت ، فتكلّم أبو محمّد الحسن بن علي عليه السلام فقال : «الحمد لله الّذي هدى أوّلكم بأوّلنا ، وآخركم بآخرنا ، وصلّى الله على جدّي محمّد النبيّ وآله وسلّم .

إسمعوا منّي مقالتي وأعيروني فهمكم ، وبك أبدء يا معاوية : إنّه لعمر الله يا أزرق ما شتمني غيرك وما هؤلاء شتموني ، ولا سبّني غيرك وما هؤلاء سبّوني ، ولكن شتمتني وسببتني فحشاً منك ، وسوء رأي ، وبغياً وعدواناً وحسداً علينا ، وعداوة لمحمّد صلى الله عليه وآله ؛ قديماً وحديثاً ، وأنّه والله لوكنت أنا وهؤلاء يا أزرق مشاورين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وحولنا المهاجرون والأنصار ما قدروا أن يتكلّموا به ، ولا استقبلوني بما استقبلوني به .

فاسمعوا منّي أيّها الملأ المجتمعون المتعاونون عَلَيّ ، ولا تكتموا حقّاً علمتموه ، ولا تصدّقوا بباطل إن نطقت به ، وسأبدء بك يا معاوية ولا أقول فيك إلّا دون ما فيك .

أُنشدكم بالله هل تعلمون أنّ الرّجل الّذي شتمتموه صلّى القبلتين كلتيهما ، وأنت تراهما جميعاً وأنت في ضلالة تعبد اللات والعزّى ، وبايع البيعتين كلتيهما ؛ بيعة الرضوان وبيعة الفتح ، وأنت يا معاوية بالأُولى كافر ، وبالأُخرى ناكث» ؟

ثمّ قال : «أُنشدكم بالله هل تعلمون أنّ ما أقول حقّاً ، إنّه لقيكم مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر ومعه راية النّبيّ صلى الله عليه وآله والمؤمنين ، ومعك يا معاوية راية المشركين وأنت تعبد اللات والعزّى ، وترى حرب رسول الله صلى الله عليه وآله فرضاً واجباً ، ولقيكم يوم أُحد ومعه راية النبيّ ، ومعك يا معاوية راية المشركين ، ولقيكم يوم الأحزاب ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومعك يا معاوية راية المشركين ، كلّ ذلك يفلج الله حجّته ، ويحقّ دعوته ، ويصدّق أُحدوثته ، وينصر رايته ، وكلّ ذلك رسول الله يرى عنه راضياً في المواطن كلّها ساخطاً عليك ؟

ثمّ أُنشدكم بالله هل تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حاصر بني قريظة وبني النظير ، ثمّ بعث عمر بن

الخطّاب ومعه راية المهاجرين ، وسعد بن معاذ ومعه راية الأنصار ؛ فأمّا سعد بن معاذ فجرح وحمل جريحاً ، وأمّا عمر فرجع هارباً وهو يجبن ويُجبّن أصحابه ويُجبّنه أصحابه ، فقال رسول الله ﷺ : «لأُعطينّ الرّاية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله ، كرّار غير فرّار ، ثمّ لا يرجع حتّى يفتح الله على يديه» فتعرّض لها أبوبكر وعمر ، وغيرهما من المهاجرين والأنصار ، وعلي يومئذ أرمد شديد الرمد ، فدعاه رسول الله ﷺ فتفل في عينيه فبرأ من رمده ، وأعطاه الراية فمضى ولم يثن حتّى فتح الله عليه بمنّه وطَوله ، وأنت يومئذ بمكّة عدوّ لله ولرسوله ، فهل يستوي بين رجل نصح لله ولرسوله ، ورجل عادى الله ورسوله ؟! ثمّ أُقسم بالله ما أسلم قلبك بعد ، ولكن اللسان خائف فهو يتكلّم بما ليس في القلب .

أُنشدكم بالله أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ استخلفه على المدينة في غزاة تبوك ، ولا سخط ذلك ولا كراهة ، وتكلّم فيه المنافقون فقال : لا تخلّفني يا رسول الله فإنّي لم أتخلّف عنك في غزوة قط ، فقال رسول الله ﷺ : أنت وصيّي وخليفتي في أهلي ، بمنزلة هارون من موسى ، ثمّ أخذ بيد عليّ عليه السلام فقال : أيّها النّاس من تولاّني فقد تولّى الله ، ومن تولّى عليّاً فقد تولاّني ، ومن أطاعني فقد أطاع الله ، ومن أطاع عليّاً فقد أطاعني ، ومن أحبّني فقد أحبّ الله ، ومن أحبّ عليّاً فقد أحبّني» ؟

ثمّ قال : «أُنشدكم بالله أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال في حجّة الوداع : أيّها النّاس إنّي قد تركت فيكم ما لم تضلّوا بعده : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فأحلّوا حلاله ، وحرّموا حرامه ، واعملوا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا : آمنّا بما أنزل الله من الكتاب ، وأحبّوا أهل بيتي وعترتي ، ووالوا من والاهم ، وانصروهم على من عاداهم ، وإنّهما لن يزالا فيكم حتّى يردا عَلَيّ الحوض يوم القيامة ؛ ثمّ دعا وهو على المنبر عليّاً فاجتذبه بيده فقال : اللّهمّ وال من والاه ، وعاد من عاداه ، اللّهمّ من عاد عليّاً فلا تجعل له في الأرض مقعداً ، ولا في السماء مصعداً ، واجعله في أسفل درك من النّار ؟

وأُنشدكم بالله أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال له : أنت الذائد عن حوضي يوم القيامة ؛ تذود عنه كما يذود أحدكم الغريبة من وسط إبله ؟

أُنشدكم بالله أتعلمون أنّه دخل على رسول الله ﷺ في مرضه الّذي توفّي فيه ، فبكى رسول الله ﷺ ، فقال عليّ عليه السلام : ما يبكيك يا رسول الله ؟ فقال : يبكيني أنّي أعلم أنّ لك في قلوب رجال من أُمّتي ضغائن ، لا يبدونها لك حتّى أتولّى عنك ؟

أُنشدكم بالله أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حين حضرته الوفاة واجتمع عليه أهل بيته فقال: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي وعترتي، اللّهمّ وال من والاهم، وعاد من عاداهم» وقال: «إنّما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح؛ من دخل فيها نجى، ومن تخلّف عنها غرق» ؟

وأُنشدكم بالله أتعلمون أنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قد سلّموا عليه بالولاية في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وحياته ؟

أُنشدكم بالله أتعلمون أنّ علياً أوّل من حرّم الشهوات كلّها على نفسه من أصحاب رسول الله، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ ٱللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ ٱللهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللهُ حَلاَلاً طَيِّباً وَٱتَّقُوا ٱللهَ ٱلَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾[1] وكان عندهم علم المنايا، وعلم القضايا، وفصل الكتاب، ورسوخ العلم، ومنزل «القرآن»، وكان رهط لا نعلمهم يتممون عشرة، نبّأهم الله أنّهم مؤمنون، وأنتم في رهط قريب من عدّة أولئك لعنوا على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله، فأشهد لكم وأشهد عليكم، أنّكم لعناء الله على لسان نبيّه كلّكم ؟

وأُنشدكم بالله هل تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث إليك لتكتب له لبني خزيمة حين أصابهم خالد بن الوليد فانصرف إليه الرسول فقال: «هو يأكل»، فأعاد الرسول إليك ثلاث مرّات كلّ ذلك ينصرف الرّسول إليه ويقول: «هو يأكل» فقال رسول الله: «اللّهمّ لا تشبع بطنه» فهي والله في نهمتك، وأكلك إلى يوم القيامة» ؟

ثمّ قال: «أُنشدكم بالله هل تعلمون أنّ ما أقول حقّاً أنّك يا معاوية كنت تسوق بأبيك على جمل أحمر، يقوده أخوك هذا القاعد، وهذا: يوم الأحزاب، فلعن رسول الله القائد والراكب والسائق؛ فكان أبوك الراكب، وأنت يا أزرق السائق، وأخوك هذا القاعد القائد ؟

أُنشدكم بالله هل تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لعن أباسفيان في سبعة مواطن:

أوّلهنّ: حين خرج من مكّة إلى المدينة وأبوسفيان جاء من الشام، فوقع فيه أبوسفيان فسبّه، وأوعده، وهمّ أن يبطش به، ثمّ صرفه الله عزّ وجلّ عنه.

والثانية: يوم العير حيث طردها أبوسفيان ليحرزها من رسول الله.

والثالثة: يوم أُحد قال رسول الله: الله مولانا ولا مولى لكم، وقال أبوسفيان: لنا العزّى ولا عزّى لكم، فلعنه الله، وملائكته، ورسله، والمؤمنون أجمعون.

---

(١) المائدة ٨٧ـ٨٨.

والرابعة يوم حنين : يوم جاء أبوسفيان يجمع قريش وهوازن ، وجاء عيينة بغطفان واليهود ، فردّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً ، هذا قول الله ﷻ أنزل في سورتين في كلتيهما يسمّي أباسفيان وأصحابه كفّاراً ، وأنت يا معاوية يومئذٍ مشرك على رأي أبيك بمكّة ، وعليٌّ يومئذٍ مع رسول الله ﷺ وعلى رأيه ودينه ؟

والخامسة : قول الله ﷻ : ﴿ والْهَدْيَ مَعْكُوفاً أنْ يَبْلُغَ مَحِلَّه ﴾[1] وصددت أنت وأبوك ومشركوا قريش رسول الله ، فلعنه الله لعنة شملته وذرّيّته إلى يوم القيامة .

والسادسة يوم الأحزاب يوم جاء أبوسفيان بجمع قريش ، وجاء عيينة بن حصين بن بدر بغطفان ، فلعن رسول الله القادة والأتباع ، والساقة إلى يوم القيامة . فقيل : يا رسول الله أما في الأتباع مؤمن ؟ قال : لا تعيب اللعنة مؤمناً من الأتباع ، أمّا القادة فليس فيهم مؤمن ، ولا مجيب ، ولا ناج .

والسابعة يوم الثنية ، يوم شدّ على رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلاً ؛ سبعة منهم من بني أُميّة ، وخمسة من سائر قرش ، فلعن الله تبارك وتعالى ورسول الله من حلّ الثنية غير النبيّ ﷺ وسائقه وقائده ؟

ثمّ أُنشدكم بالله هل تعلمون أنّ أباسفيان دخل على عثمان حين بويع في مسجد رسول الله ﷺ فقال : يابن أخي هل علينا من عين ؟ فقال : لا ، فقال أبوسفيان : تداولوا الخلافة يا فتيان بني أُميّة فوالّذي نفس أبي سفيان بيده ، ما من جنّة ولا نار ؟

وأُنشدكم بالله أتعلمون أنّ أباسفيان أخذ بيد الحسين حين بويع عثمان وقال : يابن أخي أخرج معي إلى بقيع الغرقد ، فخرج حتّى إذا توسّط القبور اجترّه فصاح بأعلى صوته : يا أهل القبور ، الّذي كنت تقاتلونا عليه صار بأيدينا وأنتم رميم . فقال الحسين بن علي عليه السلام : قبّح الله شيبتك ، وقبّح وجهك ، ثمّ نتر يده وتركه ، فلولا النعمان بن بشير أخذ بيده وردّه إلى المدينة لهلك .

فهذا لك يا معاوية ، فهل تستطيع أن تردّ علينا شيئاً ؟

ومن لعنتك يا معاوية أنّ أباك أباسفيان كان يهمّ أن يسلم ، فبعثت إليه بشعر معروف مرويّ في قريش وغيرهم ، تنهاه عن الإسلام وتصدّه !

ومنها أنّ عمر بن الخطّاب ولّاك الشام فخنت به ، وولّاك عثمان فتربّصت به ريب المنون .

---

(١) الفتح ٢٥.

ثمّ أعظم من ذلك جرأتك على الله ورسوله ، أنّك قاتلت عليّاً عليه السلام وقد عرفته وعرفت سوابقه ، وفضله وعلمه على أمر هو أولى به منك ومن غيرك عند الله وعند النّاس ، ولأذّيته بل أوطأت النّاس عشوة ، وأرقت دماء خلق من خلق الله بخدعك وكيدك وتمويهك ، فعل من لا يؤمن بالمعاد ، ولا يخشى العقاب ،فلمّا بلغ الكتاب أجله صرت إلى شرّ مثوى ، وعليٌّ إلى خير منقلب ، والله لك بالمرصاد.

فهذا لك يا معاوية خاصّة ، وما أمسكت عنه من مساويك وعيوبك فقد كرهت به التطويل .

وأمّا أنت يا عمرو بن عثمان فلم تكن للجواب حقيقاً بحمقك أن تتبع هذه الأُمور ، فإنّما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنخلة استمسكي فإنّي أُريد أن أنزل عنك ، فقالت لها النخلة : ما شعرت بوقوعك ، فكيف يشقّ عَلَيّ نزولك ، وإنّي والله ما شعرت أنّك تجسر أن تعادي لي فيشقّ عَلَيّ ذلك ، وإنّي لمجيبك في الّذي قلت :

إنّ سبّك عليّاً عليه السلام أينقص في حسبه ؟ أو يباعده من رسول الله ؟ أو يسوء بلاءه في الإسلام ؟ أو يجور في حكم أو رغبة في الدّنيا ؟ فإن قلت واحدة منها فقد كذبت .

وأمّا قولك «إنّ لكم فينا تسعة عشر دماً بقتلى مشركي بني أُميّة ببدر» فإنّ الله ورسوله قتلهم ، ولعمري لتقتلنّ من بني هاشم تسعة عشر وثلاثة بعد تسعة عشر ثمّ يقتل من بني أُميّة تسعة عشر وتسعة عشر في موطن واحد سوى ما قتل من بني أُميّة لا يحصي عددهم إلّا الله ، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إذا بلغ ولد الوزغ ثلاثين رجلاً ، أخذوا مال الله بينهم دولاً ، وعباده خولاً ، وكتابه دغلاً ، فإذا بلغوا ثلثمائة وعشر حقّت اللعنة عليهم ولهم ، فإذا بلغوا أربعمائة وخمسة وسبعين كان هلاكهم أسرع من لوك تمرة ، فأقبل الحكم بن أبي العاص وهم في ذلك الذكر والكلام ، فقال رسول‌الله : أخفضوا أصواتكم فإنّ الوزغ يسمع ، وذلك حين رآهم رسول الله صلى الله عليه وآله ومن يملك بعده منهم أمر هذه الأُمّة ـ يعني في المنام ـ فساءه ذلك وشقّ عليه ، فأنزل الله عزّ وجلّ في كتابه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّؤْيَا ٱلَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْآنِ ﴾[1] يعني : بني أُميّة ، وأنزل أيضاً : ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾[2] فأشهد لكم ، وأشهد عليكم ، ما سلطانكم بعد قتل عليّ إلّا ألف شهر الّتي أجّلها الله عزّ وجلّ في كتابه .

وأمّا أنت يا عمرو بن العاص ، الشاني اللعين الأبتر ، فإنّما أنت كلب أوّل أمرك ، وإنّ أُمّك بغيّة ،

---

(١) الإسراء ٦٠.

(٢) القدر ٣.

وإنّك ولدت على فراش مشترك ، فتحاكمت فيك رجال قريش منهم أبوسفيان بن الحرب ، والوليد ابن المغيرة ، وعثمان بن الحرث ، والنضر بن الحرث بن كلدة ، والعاص بن وايل ،كلّهم يزعم أنّك ابنه ، فغلبهم عليك من بين قريش ألأمهم حسباً ، وأخبثهم منصباً ، وأعظمهم بغية ، ثمّ قمت خطيباً وقلت : أنا شاني محمّد ، وقال العاص بن وايل : إنّ محمّدا رجل أبتر لا ولد له ، فلو قد مات انقطع ذكره ، فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾[1] وكانت أُمّك تمشي إلى عبد قيس تطلب البغية ، تأتيهم في دورهم ورجالهم وبطون أوديتهم ، ثمّ كنت في كلّ مشهد يشهده رسول الله من عدوّه أشدّهم له عداوة ، وأشدّهم له تكذيباً ، ثمّ كنت في أصحاب السفينة الّذين أتوا النجاشي والمهجر الخارج إلى الحبشة في الإشاطة بدم جعفر بن أبي طالب وساير المهاجرين إلى النجاشي ، فحاق المكر السيّئ بك ، وجعل خدّك الأسفل ، وأبطل أُمنيتك ، وخيّب سعيك ، وأكذب أُحدوثتك ، وجعل كلمة الّذين كفروا السّفلى ، وكلمة الله هي العليا .

وأمّا قولك في عثمان ، فأنت يا قليل الحياء والدين ، ألهبت عليه ناراً ، ثمّ هربت إلى فلسطين تتربّص به الدّوائر ، فلمّا أتاك خبر قتله حبست نفسك على معاوية ، فبعته دينك يا خبيث بدنيا غيرك ، ولسنا نلومك على بغضنا ، ولم نعاتبك على حبّنا ، وأنت عدوّ لبني هاشم في الجاهليّة والإسلام ، وقد هجوت رسول الله ﷺ بسبعين بيتاً من شعر ، فقال رسول الله : «اللّهمّ إنّي لا أُحسن الشعر ، ولا ينبغي لي أن أقوله ، فالعن عمرو بن العاص بكلّ بيت ألف لعنة» .

ثمّ أنت يا عمرو المؤثر دنياك على دينك ، أهديت إلى النجاشي الهدايا ، ورحلت إليه رحلتك الثانية ، ولم تنهك الأُولى عن الثانية ،كلّ ذلك ترجع مغلوباً ، حسيراً ، تريد بذلك هلاك جعفر وأصحابه ، فلمّا أخطأك ما رجوت وأمّلت أحلت على صاحبك عمارة بن الوليد .

وأمّا أنت يا وليد بن عقبة فوالله ما ألومك أن تبغض عليّاً وقد جلّدك في الخمر ثمانين جلدة ، وقتل أباك صبراً بيده يوم بدر ، أم كيف تسبّه وقد سمّاه الله مؤمناً في عشرة آيات من «القرآن» وسمّاك فاسقاً وهو قول الله ﷻ : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوون ﴾[2] وقوله : ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِين ﴾[3] وما أنت وذكر قريش ، وإنّما

---

(١) الكوثر ٣.

(٢) السجدة ١٨.

(٣) الحجرات ٦.

أنت ابن علج من أهل صفورية اسمه : «ذكوان» وأمّا زعمك إنّا قتلنا عثمان فوالله ما استطاع طلحة ، والزبير ، وعائشة أن يقولوا ذلك لعليّ بن أبي طالب فكيف تقوله أنت ؟ ولو سألت أُمّك من أبوك إذ تركت ذكوان فألصقتك بعقبة بن أبي معيط اكتسبت بذلك عند نفسها سناء ورفعة ، مع ما أعدّ الله لك ولأبيك ولأُمّك من العار والخزي في الدّنيا والآخرة ، وما الله بظلّام للعبيد .

ثمّ أنت يا وليد والله أكبر في الميلاد ممّن تدّعي له ، فكيف تسبّ عليّاً ولو اشتغلت بنفسك لتثبت نسبك إلى أبيك لا إلى من تُدّعى له ، ولقد قالت لذلك أُمّك «يا بنيّ أبوك والله ألأم وأخبث من عقبة» .

وأمّا أنت يا عتبة بن أبي سفيان : فوالله ما أنت بحصيف فأجاوبك ، ولا عاقل فأُعاقبك ، وما عندك خير يُرجى ، وماكنت ولو سببت عليّاً لأعير به عليك ، لأنّك عندي لست بكفو لعبد عليّ بن أبي طالب فأردّ عليك ، وأُعاتبك ، ولكنّ الله عزّ وجلّ لك ولأبيك وأُمّك وأخيك لبالمرصاد ، فأنت ذرّيّة آبائك الّذين ذكرهم الله في «القرآن» فقال : ﴿ **عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَى ناراً حَامِيَةً * تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ـ إلى قوله ـ مِن جوع** ﴾[1] .

وأمّا وعيدك إيّاي أن تقتلني ، فهلّا قتلت الّذي وجدته على فراشك مع حليلتك ، وقد غلبك على فرجها وشركك في ولدها حتّى ألصق بك ولداً ليس لك ، ويلاً لك لو شغلت نفسك بطلب ثارك منه كنت جديراً ، ولذلك حريّاً ، إذ تسومني القتل وتوعدني به ، ولا ألومك أن تسبّ عليّاً وقد قتل أخاك مبارزة ، واشترك هو وحمزة بن عبدالمطّلب في قتل جدّك حتّى أصلاهما الله على أيديهما نار جهنّم وأذاقهما العذاب الأليم ، ونفى عمّك بأمر رسول الله .

وأمّا رجائي الخلافة ، فلعمر الله إن رجوتها فإنّ لي فيها لملتمساً ، وما أنت بنظير أخيك ، ولا بخليفة أبيك ، لأنّ أخاك أكثر تمرّداً على الله ، وأشدّ طلباً لإهراقه دماء المسلمين ، وطلب ما ليس له بأهل ، يخادع النّاس ويمكرهم ، ويمكر الله والله خير الماكرين .

وأمّا قولك «إنّ عليّاً كان شرّ قريش لقريش» فوالله ما حقّر مرحوماً ولا قتل مظلوماً .

وأمّا أنت يا مغيرة بن شعبة ! فإنّك لله عدوّ ، ولكتابه نابذ ، ولنبيّه مكذّب ، وأنت الزاني وقد وجب عليك الرّجم ، وشهد عليك العدول البررة الأتقياء ، فأخّر رجمك ، ودفع الحقّ بالأباطيل ،

---

(١) الغاشية ٣ـ٦.

والصدق بالأغاليط[1] ، وذلك لما أعدّ الله لك من العذاب الأليم ، والخزي في الحياة الدّنيا ، ولعذاب الآخرة أخزى ، وأنت الّذي ضربت فاطمة بنت رسول الله ﷺ حتّى أدميتها وألقت ما في بطنها ، استدلالاً منك لرسول الله ﷺ ومخالفة منك لأمره ، وانتهاكاً لحرمته ، وقد قال لها رسول الله ﷺ : «يا فاطمة أنت سيّدة نساء أهل الجنّة» والله مصيرك إلى النّار ، وجاعل وبال ما نطقت به عليك ، فبأيّ الثلاثة سببت عليّاً ؟ أنقصاً في نسبه ؟ أم بعداً من رسول الله ؟ أم سوء بلاء في الإسلام ؟ أم جوراً في حكم ؟ أم رغبة في الدّنيا ؟ إن قلت بها فقد كذبت وكذّبك النّاس ، أتزعم أنّ عليّاً عليه السلام قتل عثمان مظلوماً ؟! فعليّ والله أتقى وأنقى من لائمه في ذلك ، ولعمري لئن كان عليّ قتل عثمان مظلوماً فوالله ما أنت من ذلك في شيء ، فما نصرته حيّاً ولا تعصّبت له ميّتاً ، وما زالت الطائف دارك تتبع البغايا ، وتحيي أمر الجاهليّة ، وتميت الإسلام ، حتّى كان ما كان في أمس .

وأمّا اعتراضك في بني هاشم وبني أُميّة فهو ادّعاءك إلى معاوية .

---

(١) أشار الإمام عليه السلام في كلامه هذا إلى ما اشتهر وفاضت به السّير والتواريخ صراحة أو تلميحاً، من أنّ المغيرة بن شعبة زنا بأمّ جميل حين كان والياً على البصرة من قبل عمر بن الخطّاب، وكتبوا بذلك إلى الخليفة، فكتب إليه وإلى الشهود جميعاً أن يحضروا عنده.

فلمّا قدموا صفّهم، ودعا أبابكرة، فأثبت الشهادة وقال: إنّه رآه يدخل كما يدخل الميل في المكحلة وقال: لكأنّي أنظر إلى أثر الجدري بفخذ المرأة.

ثمّ دعا نافعاً وشبل بن معبد فشهدا بمثل ما شهد به أبوبكرة.

ثمّ دعا زياداً وهو الشاهد الرابع وقال له: إنّي لأرى وجه رجل ما كان الله يخزي رجلاً من المهاجرين بشهادته، أو قال: أمّا إنّي أرى رجلاً أرجو أن لا يرجم رجل من أصحاب رسول الله على يده ولا يخزي بشهادته؛ يوحي بذلك إلى زياد بالعدول عن الشهادة ليدرأ الحد عن المغيرة.

فقال شبل بن معبد ثالث الشهود: أفتجلّد شهود الحق، وتبطل الحد أحب إليك يا عمر؟

فقال عمر ـ لزياد ـ: ما تقول؟

فقال: قد رأيت منظراً قبيحاً، ونفساً عالياً، ولقد رأيته بين فخذي المرأة ولا أدري هل كان خالطها أم لا؟

فقال عمر: الله أكبر.

فقال المغيرة: الله أكبر، الحمد لربّ الفلق، والله لقد كنت علمت أنّي سأخرج عنها سالماً.

فقال له عمر: أُسكت فوالله لقد رأوك بمكان سوء، فقبّح الله مكاناً رأوك فيه، وأمر بجلد الشهود الثلاثة.

فقال نافع: أنت والله يا عمر جلدتنا ظلماً، أنت رددت صاحبنا أن يشهد بمثل شهادتنا، أعلمته هواك، فاتّبعه، ولو كان تقياً لكان رضى الله والحق عنده آثر من رضاك.

فلمّا جلد أبابكرة قام وقال: أشهد لقد زنى المغيرة.

فأراد عمر أن يجلده ثانياً، فقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «إن جلدته رجمت صاحبك».

وأمّا قولك في شأن الإمارة وقول أصحابك في الملك الّذي ملكتموه ، فقد ملك فرعون مصر أربعمائة سنة ، وموسى وهارون نبيّان مرسلان عليهما السلام يلقيان ما يلقيان من الأذى ، وهو ملك الله يعطيه البرّ والفاجر ، وقال الله : ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[1] وقال : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾[2]» .

ثمّ قام الحسن فنفض ثيابه وهو يقول : «﴿ ٱلْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ﴾ هم والله يا معاوية أنت وأصحابك هؤلاء وشيعتك ﴿ وَٱلطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[3] هم عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه وشيعته» .

ثمّ خرج وهو يقول لمعاوية : «ذق وبال ماكسبت يداك وما جنت ، وما قد أعدّ الله لك ولهم من الخزي في الحياة الدّنيا والعذاب الأليم في الآخرة» .

فقال معاوية لأصحابه : وأنت فذوقوا وبال ما جنيتم .

فقال الوليد بن عقبة : والله ما ذقنا إلّا كما ذقت ، ولا اجترأ إلّا عليك .

فقال معاوية : ألم أقل لكم إنّكم لن تنقصوا من الرّجل ، فهلّا أطعتموني أوّل مرّة فانتصرتم من الرّجل إذ فضحكم ، فوالله ما قال حتّى أظلم عَلَيّ البيت ، وهممت أن أسطو به فليس فيكم خير اليوم ولا بعد اليوم .

قال : وسمع مروان الحكم بما لقي معاوية وأصحابه المذكورون من الحسن بن علي عليهما السلام ، فأتاهم فوجدهم عند معاوية في البيت ، فسألهم : ما الّذي بلغني عن الحسن وزعله ؟

قالوا : قدكان كذلك .

فقال لهم مروان : أفلا أحضرتموني ذلك ، فوالله لأسبّنّه ولأسبّنّ أباه وأهل البيت سبّاً تتغنّى به الإماء والعبيد .

فقال معاوية والقوم : لم يفتك شيء ، وهم يعلمون من مروان بذو لسان وفحش .

فلمّا جاء الرسول ، قال له الحسن عليه السلام : «ما يريد هذا الطاغية منّي ؟ والله إن أعاد الكلام لأوقرنّ مسامعه ما يبقى عليه عاره وشناره إلى يوم القيامة» .

---

(١) الأنبياء ١١١.

(٢) الإسراء ١٦.

(٣) النور ٢٦.

فأقبل الحسن ، فلمّا جاءهم وجدهم بالمجلس على حالتهم الّتي تركهم فيها ، غير أنّ مروان قد حضر معهم في هذا الوقت ، فمشى الحسن عليه السلام حتّى جلس على السرير مع معاوية وعمرو بن العاص . ثمّ قال الحسن لمعاوية : «لِمَ أرسلت إليّ» ؟

قال : لست أنا أرسلت إليك ولكن مروان الّذي أرسل إليك .

فقال مروان : أنت حسن السبّاب لرجال قريش ؟

فقال له الحسن : «وما الّذي أردت» ؟

فقال مروان : والله لأسبّنّك وأباك وأهل بيتك سبّاً تتغنّى به الإماء والعبيد .

فقال الحسن عليه السلام : «أمّا أنت يا مروان فلست أنا سببتك ولا سببت أباك ، ولكن الله عزّ وجلّ لعنك ولعن أباك ، وأهل بيتك ، وذرّيّتك ، و ما خرج من صلب أبيك إلى يوم القيامة ، على لسان نبيّه محمّد ، والله يا مروان ما تنكر أنت ولا أحد ممّن حضر هذه اللعنة من رسول الله صلى الله عليه وآله لك ولأبيك من قبلك ، وما زادك الله يا مروان بما خوّفك إلّا طغياناً كبيراً ، وصدق الله وصدق رسوله ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً ﴾[1] وأنت يا مروان وذرّيّتك الشجرة الملعونة في «القرآن» ، وذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن الله عزّ وجلّ» .

فوثب معاوية فوضع يده على فم الحسن وقال : يا أبامحمّد ماكنت فحّاشاً ولا طيّاشاً .

فنفض الحسن عليه السلام ثوبه ، وقام فخرج ، فتفرّق القوم عن المجلس بغيظ ، وحزن ، وسواد الوجوه في الدّنيا والآخرة .

مفاخرة الحسن بن علي ـ صلوات الله عليهما ـ على معاوية ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة والوليد بن عقبة وعتبة بن أبي سفيان

قيل : وفد الحسن بن علي عليهما السلام على معاوية ، فحضر مجلسه ، وإذا عنده هؤلاء القوم ، ففخر كلّ منهم على بني‌هاشم ، ووضعوا منهم ، وذكروا أشياء ساءت الحسن بن علي وبلغت منه .

فقال الحسن بن علي عليهما السلام : «أنا شعبة من خير الشعب ، وآبائي أكرم العرب ، لنا الفخر والنسب ، والسماحة عند الحسب ، ونحن من خير شجرة ، أنبتت فروعاً نامية ، وأثماراً زاكية ، وأبداناً قائمة ، فيها أصل الإسلام ، وعلم النبوّة ، فعلونا حين شمخ بنا الفخر ، واستطلنا حين امتنع

---

(١) الإسراء ٦٠.

بنا العز ، ونحن بحور زاخرة لا تنزف ، وجبال شامخة لا تقهر» .

فقال مروان بن الحكم : مدحت نفسك ، وشمخت بأنفك ، هيهات هيهات يا حسن ، نحن والله الملوك والسادة ، والأعزّة القادة ، لا تبجحنّ فليس لك عزّ مثل عزّنا ، ولا فخر كفخرنا ، ثمّ أنشأ يقول :

شفينا أنفساً طابت وقوراً ... فنالت عزّها فيمن يلينا

فابنا بالغنيمة حيث أبنا ... وابنا بالملوك مقرّنينا

ثمّ تكلّم مغيرة بن شعبة فقال : نصحت لأبيك فلم يقبل النصح ، ولولا كراهيّة قطع القرابة لكنت في جملة أهل الشام ، فكان يعلم أبوك إنّي أصدر الوراد عن مناهلها ، بزعارة قيس ، وحلم ثقيف ، وتجاربها للأمور على القبائل .

فتكلّم الحسن عليه السلام فقال : «يا مروان أجُبْنا ، وخوراً ، وضعفاً ، وعجزاً ، زعم أنّي مدحت نفسي ، وأنا ابن رسول الله ، وشمخت بأنفي ، وأنا سيّد شباب أهل الجنّة ، وإنّما يبذخ ويتكبّر ويلك من يريد رفع نفسه ، ويتبجح من يريد الإستطالة ، فأمّا نحن فأهل بيت الرحمة ، ومعدن الكرامة ، وموضع الخيرة ، وكنز الإيمان ، ورمح الإسلام ، وسيف الدين ، ألا تصمت ثكلتك اُمّك قبل أن أرميك بالهوائل ، وأسمك بميسم تستغني به عن إسمك ، فأمّا إيابك بالنهاب والملوك أفي اليوم الّذي ولّيت فيه مهزوماً وانجحرت مذعوراً ، فكانت غنيمتك هزيمتك ، وغدرك بطلحة حين غدرت به فقتلته ، قبحاً لك ما أغلظ جلدة وجهك» .

فنكّس مروان رأسه ، وبقي مغيرة مبهوتاً ، فالتفت إليه الحسن عليه السلام فقال : «أعور ثقيف ما أنت من قريش فاُفاخرك ، أجهلتني يا ويحك ؟! أنا ابن خيرة الإماء ، وسيّدة النساء ، غذّانا رسول الله صلى الله عليه وآله بعلم الله تبارك وتعالى ، فعلّمنا تأويل «القرآن» ، ومشكلات الأحكام ، لنا العزّة العليا ، والفخر والسناء ، وأنت من قوم لم يثبت لهم في الجاهليّة نسب ، ولا لهم في الإسلام نصيب ، عبد آبق ، ماله والإفتخار عند مصادمة الليوث ، ومجاحشة الأقران ، نحن السادة ، ونحن المذاويد القادة ، نحمي الذمار ، وننفي عن ساحتنا العار ، وأنا ابن نجيبات الأبكار ، ثمّ أشرت زعمت إلى خير وصيّ خير الأنبياء ، وكان هو بعجزك أبصر ، وبجورك أعلم ، وكنت للردّ عليك منه أهلاً لو عزّك في صدرك ، وبدو الغدر في عينك ، هيهات لم يكن ليتّخذ المضلّين عضداً ، وزعمك أنّك لو كنت بصفّين بزعارة قيس ، وحلم ثقيف ، فبماذا ثكلتك اُمّك ؟ أبعجزك عند المقامات ، وفرارك

عند المجاشات ؟ أما والله لو التفت عليك من أميرالمؤمنين الأجاشع ، لعلمت أنّه لا يمنعه منك الموانع ، ولقامت عليك المرنّات الهوالع .

وأمّا زعارة قيس : فما أنت وقيساً ؟ إنّما أنت عبد آبق فثقف فسمّي ثقيفاً ، فاحتل لنفسك من غيرها ، فلست من رجالها ، أنت بمعالجة الشرك وموالج الزرائب أعرف منك بالحروب .

فأمّا الحلم فأيّ الحلم عند العبيد القيون ؟ ثمّ تمنّيت لقاء أميرالمؤمنين عليه السلام فذاك من قد عرفت : أسد باسل ، وسمّ قاتل ، لا تقاومه الأبالسة ، عند الطعن والمخالسة ، فكيف ترومه الضبعان ، وتناله الجعلان ، بمشيّتها القهقري .

وأمّا وصلتك فمنكورة ، وقربتك فمجهولة ، وما رحمك منه إلّاكبنات الماء من خشفان الظباء ، بل أنت أبعد منه نسباً» .

فوثب المغيرة والحسن يقول لمعاوية : «أعذرنا من بني أُميّة أن تجاوزنا بعد مناطقة القيون ، ومفاخرة العبيد» .

فقال معاوية : إرجع يا مغيرة ، هؤلاء بنو عبدمناف ، لا تقاومهم الصناديد ، ولا تفاخرهم المذاويد .

ثمّ أقسم على الحسن عليه السلام بالسكوت فسكت .

وروي أنّ عمرو بن العاص قال لمعاوية : إبعث إلى الحسن بن علي فمره أن يصعد المنبر ويخطب النّاس ، فلعلّه أن يحصر فيكون ذلك ممّا نعيره به في كلّ محفل .

فبعث إليه معاوية فأصعده المنبر ، وقد جمع له النّاس ، ورؤساء أهل الشام ، فحمد الله الحسن صلوات الله عليه وأثنى عليه ، ثمّ قال : «أيّها النّاس من عرفني فأنا الّذي يعرف ، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب ، ابن عمّ نبيّ الله ، أوّل المسلمين إسلاماً ، وأُمّي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وجدّي محمّد بن عبدالله نبيّ الرّحمة ، أنا ابن البشير ، أنا ابن النذير ، أنا ابن السراج المنير ، أنا ابن من بعث رحمة للعالمين ، أنا ابن من بعث إلى الجنّ والإنس أجمعين» .

فقطع عليه معاوية فقال : يا أبا محمّد خلّنا من هذا وحدّثنا في نعت الرّطب ، أراد بذلك تخجيله .

فقال الحسن عليه السلام : «نعم التمر ؛ الريح تنفخه ، والحر ينضجه ، والليل يبرده ويطيّبه» .

ثمّ أقبل الحسن عليه السلام فرجع في كلامه الأوّل فقال : «أنا ابن مستجاب الدعوة ، أنا ابن الشفيع المطاع ، أنا ابن أوّل من ينفض عن رأسه التراب ، أنا ابن من يقرع باب الجنّة فيفتح له فيدخلها ، أنا

ابن من قاتل معه الملائكة ، وأحلّ له المغنم ، ونصر بالرّعب من مسيرة شهر» .

فأكثر في هذا النوع من الكلام ، ولم يزل به حتّى اظلمّت الدّنيا على معاوية ، وعرف الحسن من لم يكن عرفه من أهل الشام وغيرهم ، ثمّ نزل ، فقال له معاوية : أمّا إنّك يا حسن قدكنت ترجو أن تكون خليفة ولست هناك .

فقال الحسن عليه السلام : «أمّا الخليفة فمن سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعمل بطاعة الله عزّ وجلّ ، وليس الخليفة من سار بالجور ، وعطّل السنن ، واتّخذ الدّنيا أمّاً وأباً ، وعباد الله خولاً ، وماله دولاً ، ولكن ذلك أمر ملك أصاب ملكاً فتمتّع منه قليلاً ، وكان قد انقطع عنه ، فأتخم لذّته وبقيت عليه تبعته ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ ﴿ مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾[1] وأومى بيده إلى معاوية ، ثمّ قام فانصرف .

فقال معاوية لعمرو : والله ما أردت إلّا شيني حين أمرتني بما أمرتني ، والله ماكان يرى أهل الشام أنّ أحداً مثلي في حسب ولا غيره ، حتّى قال الحسن ما قال .

قال عمرو : وهذا شيء لا يستطاع دفنه ، ولا تغييره ، لشهرته في النّاس ، واتّضاحه .

فسكت معاوية .

وروى الشّعبي أنّ معاوية قدم المدينة فقام خطيباً فقال : أين عليّ بن أبي طالب ؟

فقام الحسن بن علي فخطب وحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : «إنّه لم يبعث نبيّ إلّا جعل له وصيّ من أهل بيته ، ولم يكن نبيّ إلّا وله عدوّ من المجرمين ، وإنّ عليّاً عليه السلام كان وصيّ رسول الله من بعده ، وأنا ابن علي ، وأنت ابن صخر ، وجدّك حرب ، وجدّي رسول الله ، وأمّك هند ، وأمّي فاطمة ، وجدّتي خديجة وجدّتك نثيلة ، فلعن الله ألأمنا حسباً ، وأقدمنا كفراً ، وأخملنا ذكراً ، وأشدّنا نفاقاً» .

فقال عامّة أهل المجلس : آمين .

فنزل معاوية فقطع خطبته .

وروي أنّه لمّا قدم معاوية الكوفة قيل له : إنّ الحسن بن علي مرتفع في أنفس النّاس ، فلو أمرته أن يقوم دون مقامك على المنبر فتدركه الحداثة والعي فيسقط من أنفس النّاس وأعينهم ، فأبى

---

(١) الشعراء ٢٠٥ـ٢٠٧.

عليهم وأبوا عليه إلّا أن يأمره بذلك ؛ فأمره ، فقام دون مقامه في المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : «أمّا بعد أيّها النّاس فإنّكم لو طلبتم ما بين كذا وكذا لتجدوا رجلاً جدّه نبيّ لم تجدوا غيري وغير أخي ، وإنّا أعطينا صفقتنا هذا الطاغية ـ وأشار بيده إلى أعلى المنبر إلى معاوية ـ وهو في مقام رسول الله صلى الله عليه وآله من المنبر ، ورأينا حقن دماء المسلمين أفضل من إهراقها ، ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ ـ وأشار بيده إلى معاوية ـ» .

فقال له معاوية : ما أردت بقولك هذا ؟

فقال : «ما أردت به إلّا ما أراد الله عزّ وجلّ» .

فقام معاوية فخطب خطبة عيية فاحشة ، فسبّ فيها أمير المؤمنين عليه الصّلاة والسّلام .

فقام إليه الحسن بن علي عليهما السلام فقال له ـ وهو على المنبر ـ : «ويلك يابن آكلة الأكباد أَوَأنت تسبّ أمير المؤمنين عليه السلام وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «من سبّ عليّاً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله ومن سبّ الله أدخله الله نار جهنّم خالداً فيها مخلّداً وله عذابٌ مقيم» ؟

ثمّ انحدر الحسن عليه السلام عن المنبر ودخل داره ، ولم يصلّ هناك بعد ذلك أبداً .

تمّ الجزء الأول من كتاب الإحتجاج بحمد الله ومنّه ويتلوه بمنّ الله وعونه الجزء الثاني

المحتويات

الاحتجاج

تأليف

الحبر أبي منصور أحمد بن علي بن أبي

طالب الطبرسي

من علماء القرن السادس

منشورات الشريف الرضي















تأليف:

العلامة الخبير أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي

من علماء القرن السادس

انتشارات الشريف الرضي

احتجاج الحسن بن علي عليهما السلام على معاوية في الإمامة
من يستحقها ومن لا يستحقها بعد مضي النبي

وقد جرى قبل ذلك إيراد كثير من الحجج لعبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، وعبدالله بن عبّاس ، وغيرهما ، على معاوية في الإمامة وغيرها ، بمحضر من الحسن عليه السلام ، والفضل بن عبّاس ، وغيرهما .

روى سليم بن قيس قال : سمعت عبدالله بن جعفر بن أبي طالب قال : قال لي معاوية : ما أشدّ تعظيمك للحسن والحسين ، ما هما بخير منك ، ولا أبوهما بخير من أبيك ، ولولا أنّ فاطمة بنت رسول الله لقلت : ما اُمّك أسماء بنت عميس بدونها .

قال : فغضبت من مقالته ، وأخذني ما لا أملك ، فقلت : أنت لقليل المعرفة بهما ، وبأبيهما ، واُمّهما ، بلى والله إنّهما خير منّي ، وأبوهما خير من أبي ، واُمّهما خير من اُمّي ، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيهما وفي أبيهما وأنا غلام فحفظته منه ورعيته .

فقال معاوية ـ وليس في المجلس غير الحسن والحسين عليهما السلام ، وابن جعفر عليه السلام ، وابن عبّاس ، وأخيه الفضل ـ : هات ما سمعت ! فوالله ما أنت بكذّاب .

فقال : إنّه أعظم ممّا في نفسك .

قال : وإن كان أعظم من اُحد وحرى ، فآته ! ما لم يكن أحدٌ من أهل الشام ، أمّا إذا قتل الله طاغيتكم ، وفرّق جمعكم ، وصار الأمر في أهله ومعدنه ، فما نبالي ما قلتم ، ولا يضرّنا ما ادّعيتم .

قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن كنت أولى به من نفسه فأنت يا أخي أولى به من نفسه» وعليٌّ بين يديه في البيت ، والحسن ، والحسين ، وعمرو بن اُم سلمة ، واُسامة بن زيد ، وفي البيت فاطمة عليها السلام واُم أيمن ، وأبوذر ، والمقداد ، والزبير بن العوام ، وضرب رسول الله صلى الله عليه وآله على عضده وأعاد ما قال فيه ثلاثاً ، ثمّ نصّ بالإمامة على الأئمّة الإثنى عشر عليهم السلام .

ثمّ قال صلوات الله عليه : «لأُمّتي اثنا عشر إمام ضلالة ،كلّهم ضالّ مضلّ ؛ عشرة من بني أُميّة ، ورجلان من قريش ، وزر جميع الإثنا عشر وما أضلّوا في أعناقهما ، ثمّ سمّاهما رسول الله ﷺ وسمّى العشرة منهما» .

قال : فسمّهم لنا .

قال : فلان و فلان ، و صاحب السلسلة وابنه من آل أبي سفيان ، وسبعة من ولد الحكم بن أبي العاص ، أوّلهم مروان .

قال معاوية : لئن كان ما قلت حقّاً هلكت ، وهلكت الثلاثة قبلي ، وجميع من تولاّهم من هذه الأُمّة ، ولقد هلك أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار والتابعين ، من غيركم وأهل البيت وشيعتكم .

قال ابن جعفر : فإنّ الّذي قلت والله حقٌّ سمعته من رسول الله ﷺ .

قال معاوية ـ للحسن والحسين وابن عبّاس ـ : ما يقول ابن جعفر ؟

قال ابن عبّاس : ومعاوية بالمدينة أوّل سنة اجتمع عليه النّاس بعد قتل عليٍّ ؑ أرسل إلى الّذي سُمّي ، فأرسل إلى عمرو بن أُم سلمة وأُسامة ، فشهدوا جميعاً أنّ الّذي قال ابن جعفر حقٌّ ، قد سمعوا من رسول الله ﷺ كما سمعه .

ثمّ أقبل معاوية إلى الحسن ، والحسين ، وابن عبّاس ، والفضل ، وابن أُم سلمة ، وأُسامة ، قال : كلّكم على ما قال ابن جعفر ؟

قالوا : نعم .

قال معاوية : فإنّكم يا بني عبدالمطّلب لتدّعون أمراً ، وتحتجّون بحجّة قويّة إن كانت حقّاً ، وإنّكم لتبصرون على أمر وتسترونه والنّاس في غفلة وعمى ، ولئن ماكان تقولون حقّاً لقد هلكت الأُمّة ، ورجعت عن دينها ، وكفرت بربّها ، وجحدت نبيّها ، إلاّ أنتم أهل البيت ومن قال بقولكم ، وأولئك قليل في النّاس .

فأقبل ابن عبّاس على معاوية فقال : قال الله تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشكور ﴾[1] وقال : ﴿ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ﴾[2] . وما تعجب منّي يا معاوية أعجب من بني إسرائيل : إنّ السحرة قالوا لفرعون

---

(١) سبأ ١٣.

(٢) ص ٢٤.

«اقض ما أنت قاض» فآمنوا بموسى وصدّقوه ، ثمّ سار بهم ومن اتّبعهم من بني إسرائيل فأقطعهم البحر ، وأراهم العجائب ، وهم مصدّقون بموسى وبالتوراة ، يقرّون له بدينه ، ثمّ مرّوا بأصنام تعبد فقالوا : «يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنّكم قوم تجهلون» وعكفوا على العجل جميعاً غير هارون فقالوا : «هذا إلهكم وإله موسى» ، وقال لهم موسى ـ بعد ذلك ـ : «اُدخلوا الأرض المقدّسة» فكان من جوابهم ما قصّ الله عزّ وجلّ عليهم : قال موسى : ﴿ رَبِّ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَاسِقِينَ ﴾[1] ؛ فما اتّباع هذه الاُمّة رجالاً سوّدوهم وأطاعوهم ، لهم سوابق مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومنازل قريبة منها ، وأصهاره مقرّين بدين محمّد صلى الله عليه وآله وبالقرآن ، حملهم الكبر والحسد أن خالفوا إمامهم ووليّهم ، بأعجب من قوم صاغوا من حليّهم عجلاً ثمّ عكفوا عليه يعبدونه ، ويسجدون له ، ويزعمون أنّه ربّ العالمين ، واجتمعوا على ذلك كلّهم غير هارون وحده ، وقد بقي مع صاحبنا الّذي هو من نبيّنا بمنزلة هارون من موسى ، من أهل بيته ناس : سلمان ، وأبوذر ، والمقداد ، والزبير ، ثمّ رجع الزبير وثبت هؤلاء الثلاثة مع إمامهم حتّى لقوا الله .

وتعجب يا معاوية أن سمّى الله من الأئمّة واحداً بعد واحد ، وقد نصّ عليهم رسول الله بغدير خم وفي غير موطن ، واحتجّ بهم عليهم ، وأمرهم بطاعتهم ، وأخبر أنّ أوّلهم عليّ بن أبي طالب وليّ كلّ مؤمن ومؤمنة من بعده ، وأنّه خليفته فيهم ووصيّه ، وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله جيشاً يوم مؤتة فقال : «عليكم بجعفر ، فإن هلك فزيد ، فإن هلك فعبدالله بن رواحة» ؛ فقتلوا جميعاً ، أفترى يترك الاُمّة ولم يبيّن لهم من الخليفة بعده ، ليختاروا هم لأنفسهم خليفة ، كأن رأيهم لأنفسهم أهدى لهم وارشد من رأيه واختياره ، وما ركب القوم ما ركبوا إلّا بعد ما بيّنه ، وما تركهم رسول الله صلى الله عليه وآله في عمى ولا شبهة .

فأمّا ما قال الرهط الأربعة الّذين تظاهروا على عليّ عليه السلام وكذبوا على رسول الله ، وزعموا أنّه قال : إنّ الله لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النبوّة والخلافة ، فقد شبّهوا على النّاس بشهادتهم ، وكذبهم ، ومكرهم .

قال معاوية : ما تقول يا حسن ؟

قال : «يا معاوية قد سمعت ما قلت ، وما قال ابن عبّاس ، العجب منك يا معاوية ، ومن قلّة حيائك ، و من جرأتك على الله حين قلت : «قد قتل الله طاغيتكم ، وردّ الأمر إلى معدنه» فأنت يا

---

(١) المائدة ٢٥.

معاوية معدن الخلافة دوننا ، ويل لك يا معاوية وللثلاثة قبلك الّذين أجلسوك هذا المجلس ، وسنّوا لك هذه السنّة ، لأقولنّ كلاماً ما أنت أهله ، ولكنّي أقول ليسمعه بنو أبي هؤلاء حولي : إنّ النّاس قد اجتمعوا على أُمور كثيرة ليس بينهم اختلاف فيها ، ولا تنازع ولا فرقة ، على : شهادة أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمّداً رسول الله عبده ، والصلوات الخمس ، والزكاة المفروضة ، وصوم شهر رمضان ، وحجّ البيت ، ثمّ أشياء كثيرة من طاعة الله لا يحصى ولا يعدّها إلّا الله ، واجتمعوا على تحريم الزنا ، والسرقة ، والكذب ، والقطيعة ، والخيانة ، وأشياء كثيرة من معاصي الله لا يحصى ولا يعدّها إلّا الله ، واختلفوا في سنن اقتتلوا فيها ، وصاروا فرقاً يلعن بعضهم بعضاً ، وهي : «الولاية» ، ويتبرّأ بعضهم عن بعض ، ويقتل بعضهم بعضاً ، أيّهم أحقّ وأولى بها ، إلّا فرقة تتبع كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله ، فمن أخذ بما عليه أهل القبلة الّذي ليس فيه اختلاف ، وردّ علم ما اختلفوا فيه إلى الله ، سلم ونجا به من النّار ، ودخل الجنّة ، ومن وفّقه الله ومَنّ عليه واحتجّ عليه بأن نوّر قلبه بمعرفة ولاة الأمر من أئمّتهم ومعدن العلم أين هو ، فهو عند الله سعيد ، ولله وليّ ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «رحم الله امرئ علم حقّاً فقال ، أو سكت فسلم» .

نحن نقول أهل البيت أنّ الأئمّة منّا ، وأنّ الخلافة لا تصلح إلّا فينا ، وأنّ الله جعلنا أهلها في كتابه وسنّة نبيّه ، وأنّ العلم فينا ونحن أهله ، وهو عندنا مجموع كلّه بحذافيره ، وأنّه لا يحدث شيء إلى يوم القيامة حتّى أرش الخدش إلّا وهو عندنا مكتوب بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وبخطّ عليّ عليه السلام بيده ، وزعم قوم أنّهم أولى بذلك منّا حتّى أنت يابن هند تدّعي ذلك ، وتزعم أنّ عمر أرسل إلى أبي أنّي أُريد أن أكتب «القرآن» في مصحف فابعث إليّ بما كتبت من «القرآن» ، فأتاه فقال : تضرب والله عنقي قبل أن يصل إليك .

قال : ولم ؟

قال : لأنّ الله تعالى قال : ﴿ والرَّاسِخُونَ فِي العلم ﴾[1] إيّاي عنى ، ولم يعنك ولا أصحابك .

فغضب عمر ثمّ قال : يابن أبي طالب تحسب أنّ أحداً ليس عنده علم غيرك ، من كان يقرأ من «القرآن» شيئاً فليأتني به ، إذا جاء رجل فقرأ شيئاً معه يوافقه فيه آخر كتبه وإلّا لم يكتبه .

ثمّ قالوا : قد صاغ منه «قرآن» كثير ، بل كذبوا والله بل هو مجموع محفوظ عند أهله ، ثمّ أمر عمر قضاته وولاته : اجتهدوا آرائكم واقضوا بما ترون أنّه الحقّ ، فلا يزال هو وبعض ولاته قد

---

(١) آل عمران ٧.

وقعوا في عظيمة ، فيخرجهم منها أبي ليحتجّ عليهم بها ، فتجمع القضاة عند خليفتهم وقد حكموا في شيء واحد بقضايا مختلفة فأجازها لهم ، لأنّ الله تعالى لم يؤته الحكمة وفصل الخطاب ، وزعم كلّ صنف من مخالفينا من أهل هذه القبلة أنّهم معدن الخلافة والعلم دوننا ، فنستعين بالله على من ظلمنا وجحدنا حقّنا ، وركب رقابنا ، وسنّ للنّاس علينا ما يحتجّ به مثلك ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

إنّما النّاس ثلاثة : **مؤمن** يعرف حقّنا ويسلّم لنا ويأتم بنا فذلك ناج محبّ لله ولي ، **وناصب** لنا العداوة يتبرّأ منّا ، ويلعننا ، ويستحلّ دمائنا ، ويجحد حقّنا ، ويدين الله بالبرائة منّا ، فهذا كافر مشرك ، وإنّما كفر وأشرك من حيث لا يعلم كما يسبّوا الله عدواً بغير علم ، كذلك يشرك بالله بغير علم ، **ورجل** آخذ بما لا يختلف فيه ، وردّ علم ما أشكل عليه إلى الله ، مع ولايتنا ، ولا يأتم بنا ، ولا يعادينا ، ولا يعرف حقّنا ، فنحن نرجو أن يغفر الله له ، ويدخله الجنّة ، فهذا مسلم ضعيف» .

فلمّا سمع معاوية أمر لكلّ منهم بمائة ألف درهم ، غير الحسن والحسين وابن جعفر فإنّه أمر لكلّ واحد منهم بألف ألف درهم .

احتجاجه عليه السلام على من أنكر عليه مصالحة معاوية ونسبه إلى التقصير في طلب حقّه

عن سليم بن قيس قال : قام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام على المنبر حين اجتمع مع معاوية ، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : «أيها النّاس إنّ معاوية زعم أنّي رأيته للخلافة أهلاً ولم أر نفسي لها أهلاً ، وكذب معاوية ، أنا أولى النّاس بالنّاس في كتاب الله وعلى لسان نبيّ الله ، فأُقسم بالله لو أنّ النّاس بايعوني وأطاعوني ونصروني ، لأعطتهم السماء قطرها ، والأرض بركتها ، ولما طمعتم فيها يا معاوية ، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «ما ولّت أُمّة امرها رجلاً قط وفيهم من هو أعلم منه إلّا لم يزل أمرهم يذهب سفالاً حتّى يرجعوا إلى ملّة عبدة العجل» .

وقد ترك بنو إسرائيل هارون واعتكفوا على العجل وهم يعلمون أنّ هارون خليفة موسى ، وقد تركت الأُمّة عليّاً وقد سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي : «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير النبوّة فلا نبيّ بعدي» وقد هرب رسول الله صلى الله عليه وآله من قومه وهو يدعوهم إلى الله حتّى فرّ إلى الغار ، ولو وجد عليهم أعواناً ما هرب منهم ، ولو وجدت أنا أعواناً ما بايعتك يا معاوية .

وقد جعل الله هارون في سعة حين استضعفوه وكادوا يقتلونه ، ولم يجد عليهم أعواناً ، وقد جعل

الله النبيّ في سعة حين فرّ من قومه لمّا لم يجد أعواناً عليهم ،كذلك أنا وأبي في سعة من الله حين تركنا الأُمّة وبايعت غيرنا ولم نجد أعواناً ، وإنّما هي السنن والأمثال يتبع بعضها بعضاً .

أيّها النّاس إنّكم لو التمستم فيما بين المشرق والمغرب لم تجدوا رجلاً من ولد النّبيّ غيري وغير أخي» .

وعن حنان بن سدير[1] عن أبيه سدير[2] عن أبيه[3] عن أبي سعيد عقيصي[4] قال : لمّا صالح الحسن بن عليّ بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان دخل عليه النّاس فلامه بعضهم على بيعته ، فقال عليه السلام : «ويحكم ما تدرون ما عملت ، والله للّذي عملت لشيعتي خير ممّا طلعت عليه الشّمس أو غربت ، ألا تعلمون أنّي إمامكم ، ومفترض الطاعة عليكم ، وأحد سيّدي شباب أهل الجنّة بنصّ من رسول الله عَلَيّ» ؟

قالوا : بلى .

قال : «أما علمتم أنّ الخضر لمّا خرق السفينة ، وأقام الجدار ، وقتل الغلام ،كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران عليه السلام إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك ، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصواباً ؟ أما علمتم أنّه ما منّا أحد إلّا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلّا القائم الّذي يصلّي خلفه روح الله عيسى بن مريم عليه السلام ، فإنّ الله عزّ وجلّ يخفي ولادته ويغيّب شخصه لئلّا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج ، ذاك التاسع من ولد أخي الحسين ، ابن سيّدة الإماء ، يطيل الله عمره في غيبته ، ثمّ

---

(١) ذكره النجاشي في رجاله ص١٢ فقال : «حنان بن سدير بن حكيم بن صهيب أبوالفضل الصيرفي الكوفي ، روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام ، له كتاب في صفة الجنّة والنّار» ، وعدّه الشيخ في أصحاب الكاظم عليه السلام في رجاله ص٣٤٦ وقال : «حنان بن سدير الصيرفي واقفي» وفي الفهرست قال : «له كتاب ، وهو ثقة ، رحمه الله» وفي رجال الكشّي ص٤٦٥ : «حنان بن سدير واقفي ، أدرك أباعبدالله ولم يدرك أباجعفر ، وكان يرتضي به سديداً» .

(٢) ذكر العلّامة في القسم الأوّل من الخلاصة من ٨٥ والشيخ في رجاله ص٩١ وعدّه من أصحاب عليّ بن الحسين عليهما السلام وص١٢٥ من أصحاب الباقر عليه السلام وص٢١٩ من أصحاب الصادق عليه السلام وقال : «سدير بن حكيم كوفي يكنّى أباالفضل والد حنان» وذكر الكشّي ص١٨٣ عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ذكر عنده سدير فقال : «سدير عصيدة بكلّ لون» .

(٣) عدّه الشيخ في رجاله ص٨٨ من أصحاب عليّ بن الحسين عليهما السلام .

(٤) ذكره العلّامة في القسم الأوّل من خلاصته ص١٩٣ في أولياء عليّ عليه السلام فقال : وأبو سعيد عقيصان ـ بفتح العين المهملة ، والقاف قبل الياء المنقّطة تحتها نقطتين ، والصاد المهملة والنون بعد الألف ـ من بني تيم الله بن ثعلبة . وذكره الشيخ في رجاله ص ٤٠ فعدّه من أصحاب عليّ عليه السلام وقال : دينار يكنّى أباسعيد ، ولقّبه عقيصا ، وإنّما لقب بذلك لشعر قاله ، وذكره أيضاً ص٩٦ في أصحاب الحسين عليه السلام .

يظهره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة ، ذلك ليعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير» .

عن زيد بن وهب الجهني[1] قال : لمّا طعن الحسن بن علي عليه السلام بالمدائن ، أتيته وهو متوجّع ، فقلت : ما ترى يابن رسول الله فإنّ النّاس متحيّرون ؟

فقال : «أرى والله أنّ معاوية خير لي من هؤلاء يزعمون أنّهم لي شيعة ، ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقلي ، وأخذوا مالي ، والله لئن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي ، وأُومن به في أهلي ، خير من أن يقتلوني فتضيع أهل بيتي وأهلي ، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتّى يدفعوني إليه سلماً ، والله لئن أُسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير ، أو يمنّ عَلَيّ فيكون سنّة على بني هاشم آخر الدّهر ولمعاوية لا يزال يمنّ بها وعقبه على الحيّ منّا والميّت» .

(قال :) قلت : تترك يابن رسول الله شيعتك كالغنم ليس لها راع ؟

قال : «وما أصنع يا أخا جهينة ؟ إنّي والله أعلم بأمر قد أدّى به إليّ ثقاته أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قال لي ـ ذات يوم وقد رآني فرحاً ـ : يا حسن أتفرح ؟ كيف بك إذا رأيت أباك قتيلاً ؟ كيف بك إذا ولي هذا الأمر بنو أُميّة وأميرها الرحب البلعوم[2] ، والواسع الإعفجاج[3] ، يأكل ولا يشبع ، يموت وليس له في السماء ناصر ولا في الأرض عاذر ، ثمّ يستولي على غربها وشرقها ، يدين له العباد ، ويطول ملكه ، يستنّ بسنن أهل البدع والضلال ، ويميت الحقّ وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يقسّم المال في أهل ولايته ، ويمنعه من هو أحقّ به ، ويذلّ في ملكه المؤمن ، ويقوي في سلطانه الفاسق ، ويجعل المال بين أنصاره دولاً ، ويتّخذ عباد الله خولاً ، يدرس في سلطانه الحق ، ويظهر الباطل ، ويقتل من ناواه على الحق ، ويدين من لاواه على الباطل ، فكذلك حتّى يبعث الله رجلاً في آخر الزّمان ، وكلب من الدّهر[4] ، وجهل من النّاس ، يؤيّده الله بملائكته ، ويعصم أنصاره ، وينصره بآياته ، ويظهره على أهل الأرض حتّى يدينوا طوعاً وكرهاً ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، ونوراً

---

(١) ذكره العلّامة رحمه الله في أولياء عليّ عليه السلام في القسم الأوّل من خلاصته ص١٩٤ ، والشيخ في رجاله ص٤٢ في أصحابه عليّ عليه السلام ، وفي الفهرست ص٩٧ فقال : «زيد بن وهب له كتاب «خطب أميرالمؤمنين عليه السلام على المنابر في الجمع والأعياد وغيرها» ، وفي أُسد الغابة ٢٤٣ ج٢ أنّه كان في جيش عليّ عليه السلام حين مسيره إلى النهروان ، وقال ابن عبدالبر في هامش الإصابة ص٥٤٤ ج١ : إنّه ثقة ، توفي سنة (٩٦).

(٢) البُلعوم ـ بالضم ـ مجرىٰ الطعام في الحلق وهو المريء .

(٣) أي واسع الكرش والأمعاء .

(٤) الكلب : شبيه بالجنون .

وبرهاناً ، يدين له عرض البلاد وطولها ، لا يبقى كافر إلّا آمن به ، ولا طالح إلّا صلح ، ويصطلح في ملكه السباع ، وتخرج الأرض نبتها ، وتنزل السماء بركتها ، وتظهر له الكنوز ، يملك ما بين الخافقين أربعين عاماً ، فطوبى لمن أدرك أيّامه ، وسمع كلامه» .

وعن الأعمش[١] عن سالم بن أبي الجعد[٢] قال : حدّثني رجل منّا قال : أتيت الحسن بن عليّ عليه السلام فقلت : يابن رسول الله أذللت رقابنا ، وجعلتنا معشر الشيعة عبيداً ، ما بقي معك رجل .

قال : «وممّ ذاك» ؟

قال : قلت : بتسليمك الأمر لهذا الطاغية .

قال : «والله ما سلّمت الأمر إليه إلّا أنّي لم أجد أنصاراً ، ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتّى يحكم الله بيني وبينه ، ولكنّي عرفت أهل الكوفة ، وبلوتهم ، ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً ، إنّهم لا وفاء لهم ، ولا ذمّة في قول ولا فعل ، إنّهم لمختلفون ، ويقولون لنا أنّ قلوبهم معنا ، وإنّ سيوفهم لمشهورة علينا» .

قال : وهو يكلّمني إذ تنخّع الدم ، فدعا بطست فحمل من بين يديه ملئ ممّا خرج من جوفه من الدّم .

فقلت له : ما هذا يابن رسول الله إنّي لأراك وجعاً ؟

قال : «أجل دسّ إليّ هذا الطاغية من سقاني سمّاً ، فقد وقع على كبدي وهو يخرج قطعاً كما ترى» .

قلت : أفلا تتداوى ؟

قال : قد سقاني مرّتين وهذه الثالثة لا أجد لها دواء ، ولقد رُقي إليّ : أنّه كتب إلى ملك الرّوم يسأله أن يوجّه إليه من السمّ القتّال شربة ، فكتب إليه ملك الرّوم : إنّه لا يصلح لنا في ديننا أن نعين على قتال من لا يقاتلنا ، فكتب إليه أنّ هذا ابن الرّجل الّذي خرج بأرض تهامة ، وقد خرج يطلب

---

(١) الأعمش : أبو محمّد سليمان بن مهران الأسدي ، مولاهم الكوفي ، معروف بالفضل والثقة ، والجلالة ، والتشيّع والإستقامة ، والعامة أيضاً يثنون عليه ، مطبقون على فضله وثقلته ، مقرّون بجلالته ، مع اعترافهم بتشيّعه ، وقرنوه بالزهري ، ونقلوا منه نوادر كثيرة ، بل صنّف ابن طولون الشامي كتاباً في نوادره سمّاه : «الزهر الأنعش في نوادر الأعمش» ، مات سنة ١٤٨ . [راجع الكنى والألقاب ٣٩/٢ ، رجال الشيخ ٢٠٦]

(٢) عدّه الشيخ ص٤٣ من رجاله في أصحاب عليّ عليه السلام ، وص٩١ في أصحاب عليّ بن الحسين عليهما السلام ، فقال : «سالم بن أبي الجعد الأشجعي مولاهم الكوفي يكنّى أبا أسماء» وذكره العلامة في القسم الأوّل من خلاصته ص١٩٣ في أولياء عليّ عليه السلام .

ملك أبيه ، وأنا أُريد أن أدسّ إليه من يسقيه ذلك ، فأُريع العباد والبلاد منه ، ووجّه إليه بهدايا وألطاف ، فوجّه إليه ملك الرّوم بهذه الشربة الّتي دسّ فيها فسقيها واشترط عليه في ذلك شروطاً» .

وروي أنّ معاوية دفع السمّ إلى امرأة الحسن بن علي عليه السلام ؛ جعدة بنت الأشعث ، فقال لها : اسقيه فإذا مات هو زوّجتك ابني يزيد .

فلمّا سقته السمّ ومات عليه السلام جاءت الملعونة إلى معاوية فقالت : زوّجني يزيد .

فقال : إذهبي فإنّ امرأة لم تصلح للحسن بن علي لا تصلح لابني يزيد .

احتجاج الحسين بن علي عليهما السلام على عمر بن الخطاب في الإمامة والخلافة

روي أنّ عمر بن الخطّاب كان يخطب النّاس على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، فذكر في خطبته أنّه أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فقال له الحسين عليه السلام ـ من ناحية المسجد ـ : «إنزل أيّها الكذّاب عن منبر أبي رسول الله لا منبر أبيك» !

فقال له عمر : فمنبر أبيك لعمري يا حسين لا منبر أبي ، مَن علّمك هذا ؛ أبوك عليّ بن أبي طالب ؟

فقال له الحسين عليه السلام : «إن أطع أبي فيما أمرني فلعمري إنّه لهاد وأنا مهتد به ، وله في رقاب النّاس البيعة على عهد رسول الله ، نزل بها جبرئيل من عند الله تعالى ، لا ينكرها إلّا جاحد بالكتاب ، قد عرفها النّاس بقلوبهم وأنكروها بألسنتهم ، وويل للمنكرين حقّنا أهل البيت ، ماذا يلقاهم به محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله من إدامة الغضب وشدّة العذاب» !!

فقال عمر : يا حسين من أنكر حقّ أبيك فعليه لعنة الله ، أمّرنا النّاس فتأمّرنا ، ولو أمّروا أباك لأطعنا .

فقال له الحسين عليه السلام : «يابن الخطّاب فأيّ النّاس أمّرك على نفسه قبل أن تؤمّر أبابكر على نفسك ليؤمّرك على النّاس ، بلا حجّة من نبيّ ولا رضاً من آل محمّد ، فرضا كم كان لمحمّد صلى الله عليه وآله رضا ؟ أو رضا أهله كان له سخطاً ؟! أما والله لو أنّ للسان مقالاً يطول تصديقه ، وفعلاً يعينه المؤمنون ، لما تخطّأت رقاب آل محمّد ، ترقى منبرهم ، وصرت الحاكم عليهم بكتاب نزل فيهم ، لا تعرف معجمه ، ولا تدري تأويله ، إلّا سماع الآذان ، المخطئ والمصيب عندك سواء ، فجزاك الله جزاك ، وسألك عمّا أحدثت سؤالاً حفيّاً» .

(قال :) فنزل عمر مغضباً ، فمشى معه أُناس من أصحابه حتّى أتى باب أميرالمؤمنين عليه السلام ، فاستأذن عليه فأذن له ، فدخل فقال : يا أباالحسن ما لقيت اليوم من ابنك الحسين ؛ يجهرنا بصوت في مسجد رسول الله ويحرّض عَلَيّ الطّغام وأهل المدينة .

فقال له الحسن عليه السلام : «على مثل الحسين بن النبيّ صلى الله عليه وآله يشخب بمن لا حكم له ، أو يقول بالطغام على أهل دينه ؟ أما والله ما نلت إلّا بالطغام ، فلعن الله من حرّض الطغام» .

فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام : «مهلاً يا أبامحمّد فإنّك لن تكون قريب الغضب ، ولا لئيم الحسب ، ولا فيك عروق من السودان ، إسمع كلامي ولا تعجل بالكلام» .

فقال له عمر : يا أباالحسن إنّهما ليهمّان في أنفسهما بما لا يرى بغير الخلافة .

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : «هما أقرب نسباً برسول الله من أن يهمّا ، أما فارضهما يابن الخطّاب بحقّهما يرض عنك من بعدهما» .

قال : وما رضاهما يا أباالحسن ؟

قال : «رضاهما الرجعة عن الخطيئة ، والتقيّة عن المعصية بالتوبة» .

فقال له عمر : أدّب يا أباالحسن ابنك أن لا يتعاطى السلاطين الّذين هم الحكماء في الأرض .

فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام : «أنا أُودّب أهل المعاصي على معاصيهم ، ومَن أخاف عليه الزلّة والهلكة ، فأمّا من والده رسول الله ونحله أدبه فإنّه لا ينتقل إلى أدب خير له منه ، أما فارضهما يابن الخطّاب» .

قال : فخرج عمر فاستقبله عثمان بن عفّان ، وعبدالرّحمن بن عوف ، فقال له عبدالرّحمن : يا أباحفص ما صنعت فقد طالت بكما الحجّة ؟

فقال له عمر : وهل حجّة مع ابن أبي طالب وشبلَيه ؟!

فقال له عثمان : يابن الخطّاب ، هم بنو عبد مناف ، الأسمنون والنّاس عجاف .

فقال له عمر : ما أدع ما صرت إليه فخراً به بحمقك .

فقبض عثمان على مجامع ثيابه ثمّ نبذ به وردّه ، ثمّ قال له : يابن الخطّاب ، كأنّك تنكر ما أقول ؟

فدخل بينهما عبدالرحمن وفرّق بينهما ، وافترق القوم .

احتجاج الحسينعليه السلام بذكر مناقب أميرالمؤمنين وأولادهعليهم السلام حين أمر معاوية بلعن أميرالمؤمنينعليه السلام وقتل شيعته وقَتلِ من يروي شيئاً من فضائله

عن سليم بن قيس قال: قدم معاوية بن أبي سفيان حاجّاً في خلافته فاستقبله أهل المدينة ، فنظر فإذا الّذين استقبلوه ما فيهم أحد من قريش ، فلمّا نزل قال : ما فعلت الأنصار ؟ وما بالها لم تستقبلني ؟

فقيل له : إنّهم محتاجون ليس لهم دواب .

فقال معاوية : فأين نواضحهم ؟

فقال قيس بن سعد بن عبادة ـ وكان سيّد الأنصار وابن سيّدها ـ : أفنوها يوم بدر وأُحد وما بعدهما من مشاهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، حين ضربوك وأباك على الإسلام حتّى ظهر أمر الله وأنتم كارهون .

فسكت معاوية .

فقال قيس : أمّا إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلينا أنّا سنلقي بعده إثرة .

فقال معاوية : فما أمركم به ؟

فقال : أمرنا أن نصبر حتّى نلقاه .

قال : فاصبروا حتّى تلقوه !

ثمّ إنّ معاوية مرّ بحلقة من قريش ، فلمّا رأوه قاموا غير عبدالله بن عبّاس ، فقال له : يابن عبّاس ما منعك من القيام كما قام أصحابك إلّا لموجدة أنّي قاتلتكم بصفّين ، فلا تجد من ذلك يابن عبّاس فإنّ ابن عمّي عثمان قد قتل مظلوماً !

قال ابن عبّاس : فعمر بن الخطّاب قد قتل مظلوماً .

قال : إنّ عمر قتله كافر .

قال ابن عبّاس : فمن قتل عثمان ؟

قال : قتله المسلمون .

قال : فذلك أدحض لحجّتك .

قال : فإنّا قد كتبنا في الآفاق ننهي عن ذكر مناقب عليّ وأهل بيته ، فكفّ لسانك .

فقال : يا معاوية أتنهانا عن قراءة «القرآن» ؟

قال : لا .

قال : أتنهانا عن تأويله ؟

قال : نعم .

قال : فنقرأه ولا نسأل عمّا عنى الله به ؟ ثمّ قال : فأيّهما أوجب علينا قرائته أو العمل به ؟

قال : العمل به .

قال : فكيف نعمل به ولا نعلم ما عنى الله ؟!

قال : سل عن ذلك من يتأوّله غير ما تتأوّله أنت وأهل بيتك .

قال : إنّما أُنزل «القرآن» على أهل بيتي فأسأل عنه آل أبي سفيان يا معاوية ؟ أتنهانا أن نعبد الله بالقرآن بما فيه من حلال وحرام ؟! فإن لم تسأل الأُمّة عن ذلك حتّى تعلم تهلك وتختلف .

قال : اقرؤوا «القرآن» وتأوّلوه ولا ترووا شيئاً ممّا أنزل الله فيكم ، وارووا ما سوى ذلك .

قال : فإنّ الله يقول في «القرآن» : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ ٱللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَٱللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ ﴾[1] .

قال : يابن عبّاس إربع[2] على نفسك ، وكفّ لسانك ، وإن كنت لابدّ فاعلاً فليكن ذلك سرّاً لا يسمعه أحد علانية .

ثمّ رجع إلى بيته فبعث إليه بمائة ألف درهم ، ونادى منادي معاوية أن قد برئت الذمّة ممّن يروي حديثاً من مناقب علي وفضل أهل بيته ، وكان أشدّ النّاس بليّة أهل الكوفة ، لكثرة من بها من الشيعة ، فاستعمل زياد ابن أبيه وضمّ إليه العراقين ؛ الكوفة والبصرة ، فجعل يتتبّع الشيعة وهو بهم عارف يقتلهم تحت كلّ حجر ومدر ، وأخافهم ، وقطع الأيدي والأرجل ، وصلّبهم في جذوع النخل ، وسمل أعينهم ، وطرّدهم وشرّدهم ، حتّى نفوا عن العراق ، فلم يبق بها أحد معروف مشهور ، فهم بين مقتول أو مصلوب ، أو محبوس ، أو طريد ، أو شريد .

وكتب معاوية إلى جميع عمّاله في جميع الأمصار : أن لا تجيزوا لأحد من شيعة عليّ وأهل بيته شهادة ، وانظروا قِبَلكم من شيعة عثمان ومحبّيه ومحبّي أهل بيته وأهل ولايته ، والّذين يروون

---

(١) الصف ٨.

(٢) رَبَعَ ـ كمنع ـ: وقف وانتظر وتجسّس ، ومنه قولهم : إربع عليك أو على نفسك .

فضله ومناقبه فأدنوا مجالسهم ، وقرّبوهم ، وأكرموهم ، واكتبوا بمن يروي من مناقبه واسم أبيه وقبيلته ؛ ففعلوا ، حتّى كثرت الرواية في عثمان ، وافتعلوها لماكان يبعث إليهم من الصلات والخلع والقطايع ، من العرب والموالي ، وكثر ذلك في كلّ مصر ، وتنافسوا في الأموال والدنيا ، فليس أحد يجيء من مصر من الأمصار فيريوي في عثمان منقبة أو فضيلة إلّاكتب اسمه ، وأُجيز ، فلبثوا بذلك ما شاء الله .

ثمّ كتب إلى عمّاله : إنّ الحديث في عثمان قدكثر وفشا في كلّ مصر ، فادعوا النّاس إلى الرواية في معاوية وفضله وسوابقه ، فإنّ ذلك أحبّ إلينا ، وأقرّ لأعيننا ، وأدحض لحجة أهل هذا البيت ، وأشدّ عليهم ؛ فقرأكلّ أمير وقاض كتابه على النّاس ، فأخذ الرواة في فضائل معاوية على المنبر في كلّ كورة وكلّ مسجد زوراً ، وألقوا إلى معلّمي الكتاتيب فعلّموا ذلك صبيانهم ،كما يعلّمونهم «القرآن» ، حتّى علّموه بناتهم ونساءهم وحشمهم ، فلبثوا بذلك ما شاء الله .

وكتب زياد بن أبيه إليه في حقّ الحضرميين إنّهم على دين علي ، وعلى رأيه .

فكتب إليه معاوية : أُقتل كلّ من كان على دين عليّ ورأيه .

فقتلهم ومثّل بهم .

وكتب كتاباً آخر : أُنظروا من قبلكم من شيعة عليّ واتّهموه بحبّه فاقتلوه ، وإن لم تقم عليه البيّنة ، فاقتلوه على التهمة والظِنّة والشبهة تحت كلّ حجر ، حتّى لوكان الرّجل تسقط منه كلمة ضربت عنقه ، حتّى لوكان الرجل يرمى بالزندقة والكفر كان يكرَّم ويعظَّم ولا يتعرّض له بمكروه ، والرجل من الشيعة لا يأمن على نفسه في بلد من البلدان لاسيّما الكوفة والبصرة ، حتّى لو أنّ أحداً منهم أراد أن يلقي سرّاً إلى من يثق به لأتاه في بيته فيخاف خادمه ومملوكه ، فلا يحدّثه إلّا بعد أن يأخذ عليهم الأيمان المغلّظة : ليكتمنّ عليه ، ثمّ لا يزداد الأمر إلّا شدّة ، حتّى كثر وظهر أحاديثهم الكاذبة ، ونشأ عليها الصبيان يتعلّمون ذلك .

وكان أشدّ النّاس في ذلك القرّاء المراؤون المتصنّعون الّذين يظهرون الخشوع والورع ، فكذبوا وانتحلوا الأحاديث وولّدوها فيحظون بذلك عند الولاة والقضاة ويدنون مجالسهم ، ويصيبون بذلك الأموال والقطايع والمنازل ، حتّى صارت أحاديثهم ورواياتهم عندهم حقّاً وصدقاً ، فرووها وقبلوها ، وتعلّموها وعلّموها ، وأحبّوا عليها وأبغضوا من ردّها أو شكّ فيها ، فاجتمعت على ذلك جماعتهم ، وصارت في يد المتنسّكين والمتديّنين منهم الّذين لا يحبّون

الإفتعال إلى مثلها ، فقبلوها وهم يرون أنّها حقّ ، ولو علموا بطلانها وتيقّنوا أنّها مفتعلة لأعرضوا عن روايتها ولم يدينوا بها ، ولم يبغضوا من خالفها ، فصار الحقّ في ذلك الزمان عندهم باطلاً ، والباطل عندهم حقّاً ، والكذب صدقاً ، والصدق كذباً .

فلمّا مات الحسن بن علي ازداد البلاء والفتنة ، فلم يبق لله وليّ إلّا خائف على نفسه ، أو مقتول ، أو طريد ، أو شريد ، فلمّا كان قبل موت معاوية بسنتين حجّ الحسين بن علي عليه السلام وعبدالله بن جعفر ، وعبدالله بن عبّاس معه ، وقد جمع الحسين بن علي عليه السلام بني هاشم ، رجالهم ونساءهم ، ومواليهم ، وشيعتهم ، من حجّ منهم ومن لم يحج ، ومن الأنصار ممّن يعرفونه ، وأهل بيته ، ثمّ لم يدع أحداً منهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أبنائهم والتابعين ، ومن الأنصار المعروفين بالصلاح والنسك إلّا جمعهم ، فاجتمع عليه بمنى أكثر من ألف رجل ، والحسين عليه السلام في سرادقه ، عامّتهم التابعون وأبناء الصحابة ، فقام الحسين عليه السلام فيهم خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال :

«أمّا بعد ؛ فإنّ الطاغية قد صنع بنا وشيعتنا ما قد علمتم ورأيتم وشاهدتم وبلغكم ، وإنّي أُريد أن أسألكم عن أشياء ؛ فإن صدقت فصدّقوني وإن كذبت فكذّبوني ، إسمعوا مقالتي ، واكتموا قولي ، ثمّ ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم من أمنتموه ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون ، فإنّي أخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب ، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون» .

فما ترك الحسين شيئاً أنزل الله فيهم من «القرآن» إلّا قاله وفسّره ، ولا شيئاً قاله الرّسول في أبيه وأُمّه وأهل بيته إلّا رواه ، وكلّ ذلك يقول الصحابة : اللّهمّ نعم ، قد سمعناه وشهدناه ، ويقول التابعون : اللّهمّ قد حدّثنا من نصدّقه ونأتمنه ؛ حتّى لم يترك شيئاً إلّا قاله ، ثمّ قال : «أُنشدكم بالله إلّا رجعتم وحدّثتم به من تثقون به» ، ثمّ نزل وتفرّق النّاس على ذلك .

احتجاجه عليه السلام على معاوية توبيخاً له على قتل من قتله من شيعة أميرالمؤمنين وترحّمه عليهم

عن صالح بن كيسان[1] قال : لمّا قتل معاوية حجر بن عدي وأصحابه ، حجّ ذلك العام فلقي الحسين بن علي عليه السلام فقال : يا أباعبدالله هل بلغك ما صنعنا بحجر ، وأصحابه ، وأشياعه ، وشيعة أبيك ؟

(١) صالح بن كيسان المدني عدّه الشيخ من أصحاب عليّ بن الحسين عليه السلام ص٩٣ من رجاله .

فقال عليه السلام : «وما صنعت بهم» ؟

قال : قتلناهم ، وكفنّاهم ، وصلّينا عليهم .

فضحك الحسين عليه السلام ثمّ قال : «خصمك القوم يا معاوية ، لكنّنا لو قتلنا شيعتك ماكفنّاهم ، ولا صلّينا عليهم ، ولا قبرناهم ، ولقد بلغني وقيعتك في علي وقيامك ببغضنا ، واعتراضك بني هاشم بالعيوب ، فإذا فعلت ذلك فارجع إلى نفسك ، ثمّ سلها الحقّ عليها ولها ، فإن لم تجدها أعظم عيباً فما أصغر عيبك فيك ، وقد ظلمناك يا معاوية فلا توترنّ غير قوسك ، ولا ترمينّ غير غرضك ، ولا ترمنا بالعداوة من مكان قريب ، فإنّك والله لقد أطعت فينا رجلاً ما قدم إسلامه ، ولا حدث نفاقه ، ولا نظر لك فانظر لنفسك أو دع ـ يعني عمرو بن العاص ـ» .

وقال عليه السلام ـ في جواب كتاب كتب إليه معاوية على طريق الإحتجاج ـ : «أمّا بعد ؛ فقد بلغني كتابك أنّه بلغك عنّي اُمور إنّ بي عنها غنى ، وزعمت أنّي راغب فيها ، وأنا بغيرها عنك جدير ، أما رقى إليك عنّي فإنّه إنّما رقاه إليك الملّاقون المشاؤون بالنمائم ، المفرّقون بين الجمع ، كذب الساعون الواشون ما أردت حربك ولا خلافاً عليك ، وأيم الله إنّي لأخاف الله عزّ ذكره في ترك ذلك ، وما أظنّ الله تبارك وتعالى براض عنّي بتركه ، ولا عاذري بدون الإعتذار إليه فيك ، وفي أولئك القاسطين الملبّين حزب الظالمين ، بل أولياء الشيطان الرجيم ، ألست قاتل حجر بن عدي أخي كندة وأصحابه الصالحين المطيعين العابدين ؛كانوا ينكرون الظلم ، ويستعظمون المنكر والبدع ، ويؤثرون حكم الكتاب ، ولا يخافون في الله لومة لائم ، فقتلتهم ظلماً وعدواناً بعدماكنت أعطيتهم الأيمان المغلّظة والمواثيق المؤكّدة لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم ، ولا بإحنة تجدها في صدرك عليهم ؟

أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله ؛ العبد الصالح الّذي أبلته العبادة فصفرت لونه ، ونحلت جسمه ، بعد أن أمنته وأعطيته من عهود الله عزّ وجلّ وميثاقه ما لو أعطيته العصم ففهمته لنزلت إليك من شعف الجبال ، ثمّ قتلته جرأة على الله عزّ وجلّ ، واستخفافاً بذلك العهد ؟

أولست المدّعي زياد بن سميّة ؛ المولود على فراش عبيد عبد ثقيف ، فزعمت أنّه ابن أبيك ، وقد قال رسول الله : «الولد للفراش وللعاهر الحجر» فتركت سنّة رسول الله واتّبعت هواك بغير هدى من الله ، ثمّ سلّطته على أهل العراق فقطع أيدي المسلمين وأرجلهم وسمل أعينهم ، وصلبهم على جذوع النخل كأنّك لست من هذه الاُمّة وليسوا منك ؟

أولست صاحب الحضرميّين الّذين كتب إليك فيهم ابن سميّة أنّهم على دين عليٍّ ورأيه ، فكتبت إليه : أُقتل كلّ من كان على دين عليّ ورأيه ؛ فقتلهم ، ومثّل بهم بأمرك ، ودين عليّ والله وابن علي الّذي ان يضرب عليه أباك ، وهو أجلسك بمجلسك الّذي أنت فيه ، ولولا ذلك لكان أفضل شرفك وشرف أبيك تجشّم الرحلتين اللّتين بنا منَّ الله عليكم فوضعهما عنكم ؟

وقلت فيما تقول أُنظر لنفسك ولدينك ولأُمّة محمّد ، واتّق شقّ عصا هذه الاُمّة ، وأن تردّهم في فتنة ، فلا أعرف فتنة أعظم من ولايتك عليها ، ولا أعلم نظراً لنفسي وولدي وأُمّة جدّي أفضل من جهادك ، فإن فعلته فهو قربة إلى الله ﷻ ، وإن تركته فأستغفر الله لذنبي وأسأله توفيقي لإرشاد أُموري .

وقلت فيما تقول إن أنكرك تنكرني ، وإن أكدك تكدني ، وهل رأيك إلّا كيد الصالحين منذ خلقت ؟ فكدني ما بدا لك إن شئت فإنّي أرجو أن لا يضرّني كيدك ، وأن لا يكون على أحد أضرّ منه على نفسك ، على أنّك تكيد فتوقظ عدوّك ، وتوبق نفسك ، كفعلك بهؤلاء الّذين قتلتهم ومثّلت بهم بعد الصلح والأيمان والعهد والميثاق ، فقتلتهم من غير أن يكونوا قتلوا إلّا لذكرهم فضلنا ، وتعظيمهم حقّنا ، بما به شرفت وعرفت ، مخالفة أمر لعلّك لو لم تقتلهم متّ قبل أن يفعلوا ، أو ماتوا قبل أن يدركوا ، إبشر يا معاوية بقصاص ، واستعدّ للحساب ، واعلم أنّ لله ﷻ كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها ، وليس الله تبارك وتعالى بناس أخذك بالظنّة ، وقتلك أولياءه بالتهمة ، ونفيك إيّاهم من دارالهجرة إلى دار الغربة والوحشة ، وأخذك النّاس ببيعة ابنك ، غلام من الغلمان ، يشرب الشراب ، ويلعب بالكعاب ، لا أعلمك إلّا قد خسرت نفسك ، وشريت دينك ، وغششت رعيّتك ، وأخزيت أمانتك ، وسمعت مقالة السفيه الجاهل ، وأخفت التقي الورع الحليم» .

قال : فلمّا قرأ معاوية كتاب الحسين ؑ قال : لقد كان في نفسه ضبّ عليّ ماكنت أشعر به .

فقال له ابنه يزيد وعبدالله بن أبي عمير بن جعفر : أجبه جواباً شديداً تصغر إليه نفسه ، وتذكر أباه بأسوأ فعله وآثاره .

فقال : كلّا أرأيتما لو أنّي أردت أن أعيب عليّاً محقّاً ما عسيت أن أقول ، إنّ مثلي لا يحسن به أن يعيب بالباطل ، وما لا يعرف النّاس ، ومتى عبت رجلاً بما لا يعرف لم يحفل به صاحبه ولم يره شيئاً ، وما عسيت أن أعيب حسيناً ، وما أرى للعيب فيه موضعاً إلّا أنّي قد أردت أن أكتب إليه

وأتوعّده وأُهدّده ، وأجهله ثمّ رأيت أن لا أفعل .

قال: فماكتب إليه بشيء يسوءه ، ولا قطع عنه شيئاًكان يصله به ،كان يبعث إليه في كلّ سنة ألف ألف درهم سوى عروض وهدايا من كلّ ضرب .

احتجاجه صلوات الله عليه بإمامته على معاوية وغيره وذكر طرف من مفاخراته ومشاجراته الّتي جرت له مع معاوية وأصحابه

عن موسى بن عقبة[١] **أنّه قال**: لقد قيل لمعاوية : إنّ النّاس قد رموا أبصارهم إلى الحسين عليه السلام ، فلو قد أمرته يصعد المنبر ويخطب فإنّ فيه حصراً وفي لسانه كلالة .

فقال لهم معاوية : قد ظننّا ذلك بالحسن ، فلم يزل حتّى عظم في أعين النّاس وفضحنا .

فلم يزالوا به حتّى قال للحسين : يا أباعبدالله لو صعدت المنبر فخطبت .

فصعد الحسين عليه السلام على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على النّبيّ صلى الله عليه وآله ، فسمع رجلاً يقول : مَن هذا الّذي يخطب ؟

فقال الحسين عليه السلام : «نحن حزب الله الغالبون ، وعترة رسول الله صلى الله عليه وآله الأقربون ، وأهل بيته الطيّبون ، وأحد الثقلين اللّذين جعلنا رسول الله صلى الله عليه وآله ثاني كتاب الله تبارك وتعالى ، الّذي فيه تفصيل كلّ شيء ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والمعوّل علينا في تفسيره ، لا يبطينا تأويله ، بل نتّبع حقايقه ، فأطيعونا فإنّ طاعتنا مفروضة ، إن كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[٢] وقال : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي ٱلأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ ٱللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[٣] ، وأُحذّركم الإصغاء إلى هتوف الشيطان بكم فإنّه لكم عدوّ مبين ، فتكونوا كأوليائه الّذين قال لهم : ﴿ لاَغَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنكُمْ ﴾[٤] فتلقون للسيوف ضرباً ، وللرماح

---

(١) موسى بن عقبة بن أبي عيّاش المدني تابعي ، عدّه الشيخ رحمه الله في أصحاب الصادق عليه السلام ص٣٠٧.

(٢) النساء ٥٩.

(٣) النساء ٨٣.

(٤) الأنفال ٤٨.

وَرَداً ، وللعمد حطماً ، وللسهام غرضاً ، ثمّ لا يقبل من نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً» .

قال معاوية : حسبك يا أباعبدالله قد بلغت .

وعن محمّد بن السايب[١] **أنّه قال** : قال مروان بن الحكم يوماً للحسين بن علي عليه السلام : لولا فخركم بفاطمة بِمَ كنتم تفتخرون علينا ؟

فوثب الحسين عليه السلام ـ وكان عليه السلام شديد القبضة ـ فقبض على حلقه فعصره ، ولوى عمامته على عنقه حتّى غشي عليه ، ثمّ تركه ، وأقبل الحسين عليه السلام على جماعة من قريش فقال : «أُنشدكم بالله إلّا صدّقتموني إن صدقت ، أتعلمون أنّ في الأرض حبيبين كانا أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مني ومن أخي ؟ أو على ظهر الأرض ابن بنت نبيّ غيري وغير أخي» ؟

قالوا : اللّهمّ لا .

قال : «وإنّي لا أعلم أنّ في الأرض ملعون ابن ملعون غير هذا وأبيه ، طريدَي رسول الله ، والله مابين جابرس[٢] وجابلق أحدهما بباب المشرق والآخر بباب المغرب رجلان ممّن ينتحل الإسلام أعدى لله ولرسوله ولأهل بيته منك ومن أبيك إذاكان ، وعلامة قولي فيك أنّك إذا غضبت سقط رداؤك من منكبك» .

قال : فوالله ما قام مروان من مجلسه حتّى غضب فانتفض وسقط رداؤه عن عاتقه .

احتجاجه عليه السلام على أهل الكوفة بكربلا

عن مصعب بن عبدالله[٣] : لمّا استكفّ[٤] النّاس بالحسين عليه السلام ، ركب فرسه واستنصت النّاس ،

---

(١) محمّد بن السايب : عدّه الشيخ في أصحاب الصادق عليه السلام ص٢٨٩ .

(٢) قال الحموي : جابرس : مدينة بأقصىٰ المشرق يقول اليهود : إنّ أولاد موسى عليه السلام هربوا إمّا في حرب طالوت أو في حرب بخت نصر فسيّرهم الله وأنزلهم بهذا الموضع .

وقال أيضاً : جابلق ـ بالباء الموحدة المفتوحة وسكون اللّام ـ روىٰ أبو روح عن ضحّاك عن ابن عبّاس : أنّ جابلق مدينة بأقصىٰ المغرب ، وأهلها من ولد عاد ، وأهل جابرس من ولد ثمود ، ففي كلّ واحدة منها بقايا ولد موسى عليه السلام . [معجم البلدان ٢/ ٩٠]

(٣) مصعب بن عبدالله : من آل الزبير بن العوام ، مجهول الحال ، ذكره المامقاني في الجزء الثالث من رجاله ص٢١٩ .

(٤) استكفّ به النّاس : إذا أحدقوا به ، واستكفّوا حوله ينظرون إليه .

فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : «تبّاً لكم أيتها الجماعة وترحاً وبؤساً لكم وتعساً ! حين استصرختمونا ولهين ، فأصرخناكم موجفين ، فشحذتم علينا سيفاً كان في أيدينا ، وحششتم علينا ناراً أضرمناها على عدوّكم وعدوّنا ، فأصبحتم إلباً[1] على أوليائكم ، ويداً لأعدائكم ، من غير عدل أفشوه فيكم ، ولا أمل أصبح لكم فيهم ، ولا ذنب كان منّا إليكم ، فهلّا لكم الويلات إذ كرهتمونا والسيف مشيم ، والجاش طامن ، والرأي لم يستحصف ، ولكنّكم أسرعتم إلى بيعتنا كطيرة الدّبا[2] ، وتهافتّم إليها كتهافت الفراش ، ثمّ نقضتموها سفهاً وضلّة ، فبعداً وسحقاً لطواغيت هذه الأمّة ! وبقيّة الأحزاب ، ونَبَذة الكتاب ، ومطفئي السُّنن ، ومؤاخي المستهزئين ، الّذين جعلوا «القرآن» عضين ، وعصاة الإمام ، وملحقي العهرة[3] بالنسب ، ولبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون .

أفهؤلاء تعضدون وعنّا تتخاذلون ؟! أجل والله ، خذل فيكم معروف ، نبتت عليه أصولكم ، وتأزرت[4] عليه عروقكم ، فكنتم أخبث ثمر شجر للناظر ، وأكلة للغاصب ، ألا لعنة الله على الظالمين الناكثين الّذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها وقد جعلوا الله عليهم كفيلا ، ألا وإنّ الدّعيّ[5] ابن الدّعي قد تركني بين السلّة والذلّة ، وهيهات له ذلك منّي ، هيهات منّا الذلّة !! أبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون ، وحجور طهرت وجدود طابت ، أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام ، ألا وإنّي زاحف بهذه الأُسرة على قلّة العدد ، وكثرة العدو ، وخذلة النّاصر» .

ثمّ تمثّل عليه السلام فقال شعراً :

«فإن نهزم فهزّامون قدماً وإن نهزم فغير مهزّمينا
وما إن طبّنا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا
فلو خلد الملوك إذاً خلدنا ولو بقي الكرام إذاً بقينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون بما لقينا»

وقيل : إنّه لمّا قتل أصحاب الحسين عليه السلام وأقاربه وبقي فريداً ليس معه إلّا ابنه علي زين

---

(١) الإلب ـ بالفتح والكسر ـ : القوم يجتمعون على عداوة إنسان .

(٢) الدّبا ـ مقصوراً ـ : الجراد قبل أن يطير .

(٣) العهرة : الزاني .

(٤) الأزر : القوة والشدّة .

(٥) الدّعيّ ـ كغني ـ : المتهم في نسبه .

العابدين ﷺ ، وابن آخر في الرضاع اسمه عبدالله ، فتقدّم الحسين ﷺ إلى باب الخيمة ، فقال : «ناولوني ذلك الطفل حتّى أُودّعه» .

فناولوه الصبي ، جعل يقبّله وهو يقول : «يا بني ويل لهؤلاء القوم إذاكان خصمهم محمّد ﷺ» .

قيل : فإذا بسهم قد أقبل حتّى وقع في لبة[1] الصبي فقتله ، فنزل الحسين عن فرسه وحفر للصبي بجفن[2] سيفه ورمّله[3] بدمه ودفنه ، ثمّ وثب قائماً وهو يقول :

«كفر القوم وقدماً رغبوا عن ثواب الله ربّ الثقلين
قتلوا قدماً عليّاً وابنه حسن الخير كريم الطرفين
حنقاً منهم وقالوا أجمعوا نفتك الآن جميعاً بالحسين
يالقوم من أناس رذّل جمعوا الجمع لأهل الحرمين
ثمّ صاروا وتواصوا كلّهم باحتياج لرضاء الملحدين
لم يخافوا الله في سفك دمي لعبيدالله نسل الكافرين
وابن سعد قد رماني عنوة بجنود كوكوف الهاطلين[4]
لا لشيء كان منّي قبل ذا غير فخري بضياء الفرقدين
بعليّ الخير من بعد النّبي والنبيّ القرشيّ الوالدين
خيرة الله من الخلق أبي ثمّ أُمّي فأنا ابن الخيرتين
فضّة قد خلقت من ذهب فأنا الفضّة وابن الذهبين
من له جدّ كجدّي في الورى أو كشيخي فأنا ابن القمرين
فاطم الزهراء أُمّي وأبي قاصم الكفر ببدر وحنين
عروة الدّين عليّ المرتضى هادم الجيش مصلّى القبلتين
وله في يوم أُحد وقعة شفت الغل بقبض العسكرين
ثمّ بالأحزاب والفتح معاً كان فيها حتف أهل القبلتين

---

(١) لبّة البعير : موضع نحره .

(٢) جفن السيف : غلافه .

(٣) رَمَلَ الثوب : لطخه بالدم .

(٤) وَكَفَ البيت بالمطر : تقاطر وسال قليلاً . والهطل : تتابع المطر والدمع وسيلانه .

في سبيل الله ماذا صنعت | أُمّة السوء معاً بالعترتين
عترة البرّ التقيّ المصطفى | وعليّ القرم يوم الجحفلين
عَبَدَ الله غلاماً يافعاً | وقريش يعبدون الوثنين
وقلى الأوثان لم يسجدْ لها | مع قريش لا ولا طرفة عين
طعن الأبطال لمّا برزوا | يوم بدر وتبوك وحنين»

ثمّ تقدّم الحسين عليه السلام حتّى وقف قبالة القوم وسيفه مصلت في يده، آيساً من نفسه، عازماً على الموت، وهو يقول:

«أنا ابن عليّ الطهر من آل هاشم | كفاني بهذا مفخراً حين أفخر
وجدّي رسول الله أكرم من مشى | ونحن سراج الله في الخلق نزهر
وفاطم أُمّي من سلالة أحمد | وعمّي يدعى ذوالجناحين جعفر
وفينا كتاب الله أُنزل صادقاً | وفينا الهدى والوحي بالخير تذكر
ونحن أمان الله للنّاس كلّهم | نطول بهذا في الأنام ونجهر
ونحن حماة الحوض نسقي ولاتنا | بكأس رسول الله ما ليس ينكر
وشيعتنا في الحشر أكرم شيعة | ومبغضنا يوم القيامة يخسر

احتجاج فاطمة الصغرى على أهل الكوفة

عن زيد بن موسى بن جعفر[1] **عن أبيه عن آبائه عليهم السلام** قال: خطبت فاطمة الصغرى عليها السلام بعد أن ردّت من كربلا فقالت: «الحمد لله عدد الرمل والحصى، وزنة العرش إلى الثرى، أحمده وأُومن به وأتوكّل عليه، وأشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ أولاده ذبحوا بشط الفرات من غير ذخل[2] ولا تراث، اللّهمّ إنّي أعوذ بك أن أفتري عليك الكذب، وأن أقول خلاف ما أنزلت عليه من أخذ العهود لوصيّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، المسلوب حقّه،

(١) زيد بن موسى بن جعفر عليه السلام ـ وهو لأمّ ولد ـ عقد له محمّد بن محمّد بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أيّام أبي السرايا على الأهواز، ولمّا دخل البصرة وغلب عليها أحرق دور بني العبّاس وأضرم النّار في نخيلهم وجميع أسبابهم فقيل له: زيد النّار. [عمدة الطالب ٢٢١]

(٢) الذِّحْلُ: الوِتر وطلب المكافأة بجناية جنيت عليه من قتل أو جرح ونحو ذلك، والذحل العداوة أيضاً.

المقتول من غير ذنب ،كما قتل ولده بالأمس في بيت من بيوت الله ، وبها معشر مسلمة بألسنتهم ، تعساً لرؤوسهم ! ما دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته ، حتّى قبضته إليك محمود النقيبة ، طيّب الضريبة ، معروف المناقب ، مشهور المذاهب ، لم تأخذه فيك لومة لائم ، ولا عذل عاذل ، هديته يا ربّ للإسلام صغيراً ، وحمدت مناقبه كبيراً ، ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك صلواتك عليه وآله حتّى قبضته إليك ، زاهداً في الدّنيا غير حريص عليها ، راغباً في الآخرة مجاهداً لك في سبيلك ، رضيته فاخترته ، وهديته إلى طريق مستقيم .

أمّا بعد يا أهل الكوفة ! يا أهل المكر والغدر والخيلاء ، إنّا أهل بيت ابتلانا الله بكم ، وابتلاكم بنا ، فجعل بلائنا حسناً ، وجعل علمه عندنا وفهمه لدينا ، فنحن عيبة علمه ، ووعاء فهمه وحكمته ، وحجّته في الأرض في بلاده لعباده ، أكرمنا الله بكرامته ، وفضّلنا بنبيّه ﷺ على كثير من خلقه تفضيلاً ، فكذّبتمونا ، وكفرتمونا ، ورأيتم قتالنا حلالاً ، وأموالنا نهباً ،كأنّا أولاد الترك أو كابل ،كما قتلتم جدّنا بالأمس ، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت لحقد متقدّم ، قرّت بذلك عيونكم ، وفرحت به قلوبكم ، اجتراءاً منكم على الله ، ومكراً مكرتم والله خير الماكرين ، فلا تدعونّكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا[١] ، ونالت أيديكم من أموالنا ، فإنّ ما أصابنا من المصائب الجليلة ، والرزايا العظيمة ﴿ فِي كِتَابٍ مِن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذٰلِكَ عَلَىٰ ٱللهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَٱللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ .

تبّاً لكم ! فانتظروا اللعنة والعذاب ،فكأنّ قد حلّ بكم ،وتواترت من السماء نقمات فيسحتكم[٢] بماكسبتم[٣] ، ويذيق بعضكم بأس بعض ، ثمّ تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا ، ألا لعنة الله على الظالمين ، ويلكم أتدرون أيّة يد طاعنتنا منكم ؟ أو أيّة نفس نزعت إلى قتالنا ؟ أم بأيّة رجل مشيتم إلينا تبغون محاربتنا ؟ قست قلوبكم ، وغلظت أكبادكم ، وطبع على أفئدتكم ، وختم على سمعكم وبصركم ، وسوّل لكم الشيطان وأملى لكم ، وجعل على بصركم غشاوة فإنتم لا تهتدون .

تبّاً لكم يا أهل الكوفة !كم ترات لرسول الله ﷺ قبلكم ؟ وذحوله لديكم ؟ ثمّ غدرتم بأخيه

---

(١) الجذل : الفرح .

(٢) فيسحتكم بعذابٍ واقع : أي يهلككم ويستأصلكم .

(٣) يسحتكم : يستأصلكم .

عليّ بن أبي طالب عليه السلام جدّي ، وبنيه عترة النبيّ الطيّبين الأخيار .

وافتخر بذلك مفتخر فقال :

نحن قتلنا عليّاً وبني عليّ   بسيوف هنديّة ورماح
وسبينا نساءَهم سبيَ ترك   ونطحناهم فأيّ نطاح[١]

فقالت : بفيك أيّها القائل الكثكث[٢] ، ولك الأثلب[٣] ، افتخرت بقتل قوم زكّاهم الله وطهّرهم ، وأذهب عنهم الرّجس ، فأكظم واقع كما أقعى أبوك ، وإنّما لكلّ امرئ ما قدّمت يداه ، حسدتمونا ويلاً لكم على ما فضّلنا الله .

فما ذنبنا إن جاش دهر بحورنا   وبحرك ساج لا يواري الدعامصا[٤]

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور» .

قال : فارتفعت الأصوات بالبكاء وقالوا : حسبكِ يا بنت الطيّبين ! فقد أحرقتِ قلوبنا ، وأنضجت نحورنا ، وأضرمت أجوافنا ، فسكتت عليها وعلى أبيها وجدّها السّلام .

خطبة زينب بنت علي بن أبي طالب بحضرة أهل الكوفة في ذلك اليوم تقريعاً لهم وتانيبا

عن حذيم بن شريك الأسدي[٥] قال : لمّا أتى عليّ بن الحسين زين العابدين بالنسوة من كربلاء ، وكان مريضاً ، وإذا نساء أهل الكوفة ينتدبن مشقّقات الجيوب ، والرّجال معهنّ يبكون .

فقال زين العابدين عليه السلام ـ بصوت ضئيل وقد نهكته العلّة ـ : «إنّ هؤلاء يبكون علينا ، فمن قتلنا غيرهم» ؟

فأومت زينب بنت عليّ بن أبي طالب عليهما السلام إلى النّاس بالسكوت .

قال حذيم الأسدي : لم أر والله خفرة قط أنطق منها ، كأنّها تنطق وتفرغ على لسان عليّ عليه السلام ، وقد أشارت إلى النّاس بأن أنصتوا ؛ فارتدّت الأنفاس ، وسكنت الأجراس ، ثمّ قالت ـ بعد حمدالله

---

(١) نطحه ، نطحاً : أصابه بقرنه .

(٢) الكثكث : دقاق التراب .

(٣) الأثلب : دقاق الحجر .

(٤) الدعامص ـ جمع دعموص ـ وهو : دويبة صغيرة تكون في مستنقع الماء ، والبيت للأعشى .

(٥) حذيم بن شريك الأسدي : عدّه الشيخ في رجاله ص٨٨ من أصحاب الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام .

تعالى والصّلاة على رسوله صلى الله عليه وآله -:

«أمّا بعد ؛ يا أهل الكوفة ، يا أهل الختل[١] والغدر ، والخذل والمكر !! ألا فلا رقأت العبرة[٢] ولا هدأت الزفرة ، إنّما مثلكم كمثل الّتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً[٣] تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم[٤] هل فيكم إلّا الصّلف[٥] والعجب ، والشّنف[٦] والكذب ، وملق الإماء وغمز الأعداء[٧] ، أو كمرعى على دمنة[٨] أو كفضّة على ملحودة[٩] ألا بئس ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون . أتبكون أخي ؟ أجل والله فابكوا فإنّكم أحرى بالبكاء ، فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً ، فقد بُليتم بعارها ، ومنيتم بشنارها[١٠] ولن ترحضوها أبداً[١١] وأنّىٰ ترحضون قتل سليل خاتم النبوّة ومعدن الرسالة ، وسيّد شباب أهل الجنّة ، وملاذ حربكم ، ومعاذ حزبكم ، ومقرّ سلمكم ، وأسى كلمكم[١٢] ومفزع نازلتكم ، والمرجع إليه عند مقاتلكم ، ومدرة حججكم[١٣] ومنار محجّتكم ، ألا ساء ما قدّمت لكم أنفسكم ، وساء ما تزرون ليوم بعثكم ، فتعساً تعساً ! ونكساً نكساً ! لقد خاب السّعي ، وتبّت الأيدي ، وخسرت الصفقة ، وبؤتم بغضب من الله وضربت عليكم الذلّة والمسكنة ، أتدرون ويلكم أيّ كبد لمحمّد صلى الله عليه وآله فرثتم ؟! وأيّ عهد نكثتم ؟! وأيّ كريمة له أبرزتم ؟! وأيّ حرمة له هتكتم ؟! وأيّ دم له سفكتم ؟! لقد جئتم شيئاً إدّاً ، تكاد السّماوات يتفطّرن منه وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدّا ! لقد

---

(١) الختل : الخداع .

(٢) رقأت : جفت .

(٣) أي : حلّته وأفسدته بعد إبرام .

(٤) أي : خيانة وخديعة .

(٥) الصلف : الّذي يمتدح بما ليس عنده .

(٦) الشنف : البغض بغير حق .

(٧) الغمز : الطعن والعيب .

(٨) الدمنة : المزبلة .

(٩) الفضّة : الجص . والملحودة : القبر .

(١٠) الشنار : العار .

(١١) أي : لن تغسلوها .

(١٢) أي : دواء جرحكم .

(١٣) المدرة : زعيم القوم ولسانهم المتكلّم عنهم .

جئتم بها شوهاء صلعاء، عنقاء، سوداء، فقماء، خرقاء[1] كطلاع الأرض، أو ملأ السماء[2]، أفعجبتم أن تمطر السّماء دماً، ولعذاب الاوخرة أخزى وهم لا ينصرون، فلا يستخفّنّكم المهل، فإنّه عزّ وجلّ لا يحفزه البدار[3] ولا يخشى عليه فوت الثار، كلّا إنّ ربّك لنا ولهم لبالمرصاد».

ثمّ أنشأت تقول عليها السلام:

«ماذا تقولون إذ قال النّبيّ لكم ... ماذا صنعتم وأنتم آخر الأُمم

بأهل بيتي وأولادي وتكرمتي ... منهم أُسارى ومنهم ضرّجوا بدم

ماكان ذاك جزائي إذ نصحت لكم ... أن تخلفوني بسوء في ذوي رحم

إنّي لأخشى عليكم أن يحلّ بكم ... مثل العذاب الّذي أودى على إرم»

ثمّ ولّت عنهم.

قال حذيم: فرأيت النّاس حيارى قد ردّوا أيديهم في أفواههم، فالتفتُّ إلى شيخ في جانبي يبكي وقد اخضلّت لحيته بالبكاء، ويده مرفوعة إلى السّماء وهو يقول: بأبي وأُمّي كهولكم خير كهول، ونساؤهم خير نساء، وشبابهم خير شباب، ونسلهم نسل كريم، وفضلهم فضل عظيم، ثمّ أنشد:

كهولكم خير الكهول ونسلكم ... إذا عدّ نسل لا يبور ولا يخزى

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: «يا عمّة اسكتي ففي الباقي من الماضي اعتبار، وأنت بحمد الله عالمة غير معلّمة، فهمة غير مفهّمة، إنّ البكاء والحنين لا يردّان من قد أباده الدهر».

فسكتت، ثمّ نزل عليه السلام وضرب فسطاطه، وأنزل نساءه ودخل الفسطاط.

احتجاج علي بن الحسين عليه السلام على أهل الكوفة حين خرج من الفسطاط وتوبيخه إيّاهم على غدرهم ونكثهم

قال حذيم بن شريك الأسدي: خرج زين العابدين عليه السلام إلى النّاس وأومى إليهم أن اسكتوا؛

---

(١) الشوهاء: القبيحة، والفقماء: إذا كانت ثناياها العليا إلى الخارج فلا تقع على السفلى، والخرقاء: الحمقاء.

(٢) طلاع الأرض: ملؤها.

(٣) يحفزه: يدفعه.

فسكتوا ، وهو قائم ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على نبيّه ، ثمّ قال :

«أيّها النّاس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا عليّ بن الحسين ، المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات ، أنا ابن من انتهك حريمه ، وسلب نعيمه ، وانتهب ماله ، وسبي عياله ، أنا ابن من قتل صبراً ، فكفى بذلك فخراً .

أيّها النّاس ناشدتكم بالله هل تعلمون أنّكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه ، وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة ؟ وقاتلتموه وخذلتموه فتبّاً لكم ما قدّمتم لأنفسكم وسوءً لرأيكم ، بأيّة عين تنظرون إلى رسول الله ﷺ ، يقول لكم : قتلتم عترتي ، وانهتكتم حرمتي ، فلستم من اُمّتي».

قال : فارتفعت أصوات النّاس بالبكاء ، ويدعو بعضهم بعضاً : هلكتم وما تعلمون .

فقال عليّ بن الحسين : «رحم الله امرءاً قبل نصيحتي ، وحفظ وصيّتي في الله وفي رسوله وفي أهل بيته ، فإنّ لنا في رسول الله اُسوة حسنة» .

فقالوا بأجمعهم : نحن كلّنا يابن رسول الله سامعون مطيعون ، حافظون لذمامك ، غير زاهدين فيك ، ولا راغبين عنك ، فمرنا بأمرك رحمك الله فإنّا حرب لحربك ، سلم لسلمك ، لنأخذنّ ترتك وترتنا ، عمّن ظلمك وظلمنا .

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام : «هيهات هيهات !! أيّها الغدرة المكرة ، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم ، أتريدون أن تأتوا إليّ كما أتيتم إلى آبائي من قبل ؟ كلّا وربّ الراقصات إلى منى ، فإنّ الجرح لما يندمل ! قُتل أبي بالأمس ، وأهل بيته معه ، فلم ينسني ثكل رسول الله ﷺ ، وثكل أبي وبني أبي وجدّي شقّ لهازمي[1] ، ومرارته بين حناجري وحلقي ، وغصصه تجري في فراش صدري ، ومسألتي أن لا تكونوا لنا ولا علينا» .

ثمّ قال عليه السلام :

«لا غرو إن قتل الحسين وشيخه	قد كان خيراً من حسين وأكرما
فلا تفرحوا يا أهل كوفة بالّذي	اُصيب حسين كان ذلك أعظما
قتيل بشطّ النهر نفسي فداؤه	جزاء الّذي أرداه نار جهنّما»

(١) اللهازم : اُصول الحنكين ، واحدتها : لهزمة ـ بالكسر ـ.

احتجاجه عليه السلام بالشام على بعض أهلها حين قدم به وبمن معه على يزيد لعنه الله

وعن ديلم بن عمر قال: كنت بالشام حتّى أُتِيَ بسبايا آل محمّد صلى الله عليه وآله، فأُقيموا على باب المسجد حيث تقام السبايا، وفيهم عليّ بن الحسين، فأتاهم شيخ من أشياخ أهل الشام، فقال: الحمد لله الّذي قتلكم، وأهلككم، وقطع قرون الفتنة، فلم يأل[1] عن سبّهم وشتمهم.

فلمّا انقضى كلامه، قال له عليّ بن الحسين عليه السلام: «إنّي قد أنصتُّ لك حتّى فرغت من منطقك، وأظهرت ما في نفسك من العداوة والبغضاء، فأنصت لي كما أنصتُّ لك».

فقال له: هات.

قال عليّ عليه السلام: «أما قرأت كتاب الله عزّ وجلّ»؟

قال: نعم.

فقال عليه السلام له: «أما قرأت هذه الآية ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾[2]»؟

قال: بلى.

فقال عليه السلام: «نحن أولئك، فهل تجد لنا في سورة بني إسرائيل حقّاً خاصّة دون المسلمين»؟

فقال: لا.

فقال عليه السلام: «أما قرأت هذه الآية ﴿ وَآتِ ذَاالْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾[3]»؟

قال: نعم.

قال عليّ عليه السلام: «فنحن أولئك الّذين أمر الله نبيّه أن يؤتيهم حقّهم».

فقال الشّامي: إنّكم لأنتم هم؟

فقال عليّ عليه السلام: «نعم نحن هم، فهل قرأت هذه الآيـة ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ ﴾» ؟

فقال له الشامي: بلى.

---

(١) وما ألوتك: أي ما قصرت في أمرك.

(٢) الشورى ٢٣.

(٣) الإسراء ٢٦.

فقال عليّ عليه السلام: «فنحن ذوالقربى، فهل تجد لنا في سورة الأحزاب حقّاً خاصّة دون المسلمين»؟

فقال: لا.

قال عليّ بن الحسين عليه السلام: «أما قرأت هذه الآية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[1]»؟

قال: فرفع الشامي يده إلى السّماء ثمّ قال: اللّهمّ إنّي أتوب إليك ـ ثلاث مرّات ـ، اللّهمّ إنّي أتوب إليك من عداوة آل محمّد، وأبرأ إليك ممّن قتل أهل بيت محمّد، ولقد قرأت «القرآن» منذ دهر فما شعرت بها قبل اليوم.

احتجاج زينب بنت عليّ بن أبي طالب حين رأت يزيد لعنه الله يضرب ثنايا الحسين عليه السلام بالمخصرة

روى شيخ صدوق من مشايخ بني هاشم وغيره من النّاس: أنّه لمّا دخل عليّ بن الحسين عليه السلام وحرمه على يزيد، وجيء برأس الحسين عليه السلام ووضع بين يديه في طست، فجعل يضرب ثناياه بمخصرة كانت في يده، وهو يقول:

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ... ولقالوا يا يزيد لا تشل

فجزيناهم ببدرٍ مثلاً ... وأقمنا مثل بدر فاعتدل

لست من خندف إن لم أنتقم ... من بني أحمد ما كان فعل

قالوا: فلمّا رأت زينب ذلك فأهوت إلى جيبها فشقّت، ثمّ نادت بصوت حزين تقرع القلوب: «يا حسيناه! يا حبيب رسول الله! يابن مكّة ومنى! يابن فاطمة الزهراء سيّدة النّساء! يابن محمّد المصطفى».

قال: فأبكت والله كلّ من كان، ويزيد ساكت، ثمّ قامت على قدميها، وأشرفت على المجلس، وشرعت في الخطبة، إظهاراً لكمالات محمّد صلى الله عليه وآله، وإعلاناً بأنّا نصبر لرضاء الله، لا

---

(١) الأحزاب ٣٣.

لخوف ولا دهشة ، فقامت إليه زينب بنت علي وأُمّها فاطمة بنت رسول الله ، وقالت :

«الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة على جدّي سيّد المرسلين ، صدق الله سبحانه كذلك يقول : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَاءُوا ٱلسُّوءَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ ٱللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[١] أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض ، وضيّقت علينا آفاق السماء ، فأصبحنا لك في إسار ، نساق إليك سوقاً في قطار ، وأنت علينا ذواقتدار ، أنّ بنا من الله هواناً وعليك منه كرامة وامتناناً ، وأنّ ذلك لعظم خطرك جلالة قدرك ، فشمخت بأنفك ، ونظرت في عطفك[٢] تضرب أصدريك فرحا[٣] وتنقض مذرويك مرحا[٤] حين رأيت الدنيا لك مستوسقة[٥] والأُمور لديك متّسقة[٦] وحين صفا لك ملكنا ، وخلص لك سلطاننا ، فمهلاً مهلاً لا تطش جهلاً ، أنسيت قول الله ﷻ : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[٧] .

أمِنَ العدل يابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءَك ، وسوقك بنات رسول الله سبايا ، قد هتكت ستورهنّ ، وأبديت وجوههنّ ، تحدوا بهنّ الأعداء من بلد إلى بلد ، وتستشرفهنّ المناقل[٨] ويتبرّزن لأهل المناهل[٩] ويتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد ، والغائب والشهيد ، والشريف والوضيع ، والدنيّ والرفيع ، ليس معهنّ من رجالهنّ ولي ، ولا من حماتهنّ حمي ، عتوّاً منك على الله[١٠] ، وجحوداً لرسول الله ، ودفعاً لما جاء به من عند الله ، ولا غرو منك ولا عجب من فعلك ، وأنّى يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الشهداء ونبت لحمه بدماء السعداء ، ونصب الحرب لسيّد الأنبياء ، وجمع الأحزاب ، وشهر الحراب ، وهزّ السّيوف في وجه رسول الله ﷺ ، أشدّ العرب جحوداً ، وأنكرهم له رسولاً ، وأظهرهم له عدوانا ، وأعتاهم على الربّ كفراً وطغياناً ، إلّا إنّها

---

(١) الروم ١٠.

(٢) نظر في عطفه : أخذه العجب .

(٣) الأصدران : عرقان تحت الصدغين .

(٤) المذروان : أطراف الإليتين .

(٥) مستوسقة : مجتمعة .

(٦) متّسقة : مستوية .

(٧) آل عمران ١٧٨.

(٨) تستشرف : تنظر .

(٩) المناهل : مواضع شرب الماء في الطريق .

(١٠) عتوّاً : عناداً .

نتيجة خلال الكفر ، وضبّ يجرجر[١] في الصدر لقتلى يوم بدر ، فلا يستبطئ في بغضنا أهل البيت من كان نظره إلينا شنفاً وأحناً وأظغاناً ، يظهر كفره برسول الله ، ويفصح ذلك بلسانه ، وهو يقول :ـ فرحاً بقتل ولده وسبي ذرّيّته ، غير متحوب ولا مستعظم ـ :

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ولقالوا يا يزيد لا تشل

منحنياً على ثنايا أبي عبدالله ـ وكان مقبّل رسول الله ﷺ ـ ينكتها بمخصرته ، قد التمع السرور بوجهه ، لعمري لقد نكأت القرحة[٢] واستأصلت الشأفة[٣] ، بإراقتك دم سيّد شباب أهل الجنّة ، وابن يعسوب الدين العرب ، وشمس آل عبدالمطّلب ، وهتفت بأشياخك ، وتقرّبت بدمه إلى الكفرة من أسلافك ، ثمّ صرخت بندائك ولعمري لقد ناديتهم لو شهدوك ! ووشيكاً تشهدهم ، ولن يشهدوك ، ولتودّ يمينك كما زعمت شلّت بك عن مرفقها وجذّت ، وأحببت أُمّك لم تحملك وأباك لم يلد ، أو حين تصير إلى سخط الله ومخاصمك رسول الله ﷺ .

اللّهمّ خذ بحقّنا ، وانتقم ممّن ظلمنا ، واحلل غضبك على من سفك دماءنا ، ونقض ذمارنا ، وقتل حماتنا ، وهتك عنّا سدولنا ، وفعلت فعلتك الّتي فعلت ، وما فريت إلّا جلدك ، وما جزرت إلّا لحمك ، وسترد على رسول الله بما تحمّلت من دم ذرّيّته ، وانتهكت من حرمته ، وسفكت من دماء عترته ولحمته ، حيث يجمع به شملهم ، ويلمّ به شعثهم ، وينتقم من ظالمهم ، ويأخذ لهم بحقّهم من أعدائهم ، فلا يستفزّنّك الفرح بقتلهم ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ ٱللهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ وحسبك بالله وليّاً وحاكماً ، وبرسول الله خصماً ، وبجبرئيل ظهيراً ، وسيعلم من بوّأك ومكّنك من رقاب المسلمين أن بئس للظّالمين بدلاً ، وأيّكم شرٌّ مكاناً وأضلّ سبيلاً ، وما استصغاري قدرك ، ولا استعظامي تقريعك[٤] توهّماً لانتجاع الخطاب فيك[٥] بعد أن تركت عيون المسلمين به عبرى ، وصدورهم عند ذكره حرّىٰ ، فتلك قلوب قاسية ، ونفوس طاغية ، وأجسام محشوّة بسخط الله ولعنة الرّسول ، قد عشش فيها الشيطان وفرخ ، ومن هناك مثلك ما درج ونهض فالعجب كلّ العجب لقتل الأتقياء ، وأسباط الأنبياء ، وسليل الأوصياء ،

---

(١) الضبّ : الحقد . والجرجرة : صوت يردّده البعير في حنجرته .

(٢) نكأت : قشرت قبل أن تبرأ .

(٣) الشأفة : قرحة تخرج في أسفل القدم فتقطع أو تكوىٰ فتذهب .

(٤) التقريع : التعنيف .

(٥) الإنتجاع : الإنتفاع .

بأيدي الطلقاء الخبيثة، ونسل العهرة الفجرة، تنطف أكفّهم من دمائنا[١] وتتحلب[٢] أفواههم من لحومنا[٣] تلك الجثث الزاكية على الجيوب الضاحية، تنتابها العواسل[٤] وتعفّرها أُمّهات الفراعل[٥] فلئن اتّخذتنا مغنماً لتجد بنا وشيكاً مغرماً حين لا تجد إلّا ما قدّمت يداك، وما الله بظلّام للعبيد، فإلى الله المشتكى والمعوّل، وإليه الملجأ والمؤمّل، ثمّ كد كيدك، واجهد جهدك فوالله الّذي شرّفنا بالوحي والكتاب، والنبوّة والإنتخاب، لا تدرك أمدنا، ولا تبلغ غايتنا، ولا تمحو ذكرنا، ولا يرحض عنك عارنا، وهل رأيك إلّا فند، وأيّامك إلّا عدد، وجمعك إلّا بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعن الله الظالم العادي.

والحمد لله الّذي حكم لأوليائه بالسعادة، وختم لأصفيائه بالشهادة، ببلوغ الإرادة، ونقلهم إلى الرحمة والرأفة، والرضوان والمغفرة، ولم يشق بهم غيرك، ولا ابتلى بهم سواك، ونسأله أن يكمل لهم الأجر، ويجزل لهم الثواب والذخر، ونسأله حسن الخلافة، وجميل الإنابة، إنّه رحيم ودود».

فقال يزيد مجيباً لها:

يا صيحة تحمد من صوايح ... ما أهون الموت على النوائح

ثمّ أمر بردّهم.

وقيل: إنّ فاطمة بنت الحسين كانت وضيئة الوجه، وكانت جالسة بين النّساء، فقام إلى يزيد رجل من أهل الشام أحمر، فقال: يا أميرالمؤمنين هب لي هذه الجارية - يعني: فاطمة بنت الحسين -.

فأخذت بثياب عمّتها زينب بنت عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقالت: «أُوتم وأُستخدم» ؟!

فقالت زينب للشامي: «كذبت ولؤمت، والله ما ذاك لك ولا له».

فغضب يزيد ثمّ قال: إنّ ذلك لي ولو شئت أن أفعل لفعلت.

قالت زينب: «كلّا، والله ما جعل الله ذلك لك، إلّا أن تخرج من ملّتنا، وتدين بغير ديننا».

---

(١) تنطف: أي تقطر.

(٢) تتحلّب: حَلَبْتُ النّبات حلباً - من باب قتل - قطعته ومنه المخالب للطائر.

(٣) تنحلب: تسيل.

(٤) تنتابها العواسل: تأتي مرّة بعد أخرى. والعواسل: الذئاب.

(٥) تعفّرها: تمرّغها في التراب. والفُرْعُلْ. أولاد الضباع.

فقال يزيد : إنّما خرج من الدّين أبوك ، وأخوك .

قالت زينب : «بدين الله ، ودين أبي ، ودين أخي ، اهتديت أنت إن كنت مسلماً» .

قال يزيد :كذبت يا عدوّة الله .

فقالت زينب : «أنت أمير تشتم ظلماً ، وتقهر بسلطانك» .

فكأنّه استحى فسكت ، فعاد الشامي فقال : يا أميرالمؤمنين هب لي الجارية .

فقال يزيد : أغرب وهب الله لك حتفاً قاضياً .

احتجاج عليّ بن الحسين زين العابدين على يزيد بن معاوية لمّا أدخل عليه

روت ثقاة الرواة وعدولهم أنّه لمّا أُدخل عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام في جملة من حُمل إلى الشام سبايا من أولاد الحسين بن علي عليه السلام وأهاليه على يزيد ، قال له : يا عليّ ، الحمد لله الّذي قتل أباك !

قال عليّ عليه السلام : «قتل أبي النّاس» .

قال يزيد : الحمد لله الّذي قتله فكفانيه !

قال عليّ عليه السلام : «على من قتل أبي لعنة الله ، أفتراني لعنت الله عزّ وجلّ»[1] ؟

قال يزيد : يا علي إصعد المنبر فأعلم النّاس حال الفتنة ، وما رزق الله أميرالمؤمنين من الظفر !

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام : «ما أعرفني بما تريد» .

فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال : «أيّها النّاس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أُعرّفه بنفسي ، أنا بن مكّة ومنى ، أنا بن المروة والصفا ، أنا ابن محمّد المصطفى ، أنا بن من لا يخفى ، أنا بن من علا فاستعلى فجاز سدرة المنتهى فكان من ربّه قاب قوسين أو أدنى» .

فضجّ أهل الشّام بالبكاء حتّى خشي يزيد أن يرحل من مقعده ، فقال ـ للمؤذّن ـ : أذّن .

---

(١) والمراد منه أنّه إذا لم يكن قاتل أبي مستحق اللّعنة ، فكيف لعنته لأنّ لعن المؤمن بمنزلة سبّ الله ولعنه ، نعوذ بالله منه ، وقد ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿ولا تسبّوا الله عَدْوَاً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أنّ سبّ الأنبياء والأوصياء والصّالحين بمنزلة سبّ الله .

فلمّا قال المؤذّن : «الله أكبر ، الله أكبر» .

جلس عليّ بن الحسين على المنبر فقال : «أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله» .

بكى عليّ بن الحسين عليه السلام ثمّ التفت إلى يزيد فقال : «يا يزيد هذا أبي أم أبوك» ؟

قال : بل أبوك ، فانزل .

فنزل عليه السلام فأخذ بناحية باب المسجد ، فلقيه مكحول صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : كيف أمسيت يابن رسول الله ؟

قال عليه السلام : «أمسينا بينكم مثل بني إسرائيل في آل فرعون ، يذبّحون أبناءهم ، ويستحيون نساءهم ، وفي ذلكم بلاء من ربّكم عظيم» .

فلمّا انصرف يزيد إلى منزله ، دعا بعليّ بن الحسين عليه السلام فقال : يا علي أتصارع ابني خالداً ؟

قال عليه السلام : «وما تصنع بمصارعتي إيّاه ، أعطني سكّيناً وأعطه سكّيناً فليقتل أقوانا أضعفنا» .

فضمّه يزيد إلى صدره ، ثمّ قال : لا تلد الحيّة إلّا الحيّة ، أشهد أنّك ابن عليّ بن أبي طالب .

ثمّ قال له عليّ بن الحسين عليه السلام : «يا يزيد بلغني أنّك تريد قتلي ، فإن كنت لابدّ قاتلي ، فوجّه مع هؤلاء النّسوة من يؤدّيهنّ إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وآله» .

فقال له يزيد لعنه الله : لا يؤدّيهنّ غيرك ، لعن الله ابن مرجانة ، فوالله ما أمرته بقتل أبيك ، ولو كنت متولّياً لقتاله ما قتلته .

ثمّ أحسن جائزته وحمله والنّساء إلى المدينة .

احتجاجه عليه السلام في أشياء شتّى من علوم الدّين وذكر طرف من مواعظه البليغة

جاء رجل من أهل البصرة إلى عليّ بن الحسين عليه السلام فقال : يا عليّ بن الحسين ! إنّ جدّك عليّ بن أبي طالب قتل المؤمنين .

فهملت عينا عليّ بن الحسين عليه السلام دموعاً حتّى امتلأت كفّه منها ، ثمّ ضرب بها على الحصى ، ثمّ قال : «يا أخا أهل البصرة لا والله ما قتل عليٌّ مؤمناً ، ولا قتل مسلماً ، وما أسلم القوم ولكن استسلموا ، وكتموا الكفر وأظهروا الإسلام ، فلمّا وجدوا على الكفر أعواناً أظهروه ، وقد علمت

صاحبة الخدب[1] والمستحفظون من آل محمّد ﷺ أنّ أصحاب الجمل وأصحاب صفّين وأصحاب النهروان لعنوا على لسان النّبيّ الأُمّي وقد خاب من افترى».

فقال شيخ من أهل الكوفة: يا عليّ بن الحسين إنّ جدّك كان يقول: «إخواننا بغوا علينا».

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: «أما تقرأ كتاب الله ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾[2]؛ فهم مثلهم أنجى الله عزّ وجلّ هوداً والّذين معه وأهلك عاداً بالريح العقيم».

وبالإسناد المقدّم ذكره: إنّ عليّ بن الحسين عليه السلام كان يذكر حال من مسخهم الله قردة من بني إسرائيل ويحكي قصّتهم، فلمّا بلغ آخرها قال: «إنّ الله تعالى مسخ أولئك القوم لاصطيادهم السمك، فكيف ترى عند الله عزّ وجلّ يكون حال من قتل أولاد رسول الله ﷺ، وهتك حريمه؟! إنّ الله تعالى وإن لم يمسخهم في الدّنيا فإنّ المعدّ لهم من عذاب الآخرة أضعاف أضعاف عذاب المسخ».

فقيل له: يابن رسول الله فإنّا قد سمعنا منك هذا الحديث، فقال لنا بعض النصّاب: فإن كان قتل الحسين باطلاً فهو أعظم عند الله من صيد السمك في السبت، أفما كان الله غضب على قاتليه كما غضب على صيّادي السمك؟

قال عليّ بن الحسين عليه السلام: «قل لهؤلاء النصّاب فإن كان إبليس معاصيه أعظم من معاصي من كفر بإغوائه فأهلك الله من شاء منهم كقوم نوح، وفرعون، ولم يهلك إبليس، وهو أولى بالهلاك، فما باله أهلك هؤلاء الّذين قصروا عن إبليس في عمل الموبقات، وأمهل إبليس مع إيثاره لكشف المحرّمات، أما كان ربّنا عزّ وجلّ حكيماً بتدبيره وحكمه فيمن أهلك وفيمن استبقى؟ فكذلك هؤلاء الصائدون في السبت، وهؤلاء القاتلون للحسين، يفعل في الفريقين ما يعلم أنّه أولى بالصواب والحكمة، لا يُسئَل عمّا يفعل وعباده يُسْئَلون».

وقال الباقر عليه السلام: «فلمّا حدّث عليّ بن الحسين عليه السلام بهذا الحديث، قال له بعض من في مجلسه: يابن رسول الله كيف يعاتب الله ويوبّخ هؤلاء الأخلاف على قبائح أتاها أسلافهم، وهو يقول: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[3]؟

فقال زين العابدين عليه السلام: إنّ «القرآن» نزل بلغة العرب فهو يخاطب فيه أهل اللسان بلغتهم،

---

(١) الخدب: الجمل الشديد الصلب.

(٢) الأعراف ٦٥.

(٣) الأنعام ١٦٤.

يقول الرجل التميمي ـ قد أغار قومه على بلد وقتلوا من فيه ـ : أغرتم على بلد كذا ، وفعلتم كذا ، ويقول العربي : نحن فعلنا ببني فلان ، ونحن سبينا آل فلان ، ونحن خربنا بلد كذا ، لا يريد أنّهم باشروا ذلك ، ولكن يريد هؤلاء بالعذل وأولئك بالإفتخار : إنّ قومهم فعلوا كذلك ، وقول الله عزّ وجلّ في هذه الآيات إنّما هو توبيخ لأسلافهم ، وتوبيخ العذل على هؤلاء الموجودين ، لأنّ ذلك هو اللغة الّتي نزل بها «القرآن» ، والآن هؤلاء الأخلاف أيضاً راضون بما فعل أسلافهم ، مصوّبون لهم ، فجاز أن يقال : أنتم فعلتم أي إذ رضيتم قبيح فعلهم» .

وعن أبي حمزة الثمالي[1] **قال** : دخل قاض من قضاة أهل الكوفة على عليّ بن الحسين عليه السلام فقال له : جعلني الله فداك ! أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ ﴾[2]» .

قال عليه السلام له : «ما يقول النّاس فيها قبلكم بالعراق» ؟

قال : يقولون : إنّها مكّة .

فقال عليه السلام : «وهل رأيت السرق في موضع أكثر منه بمكّة» ؟

قال : فما هو ؟

قال عليه السلام : «إنّما عنى الرّجال» .

قال : وأين ذلك من كتاب الله ؟

---

(١) قال الشيخ عبّاس القمّي في الكنى والألقاب ج٢ ص١١٨ : «الثمالي أبو حمزة ثابت بن دينار ، الثقة الجليل ، صاحب الدعاء المعروف في أسحار شهر رمضان ، كان من زهّاد أهل الكوفة ومشايخها ، وكان عربيّاً أزديّاً .
روى عن الفضل بن شاذان قال : سمعت الرّضا عليه السلام يقول : «أبو حمزة الثمالي في زمانه كسلمان الفارسي في زمانه ، وذلك أنّه خدم أربعة منّا : عليّ بن الحسين ، ومحمّد بن علي ، وجعفر بن محمّد ، وبرهة من عصر موسى بن جعفر» .
وعدّه الشيخ في أصحاب عليّ بن الحسين ص٨٤ من رجاله فقال : «ثابت بن أبي صفيّة دينار الثمالي الأزدي ، يكنّى أباحمزة الكوفي ، مات سنة خمسين ومائة» وذكره في أصحاب الباقر عليه السلام ص ١١٠ وص ١٦٠ في أصحاب الصادق عليه السلام .
وقال النجاشي ص٨٩ : لقي عليّ بن الحسين وأباجعفر وأباعبدالله وأباالحسن عليهم السلام وروى عنهم ، وكان من خيار أصحابنا ، وثقاتهم ، ومعتمديهم في الرواية والحديث .
و(قال) : وروى عنه العامّة ومات سنة خمسين ومائة ، له كتاب تفسير القرآن .

(٢) سبأ ١٨ .

فقال عليه السلام : «أوما تسمع إلى قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَكَأَيِّن مِن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ﴾[١] وقال : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ ﴾[٢] وقال : ﴿ وَاسْأَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾[٣] أفيُسئَل القرية أو الرجال أو العير» ؟

قال : وتلا عليه آيات في هذا المعنى .

قال : جعلت فداك ! فمَن هم ؟

قال عليه السلام : «نحن هم» .

فقال : أوما تسمع إلى قوله: ﴿ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ ﴾ ؟

قال عليه السلام : «آمنين من الزيغ» .

وروي أنّ زين العابدين عليه السلام مرّ بالحسن البصري وهو يعظ النّاس بمنى ، فوقف عليه السلام عليه ثمّ قال : «أمسك أسألك عن الحال الّتي أنت عليها مقيم ، أترضاها لنفسك فيما بينك وبين الله إذا نزل بك غداً» ؟

قال : لا .

قال عليه السلام : «أفتحدّث نفسك بالتحوّل والإنتقال عن الحال الّتي لا ترضاها لنفسك إلى الحال الّتي ترضاها» ؟

(قال) : فأطرق مليّاً ثمّ قال : إنّي أقول ذلك بلا حقيقة .

قال عليه السلام : «أفترجو نبيّاً بعد محمّد صلى الله عليه وآله يكون لك معه سابقة» ؟

قال : لا .

قال عليه السلام : «أفترجو داراً غير الدار الّتي أنت فيها ترد إليها فتعمل فيها» ؟

قال : لا .

قال عليه السلام : «أفرأيت أحداً به مسكة عقل رضي لنفسه من نفسه بهذا ؟ إنّك على حال لا ترضاها ولا تحدّث نفسك بالإنتقال إلى حال ترضاها على حقيقة ، ولا ترجو نبيّاً بعد محمّد ، ولا داراً غير الدار الّتي أنت فيها فتردّ إليها فتعمل فيها ، وأنت تعظ النّاس» ؟!

---

(١) الطلاق ٨.

(٢) الكهف ٥٩.

(٣) يوسف ٨٢.

قال : فلمّا ولّى عليه السلام قال الحسن البصري : مَن هذا ؟

قالوا : عليّ بن الحسين .

قال : أهل بيت علم ؛ فما رُئِيَ الحسن البصري بعد ذلك يعظ النّاس .

وعن أبي حمزة الثمالي قال : سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يحدّث رجلاً من قريش ، قال : «لمّا تاب الله على آدم ، واقع حوّاء ولم يكن غشيها منذ خلق وخلقت إلّا في الأرض ، وذلك بعد ما تاب الله عليه» .

قال : «وكان آدم يعظّم البيت وما حوله من حرمة البيت ، فكان إذا أراد أن يغشي حوّاء خرج من الحرم وأخرجها معه ، فإذا جاز الحرم غشيها في الحل ، ثمّ يغتسلان إعظاماً منه للحرم ، ثمّ يرجع إلى فناء البيت» .

قال : «فولد لآدم من حوّاء عشرون ذكراً وعشرون أُنثى ، فولد له في كلّ بطن ذكر وأُنثى ، فأوّل بطن ولدت حوّاء «هابيل» ومعه جارية يقال لها «إقليما» .

قال : وولدت في البطن الثاني «قابيل» ومعه جارية يقال لها «لوزا» ، وكانت لوزا أجمل بنات آدم» .

(قال) : «فلمّا أدركوا خاف عليهم آدم الفتنة فدعاهم إليه فقال : أُريد أن أُنكحك يا هابيل لوزا ، وأُنكحك يا قابيل إقليما .

قال قابيل : ما أرضى بهذا ، أتنكحني أُخت هابيل القبيحة ، وتنكح هابيل أُختي الجميلة ؟

قال : فأنا أقرع بينكما ، فإن خرج سهمك يا قابيل على لوزا ، وخرج سهمك يا هابيل على إقليما ، زوّجت كلّ واحد منكما الّتي خرج سهمه عليها» .

(قال) : «فرضيا بذلك ، فاقترعا» .

(قال) : «فخرج سهم هابيل على لوزا أُخت قابيل ، وخرج سهم قابيل على إقليما أُخت هابيل» .

قال : «فزوّجهما على ما خرج لهما من عند الله» .

(قال) : «ثمّ حرّم الله نكاح الأخوات بعد ذلك» .

قال : فقال له القرشي : فأولدهما ؟

قال عليه السلام : «نعم» .

قال : فقال القرشي : فهذا فعل المجوس اليوم !

قال : فقال عليّ بن الحسين عليه السلام : «إنّ المجوس إنّما فعلوا ذلك بعد التحريم من الله» .

ثمّ قال له عليّ بن الحسين عليه السلام : «لا تنكر هذا ، إنّما هي الشرايع جرت ، أليس الله قد خلق زوجة آدم منه ثمّ أحلّها له ؟ فكان ذلك شريعة من شرايعهم ، ثمّ أنزل الله التحريم بعد ذلك» .

لقي عبّاد البصري عليّ بن الحسين عليه السلام في طريق مكّة فقال له : يا عليّ بن الحسين تركت الجهاد وصعوبته ، وأقبلت على الحج ولينه ، وإنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ـ إلى قوله ـ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] ؟

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام : «إذا رأينا هؤلاء الّذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحجّ» .

وسُئِلَ عليه السلام عن النبيذ فقال : «شربه قوم وحرّمه قوم صالحون ؛ فكان شهادة الّذين دفعوا بشهادتهم شهواتهم أولى أن تقبل من الّذين جرّوا بشهادتهم شهواتهم» .

وعن عبدالله بن سنان[2] عن أبي عبدالله عليه السلام قال : «قال رجل لعليّ بن الحسين عليه السلام : إنّ فلاناً ينسبك إلى أنّك ضالّ مبتدع !

فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام : ما رعيت حقّ مجالسة الرّجل حيث نقلت إلينا حديثه ، ولا أدّيت حقّي حيث أبلغتني عن أخي ما لست أعلمه ، إنّ الموت يعمّنا ، والبعث محشرنا ، والقيامة موعدنا ، والله يحكم بيننا ، إيّاك والغيبة ، فإنّها أدام كلاب النّار ، واعلم أنّ من أكثر عيوب النّاس شهد عليه الإكثار إنّه إنّما يطلبها بقدر ما فيه» .

وسُئِلَ عليه السلام عن الكلام والسكوت أيّهما أفضل ، فقال عليه السلام : «لكلّ واحد منهما آفات ، فإذا سلما من الآفات ؛ فالكلام أفضل من السكوت» .

قيل : وكيف ذاك يابن رسول الله ؟

قال عليه السلام : «لأنّ الله عزّ وجلّ ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت ، إنّما بعثهم بالكلام ، ولا استحقّت الجنّة بالسكوت ، ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت ، ولا توقّيت النّار بالسّكوت ، ولا نجنّب

---

(١) التوبة ١١١ ـ ١١٢.

(٢) عبدالله بن سنان : قال العلّامة في القسم الأوّل من خلاصته ص١٠٤ : «عبدالله بن سنان ـ بالسين المهملة والنون قبل الألف وبعدها ـ ابن طريف مولى بني هاشم ، ويقال مولى بني أبي طالب ، ويقال : مولى بني العبّاس . كان خازناً للمنصور والمهدي والهادي والرشيد ، وكان كوفياً ثقة من أصحابنا ، جليلاً لا يطعن عليه في شيء . روى عن الصّادق عليه السلام وقيل روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام ولم يثبت . قال فيه الصّادق عليه السلام : «أمّا إنّه يزيد على السنّ خيراً» . رواه الكشي في حديث المرسل» .

سخط الله بالسكوت ، إنّما ذلك كلّه بالكلام ، وماكنت لأعدل بين القمر بالشّمس ، إنّك تصف فضل السّكوت بالكلام ، ولست تصف فضل الكلام بالسكوت» .

روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : «لمّا قتل الحسين بن عليّ عليه السلام ، أرسل محمّد بن الحنفيّة إلى عليّ بن الحسين عليه السلام فخلا به ثمّ قال : يابن أخي قد علمت أنّ رسول الله كان جعل الوصيّة والإمامة من بعده لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ، ثمّ إلى الحسن ، ثمّ الحسين ، وقد قُتل أبوك رضي الله عنه وصلّى عليه ولم يوص ، وأنا عمّك وصنو أبيك ، وأنا في سنّي وقدمتي أحقّ بها منك في حداثتك ، فلا تنازعني الوصيّة والإمامة ، ولا تخالفني .

فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام : اتّق الله ولا تدّع ما ليس لك بحق ، إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين . يا عم ! إنّ أبي صلوات الله عليه أوصى إليّ قبل أن يتوجّه إلى العراق ، وعهد إليّ في ذلك قبل أن يستشهد بساعة ، وهذا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله عندي ، فلا تعرض لهذا فإنّي أخاف عليك بنقص العمر ، وتشتّت الحال ، وإنّ الله تبارك وتعالى أبى إلّا أن يجعل الوصيّة والإمامة إلّا في عقب الحسين ، فإن أردت أن تعلم فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتّى نتحكّم إليه ونسأله عن ذلك» .

قال الباقر عليه السلام : «وكان الكلام بينهما وهما يومئذ بمكّة ، فانطلقا حتّى أتيا الحجر الأسود ، فقال عليّ بن الحسين عليه السلام لمحمّد : إبدأ فابتهل إلى الله واسأله أن يُنطق لك الحجر ثمّ سله .

فابتهل محمّد في الدعاء وسأل الله ثمّ دعا الحجر فلم يجبه .

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام : أمّا إنّك يا عم لو كنت وصيّاً وإماماً لأجابك !

فقال له محمّد : فادع أنت يابن أخي !

فدعا الله عليّ بن الحسين عليه السلام بما أراد ثمّ قال : «أسألك بالّذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق النّاس أجمعين لمّا أخبرتنا بلسان عربيّ مبين من الوصيّ والإمام بعد الحسين بن علي» !

فتحرّك الحجر حتّى كاد أن يزول عن موضعه ، ثمّ أنطقه الله بلسان عربيّ مبين ، فقال : اللّهمّ إنّ الوصيّة والإمامة بعد الحسين بن عليّ بن أبي طالب إلى عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله .

فانصرف محمّد وهو يتولّى عليّ بن الحسين عليه السلام» .

وعن ثابت البناني[1] **قال**: كنت حاجّاً وجماعة من عبّاد البصرة مثل أيّوب السجستاني، وصالح المروي، وعتبة الغلام، وحبيب الفارسي، ومالك بن دينار فلمّا أن دخلنا مكّة رأينا الماء ضيّقاً، وقد اشتدّ بالنّاس العطش لقلّة الغيث، ففزع إلينا أهل مكّة والحجّاج يسألوننا أن نستسقي لهم، فأتينا الكعبة وطفنا بها ثمّ سألنا الله خاضعين متضرّعين بها؛ فمنعنا الإجابة، فبينما نحن كذلك إذا نحن بفتى قد أقبل وقد أكربته أحزانه، وأقلقته أشجانه، فطاف بالكعبة أشواطاً ثمّ أقبل علينا فقال: «يا مالك بن دينار! ويا ثابت البناني! ويا أيّوب السجستاني! ويا صالح المروي! ويا عتبة الغلام! ويا حبيب الفارسي! ويا سعد! ويا عمر! ويا صالح الأعمى! ويا رابعة! ويا سعدانة! ويا جعفر بن سليمان»!

فقلنا: لبّيك وسعديك يا فتى!

فقال: «أما فيكم أحد يحبّه الرّحمان»؟

فقلنا: يا فتى علينا الدّعاء وعليه الإجابة.

فقال: «أبعدوا عن الكعبة فلو كان فيكم أحد يحبّه الرّحمان لأجابه»، ثمّ أتى الكعبة فخرّ ساجداً فسمعته يقول ـ في سجوده ـ: «سيّدي بحبّك لي إلّا سقيتهم الغيث».

قال: فما استتمّ الكلام حتّى أتاهم الغيث كأفواه القرب.

فقلت: يا فتى من أين علمت أنّه يحبّك؟

قال: «لو لم يحبّني لم يستزرني، فلمّا استزارني علمت أنّه يحبّني، فسألته بحبّه لي، فأجابني».

ثمّ ولّى عنّا وأنشأ يقول:

«من عرف الربّ فلم تغنه ... معرفة الربّ فذاك الشقي

ما ضرّ في الطاعة ما ناله ... في طاعة الله وماذا لقي

---

(١) ثابت البناني: قال العلّامة في القسم الأوّل من الخلاصة ص٢٩: «ثابت البناني يكنّى أبا فضالة، من أهل بدر من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قُتل بصفّين».

وفي أصحاب علي من رجال الشيخ ص٣٦: ثابت الأنصاري البناني يكنّى أبافضالة من أهل بدر قتل معه عليه السلام بصفّين.

ما يصنع العبد بغير التقى والعزّ كلّ العزّ للمتّقي»

فقلت : يا أهل مكّة من هذا الفتى ؟

قالوا : عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام .

وعن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عليّ بن الحسين عليه السلام قال : «نحن أئمّة المسلمين ، وحجج الله على العالمين ، وسادة المؤمنين ، وقادة الغرّ المحجّلين ، وموالي المؤمنين ، ونحن أمان لأهل الأرض ، كما أنّ النّجوم أمان لأهل السّماء ، ونحن الّذين بنا يمسك الله السّماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه ، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها ، وبنا ينزّل الغيث ، وينشر الرحمة ، وتخرج بركات الأرض ، ولولا ما في الأرض منّا لساخت الأرض بأهلها .

ثمّ قال : ولم تخلُ الأرض منذ خلق الله آدم من حجّة لله فيها ؛ ظاهر مشهور أو غائب مستور ، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجّة الله ، ولولا ذلك لم يعبد الله» .

وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي خالد الكابلي[1] قال : دخلت على سيّدي عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام ، فقلت له : يابن رسول الله أخبرني بالّذين فرض الله طاعتهم ومودّتهم ، وأوجب على خلقه الإقتداء بهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

فقال عليه السلام لي : «يا أبا كنكر ! إنّ أُولي الأمر الّذين جعلهم الله أئمّة النّاس وأوجب عليهم طاعتهم : أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب ، ثمّ انتهى الأمر إلينا» ثمّ سكت .

فقلت له : يا سيّدي روي لنا عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال : «لا تخلو الأرض من حجّة الله على عباده ، فمن الحجّة والإمام بعدك ؟

قال عليه السلام : «إبني «محمّد» واسمه في «التوراة» «باقر» ؛ يبقر العلم بقراً ، هو الحجّة والإمام بعدي ، ومن بعد محمّد ابنه «جعفر» اسمه عند أهل السماء «الصادق» .

---

(١) في الكنى والألقاب للشيخ عبّاس القمّي ج١ ص٦٠ قال : «قال الفضل بن شاذان : ولم يكن في زمن عليّ بن الحسين عليه السلام في أوّل أمره إلّا خمسة أنفس : سعيد بن جبير ، سعيد بن المسيّب ، محمّد بن جبير بن مطعم ، يحيى ابن أمّ الطويل ، أبو خالد الكابلي ، واسمه وردان ، ولقبه كنكر ، ثمّ قال : وفي خبر الحواريين أنّه من حواري عليّ بن الحسين عليه السلام ، وقد شاهد كثيراً من دلائل الأئمّة عليهم السلام ، ويأتي في الطاقي رواية تتعلّق به ، ويظهر من رسالة أبي غالب الزراري أنّ آل أعين وهم أكبر بيت في الكوفة من الشيعة أنّ أوّل من عرف منهم عبدالملك عرفه من صالح ابن ميثم ثمّ عرفه حمران من أبي خالد الكابلي .

فقلت له : يا سيّدي فكيف صار اسمه الصادق وكلّكم صادقون ؟

فقال عليه‌السلام : «حدّثني أبي عن أبيه أنّ رسول الله قال : «إذا ولد ابني جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، فسمّوه الصّادق ، فإنّ الخامس من ولده الّذي اسمه جعفر يـدّعي الإمامة اجتراءً على الله ، وكذباً عليه ، فهو عند الله «جعفر الكذّاب» المفتري على الله ، المدّعي لما ليس له بأهل ، المخالف على أبيه ، والحاسد لأخيه ، وذلك الّذي يكشف سرّ الله عند غيبة وليّ الله».

ثمّ بكى عليّ بن الحسين بكاءاً شديداً ، ثمّ قال : «كأنّي بجعفر الكذّاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر وليّ الله ، والمغيب في حفظ الله ، والتوكيل بحرم أبيه جهلاً منه بولادته ، وحرصاً على قتله إن ظفر به ، طمعاً في ميراث أبيه حتّى يأخذه بغير حقّه» .

قال أبو خالد : فقلت له : يابن رسول الله وإنّ ذلك لكائن ؟

فقال عليه‌السلام : «إي وربّي إنّه لمكتوب عندنا في الصحيفة الّتي فيها ذكر المحن الّتي تجري علينا بعد رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله» .

قال أبو خالد : فقلت : يابن رسول الله ثمّ يكون ماذا ؟

قال عليه‌السلام : «ثمّ تمتدّ الغيبة بوليّ الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله والأئمّة بعده . يا أباخالد ! إنّ أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل أهل كلّ زمان ، لأنّ الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة ، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله ، بالسيف ، أولئك المخلصون حقّاً وشيعتنا صدقاً ، والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهراً» .

وقال عليه‌السلام : «إنتظار الفرج من أعظم الفرج» .

وبالإسناد المتقدّم ذكره عن عليّ بن الحسين عليه‌السلام في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي ٱلْأَلْبَابِ ﴾[1] الآية : ولكم يا اُمّة محمّد في القصاص حياة لأنّ من همّ بالقتل فعرف أنّه يقتصّ منه فكفّ لذلك عن القتل ، كان حياة للّذي همّ بقتله ، وحياة لهذا الجاني الّذي أراد أن يقتل ، وحياة لغيرهما من النّاس ، إذا علموا أنّ القصاص واجب لا يجسرون على القتل مخافة

---

(١) البقرة ١٧٩.

القصاص ، يا أُولي الألباب ـ أُولي العقول ـ لعلّكم تتقون» .

ثمّ قال عليه السلام : «عباد الله هذا قصاص قتلكم لمن تقتلونه في الدّنيا ، وتفنون روحه ، أفلا أُنبّئكم بأعظم من هذا القتل ، وما يوجبه الله على قاتله ممّا هو أعظم من هذا القصاص» ؟

قالوا : بلى يابن رسول الله .

قال عليه السلام : «أعظم من هذا القتل أن يقتله قتلاً لا يجبر ولا يحيا بعده أبداً» .

قالوا : ما هو ؟

قال عليه السلام : «أن يضلّه عن نبوّة محمّد ، وعن ولاية عليّ بن أبي طالب ، ويسلك به غير سبيل الله ، ويغيّر به باتّباع طريق أعداء علي والقول بإمامتهم ، ودفع عليّ عن حقّه ، وجحد فضله ، وألّا يبالي بإعطائه واجب تعظيمه ، فهذا هو القتل الّذي هو تخليد المقتول في نار جهنّم خالداً مخلّداً أبداً ، فجزاء هذا القتل مثل ذلك الخلود في نار جهنّم» .

وقال أبو محمّد الحسن العسكري صلوات الله عليه : «إنّ رجلاً جاء إلى عليّ بن الحسين برجل يزعم أنّه قاتل أبيه ، فاعترف فأوجب عليه القصاص ، وسأله أن يعفو عنه ليعظّم الله ثوابه ، فكأنّ نفسه لم تطب بذلك .

فقال عليّ بن الحسين ـ للمدّعي الدم الّذي هو الوليّ المستحق للقصاص ـ : إن كنت تذكر لهذا الرّجل عليك فضلاً فهب له هذه الجناية ، واغفر له هذا الذنب .

قال : يابن رسول الله له عَلَيّ حقّ ، ولكن لم يبلغ به أن أعفو له عن قتل والدي .

قال : فتريد ماذا ؟

قال : أُريد القود ، فإن أراد لحقّه عَلَيّ أن أُصالحه على الدية صالحته وعفوت عنه .

قال عليّ بن الحسين عليه السلام : فماذا حقّه عليك ؟

قال : يابن رسول الله لقّنني توحيد الله ، ونبوّة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإمامة عليّ والأئمّة عليهم السلام .

فقال عليّ بن الحسين : فهذا لا يفي بدم أبيك ؟ بلى والله هذا يفي بدماء أهل الأرض كلّهم من الأوّلين والآخرين سوى الأنبياء والأئمّة ، إن قُتِلوا فإنّه لا يفي بدمائهم شيء» تمام الخبر .

وبالإسناد المتقدّم ذكره أنّ محمّد بن علي الباقر عليه السلام قال : «دخل محمّد بن مسلم بن شهاب

الزهري[1] على عليّ بن الحسين عليه السلام، وهو كئيب حزين، فقال له زين العابدين عليه السلام : ما بالك مغموماً ؟

قال : يابن رسول الله غموم وهموم تتوالى عَلَيّ لما امتحنت به من جهة حسّاد نعمي، والطامعين فيّ، وممّن أرجو، وممّن أحسنت إليه، فيخلف ظنّي.

فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام : إحفظ عليك لسانك تملك به إخوانك.

قال الزُّهَري : يابن رسول الله إنّي أُحسن إليهم بما يبدر من كلامي.

قال عليّ بن الحسين عليه السلام : هيهات هيهات ! إيّاك أن تعجب من نفسك بذلك، وإيّاك أن تتكلّم بما يسبق إلى القلوب إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره، فليس كلّ من تسمعه شرّاً يمكنك أن توسعه عذراً.

ثمّ قال : يا زهري من لم يكن عقله من أكمل ما فيه كان هلاكه في أيسر ما فيه.

ثمّ قال : يا زهري أمّا عليك أن تجعل المسلمين منك بمنزلة أهل بيتك فتجعل كبيرهم منك بمنزلة والدك، وتجعل صغيرهم منك بمنزلة ولدك، وتجعل تربك منهم بمنزلة أخيك، فأيّ هؤلاء تحبّ أن تظلم ؟ وأيّ هؤلاء تحبّ أن تدعوا عليه ؟ وأيّ هؤلاء تحبّ أن تهتك ستره ؟ وإن عرض لك إبليس لعنه الله بأنّ لك فضلاً على أحدٍ من أهل القبلة، فانظر إن كان أكبر منك فقل : قد سبقني بالإيمان والعمل الصالح فهو خير منّي، وإن كان أصغر منك فقل : قد سبقته بالمعاصي والذنوب فهو خير منّي، وإن كان تربك فقل : أنا على يقين من ذنبي في شكٍّ من أمره فمالي أدع يقيني لشكّي، وإن رأيت المسلمين يعظّمونك ويوقّرونك ويبجّلونك فقل : هذا فضل أخذوا به، وإن رأيت منهم جفاءً وانقباضاً عنك فقل : هذا لذنب أحدثته، فإنّك إذا فعلت ذلك سهّل الله عليك عيشك، وكثر أصدقاءك، وقلّ أعداءك، وفرحت بما يكون من برّهم، ولم تأسف على ما يكون من جفائهم.

---

(١) قال الشيخ عبّاس القمّي في الكنى والألقاب ج٢ ص ٢٧٠ : «الزهري - بضمّ الزاي وسكون الهاء - أبو بكر محمّد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن الحرث بن شهاب بن زهرة بن كلاب، الفقيه المدني التابعي المعروف، وقد ذكره علماء الجمهور وأثنوا عليه ثناء بليغاً، قيل : إنّه قد حفظ علم العلماء السبعة، ولقى عشرة من الصحابة، وروى عنه جماعة من أئمّة علم الحديث، وأمّا علمائنا فقد اختلفت كلماتهم في مدحه وقدحه، وقد ذكرنا ما يتعلّق به في سفينة البحار».

واعلم أنّ أكرم النّاس على النّاس من كان خيره عليهم فايضاً، وكان عنهم مستغنياً متعفّفاً، وأكرم النّاس بعده عليهم من كان متعففاً، وإن كان إليهم محتاجاً، فإنّما أهل الدّنيا يتعقّبون الأموال؛ فمن لم يزاحمهم فيما يتعقّبونه كرم عليهم، ومن لم يزاحمهم فيها ومكّنهم من بعضها كان أعزّ عليهم وأكرم».

وبالإسناد المقدّم ذكره عن الرّضا عليه السلام أنّه قال: «قال عليّ بن الحسين: إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه، وتماوت[1] في منطقه، وتخاضع في حركاته؛ فرويداً لا يغرّنّكم، فما أكثر من يعجزه تناول الدّنيا وركوب الحرام منها لضعف نيّته ومهانته، وجبن قلبه، فنصب الدّين فخّاً لها، فهو لا يزال يختلّ النّاس بظاهره، فإن تمكّن من حرام اقتحمه.

وإذا وجدتموه يعفّ عن المال الحرام؛ فرويداً لا يغرّنّكم! فإنّ شهوات الخلق مختلفة، فما أكثر من ينبوا عن المال الحرام وإن كثر، ويحمل نفسه على شوها قبيحة، فيأتي منها محرّماً.

فإذا وجدتموه يعفّ عن ذلك؛ فرويداً لا يغرّنّكم، حتّى تنظروا ما عقدة عقله، فما أكثر من ترك ذلك أجمع ثمّ لا يرجع إلى عقل متين، فيكون ما يفسد بجهله أكثر ممّا يصلحه بعقله.

فإذا وجدتم عقله متيناً؛ فرويداً لا يغرّنّكم! حتّىٰ تنظروا أمع هواه يكون على عقله أم يكون مع عقله على هواه؟ وكيف محبّته للرّياسات الباطله وزهده فيها، فإنّ في النّاس من خسر الدّنيا والآخرة؛ يترك الدّنيا للدّنيا، ويرى أنّ لذّة الرياسة الباطلة أفضل من لذّة الأموال والنّعم المباحة المحلّلة؛ فيترك ذلك أجمع طلباً للرياسة حتّى إذا قيل له اتّق الله أخذته العزّة بالإثم فحسبه جهنّم ولبئس المهاد، فهو يخبط خبط عشواء، يقوده أوّل باطل إلى أبعد غايات الخسارة، ويمدّه ربّه بعد طلبه لما لا يقدر عليه في طغيانه، فهو يحلّ ما حرّم الله، ويحرّم ما أحلّ الله، لا يبالي ما فات من دينه إذا سلمت له رئاسته الّتي قد شقي من أجلها، فأولئك الّذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم عذاباً مهيناً.

ولكن الرّجل كلّ الرّجل نعم الرّجل هو: الّذي جعل هواه تبعاً لأمر الله، وقواه مبذولة في رضى الله، يرى الذلّ مع الحقّ أقرب إلى عزّ الأبد من العزّ في الباطل، ويعلم أنّ قليل ما يحتمله من ضرّائها يؤدّيه إلى دوام النّعيم في دار لا تبيد ولا تنفد، وإنّ كثيراً ما يلحقه من سرّائها إن اتّبع هواه

---

(١) قال الجزري: يُقال: تماوت الرجل: إذا أظهر من نفسه التخافت والتضاعف، من العبادة والزهد والصوم. المتماوت: الناسك المرائي.

يؤدّيه إلى عذاب لا انقطاع له ولا يزول ، فذلكم الرّجل نعم الرّجل ، فيه فتمسّكوا ، وبسنّته فاقتدوا ، وإلى ربّكم فتوسّلوا فإنّه لا تردّ له دعوة ولا يخيّب له طلبة» .

احتجاج أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليهما السلام في شيء ممّا يتعلّق بالأصول والفروع

عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾[1] قال : «من لم يدلّه خلق السّماوات والأرض ، واختلاف اللّيل والنّهار ، ودوران الفلك بالشمس والقمر ، والآيات العجيبات على أنّ وراء ذلك أمراً هو أعظم منه ؛ فهو في الآخرة أعمى» . قال : «فهو عمّا لم يعاين أعمى وأضلّ سبيلا» .

سأل نافع بن الأزرق أباجعفر عليه السلام قال : أخبرني عن الله عزّ وجلّ متى كان ؟

قال عليه السلام : «متى لم يكن حتّى أُخبرك متى كان ؟ سبحان من لم يزل ولا يزال فرداً صمداً لم يتّخذ صاحبة ولا ولدا» .

عن عبدالله بن سنان عن أبيه قال : حضرت أباجعفر عليه السلام وقد دخل عليه رجل من الخوارج ، فقال له : يا أباجعفر أيّ شيء تعبد ؟

قال عليه السلام : «الله» .

قال : رأيته ؟

قال عليه السلام : «بلى ، لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ، ولكن رأته القلوب بحقايق الإيمان ، لا يعرف بالقياس ، ولا يدرك بالحواس ، ولا يشبه بالنّاس ، موصوف بالآيات ، معروف بالدلالات ، لا يجور في حكمه ، ذلك الله لا إله إلّا الله» .

قال : فخرج الرّجل وهو يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

وروى محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال ـ في صفة القديم ـ : «إنّه واحد صمد ، أحديّ المعنى ، ليس بمعانٍ كثيرة مختلفة» .

قال : قلت له : جعلت فداك إنّه يزعم قوم من أهل العراق أنّه يسمع بغير الّذي يبصر ، ويبصر بغير الّذي يسمع ؟

---

(١) الإسراء ٧٢.

قال : فقال عليه السلام : «كذبوا وألحدوا ، وشبّهوا الله تعالى إنّه سميع بصير ، يسمع بما به يبصر ، ويبصر بما به يسمع» .

قال : فقلت : يزعمون أنّه بصير على ما يعقله ؟

قال : فقال عليه السلام : «تعالى الله ، إنّما يعقل من كان بصفة المخلوق ، وليس الله كذلك» .

وروى بعض أصحابنا أنّ عمرو بن عبيد دخل على الباقر عليه السلام فقال له : جعلت فداك ! قول الله ﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾[1] ؟

قال عليه السلام : «العذاب يا عمرو ! وإنّما يغضب المخلوق الّذي يأتيه الشيء فيستفزّه ، ويغرّه عن الحال الّتي هو بها إلى غيرها ، فمن زعم أنّ الله يغيّره الغضب والرّضا ، ويزول عن هذا ، فقد وصفه بصفة المخلوق» .

وعن أبي الجارود[2] قال : قال أبو جعفر عليه السلام : «إذا حدّثتكم بشيء فسألوني من كتاب الله» .

ثمّ قال ـ في بعض حديثه ـ : «إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله نهى عن القيل والقال ، وفساد المال ، وكثرة السؤال» .

فقيل له : يابن رسول الله أين هذا من كتاب الله عزّ وجلّ ؟

قال عليه السلام : «قوله : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِن نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾[3]

---

(١) طه ٨١.

(٢) أبوالجارود ، في ج ١ ص ٣١ من الكنى والألقاب للشيخ القمي : «زياد المنذر ، قال شيخنا صاحب المستدرك في ترجمته في الخاتمة : وأمّا أبوالجارود فالكلام فيه طويل ، والّذي يقتضيه النظر بعد التأمّل فيما ورد فيما قالوا فيه : إنّه كان ثقة في النّقل ، مقبول الرواية ، معتمداً في الحديث ، إمامياً في أوّله وزيدياً في آخره ، ثمّ أطال الكلام في حاله إلى أن قال : وفي تقريب ابن حجر : «زياد بن المنذر أبوالجارود الأعمى الكوفي رافضي ، كذّبه يحيى بن معين من السابعة ، مات بعد الخمسين أي بعد المائة و(قال) وعن دعوات الراوندي عن أبي الجارود قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : إنّي امرء ضرير البصر ، كبير السن ، والشقة فيما بيني وبينكم بعيدة ، وأنا أُريد أمراً أدين الله به ، وأحتجّ به ، وأتمسّك به ، وأُبلّغه من خلّفت .

قال : عجب بقولي فاستوى جالساً فقال : «كيف قلت يا أباالجارود ردّ عَلَي» .

قال : فرددت عليه .

فقال : «يا أباالجارود ، شهادة أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم شهر رمضان ، وحجّ البيت ، وولاية وليّنا ، وعداوة عدوّنا ، والتسليم لأمرنا ، وانتظار قائمنا ، والورع ، والإجتهاد» .

(٣) النساء ١١٤.

﴿ وَلاَ تُؤْتُوا اَلسُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ اَلَّتِي جَعَلَ اَللهُ لَكُمْ قِيَاماً ﴾[١] وقال : ﴿ لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[٢]» .

وروى حمران بن أعين[٣] قال : سألت أباجعفر عليه السلام قول الله عزّ وجلّ ﴿ وَرُوح مِنْه ﴾[٤] ؟

قال عليه السلام : «هي مخلوقة خلقها الله بحكمته في آدم وفي عيسى عليه السلام» .

محمّد بن مسلم قال : سألت أباجعفر عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾[٥] كيف هذا النفخ ؟

فقال عليه السلام : «إنّ الروح متحرّك كالرّيح ، إنّما سمّي روحاً لأنّه اشتقّ اسمه من الرّيح ، وإنّما أخرجه عن لفظة الرّيح لأنّ الرّوح متجانس للرّيح ، وإنّما أضافه إلى نفسه لأنّه اصطفاه على ساير الأرواح ،كما اصطفى بيتاً من البيوت ، وقال : «بيتي» وقال ـ لرسول من الرسل ـ : «خليلي» وأشباه ذلك مخلوق مصنوع مربوب مدبّر» .

وعن محمّد بن مسلم أيضاً قال : سألت أباجعفر عليه السلام عمّا روي : «إنّ الله خلق آدم على صورته»؟

فقال عليه السلام : «هي صورة محدثة مخلوقة ، اصطفاها الله واختارها ، على أساس الصور المختلفة ، فأضافها إلى نفسه ،كما أضاف الكعبة إلى نفسه والروح ، فقال : «بيتي» وقال : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾» .

---

(١) النساء ٥.

(٢) المائده ١٠١.

(٣) قال السيّد بحر العلوم في رجاله ج ١ ص ٢٢٢ : «آل أعين أكبر بيت في الكوفة من شيعة أهل البيت عليهم السلام ، وأعظمهم شأناً ، وأكثرهم رجالاً وأعياناً ، وأطولهم مدّة وزماناً ، أدرك أوائلهم السجّاد والباقر والصّادق عليهم السلام ، وبقي أواخرهم إلى أوائل الغيبة الكبرى ، وكان فيهم العلماء والفقهاء ، والقرّاء والأدباء ، ورواة الحديث . ثمّ ذكر أنّ من مشاهيرهم حمران ـ إلى أن قال : ـ قال أبو غالب رحمه الله : «إنّا أهل بيت أكرمنا الله جلّ وعزّ بدينه ، واختصّنا بصحبة أوليائه وحججه ، من أوّل ما نشأنا إلى وقت الفتنة الّتي امتحنت بها الشيعة ، فلقي عمّنا «حمران» سيّدنا وسيّد العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام» .
و(قال) : وكان حمران من أكابر مشايخ الشيعة المفضّلين الّذين لا يشكّ فيهم ، وكان أحد حملة القرآن ، ومن يعد ويذكر اسمه في كتب القرّاء .
وروى أنّه قرأ على أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام وكان ـ مع ذلك ـ عالماً بالنّحو واللغة ، ولقي «حمران ـ وجدّانا : زرارة وبكير» أباجعفر محمّد بن علي وأباعبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام الخ ...
وقال السيّد أيضاً ص ٢٥٥ : وقد جاء في مدح حمران بن أعين وجلالته وعظم محلّه أخبار كادت تبلغ التواتر .

(٤) النساء ١٧١.

(٥) الحجر ٢٩.

وعن عبدالرّحمن بن عبدالزُّهْري قال: حجّ هشام بن عبدالملك ، فدخل المسجد الحرام متكياً على يد سالم مولاه ، ومحمّد بن عليّ بن الحسين جالس ، فقال له سالم : يا أميرالمؤمنين هذا محمّد بن عليّ بن الحسين .

فقال له هشام : هذا المفتون به أهل العراق ؟

قال : نعم .

قال : إذهب إليه فقل له : يقول لك أميرالمؤمنين : ما الّذي يأكل النّاس ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة ؟

فقال أبو جعفر عليه السلام : «يحشر النّاس على مثل قرصة البرّ النقيّ ، فيها أنهار متفجّرة ، يأكلون ويشربون حتّى يفرغ من الحساب» .

قال : فرأى هشام أنّه قد ظفر به ، فقال : الله أكبر إذهب إليه فقل له : ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ !

فقال له أبوجعفر عليه السلام : «هم في النّار أشغل ، ولم يشغلوا عن أن قالوا : ﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾» .

فسكت هشام لا يرجع كلاماً .

وروي أنّ نافع بن الأزرق جاء إلى محمّد بن عليّ بن الحسين ، فجلس بين يديه يسأله عن مسائل في الحلال والحرام ، فقال له أبو جعفر ـ في عرض كلامه ـ : «قل لهذه المارقة ، بما استحللتم فراق أميرالمؤمنين عليه السلام ، وقد سفكتم دماءكم بين يديه ، وفي طاعته ، والقربة إلى الله تعالى بنصرته ؟ فسيقولون لك : إنّه حكّم في دين الله ، فقل لهم : قد حكّم الله تعالى في شريعة نبيّه رجلين من خلقه ، قال جلّ اسمه : ﴿ فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾[1] وحكّم رسول الله صلى الله عليه وآله سعد بن معاذ في بني قريظة ، فحكّم فيهم بما أمضاه الله ، أوما علمتم أنّ أميرالمؤمنين إنّما أمر الحكمين أن يحكما بالقرآن ولا يتعدّياه واشترط ردّ ما خالف «القرآن» من أحكام الرّجال ؟ وقال حين قالوا له : حكّمت على نفسك من حكم عليك ، فقال : ما حكّمت مخلوقاً فإنّما حكّمت كتاب الله ، فأين تجد المارقة تضليل من أمر الحكم بالقرآن ، واشترط ردّ ما خالفه ، ولا ارتكابهم في بدعتهم البهتان» .

---

(١) النساء ٣٥.

فقال نافع بن الأزرق : هذا والله ما طرق بسمعي قط ، ولا خطر منّي ببال ، هو الحقّ إنشاء الله تعالى .

وعن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السلام : «يا أباالجارود ما يقولون في الحسن والحسين عليهما السلام» ؟

قلت : ينكرون عليهما أنّهما إبنا رسول الله .

قال عليه السلام : «فبأيّ شيء احتججتم عليهم» ؟

قال : قلت : بقول الله في عيسى : ﴿ **وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ ـ إلى قوله ـ كُلٌّ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ** ﴾[1] فجعل عيسىٰ من ذرّيّة إبراهيم ، واحتججنا عليهم بقوله تعالى : ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ** ﴾[2]» .

ثمّ قال عليه السلام : «فأيّ شيء قالوا» ؟

قال : قلت : قالوا : قد يكون ولد البنت من الولد ولا يكون من الصلب .

قال : فقال أبو جعفر عليه السلام : «والله يا أباالجارود لأُعطينّكم من كتاب الله آية تسمّيهما أنّهما لصلب رسول الله صلى الله عليه وآله لا يردّها إلّا كافر» .

قال : قلت : جعلت فداك وأين ؟

قال : قال عليه السلام : «حيث قال الله تعالىٰ : ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ ـ إلى قوله ـ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ** ﴾[3] فسلهم يا أباالجارود وهل يحلّ لرسول الله نكاح حليلتيهما ؟ فإن قالوا : نعم ، فكذبوا والله ، وإن قالوا : لا ، فهما والله إبنا رسول الله لصلبه ، وما حرمن عليه إلّا للصلب» .

وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي الربيع قال: حججت مع أبي جعفر عليه السلام في السنة الّتي حجّ فيها هشام بن عبدالملك ، وكان معه نافع مولى عمر بن الخطّاب ، فنظر نافع إلى أبي جعفر عليه السلام في ركن البيت وقد اجتمع عليه الخلق ، فقال : يا أميرالمؤمنين من هذا الّذي قد تكافأ عليه النّاس ؟

فقال : هذا محمّد بن عليّ بن الحسين .

قال : لآتينّه ولأسألنّه عن مسائل لا يجيبني فيها إلّا نبيّ أو وصيّ نبي .

---

(١) الأنعام ٨٤ـ٨٥.

(٢) آل عمران ٦١.

(٣) النساء ٢٣.

قال : فاذهب إليه لعلّك تخجله .

فجاء نافع حتّى اتّكأ على النّاس وأشرف على أبي جعفر فقال : يا محمّد بن علي إنّي قرأت «التوراة» و«الإنجيل» و«الزبور» و«الفرقان» ، وقد عرفت حلالها وحرامها ، وقد جئت أسألك عن مسائل لا يجيبني فيها إلّا نبيّ أو وصيّ نبيّ أو ابن نبيّ» .

فرفع أبو جعفر عليه السلام رأسه فقال : «سل عمّا بدا لك» !

قال : أخبرني كم بين عيسى ومحمّد من سنة ؟

قال عليه السلام : «أُجيبك بقولك أم بقولي» ؟

قال : أجبني بالقولين !

قال عليه السلام : «أمّا بقولي فخمسمائة سنة ، وأمّا بقولك فستمائة سنة» .

قال : فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[1] مَن الّذي سأل محمّد وكان بينه وبين عيسى خمسمائة سنة ؟

قال : فتلا أبو جعفر عليه السلام هذه الآية : «﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾[2] كان من الآيات الّتي أراها محمّداً حيث أسرى به إلى بيت المقدّس ، أنّه حشر الله الأوّلين والآخرين ، من النبيّين والمرسلين ، ثمّ أمر جبرئيل عليه السلام فأذّن شفعاً وأقام شفعاً وقال في أذانه : «حيّ على خير العمل» ثمّ تقدّم محمّد صلّى الله عليه وآله فصلّى بالقوم ، فلمّا انصرف قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ ، فقال رسول الله : على من تشهدون ؟ وماكنتم تعبدون ؟ قالوا : نشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، وأنّك رسول الله ، أخذت على ذلك عهودنا ومواثيقنا» .

فقال : صدقت يا أباجعفر ! قال : فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ﴾[3] أيّ أرض تبدّل ؟

فقال أبو جعفر عليه السلام : «خبزة بيضاء يأكلونها حتّى يفرغ الله من حساب الخلايق» .

فقال : إنّهم عن الأكل لمشغولون .

---

(١) الزخرف ٤٥.

(٢) الإسراء ١.

(٣) إبراهيم ٤٨.

فقال أبو جعفر عليه السلام : «أهم حينئذ أشغل أم هم في النّار» ؟

قال نافع : بل هم في النّار .

قال عليه السلام : «فقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾[1] ما أشغلهم إذا دعوا بالطعام فأُطعموا الزقّوم ، ودعوا بالشراب فسقوا من الجحيم» !

فقال : صدقت يابن رسول الله ! وبقيت مسألة واحدة .

قال عليه السلام : «وما هي» ؟

قال : فأخبرني متى كان الله ؟

قال عليه السلام : «ويلك أخبرني متى لم يكن حتّى أُخبرك متى كان ؟ سبحان من لم يزل ولا يزال ، فرداً صمداً لم يتّخذ صاحبة ولا ولدا» .

ثمّ أتى هشام بن عبدالملك فقال : ما صنعت ؟

قال : دعني من كلامك ، والله هو أعلم النّاس حقّاً وهو ابن رسول الله حقّاً .

وعن أبان بن تغلب قال[2] : دخل طاووس اليماني إلى الطواف ومعه صاحب له ، فإذا هو بأبي جعفر عليه السلام يطوف أمامه ، وهو شاب حدث ، فقال طاوس لصاحبه : إنّ هذا الفتى لعالم ، فلمّا فرغ من طوافه صلّى ركعتين ، ثمّ جلس وأتاه النّاس ، فقال طاوس لصاحبه : نذهب إلى أبي جعفر ونسأله عن مسألة لا أدري عنده فيها شيء أم لا ، فأتياه فسلّما عليه ، ثمّ قال له طاوس : يا أباجعفر هل تدري أيّ يوم مات ثلث النّاس ؟

فقال عليه السلام : «يا أباعبدالرّحمن لم يمت ثلث النّاس قط ، إنّما أردت ربع النّاس» .

قال : وكيف ذلك ؟

قال عليه السلام : «كان آدم وحوّاء ، وقابيل وهابيل ، فقتل قابيل هابيل ، فذلك ربع النّاس» .

---

(١) الأعراف ٥٠.

(٢) في رجال النجاشي ص٧: «أبان بن تغلب بن رياح أبو سعيد البكري الجريري مولى بني جرير بن عبادة بن صبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكاشة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، عظيم المنزلة في أصحابنا ، لقى عليّ بن الحسين وأباجعفر وأباعبدالله عليهم السلام ، روى عنهم ، وكانت له عندهم منزلة وقدم ، وذكره البلاذري قال : روى أبان عن عطيّة العوفي قال له أبوجعفر : «إجلس في مسجد المدينة وافت النّاس فإنّي أُحبّ أن يرى في شيعتي مثلك» . وقال أبو عبدالله عليه السلام لمّا أتاه نعيه : «أم والله لقد أوجع قلبي موت أبان» وكان قارياً من وجوه القرّاء ، فقيهاً لغويّاً ، سمع من العرب وحكى عنهم .

قال : صدقت .

قال أبو جعفر عليه السلام : «هل تدري ما صنع بقابيل» ؟

قال : لا .

قال عليه السلام : «عُلّق بالشمس ينضح[1] بالماء الحار إلى أن تقوم الساعة» .

وروي أنّ عمرو بن عبيد وفد على محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام لامتحانه بالسؤال عنه ، فقال له : جعلت فداك ما معنى قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَنَّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾[2] ما هذا الرتق والفتق ؟

فقال أبو جعفر عليه السلام : «كانت السماء رتقاً لا تنزل القطر ، وكانت الأرض رتقاً لا تخرج النبات ، ففتق الله السماء بالقطر ، وفتق الأرض بالنبات» .

فانقطع عمرو ولم يجد اعتراضاً ، ومضى وعاد إليه فقال : خبّرني جعلت فداك عن قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ ما غضب الله ؟

فقال له أبو جعفر عليه السلام : «غضب الله تعالى عقابه يا عمرو ، ومن ظنّ أنّ الله يغرّه شيء فقد هلك» .

وعن أبي حمزة الثمالي قال : أتى الحسن البصري أباجعفر عليه السلام فقال : جئتك لأسألك عن أشياء من كتاب الله .

فقال أبو جعفر عليه السلام : «ألست فقيه أهل البصرة» ؟

قال : قد يقال ذلك .

فقال له أبو جعفر عليه السلام : «هل بالبصرة أحد تأخذ عنه» ؟

قال : لا .

قال عليه السلام : «فجميع أهل البصرة يأخذون عنك» ؟

قال : نعم .

فقال أبو جعفر عليه السلام : «سبحان الله ! لقد تقلّد عظيماً من الأمر ، بلغني عنك أمر فما أدري أكذلك أنت أم يُكذَب عليك» ؟

قال : ما هو ؟

---

(١) نضح الماء : رشّه .

(٢) الأنبياء ٣٠.

قال عليه السلام : «زعموا أنّك تقول : إنّ الله خلق العباد ففوّض إليهم أُمورهم» .

قال : فسكت الحسن .

فقال عليه السلام : «أفرأيت من قال الله له في كتابه : إنك آمن ، هل عليه خوف بعد هذا القول منه» ؟

فقال الحسن : لا .

فقال أبو جعفر عليه السلام : «إنّي أعرض عليك آية وأنهي إليك خطاباً ، ولا أحسبك إلّا وقد فسّرته على غير وجهه ، فإن كنت فعلت ذلك فقد هلكت وأهلكت» .

فقال له : ما هو ؟

قال عليه السلام : «أرأيت حيث يقول : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ ﴾[1] يا حسن بلغني أنّك أفتيت النّاس فقلت : هي مكّة» ؟

فقال أبو جعفر عليه السلام : «فهل يُقطع على من حجّ مكّة ؟ وهل يخاف أهل مكّة ؟ وهل تذهب أموالهم» ؟

قال : بلى .

قال عليه السلام : «فمتى يكونون آمنين ؟ بل فينا ضرب الله الأمثال في «القرآن» ؛ فنحن القرى الّتي بارك الله فيها ، وذلك قول الله عزّ وجلّ ، فمن أقرّ بفضلنا حيث أمرهم بأن يأتونا فقال : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ أي جعلنا بينهم وبين شيعتهم القرى الّتي باركنا فيها ﴿ قُرىً ظَاهِرَةً ﴾ والقرى الظاهرة الرسل ، والنقلة عنّا إلى شيعتنا ، وفقهاء شيعتنا ، إلى شيعتنا ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ﴾ ؛ فالسير مثل للعلم ، ﴿ سيروا فيها ليالي وأيّاماً ﴾ ، مثل لما يسير من العلم في الليالي والأيّام عنّا إليهم ، في الحلال والحرام ، والفرائض والأحكام ، آمنين فيها إذا أخذوا منه ، آمنين من الشكّ والضلال ، والنقلة من الحرام إلى الحلال ، لأنّهم أخذوا العلم ممّن وجب لهم أخذهم إيّاه عنهم ، بالمعرفة ، لأنّهم أهل ميراث العلم من آدم إلى حيث انتهوا ، ذرّيّة مصطفاة بعضها من بعض ، فلم ينته الإصطفاء إليكم ، بل إلينا انتهى ، ونحن تلك الذرّيّة المصطفاة لا أنت ولا أشباهك يا حسن ، فلو قلت لك حين دعيت ما ليس لك ، وليس إليك يا جاهل أهل البصرة ! لم أقل فيك إلّا ما علمته منك ، وظهر لي عنك ، وإيّاك أن تقول بالتفويض ، فإنّ الله عزّ وجلّ لم يفوّض الأمر إلى خلقه ، وهناً منه وضعفاً ، ولا أجبرهم على معاصيه ظلماً» .

---

(١) سبأ ١٨.

والخبر طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

وروي أنّ سالماً دخل على أبي جعفر عليه السلام فقال : جئت أُكلّمك في أمر هذا الرّجل .

قال عليه السلام : «أيّما رجل» ؟

قال : عليّ بن أبي طالب .

قال عليه السلام : «في أيّ أُموره» ؟

قال : في أحداثه .

قال أبو جعفر عليه السلام : «اُنظر ما استقرّ عندك ممّا جاءت به الرّواة عن آبائهم» .

قال : ثمّ نسبهم ، ثمّ قال عليه السلام : «يا سالم أبلغك أنّ رسول الله بعث سعد بن عبادة براية الأنصار إلى خيبر ، فرجع منهزماً ، ثمّ بعث عمر بن الخطّاب براية المهاجرين والأنصار ، فأتى سعد جريحاً وجاء عمر يجبّن أصحابه ويجبّنونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «هكذا يفعل المهاجرون والأنصار» حتّى قالها ثلاثاً ، ثمّ قال : «لأُعطينّ الرّاية غداً رجلاً كرّار ليس بفرّار ، يحبّه الله ورسوله ، ويحبّ الله ورسوله» ؟

قال : نعم ، وقال القوم جميعاً أيضاً .

فقال أبو جعفر عليه السلام : «يا سالم إن قلت أنّ الله عزّ وجلّ أحبّه وهو لا يعلم ما هو صانع فقد كفرت ، وإن قلت أنّ الله عزّ وجلّ أحبّه وهو يعلم ما هو صانع فأيّ حدث ترى له» ؟

فقال : أعد عَلَيَّ .

فأعاد عليه السلام عليه ، فقال سالم : عبدتُ الله على ضلالة سبعين سنة .

وعن أبي بصير قال : كان مولانا أبو جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليهما السلام جالساً في الحرم وحوله عصابة من أوليائه ، إذ أقبل طاوس اليماني في جماعة من أصحابه ، ثمّ قال لأبي جعفر عليه السلام : أتأذن لي في السؤال ؟

فقال عليه السلام : «أذنّا لك ، فسل» !

قال : أخبرني متى هلك ثلث النّاس ؟

قال عليه السلام : «وهمت يا شيخ ! أردت أن تقول : متى هلك ربع النّاس ؟ وذلك يوم قتل قابيل هابيل ، كانوا أربعة : آدم ، وحوّاء ، وقابيل وهابيل ؛ فهلك ربعهم» .

فقال : أصبت ووهمت أنا ، فأيّهما كان أباً للنّاس ؛ القاتل أو المقتول ؟

قال عليه السلام : «لا واحد منهما بل أبوهم شيث بن آدم» .

قال : فلم سمّي آدم آدم ؟

قال عليه السلام : «لأنّه رفعت طينته من أديم الأرض السفلى» .

قال : ولِمَ سمّيت حوّاء حوّاء ؟

قال : «لأنّها خلقت من ضلع حيّ ، يعني ضلع آدم» .

قال : فلم سمّي إبليس إبليس ؟

قال عليه السلام : «لأنّه أبلس[1] من رحمة الله عزّ وجلّ فلا يرجوها» .

قال : فَلِمَ سمّي الجنّ جنّاً ؟

قال عليه السلام : «لأنّهم استجنّوا فلم يروا» .

قال : فأخبرني عن كذبة كذبت ، من صاحبها ؟

قال عليه السلام : «إبليس حين قال : أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين» .

قال : فأخبرني عن قوم شهدوا شهادة الحقّ وكانوا كاذبين ؟

قال عليه السلام : «المنافقون حين قالوا لرسول الله صلّى الله عليه وآله : نشهد أنّك لرسول الله ؛ فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ إِذَا جَاءَكَ ٱلْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللهِ وَٱللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾[2]» .

قال : فأخبرني عن طائر طار مرّة ولم يطر قبلها ولا بعدها ، ذكره الله عزّ وجلّ في «القرآن» ما هو ؟

فقال عليه السلام : «طور سيناء أطاره الله عزّ وجلّ على بني إسرائيل حين أظلّهم بجناح منه ، فيه ألوان العذاب ، حتّى قبلوا «التوراة» ، وذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾ الآية[3]» .

قال : فأخبرني عن رسول الله بعثه الله تعالى ليس من الجنّ ، ولا من الإنس ، ولا من الملائكة ، ذكره الله تعالى في كتابه ؟

قال عليه السلام : «الغراب ، حين بعثه الله عزّ وجلّ ليري قابيل كيف يواري سوأة أخيه هابيل حين قتله ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ فَبَعَثَ ٱللهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾[4]» .

---

(١) أَبْلَسَ : آيَسَ .

(٢) المنافقون ١.

(٣) الأعراف ١٧١.

(٤) المائدة ٣١.

قال : فأخبرني عمّن أنذر قومه ليس من الجنّ ، ولا من الإنس ، ولا من الملائكة ، ذكره الله عزّ وجلّ في كتابه ؟

قال عليه السلام : «النملة ، حين قالت : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾[1]» .

قال : فأخبرني عمّن كذّب عليه ، ليس من الجنّ ، ولا من الإنس ، ولا من الملائكة ، ذكره الله عزّ وجلّ في كتابه ؟

قال عليه السلام : «الذئب الّذي كذّب عليه إخوة يوسف» .

قال : فأخبرني عن شيء قليله حلال وكثيره حرام ، ذكره الله عزّ وجلّ في كتابه ؟

قال عليه السلام : «نهر طالوت ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِلاَّ مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾[2]» .

قال : فأخبرني عن صلاة فريضة تصلّى بغير وضوء ، وعن صوم لا يحجز عن أكل ولا شرب ؟

قال عليه السلام : «أمّا الصلاة بغير وضوء فالصلاة على النّبيّ وآله عليه وعليهم السّلام ، وأمّا الصوم فقول الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيّاً ﴾[3]» .

قال : فأخبرني عن شيء يزيد وينقص ، وعن شيء يزيد ولا ينقص ، وعن شيء ينقص ولا يزيد ؟

فقال الباقر عليه السلام : « أمّا الشيء الّذي يزيد وينقص فهو : القمر ، والشيء الّذي هو يزيد ولا ينقص : فهو البحر ، والشيء الّذي ينقص ولا يزيد هو : العمر» .

وقد تكرّر إيراد أوّل هذا الخبر لما في آخره من الفوائد .

وبالإسناد المقدّم ذكره عن أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام أنّه قال : «كان عليّ بن الحسين زين العابدين جالساً في مجلسه ، فقال يوماً في مجلسه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا أُمر بالمسير إلى تبوك ، أُمر بأن يخلّف عليّاً بالمدينة ، فقال عليّ عليه السلام : يا رسول الله ما كنت أحبّ أن أتخلّف عنك في شيء من أُمورك ، وأن أغيب عن مشاهدتك والنّظر إلى هديك ، وسمتك . فقال رسول الله : يا علي أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي ؟ تقيم يا علي وإنّ لك في مقامك

---

(١) النمل ١٨.

(٢) البقرة ٢٤٩.

(٣) مريم ٢٦.

من الأجر مثل الّذي يكون لك لو خرجت مع رسول الله ، ولك أُجور كلّ من خرج مع رسول الله ﷺ موقناً طائعاً ، وإنّ لك على الله يا علي لمحبّتك أن تشاهد من محمّد سمته في ساير أحواله ، بأن يأمر جبرئيل في جميع مسيرنا هذا أن يرفع الأرض الّتي يسير عليها ، والأرض الّتي تكون أنت عليها ، ويقوّي بصرك حتّى تشاهد محمّداً وأصحابه في ساير أحوالك وأحوالهم ، فلا يفوتك الأُنس من رؤيته ورؤية أصحابه ويغنيك ذلك عن المكاتبة والمراسلة .

فقام رجل من مجلس زين العابدين لمّا ذكر هذا وقال له : يابن رسول الله ﷺ كيف يكون هذا لعليّ ؟ إنّما يكون هذا للأنبياء لا لغيرهم ؟

فقال زين العابدين عليه السلام : هذا هو معجزة لمحمّد رسول الله لا لغيره ، لأنّ الله إنّما رفعه بدعاء محمّد ، وزاد في نور بصره أيضاً بدعاء محمّد ، حتّى شاهد ما شاهد وأدرك ما أدرك .

ثمّ قال له الباقر عليه السلام : يا عبدالله ما أكثر ظلم كثير من هذه الأُمّة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وأقلّ إنصافهم له ؟ يمنعون عليّاً ما يعطونه ساير الصحابة ، وعليّ أفضلهم ، فكيف يمنع منزلة يعطونها غيره ؟

قيل : وكيف ذاك يابن رسول الله ؟

قال : لأنّكم تتولّون محبّي أبي بكر ابن أبي قحافة ، وتتبرّؤون من أعدائه كائناً من كان ، وكذلك تتولّون عمر بن الخطّاب ، وتتبرّؤون من أعدائه كائناً من كان ، وتتولّون عثمان بن عفّان وتتبرّؤون من أعدائه كائناً من كان ، حتّى إذا صار إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، قالوا : نتولّي محبّيه ، ولا نتبرّأ من أعدائه بل نحبّهم ، فكيف يجوز هذا لهم ، ورسول الله ﷺ يقول في علي : «اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله» أفترونه لا يعادي من عاداه ؟ ولا يخذل من خذله ؟ ليس هذا بإنصاف .

ثمّ أُخرى : إنّهم إذا ذكر لهم ما أخصّ الله به عليّاً بدعاء رسول الله ﷺ ، وكرامته على ربّه تعالى ، جحدوه ، وهم يقبلون ما يذكر لهم في غيره من الصحابة ، فما الّذي منع عليّاً ما جعله لسائر أصحاب رسول الله ؟ هذا عمر بن الخطّاب ، إذا قيل لهم : إنّه كان على المنبر بالمدينة يخطب إذ نادى في خلال خطبته : يا سارية الجبل ، وعجب القوم وقالوا ما هذا الكلام الّذي في هذه الخطبة ، فلمّا قضى الخطبة والصلاة ، قالوا : ما قولك في خطبتك يا سارية الجبل ؟ فقال : إعلموا أنّي وأنا أخطب إذ رميت ببصري نحو الناحية الّتي خرج فيها إخوانكم إلى غزوة الكافرين بنهاوند ،

وعليهم سعد بن أبي وقّاص ، ففتح الله لي الأستار والحجب ، وقوّى بصري حتّى رأيتهم وقد اصطفوا بين يدي جبل هناك ، وقد جاء بعض الكفّار ليدور خلف سارية ، وساير من معه من المسلمين ، فيحيطوا بهم فيقتلوهم ، فقلت : يا سارية الجبل ، ليلتجئ إليه فيمنعهم ذلك من أن يحيطوا به ، ثمّ يقاتلوا ، ومنح الله إخوانكم المؤمنين أكناف الكافرين ، وفتح الله عليهم بلادهم ، فاحفظوا هذا الوقت ، فسيرد عليكم الخبر بذلك ، وكان بين المدينة ونهاوند مسيرة أكثر من خمسين يوماً .

قال الباقر عليه السلام : فإذا كان مثل هذا لعمر ، فكيف لا يكون مثل هذا لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ؟ ولكنّهم قوم لا ينصفون بل يكابرون» .

وعن عبدالله بن سليمان[1] قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقال له رجل من أهل البصرة ـ يقال له عثمان الأعمى ـ : إنّ الحسن البصري يزعم أنّ الّذين يكتمون العلم يؤذي ريح بطونهم من يدخل النّار .

فقال أبو جعفر عليه السلام : «فهلك إذاً مؤمن آل فرعون ، والله مدحه بذلك ، وما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله صلى الله عليه وآله رسوله نوحاً ، فليذهب الحسن يميناً وشمالاً ، فوالله ما يوجد العلم إلّا هاهنا» .

وكان عليه السلام يقول : «محنة النّاس علينا عظيمة ؛ إن دعوناهم يجيبونا ، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا» .

احتجاج أبي عبدالله الصادق عليه السلام في أنواع شتّى من العلوم الدينيّة على أصناف كثيرة من أهل الملل والديانات

روي عن هشام بن الحكم[2] أنّه قال : مِن سؤال الزنديق الّذي أتى أباعبدالله عليه السلام أن قال : ما

---

(١) عبدالله بن سليمان النخعي ، كوفي ، عدّه الشيخ في رجاله ص ١٦٥ من أصحاب الصادق عليه السلام .

(٢) هشام بن الحكم الكندي مولاهم البغدادي ، وكان ينزل ببني شيبان بالكوفة ، وكان مولده بالكوفة ، ومنشؤه واسط وتجارته ببغداد ، ثمّ انتقل إليها في آخر عمره سنة تسع وتسعين ومائة ، وقيل : هذه السنة هي سنة وفاته .
عين الطائفة ووجهها ومتكلّمها وناصرها ، من أرباب الأُصول ، وله نوادر وحكايات ولطائف ومناظرات ممّن اتّفق علمائنا على وثاقته ، ورفعة شأنه ومنزلته عند أئمّتنا المعصومين عليهم السلام .
وكان ممّن فتق الكلام في الإمامة ، وهذّب المذهب بالنظر ، وكان حاذقاً بصناعة الكلام ، حاضر الجواب ، وكان ثقة بالروايات ، حسن التحقيق بهذا الأمر .

الدليل على صانع العالم ؟

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «وجود الأفاعيل الّتي دلّت على أنّ صانعها صنعها ، ألا ترى أنّك إذا نظرت إلى بناء مشيّد مبني علمت أنّ له بانياً ، وإن كنت لم تَر الباني ، ولم تشاهده» ؟

قال : فما هو ؟

قال عليه السلام : «هو شيء بخلاف الأشياء ، إرجع بقولي شيء إلى إثباته ، وأنّه شيء بحقيقته الشيئيّة ، غير أنّه لا جسم ، ولا صورة ، ولا يحسّ ، ولا يجسّ ، ولا يدرك بالحواسّ الخمس ، لا تدركه الأوهام ، ولا تنقصه الدهور ، ولا يغيّره الزمان» .

قال السائل : فإنّا لم نجد موهوماً إلّا مخلوقاً .

قال أبو عبدالله عليه السلام : «لو كان ذلك كما تقول ، لكان التوحيد منّا مرتفعاً لأنّا لم نكلّف أن نعتقد غير موهوم ، لكنّا نقول : كلّ موهوم بالحواس مدرك بها ، تحدّه الحواس ممثلاً ، فهو مخلوق ، ولابدّ من إثبات كون صانع الأشياء خارجاً من الجهتين المذمومتين : إحداهما النفي إذا كان النفي هو الإبطال والعدم ، والجهة الثانية التشبيه بصفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف ، فلم يكن بدّ من إثبات الصانع لوجود المصنوعين ، والإضطرار منهم إليهم ، أنّهم مصنوعون ، وأّ صانعهم غيرهم ، وليس مثلهم ، إن كان مثلهم شبيهاً بهم في ظاهر التركيب والتأليف وفيما يجري عليهم من حدوثهم بعد أن لم يكونوا ، وتنقلهم من صغر إلى كبر ، وسواد إلى بياض ، وقوّة إلى ضعف ، وأحوال موجودة لا حاجة بنا إلى تفسيرها لثباتها ووجودها» .

قال السائل : فأنت قد حدّدته إذا ثبتَّ وجوده !

قال أبو عبدالله عليه السلام : «لم أُحدّده ، ولكنّي أُثبته ، إذ لم يكن بين الإثبات والنفي منزلة» .

قال السائل : فقوله : ﴿ الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾[1] ؟

قال أبو عبدالله عليه السلام : «بذلك وصف نفسه ، وكذلك هو مستولٍ على العرش ، بائن من خلقه ، من

روى عن أبي عبدالله وعن أبي الحسن عليهما السلام ، وعاش بعد أبي الحسن ، ولمّا توفّي ترحّم عليه الرّضا عليه السلام .

روي عن أبي هاشم الجعفري قال : قلت لأبي جعفر محمّد بن عليّ الثاني عليه السلام : ما تقول جعلت فداك في هشام بن الحكم ؟

فقال عليه السلام : «رحمه الله ما كان أذبّه عن هذه الناحية» . [راجع : سفينة البحار ٧١٩/٢، رجال الشيخ ٧٢٩، رجال العلّامة ١٧٨]

(١) طه ٥.

غير أن يكون العرش محلًّا له ، لكنّا نقول : هو حامل وممسك للعرش ، ونقول في ذلك ما قال : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[1] فثبتنا من العرش والكرسي ما ثبته ، ونفينا أن يكون العرش والكرسي حاوياً له ، وأن يكون عزّ وجلّ محتاجاً إلى مكان ، أو إلى شيء ممّا خلق ، بل خلقه محتاجون إليه» .

قال السائل : فما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم إلى السّماء وبين أن تخفضوها نحو الأرض ؟

قال أبو عبدالله عليه السلام : «في علمه وإحاطته وقدرته سواء ، ولكنّه عزّ وجلّ أمر أولياءه وعباده برفع أيديهم إلى السّماء نحو العرش ، لأنّه جعله معدن الرزق ، فثبتنا ما ثبّته «القرآن» والأخبار عن الرّسول ، حين قال : «إرفعوا أيديكم إلى الله عزّ وجلّ» وهذا تجمع عليه فِرَق الأُمّة كلّها» .

ومِن سؤاله أن قال : لِمَ لا يجوز أن يكون صانع العالم أكثر من واحد ؟

قال أبو عبدالله عليه السلام : «لا يخلو قولك إنّهما اثنان من أن يكونا قديمين قويّين أو يكونا ضعيفين ، أو يكون أحدهما قويّاً والآخر ضعيفاً ؛ فإن كانا قويّين فَلِم لا يدفع كلّ واحد منهما صاحبه ، ويتفرّد بالربوبيّة ، وإن زعمت أنّ أحدهما قويّ والآخر ضعيف ، ثبت أنّه واحد كما نقول للعجز الظاهر في الثاني ، وإن قلت أنّهما اثنان ؛ لم يخل من أن يكونا متّفقين من كلّ جهة ، أو مفترقين من كلّ جهة ، فلمّا رأينا الخلق منتظماً ، والفلك جارياً ، واختلاف الليل والنّهار والشمس والقمر ، دلّ ذلك على صحّة الأمر والتدبير ، وايتلاف الأمر ، وأنّ المدبّر واحد» .

وعن هشام بن الحكم قال : دخل ابن أبي العوجاء على الصّادق عليه السلام ، فقال له الصّادق عليه السلام : «يابن أبي العوجاء ! أنت مصنوع أم غير مصنوع» ؟

قال : لست بمصنوع .

فقال له الصادق عليه السلام : «فلو كنت مصنوعاً كيف كنت» ؟

فلم يحر ابن أبي العوجاء جواباً ، وقام وخرج .

قال : دخل أبو شاكر الديصاني ـ وهو زنديق ـ على أبي عبدالله عليه السلام وقال : يا جعفر بن محمّد دلّني على معبودي !

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «إجلس» .

فإذا غلام صغير في كفّه بيضة يلعب بها ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : «ناولني يا غلام البيضة» .

---

(١) البقرة ٢٥٥.

فناوله إيّاها .

فقال أبو عبدالله ﷺ : «يا ديصاني هذا حصن مكنون ، له جلد غليظ ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق ، وتحت الجلد الرقيق ذهبة مايعة ، وفضّة ذائبة ؛ فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضّة الذائبة ، ولا الفضّة الذائبة تختلط بالذهبة المايعة ، فهي على حالها ، لا يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن إصلاحها ، ولا يدخل إليها داخل مفسد فيخبر عن إفسادها ، لا يدرى للذكر خلقت أم للأُنثى ، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس ، أترى له مدبّراً» ؟

قال : فأطرق مليّاً ثمّ قال : أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله ، وأنّك إمام وحجّة من الله على خلقه ، وأنا تائب ممّاكنت فيه .

وعن هشام بن الحكم قال : سألت أباعبدالله ﷺ عن أسماء الله عزّ ذكره واشتقاقها ، فقلت : الله ممّا هو مشتق ؟

قال ﷺ : «يا هشام مشتقّ من إله ، وإله يقتضي مألوها ، والإسم غير المسمّى ، فمن عبد الإسم دون المعنى فقدكفر ولم يعبد شيئاً ، ومن عبد الإسم والمعنى فقدكفر وعبد الإثنين ، ومن عبد المعنى دون الإسم فذاك التوحيد ، أفهمت يا هشام» ؟

قال : قلت : زدني !

فقال ﷺ : «إنّ لله تسعة وتسعين إسماً ، فلوكان الإسم هو المسمّى لكان كلّ اسم منه إلها ، ولكنّ الله معنى يدلّ عليه ، فهذه الأسماءكلّها غيره . يا هشام الخبز إسم للمأكول ، والماء إسم للمشروب ، والثوب إسم للملبوس ، والنّار اسم للمحروق ، أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعداءنا والمتّخذين مع الله غيره» ؟

قلت : نعم .

قال : فقال ﷺ : «نفعك الله به وثبّتك» !

قال هشام : فوالله ما قهرني أحد في علم التوحيد حتّى قمت مقامي هذا .

وعن هشام بن الحكم قال :كان زنديق بمصر يبغله عن أبي عبدالله ﷺ علم ، فخرج إلى المدينة ليناظره ، فلم يصادفه بها ، وقيل : هو بمكّة ، فخرج إلى مكّة ونحن مع أبي عبدالله ﷺ ، فانتهى إليه ـ وهو في الطواف ـ فدنا منه وسلّم .

فقال له أبو عبدالله ﷺ : «ما اسمك» ؟

قال : عبدالملك .

قال عليه السلام : «فما كنيتك» ؟

قال : أبو عبدالله .

قال أبو عبدالله عليه السلام : «فمن ذاالملك الّذي أن عبده ، أمِن ملوك الأرض أم من ملوك السّماء ؟ وأخبرني عن ابنك أعبد إله السماء أم عبد إله الأرض» ؟

فسكت .

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «قل» .

فسكت .

فقال عليه السلام : «إذا فرغت من الطواف فأتنا» .

فلمّا فرغ أبو عبدالله عليه السلام من الطواف أتاه الزنديق ، فقعد بين يديه ونحن مجتمعون عنده ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : «أعلم أنّ للأرض تحتاً وفوقاً» ؟

فقال : نعم .

قال عليه السلام : «فدخلت تحتها» ؟

قال : لا .

قال عليه السلام : «فهل تدري ما تحتها» ؟

قال : لا أدري إلّا أنّي أظنّ أن ليس تحتها شيء .

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «فالظنّ عجز ما لم تستيقن» . ثمّ قال له : «صعدت إلى السّماء» ؟

قال : لا .

قال عليه السلام : «أفتدري ما فيها» ؟

قال : لا .

قال عليه السلام : «فأتيت المشرق والمغرب فنظرت ما خلفهما» ؟

قال : لا .

قال عليه السلام : «فالعجب لك ، لم تبلغ المشرق ، ولم تبلغ المغرب ، ولم تنزل تحت الأرض ، ولم تصعد إلى السماء ، ولم تخبر ما هناك فتعرف ما خلفهنّ ، وأنت جاحد بما فيهنّ ، وهل يجحد العاقل ما لا يعرف» ؟!

فقال الزنديق : ماكلّمني بهذا غيرك .

قال أبو عبدالله عليه السلام : «فأنت من ذلك في شكّ ، فلعلّ هو ولعلّ ليس هو» .

قال : ولعلّ ذلك .

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «أيّها الرّجل ليس لمن لا يعلم حجّة على من يعلم ، ولا حجّة للجاهل على العالم ، يا أخا أهل مصر ، تفهّم عنّي ، أما ترى الشمس والقمر والليل والنّهار يلجان ولا يستبقان ، يذهبان ويرجعان ، قد اضطرّا ليس لهما مكان إلّا مكانهما ، فإن كانا يقدران على أن يذهبا فلم يرجعان ، وإن كانا غير مضطرّين فَلِمَ لا يصير الليل نهاراً والنّهار ليلاً ؟ اضطرّا والله يا أخا أهل مصر ، إنّ الّذي تذهبون إليه وتظنّون من الدّهر ، فإن كان هو يذهبهم فَلِمَ لا يردّهم ؟ وإن كان يردّهم فَلِمَ لا يذهب بهم ؟ أما ترى السماء مرفوعة ، والأرض موضوعة ، لا تسقط السماء على الأرض ، ولا تنحدر الأرض فوق ما تحتها ، أمسكها والله خالقها ومدبّرها» .

قال : فآمن الزنديق على يدي أبي عبدالله .

فقال عليه السلام لهشام : «خذه إليك وعلّمه» .

وعن عيسى بن يونس[1] **قال** : كان ابن أبي العوجا من تلامذة الحسن البصري ، فانحرف عن التوحيد ، فقيل له : تركت مذهب صاحبك ودخلت فيما لا أصل له ولا حقيقة ؟

قال : إنّ صاحبي كان مخلطاً ، يقول طوراً بالقدر ، وطوراً بالجبر ، فما أعلمه اعتقد مذهباً دام عليه ، فقدم مكّة متمرّداً ، وإنكاراً على من يحجّه ، وكان تكره العلماء مجالسته لخبث لسانه ، وفساد ضميره ، فأتى أباعبدالله عليه السلام فجلس إليه في جماعة من نظرائه ، فقال : يا أباعبدالله ! إنّ المجالس بالأمانات ، ولابدّ لكلّ من به سعال أن يسعل ، أفتأذن لي في الكلام ؟

فقال عليه السلام : «تكلّم» .

فقال : إلى كم تدوسون هذا البيدر ، وتلوذون بهذا الحجر ، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر ، وتهرولون حوله كهرولة البعير إذا نفر ، إنّ من فكّر في هذا وقدّر ، علم أنّ هذا فعل أسّسه غير حكيم ولا ذي نظر ، فقل فإنّك رأس هذا الأمر وسنامه ، وأبوك أسّسه ونظامه !

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «إنّ من أضلّه الله وأعمى قلبه ، استوخم الحق ولم يستعذبه ، وصار

---

(١) عيسى بن يونس ذكره الشيخ في رجاله ص٢٥٨ في أصحاب الصادق عليه السلام وفي أصحاب الكاظم عليه السلام ص٣٥٥، فقال : عيسى بن يونس بزرج ، له كتاب .

الشيطان وليّه ، يورده مناهل الهلكة ، ثمّ لا يصدره ، وهذا بيت استعبد الله به عباده ، ليختبر طاعتهم في إتيانه ، فحثّهم على تعظيمه وزيارته ، وجعله محلّ أنبيائه ، وقبلة للمصلّين له ، فهو شعبة من رضوانه ، وطريق يؤدّي إلى غفرانه ، منصوب على استواء الكمال ، ومجتمع العظمة والجلال ، خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام ، فأحقّ من اُطيع فيما أمر ، وانتهي عمّا نهى عنه وزجر ، الله المنشئ للأرواح والصور» .

فقال ابن أبي العوجاء : ذكرت الله فأحلت على الغائب .

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «ويلك !كيف يكون غائباً من هو مع خلقه شاهد ، وإليهم أقرب من حبل الوريد ، يسمع كلامهم ويرى أشخاصهم ، ويعلم أسرارهم» ؟!

فقال ابن أبي العوجاء : فهو في كلّ مكان ، أليس إذا كان في السماء كيف يكون في الأرض ؟ وإذا كان في الأرض كيف يكون في السماء ؟

فقال أبوعبدالله عليه السلام : «إنّما وصفت المخلوق الّذي إذا انتقل من مكان اشتغل به مكان ، وخلا منه مكان ، فلا يدري في المكان الّذي صار إليه ما حدث في المكان الّذي كان فيه ، فأمّا الله العظيم الشأن ، الملك الديّان ، فلا يخلو منه مكان ، ولا يشتغل به مكان ، ولا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان» .

وروي أنّ الصّادق عليه السلام قال لابن أبي العوجاء : «إن يكن الأمر كما تقول ـ وليس كما تقول ـ نجونا ونجوت ، وإن يكن الأمر كما نقول ـ وهو كما نقول ـ نجونا وهلكت» .

وروي أيضاً : إنّ ابن أبي العوجاء سأل الصّادق عليه السلام عن حدث العالم ، فقال : «ما وجدت صغيراً ولا كبيراً إلّا إذا ضمّ إليه مثله صار أكبر ، وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الاُولى ، ولو كان قديماً ما زال ولا حال ، لأنّ الّذي يزول ويحول يجوز أن يوجد ويبطل ، فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث ، وفي كونه في الأزل دخول في القدم ، ولن يجتمع صفة الحدوث والقدم في شيء واحد» .

قال ابن أبي العوجاء : هبك علمك في جري الحالتين والزمانين على ما ذكرت استدللت على حدوثها ، فلو بقيت الأشياء على صغرها من أين كان لك أن تستدلّ على حدوثها ؟

فقال عليه السلام : «إنّا نتكلّم على هذا العالم الموضوع ، فلو رفعناه ووضعنا عالماً آخر كان لا شيء أدلّ على الحدث ومن رفعنا إيّاه ووضعنا غيره ، لكن اُجيبك من حيث قدرت أن تلزمنا ، فنقول : إنّ

الأشياء لو دامت على صغرها لكان في الوهم أنّه متى ضمّ شيء منه إلى شيء منه كان أكبر ، وفي جواز التغيّر عليه خروجه من القدم كما أنّ في تغيّره دخوله في الحدث ، وليس لك وراءه شيء يا عبدالكريم» .

وعن يونس بن ظبيان قال : دخل رجل على أبي عبدالله عليه السلام قال : أرأيت الله حين عبدته ؟

قال عليه السلام : «ماكنت أعبد شيئاً لم أره» .

قال : فكيف رأيته ؟

قال عليه السلام : «لم تره الأبصار بمشاهدة العيان ، ولكن رأته القلوب بحقايق الإيمان ، لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، معروف بغير تشبيه» .

وعن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** ﴾[1] قال : «إحاطة الوهم ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ **قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَبِّكُمْ** ﴾ ليس يعني بصر العيون ﴿ **فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ** ﴾ وليس يعني من أبصر نفسه ﴿ **وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا** ﴾[2] ليس يعني عمي العيون ، إنّما عنى : إحاطة الوهم ـ كما يقال : فلان بصير بالشعر ، وفلان بصير بالفقه ، وفلان بصير بالدراهم ، وفلا بصير بالثياب ـ الله أعظم من أن يرى بالعين» .

ومن سؤال الزنديق الّذي سأل أباعبدالله عليه السلام عن مسائل كثيرة أنّه قال : كيف يعبد الله الخلق ولم يروه ؟

قال عليه السلام : «رأته القلوب بنور الإيمان ، وأثبتته العقول بيقظتها إثبات العيان ، وأبصرته الأبصار بما رأته من حسن التركيب ، وإحكام التأليف ، ثمّ الرّسل وآياتها والكتب ومحكماتها ، واقتصرت العلماء على ما رأت من عظمته دون رؤيته» .

قال : أليس هو قادر أن يظهر لهم حتّى يروه فيعرفونه فيعبد على يقين ؟

قال عليه السلام : «ليس للمحال جواب» .

قال : فمن أين أثبت أنبياء ورسلاً ؟

قال عليه السلام : «إنّا لمّا أثبتنا أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق ، وكان ذلك الصانع حكيماً ، لم يجز أن يشاهده خلقه ، ولا أن يلامسوه ، ولا أن يباشرهم ويباشروه ، ويحاجّهم

---

(١) الأنعام ١٠٣.

(٢) الأنعام ١٠٤.

ويحاجّوه ، ثبت أنّ له سفراء في خلقه وعباده يدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم ، وما به بقاؤهم ، وفي تركه فناؤهم ، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه ، وثبت عند ذلك أنّ له معبّرون هم أنبياء الله وصفوته من خلقه ، حكماء مؤدّبين بالحكمة ، مبعوثين عنه ، مشاركين للنّاس في أحوالهم على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب ، مؤيّدين من عند الحكيم العليم بالحكمة والدلائل والبراهين والشواهد من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، فلا تخلو الأرض من حجّة يكون معه علم يدلّ على صدق مقال الرّسول ووجوب عدالته» .

ثمّ قال عليه السلام بعد ذلك : «نحن نزعم أنّ الأرض لا تخلو من حجّة ، ولا تكون الحجّة إلّا من عقب الأنبياء ، ما بعث الله نبيّاً قطّ من غير نسل الأنبياء ، وذلك أنّ الله شرع لبني آدم طريقاً منيراً ، وأخرج من آدم نسلاً طاهراً طيّباً ، أخرج منه الأنبياء والرسل ، هم صفوة الله ، وخلّص الجوهر ، طهّروا في الأصلاب ، وحفظوا في الأرحام ، لم يصبهم سفاح الجاهليّة ، ولا شاب أنسابهم ، لأنّ الله عزّ وجلّ جعلهم في موضع لا يكون أعلى درجة وشرفاً منه ، فمن كان خازن علم الله ، وأمين غيبه ، ومستودع سرّه ، وحجّته على خلقه ، وترجمانه ولسانه ، لا يكون إلّا بهذه الصفة ؛ فالحجّة لا يكون إلّا من نسلهم ، يقوم مقام النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في الخلق بالعلم الّذي عنده ، وورثه عن الرّسول ، إن جحده النّاس سكت ، وكان بقاء ما عليه النّاس قليلاً ممّا في أيديهم من علم الرسول على اختلاف منهم فيه ، قد أقاموا بينهم الرأي والقياس ، وإنّهم إن أقرّوا به وأطاعوه وأخذوا عنه ، ظهر العدل ، وذهب الإختلاف والتشاجر ، واستوى الأمر وأبان الدّين ، وغلب على الشك اليقين ، ولا يكاد أن يقرّ النّاس به ولا يطيعوا له أو يحفظوا له بعد فقد الرّسول ، وما مضى رسول ولا نبيّ قط لم تختلف اُمّته من بعده ، وإنّماكان علّة اختلافهم على الحجّة وتركهم إيّاه» .

قال : فما يصنع بالحجّة إذاكان بهذه الصفة ؟

قال عليه السلام : «قد يقتدي به ويخرج عنه الشيء بعد الشيء مكانه منفعة الخلق وصلاحهم ، فإن أحدثوا في دين الله شيئاً أعلمهم ، وإن زادوا فيه أخبرهم ، وإن نقصوا منه شيئاً أفادهم» .

ثمّ قال الزنديق : من أيّ شيء خلق الله الأشياء ؟

قال عليه السلام : «لا من شيء» .

فقال : كيف يجيء من لا شيء شيء ؟

قال عليه السلام : «إنّ الأشياء لا تخلو إمّا أن تكون خلقت من شيء أو من غير شيء ؛ فإن كانت خلقت

من شيء كان معه فإنّ ذلك الشيء قديم ، والقديم لا يكون حديثاً ولا يفنى ولا يتغيّر ، ولا يخلو ذلك الشيء من أن يكون جوهراً واحداً ولوناً واحداً ، فمن أين جاءت هذه الألوان المختلفة والجواهر الكثيرة الموجودة في هذا العالم من ضروب شتّى ؟ ومن أين جاء الموت إن كان الشيء الّذي أُنشئت منه الأشياء حيّاً ؟! ومن أين جاءت الحياة إن كان ذلك الشيء ميّتاً ؟ ولا يجوز أن يكون من حيّ وميّت قديمين لم يزالا ، لأنّ الحيّ لا يجيء منه ميّت وهو لم يزل حيّاً ، ولا يجوز أيضاً أن يكون الميّت قديماً لم يزل لما هو به من الموت ، لأنّ الميّت لا قدرة له ولا بقاء» .

قال : فمن أين قالوا إنّ الأشياء أزليّة ؟

قال عليه السلام : «هذه مقالة قوم جحدوا مدبّر الأشياء فكذّبوا الرّسل ، ومقالتهم ، والأنبياء وما أنبأوا عنه ، وسمّوا كتبهم أساطير ، ووضعوا لأنفسهم ديناً بآرائهم واستحسانهم ، إنّ الأشياء تدلّ على حدوثها ، من دوران الفلك بما فيه ، وهي سبعة أفلاك ، وتحرّك الأرض ومن عليها ، وانقلاب الأزمنة ، واختلاف الوقت ، والحوادث الّتي تحدث في العالم ، من زيادة ونقصان ، وموت وبلى ، واضطرار النّفس إلى الإقرار بأنّ لها صانعاً ومدبّراً ، ألا ترى الحلو يصير حامضاً ، والعذب مرّاً ، والجديد بالياً ، وكلّ إلى تغيّر وفناء» ؟!

قال : فلم يزل صانع العالم عالماً بالأحداث الّتي أحدثها قبل أن يحدثها ؟!

قال عليه السلام : «فلم يزل يعلم فخلق ما علم» .

قال : أمختلف هو أم مؤتلف ؟

قال عليه السلام : «لا يليق به الإختلاف ولا الإيتلاف ، وإنّما يختلف المتجزّي ، ويأتلف المتبعّض ، فلا يُقال له مؤتلف ولا مختلف» .

قال : فكيف هو الله الواحد ؟

قال عليه السلام : «واحد في ذاته ، فلا واحد كواحد ، لأنّ ما سواه من الواحد متجزّي وهو تبارك وتعالى واحد لا يتجزّى ، ولا يقع عليه العد» .

قال : فلأيّ علّة خلق الخلق وهو غير محتاج إليهم ، ولا مضطرّ إلى خلقهم ، ولا يليق به التعبّث بنا ؟

قال عليه السلام : «خلقهم لإظهار حكمته ، وإنفاذ علمه ، وإمضاء تدبيره» .

قال : وكيف لا يقتصر على هذه الدار فيجعلها دار ثوابه ، ومحتبس عقابه ؟

قال عليه السلام : «إنّ هذه الدار دار ابتلاء ، ومتجر الثواب ، ومكتسب الرحمة ، مُلِئَت آفات ، وطبقت

شهوات ، ليختبر فيها عبيده بالطاعة ، فلا يكون دار عمل دار جزاء» .

قال : أفمن حكمته أن جعل لنفسه عدوّاً ، وقد كان ولا عدوّ له ، فخلق كما زعمت «إبليس» فسلّطه على عبيده يدعوهم إلى خلاف طاعته ، ويأمرهم بمعصيته ، وجعل له من القوّة كما زعمت ما يصل بلطف الحيلة إلى قلوبهم ، فيوسوس إليهم فيشكّكهم في ربّهم ، ويلبّس عليهم دينهم ، فيزيلهم عن معرفته ، حتّى أنكر قوم لمّا وسوس إليهم ربوبيّته ، وعبدوا سواه ، فلِمَ سلّط عدوّه على عبيده ، وجعل له السبيل إلى إغوائهم ؟

قال عليه السلام : «إن هذا العدوّ الّذي ذكرت لا تضرّه عداوته ، ولا تنفعه ولايته ، وعداوته لا تنقص من ملكه شيئاً ، وولايته لا تزيد فيه شيئاً ، وإنّما يتّقى العدوّ إذا كان في قوّة يضرّ وينفع ، إن همّ بملك أخذه ، أو بسلطان قهره ، فأمّا إبليس فعبد خلقه الله ليعبده ويوحّده ، وقد علم حين خلقه ما هو وإلى ما يصير إليه ، فلم يزل يعبده مع ملائكته حتّى امتحنه بسجود آدم ، فامتنع من ذلك حسداً ، وشقاوة غلبت عليه ، فلعنه عند ذلك ، وأخرجه عن صفوف الملائكة ، وأنزله إلى الأرض ملعوناً مدحوراً ، فصار عدوّ آدم وولده بذلك السبب ، ماله من السلطنة على ولده إلّا الوسوسة ، والدعاء إلى غير السبيل ، وقد أقرّ مع معصيته لربّه بربوبيّته» .

قال : أفيصلح السجود لغير الله ؟

قال عليه السلام : «لا» .

قال : فكيف أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ؟

قال عليه السلام : «إنّ من سجد بأمر الله ، سجد لله ، إذا كان عن أمر الله» .

قال : فمن أين أصل الكهانة ؟ ومن أين يخبر النّاس بما يحدث ؟

قال عليه السلام : «إنّ الكهانة كانت في الجاهليّة في كلّ حين فترة من الرسل ، وكان الكاهن بمنزلة الحاكم يحتكمون إليه فيما يشتبه عليهم من الأُمور بينهم ، فيخبرهم عن أشياء تحدث ، وذلك من وجوه شتّى : فراسة العين ، وذكاء القلب ، ووسوسة النفس ، وفتنة الروح ، مع قذف في قلبه ، لأنّ ما يحدث في الأرض من الحوادث الظاهرة فذلك يعلم الشيطان ويؤدّيه إلى الكاهن ، ويخبره بما يحدث في المنازل والأطراف ، وأمّا أخبار السماء فإنّ الشياطين كانت تقعد مقاعد استراق السمع إذ ذاك ، وهي لا تحجب ، ولا ترجم بالنّجوم ، وإنّما منعت من استراق السمع لئلّا يقع في الأرض سبب تشاكل الوحي من خبر السماء ، فيلبس على أهل الأرض ما جاءهم عن الله ، لإثبات الحجّة ،

ونفي الشبهة ، وكان الشيطان يسترق الكلمة الواحدة من خبر السماء بما يحدث من الله في خلقه فيختطفها ، ثمّ يهبط بها إلى الأرض ، فيقذفها إلى الكاهن ، فإذا قد زاد كلمات من عنده ، فيخلط الحقّ بالباطل ، فما أصاب الكاهن من خبر ممّا كان يخبر به فهو ما أدّاه إليه الشيطان لما سمعه ، وما أخطأ فيه فهو من باطل ما زاد فيه ، فمنذ منعت الشياطين عن استراق السمع انقطعت الكهانة ، واليوم إنّما تؤدّي الشياطين إلى كهّانها أخباراً للنّاس بما يتحدّثون به ، وما يحدّثونه ، والشياطين تؤدّي إلى الشياطين ما يحدث في البعد من الحوادث ، من سارق سرق ، ومن قاتل قتل ، ومن غائب غاب ، وهم بمنزلة النّاس أيضاً ؛ صدوق وكذوب» .

قال : وكيف صعدت الشياطين إلى السماء وهم أمثال النّاس في الخلقة والكثافة ، وقد كانوا يبنون لسليمان بن داود عليه السلام من البناء ما يعجز عنه ولد آدم ؟

قال عليه السلام : «غلظوا لسليمان كما سخروا وهم خلق رقيق ، غذاؤهم النسيم ، والدليل على كلّ ذلك صعودهم إلى السماء لاستراق السمع ، ولا يقدر الجسم الكثيف على الإرتقاء إليها إلّا بسلّم أو بسبب» .

قال :فأخبرني عن السحر ما أصله ؟ وكيف يقدر الساحر على ما يوصف من عجائبه وما يفعل؟

قال عليه السلام : «إنّ السحر على وجوه شتّى :

وجه منها بمنزلة الطب ؛كما أنّ الأطبّاء وضعوا لكلّ داء دواء ، فكذلك علم السحر ، احتالوا لكلّ صحّة آفة ، ولكلّ عافية عاهة ، ولكلّ معنى حيلة .

ونوع آخر منه خطفة وسرعة ، ومخاريق وخفة .

ونوع آخر ما يأخذ أولياء الشياطين عنهم» .

قال : فمن أين علم الشياطين السحر ؟

قال عليه السلام : «من حيث عرف الأطبّاء الطب ، بعضه تجربة ، وبعضه علاج» .

قال : فما تقول في الملكين هاروت وماروت ؟ وما يقول النّاس بأنّهما يعلّمان النّاس السحر ؟

قال عليه السلام : «إنّهما موضع ابتلاء وموقع فتنة ، تسبيحهما : اليوم لو فعل الإنسان كذا وكذا لكان كذا وكذا ، ولو يعالج بكذا وكذا لكان كذا ، أصناف السحر فيتعلّمون منهما ما يخرج عنهما ، فيقولان لهم إنّما نحن فتنة فلا تأخذوا عنّا ما يضرّكم ولا ينفعكم» .

قال : أفيقدر الساحر أن يجعل الإنسان بسحره في صورة الكلب أو الحمار أو غير ذلك ؟

قال عليه السلام : «هو أعجز من ذلك وأضعف من أن يغيّر خلق الله ، إنّ من أبطل ما ركّبه الله وصوّره

وغيّره فهو شريك الله في خلقه ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ، لو قدر الساحر على ما وصفت لدفع عن نفسه الهرم والآفة والأمراض ، ولنفى البياض عن رأسه ، والفقر عن ساحته ، وإنّ من أكبر السحر النميمة ، يفرّق بها بين المتحابّين ، ويجلب العداوة على المتصافّيين ، ويسفك بها الدماء ، ويهدم بها الدور ، ويكشف بها الستور ، والنمّام أشرّ من وطئ الأرض بقدم ، فأقرب أقاويل السحر من الصواب أنّه بمنزلة الطب ، إنّ الساحر عالج الرجل فامتنع من مجامعة النّساء فجاء الطبيب فعالجه بغير ذلك العلاج فأبرىء» .

قال : فما بال ولد آدم فيهم شريف ووضيع ؟

قال عليه السلام : «الشريف المطيع ، والوضيع العاصي» .

قال : أليس فيهم فاضل ومفضول ؟

قال عليه السلام : «إنّما يتفاضلون بالتقوى» .

قال : فتقول إنّ ولد آدم كلّهم سواء في الأصل لا يتفاضلون إلّا بالتقوى ؟

قال عليه السلام : «نعم ، إنّي وجدت أصل الخلق التراب ، والأب آدم ، والأُم حوّاء ، خلقهم إله واحد ، وهم عبيده ، إنّ الله عزّ وجلّ اختار من ولد آدم أُناساً طهّر ميلادهم ، وطيّب أبدانهم ، وحفظهم في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، أخرج منهم الأنبياء والرسل ، فهم أزكى فروع آدم ، فعل ذلك لأمر استحقّوه من الله عزّ وجلّ ، ولكن علم الله منهم حين ذرأهم أنّهم يطيعونه ويعبدونه ولا يشركون به شيئاً ، فهؤلاء بالطاعة نالوا من الله الكرامة والمنزلة الرفيعة عنده ، وهؤلاء الّذين لهم الشرف والفضل والحسب ، وساير النّاس سواء ، ألا من اتّقى الله أكرمه ، ومن أطاعه أحبّه ، ومن أحبّه لم يعذّبه بالنّار» .

قال : فأخبرني عن الله عزّ وجلّ كيف لم يخلق الخلق كلّهم مطيعين موحّدين وكان على ذلك قادراً ؟

قال عليه السلام : «لو خلقهم مطيعين ، لم يكن لهم ثواب ، لأنّ الطاعة إذا ماكانت فعلهم لم يكن جنّة ولا ناراً ، ولكن خلق خلقه فأمرهم بطاعته ، ونهاهم عن معصيته ، واحتجّ عليهم برسله ، وقطع عذرهم بكتبه ، ليكونوا هم الّذين يطيعون ويعصون ويستوجبون بطاعتهم له الثواب ، وبمعصيتهم إيّاه العقاب» .

قال : فالعمل الصالح من العبد هو فعله ، والعمل الشرّ من العبد هو فعله ؟

قال عليه السلام : «العلم الصالح من العبد بفعله ، والله به أمره ، والعمل الشر من العبد بفعله ، والله عنه نهاه» .

قال : أليس فعله بالآلة الّتي ركّبها فيه ؟

قال ﷺ : «نعم ، ولكن بالآلة الّتي عمل بها الخير ، قدر على الشر الّذي نهاه عنه» .

قال : فإلى العبد من الأمر شيء ؟

قال ﷺ : «ما نهاه الله عن شيء إلّا وقد علم أنه يطيق تركه ، ولا أمره بشيء إلّا وقد علم أنّه يستطيع فعله ، لأنّه ليس من صفة الجور ، والعبث ، والظلم ، وتكليف العباد ما لا يطيقون» .

قال : فمن خلقه الله كافراً أيستطيع الإيمان وله عليه بتركه الإيمان حجّة ؟

قال ﷺ : «إنّ الله خلق خلقه جميعاً مسلمين ، أمرهم ونهاهم ، والكفر اسم يلحق الفعل حين يفعله العبد ، ولم يخلق الله العبد حين خلقه كافراً ، إنّه إنّما كفر من بعد أن بلغ وقتاً لزمته الحجّة من الله ، فعرض عليه الحق فجحده ، فبإنكاره الحق صار كافراً» .

قال : أفيجوز أن يقدّر على العبد الشر ، ويأمره بالخير وهو لا يستطيع الخير أن يعمله ، ويعذّبه عليه ؟

قال ﷺ : «إنّه لا يليق بعدل الله ورأفته أن يقدّر على العبد الشر ويريده منه ، ثمّ يأمره بما يعلم أنّه لا يستطيع أخذه ، والإنزاع عمّا لا يقدر على تركه ، ثمّ يعذّبه على أمره الّذي علم أنّه لا يستطيع أخذه» .

قال : بماذا استحقّ الّذين أغناهم وأوسع عليهم من رزقه الغناء والسعة ؟ وبماذا استحقّ الفقير التقتير والتضييق ؟

قال ﷺ : «اختبر الأغنياء بما أعطاهم لينظر كيف شكرهم ، والفقراء بما منعهم لينظر كيف صبرهم . ووجه آخر : إنّه عجّل لقوم في حياتهم ، ولقوم آخر ليوم حاجتهم إليه . ووجه آخر : فإنّه علم احتمال كلّ قوم فأعطاهم على قدر احتمالهم ، ولو كان الخلق كلّهم أغنياء لخربت الدّنيا ، وفسد التدبير ، وصار أهلها إلى الفناء ، ولكن جعل بعضهم لبعض عوناً ، وجعل أسباب أرزاقهم في ضروب الأعمال ، وأنواع الصناعات ، وذلك أدوم في البقاء ، وأصحّ في التدبير ، ثمّ اختبر الأغنياء بالإستعطاف على الفقراء ، كلّ ذلك لطف ورحمة من الحكيم الّذي لا يعاب تدبيره» .

قال : فبما استحقّ الطفل الصغير ما يصيبه من الأوجاع والأمراض بلا ذنب عمله ، ولا جرم سلف منه ؟

قال ﷺ : «إنّ المرض على وجوه شتّى : مرض بلوى ، ومرض عقوبة ، ومرض جعل علّة

للفناء ، وأنت تزعم أنّ ذلك من أغذية رديّة ، وأشربة وبية ، أو من علّة كانت بأُمّه ، وتزعم أنّ من أحسن السياسة لبدنه ، وأجمل النظر في أحوال نفسه ، وعرف الضار ممّا يأكل من النافع ، لم يمرض ، وتميل في قولك إلى من يزعم : أنّه لا يكون المرض والموت إلّا من المطعم والمشرب ! قد مات ارسطاطاليس معلّم الأطبّاء ، وأفلاطون رئيس الحكماء ، وجالينوس شاخ ودقّ بصره ، وما دفع الموت حين نزل بساحته ، ولم يألوا حفظ أنفسهم ، والنظر لما يوافقها ،كم مريضاً قد زاده المعالج سقماً ؟ وكم من طبيب عالم وبصير بالأدواء والأدوية ماهر مات وعاش الجاهل بالطب بعده زماناً ؟ فلا ذاك نفعه علمه بطبّه عند انقطاع مدّته وحضور أجله ، ولا هذا ضرّه الجهل بالطب مع بقاء المدّة وتأخّر الأجل» .

ثمّ قال عليه السلام : «إنّ أكثر الأطبّاء قالوا : إنّ علم الطبّ لم تعرفه الأنبياء ، فما نصنع على قياس قولهم بعلم زعموا ليس تعرفه الأنبياء الّذين كانوا حجج الله على خلقه ، وأُمناءه في أرضه ، وخزّان علمه ، وورثة حكمته ، والأدلّاء عليه ، والدعاة إلى طاعته ؟ ثمّ إنّي وجدت أنّ أكثرهم يتنكّب[1] في مذهبه سبل الأنبياء ، ويكذّب الكتب المنزّلة عليهم من الله تبارك وتعالى ، فهذا الّذي أزهدني في طلبه وحامليه» .

قال : فكيف تزهد في قوم وأنت مؤدّبهم وكبيرهم ؟

قال عليه السلام : «إنّي رأيت الرجل الماهر في طبّه إذا سألته لم يقف على حدود نفسه ، وتأليف بدنه ، وتركيب أعضائه ، ومجرى الأغذية في جوارحه ، ومخرج نفسه وحركة لسانه ، ومستقرّ كلامه ، ونور بصره ، وانتشار ذكره ، واختلاف شهواته ، وانسكاب عبراته ، ومجمع سمعه ، وموضع عقله ، ومسكن روحه ، ومخرج عطسته ، وهيّج غمومه ، وأسباب سروره ، وعلّة ما حدث فيه من بكم وصمم ، وغير ذلك ، لم يكن عندهم في ذلك أكثر من أقاويل استحسنوها ، وعلل فيما بينهم جوّزوها» .

قال : فأخبرني عن الله أله شريك في ملكه أو مضادّ له في تدبيره ؟

قال عليه السلام : «لا» .

قال : فما هذا الفساد الموجود في العالم من سباع ضارية ، وهوامّ مخوّفة ، وخلق كثير مشوّهة ، ودود ، وبعوض ، وحيّات ، وعقارب ، وزعمت أنّه لا يخلق شيئاً إلّا لعلّة ، لأنّه لا يعبث ؟

---

(١) تَنَكَّبَ : عدل .

قال عليه السلام : «ألست تزعم أنّ العقارب تنفع من وجع المثانة والخصاة ، ولمن يبول في الفراش ، وأنّ أفضل الترياق ماعولج من لحوم الأفاعي ،فإنّ لحومها إذا أكلها المجذوم بشبٍّ[1] نفعه ؟ وتزعم أنّ الدود الأحمر الّذي يصاب تحت الأرض نافع للآكلة» ؟

قال : نعم .

قال عليه السلام : «فأمّا البعوض والبق فبعض سببه أنّه جعله أرزاق الطير ، وأهان بها جبّاراً تمرّد على الله وتجبّر ، وأنكر ربوبيّته ، فسلّط الله عليه أضعف خلقه ليريه قدرته وعظمته ، وهي البعوض ، فدخلت في منخره حتّى وصلت إلى دماغه فقتلته ، واعلم أنّا لو وقفنا على كلّ شيء خلقه الله تعالى لِمَ خلقه ، ولأيّ شيء أنشأه لكنّا قد ساويناه في علمه ، وعلمنا كلّما يعلم ، واستغنينا عنه ، وكنّا وهو في العلم سواء» .

قال : فأخبرني هل يُعاب شيء من خلق الله وتدبيره ؟

قال عليه السلام : «لا» .

قال : فإنّ الله خلق خلقه غرلاً[2] ، أذلك منه حكمة أم عبث ؟

قال عليه السلام : «بل منه حكمة» .

قال : غيّرتم خلق الله ، وجعلتم فعلكم في قطع الغلفة أصوب ممّا خلق الله لها ، وعبتم الأغلف ، والله خلقه ، ومدحتم الختان وهو فعلكم ، أم تقولون أنّ ذلك من الله كان خطأ غير حكمة ؟!

قال عليه السلام : «ذلك من الله حكمة وصواب ، غير أنّه سنّ ذلك وأوجبه على خلقه ،كما أنّ المولود إذا خرج من بطن اُمّه وجدنا سرّته متّصلة بسرّة اُمّه ،كذلك خلقها الحكيم فأمر العباد بقطعها ، وفي تركها فساد بيّن للمولود والاُم ، وكذلك أظفار الإنسان أمر إذا طالت أن تقلم ، وكان قادراً يوم دبّر خلق الإنسان أن يخلقها خلقة لا تطول ، وكذلك الشعر من الشارب والرأس ، يطول فيجز، وكذلك الثيران خلقها الله فحولة ، وأخصاؤها أوفق ، وليس في ذلك عيب في تقدير الله عزّ وجلّ» .

قال : ألست تقول يقول الله تعالى : ﴿ أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[3] وقد نرى المضطر يدعوه فلا يجاب له ، والمظلوم يستنصره على عدوّه لا ينصره ؟

---

(١) الشبُّ : دواء معروف ، وقيل : الشبّ شيء يشبه الزاج .

(٢) الغرلة ـ مثل القلفة وزناً ومعناً ـ ، وغرل غرلاً ـ من باب تعب ـ : إذا لم يختن .

(٣) غافر ٦٠.

قال عليه السلام : «ويحك ما يدعوه أحد إلّا استجاب له ؛ أمّا الظالم فدعاؤه مردود إلى أن يتوب إليه ، وأمّا المحق فإنّه إذا دعاه استجاب له ، وصرف عنه البلاء من حيث لا يعلمه ، أو ادّخر له ثواباً جزيلاً ليوم حاجته إليه ، وإن لم يكن الأمر الّذي سأل العبد خيراً له إن أعطاه أمسك عنه ، والمؤمن العارف بالله ربّما عزّ عليه أن يدعوه فيما لا يدري أصواب ذلك أم خطأ ، وقد يسأل العبد ربّه هلاك من لم ينقطع مدّته ، أو يسأل المطر وقتاً ولعلّه أوان لا يصلح فيه المطر ، لأنّه أعرف بتدبير ما خلق من خلقه ، وأشباه ذلك كثيرة فافهم هذا» .

قال : أخبرني أيّها الحكيم ما بال السّماء لا ينزل منها إلى الأرض أحد ، ولا يصعد من الأرض إليها بشر ، ولا طريق إليها ، ولا مسلك ، فلو نظر العباد في كلّ دهر مرّة من يصعد إليها وينزل لكان ذلك أثبت في الربوبيّة ، وأنفى للشك ، وأقوى لليقين ، وأجدر أن يعلم العباد أنّ هناك مدبّراً إليه يصعد الصاعد ، ومن عنده يهبط الهابط .

قال عليه السلام : «إنّ كلّ ما ترى في الأرض من التدبير إنّما هو ينزل من السّماء ، ومنها يظهر ، أما ترى الشمس منها تطلع وهي نور النّهار ، وفيها قوام الدّنيا ، ولو حبست حار من عليها ، وهلك ، والقمر منها يطلع ، وهو نور الليل ، وبه يعلم عدد السنين والحساب ، والشهور والأيّام ، ولو حبس لحار من عليها ، وفسد التدبير ، وفي السماء النجوم الّتي يهتدى بها في ظلمات البر ، والبحر ، ومن السماء ينزل الغيث الّذي فيه حياة كلّ شيء من الزرع ، والنبات ، والأنعام ، وكلّ الخلق لو حبس عنهم لما عاشوا ، والريح لو حبست إيّاه لفسدت الأشياء جميعاً ، وتغيّرت ، ثمّ الغيم والرعد والبرق والصواعق ، كلّ ذلك إنّما هو دليل على أنّ هناك مدبّراً يدبّر كلّ شيء ومن عنده ينزل ، وقد كلّم الله موسى وناجاه ، ورفع الله عيسى بن مريم والملائكة تتنزّل من عنده ، غير أنّك لا تؤمن بما لم تره بعينك ، وفيما تراه بعينك كفاية أن تفهم وتعقل» .

قال : فلو أنّ الله ردّ إلينا من الأموات في كلّ مائة عام واحداً لنسأله عن من مضى منّا إلى ما صاروا ؟ وكيف حالهم ؟ وماذا لقوا بعد الموت ؟ وأيّ شيء صنع بهم ؟ ليعمل النّاس على اليقين ، واضمحلّ الشكّ ، وذهب الغل عن القلوب .

قال عليه السلام : «إنّ هذه مقالة من أنكر الرّسل وكذّبهم ، ولم يصدّق بما جاؤوا به من عند الله ، إذ أخبروا وقالوا : إنّ الله أخبر في كتابه عزّ وجلّ على لسان أنبيائه حال من مات منّا ، أفيكون أحد أصدق من الله قولاً ومن رسله ، وقد رجع إلى الدّنيا من مات خلق كثير منهم أصحاب الكهف ؛ أماتهم الله

ثلاثمائة عام وتسعة ثمّ بعثهم في زمان قوم أنكروا البعث ، ليقطع حجّتهم ، وليريهم قدرته ، وليعلموا أنّ البعث حق ، وأمات الله «ارمياء» النّبيّ ﷺ الّذي نظر إلى خراب بيت المقدس وما حوله حين غزاهم بخت نصّر[1] ، وقال : ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ﴾[2] فأماته الله مائة عام ثمّ أحياه ، ونظر إلى أعضائه كيف تلتئم ، وكيف تلبس اللحم ، وإلى مفاصله وعروقه كيف توصل ، فلمّا استوى قاعداً قال : ﴿ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3] وأحيا الله قوماً خرجوا عن أوطانهم هاربين من الطاعون ، لا يحصى عددهم ، وأماتهم الله دهراً طويلاً ، حتّى بليت عظامهم ، وتقطّعت أوصالهم ، وصاروا تراباً ، فبعث الله في وقت أحبّ أن يري خلقه قدرته نبيّاً يقال له «حزقيل» فدعاهم فاجتمعت أبدانهم ، ورجعت فيها أرواحهم ، وقاموا كهيئة يوم ماتوا ، لا يفقدون من أعدادهم رجلاً ، فعاشوا بعد ذلك دهراً طويلاً ، وإنّ الله أمات قوماً خرجوا مع موسى ﷺ حين توجّه إلى الله فقالوا : «أرنا الله جهرة» ؛ «فأماتهم الله ثمّ أحياهم» .

قال : فأخبرني عمّن قال بتناسخ الأرواح ، من أيّ شيء قالوا ذلك ؟ وبأيّ حجّة قاموا على مذاهبهم ؟

قال ﷺ : «إنّ أصحاب التناسخ قد خلّفوا وراءهم منهاج الدين ، وزيّنوا لأنفسهم الضلالات ، وأمرجوا أنفسهم في الشهوات[4] ، وزعموا أنّ السماء خاوية ما فيها شيء ممّا يوصف ، وأنّ مدبّر هذا العالم في صورة المخلوقين ، بحجّة من روى أنّ الله ﷻ خلق آدم على صورته ، وأنّه لا جنّة ولا نار ، ولا بعث ولا نشور ، والقيامة عندهم خروج الروح من قالبه وولوجه في قالب آخر ، فإن كان محسناً في القالب الأوّل أُعيد في قالب أفضل منه حسناً في أعلى درجة من الدّنيا ، وإن كان مسيئاً أو غير عارف صار في بعض الدواب المتعبة في الدّنيا ، أو هوام مشوّهة الخلقة وليس عليهم صوم ولا صلاة ، ولا شيء من العبادة أكثر من معرفة من تجب عليهم معرفته ، وكلّ شيء من شهوات الدّنيا مباح لهم ، من فروج النّساء ، وغير ذلك من الأخوات ، والبنات ، والخالات ، وذوات البعولة ، وكذلك الميتة ، والخمر ، والدم ، فاستقبح مقالتهم كلّ الفرق ، ولعنهم كلّ الأُمم ، فلمّا سُئِلوا الحجّة

---

(١) بخت نصّر ـ بالتشديد ـ أصله : بوخت ومعناه : إبن ، ونصّر ـ كبقّم ـ : صنم ، وكان وُجد عند الصنم ولم يعرف له أب فنسب إليه ، خرّب القدس . [القاموس المحيط]

(٢) البقرة ٢٥٩.

(٣) البقرة ٢٥٩.

(٤) أمرج الدابة : تركها تذهب حيث شاءت.

زاغوا وحادوا ، فكذّب مقالتهم «التوراة» ، ولعنهم «الفرقان» ، وزعموا مع ذلك أنّ إلههم ينتقل من قالب إلى قالب ، وأنّ الأرواح الأزليّة هي الّتي كانت في آدم ، ثمّ هلمّ جرّا تجري إلى يومنا هذا في واحد بعد آخر ، فإذاكان الخالق في صورة المخلوق فبما يستدلّ على أنّ أحدهما خالق صاحبه ؟! وقالوا : إنّ الملائكة من ولد آدم كلّ من صار في أعلى درجة من دينهم خرج من منزلة الإمتحان والتصفية فهو ملك فطوراً تخالهم نصارى في أشياء ، وطوراً دهريّة يقولون : إنّ الأشياء على غير الحقيقة ، فقدكان يجب عليهم أن لا يأكلوا شيئاً من اللحمان ، لأنّ الدّواب عندهم كلّها من ولد آدم حوّلوا من صورهم ، فلا يجوز أكل لحوم القربات» .

قال : ومن زعم أنّ الله لم يزل ، ومعه طينة مؤذية ، فلم يستطع التفصّي منها[1] إلّا بامتزاجه بها ودخوله فيها ، فمن تلك الطينة خلق الأشياء !!

قال عليه السلام : «سبحان الله وتعالى ! ! ما أعجز إلهاً يوصف بالقدرة لا يستطيع التفصّي من الطينة ! إن كانت الطينة حيّة أزليّة فكانا إلهين قديمين فامتزجا ودبّرا العالم من أنفسهما ، فإن كان ذلك كذلك ، فمن أين جاء الموت والفناء ؟ وإن كانت الطينة ميتة فلا بقاء للميّت مع الأزلي القديم ، والميّت لا يجيء منه حي ، وهذه مقالة الديصانيّة[2] ، أشدّ الزنادقة قولاً ، وأمهنهم مثلاً ، نظروا في كتب قد صنّفتها أوائلهم ، وحبّروها بألفاظ مزخرفة من غير أصل ثابت ، ولا حجّة توجب إثبات ما ادّعوا ، كلّ ذلك خلافاً على الله وعلى رسله ، بما جاؤوا عن الله ، فأمّا من زعم أنّ الأبدان ظلمة ، والأرواح نور ، وأنّ النّور لا يعمل الشر ، والظلمة لا تعمل الخير ، فلا يجب عليهم أن يلوموا أحداً على معصية ، ولا ركوب حرمة ولا إتيان فاحشة وأنّ ذلك عن الظلمة غير مستنكر ، لأنّ ذلك فعلها ، ولا له أن يدعو ربّا ، ولا يتضرّع إليه ، لأنّ النّور ربّ ، والربّ لا يتضرّع إلى نفسه ، ولا يستعبد بغيره ، ولا لأحد من أهل هذه المقالة أن يقول : «أحسنت» يا محسن أو «اسأت» لأنّ الإساءة من فعل الظلمة ، وذلك فعلها ، والإحسان من النّور ، ولا يقول النّور لنفسه أحسنت يا محسن ، وليس هناك ثالث ، وكانت الظلمة على قياس قولهم ، أحكم فعلاً وأتقن تدبيراً وأعزّ أركاناً من النّور ، لأنّ الأبدان محكمة ، فمن صوّر هذا الخلق صورة واحدة على نعوت مختلفة ، وكلّ شيء يرى ظاهراً

---

(١) التفصى التخلّص ، وتفصّى عن الشيء بان عنه .

(٢) الدّيصَانيّة : أصحاب «ديصان» . أثبتوا أصلين : نوراً وظلاماً ؛ فالنور يفعل الخير قصداً واختياراً ، والظلام : يفعل الشر طبعاً واضطراراً . [الملل والنحل ١/٣٣٠]

من الزهر ، والأشجار والثمار ، والطير والدواب ، يجب أن يكون إلهاً ، ثمّ حبست النّور في حبسها والدولة لها ، وأمّا ما ادّعوا بأنّ العاقبة سوف تكون للنّور ، فدعوى ، وينبغي على قياس قولهم أن لا يكون للنّور فعل ، لأنّه أسير ، وليس له سلطان ، فلا فعل له ولا تدبير ، وإن كان له مع الظلمة تدبير ، فما هو بأسير ، بل هو مطلق عزيز ، فإن لم يكن كذلك ، وكان أسير الظلمة ، فإنّه يظهر في هذا العالم إحسان ، وجامع فساد وشر ، فهذا يدلّ على أنّ الظلمة تحسن الخير وتفعله ، كما تحسن الشر وتفعله ، فإن قالوا محال ذلك ، فلا نور يثبت ولا ظلمة ، وبطلت دعواهم ، ورجع الأمر إلى أنّ الله واحد وما سواه باطل ، فهذه مقالة ماني[1] الزنديق وأصحابه . وأمّا من قال : النّور والظلمة بينهما حكم ، فلابدّ من أن يكون أكبر الثلاثة الحكم ، لأنّه لا يحتاج إلى الحاكم إلّا مغلوب أو جاهل أو مظلوم ، وهذه مقالة المانويّة والحكاية عنهم تطول» .

قال : فما قصّة ماني ؟

قال عليه السلام : «متفحّص أخذ بعض المجوسيّة فشابها ببعض النصرانيّة ، فأخطأ الملّتين ولم يصب مذهباً واحداً منهما ، وزعم أنّ العالم دبّر من إلهين : نور وظلمة ، وأنّ النّور في حصار من الظلمة على ما حكينا منه ، فكذّبته النّصارى ، وقبلته المجوس» .

قال : فأخبرني عن المجوس أفبعث الله إليهم نبيّاً ؟ فإنّي أجد لهم كتباً محكمة ومواعظ بليغة ، وأمثالاً شافية ، يقرّون بالثواب والعقاب ، ولهم شرايع يعملون بها .

قال عليه السلام : «ما من أمّة إلّا خلا فيها نذير ، وقد بعث إليهم نبيّ بكتاب من عند الله ، فأنكروه ، وجحدوا كتابه» .

ومن هو ، فإنّ النّاس يزعمون أنّه خالد بن سنان ؟

قال عليه السلام : «إنّ خالداً كان عربيّاً بدويّاً ، ما كان نبيّاً ، وإنّما ذلك شيء يقوله النّاس» .

---

(١) المانويّة : أصحاب «ماني بن فاتك» الحكيم الذي ظهر في زمان «سابور بن أردشير» وقتله «بهرام بن هرمز بن سابور» وذلك بعد عيسىٰ بن مريم عليه السلام . أحدث ديناً بين المجوسيّة والنصرانيّة وكان يقول بنبوّة المسيح عليه السلام ، ولا يقول بنبوّة موسى عليه السلام .

حكىٰ محمّد بن هارون المعروف بـ«أبي عيسىٰ الورّاق» وكان في الأصل مجوسياً عارفاً بمذاهب القوم : أنّ الحكيم «ماني» زعم أنّ العالم مصنوع مركب من أصلين قديمَين : أحدهما نور ، والآخر ظلمة ، وأنّهما أزليّان لم يزالا قويّين ، حسّاسَين ، درّاكَين ، سميعَين ، بصيرَين ، وهما مع ذلك في النفس والصورة ، والفعل ، والتدبير ....، متضادان . وفي الخير : متحاذيان ، تحاذي الشخص والظل . [الملل والنحل]

قال : أفزردشت ؟

قال عليه السلام : «إنّ زردشت أتاهم بزمزمة ، وادّعى النبوّة ؛ فآمن منهم قوم وجحده قوم ، فأخرجوه فأكلته السباع في بريّة من الأرض» .

قال : فأخبرني عن المجوس كانوا أقرب إلى الصواب في دهرهم أم العرب ؟

قال عليه السلام : «العرب في الجاهليّة كانت أقرب إلى الدّين الحنيفي من المجوس ؛ وذلك أنّ المجوس كفرت بكلّ الأنبياء ، وجحدت كتبهم ، وأنكرت براهينهم ، ولم تأخذ بشيء من سننهم ، وآثارهم ، وإنّ كيخسرو ملك المجوس في الدهر الأوّل قتل ثلاثمائة نبي ، وكانت المجوس لا تغتسل من الجنابة ، والعرب كانت تغتسل والإغتسال من خالص شرايع الحنيفيّة ، وكانت المجوس لا تختتن والعرب تختتن ، وهو من سنن الأنبياء ، وأوّل من فعل ذلك إبراهيم خليل الله ، وكانت المجوس لا تغسل موتاها ولا تكفّنها ، وكان العرب تفعل ذلك ، وكانت المجوس ترمي موتاها في الصحاري والنواويس ، والعرب تواريها في قبورها وتلحدها ، وكذلك السنّة على الرسل أنّ أوّل من حفر له قبر آدم أبوالبشر ، وألحد له لحد ، وكانت المجوس تأتي الأُمّهات وتنكح البنات والأخوات ، وحرّمت ذلك العرب ، وأنكرت المجوس بيت الله الحرام وسمّته بيت الشيطان ، والعرب كانت تحجّه وتعظّمه وتقول : بيت ربّنا ، وتقرّ بالتوراة و«الإنجيل» ، وتسأل أهل الكتاب وتأخذ ، وكانت العرب في كلّ الأسباب أقرب إلى الدّين الحنيفيّة من المجوس» .

قال : فإنّهم احتجّوا بإتيان الأخوات أنّها سنّة من آدم .

قال عليه السلام : «فما حجّتهم في إتيان البنات والأُمّهات وقد حرّم ذلك آدم ، وكذلك نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وسائر الأنبياء ، وكلّ ما جاء عن الله عزّ وجلّ» ؟

قال : ولم حرّم الله الخمر ولا لذّة أفضل منها ؟

قال عليه السلام : «حرّمها لأنّها أُمّ الخبائث ، ورأس كلّ شر ، يأتي على شاربها ساعة يسلب لبّه ، ولا يعرف ربّه ، ولا يترك معصية إلّا ركبها ، ولا حرمة إلّا انتهكها ، ولا رحماً ماسّة إلّا قطعها ، ولا فاحشة إلّا أتاها ، والسكران زمامه بيد الشيطان ؛ إن أمره أن يسجد للأوثان سجد ، وينقاد حيث ما قاده» .

قال : فلم حرّم الدم المسفوح ؟

قال عليه السلام : «لأنّه يورث القساوة ، ويسلب الفؤاد رحمته ، ويعفّن البدن ، ويغيّر اللون ، وأكثر ما يصيب الإنسان الجذام يكون من أكل الدم» .

قال : فأكل الغدد ؟

قال عليه السلام : «يورث الجذام» .

قال : فالميتة لِمَ حرّمها ؟

قال عليه السلام : «فرقاً بينها وبين ما يذكّى ويذكر اسم الله عليه ، والميتة قد جمد فيها الدم ، وتراجع إلى بدنها ، فلحمها ثقيل غير مريء ، لأنّها يؤكل لحمها بدمها» .

قال : فالسمك ميتة ؟

قال عليه السلام : «إنّ السمك ذكاته إخراجه حيّاً من الماء ، ثمّ يترك حتّى يموت من ذات نفسه ، وذلك أنّه ليس له دم ، وكذلك الجراد» .

قال : فَلِم حرّم الزنا ؟

قال عليه السلام : «لما فيه من الفساد ، وذهاب المواريث ، وانقطاع الأنساب ، لا تعلم المرأة في الزّنا من أحبلها ، ولا المولود يعلم من أبوه ، ولا أرحام موصولة ، ولا قرابة معروفة» .

قال : فلم حرّم اللواط ؟

قال عليه السلام : «من أجل أنّه لو كان إتيان الغلام حلالاً لاستغنى الرجال عن النساء وكان فيه قطع النسل ، وتعطيل الفروج ، وكان في إجازة ذلك فساد كثير» .

قال : فلم حرّم إتيان البهيمة ؟

قال عليه السلام : «كره أن يضيع الرجل ماءه ، ويأتي غير شكله ، ولو أباح ذلك لربط كلّ رجل أتاناً يركب ظهرها ويغشي فرجها ، وكان يكون في ذلك فساد كثير ، فأباح ظهورها ، وحرّم عليهم فروجها ، وخلق للرجال النساء ليأنسوا بهنّ ويسكنوا إليهنّ ، ويكنَّ مواضع شهواتهم ، واُمّهات أولادهم» .

قال : فما علّة الغسل من الجنابة ، وإنّما أتى حلالاً وليس في الحلال تدنيس ؟

قال عليه السلام «إنّ الجنابة بمنزلة الحيض ، وذلك أنّ النطفة دم لم يستحكم ولا يكون الجماع إلّا بحركة شديدة ، وشهوة غالبة ، فإذا فرغ تنفّس البدن ، ووجد الرّجل من نفسه رائحة كريهة ، فوجب الغسل لذلك ، وغسل الجنابة مع ذلك أمانة ائتمن الله عليها عبيده ليختبرهم بها» .

قال : أيّها الحكيم ! فما تقول فيمن زعم أنّ هذا التدبير الّذي يظهر في العالم تدبير النجوم السبعة ؟

قال عليه السلام : «يحتاجون إلى دليل ، إنّ هذا العالم الأكبر والعالم الأصغر من تدبير النجوم الّتي تسبح

في الفلك ، وتدور حيث دارت ، متعبة لا تفتر ، وسائرة لا تقف» . ثمّ قال : «وإنّ لكلّ نجم منها موكّل مدبّر ، فهي بمنزلة العبيد المأمورين المنهيين فلوكانت قديمة أزليّة لم تتغيّر من حال إلى حال» .

قال : فمن قال بالطبايع ؟

قال عليه السلام : «القدريّة ، فذلك قول من لم يملك البقاء ، ولا صرف الحوادث ، وغيّرته الأيّام والليالي ، لا يرد الهرم ، ولا يدفع الأجل ، ما يدري ما يصنع به» .

قال : فأخبرني عمّن يزعم أنّ الخلق لم يزل يتناسلون ويتوالدون ، ويذهب قرون ويجيء قرن ، وتفنيهم الأمراض والأعراض ، وصنوف الآفات ، ويخبرك الآخر عن الأوّل ، وينبئك الخلف عن السلف ، والقرون عن القرون ، إنّهم وجدوا الخلق على هذا الوصف بمنزلة الشجر والنبات في كلّ دهر يخرج منه حكيم عليم بمصلحة النّاس ، بصير بتأليف الكلام ، ويصنّف كتاباً قد حبره بفطنته ، وحسّنه بحكمته ، قد جعله حاجزاً بين النّاس ، يأمرهم بالخير ويحثّهم عليه ، وينهاهم عن السوء والفساد ، ويزجرهم عنه لئلّا يتهارشوا ، ولا يقتل بعضهم بعضاً .

قال عليه السلام : «ويحك إنّ من خرج من بطن اُمّه أمس ، ويرحل عن الدنيا غداً ، لا علم له بما كان قبله ، ولا ما يكون بعده ، ثمّ إنّه لا يخلو الإنسان من أن يكون خلقه نفسه ، أو خلقه غيره ، أو لم يزل موجوداً ، فما ليس بشيء ليس يقدر أن يخلق شيء وهو ليس بشيء ، وكذلك ما لم يكن فيكون شيئاً ، يُسْئَل فلا يعلم كيف كان ابتداؤه ، ولو كان الإنسان أزليّاً لم تحدث فيه الحوادث ، لأنّ الأزلي لا تغيّره الأيّام ، ولا يأتي عليه الفناء ، مع أنّا لم نجد بناءاً من غير بانٍ ، ولا أثراً من غير مؤثّر ، ولا تأليفاً من غير مؤلّف ، فمن زعم أنّ أباه خلقه ، قيل : فمن خلق أباه ، ولو أنّ الأب هو الّذي خلق ابنه ، لخلقه على شهوته ، وصوره على محبّته ، ولملك حياته ، ولجاز فيه حكمه ، ولكنّه إن مرض فلم ينفعه ، وإن مات فعجز عن ردّه ، إنّ من استطاع أن يخلق خلقاً وينفخ فيه روحاً حتّى يمشي على رجليه سويّاً ، يقدر أن يدفع عنه الفساد» .

قال : فما تقول في علم النجوم ؟

قال عليه السلام : «هو علم قلّت منافعه ، وكثرت مضرّاته ، لأنّه لا يدفع به المقدور ، ولا يتّقى به المحذور ، إن خبر المنجّم بالبلاء لم ينجه التحرّز من القضاء ، وإن أخبر هو بخير لم يستطع تعجيله ، وإن حدث به سوء لم يمكنه صرفه ، والمنجّم يضادّ الله في علمه ، بزعمه أن يردّ قضاء الله عن خلقه» .

قال : فالرّسول أفضل أم الملك المرسل إليه ؟

قال عليه السلام : «بل الرّسول أفضل» .

قال : فما علّة الملائكة الموكّلين بعباده ، يكتبون ما عليهم ولهم ، والله عالم السرّ وما هو أخفى ؟

قال عليه السلام : «استعبدهم بذلك ، وجعلهم شهوداً على خلقه ، ليكون العباد لملازمتهم إيّاهم أشدّ على طاعة الله مواظبة ، وعن معصيته أشدّ انقباضاً ، وكم من عبد يهمّ بمعصيته فذكر مكانهما فارعوى وكفّ ، فيقول ربّي يراني ، وحفظتي عَلَيّ بذلك تشهد ، وإنّ الله برأفته ولطفه أيضاً وكلّهم بعباده ، يذبّون عنهم مردة الشيطان ، وهوامّ الأرض ، وآفات كثيرة من حيث لا يرون بإذن الله إلى أن يجيء أمر الله» .

قال : فخلق الخلق للرحمة أم للعذاب ؟

قال عليه السلام : «خلقهم للرحمة ، وكان في علمه قبل خلقه إيّاهم ، إنّ قوماً منهم يصيرون إلى عذابه بأعمالهم الرديّة ، وجحدهم به» .

قال : يعذّب من أنكر فاستوجب عذابه بإنكاره ، فبمَ يعذّب من وحّده وعرفه ؟

قال عليه السلام : «يعذّب المنكر لإلهيّته عذاب الأبد ، ويعذّب المقرّ به عذابه عقوبة لمعصيته إيّاه فيما فرض عليه ، ثمّ يخرج ، ولا يظلم ربّك أحداً» .

قال : فبين الكفر والإيمان منزلة ؟

قال عليه السلام : «لا» .

قال : فما الإيمان وما الكفر ؟

قال عليه السلام : «الإيمان أن يصدّق الله فيما غاب عنه من عظمة الله كتصديقه بما شاهد من ذلك وعاين ، والكفر : الجحود» .

قال : فما الشرك وما الشك ؟

قال عليه السلام : «الشرك هو : أن يضمّ إلى الواحد الّذي ليس كمثله شيء آخر والشك : ما لم يعتقد قلبه شيئاً» .

قال : أفيكون العالم جاهلاً ؟

قال عليه السلام : «عالم بما يعلم ، وجاهل بما يجهل» .

قال : فما السعادة وما الشقاوة ؟

قال عليه السلام : «السعادة : سبب الخير ، تمسّك به السعيد فيجرّه إلى النجاة ، والشقاوة سبب خذلان ، تمسّك به الشقي فجرّه إلى الهلكة ، وكلّ بعلم الله» .

قال : أخبرني عن السراج إذا انطفى أين يذهب نوره ؟

قال عليه السلام : «يذهب فلا يعود» .

قال : فما أنكرت أن يكون الإنسان مثل ذلك إذا مات وفارق الروح البدن ، لم يرجع إليه أبداً كما لا يرجع ضوء السراج إليه أبداً إذا انطفى ؟

قال عليه السلام : «لم تصب القياس ، إنّ النّار في الأجسام كامنة ، والأجسام قائمة بأعيانها كالحجر والحديد ، فإذا ضرب أحدهما بالآخر ، سقطت من بينهما نار ، تقتبس منهما سراج ، له ضوء ؛ فالنّار ثابت في أجسامها ، والضوء ذاهب ، والروح : جسم رقيق ، قد اُلبس قالباً كثيفاً ، وليس بمنزلة السراج الّذي ذكرت ، إنّ الّذي خلق في الرحم جنيناً من ماء صاف ، وركّب فيه ضروباً مختلفة : من عروق ، وعصب ، وأسنان ، وشعر ، وعظام ، وغير ذلك ، هو يحييه بعد موته ، ويعيده بعد فنائه» .

قال : فأين الروح ؟

قال عليه السلام : «في بطن الأرض حيث مصرع البدن إلى وقت البعث» .

قال : فمن صُلِب فأين روحه ؟

قال عليه السلام : «في كفّ الملك الّذي قبضها حتّى يودعها الأرض» .

قال : فأخبرني عن الروح أغير الدم ؟

قال عليه السلام : «نعم ، الروح على ما وصفت لك : مادّتها من الدم ، ومن الدم رطوبة الجسم ، وصفاء اللون ، وحسن الصوت ، وكثرة الضحك ، فإذا جمد الدم فارق الروح البدن» .

قال : فهل يوصف بخفة وثقل ووزن ؟

قال عليه السلام : «الروح بمنزلة الريح في الزق ، إذا نفخت فيه امتلأ الزق منها ، فلا يزيد في وزن الزق ولوجها فيه ، ولا ينقصها خروجها منه ، كذلك الروح ليس لها ثقل ولا وزن» .

قال : فأخبرني ما جوهر الريح ؟

قال عليه السلام : «الريح هواء إذا تحرّك يسمّى ريحاً ، فإذا سكن يسمّى هواء ، وبه قوام الدّنيا ، ولو

كفّت الريح ثلاثة أيّام لفسد كلّ شيء على وجه الأرض ونتن ، وذلك أنّ الرّيح بمنزلة المروحة ؛ تذبّ وتدفع الفساد عن كلّ شيء وتطيّبه ، فهي بمنزلة الروح إذا خرج عن البدن نتن البدن وتغيّر ، وتبارك الله أحسن الخالقين» .

قال : أفيتلاشى الروح بعد خروجه عن قالبه أم هو باق ؟

قال عليه السلام : «بل هو باق إلى وقت ينفخ في الصور ، فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنى ، فلا حسّ ولا محسوس ، ثمّ أُعيدت الأشياء كما بدأها مدبّرها ، وذلك أربعمائة سنة يسبت[1] فيها الخلق ، وذلك بين النفختين» .

قال : وأنّىٰ له بالبعث والبدن قد بلى ، والأعضاء قد تفرّقت ، فعضو ببلدة يأكلها سباعها ، وعضو بأُخرى تمزّقه هوامّها ، وعضو قد صار تراباً بني به مع الطين حائط ؟

قال عليه السلام : «إنّ الّذي أنشأه من غير شيء ، وصوّره على غير مثال كان سبق إليه ، قادر أن يعيده كما بدأه» .

قال : أوضح لي ذلك !

قال عليه السلام : «إنّ الرّوح مقيمة في مكانها ، روح المحسن في ضياء وفسحة ، وروح المسيء في ضيق وظلمة ، والبدن يصير تراباً كما منه خلق ، وما تقذف به السباع والهوام من أجوافها ، ممّا أكلته ومزّقته كلّ ذلك في التراب ، محفوظ عنده من لا يعزب عنه مثقال ذرّة في ظلمات الأرض ، ويعلم عدد الأشياء ووزنها ، وإنّ تراب الروحانيين بمنزلة الذهب في التراب ، فإذا كان حين البعث مطرت الأرض مطر النشور ، فتربو الأرض ثمّ تمخّضوا مخض السقاء ، فيصير البشر كمصير الذهب من التراب إذا غسل بالماء ، والزبد من اللبن إذا مخض ، فيجتمع تراب كلّ قالب إلى قالبه ، فينتقل بإذن الله القادر إلى حيث الروح ، فتعود الصور بإذن المصوّر كهيئتها ، وتلج الروح فيها ، فإذا قد استوى لا ينكر من نفسه شيئاً» .

قال : فأخبرني عن النّاس يحشرون يوم القيامة عراة ؟

قال عليه السلام : «بل يحشرون في أكفانهم» .

قال : أنّى لهم بالأكفان وقد بليت ؟!

قال عليه السلام : «إنّ الّذي أحيا أبدانهم جدّد أكفانهم» .

---

(١) سُبتَ ـ بالبناء المفعول ـ : غشي عليه وأيضاً مات.

قال : فمن مات بلا كفن ؟

قال عليه السلام : «يستر الله عورته بما يشاء من عنده» .

قال : أفيعرضون صفوفاً ؟

قال عليه السلام : «نعم ، هم يومئذ عشرون ومائة ألف صف في عرض الأرض» .

قال : أوليس توزن الأعمال ؟

قال عليه السلام : «لا إنّ الأعمال ليست بأجسام ، وإنّما هي صفة ما عملوا ، وإنّما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء ، ولا يعرف ثقلها أو خفّتها ، وإنّ الله لا يخفى عليه شيء» .

قال : فما معنى الميزان ؟

قال عليه السلام : «العدل» .

قال : فما معناه في كتابه : ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾[1] ؟

قال عليه السلام : «فمن رجح عمله» .

قال : فأخبرني أوليس في النّاس مقتنع أن يعذّب خلقه بها دون الحيّات والعقارب ؟

قال عليه السلام : «إنّما يعذّب بها قوماً زعموا أنّها ليست من خلقه ، إنّما شريكه الّذي يخلقه ، فيسلّط الله عليهم العقارب والحيّات في النّار ليذيقهم بها وبال ماكذبوا عليه فجحدوا أن يكون صنعه» .

قال : فمن أين قالوا : «إنّ الجنّة يأتي الرجل منهم إلى ثمرة يتناولها فإذا أكلها عادت كهيئتها»؟

قال عليه السلام : «نعم ذلك على قياس السراج يأتي القابس فيقتبس عنه فلا ينقص من ضوئه شيئاً ، وقد امتلت الدّنيا منه سراجاً» .

قال : أليسوا يأكلون ويشربون ، وتزعم أنّه لا يكون لهم الحاجة ؟

قال عليه السلام : «بلى ، لأنّ غذاءهم رقيق لا ثقل له ، بل يخرج من أجسادهم بالعرق» .

قال : فكيف تكون الحوراء في جميع ما أتاها زوجها عذراء ؟

قال عليه السلام : «لأنّها خلقت من الطيب لا يعتريها عاهة ، ولا يخالط جسمها آفة ، ولا يجري في ثقبها شيء ، ولا يدنّسها حيض ، فالرحم ملتزقة ملدم[2] ، إذ ليس فيها لسوى الإحليل مجرى» .

قال : فهي تلبس سبعين حلّة ويرى زوجها مخّ ساقها من وراء حللها وبدنها ؟

---

(١) الأعراف ٨.

(٢) المِلدم ـ كمِنْبَر ـ: الأحمق الثقيل اللّحم.

قال عليه السلام: «نعم، كما يرى أحدكم الدراهم إذا لقيت في ماء صاف قدره قدر رمح».

قال: فكيف تنعّم أهل الجنّة بما فيه من النّعيم، وما منهم إلّا وقد فقد ابنه، وأباه، أو حميمه، أو اُمّه، فإذا افتقدوهم في الجنّة لم يشكّوا في مصيرهم إلى النّار، فما يصنع بالنّعيم من يعلم أنّ حميمه في النّار ويعذّب؟

قال عليه السلام: «إنّ أهل العلم قالوا: إنّهم ينسون ذكرهم. وقال بعضهم: إنتظروا قدومهم. ورجوا أن يكونوا بين الجنّة والنّار في أصحاب الأعراف».

قال: فأخبرني عن الشمس أين تغيب؟

قال عليه السلام: «إنّ بعض العلماء قال: إذا انحدرت أسفل القبّة دار بها الفلك إلى بطن السماء صاعدة أبداً إلى أن تنحط إلى موضع مطلعها يعني: أنّها تغيب في عين حامية ثمّ تخرق الأرض راجعة إلى موضع مطلعها، فتحيّر تحت العرش حتّى يؤذن لها بالطلوع، ويسلب نورها كلّ يوم، وتجلّل نوراً آخر».

قال: فالكرسي أكبر أم العرش؟

قال عليه السلام: «كلّ شيء خلقه الله في جوف الكرسي ما خلا عرشه فإنّه أعظم من أن يحيط به الكرسي».

قال: فخلق النّهار قبل الليل؟

قال عليه السلام: «خلق النّهار قبل الليل، والشمس قبل القمر، والأرض قبل السماء، ووضع الأرض على الحوت، والحوت في الماء، والماء في صخرة مجوّفة، والصخرة على عاتق ملك، والملك على الثرى، والثرى على الريح العقيم، والريح على الهواء، والهواء تمسكه القدرة، وليس تحت الريح العقيم إلّا الهواء والظلمات، ولا وراء ذلك سعة ولا ضيق، ولا شيء يتوّهم، ثمّ خلق الكرسي فحشاه السماوات والأرض، والكرسي أكبر من كلّ شيء خلقه الله، ثمّ خلق العرش فجعله أكبر من الكرسي».

وعن أبان بن تغلب أنّه قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أهل اليمن، فسلّم عليه، فردّ عليه أبو عبدالله، فقال له: «مرحباً يا سعد»!

فقال الرجل: بهذا الإسم سمّتني اُمّي، وما أقلّ من يعرفني به.

فقال له أبو عبدالله عليه السلام: «صدقت يا سعد المولى»!

فقال الرجل: جعلت فداك بهذا اللقب كنت اُلقَّب.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: «لا خير في اللقب، إنّ الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿وَلاَ تَنَابَزُوا

بِالأَلْقَابِ بِئْسَ ٱلاسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلإِيمَانِ ﴾[1] ، ما صناعتك يا سعد» ؟

قال : جعلت فداك ، إنّا أهل بيت ننظر في النّجوم ، لا يقال إنَّ باليمن أحداً أعلم بالنّجوم منّا .

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «كم يزيد ضوء الشمس على ضوء القمر درجة» ؟

فقال اليماني : لا أدري .

فقال عليه السلام : «صدقت» . فقال : «فكم ضوء القمر يزيد على ضوء المشتري درجة» ؟

قال اليماني : لا أدري !

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «صدقت» . قال : «فكم يزيد ضوء المشتري على ضوء العطارد درجة»؟

قال اليماني : لا أدري !

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «صدقت» . قال : «فكم ضوء عطارد يزيد درجة على ضوء الزهرة» ؟

قال اليماني : لا أدري !

قال أبو عبدالله عليه السلام : «صدقت» . قال : «فما اسم النجم الّذي إذا طلع هاجت الإبل» ؟

فقال اليماني : لا أدري !

فقال له أبو عبدالله عليه السلام : «صدقت» . قال : «فما اسم النجم الّذي إذا طلع هاجت الكلاب» ؟

فقال اليماني : لا أدري !

فقال له أبو عبدالله عليه السلام : «صدقت في قولك لا أدري ! فما زحل عندكم في النّجوم» ؟

فقال اليماني : نجم نحس .

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «لا تقل هذا ، فإنّه نجم أميرالمؤمنين صلوات الله عليه وهو نجم الأوصياء ، وهو النجم الثاقب الّذي قال الله تعالى في كتابه» .

فقال اليماني : فما معنى الثاقب ؟

فقال عليه السلام : «إنّ مطلعه في السماء السابعة ، فإنّه ثقب بضوئه حتّى أضاء في السماء الدّنيا ، فمن ثَمّ سمّاه الله النجم الثاقب» . ثمّ قال : «يا أخا العرب أعندكم عالم» ؟

فقال اليماني : نعم جعلت فداك إنّ باليمن قوماً ليسوا كأحد من النّاس في علمهم .

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «وما يبلغ من علم عالمهم» ؟

فقال اليماني : إنّ عالمهم ليزجر الطير ، ويقفو الأثر في ساعة واحدة مسيرة شهر للراكب المحث».

---

(١) الحجرات ١١.

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «فإنّ عالم المدينة أعلم من عالم اليمن» .

قال اليماني : وما يبلغ علم عالم المدينة ؟

قال عليه السلام : «إنّ علم عالم المدينة ينتهي إلى أن لا يقفو الأثر ، ولا يزجر الطير ، ويعلم ما في اللحظة الواحدة مسيرة الشمس ، تقطع اثني عشر برجاً ، واثنى عشر برّاً ، واثنى عشر بحراً ، واثنى عشر عالماً» .

فقال له اليماني : ما ظننت أنّ أحداً يعلم هذا ، وما يدري ماكنهه !

قال : ثمّ قام اليماني وخرج .

وعن سعيد بن أبي الخضيب[1] قال : دخلت أنا وابن أبي ليلى المدينة ، فبينما نحن في مسجد الرّسول صلى الله عليه وآله إذ دخل جعفر بن محمّد عليه السلام ، فقمنا إليه فسألني عن نفسي وأهلي ، ثمّ قال : «من هذا معك» ؟

فقلت : ابن أبي ليلى قاضي المسلمين !

فقال عليه السلام : «نعم» ، ثمّ قال له : «أتأخذ مال هذا فتعطيه هذا ، وتفرّق بين المرء وزوجه ، ولا تخاف في هذا أحداً» ؟

قال : نعم .

قال عليه السلام : «فبأيّ شيء تقضي» ؟

قال : بما بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعن أبي بكر ، وعمر !

قال عليه السلام : «فبلغك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : «أقضاكم عليّ بعدي» ؟

قال : نعم .

قال عليه السلام : «فكيف تقضي بغير قضاء عليّ عليه السلام ، وقد بلغك هذا» ؟!

قال : فاصفرّ وجه ابن أبي ليلى ، ثمّ قال : التمس مثلاً لنفسك ، فوالله لا أُكلّمك من رأسي كلمة أبداً .

وعن الحسين بن زيد[2] عن جعفر الصّادق عليه السلام : «إنّ رسول الله قال لفاطمة : يا فاطمة إنّ الله عزّ وجلّ يغضب لغضبك ، ويرضى لرضاك» .

---

(١) سعيد ابن أبي الخضيب البجلي : عدّه الشيخ في رجاله ص ٢٠٥ من أصحاب الصّادق عليه السلام .

(٢) ذكره العلاّمة في القسم الأوّل من خلاصته ص ٥١ فقال : الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام ، أبو عبدالله ، يلقّب ذاالدمعة ، كان أبوعبدالله تبنّاه وربّاه ، وزوّجه بنت الأرقط . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام ، وكتابه مختلف الرواية .

قال : فقال المحدّثون بها .

قال : فأتاه ابن جريح فقال : يا أباعبدالله حُدِّثْنا اليوم حديثاً استهزأه النّاس !

قال عليه السلام : «وما هو ؟

قال : حديث أنّ رسول الله قال لفاطمة : «إنّ الله ليغضب لغضبك ، ويرضى لرضاك» .

(قال) : فقال عليه السلام : «إنّ الله ليغضب فيما تروون لعبده المؤمن ، ويرضى لرضاه» ؟

فقال نعم .

قال عليه السلام : «فما تنكر أن تكون ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله مؤمنة ، يرضى الله لرضاها ، ويغضب لغضبها» ؟!

قال : صدقت ! الله أعلم حيث يجعل رسالاته .

وعن حفص بن غياث[١] **قال :** شهدت المسجد الحرام وابن أبي العوجاء[٢] يسأل أباعبدالله عليه السلام عن قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ ﴾[٣] ما ذنب الغير ؟

قال عليه السلام : «ويحك هي وهي غيرها» !

قال : فمثّل لي ذلك شيئاً من أمر الدّنيا !

قال عليه السلام : «نعم أرأيت لو أنّ رجلاً أخذ لبنة فكسّرها ، ثمّ ردّها في ملبنها ، فهي هي وهي غيرها» .

وروي أنّه سأل الصّادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ في قصّة إبراهيم عليه السلام : ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾[٤] ؟

---

(١) حفص بن غياث : عدّه الشيخ في رجاله ص١١٨ من أصحاب الباقر عليه السلام ، وذكره في أصحاب الصّادق عليه السلام أيضاً ص١٧٥ ، فقال : حفص بن غياث بن طلق بن معاوية ، أبو عمر النخعي القاضي الكوفي أسند عنه . وذكره في باب من لم يرو عن الأئمّة عليهم السلام ص ٤٧١ والعلاّمة في القسم الثاني من خلاصته ص٢١٨ وقال : ولي القضاء لهارون ، وروى عن الصّادق عليه السلام ، وكان عامياً وله كتاب معتمد .

(٢) عبدالكريم بن أبي العوجاء هذا من تلامذة الحسن البصري وقد انحرف عن التوحيد ، وحبسه محمّد بن سليمان عامل الكوفة من جهة المنصور ، وهو خال معن بن زائدة ، فكثر شفعاءه بمدينة السلام وألحّوا على المنصور حتّى كتب إلى محمّد بالكفّ عنه ، وقبل أن يجيء الكتاب إلى محمّد بن سليمان بعث عليه وأمر بضرب عنقه ، فلمّا أيقن أنّه مقتول ، قال : أما والله لئن قتلتموني لقد وضعت أربعة آلاف حديث أُحرّم فيها الحلال وأُحلّ بها الحرام ، ولقد فطّرتكم في يوم صومكم ، وصوّمتكم في يوم فطركم ، ثمّ ضُرِبَت عنقه .

(٣) النساء ٥٦.

(٤) الأنبياء ٦٣.

قال عليه السلام : «ما فعله كبيرهم وماكذب إبراهيم عليه السلام» .

قيل : وكيف ذلك ؟

فقال عليه السلام : «إنّما قال إبراهيم : فاسألوهم إن كانوا ينطقون ، فإن نطقوا فكبيرهم فعل ، وإن لم ينطقوا فكبيرهم لم يفعل شيئاً ، فما نطقوا ، وماكذب إبراهيم عليه السلام» .

فسُئِل عن قوله في سورة يوسف : ﴿ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾[١] ؟

قال عليه السلام : «إنّهم سرقوا يوسف من أبيه ، ألا ترى أنّه قال لهم حين قالوا : ﴿ مَّاذَا تَفْقِدُونَ * قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ ﴾[٢] ولم يقل سرقتم صواع الملك ، إنّما سرقوا يوسف من أبيه» .

فسُئِل عن قول إبراهيم : ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾[٣] ؟

قال عليه السلام : «ماكان إبراهيم سقيماً ، وماكذب ، إنّما عنى سقيماً في دينه أي مرتاداً» .

وعن عبدالمؤمن الأنصاري[٤] قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إنّ قوماً رووا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : «اختلاف اُمّتي رحمة» ؟

فقال عليه السلام : «صدقوا» .

قلت : إن كان اختلافهم رحمة ، فاجتماعهم عذاب ؟

قال عليه السلام : «ليس حيث تذهب وذهبوا ، إنّما أراد قول الله عزّ وجلّ : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[٥] أمرهم أن ينفروا إلى رسول الله ، ويختلفوا إليه ، ويتعلّموا ، ثمّ يرجعوا إلى قومهم فيعلّموهم ، إنّما أراد اختلافهم في البلدان ، لا اختلافاً في الدّين ، إنّما الدّين واحد» .

وروي عنه صلوات الله عليه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : «ما وجدتم في كتاب الله عزّ وجلّ فالعمل لكم به ، ولا عذر لكم في تركه ، وما لم يكن في كتاب الله عزّ وجلّ وكانت في سنّة منّي فلا عذر لكم في ترك

---

(١) يوسف ٧٠.

(٢) يوسف ٧١ـ٧٢.

(٣) الصافات ٨٨ـ٨٩.

(٤) ذكره الشيخ في أصحاب عليّ بن الحسين عليهما السلام ص٩٩ من رجاله وفي أصحاب الباقر عليه السلام ص١٣١، وعدّه في أصحاب الصادق عليه السلام ص٢٣٦، وذكره العلّامة في القسم الأوّل من خلاصته ص١٣١ فقال: «عبدالمؤمن بن القاسم ابن قيس ابن قهد ـ بفتح القاف وإسكان الهاء ـ الأنصاري، روى عن أبي عبدالله وأبي جعفر عليهما السلام، ثقة، وهو أخو أبي مريم الغفاري بن القاسم، وقيس بن فهد صحابي».

(٥) التوبة ١٢٢.

سنّتي ، وما لم يكن فيه سنّة منّي فما قال أصحابي فقولوا ، إنّما مثل أصحابي فيكم كمثل النّجوم، بأيّها اُخذ اهتدي ، وبأيّ أقاويل أصحابي أخذتم اهتديتم ، واختلاف أصحابي لكم رحمة .

قيل : يا رسول الله مَن أصحابك ؟

قال : أهل بيتي» .

قال محمّد بن الحسين بن بابويه القمي رحمه الله : إنّ أهل البيت لا يختلفون ولكن يفتون الشيعة بمرّ الحق ، وربّما أفتوهم بالتقيّة ، فما يختلف من قولهم فهو للتقيّة ، والتقيّة رحمة للشيعة ، ويؤيّد تأويله رحمه الله أخبار كثيرة .

منها ما رواه محمّد بن سنان عن نصر الخثعمي[1] **قال** : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : من عرف من أمرنا أن لا نقول إلّا حقّاً فليكتف بما يعلم منّا ، فإن سمع منّا خلاف ما يعلم فليعلم أنّ ذلك منّا دفاع واختيار له» .

وعن عمر بن حنظلة[2] **قال** : سألت أباعبدالله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دَين أو ميراث ، فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة أيحلّ ذلك ؟

قال عليه السلام : «من تحاكم إليهم في حقّ أو باطل فإنّما تحاكم إلى الجبت والطاغوت المنهي عنه ، وما حكم له به فإنّما يأخذ سحتاً ، وإن كان حقّه ثابتاً له ، لأنّه أخذه بحكم الطاغوت ، ومن أمر الله عزّ وجلّ أن يكفر به ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى ٱلطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ﴾[3]» .

قلت : فكيف يصنعان وقد اختلفا ؟

قال عليه السلام : «ينظران من كان منكم ممّن قد روى حديثنا ، ونظر في حلالنا وحرامنا ، وعرف أحكامنا ، فليرضيا به حكماً ، فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً ، فإذا حكم بحكم ولم يقبله منه فإنّما بحكم الله استخفّ ، وعلينا ردّ ، والرادّ علينا كافر ، ورادّ على الله ، وهو على حدّ من الشرك بالله» .

قلت : فإن كان كلّ واحد منهما اختار رجلاً من أصحابنا ، فرضيا أن يكونا الناظرين في حقّهما

---

(١) نصر الخثعمي : لم أعثر فيما بين يديّ من كتب الرّجال على ترجمة لصاحب هذا الإسم ، ولعلّه نصير الخثعمي الّذي ذكره الأردبيلي في جامع الرواة ج٢ ص٢٩٢ فقال : نصير أبوالحكم الخثعمي . محمّد بن سنان عنه عن أبي عبدالله في محاسن البرقي في باب أنّ المؤمن صنفان.

(٢) عمر بن حنظلة البكري الكوفي ، عدّه الشيخ في رجاله ص ٢٥١ من أصحاب الصادق عليه السلام .

(٣) النساء ٦٠.

فيما حكما ، فإنّ الحكمين اختلفا في حديثكم ؟

قال عليه السلام : «إنّ الحكم ما حكم به أعدلهما ، وأفقههما ، وأصدقهما في الحديث ، وأورعهما ، ولا يلتفت إلى ما حكم به الآخر» .

قلت : فإنّهما عدلان مرضيّان ، عرفا بذلك لا يفضّل أحدهما صاحبه ؟

قال عليه السلام : «ينظر الآن إلى ماكان من روايتهما عنّا في ذلك الّذي حكما ، المجمع عليه بين أصحابك ، فيؤخذ به من حكمهما ويترك الشاذّ الّذي ليس بمشهور عند أصحابك ، فإنّ المجمع عليه لا ريب فيه ، وإنّما الأُمور ثلاث : أمرٌ بيّن رشده ؛ فيُتّبع ، وأمر بيّن غيّه ؛ فيُجتنب ، وأمر مشكل يردّ حكمه إلى الله وإلى رسوله ، حلال بيّن ، وحرام بيّن ، وشبهات تتردّد بين ذلك ؛ فمن ترك الشبهات نجا من المحرّمات ، ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرّمات ، وهلك من حيث لا يعلم» .

قلت : فإن كان الخبران عنكما مشهورين قد رواهما الثقات عنكم ؟

قال عليه السلام : «ينظر ما وافق حكمه حكم الكتاب والسنّة وخالف العامّة فيؤخذ به ، ويترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنّة ووافق العامّة» .

قلت : جعلت فداك أرأيت إن كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسنّة ، ثمّ وجدنا أحد الخبرين يوافق العامّة ، والآخر يخالف بأيّهما نأخذ من الخبرين ؟

قال عليه السلام : «ينظر إلى ما هم إليه يميلون ، فإن خالف العامّة ففيه الرشاد» .

قلت : جعلت فداك فإن وافقهم الخبران جميعاً ؟

قال عليه السلام : «أُنظروا إلى ما تميل إليه حكّامهم وقضاتهم ، فاتركوا جانباً وخذوا بغيره» .

قلت : فإن وافق حكّامهم الخبرين جميعاً ؟

قال عليه السلام : «إذا كان كذلك فارجه وقِفْ عنده ، حتّى تلقى إمامك ، فإنّ الوقوف عند الشبهات خير من الإقتحام في الهلكات ، والله هو المرشد» .

جاء هذا الخبر على سبيل التقدير ، لأنّه قلّما يتّفق في الأثر أن يرد خبران مختلفان في حكم من الأحكام ، موافقَين للكتاب والسنّة ، وذلك مثل غسل الوجه واليدين في الوضوء ، لأنّ الأخبار جاءت بغسلهما مرّة مرّة وغسلهما مرّتين مرّتين ، فظاهر «القرآن» لا يقتضي خلاف ذلك ، بل يحتمل كلتا الروايتين ، ومثل ذلك يؤخذ في أحكام الشرع .

وأمّا قوله عليه السلام للسائل «أرجه وقف عنده حتّى تلقى إمامك» أمره بذلك عند تمكّنه من الوصول إلى الإمام، فأمّا إذاكان غائباً ولا يتمكّن من الوصول إليه، والأصحاب كلّهم مجمعون على الخبرين، ولم يكن هناك رجحان لرواة أحدهما على الآخر بالكثرة والعدالة، كان الحكم بهما من باب التخيير، يدلّ على ما قلنا:

ما روي عن الحسن بن الجهم[1] **عن الرّضا عليه السلام قال:** قلت للرّضا عليه السلام: تجيئنا الأحاديث عنكم مختلفة؟

قال: ما جاءك عنّا فقسه على كتاب الله عزّ وجلّ وأحاديثنا، فإن كان يشبههما فهو منّا وإن لم يشبههما فليس منّا».

قلت: «يجيئنا الرجلان وكلاهما ثقة، بحديثين مختلفين، فلا نعلم أيّهما الحق».

فقال عليه السلام: «إذا لم تعلم فموسّع عليك بأيّهما أخذت».

وما رواه الحرث بن المغيرة[2] **عن أبي عبدالله عليه السلام قال:** «إذا سمعت من أصحابك الحديث وكلّهم ثقة، فموسّع عليك حتّى ترى القائم فتردّه عليه».

وروى سماعة بن مهران[3] **قال:** سألت أباعبدالله عليه السلام قلت: يرد علينا حديثان، واحد يأمرنا

---

(١) الحسن بن الجهم بن بكير بن أعين: أبو محمّد الشيباني، ثقة، روى عن أبي الحسن موسى والرضا عليهما السلام، ذكره العلّامة في القسم الأوّل من خلاصته ص٤٣، والنجاشي في رجاله ص٤٠، والشيخ في أصحاب الكاظم ص٣٤٧ من رجاله.

(٢) قال العلّامة في القسم الأوّل من خلاصته ص٥٥: الحرث بن المغيرة النصري ـ بالنون والصاد غير المعجمة ـ روى الكشي عن محمّد بن قولويه قال: حدّثنا سعد بن عبدالله عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن عبدالله بن محمّد الحجّال عن يونس بن يعقوب قال: كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام فقال: «مالكم من مفزع؟ أما لكم من مستراح تستريحون إليه؟ ما يمنعكم من الحرث بن المغيرة النصري»؟ وروى حديثاً في طريقه سجادة: أنّه من أهل الجنّة. وقال النجاشي: حارث بن المغيرة النصري من بني نصر بن معاوية، بصري، عربي، روى عن أبي جعفر الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام وعن زيد بن عليّ عليه السلام، ثقة ثقة.

(٣) قال النجاشي ص١٤٦ من رجاله: «سماعة بن مهران بن عبدالرحمن الحضرمي مولى عبد بن وايل بن حجر الحضرمي يكنّى: أباناشرة، وقيل: أبامحمّد، كان يتّجر في القزّ، ويخرج به إلى حرّان، ونزل من الكوفة كندة، روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام ومات بالمدينة، ثقة ثقة، وله مسجد بحضرموت الكوفة وهو مسجد زرعة بن محمّد الحضرمي بعده، وذكره أحمد بن الحسين رحمه الله وأنّه وجد في بعض الكتب أنّه مات سنة خمس وأربعين ومائة في حياة أبي عبدالله عليه السلام، وذلك أنّ أباعبدالله عليه السلام قال: «إن رجعت لم ترجع إلينا» فأقام عنده فمات في تلك السنة، وكان عمره نحواً من ستّين سنة، وليس أعلم كيف هذه الحكاية لأنّ سماعة روى عن أبي الحسن وهذه

بالأخذ به ، والآخر به ينهانا عنه ؟

قال عليه السلام : «لا تعمل بواحد منهما حتّى تلقى صاحبك فتسأله عنه» .

قال : قلت : لابدّ من أن نعمل بأحدهما .

قال عليه السلام : «خذ بما فيه خلاف العامّة» .

فقد أمر عليه السلام بترك ما وافق العامّة ، لأنّه يحتمل أن يكون قد ورد مورد التقيّة ، وما خالفهم لا يحتمل ذلك .

وروي عنهم عليهم السلام أيضاً أنّهم قالوا : «إذا اختلف أحاديثنا عليكم فخذوا بما اجتمعت عليه شيعتنا ، فإنّه لا ريب فيه» .

وأمثال هذه الأخبار كثيرة لا يحتمل ذكرها هنا ، وما أوردناه عارض ليس هنا موضعه .

وعن بشير بن يحيى العامري عن ابن أبي ليلى[1] قال : دخلت أنا والنعمان

الحكاية يتضمّن أنّه مات في حياة أبي عبدالله عليه السلام ، والله أعلم . له كتاب يرويه عنه جماعة كثيرة» الخ . وذكره الشيخ في أصحاب الصادق عليه السلام ص٢٤ ، وفي أصحاب الكاظم عليه السلام ص٣١٥ .

(١) في سفينة البحار ج٢ ص٥٢٠ : «أقول : ابن أبي ليلى هو محمّد بن عبدالرّحمن القاضي الكوفي ، عدّه الشيخ من أصحاب الصادق عليه السلام ، كان بينه وبين أبي حنيفة منافرات ، توفّي سنة ١٤٨ ، وكان أبوه من أكابر تابعي الكوفة ، وجدّه أبو ليلى من الصحابة .

قال ابن النديم : واسم أبي ليلى يسار من ولد أحيحة بن الجلاح . وقال : ولي ابن أبي ليلى القضاء لبني أُميّة وولد العبّاس ، وكان يفتي بالرأي قبل أبي حنيفة .

وذكره في الخلاصة في القسم الأوّل ونقل عن ابن عقدة أنّه روى عن ابن نمير أنّه كان صدوقاً مأموناً ولكنّه سيّئ الحفظ جدّاً .

وقال ابن داود : إنّه ممدوح .

وقال المولى محمّد صالح : إنّه ممدوح مشكور صدوق مأمون .

وفي التعليقة : روى ابن أبي عمير عنه عن أبيه وقد أعزب أبو علي في رجاله وقال : إن نصب الرجل أشهر من كفر إبليس ، وهو من مشاهير المنحرفين ، وتولّى القضاء لبني أُميّة ثمّ لبني العبّاس برهة من السنين كما ذكره غير واحد من المؤرخين وردّه شهادة جملة من أجلاء أصحاب الصّادق عليه السلام لأنّهم رافضة مشهور ، وفي كتب الحديث مذكور ، من ذلك ما ذكره الكشي في ترجمة محمّد بن مسلم فلاحظ ، ومن ذلك في ترجمة عمّار الدهني ، ويجب ذكره في الضعفاء كما فعله الفاضل ...

قال شيخنا في المستدرك بعد نقل هذا الكلام من أبي علي : قلت : المدّعي صدقه وأمانته ووثاقته في الحديث ومجرّد القضاء والعامية لا ينافي ذلك .

وقال صدر المحقّقين العاملي في حواشيه على رجاله وفي تضاعيف الأخبار ما يدلّ على أنّ ابن أبي ليلى لم يكن

أبوحنيفة(١) على جعفر بن محمّد، فرحّب بنا، فقال: «يابن أبي ليلى من هذا الرجل»؟

على ما ذكره المؤلف من النصب بل يظهر من الروايات ميله لآل محمّد عليهم السلام، وروايات ردّ الشهادة تشهد بذلك لأنّه قبل شهادتهم بعد ردّها، وفي صدر الوقوف من الكافي أنّ ابن أبي ليلى حكم في قضيّة يحكم فقال له محمّد بن مسلم: إنّ علياً عليه السلام قضى بخلاف ذلك، وروى ذلك له عن الباقر عليه السلام فقال ابن أبي ليلى: هذا عندك؟ قال: نعم. قال: فأرسل وأتني به. قال له محمّد بن مسلم: على أن لا تنظر في الكتاب إلّا في ذلك الحديث، ثمّ أراه الحديث عن الباقر عليه السلام فردّ قضيّته ونقضه للقضاء بعد الحكم دليل على عدم التعصّب فضلاً عن النصب...

وبالجملة فمن تتبّع الأخبار وجد أنّ ابن أبي ليلى كان يقضي بما يبلغه عن الصّادقين عليهما السلام ويحكم بذلك بعد التوقّف بل ينقض ما كان قد حكم به إذا بلغه عنهم عليهم السلام خلافه، فكيف يكون من حاله ذلك من النواصب»؟

(١) أبو حنيفة: واسمه النعمان بن ثابت بن زوطي، وكان زوطي مملوكاً لبني تيم الله بن ثعلبة، وأصله من كابل، وقيل: مولى لبني قفل كما في الفهرست لابن النديم ص ٢٨٤.

وقال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج١٣ ص٣٢٤: «ولد أبو حنيفة وأبوه نصراني»... إلى أن قال: «وكان زوطي مملوكاً لبني تيم الله بن ثعلبة فأُعتق، فولاؤه لبني عبدالله بن ثعلبة ثمّ لبني قفل».

وروى مسنداً عن الزيادي يقول: سمعت أباجعفر يقول: كان أبو حنيفة اسمه عتيك بن زوطرة فسمّي نفسه النعمان وأباه ثابتاً.. وقيل: كان والد أبي حنيفة من (نسا) وقيل أصله من (ترمذ) وقيل ثابت والد أبي حنيفة من أهل (الأنبار).

وأورد الخطيب البغدادي في تاريخه عدّة روايات بأسانيد مختلفة تقول: إنّ أباحنيفة استتيب من الكفر مرّتين وفي بعضها ثلاثاً، وفي رواية سفيان الثوري استتيب من الكفر مراراً. وفي رواية أبي عيينة استتيب من الدهر ثلاث مرّات. [راجع: تاريخ بغداد ج١٣ ص ٣٨٠-٣٨٣]

وفيه ص ٣٧٢ مسنداً أنّ أباحنيفة قال: لو أنّ رجلاً عبد هذه النعل يتقرّب بها إلى الله لم أر بذلك بأساً.

وكان شريك يقول: كفر أبو حنيفة بآيتين من كتاب الله؛ قال الله تعالى: ﴿**وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ وقال تعالى: ﴿**يَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ**﴾ وزعم أبو حنيفة أنّ الإيمان لا يزداد ولا ينقص، وأنّ الصّلاة ليست من دين الله.

وفي ص٣٨٦ منه عن الجوهري روى مسنداً قال: سمعت أبامطيع يقول: قال أبو حنيفة: إن كانت الجنّة والنّار مخلوقتين فإنّهما يفنيان.

وفيه عن ابن أسباط: قال أبو حنيفة: لو أدركني رسول الله وأدركته لأخذ بكثير من قولي.

وقال سمعت أباإسحاق يقول: كان أبو حنيفة يجيئه الشيء عن النّبي فيخالفه إلى غيره.

وفي ص ٣٧٠ من نفس المصدر: سُئِل أبو حنيفة عن رجل قال: أشهد أنّ الكعبة حق، ولكن لا أدري هي هذه الّتي بمكّة أم لا؟ فقال: مؤمن حقّاً. وسُئِل عن رجل قال: أشهد أنّ محمّد بن عبدالله نبي ولكن لا أدري هو الّذي قبره بالمدينة أم لا؟ فقال:: مؤمن حقّاً.

وهو أحد المذاهب الأربعة السنّيّة، صاحب الرأي والقياس والفتاوي المعروفة في الفقه.

ذكر ابن خلّكان في ج٢ ص٨٦ من الوفيات في ترجمة محمّد بن سبكتكين عن إمام الحرمين أبو المعالي

⬅ عبدالملك الجويني في كتابه الّذي سمّاه: «مغيث الخلق في اختيار الأحق» قال: إنّ السلطان محمود المذكور كان على مذهب أبي حنيفة، وكان مولعاً بعلم الحديث، وكانوا يسمعون الحديث من الشيوخ بين يديه وهو يسمع، وكان يستفسر الأحاديث فوجدها أكثرها موافقاً لمذهب الشافعي، فوقع في خلده حكمة، فجمع العلماء من الفريقين في مرو والتمس منهما الكلام في ترجيح أحد المذهبين على الآخر، فوقع الإتّفاق على أن يصلّوا بين يديه ركعتين على مذهب الشافعي وعلى مذهب أبي حنيفة ... فصلّى القفّال المروزي ... إلى أن قال: ثمّ صلّى ركعتين على ما يجوّز أبو حنيفة، فلبس جلد كلب مدبوغاً، ثمّ لطخ ربعه بالنجاسة، وتوضّأ بنبيذ التمر، وكان في صميم الصيف في المفازة، واجتمع عليه الذباب والبعوض، وكان وضوءه منكساً منعكساً، ثمّ استقبل القبلة وأحرم بالصلاة من غير نيّة في الوضوء، وكبّر بالفارسيّة، ثمّ قرأ آية بالفارسيّة «دو برگك سبز» ثمّ نقر نقرتين كنقرات الديك من غير فصل ومن غير ركوع وتشهّد، وضرط في آخره من غير نيّة السلام، وقال: أيّها السلطان هذه صلاة أبي حنيفة.

فقال السلطان: لو لم تكن هذه الصلاة صلاة أبي حنيفة لقتلتك.

فأنكرت الحنفية أن تكون هذه صلاة أبي حنيفة، فأمر القفال بإحضار كتب أبي حنيفة! وأمر السلطان نصرانياً كاتباً يقرأ المذهبين، فوجدت الصلاة على مذهب أبي حنيفة على ما حكاه القفّال، فأعرض السلطان عن مذهب أبي حنيفة.

وفي ج١٣ من تاريخ بغداد ص ٣٧٠ قال الحارث بن عمير: وسمعته يقول: لو أنّ شاهدين شهدا عند قاض أنّ فلان ابن فلان طلّق امرأته، وعلما جميعاً أنّهما شهدا بالزور، ففرّق القاضي بينهما، ثمّ لقيها أحد الشاهدين فله أن يتزوّج بها.

وفي ص٣٦٢ منه قال: قال مساور الورّاق:

كنّا من الدّين قبل اليوم في سعة	حتّى ابتُلينا بأصحاب المقاييس
قاموا من السوق إذ قلّت مكاسبهم	فاستعملوا الرأي عند الفقر والبؤس
أمّا العريب فأمسوا لاعطاء لهم	وفي الموالي علامات المفاليس

فلقيه أبو حنيفة فقال: هجوتنا، نحن نرضيك؛ فبعث إليه بدراهم، فقال:

إذا ما أهل مصر بادهونا	بداهية من الفتيا لطيفه
أتيناهم بمقياس صحيح	صليب من طراز أبي حنيفه
إذا سمع الفقيه به حواه	وأثبته بحبر في صحيفه

فأجابه بعضهم يقول:

إذا ذوالرأي خاصم عن قياس	وجاء ببدعة هنة سخيفه
أتيناه بقول الله فيها	وآيات محبّرة شريفه
فكم من فرج محصنة عفيف	أُحلّ حرامها بأبي حنيفه

وروى أيضاً أنّه اجتمع الثوري وشريك والحسن بن صالح وابن أبي ليلى فبعثوا إلى أبي حنيفة، فأتاهم، فقالوا له:
⬅

فقلت : جعلت فداك من أهل الكوفة ، له رأي وبصيرة ونفاذ .

قال عليه السلام : «فلعلّه الّذي يقيس الأشياء برأيه» ؟ ثمّ قال : «يا نعمان ! هل تحسن أن تقيس رأسك» ؟

قال : «لا» .

قال عليه السلام : «ما أراك تحسن أن تقيس شيئاً ، فهل عرفت الملوحة في العينين ، والمرارة في الأُذنين ، والبرودة في المنخرين ، والعذوبة في الفم» ؟

قال : لا .

قال عليه السلام : «فهل عرفت كلمة أوّلها كفر وآخرها إيمان» ؟

قال : لا .

قال ابن أبي ليلى : قلت : جعلت فداك لا تدعنا في عمياء ممّا وصفت .

قال عليه السلام : «نعم حدّثني أبي عن آبائه عليهم السلام أنّ رسول الله قال : إنّ الله خلق عيني ابن آدم شحمتين ، فجعل فيها الملوحة ، فلولا ذلك لذابتا ، ولم يقع فيهما شيء من القذى إلّا أذابه ، والملوحة تلفظ ما يقع في العين من القذى ، وجعل المرارة في الأُذنين حجاباً للدماغ ، وليس من دابّة تقع في الأُذن إلّا التمست الخروج ، ولولا ذلك لوصلت إلى الدماغ فأفسدته ، وجعل الله البرودة في المنخرين حجاباً للدماغ ، ولولا ذلك لسال الدماغ ، وجعل العذوبة في الفم منّاً من الله

⮌ ما تقول في رجل قتل أباه ، ونكح أُمّه ، وشرب الخمر في رأس أبيه ؟

فقال : مؤمن .

فقال له ابن أبي ليلى : لا قبلت لك شهادة أبداً .

وقال الثوري : لا كلّمتك أبداً .

وقال شريك : لو كان لي من الأمر شيء لضربت عنقك .

وقال له الحسن : وجهي من وجهك حرام أن أنظر إلى وجهك أبداً .

وروى أيضاً عن الإمام مالك قال : ما ولد في الإسلام مولود أضرّ على أهل الإسلام من أبي حنيفة .

وقال : كانت فتنة أبي حنيفة أضرّ على هذه الأُمّة من فتنة إبليس .

وأخرج عن الأوزاعي قال : عمد أبو حنيفة إلى عرى الإسلام فنقضه عروة عروة .

وعن عبدالرّحمن بن مهدي قال : ما علم في الإسلام فتنة بعد فتنة الدجّال أعظم من رأي أبي حنيفة .

وأخرج عن أبي صالح الفرّاء قال : سمعت يوسف بن أسباط يقول : ردّ أبو حنيفة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعمائة حديث أو أكثر ، وأنّه سُئِل عن مسألة فأجاب فيها ثمّ قيل له : يروى عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيها كذا وكذا ، قال : دعنا من هذا . وفي رواية : حكّ هذا بذنب خنزيرة .

تعالى على ابن آدم ليجد لذّة الطعام والشراب . وأمّا كلمة أوّلها كفر وآخرها إيمان فقول لا إله إلّا الله» .

ثمّ قال عليه‌السلام : «يا نعمان إيّاك والقياس ، فإنّ أبي حدّثني عن آبائه عليهم‌السلام أنّ رسول الله قال : من قاس شيئاً من الدّين برأيه قرنه الله تبارك وتعالى مع إبليس ، فإنّه أوّل من قاس حيث قال : خلقتني من نار وخلقته من طين ؛ فدعوا الرأي والقياس ، فإنّ دين الله لم يوضع على القياس» .

وفي رواية أُخرى أنّ الصّادق عليه‌السلام قال لأبي حنيفة لمّا دخل عليه : «من أنت» ؟

قال : أبو حنيفة .

قال عليه‌السلام : «مفتي أهل العراق» ؟

قال : نعم .

قال عليه‌السلام : «بما تفتيهم» ؟

قال : بكتاب الله .

قال عليه‌السلام : «وإنّك لعالم بكتاب الله ؛ ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه» ؟

قال : نعم .

قال عليه‌السلام : «فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ ﴾[1] أيّ موضع هو» ؟

قال أبو حنيفة : هو ما بين المكّة والمدينة .

فالتفت أبو عبدالله عليه‌السلام إلى جلسائه وقال : «نشدتكم بالله هل تسيرون بين مكّة والمدينة ولا تأمنون على دمائكم من القتل ، وعلى أموالكم من السرق» ؟

قالوا : اللّهمّ نعم .

فقال أبوعبدالله عليه‌السلام : «ويحك يا أباحنيفة ! إنّ الله لا يقول إلّا حقّاً ، أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً ﴾[2] أيّ موضع هو» ؟

قال : ذلك بيت الله الحرام .

فالتفت أبوعبدالله عليه‌السلام إلى جلسائه وقال : «نشدتكم بالله هل تعلمون أنّ عبدالله بن الزبير وسعيد ابن جبير دخلاه فلم يأمنا القتل» ؟

---

(١) سبأ ١٨.

(٢) آل عمران ٩٧.

قالوا : اللّهمّ نعم .

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «ويحك يا أباحنيفة ! إنّ الله لا يقول إلّا حقّاً» .

فقال أبو حنيفة : ليس لي علم بكتاب الله ، إنّما أنا صاحب قياس .

قال أبو عبدالله عليه السلام : «فانظر في قياسك إن كنت مقيساً أيّما أعظم عند الله ؛ القتل أو الزنا» ؟

قال : بل القتل .

قال عليه السلام : «فكيف رضى في القتل بشاهدين ، ولم يرض في الزنا إلّا بأربعة» ؟

ثمّ قال عليه السلام له : «الصلاة أفضل أم الصيام» ؟

قال : بل الصلاة أفضل .

قال عليه السلام : «فيجب على قياس قولك على الحايض قضاء ما فاتها من الصلاة في حال حيضها دون الصيام ، وقد أوجب الله تعالى عليها قضاء الصوم دون الصلاة» .

قال عليه السلام له : «البول أقذر أم المني» ؟

قال : البول أقذر .

قال عليه السلام : «يجب على قياسك أن يجب الغسل من البول دون المني ، وقد وجب الله تعالى الغسل من المني دون البول» .

قال : إنّما أنا صاحب رأي .

قال عليه السلام : «فهل ترى في رجل كان له عبد فتزوّج وزوّج عبده في ليلة واحدة ، فدخلا بامرأتيهما في ليلة واحدة ، ثمّ سافرا وجعلا امرأتيهما في بيت واحد وولدتا غلامَين ، فسقط البيت عليهم ، فقتل المرأتين وبقي الغلامان ، أيّهما في رأيك المالك وأيّهما المملوك ؟ وأيّهما الوارث وأيّهما الموروث» ؟

قال : إنّما أنا صاحب حدود .

قال عليه السلام : «فما ترى في رجل أعمى فقأ عين صحيح ، وأقطع قطع يد رجل ، كيف يقام عليهما الحد؟

قال : إنّما أنا رجل عالم بمباعث الأنبياء .

قال عليه السلام : «فأخبرني عن قول الله لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون : ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[1] ولعلّ منك شك» ؟

---

(١) طه ٤٤.

قال : نعم .

قال عليه السلام : «وكذلك من الله شك إذ قال : «لعلّه» ؟

قال أبو حنيفة : لا علم لي .

قال عليه السلام : «تزعم أنّك تفتي بكتاب الله ولست ممّن ورثه ، وتزعم أنّك صاحب قياس وأوّل من قاس إبليس لعنه الله ، ولم يبن دين الإسلام على القياس ، وتزعم أنّك صاحب رأي وكان الرأي من رسول الله صلى الله عليه وآله صواباً ، ومن دونه خطأ ، لأنّ الله تعالى قال : ﴿ فَاحْكُمْ بِمَا أَرَاكَ اللهُ ﴾[1] ولم يقل ذلك لغيره ، وتزعم أنّك صاحب حدود ، ومن أُنزلت عليه أولى بعلمها منك ، وتزعم أنّك عالم بمباعث الأنبياء ، ولخاتم الأنبياء أعلم بمباعثهم منك ، لولا أن يقال : دخل على ابن رسول الله فلم يسأله عن شيء ، ما سألتك عن شيء ، فقس إن كنت مقيساً» .

قال أبو حنيفة : لا أتكلّم بالرأي والقياس في دين الله بعد هذا المجلس .

قال عليه السلام : «كلّا إنّ حبّ الرياسة غير تاركك كما لم يترك من كان قبلك» تمام الخبر .

وعن عيسى بن عبدالله القرشي قال : دخل أبو حنيفة على أبي عبدالله عليه السلام فقال : «يا أباحنيفة قد بلغني أنّك تقيس» !

فقال : نعم .

فقال عليه السلام : «لا تقس فإنّ أوّل من قاس إبليس لعنه الله حين قال : خلقتني من نار وخلقته من طين ؛ فقاس بين النّار والطين ، ولو قاس نوريّة آدم بنوريّة النّار وعرف مابين النّورين ، وصفاء أحدهما على الآخر» .

وعن الحسن بن محبوب[2] عن سماعة قال : قال أبو حنيفة لأبي عبدالله عليه السلام : كم بين المشرق والمغرب؟

قال عليه السلام : «مسيرة يوم للشمس بل أقلّ من ذلك» .

قال : فاستعظمه .

قال عليه السلام : «يا عاجز لم تنكر هذا ؟ إنّ الشمس تطلع من المشرق ، وتغرب في المغرب في أقلّ

---

(١) المائدة ٥٧.

(٢) الحسن بن محبوب : قال العلّامة في القسم الأوّل من خلاصته : الحسن بن محبوب السراد ويقال الزراد ، يكنّى أباعلي ، مولى بجيلة ، كوفي ، ثقة ، عين ، روى عن الرّضا عليه السلام ، وكان جليل القدر ، يعدّ في الأركان الأربعة في عصره.

من يوم» تمام الخبر .

عن عبدالكريم بن عتبة الهاشمي(١) **قال** :كنت عند أبي عبدالله عليه السلام بمكّة إذ دخل عليه أُناس من المعتزلة ، فيهم عمرو بن عبيد ، وواصل بن عطاء ، وحفص بن سالم ، وأُناس من رؤسائهم ، وذلك حين قتل الوليد ، واختلف أهل الشام بينهم ، فتكلّموا فأكثروا وخطبوا فأطالوا .

فقال لهم أبو عبدالله جعفر بن محمّد عليه السلام : «إنّكم قد أكثرتم عَلَيّ فأطلتم ، فأسندوا أمركم إلى رجل منكم ، فليتكلّم بحجّتكم وليوجز» .

فأسندوا أمرهم إلى عمرو بن عبيد ، فأبلغ وأطال ، فكان فيما قال أن قال : قتل أهل الشام خليفتهم ، وضرب الله بعضهم ببعض ، وتشتّت أمرهم ، فنظرنا فوجدنا رجلاً له دين وعقل ومروّة ، ومعدن للخلافة وهو محمّد بن عبدالله بن الحسن ، فأردنا أن نجتمع معه فنبايعه ، ثمّ نظهر أمرنا معه ، وندعوا النّاس إليه ، فمن بايعه كنّا معه وكان منّا ، ومن اعتزلنا كففنا عنه ، ومن نصب لنا جاهدناه ونصبنا له على بغيه ونردّه إلى الحقّ وأهله ، وقد أحببنا أن نعرض ذلك عليك ، فإنّه لا غنىً بنا عن مثلك ، لفضلك ولكثرة شيعتك .

فلمّا فرغ قال أبو عبدالله عليه السلام : «أكُلّكم على مثل ما قال عمرو» ؟

قالوا : نعم .

فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على النّبيّ ثمّ قال عليه السلام : «إنّما نسخط إذا عصي الله ، فإذا أُطيع الله رضينا ، أخبرني يا عمرو لو أنّ الأُمّة قلّدتك أمرها فملكته بغير قتال ولا مؤنة ، فقيل لك : «ولّها مَن شئت» ، مَن كنت تولّي» ؟

قال :كنت أجعلها شورى بين المسلمين .

قال عليه السلام : «بين كلّهم» ؟

قال : نعم .

فقال عليه السلام : «بين فقهائهم وخيارهم» ؟

قال : نعم .

قال عليه السلام : «قريش وغيرهم» ؟

---

(١) عبدالكريم بن عتبة : قال العلّامة في القسم الأوّل من الخلاصة : ـ بضمّ العين المهملة والتاء المنقّطة فوقها نقطتين ، والباء المنقّطة تحتها نقطة ـ الهاشمي من أصحاب أبي الحسن الكاظم عليه السلام ، ثقة .

قال : العرب والعجم .

قال : نعم .

قال ﷺ : «فأخبرنيى يا عمرو أتتولّى أبابكر وعمر أو تتبرّأ منهما» ؟

قال : أتولّاهما .

قال ﷺ : «يا عمرو إن كنت رجلاً تتبرّأ منهما فإنّه يجوز لك الخلاف عليهما ، وإن كنت تتولّاهما فقد خالفتهما ، قد عهد عمر إلى أبي بكر فبايعه ولم يشاور أحداً ، ثمّ ردّها أبوبكر عليه ولم يشاور أحداً ، ثمّ جعلها عمر شورى بين ستّة ، فأخرج منها الأنصار غير أولئك الستّة من قريش ، ثمّ أوصى النّاس فيهم بشيء ما أراك ترضى أنت ولا أصحابك» .

قال : وما صنع ؟

قال ﷺ : «أمر صهيباً أن يصلّي بالنّاس ثلاثة أيّام ، وأن يتشاور أولئك الستّة ليس فيهم أحد سواهم إلّا ابن عمر ، ويشاورونه ، وليس له من الأمر شيء ، وأوصى من كان بحضرته من المهاجرين والأنصار إن مضت ثلاثة أيّام ولم يفرغوا ويبايعوه أن يضرب أعناق الستّة جميعاً ، وإن اجتمع أربعة قبل أن يمضي ثلاثة أيّام وخالف اثنان أن يضرب أعناق الإثنين ، أفترضون بذا فيما تجعلون من الشورى في المسلمين» ؟

قالوا : لا .

قال ﷺ : «يا عمرو ودع ذا ، أرأيت لوبايعت صاحبك هذا الّذي تدعو إليه ، ثمّ اجتمعت لكم الأُمّة ولم يختلف عليكم منها رجلان ، فأفضيتم إلى المشركين الّذين لم يسلموا ولم يؤدّوا الجزية ، كان عندكم وعند صاحبكم من العلم ما تسيرون فيهم بسيرة رسول الله ﷺ في المشركين في الجزية»؟

قالوا : نعم .

قال ﷺ : «فتصنعون ماذا» ؟

قالوا : ندعوهم إلى الإسلام ، فإن أبوا دعوناهم إلى الجزية .

قال ﷺ : «فإن كانوا مجوساً ، وأهل كتاب ، وعبدة النيران والبهائم وليسوا بأهل كتاب» ؟

قالوا : سواء .

قال ﷺ : «فأخبرني عن «القرآن» أتقرئونه» ؟

قال : نعم .

قال عليه السلام : «إقرأ ﴿ قَاتِلُوا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾[1]» قال : «فاستثنى الله عزّ وجلّ واشترط من الّذين أُوتوا الكتاب ، فهم والّذين لم يؤتوا الكتاب سواء» ؟

قال : نعم .

قال عليه السلام : «عمّن أخذت هذا» ؟

قال : سمعت النّاس يقولونه .

قال عليه السلام : «فدع ذا ، فإنّهم إن أبوا الجزية فقاتلتهم فظهرت عليهم كيف تصنع بالغنيمة» ؟

قال : أُخرج الخمس وأُقسّم أربعة أخماس بين من قاتل عليها .

قال عليه السلام : «تقسّمه بين جميع من قاتل عليها» ؟

قال : نعم .

قال عليه السلام : «فقد خالفت رسول الله في فعله وفي سيرته ، وبيني وبينك فقهاء أهل المدينة ومشيختهم ، فسلهم فإنّهم لا يختلفون ولا يتنازعون في أنّ رسول الله إنّما صالح الأعراب على أن يدعهم في ديارهم ، وأن لا يهاجروا ، على أنّه إن دهمه من عدوّه دهم فيستفزّهم فيقاتل بهم ، وليس لهم من الغنيمة نصيب ، وأنت تقول بين جميعهم ، فقد خالفت رسول الله صلّى الله عليه وآله في سيرته في المشركين ، دع ذا ، ما تقول في الصدقة» ؟

قال : فقرأ عليه هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱلْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ﴾[2] إلى آخرها .

قال عليه السلام : «نعم فكيف تقسّم بينهم» ؟

قال : أُقسمها على ثمانية أجزاء ، فأُعطي كلّ جزء من الثمانية جزءاً .

فقال عليه السلام : «إن كان صنف منهم عشرة آلاف وصنف رجلاً واحداً أو رجلين أو ثلاثة ، جعلت لهذا الواحد مثل ما جعلت للعشرة آلاف» ؟

قال : نعم .

قال عليه السلام : «وما تصنع بين صدقات أهل الحضر وأهل البوادي فتجعلهم فيها سواء» ؟

قال : نعم .

---

(١) التوبة ٢٩.

(٢) التوبة ٦٠.

قال عليه السلام : «فخالفت رسول الله في كلّ ما أتى به ، كان رسول الله يقسّم صدقة البوادي في أهل البوادي ، وصدقة الحضر في أهل الحضر ، ولا يقسّم بينهم بالسويّة ، إنّما يقسّمه قدر ما يحضر منهم ، وعلى قدر ما يحضره ، فإن كان في نفسك شيء ممّا قلت لك فإنّ فقهاء أهل المدينة ومشيختهم كلّهم لا يختلفون في أنّ رسول الله كذا كان يصنع» .

ثمّ أقبل عليه السلام على عمرو وقال : «إتّق الله يا عمرو وأنتم يا أيّها الرّهط فاتّقوا الله ، فإنّ أبي حدّثني ، وكان خير أهل الأرض وأعلمهم بكتاب الله وسنّة رسوله ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : «من ضرب النّاس بسيفه ودعاهم إلى نفسه ، وفي المسلمين من هو أعلم منه ، فهو ضالٌّ متكلّف» .

وروي عن يونس بن يعقوب[1] قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فورد عليه رجل من أهل الشام فقال : إنّي رجل صاحب كلام وفقه وفرائض ، وقد جئت لمناظرة أصحابك .

فقال له أبوعبدالله عليه السلام : «كلامك هذا من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله أو من عندك» ؟

فقال : من كلام رسول الله بعضه ، ومن عندي بعضه .

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «فأنت إذاً شريك رسول الله صلى الله عليه وآله» !

قال : لا .

قال عليه السلام : «فسمعت الوحي من الله تعالى» ؟

قال : لا .

قال عليه السلام : «فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله» ؟

قال : لا .

قال : فالتفت إليّ أبو عبدالله عليه السلام فقال : «يا يونس هذا خصم نفسه قبل أن يتكلّم» . ثمّ قال : يا

---

(١) قال العلّامة في القسم الأوّل من خلاصته ص ١٨٥ : يونس بن يعقوب بن قيس ، أبو علي الجلاب البجلي الدهني ، اختلف علماءنا منه .

فقال الشيخ الطوسي رحمه الله : إنّه ثقة مولى شهد له وعدّ له في عدّة مواضع .

وقال النجاشي : إنّه اختصّ بأبي عبدالله عليه السلام وأبي الحسن عليه السلام ، وكان يتوكّل لأبي الحسن عليه السلام ، ومات في المدينة قريباً من الرّضا عليه السلام ، فتولّى أمره وكان حظيّاً عندهم موثّقاً ، وكان قد قال بعبدالله ثمّ رجع .

وقال أبو جعفر ابن بابويه : إنّه فطحي هو وأخوه يوسف .

قال الكشي : حدّثني حمدويه عن بعض أصحابنا أنّ يونس بن يعقوب فطحي كوفي مات بالمدينة وكفّنه الرّضا عليه السلام .

وروى الكشي أحاديث حسنة تدلّ على صحّة عقيدة هذا الرّجل والّذي اعتمد عليه قبول روايته .

يونس لو كنت تحسن الكلام كلّمته» .

قال يونس : فيالها من حسرة . فقلت : جعلت فداك سمعتك تنهى عن الكلام ، وتقول : «ويل لأصحاب الكلام ؛ يقولون : هذا ينقاد وهذا لا ينقاد ، وهذا ينساق ، وهذا لا ينساق ، وهذا نعقله ، وهذا لا نعقله» !

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «إنّما قلت : ويل لقوم تركوا قولي بالكلام ، وذهبوا إلى ما يريدون» . ثمّ قال : «أُخرج إلى الباب فمن ترى من المتكلّمين فأدخله» .

قال : فخرجت فوجدت حمران بن أعين ؛ وكان يحسن الكلام ، ومحمّد بن نعمان الأحول ؛ وكان متكلّماً ، وهشام بن سالم ، وقيس الماصر ؛ وكانا متكلِّمَين ، وكان قيس عندي أحسنهم كلاماً ، وكان قد تعلّم الكلام من عليّ بن الحسين عليهما السلام ، فأدخلتهم ، فلمّا استقرّ بنا المجلس وكنّا في خيمة لأبي عبدالله عليه السلام ، في طرف جبل في طريق الحرم ، وذلك قبل الحجّ بأيّام ، فأخرج أبو عبدالله رأسه من الخيمة فإذا هو ببعير يخب[1] ، قال عليه السلام : «هشام وربّ الكعبة» .

قال : وكنّا ظننّا أنّ هشاماً رجل من ولد عقيل ، وكان شديد المحبّة لأبي عبدالله عليه السلام ، فإذا هشام ابن الحكم ، وهو أوّل ما اختطّت لحيته ، وليس فينا إلّا من هو أكبر منه سنّاً ، فوسّع له أبو عبدالله عليه السلام وقال : «ناصرنا بقلبه ولسانه ويده» ، ثمّ قال لحمران : «كلّم الرّجل» يعني الشامي .

فكلّمه حمران وظهر عليه ثمّ قال عليه السلام : «يا طاقي كلّمه» ! فكلّمه فظهر عليه محمّد بن نعمان ، ثمّ قال لهشام بن سالم : «كلّمه» ! فتعارفا ، ثمّ قال لقيس بن الماصر : «كلّمه» ! وأقبل أبو عبدالله عليه السلام يتبسّم من كلامهما وقد استخذل الشامي في يده ، ثمّ قال للشامي : «كلّم هذا الغلام» ! يعني هشام بن الحكم .

فقال : نعم .

ثمّ قال الشامي لهشام : يا غلام سلني في إمامة هذا ؛ يعني أباعبدالله عليه السلام .

فغضب هشام حتّى ارتعد ، ثمّ قال له : أخبرني يا هذا أربّك أنظر لخلقه أم خلقه لأنفسهم ؟

فقال الشامي : بل ربّي أنظر لخلقه !

قال : ففعل بنظره لهم في دينهم ماذا ؟

---

(١) في يخبب . وقال الفيومي : خبَّ في الأمر خبباً ـ من باب طلب ـ : أسرع الأخذ فيه ومنه الخبب لضرب من العدو ، وهو خطو فسيح دون العنق .

قال : كلّفهم ، وأقام لهم حجّة ودليلاً على ما كلّفهم به ، وأزاح في ذلك عللهم .

فقال له هشام : فما هذا الدّليل الّذي نصبه لهم ؟

قال الشامي : هو رسول الله ﷺ .

قال هشام : فبعد رسول الله ﷺ مَن ؟

قال : الكتاب والسنّة .

فقال هشام : فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنّة فيما اختلفنا فيه ، حتّى رفع عنّا الإختلاف ، ومكّننا من الإتّفاق ؟

فقال الشامي : نعم .

قال هشام : فلم اختلفنا نحن وأنت ؟ جئتنا من الشام تخالفنا ، وتزعم أنّ الرأي طريق الدين ، وأنت مقرّ بأنّ الرأي لا يجمع على القول الواحد المختلفين ؟

فسكت الشامي كالمفكّر .

فقال أبوعبدالله عليه السلام : «مالك لا تتكلّم» ؟

قال : إن قلت أنا : ما اختلفنا ؛ كابرت ، وإن قلت : إنّ الكتاب والسنّة يرفعان عنّا الإختلاف ، أبطلت ، لأنّهما يحتملان الوجوه ، ولكن لي عليه مثل ذلك .

فقال أبوعبدالله عليه السلام : «سله تجده مليّاً» !

فقال الشامي لهشام : من أنظر للخلق ؛ ربّهم أم أنفسهم ؟

فقال : بل ربّهم أنظر لهم .

فقال الشامي : فهل أقام لهم من يجمع كلمتهم ، ويرفع اختلافهم ، ويبيّن لهم حقّهم من باطلهم؟

فقال هشام : نعم .

قال الشامي : من هو ؟

قال هشام : أمّا في ابتداء الشريعة فرسول الله ﷺ ، وأمّا بعد النّبيّ فعترته .

قال الشامي : من هو عترة النّبيّ القائم مقامه في حجّته ؟

قال هشام : في وقتنا هذا أم قبله ؟

قال الشامي : بل في وقتنا هذا .

قال هشام : هذا الجالس ؛ يعني أباعبدالله عليه السلام ؛ الذي تشدّ إليه الرّحال ويخبرنا بأخبار السّماء وراثة أبيه عن جدّه .

قال الشامي : وكيف لي بعلم ذلك ؟

فقال هشام : سله عمّا بدا لك .

قال الشامي : قطعت عذري ، فعليّ السؤال .

فقال أبوعبدالله عليه السلام : «أنا أكفيك المسألة يا شامي ، أُخبرك عن مسيرك وسفرك ، خرجت يوم كذا ، وكان طريقك كذا ، ومررت على كذا ، ومرّ بك كذا» .

فأقبل الشامي كلّما وصف له شيئاً من أمره يقول : صدقت والله .

فقال الشامي : أسلمت لله الساعة !

فقال له أبوعبدالله عليه السلام : «بل آمنت بالله الساعة ، إنّ الإسلام قبل الإيمان وعليه يتوارثون ، ويتناكحون ، والإيمان عليه يثابون» .

قال : صدقت ، فأنا الساعة أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله وأنّك وصيّ الأنبياء .

قال : فأقبل أبوعبدالله عليه السلام على حمران فقال : «يا حمران تجري الكلام على الأثر فتصيب» .

فالتفت إلى هشام بن سالم فقال : «تريد الأثر ولا تعرف» !

ثمّ التفت إلى الأحول فقال : «قيّاس روّاغ[1] ، تكسر باطلاً بباطل ، إلّا أنّ باطلك أظهر» .

ثمّ التفت إلى قيس الماصر فقال : «تكلّم وأقرب ما يكون من الخبر عن الرّسول صلى الله عليه وآله أبعد ما تكون منه ، تمزج الحق بالباطل ، وقليل الحق يكفي من كثير الباطل ، أنت والأحول قفازان[2] حاذقان» .

وعن يونس بن يعقوب قال : كان عند أبي عبدالله عليه السلام جماعة من أصحابه فيه حمران بن أعين ، ومؤمن الطاق ، وهشام بن سالم ، والطيّار ، وجماعة من أصحابه ، فيهم هشام بن الحكم ـ وهو شاب ـ فقال أبو عبدالله عليه السلام : «يا هشام» !

قال : لبّيك يابن رسول الله !

قال عليه السلام : «ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته» ؟

قال هشام : جعلت فداك يابن رسول الله ، إنّي أجلّك وأستحييك ، ولا يعمل لساني بين يديك .

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «إذا أمرتكم بشيء فافعلوه» !

قال هشام : بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد ، وجلوسه في مسجد البصرة ، وعظم ذلك عَلَيّ ،

---

(١) راغ الرّجل والثعلب روغاً وروغاناً : مال وحاد عن الشيء ، والمراوغة : المصارعة .

(٢) قَفَزَ قفزاً من باب ضَرَب ، وقفوزاً وقفزاناً وقفازاً ـ بالكسر ـ : وثب .

فخرجت إليه ، ودخلت البصرة يوم الجمعة ، وأتيت مسجد البصرة ، فإذا أنا بحلقة كبيرة ، وإذا بعمرو بن عبيد عليه شملة سوداء مؤتزر بها من صوف ، وشملة مرتدٍ بها ، والنّاس يسألونه ، فاستفرجت النّاس فأفرجوا لي ، ثمّ قعدت في آخر القوم على ركبتَي ، ثمّ قلت : أيّها العالم أنا رجل غريب ، أتأذن لي فأسألك عن مسألة ؟

قال : سل !

قلت له : ألك عين ؟

قال : يا بني أيّ شيء هذا من السؤال ، إذاً كيف تسأل عنه ؟

فقلت : هذا مسألتي .

فقال : يا بني ! سل وإن كانت مسألتك ، حمقاء .

قلت : أجبني فيها .

قال : فقال لي : سل !

فقلت : ألك عين ؟

قال : نعم .

قال : قلت : فما تصنع بها ؟

قال : أرى بها الألوان والأشخاص .

قال : قلت : ألك أنف ؟

قال : نعم .

قال قلت : فما تصنع به ؟

قال : أشمّ به الرائحة .

قال : قلت : ألك لسان ؟

قال : نعم .

قال : قلت : فما تصنع به ؟

قال : أتكلّم به .

قال : قلت : ألك أُذن ؟

قال : نعم .

قلت : فما تصنع بها ؟

قال : أسمع بها الأصوات .

قال : قلت : ألك يدان ؟

قال : نعم .

قلت : فما تصنع بهما ؟

قال : أبطش بهما ، وأعرف بهما اللين من الخشن .

قال : قلت : ألك رجلان ؟

قال : نعم .

قال : قلت : فما تصنع بهما ؟

قال : أنتقل بهما من مكان إلى مكان .

قال : قلت : ألك فم ؟

قال : نعم .

قال : قلت : فما تصنع به ؟

قال : أعرف به المطاعم والمشارب على اختلافها .

قال : قلت : ألك قلب ؟

قال : نعم .

قال : قلت : فما تصنع به ؟

قال : اُميّز به كلّما ورد على هذه الجوارح .

قال : قلت : أفليس في هذه الجوارح غنى عن القلب ؟

قال : لا .

قلت : وكيف ذاك وهي صحيحة سليمة ؟

قال : يا بني إنّ الجوارح إذا شكّت في شيء شمّته أو رأته أو ذاقته ، ردّته إلى القلب ؛ فتيقّن بها اليقين ، وأبطل الشك .

قال : فقلت : فإنّما أقام الله عزّ وجلّ القلب لشكّ الجوارح ؟

قال : نعم .

قلت : لابدّ من القلب وإلّا لم يستيقن الجوارح ؟

قال : نعم .

قلت : يا أبامروان ! إنّ الله تبارك وتعالى لم يترك جوارحكم حتّى جعل لها إماماً ، يصحّح لها الصحيح ، وينفي ما شكّت فيه ، ويترك هذا الخلق كلّه في حيرتهم ، وشكّهم ، واختلافهم ، لا يقيم لهم إماماً يردّون إليه شكّهم ، وحيرتهم ، ويقيم لك إماماً لجوارحك ، تردّ إليه حيرتك وشكّك ؟

قال : فسكت ولم يقل لي شيئاً .

قال : ثمّ التفت إليّ فقال لي : أنت هشام ؟

قال : قلت : لا .

فقال لي : أجالسته ؟

فقلت : لا .

قال : فمن أين أنت ؟

قلت : من أهل الكوفة .

قال : فأنت إذاً هو ، ثمّ ضمّني إليه ، وأقعدني في مجلسه ، وما نطق حتّى قمت .

فضحك أبو عبدالله عليه السلام ثمّ قال : «يا هشام من علّمك هذا» ؟

قلت : يابن رسول الله جرى على لساني .

قال عليه السلام : «يا هشام هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى» .

وبالإسناد المقدّم ذكره عن الصّادق عليه السلام أنّه قال : ﴿ إهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيم ﴾[1] يقول : أرشدنا للزوم الطريق المؤدّي إلى محبّتك والمبلّغ إلى جنّتك من أن نتّبع أهواءنا فنعطب ، ونأخذ بآرائنا فنهلك ، فإنّ من اتّبع هواءه وأعجب برأيه كان كرجل سمعت غثاء النّاس تعظّمه وتصفه ، فأحببت لقاءه من حيث لا يعرفني لأنظر مقداره ومحلّه ، فرأيته في موضع قد أحدق به جماعة من غثاء العامّة فوقفت منتبذاً عنهم ، متغشّياً بلثام أنظر إليه وإليهم ، فما زال يراوغهم حتّى خالف طريقهم ، وفارقهم ، ولم يقرّ ، فتفرّقت جماعة العامّة عنه لحوائجهم ، وتبعته أقتفي أثره ، فلم يلبث أن مرّ بخبّاز فتغفّله فأخذ من دكّانه رغيفين مسارقة ، فتعجّبت منه ، ثمّ قلت في نفسي : لعلّه معامله ، ثمّ مرّ بعده بصاحب رمّان ، فما زال به حتّى تغفّله فأخذ من عنده رمّانتين مسارقة ، فتعجّبت منه ، ثمّ قلت

---

(١) الفاتحة ٦.

في نفسي : لعلّه معامله ، ثمّ أقول : وما حاجته إذاً إلى المسارقة ؟ ثمّ لم أزل أتبعه حتّى مرّ بمريض ، فوضع الرغيفين والرمّانتين بين يديه ، ومضى وتبعته ، حتّى استقرّ في بقعة من صحراء ، فقلت له : يا أباعبدالله لقد سمعت بك وأحببت لقاءك ، فلقيتك لكنّي رأيت منك ما شغل قلبي ، وإنّي سائلك عنه ليزول به شغل قلبي .

قال : ما هو ؟

قلت : رأيتك مررت بخبّاز وسرقت منه رغيفين ، ثمّ بصاحب الرمّان فسرقت منه رمّانتين .

فقال لي : قبل كلّ شيء حدّثني من أنت ؟

قلت : رجل من ولد آدم من اُمّة محمّد صلى الله عليه وآله .

قال : حدّثني ممّن أنت ؟

قلت : رجل من أهل بيت رسول الله .

قال : أين بلدك ؟

قلت : المدينة .

قال : لعلّك جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام ؟

قلت : بلى .

قال لي : فما ينفعك شرف أصلك مع جهلك بما شرّفت به ، وتركك علم جدّك وأبيك ، لأنّه لا ينكر ما يجب أن يحمد ويمدح فاعله .

قلت : وما هو ؟

قال : «القرآن» كتاب الله .

قلت : وما الّذي جهلت ؟

قال : قول الله عزّ وجلّ : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾[1] وإنّي لمّا سرقت الرغيفين ، كانت سيّئتين ، ولمّا سرقت الرمّانتين ، كانت سيّئتين ، فهذه أربع سيّئات ، فلمّا تصدّقت بكلّ واحد منها كانت أربعين حسنة ، اُنقص من أربعين حسنة أربع سيّئات ، بقي ست وثلاثون !!

قلت : «ثكلتك اُمّك ! أنت الجاهل بكتاب الله ! أما سمعت قول الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ

(١) الأنعام ١٦٠.

﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1] ؛ إنّك لمّا سرقت رغيفتين ،كانت سيّئتين ، ولمّا سرقت الرمّانتين كانت سيّئتين ، ولمّا دفعتها إلى غيرها من غير رضا صاحبها ،كنت إنّما أضفت أربع سيّئات إلى أربع سيّئات ، ولم تضف أربعين حسنة إلى أربع حسنة» .

فجعل يلاحيني فانصرفت وتركته» .

وبالإسناد الّذي تقدّم: عن أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام أنّه قال : «قال بعض المخالفين بحضرة الصّادق عليه السلام لرجل من الشيعة : ما تقول في العشرة من الصحابة ؟

قال : أقول فيهم القول الجميل الّذي يحطّ الله به سيّئاتي ، ويرفع به درجاتي .

قال السائل : الحمد لله على ما أنقذني من بغضك ،كنت أظنّك رافضيّاً تبغض الصحابة .

فقال الرّجل : ألا من أبغض واحداً من الصحابة فعليه لعنة الله .

قال : لعلّك تتأوّل ما تقول ، فمن أبغض العشرة من الصحابة ؟

فقال : من أبغض العشرة من الصحابة فعليه لعنة الله ، والملائكة ، والنّاس أجمعين .

فوثب فقبّل رأسه .

فقال : إجعلني في حلّ ممّا قذفتك به من الرفض قبل اليوم .

قال : أنت في حلّ وأنت أخي .

ثمّ نصرف السائل .

فقال له الصادق عليه السلام : جوّدت لله درّك ! لقد عجبت الملائكة من حسن توريتك ، وتلفّظك بما خلّصك ، ولم تثلم دينك ، زاد الله في قلوب مخالفينا غمّاً إلى غمّ ، وحجب عنهم مراد منتحلي مودّتنا في تقيّتهم .

فقال أصحاب الصادق عليه السلام : يابن رسول الله ما عقلنا من كلام هذا إلّا موافقته لهذا المتعنّت النّاصب .

فقال الصّادق عليه السلام : لئن كنتم لم تفهموا ما عنى ، فقد فهمناه نحن ، فقد شكّره الله له ، إنّ وليّنا الموالي لأوليائنا ، المعادي لأعدائنا ، إذا ابتلاه الله بمن يمتحنه من مخالفيه ، وفّقه لجواب يسلم معه دينه وعرضه ، ويعظم الله بالتقيّة ثوابه ، إنّ صاحبكم هذا قال : من عاب واحداً منهم فعليه لعنة الله أي : من عاب واحداً منهم هو : أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وقال في الثانية : من عابهم وشتمهم فعليه لعنة الله ، وقد صدق لأنّ من عابهم فقد عاب عليّاً عليه السلام لأنّه أحدهم ، فإذا لم يعب عليّاً

---

(١) المائدة ٢٧.

ولم يذمّه فلم يعبهم جميعاً ، وإنّما عاب بعضهم ، ولقد كان لحزقيل المؤمن مع قوم فرعون الّذين وشوا به إلى فرعون مثل هذه التورية ؛كان حزقيل يدعوهم إلى توحيد الله ، ونبوّة موسى ، وتفضيل محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله على جميع رسل الله وخلقه ، وتفضيل عليّ بن أبي طالب عليه السلام والخيار من الأئمّة على سائر أوصياء النبيّين ، وإلى البراءة من فرعون ، فوشى به الواشون إلى فرعون ، وقالوا : إنّ حزقيل يدعو إلى مخالفتك ، ويعين أعداءك على مضادّتك .

فقال لهم فرعون : ابن عمّي ، وخليفتي في ملكي ، ووليّ عهدي ، إن كان قد فعل ما قلتم فقد استحقّ العذاب على كفره نعمتي ، وإن كنتم عليه كاذبين فقد استحققتم أشدّ العذاب لإيثاركم الدخول في مساءته ؛ فجاء بحزقيل وجاء بهم ، فكاشفوه وقالوا : أنت تجحد ربوبيّة فرعون الملك ، وتكفر نعماءه .

فقال حزقيل : أيّها الملك هل جرّبت عَلَيّ كذباً قط ؟

قال : لا .

قال : فسلهم مَن ربّهم ؟

قالوا : فرعون .

قال : ومن خلقكم ؟

قالوا : فرعون هذا .

قال : ومن رازقكم الكافل لمعايشكم ، والدافع عنكم مكارهكم ؟

قالوا : فرعون هذا .

قال حزقيل : أيّها الملك فأُشهدك وكلّ من حضرك أنّ ربّهم هو ربّي ، وخالقهم هو خالقي ، ورازقهم هو رازقي ، ومصلح معايشهم هومصلح معايشي ، لا ربّ ولا خالق ولا رازق غير ربّهم وخالقهم ورازقهم ، فأنا بريء منه ، ومن ربوبيّته ، وكافر بالهيّته .

يقول حزقيل هذا وهو يعني : أنّ ربّهم هو الله ربّي ، ولم يقل إنّ الّذي قالوا هم أنّه ربّهم هو ربّي ، وخفي هذا المعنى على فرعون ومن حضره ، وتوهّموا أنّه يقول : فرعون ربّي وخالقي ورازقي .

فقال لهم : يا رجال السوء ويا طلّاب الفساد في ملكي ، ومريدي الفتنة بيني وبين ابن عمّي ، وهو عضدي ، أنتم المستحقّون لعذابي ، لإرادتكم فساد أمري ، وهلاك ابن عمّي ، والفتّ في

عضدي ، ثمّ أمر بالأوتاد ، فجعل في ساق كلّ واحد منهم وتد ، وفي صدره وتد ، وأمر أصحاب أمشاط الحديد فشقّوا بها لحومهم من أبدانهم ، فذلك ما قال الله تعالى : ﴿ فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ﴾[1] لمّا وشوا به إلى فرعون ليهلكوه ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءِ العَذَابِ ﴾[2] ، وهم الّذين وشوا بحزقيل إليه لمّا أوتد فيهم الأوتاد ، ومشط عن أبدانهم لحومهم بالأمشاط» .

ومثل هذه التورية قدكانت لأبي عبدالله عليه السلام في مواضع كثيرة :

فمن ذلك ما رواه معاوية بن وهب[3] عن سعيد بن سمان[4] قال :كنت عند أبي عبدالله إذ دخل رجلان من الزيديّة[5] ، فقالا له : أفيكم إمام مفترض طاعته ؟

قال : فقال عليه السلام : «لا» .

فقالا له : قد أخبرنا عنك الثقاة أنّك تقول به ، وسمّوا أقواماً وقالوا : هم أصحاب ورع وتشمير ، وهم ممّن لا يكذب .

فغضب أبوعبدالله عليه السلام وقال : «ما أمرتهم بهذا» .

فلمّا رأيا الغضب في وجهه خرجا .

فقال عليه السلام لي : «أتعرف هذين» ؟

قلت : هما من أهل سوقنا ، وهما من الزيديّة ، وهما يزعمان أنّ سيف رسول الله صلى الله عليه وآله عند عبدالله بن الحسن .

فقال عليه السلام : «كذبا لعنهما الله ، وهو ما رآه عبدالله بن الحسن بعينيه ، ولا بواحدة من عينيه ، ولا

---

(١) غافر ٤٥.

(٢) غافر ٤٥.

(٣) عدّه الشيخ في أصحاب الصادق عليه السلام ص ٣٨٠ من رجاله ، وذكره العلّامة في القسم الأوّل من خلاصته فقال : «معاوية بن وهب البجلي ، أبوالحسن ، عربي ، صميم ، ثقة ، صحيح ، حسن الطريق ، روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام» .

(٤) سعيد بن عبدالرحمن وقيل : ابن عبدالله الأعرج السمان ، أبو عبدالله التمي مولاهم كوفي ، ثقة ، روى عن أبي عبدالله عليه السلام ، ذكره ابن عقدة وابن نوح ، له كتاب يرويه عن جماعة ... [رجال النجاشي ١٣٧]

(٥) الزَّيْدِيَّة : أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها ، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم ؛ إلّا أنّهم جوزوا أن يكون كل فاطمي : عالم ، زاهد ، شجاع ، سخي ، خرج بالإمامة أن يكون ـ إماماً واجب الطاعة ؛ سواء كان من أولاد الحسن ، أو من أولاد الحسين رضي الله عنهما . [الملل والنحل ١٣٨/١]

رآه أبوه ، اللّهمّ إلّا أن يكون رآه عند عليّ بن الحسين عليه السلام ، فإن كانا صادقَين فما علامة في مقبضه ؟ وما أثر في موضع مضربه ؟ وإنّ عندي لسيف رسول الله ، وإنّ عندي لراية رسول الله صلى الله عليه وآله ، ودرعه ، ولامته ، ومغفره ، فإن كانا صادقَين فما علامة في درع رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ وإنّ عندي لراية رسول الله صلى الله عليه وآله المغلبة ، وإنّ عندي ألواح موسى وعصاه ، وإنّ عندي لخاتم سليمان ابن داود ، وإنّ عندي الطست الّذي كان موسى يقرّب بها القربان ، وإنّ عندي الإسم الّذي كان رسول الله إذا وضعه بين المسلمين والمشركين ، لم يصل من المشركين إلى المسلمين نشابة ، وإنّ عندي لمثل التابوت الّذي جاءت به الملائكة ، ومثل السلاح فينا كمثل التابوت في بني إسرائيل ، كانت بنو إسرائيل في أيّ أهل بيت وجد التابوت على أبوابهم أُوتوا النبوّة ، ومن صار إليه السلاح منّا أُوتي الإمامة ، ولقد لبس أبي درع رسول الله صلى الله عليه وآله فخطّت على الأرض خططاً ، ولبستها أنا وكانت تخطّ على الأرض - يعني : طويلة - مثل ما كانت على أبي ، وقائمنا من إذا لبسها ملأها إنشاء الله تعالى» .

وكان الصّادق عليه السلام يقول : «علمنا غابر ومزبور ، ونكت في القلوب ، ونقر في الأسماع ، وإنّ عندنا الجفر الأحمر ، والجفر الأبيض ، ومصحف فاطمة عليها السلام ، وعندنا الجامعة ؛ فيها جميع ما يحتاج إليه النّاس» .

فسُئِل عن تفسير هذا الكلام ؟

فقال عليه السلام : «أمّا الغابر ؛ فالعلم بما يكون ،

وأمّا المزبور ؛ فالعلم بما كان ،

وأمّا النكت في القلوب ؛ فهو الإلهام ،

والنقر في الإسماع ؛ فحديث الملائكة ، نسمع كلامهم ولا نرى أشخاصهم ،

وأمّا الجفر الأحمر ؛ فوعاء فيه سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولن يخرج حتّى يقوم قائمنا أهل البيت ،

وأمّا الجفر الأبيض ؛ فوعاء فيه «توراة» موسى ، و«إنجيل» عيسى ، و«زبور» داود ، وكتب الله ،

وأمّا مصحف فاطمة ؛ ففيه ما يكون من حادث ، وأسماء من يملك إلى أن تقوم السّاعة ،

وأمّا الجامعة ؛ فهو كتاب طوله سبعون ذراعاً ؛ إملاء رسول الله من فلق فيه وخطّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام بيده ، فيه والله جميع ما يحتاج النّاس إليه إلى يوم القيامة ، حتّى أنّ فيه أرش الخدش ، والجلدة ، ونصف الجلدة» .

ولقد كان زيد بن عليّ بن الحسين[1] يطمع أن يوصي إليه أخوه الباقر عليه السلام ، ويقيمه مقامه في الخلافة بعده ، مثل ماكان يطمع في ذلك محمّد بن الحنفيّة بعد وفاة أخيه الحسين صلوات الله عليه ، حتّى رأى من ابن أخيه زين العابدين عليه السلام من المعجزة الدالّة على إمامته ما رأى ـ وقد تقدّم ذكره في هذا الكتاب ـ فكذلك زيد رجا أن يكون القائم مقام أخيه الباقر صلوات الله عليه ، حتّى سمع ما

---

(١) قال السيّد عبدالرزّاق المقرّم في كتابه «زيد الشهيد» ص٤٣: قال المحدّث النوري في رجال مستدرك الوسائل: «إنّ زيد بن علي جليل القدر ، عظيم الشأن ، كبير المنزلة ، وأمّا ما ورد ممّا يوهم خلاف ذلك مطروح أو محمول على التقيّة».

وقال الشيخ المفيد في الإرشاد ص٥١: كان زيد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام عين إخوته بعد أبي جعفر عليه السلام وأفضلهم ، وكان عابداً ورعاً فقيهاً ، سخيّاً ، شجاعاً ، وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويأخذ بثأر الحسين عليه السلام .

وفي عيون أخبار الرّضا عليه السلام ج١ ص٢٤٨: بسنده عن محمّد بن يزيد النحوي عن ابن أبي عبدون عن أبيه قال: لمّا حمل زيد بن موسى بن جعفر إلى المأمون ـ وكان قد خرج بالبصرة وأحرق دور بني العبّاس ـ وهب المأمون جرمه لأخيه عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام وقال: يا أباالحسن لئن خرج أخوك وفعل ما فعل ، لقد خرج من قبله زيد ابن عليّ فقتل ، ولولا مكانك لقتلته ، فليس ما أتاه بصغير .

فقال الرّضا عليه السلام : «لا تقس أخي زيداً إلى زيد بن علي فإنّه كان من علماء آل محمّد صلى الله عليه وآله ، غضب لله عزّ وجلّ فجاهد أعداءه حتّى قتل في سبيله ، ولقد حدّثني أبي موسى بن جعفر أنّه سمع أباه جعفر بن محمّد يقول: رحم الله عمّي زيداً ؛ إنّه دعا إلى الرضا من آل محمّد ، ولو ظفر لوفى بما دعا إليه ، ولقد استشارني في خروجه فقلت له: يا عمّي رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة ، فشأنك ، فلمّا ولّى ، قال جعفر بن محمّد: ويل لمن سمع داعيته فلم يجبه».

فقال المأمون: يا أباالحسن أليس قد جاء فيمن ادّعى الإمامة بغير حقّها ما جاء ؟

فقال الرّضا عليه السلام : «إنّ زيد بن علي لم يدّع ما ليس له بحقّ ، وإنّه كان أتقى لله من ذاك ، إنّه قال: أدعوكم إلى الرّضا من آل محمّد ، وإنّما جاء فيمن يدّعي أنّ الله نصّ عليه ثمّ يدعو إلى غير دين الله ويضلّ عن سبيله بغير علم ، وكان زيد ابن علي والله ممّن خوطب بهذه الآية: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾».

وروى الكليني في روضة الكافي ص٢٦٤ مسنداً عن الصادق عليه السلام أن قال: «لا تقولوا: خرج زيد ، فإنّ زيداً كان عالماً ، وكان صدوقاً ، ولم يدعكم إلى نفسه ، إنّما دعا إلى الرضا من آل محمّد صلى الله عليه وآله ولو ظفر لوفى بما دعاكم إليه ، إنّما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه».

وفي إرشاد المفيد رحمه الله ص٢٥٢ قال: ولمّا قتل بلغ ذلك من أبي عبدالله الصّادق عليه السلام كلّ مبلغ ، وحزن له حزناً عظيماً حتّى بان عليه وفرّق من ماله في عيال من أُصيب معه من أصحابه ألف دينار . وروى ذلك أبو خالد الواسطي قال: سلّم إليّ أبوعبدالله عليه السلام ألف دينار وأمرني أن أقسّمها في عيال من أُصيب مع زيد ، فأصاب عيال عبدالله بن الزبير أخي فضيل الرسان منها أربعة دنانير .

وكان مقتله يوم الإثنين لليلتين خلتا من صفر سنة عشرين ومائة ، وكانت سنّه يومئذ اثنين وأربعين سنة .

سمع من أخيه ، ورأى ما رأى من ابن أخيه ؛ أبي عبدالله الصّادق .

فمن ذلك ما رواه صدقة بن أبي موسى عن أبي بصير قال : لمّا حضر أباجعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام الوفاة ، دعا بابنه الصّادق عليه السلام ليعهد إليه عهداً ، فقال له أخوه زيد بن علي : لمّا امتثلت في مثال الحسن والحسين عليهما السلام رجوت أن لا تكون أتيت منكراً .

فقال له الباقر عليه السلام : «يا أباالحسن إنّ الأمانات ليست بالمثال ، ولا العهود بالرسوم ، إنّما هي أُمور سابقة عن حجج الله تبارك وتعالى» .

ثمّ دعا بجابر بن عبدالله الأنصاري فقال : «يا جابر حدّثنا بما عاينت من الصحيفة» .

فقال له : نعم يا أباجعفر ، دخلت على مولاتي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لأُهنّيها بولادة الحسن عليه السلام ، فإذا بيدها صحيفة بيضاء من درّة ، فقلت : يا سيّدة النّسوان ما هذه الصحيفة الّتي أراها معك ؟

قالت عليها السلام : «فيها أسماء الأئمّة من ولدي» .

قلت لها : ناوليني لأنظر فيها !

قالت عليها السلام : «يا جابر لولا النهي لكنت أفعل ، ولكنّه قد نهي أن يمسّها إلّا نبيّ أو وصيّ نبيّ ، أو أهل بيت نبيّ ، ولكنّه مأذون لك أن تنظر إلى باطنها من ظاهرها» .

قال جابر : فقرأت فإذا فيها :

أبوالقاسم محمّد بن عبدالله المصطفى بن عبدالمطّلب بن هاشم بن عبد مناف ، أُمّه آمنة .

أبوالحسن عليّ بن أبي طالب عليه السلام المرتضى ، أُمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف .

أبو محمّد الحسن بن علي البرّ التقي ، أبو عبدالله الحسين بن علي أُمّهما فاطمة بنت محمّد .

أبو محمّد عليّ بن الحسين العدل ، أُمّه شهربانويه بنت يزدجرد بن شهريار .

أبو جعفر محمّد بن علي الباقر ، أُمّه أُم عبدالله بنت الحسن بن عليّ بن أبي طالب .

أبو عبدالله جعفر بن محمّد الصّادق ، أُمّه أُم فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر .

أبو إبراهيم موسى بن جعفر الثقة ، أُمّه جارية اسمها حميدة المصفّاة .

أبوالحسن عليّ بن موسى الرّضا ، أُمّه جارية اسمها نجمة .

أبو جعفر محمّد بن عليّ الزكي ، أُمّه جارية اسمها خيزران .

أبوالحسن عليّ بن محمّد الأمين ، أُمّه جارية اسمها سوسن .

أبو محمّد الحسن بن عليّ الرّضي ، اُمّه جارية اسمها سمانة ، تُكنّى اُم الحسن .

أبوالقاسم محمّد بن الحسن ، وهو حجّة القائم ، اُمّه جارية اسمها نرجس ، صلوات الله عليهم أجمعين .

وعن زرارة بن أعين قال : قال لي زيد بن عليّ وأنا عند أبي عبدالله عليه السلام : يا فتى ما تقول في رجل من آل محمّد استنصرك .

قال : قلت : إن كان مفروض الطاعة نصرته ، وإن كان غير مفروض الطاعة ، فلي أن أفعل ولي أن لا أفعل .

فلمّا خرج ، قال أبو عبدالله عليه السلام : «أخذته والله من بين يديه ومن خلفه ، وما تركت له مخرجاً» .

وقيل للصّادق عليه السلام **:** ما يزال يخرج رجل منكم أهل البيت فيقتل ويقتل معه بشر كثير .

فأطرق طويلاً ثمّ قال عليه السلام : «إنّ فيهم الكذّابين وفي غيرهم المكذّبين» .

وروي عنه صلوات الله عليه أنّه قال : «ليس منّا أحد إلّا وله عدوّ من أهل بيته» .

فقيل له : بنوالحسن لا يعرفون لمن الحق ؟

قال عليه السلام : «بلى ولكن يحملهم الحسد» .

عن أبي يعقوب[1] **قال :** لقيت أنا ومعلّى بن خنيس[2] الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال : يا يهودي فأخبرنا بما قال فينا جعفر بن محمّد .

فقال : «هو والله أولى باليهودية منكما ، إنّ اليهودي من شرب الخمر» .

---

(١) عدّه الشيخ الطوسي رحمه الله في رجاله ص٣٣٩ من أصحاب الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام فقال : «أبو يعقوب الأسدي إمام بني الصيد ، كوفي» .

(٢) المعلّى بن خنيس ذكره الشيخ الطوسي رحمه الله في عداد أصحاب الصادق عليه السلام ص ٣٢٠ من رجاله ، وذكره العلّامة في القسم الثاني من خلاصته ص٢٥٩ فقال : معلّى بن خنيس ـ بضمّ الخاء المعجمة وفتح النون والسين المهملة بعد الياء المنقّطة تحتها نقطتين ـ أبو عبدالله مولى الصّادق جعفر بن محمّد عليهما السلام ، ومن قبله كان مولى بني أسد ، كوفي . قال النجاشي : إنّه بزّاز ـ بالزاي قبل الألف وبعدها ـ وهو ضعيف جدّاً .

وقال الغضايري : إنّه كان أوّل أمره مغيريّاً ، ثمّ دعى إلى محمّد بن عبدالله المعروف بالنفس الزكيّة ، وفي هذه الظنّة أخذه داود بن علي فقتله ، والغلاة يضيفون إليه كثيراً . قال : ولا أرى الإعتماد على شيء من حديثه . وروى فيه أحاديث تقتضي الذم واُخرى تقتضي المدح ، وقد ذكرناها في الكتاب الكبير .

وقال الشيخ أبو جعفر الطوسي ـ في الغيبة بغير إسناد ـ إنّه كان من قوام أبي عبدالله عليه السلام ، وكان محموداً عنده ، ومضى على منهاجه ، وهذا يقتضي وصفه بالعدالة .

أقول : يريد بقوله كان مغيريّاً أي من أصحاب المغيرة بن سعيد مولى بجيلة الّذي لعنه الإمام الصّادق عليه السلام مراراً .

وبهذا الإسناد قال: سمعت أباعبدالله يقول: «لو توفّي الحسن بن الحسن على الزنا والربا وشرب الخمر، كان خيراً له ممّا توفّي عليه».

وعن أبي بصير قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن هذه الآية: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[1] ؟

قال عليه السلام: «أيّ شيء تقول» ؟

قلت: إنّي أقول أنّها خاصّة لولد فاطمة.

فقال عليه السلام: «أمّا من سلّ سيفه ودعا النّاس إلى نفسه إلى الضلال من ولد فاطمة وغيرهم، فليس بداخل في الآية».

قلت: من يدخل فيها ؟

قال عليه السلام: «الظالم لنفسه؛ الّذي لا يدعو النّاس إلى ضلال ولا هدي، والمقتصد منّا أهل البيت؛ هو العارف حق الإمام، والسابق بالخيرات؛ هو الإمام».

عن محمّد بن أبي عمير الكوفي[2] عن عبدالله بن الوليد السمان[3] قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «ما يقول النّاس في أُولي العزم وصاحبكم أميرالمؤمنين عليه السلام» ؟

قال: قلت: ما يقدّمون على أُولي العزم أحداً.

قال: فقال أبوعبدالله عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى قال لموسى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

---

(١) فاطر ٣٢.

(٢) محمّد بن أبي عمير، واسم أبي عمير: زياد بن عيسى، ويكنّى: أبا محمّد، مولى الأزد، من موالي المهلّب بن أبي صفرة، وقيل: موالي بني أُميّة، والأوّل أصح، بغدادي الأصل والمقام، لقى أباالحسن موسى عليه السلام وسمع منه أحاديث كنّاه في بعضها فقال: يا أباأحمد. وروى عن الرّضا عليه السلام، كان جليل القدر، عظيم المنزلة عندنا وعند المخالفين.

قال الكشي: إنّه ممّن جمع أصحابنا على تصحيح ما يصحّ عنه، وأقرّوا له بالفقه والعلم.

وقال الشيخ الطوسي رحمه الله: إنّه كان أوثق النّاس عند الخاصّة والعامّة، وأنسكهم نسكاً، وأزهدهم وأعبدهم، أدرك من الأئمّة ثلاثة: أبا إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام، ولم يرو عنه، وروى عن أبي الحسن الرضا عليه السلام.

قال أبو عمرو الكشي: قال محمّد بن مسعود: حدّثني علي بن الحسين قال: ابن أبي عمير أفقه من يونس بن عبدالرّحمن وأصلح وأفضل، وله حكاية ذكرناها في كتابنا الكبير، مات رحمه الله سنة سبع عشر ومائتين. [القسم الأوّل من خلاصة العلّامة ١٤١]

(٣) خلاصة العلّامة ص ١١١: عبدالله بن الوليد السمّان ـ بالسين المهملة والنون أخيراً ـ النخعي، مولى كوفي، روى عن أبي عبدالله عليه السلام، ثقة.

مَوْعِظَةً ﴾[1] ولم يقل كلّ شيء موعظة ، وقال لعيسى : ﴿ وَلِيُبَيِّنَ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيه ﴾[2] ولم يقل كلّ شيء ، وقال لصاحبكم أميرالمؤمنين عليه السلام : ﴿ قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ ﴾[3] وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[4] وعلم هذا الكتاب عنده» .

وعن عبدالله بن الفضل الهاشمي[5] قال : سمعت الصّادق عليه السلام يقول : «إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة لابدّ منها ، يرتاب فيها كلّ مبطل» .

قلت له : ولم جعلت فداك ؟

قال عليه السلام : «الأمر لا يؤذن لي في كشفه لكم» .

قلت : فما وجه الحكمة في غيبته ؟

قال عليه السلام : «وجه الحكمة في غيبته ، وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من حجج الله تعالى ذكره ، إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلّا بعد ظهوره ، كما لم ينكشف وجه الحكمة لمّا أتاه الخضر من خرق السفينة ، وقتل الغلام ، وإقامة الجدار لموسى عليه السلام ، إلى وقت افتراقهما . يابن الفضل إنّ هذا الأمر أمر من الله ، وسرّ من سرّ الله ، وغيب من غيب الله ، ومتى علمنا أنّه عزّ وجلّ حكيم صدّقنا بأنّ أفعاله كلّها حكمة ، وإن كان وجهها غير منكشف» .

وعن عليّ بن الحكم[6] عن أبان قال : أخبرني الأحول أبو جعفر محمّد بن النعمان الملقّب بمؤمن الطاق أنّ زيد بن عليّ بن الحسين بعث إليه وهو مختف ، قال : فأتيته ، فقال لي : يا أباجعفر ما تقول إن طرقك طارق منّا ، أتخرج معه ؟

قال : قلت له : إن كان أبوك وأخوك خرجت معه .

قال : فقال لي : فأنا أُريد أن أخرج وأُجاهد هؤلاء القوم فاخرج معي !

قال : قلت : لا أفعل جعلت فداك !

---

(١) الأعراف ١٤٥.

(٢) الزخرف ٦٣.

(٣) الرعد ٤٣.

(٤) الأنعام ٥٩.

(٥) عدّه الشيخ الطوسي في أصحاب الصادق عليه السلام ص ٢٢٢ من رجاله .

(٦) عليّ بن الحكم من أهل الأنبار . قال الكشي : عن حمودیه عن محمّد بن عيسى أنّ عليّ بن الحكم هو ابن أُخت داود بن النعمان بيّاع الأنماط ، وهو نسيب بني الزبير الصيارفة . وعلي بن الحكم تلميذ ابن أبي عمير ، ولقى من أصحاب أبي عبدالله الكبير وهو مثل ابن فضّال وابن بكير .

قال : فقال لي : أترغب بنفسك عنّي ؟

قال : فقلت له : إنّما هي نفس واحدة ، فإن كان لله تعالى في الأرض حجّة فالمتخلّف عنك ناج ، والخارج معك هالك ، وإن لم يكن لله في الأرض حجّة ، فالمتخلّف عنك والخارج معك سواء .

قال : فقال لي : يا أباجعفر كنت أجلس مع أبي على الخوان ، فيلقمني اللقمة السمينة ، ويبرّد لي اللقمة الحارّة حتّى تبرد شفقة عَلَيّ ، ولم يشفق عَلَيّ من حرّ النّار إذ أخبرك بالدّين ولم يخبرني به ؟

قال : قلت له : من شفقته عليك من حرّ النّار لم يخبرك ، خاف عليك أن لا تقبله فتدخل النّار ، وأخبرني فإن قبلته نجوت ، وإن لم أقبل لم يبال أن أدخل النّار . ثمّ قلت له : جعلت فداك ، أنتم أم الأنبياء ؟

قال : بل الأنبياء .

قلت : يقول يعقوب ليوسف : ﴿ يَابُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً ﴾[١] لم لم يخبرهم حتّى كانوا لا يكيدونه ولكن كتمه ، وكذا أبوك كتمك لأنّه خاف عليك .

قال : فقال : أما والله لئن قلت ذلك فقد حدّثني صاحبك بالمدينة أنّي أُقتل وأُصلب بالكناسة ، وإنّ عنده لصحيفة فيها قتلي وصلبي .

قال : فحججت وحدّثت أباعبدالله عليه السلام بمقالة زيد وما قلت له ، فقال عليه السلام لي : «أخذته من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن يساره ، ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه ، ولم تترك له مسلكاً يسلكه» .

وعن هشام بن الحكم قال : اجتمع ابن أبي العوجاء ، وأبو شاكر الديصاني الزنديق ، وعبدالملك البصري ، وابن المقفّع ، عند بيت الله الحرام ، يستهزؤون بالحاج ويطعنون بالقرآن .

فقال ابن أبي العوجاء : تعالوا ننقض كلّ واحد منّا ربع «القرآن» ، وميعادنا من قابل في هذا الموضع ، نجتمع فيه وقد نقضنا «القرآن» كلّه ، فإنّ في نقض «القرآن» إبطال نبوّة محمّد ، وفي إبطال نبوّته إبطال الإسلام ، وإثبات ما نحن فيه .

فاتّفقوا على ذلك ، وافترقوا ، فلمّا كان من قابل اجتمعوا عند بيت الله الحرام ، فقال ابن أبي العوجاء : أمّا أنا فمفكّر منذ افترقنا في هذه الآية : ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾[٢] فما أقدر أن

---

(١) يوسف ٥.

(٢) يوسف ٨٠.

أضمّ إليها في فصاحتها وجميع معانيها شيئاً ، فشغلتني هذه الآية عن التفكّر في ما سواها .

فقال عبدالملك : وأنا منذ فارقتكم مفكّر في هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْئاً لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾[١] ولم أقدر على الإتيان بمثلها .

فقال أبو شاكر : وأنا منذ فارقتكم مفكّر في هذه الآية : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾[٢] لم أقدر على الإتيان بمثلها .

فقال ابن المقفّع : يا قوم إنّ هذا «القرآن» ليس من جنس كلام البشر ، وأنا منذ فارقتكم مفكّر في هذه الآية : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ٱبْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَاءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ﴾[٣] لم أبلغ غاية المعرفة بها ، ولم أقدر على الإتيان بمثلها .

قال هشام بن الحكم : فبينما هم في ذلك ، إذ مرّ بهم جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام فقال : «﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا ٱلْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾[٤]» .

فنظر القوم بعضهم إلى بعض وقالوا : لئن كان للإسلام حقيقة لما انتهت أمر وصيّة محمّد إلّا إلى جعفر بن محمّد ، والله ما رأيناه قط إلّا هبناه ، واقشعرّت جلودنا لهيبته ، ثمّ تفرّقوا مقرّين بالعجز .

وعن أحمد بن عبدالله البرقي[٥] ، عن أبيه ، عن شريك بن عبدالله[٦] ، عن الأعمش قال :

---

(١) الحج ٧٣.

(٢) الأنبياء ٢٤.

(٣) هود ٤٤.

(٤) الإسراء ٨٨.

(٥) قال السيّد الأمين العاملي رحمه الله في أعيان الشيعة ج٩ ص٤: «أحمد بن عبدالله بن أحمد بن أبي عبدالله البرقي ، في طريق الصدوق إلى محمّد بن مسلم ، والظاهر أنّه من مشايخ الإجازة ، وربّما احتمل أن يكون ابن بنت البرقي ، ونسب إلى جدّه ، والله أعلم».

(٦) شريك بن عبدالله بن سنان بن أنس النخعي الكوفي ، ذكره ابن قتيبة والذهبي في رجال الشيعة ، وكان ممّن روى النصّ على أميرالمؤمنين علي عليه السلام كما في الميزان للذهبي ، ومن تتبّع سيرته علم أنّه كان يوالي أهل البيت عليهم السلام ، وقد روى عن أوليائهم علماً جمّاً . قال ابنه عبدالرحمن : كان عند أبي عشرة آلاف مسألة عن جابر الجعفي ، وعشرة آلاف غرائب . وقال عبدالله بن المبارك : شريك أعلم بحديث الكوفيين من سفيان ، وكان عدوّاً لأعداء عليّ عليه السلام ، سيّئ القول فيهم ، ومع ذلك وصفه الذهبي بالحافظ الصادق أحد الأئمّة ، ونقل عن ابن معين القول بأنّه صدوق ثقة ، احتجّ به مسلم وأرباب السنن الأربعة . قال الذهبي : قد كان شريك من أوعية العلم حمل عنه اسحاق

اجتمعت الشيعة والمحكمة عند أبي نعيم النخعي(١) بالكوفة ، وأبو جعفر محمّد بن النّعمان مؤمن الطّاق حاضر ، فقال ابن أبي حذرة : أنا أُقرّر معكم أيّتها الشيعة أنّ أبابكر أفضل من عليّ ومن جميع أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله بأربع خصال لا يقدر على دفعها أحد من النّاس : هو ثان مع رسول الله في بيته مدفون ، وهو ثاني اثنين معه في الغار ، وهو ثاني اثنين صلّى بالنّاس آخر صلاة قبض بعدها رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو ثاني اثنين الصدّيق من هذه الأمّة .

قال أبو جعفر مؤمن الطّاق رحمة الله عليه : يابن أبي حذرة ! وأنا أُقرّر معك أنّ عليّاً عليه السلام أفضل من أبي بكر وجميع أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله بهذه الخصال الّتي وصفتها ، وأنّها مثلبة لصاحبك ، وأُلزمك طاعة عليّ عليه السلام من ثلاث جهات : من «القرآن» وصفاً ، ومن خبر رسول الله صلى الله عليه وآله نصّاً ، ومن حجّة العقل اعتباراً .

ووقع الإتّفاق على إبراهيم النخعي وعلى أبي إسحاق السبيعي ، وعلى سليمان بن مهران الأعمش .

فقال أبو جعفر مؤمن الطّاق : أخبرني يابن أبي حذرة عن النّبيّ صلى الله عليه وآله كيف ترك بيوته ـ الّتي أضافها الله تعالى إليه ، ونهى النّاس عن دخولها إلّا بإذنه ـ ميراثاً لأهله وولده ، أو تركها صدقة على جميع المسلمين ؟ قل ما شئت .

فانقطع ابن أبي حذرة لما أورد عليه ذلك وعرف خطأ ما فيه .

فقال أبو جعفر مؤمن الطّاق : إن تركها ميراثاً لولده وأزواجه فإنّه صلى الله عليه وآله قبض عن تسع نسوة ، وإنّما لعائشة بنت أبي بكر تُسع ثمن هذا البيت الّذي دفن فيه صاحبك ، ولا يصيبها من البيت ذراع في ذراع .

ولهذا الأمر قال محمّد بن أبي بكر لعائشة في خبر عجيب شعراً :

⮌ الأزرق تسعة آلاف حديث . ولد بخراسان أو ببخارى سنة ٩٥، ومات بالكوفة مستهل (قع) سنة ١٧٧ أو ١٧٨ . [عن الكنى والألقاب للقمّي ٣/٢٠٥]

(١) قال في تهذيب التهذيب ج١٢ ص٢٥٨ : أبو نعيم النخعي الصغير ، اسمه عبدالرحمن بن هاني الكوفي ، سبط إبراهيم النخعي تقدم .

وقال في ج٦ : عبدالرحمن بن هاني بن سعيد الكوفي أبو نعيم النخعي الصغير ابن بنت إبراهيم النخعي ، روى عن مسعر والثوري وشريك وابن جريح وعمر بن ذرّه ... الخ .

تـجمّلت تـبغّلتِ وإن عشتِ تـفيّلتِ ... لكِ التُسع من الثمن وبالكلّ تملّكتِ(١)

وإن كان صدقة فالبليّة أطمّ وأعظم ، فإنّه لم يصب من البيت إلّا ما لأدى رجل من المسلمين ، فدخول بيت النّبيّ ﷺ بغير إذنه في حياته وبعد وفاته معصية إلّا لعليّ بن أبي طالب عليه السلام وولده ، فإنّ الله أحلّ لهم ما أحلّ للنّبيّ ﷺ .

ثمّ قال لهم : إنّكم تعلمون أنّ النّبيّ أمر بسدّ أبواب جميع النّاس الّتي كانت مشرعة إلى المسجد ما خلا باب عليّ عليه السلام ، فسأله أبوبكر أن يترك له كوة لينظر منها إلى رسول الله فأبى عليه ، وغضب عمّه العبّاس من ذلك فخطب النّبيّ ﷺ خطبة وقال : «إنّ الله تبارك وتعالى أمر لموسى وهارون أن تبوّءا لقومكما بمصر بيوتاً ، وأمرهما أن لا يبيت في مسجدهما جنب ، ولا يقرب فيه النساء إلّا موسى وهارون وذرّيّتهما ، وإنّ عليّاً منّي هو بمنزلة هارون من موسى ، وذرّيّته كذرّيّة هـارون ، ولا يحلّ لأحد أن يقرب النّساء في مسجد رسول الله ﷺ ، ولا يبيت فيه جنب إلّا عليّ وذرّيّته عليهم السلام».

فقالوا بأجمعهم : كذلك كان .

قال أبو جعفر : ذهب ربع دينك يابن أبي حذرة ، وهذه منقبة لصاحبي ليس لأحد مثلها ، ومثلبة لصاحبك .

وأمّا قولك «ثاني اثنين إذ هما في الغار» أخبرني هل أنـزل الله سكـينته عـلى رسـوله وعـلى المؤمنين في غير الغار ؟

قال ابن أبي حذرة : نعم .

قال أبو جعفر : فقد خرج صاحبك في الغـار مـن السكـينة ، وخـصّه بـالحزن ، ومكـان عـليّ في هذه اللـيلة عـلى فـراش النّـبيّ ﷺ ، وبـذل مـهجته دونـه أفـضل مـن مكـان صـاحبك فـي الغار .

فقال النّاس : صدقت .

---

(١) تجمّلت في حرب صفّين ؛ أي ركبت الجمل وخرجت لحرب عـليّ عليه السلام ، وتـبغّلت حـين جـاءوا بـجنازة الإمـام الحسن المجتبى عليه السلام لزيارة قبر جدّه فخرجت راكبة على بغلة يقودها مروان وهي تنادي : لا تدخلوا بيتي من لا أُحب ، وقال مروان : أيدفن عثمان في أقصى المدينة ويدفن الحسن مع جدّه رسول الله ، لاكان ذلك أبداً . والبيت لابن عبّاس خاطبها به ذلك اليوم وليس لمحمّد بن أبي بكر بل إنّ محمّداً لم يـدرك ذلك اليـوم وقـتل فـي عـهد أميرالمؤمنين وقد مرّت ترجمته ص من الجزء الأوّل من هذا الكتاب ، فراجع .

فقال أبو جعفر : يابن أبي حذرة ذهب نصف دينك .

وأمّا قولك «ثاني اثنين الصدّيق من الأمّة ، فقد أوجب الله على صاحبك الإستغفار لعليّ بن أبي طالب عليه السلام في قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ ﴾ إلى آخر الآية[1] والّذي ادّعيت إنّما هو شيء سمّاه النّاس ، ومن سمّاه «القرآن» وشهد له بالصدق والتصديق أولى به ممّن سمّاه النّاس ، وقد قال عليّ عليه السلام على منبر البصرة : «أنا الصدّيق الأكبر ، آمنت قبل أن آمن أبوبكر ، وصدّقت قبله» .

قال النّاس : صدقت .

قال أبو جعفر مؤمن الطاق : يابن أبي حذرة ذهب ثلاثة أرباع دينك .

وأمّا قولك في الصلاة بالنّاس ،كنت ادّعيت لصاحبك فضيلة لم تتمّ له ، وإنّها إلى التهمة أقرب منها إلى الفضيلة ، فلو كان ذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله لما عزله عن تلك الصلاة بعينها ، أما علمت أنّه لمّا تقدّم أبوبكر ليصلّي بالنّاس خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فتقدّم وصلّى بالنّاس وعزله عنها ، ولا تخلو هذه الصلاة من أحد وجهين : إمّا أن تكون حيلة وقعت منه ، فلمّا حسّ النّبيّ صلى الله عليه وآله بذلك خرج مبادراً مع علّته فنحّاه عنها لكيلا يحتجّ بها بعده على اُمّته فيكونوا في ذلك معذورين ، وإمّا أن يكون هو الّذي أمره بذلك ، وكان ذلك مفوّضاً إليه كما في قصّة تبليغ براءة . فنزل جبرئيل عليه السلام وقال : لا يؤدّيها إلاّ أنت أو رجل منك ، فبعث عليّاً في طلبه وأخذها منه وعزله عنها وعن تبليغها ، فكذلك كانت قصّة الصّلاة ، وفي الحالتين هو مذموم لأنّه كشف عنه ما كان مستوراً عليه ، وفي ذلك دليل واضح أنّه لا يصلح للإستخلاف بعده ، ولا هو مأمون على شيء من أمر الدّين .

فقال النّاس : صدقت .

قال أبو جعفر مؤمن الطاق : يابن ابي حذرة ذهب دينك كلّه ، وفضحت حيث مدحت .

فقال النّاس لأبي جعفر : هات حجّتك فيما ادّعيت من طاعة عليّ عليه السلام .

فقال أبو جعفر مؤمن الطّاق : أمّا من «القرآن» فقوله عزّ وجلّ : ﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللهَ وَكُونُوا

---

(١) الحشر ١٠.

مَعَ ٱلصَّادِقِينَ ﴾[١] فوجدنا علياً بهذه الصفة في «القرآن» في قوله ﷻ: ﴿ وَٱلصَّابِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَاءِ وَٱلضَّرَّاءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ - يعني في الحرب والشغب - أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[٢] فوقع الإجماع من الاُمّة بأنّ علياً عليه السلام أولى بهذا الأمر من غيره، لأنّه لم يفرّ من زحف قط، كما فرّ غيره في غير موضع.

فقال النّاس: صدقت.

وأمّا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله نصّاً، فقال: «إنّي تارك فيكم الثقلين، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض» وقوله صلى الله عليه وآله: «إنّما مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركبها نجى، ومن تخلّف عنها غرق، ومن تقدّمها مرق، ومن لزمها لحق»[٣]؛ فالمتمسّك بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله هاد مهتد بشهادة من الرّسول والمتمسّك بغيرها ضالّ مضل.

قال النّاس صدقت يا أباجعفر.

وأمّا من حجّة العقل فإنّ النّاس كلّهم يستعبدون بطاعة العالم، ووجدنا الإجماع قد وقع على عليّ عليه السلام بأنّه كان أعلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان النّاس يسألونه ويحتاجون إليه، وكان عليّ مستغنياً عنهم، هذا من الشاهد والدليل عليه من «القرآن» قوله ﷻ: ﴿ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[٤].

فما اتّفق يوم أحسن منه، ودخل في هذا الأمر عالم كثير.

وقد كانت لأبي جعفر مؤمن الطاق مقامات مع أبي حنيفة:

---

(١) التوبة ١٢٠.

(٢) البقرة ١٧٧.

(٣) ذخائر العقبى ص ٢٠: عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجى، ومن تعلّق بها فاز، ومن تخلّف عنها غرق» أخرجه الملّا في سيرته. قال الحجّة الأميني في ج٢ ص٣٠١ من الغدير: وحديث السفينة رواه الحاكم في المستدرك ج٣ ص١٥١ عن أبي ذر وصحّحه بلفظ: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح؛ من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق» وأخرج الخطيب في تاريخه ج١٢ ص٩١ عن أنس، والبزّار عن ابن عبّاس، وابن الزبير، وابن جرير، والطبراني عن أبي ذر وأبي سعيد الخدري، وأبو نعيم وابن عبدالبرّ ومحبّ الدين الطبري، وكثيرون آخرون.

(٤) يونس ٣٥.

فمن ذلك ما روي أنّه قال يوماً من الأيّام لمؤمن الطاق : إنّكم تقولون بالرجعة ؟

قال : نعم .

قال أبو حنيفة : فأعطني الآن ألف درهم حتّى أعطيك ألف دينار إذا رجعنا .

قال الطاقي لأبي حنيفة : فأعطني كفيلاً بأنّك ترجع إنساناً ولا ترجع خنزيراً .

وقال له يوم آخر : لِمَ لم يطالب عليّ بن أبي طالب بحقّه بعد وفاة رسول الله إن كان له حقّ ؟

فأجابه مؤمن الطاق : خاف أن يقتله الجنّ كما قتلوا سعد بن عبادة بسهم المغيرة بن شعبة . وفي رواية : بسهم خالد بن الوليد(١) .

وكان أبو حنيفة يوماً آخر يتماشى مع مؤمن الطاق في سكّة من سكك الكوفة ، إذا مناد ينادي : من يدلّني على صبيّ ضالّ ؟

---

(١) سعد بن عبادة : رئيس الخزرج ، وكان صاحب راية الأنصار يوم بدر ، وأمير المؤمنين عليه السلام صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وآله والمهاجرين . ولمّا قبض النبيّ صلى الله عليه وآله اجتمعت الأنصار إليه ، وكان مريضاً فجاؤوا به إلى سقيفة بني ساعدة وأرادوا تأميره ، ولمّا تمّ الأمر لأبي بكر امتنع عن مبايعته ، فأرسل إليه أبو بكر ليبايع ، فقال : لا والله حتّى أرميكم بما في كنانتي ، وأُخضّب سنان رمحي ، وأضرب بسيفي ما أطاعني ، وأُقاتلكم بأهل بيتي ومن تبعني ، ولو اجتمع معكم الجنّ والإنس ما بايعتكم حتّى أعرض على ربّي .

فقال عمر : لا تدعه حتّى يبايع .

فقال بشير بن سعد : إنّه قد لجّ وليس بمبايع لكم حتّى يقتل ، وليس بمقتول حتّى يقتل معه أهله وطائفة من عشيرته ، ولا يضرّكم تركه ، إنّما هو رجل واحد .

فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد ، واستنصحوه لما بدا لهم منه .

فكان سعد لا يصلّي بصلاتهم ، ولا يجتمع معهم ، ويحجّ ولا يفيض معهم بإفاضتهم ، فلم يزل كذلك حتّى هلك أبو بكر . [راجع ج٣ ص ٢٧٠ من تاريخ الطبري]

وقال ابن أبي الحديد في ج ١ ص ٥٤٠ من شرح النهج : وخرج إلى حوران فمات بها . قيل : قتله الجن لأنّه بال قائماً في الصحراء ليلاً . ورووا بيتين من شعر قيل : إنّهما سمعا ليلة قتله ولم ير قائلهما :

نحن قتلنا سيّد الخز   رج سعد بن عباده
ورميناه بسهمين   فلم تخطئ فؤاده

ويقول قوم : إنّ أمير الشام يومئذ كمن له من رماه ليلاً وهو خارج إلى الصحراء بسهمين فقتله لخروجه عن طاعة الإمام ، وقد قال بعض المتأخرين في ذلك :

يقولون سعد شكت الجنّ قلبه   ألا ربّما صحّحت دينك بالغدر
وما ذنب سعد أنّه بال قائماً   ولكن سعداً لم يبايع أبابكر
وقد صبرت من لذّة العيش أنفس   وما صبرت عن لذّة النّهي والأمر

فقال مؤمن الطاق : أمّا الصبيّ الضالّ فلم نره ، وإن أردت شيخاً ضالّاً فخذ هذا ! عنى به أباحنيفة .

ولمّا مات الصّادق عليه السلام رأى أبو حنيفة مؤمن الطاق ، فقال له : مات إمامك ؟

قال : نعم ، أمّا إمامك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم .

وروي أنّه مرّ فضال بن الحسن بن فضال الكوفي[1] بأبي حنيفة وهو في جمع كثير ، يملي عليهم شيئاً من فقهه وحديثه ، فقال ـ لصاحب كان معه ـ : والله لا أبرح حتّى أُخجل أباحنيفة .

فقال صاحبه الّذي كان معه : إنّ أباحنيفة ممّن قد علت حاله ، وظهرت حجّته .

قال : صه ! هل رأيت حجّة ضالّ علت على حجّة مؤمن ؟ ثمّ دنا منه فسلّم عليه ، فردّ ، وردّ القوم السّلام بأجمعهم ، فقال : يا أباحنيفة إنّ أخاً لي يقول : إنّ خير النّاس بعد رسول الله عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وأنا أقول أبوبكر خير النّاس وبعده عمر ، فما تقول أنت رحمك الله ؟

فأطرق مليّاً ثمّ رفع رأسه فقال : كفى بمكانهما من رسول الله كرماً وفخراً ، أما علمت أنّهما ضجيعاه في قبره ؟ فأيّ حجّة تريد أوضح من هذا ؟

فقال له فضال : إنّي قد قلت ذلك لأخي ، فقال : والله لئن كان الموضع لرسول الله صلى الله عليه وآله دونهما فقد ظلما بدفنهما في موضع ليس لهما حقّ فيه ، وإن كان الموضع لهما فوهباه لرسول الله صلى الله عليه وآله لقد أساءا وما أحسنا ، إذ رجعا في هبتهما ، ونسيا عهدهما .

فأطرق أبو حنيفة ساعة ثمّ قال له : لم يكن له ولا لهما خاصّة ، ولكنّهما نظرا في حقّ عايشة وحفصة فاستحقّا الدفن في ذلك الموضع بحقوق ابنتيهما .

فقال له فضال : قد قلت له ذلك فقال : أنت تعلم أنّ النّبيّ مات عن تسع نساء ، ونظرنا فإذا لكلّ واحدة منهنّ تسع الثمن ، ثمّ نظرنا في تسع الثمن فإذا هو شبر في شبر ، فكيف يستحقّ الرجلان أكثر من ذلك ؟ وبعد فما بال عائشة وحفصة ترثان رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة بنته تمنع الميراث ؟!

فقال أبو حنيفة : يا قوم نحّوه عنّي فإنّه رافضيّ خبيث .

---

(١) في رجال المامقاني ج٢ ص٣٧٣ حكي عن المولى الوحيد أنّه قال : يظهر من معارضته مع أبي حنيفة كونه من فضلاء الشيعة ، واحتمل الحائري كونه أخا علي بن الحسن بن فضال .

حكي عن أبي الهذيل العلّاف[١] **قال** : دخلت الرقة[٢] فذكر لي أنّ بدير زكن[٣] رجلاً مجنوناً حسن الكلام ، فأتيته فإذا أنا بشيخ حسن الهيئة جالس على وسادة يسرّح رأسه ولحيته ، فسلّمت عليه ، فردّ السّلام وقال : ممّن يكون الرّجل ؟

قال : قلت : من أهل العراق .

قال : نعم ، أهل الظرف والأدب .

قال : من أيّها أنت ؟

قلت : من أهل البصرة .

قال : أهل التجارب والعلم .

قال : فمن أيّهم أنت ؟

قلت : أبوالهذيل العلّاف .

قال : المتكلّم ؟

قلت : بلى .

---

(١) أبوالهذيل العلّاف محمّد بن الهذيل بن عبدالله بن مكحول البصري ، شيخ البصريّين في الإعتزال ، ومن أكبر علمائهم ، وصاحب المقالات في مذهبهم ، كان معاصراً لأبي الحسن الميثمي المتكلّم الإمامي ، حكي أنّه سأل أبوالحسن الميثمي أباالهذيل فقال : ألست تعلم أنّ إبليس ينهى عن الخير كلّه ويأمر بالشرّ كلّه ؟

قال : بلى .

قال : فيجوز أن يأمر بالشرّ كلّه وهو لا يعرفه ، وينهي عن الخير كلّه وهو لا يعرفه ؟

قال : لا .

فقال له أبوالحسن : قد ثبت أنّ إبليس يعلم الشرّ كلّه والخير كلّه ؟

قال أبوالهذيل : أجل .

قال : فأخبرني عن إمامك الّذي تأتمّ به بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هل يعلم الخير كلّه والشرّ كلّه ؟

قال : لا .

قال له : فابليس أعلم من إمامك إذاً .

فانقطع أبوالهذيل .

توفّي أبوالهذيل بسرّ من رأى سنة ٢٧٧ . [الكنى والألقاب ١٧٠/١]

(٢) الرَّقَةُ ـ بفتح أوّله وثانيه وتشديده ـ : مدينة مشهورة على الفرات ، بينها وبين حرّان ثلاثة أيّام معدودة في بلاد الجزيرة ، لأنّها من جانب الفرات الشرقي .

(٣) وفي نسخ أُخرى : «بدير زكيّ» . زكيّة ـ بفتح أوّله وكسر ثانيه وتشديد ياء النسبة ـ : قرية جامعة من أعمال البصرة ، بينها وبين واسط . [معجم البلدان]

فوثب عن وسادته وأجلسني عليها ثمّ قال ـ بعد كلام جرى بيننا ـ : ما تقولون في الإمامة ؟

قلت : أيّ الإمامة تريد ؟

قال : من تقدّمون بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ؟

قلت : من قدّم رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال : ومن هو ؟

قلت : أبابكر .

قال لي : يا أباالهذيل ولم قدّمتم أبابكر ؟

قال : قلت : لأنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال : «قدّموا خيركم وولّوا أفضلكم ، وتراضى النّاس به جميعاً .

قال : يا أباالهذيل هاهنا وقعت .

أمّا قولك أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال : «قدّموا خيركم وولّوا أفضلكم» فإنّي أوجدك أنّ أبابكر صعد المنبر قال : «وليتكم ولست بخيركم وعليٌّ فيكم»[1] فإن كانوا كذبوا عليه فقد خالفوا أمر النّبيّ صلى الله عليه وآله ، وإن كان هو الكاذب على نفسه فمنبر رسول الله لا يصعده الكاذبون .

وأمّا قولك : إنّ النّاس تراضوا به ، فإنّ أكثر الأنصار قالوا : منّا أمير ومنكم أمير ، وأمّا المهاجرون فإنّ الزبير بن العوام قال : لا أُبايع إلّا عليّاً ، فأمر به فكسر سيفه ، وجاء أبو سفيان بن حرب وقال : يا أباالحسن لو شئت لأملأنّها خيلاً ورجالاً يعني : «المدينة» وخرج سليمان فقال بالفارسي : «كرديد و نكرديد ، ونددانيد كه چه كرديد»[2] والمقداد وأبوذر ، فهؤلاء المهاجرون والأنصار .

أخبرني يا أباالهذيل عن قيام أبي بكر على المنبر وقوله : إنّ لي شيطاناً يعترني ، فإذا رأيتموني مغضباً فاحذروني ، لا أقع في أشعاركم وأبشاركم[3] ؛ فهو يخبركم على المنبر أنّي مجنون ، وكيف

---

(١) في ج٢ من العقد الفريد ص٣٤٧ قال : وخطب أيضاً ـ يعني : أبابكر ـ حمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : يا أيّها النّاس إنّي قد ولّيت عليكم ولست بخيركم فإن رأيتموني على حقّ فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فسدّدوني ... الخ .

(٢) أي : فعلتم وما فعلتم ، ولا تعلمون الّذي فعلتم .

(٣) روى الطبري في ج٣ ص ٢١٠ من تاريخه مرفوعاً عن عاصم بن عدي قال : نادى منادي أبي بكر ... إلى أن قال : وقام في النّاس فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيّها النّاس إنّما أنا مثلكم ، وإنّي لا أدري لعلّكم ستكلّفوني ما كان رسول الله يطيق ، إنّ الله اصطفى محمّداً على العالمين ، وعصمه من الآفات ، وإنّما أنا متّبع ولست مبتدع ، فإن استقمت فتابعوني ، وإن زغت فقوّموني ، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وليس أحد من هذه الأمّة يطلبه بمظلمة ، ضربة سوط فما دونها ، ألا وإنّ لي شيطاناً يعتريني ، فإذا أتاني فاجتنبوني ، لا أُوثر في أشعاركم وأبشاركم ... الخ .

يحلّ لكم أن تولّوا مجنوناً ؟

وأخبرني يا أباالهذيل عن قيام عمر وقوله : وددت أنّي شعرة في صدر أبي بكر ، ثمّ قام بعدها بجمعة فقال : إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرّها ؛ فمن دعاكم إلى مثلها فاقتلوه[1] فبينما هو يودّ أن يكون شعرة في صدره ، وبينما هو يأمر بقتل من بايع مثله .

فأخبرني يا أباالهذيل عن الّذي زعم أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله لم يستخلف ، وإنّ أبابكر استخلف عمر ، وإنّ عمر لم يستخلف ، فأرى أمركم بينكم متناقضاً .

وأخبرني أباالهذيل عن عمر حين صيّرها شورى بين ستّة وزعم أنّهم من أهل الجنّة ، فقال : «إن خالف اثنان لأربعة فاقتلوا الإثنين ، وإن خالف ثلاثة لثلاثة ، فاقتلوا الثلاثة الّذين ليس فيهم عبدالرّحمن بن عوف ، فهذه ديانة أن يأمر بقتل أهل الجنّة ؟!

وأخبرني يا أباالهذيل عن عمر لمّا طعن دخل عليه عبدالله بن عبّاس قال : فرأيته جزعاً ، فقلت : يا أميرالمؤمنين ما هذا الجزع ؟

قال : يابن عبّاس ما جزعي لأجلي ولكن جزعي لهذا الأمر من يليه بعدي .

قال : قلت : ولّها طلحة بن عبيدالله .

قال : رجل له حدّة ،كان النّبيّ صلى الله عليه وآله يعرفه فلا اُولّي أمر المسلمين حديداً .

قال : قلت : ولّها زبير بن العوام .

قال : رجل بخيل ، رأيته يماكس امرأته في كبّة من غزل ، فلا اُولّي اُمور المسلمين بخيلاً .

قال : قلت : ولّها سعد بن أبي وقّاص .

قال : رجل صاحب فرس وقوس ، وليس من أحلاس الخلافة[2] .

قال : قلت : ولّها عبدالرّحمن بن عوف .

قال : رجل ليس يحسن أن يكفي عياله .

قال : قلت : ولّها عبدالله بن عمر .

---

(١) ذكر الطبري في تأريخه ج٣ ص٢٠٠ أنّ عمر قال ـ وهو على المنبر ـ : اُريد أن أقول مقالة قد قدر أن أقولها ، من وعاها وعقلها وحفظها فليحدّث بها إلى أن قال : فلا يغرّنّ امرء أن يقول : إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة ، فقد كانت كذلك غير أنّ الله وقى شرّها ... الخ .

(٢) الأحلاس : جمع حلس ، يقال : فلان حلس بيته : أي ملازم له تشبيهاً له بحلس البعير ، وهو : كساء رقيق يكون تحت البرذعة ، والمراد ليس من أهلها .

فاستوى جالساً ثمّ قال : يابن عبّاس ! ما الله أردت بهذا أُولّي رجلاً لم يحسن أن يطلّق امرأته !

قال : قلت : ولّها عثمان بن عفّان .

قال : والله لئن ولّيته ليحملنّ بني أبي معيط على رقاب المسلمين ، ويوشك أن يقتلوه ، قالها ثلاثاً .

قال : ثمّ سكت لما أعرف من مغائرته لأميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

فقال : يابن عبّاس أُذكر صاحبك .

قال : قلت : فولّها عليّاً .

قال : فوالله ما جزعي إلّا لما أخذنا الحقّ من أربابه ، والله لئن ولّيته ليحملنّهم على المحجّة العظمى ، وإن يطيعوه يدخلهم الجنّة .

فهو يقول هذا ثمّ صيّرها شورى بين الستّة فويل له من ربّه !!

قال أبوالهذيل : فوالله بينما هو يكلّمني إذا اختلط ، وذهب عقله ، فأخبرت المأمون بقصّته ، وكان من قصّته أن ذهب بماله وضياعه حيلة وغدراً ، فبعث إليه المأمون ، فجاء به وعالجه ، وكان قد ذهب عقله بما صنع به ، فردّ عليه ماله وضياعه وصيّره نديماً ، فكان المأمون يتشيّع لذلك ، والحمد لله على كلّ حال .

وقد جاءت الآثار عن الأئمّة الأبرار عليهم السلام بفضل من نصب نفسه من علماء شيعتهم لمنع أهل البدعة والضلال عن التسلّط على ضعفاء الشيعة ومساكينهم ، وقمعهم بحسب تمكّنهم وطاقتهم ، **فمن ذلك ما روي** عن أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام أنّه قال : «علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الّذي يلي إبليس وعفاريته ، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا ، وعن أن يتسلّط عليهم إبليس وشيعته النواصب ، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممّن جاهد الرّوم والترك والخزر ألف ألف مرّة ، لأنّه يدفع عن أديان محبّينا ، وذلك يدفع عن أبدانهم» .

احتجاج أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليهما السلام في أشياء شتّى على المخالفين

الحسن بن عبدالرّحمن الحماني[1] **قال** : قلت لأبي إبراهيم عليه السلام : إنّ هشام بن الحكم زعم أنّ الله

---

(١) ذكره الأردبيلي في جامع الرواة ج١ ص٢٠٦ فقال : محمّد بن إسماعيل عن عليّ بن العبّاس عن الحسن بن عبدالرّحمان الحماني عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام في الكافي باب النّهي عن الجسم والصورة .

تعالى جسم ليس كمثله شيء ، عالم ، سميع ، بصير ، قادر ، متكلّم ، ناطق ، والكلام والقدرة والعلم يجري مجرى واحد ، ليس شيء منها مخلوقاً .

فقال عليه السلام : «قاتله الله ، أما علم أنّ الجسم محدود ؟! والكلام غير المتكلّم ؟ معاذ الله ، وأبرأ إلى الله من هذا القول ، لا جسم ، ولا صورة ، ولا تحديد ، وكلّ شيء سواه مخلوق ، وإنّما تكون الأشياء بإرادته ومشيّته من غير كلام ولا تردّد في نفس ، ولا نطق بلسان» .

وعن يعقوب بن جعفر[١] **عن أبي إبراهيم عليه السلام أنّه قال :** «لا أقول أنّه قائم فأُزيله عن مكان ، ولا أحدّه بمكان يكون فيه ، ولا أحدّه أن يتحرّك في شيء من الأركان والجوارح ، ولا أحدّه بلفظ شقّ فم ، ولكن كما قال عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون ﴾[٢][٣] بمشيّة من غير تردّد في نفس ، صمداً ، فرداً ، لم يحتج إلى شريك يدبّر له ملكه ، ولا يفتح له أبواب علمه» .

وعن يعقوب بن جعفر الجعفري أيضاً ، عن أبي إبراهيم موسى عليه السلام قال : ذكر عنده قوم زعموا أنّ الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدّنيا فقال عليه السلام : «إنّ الله لم ينزل ، ولا يحتاج أن ينزل ، إنّما منظره في القرب والبعد سواء ، لم يبعد منه بعيد ، ولا يقرب منه قريب ، ولم يحتج إلى شيء بل يحتاج إليه كلّ شيء ، وهو ذوالطول لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم !

أمّا قول الواصفين أنّه ينزل تبارك وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً ، فإنّما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زيادة ، وكلّ متحرّك يحتاج إلى من يحرّكه أو يتحرّك به[٤] ، فمن ظنّ بالله الظنون فقد هلك ، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حدّ تحدّونه بنقص أو زيادة ، أو تحريك أو تحرّك ، زوال أو استنزال ، أو نهوش أو قعود ، فإنّ الله جلّ وعزّ عن صفة الواصفين ، ونعت الناعتين ، وتوهّم المتوهّمين» .

---

(١) ذكره الأردبيلي في جامع الرواة ج٢ ص٣٤٦ ونقل عن الكافي والتهذيب عدّة روايات عنه عن الصّادق والكاظم عليهما السلام ، وورد اسمه فيها مرّة يعقوب بن جعفر ، وأُخرى يعقوب بن جعفر الجعفري ، وثالثة يعقوب بن جعفر بن إبراهيم الجعفري .

(٢) يس ٨٢.

(٣) راجع موضوع نفي الحركة عنه تعالى في هامش الجزء الأوّل من هذا الكتاب ص .

(٤) لابدّ لكلّ حركة من أن تستلزم أربعة أُمور : المحرّك ، والمتحرّك ، وما منه الحركة ، وما إليه الحركة ، وقد مرّ في الجزء الأوّل من هذا الكتاب ص تفصيل الحديث في نفي الحركة عنه تعالى والإستدلال على بطلان نسبتها إليه وتنزّهه عنها ؛ فراجع .

وعن الحسن بن راشد[1] **قال**: سئل أبوالحسن موسى عليه السلام عن معنى قول الله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾[2]؟

فقال عليه السلام: «استولى على ما دقّ وجلّ».

وعن يعقوب بن جعفر الجعفري قال: سأل رجل يقال له عبدالغفّار السمي أبا إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿ **ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ** ﴾[3] قال: أرى هاهنا خروجاً من حجب، وتدلّياً إلى الأرض، وأرى محمّداً رأى ربّه بقلبه، ونسب إلى بصره، فكيف هذا؟

فقال أبو إبراهيم عليه السلام: «دنى فتدلّى، فإنّه لم يزل عن موضع ولم يتدلّ ببدن».

فقال عبدالغفّار: أصفه بما وصف به نفسه حيث قال: ﴿ **دَنَى فَتَدَلَّى** ﴾ فلم يتدلّ عن مجلسه إلّا وقد زال عنه، ولولا ذلك لم يصف بذلك نفسه.

فقال أبو إبراهيم عليه السلام: «إنّ هذه لغة في قريش، إذا أراد رجل منهم أن يقول: قد سمعت يقول: قد تدلّيت، وإنّما التدلّي: الفهم».

وعن داود بن قبيصة قال: سمعت الرّضا عليه السلام يقول: «سئل أبي عليه السلام: هل منع الله عمّا أمر به، وهل نهى عمّا أراد، وهل أعان على ما لم يرد؟

فقال عليه السلام: أمّا ما سألت «هل منع الله عمّا أمر به»؟ فلا يجوز ذلك، ولو جاز ذلك لكان قد منع إبليس عن السجود لآدم، ولو منع إبليس لعذره ولم يلعنه.

وأمّا ما سألت «هل نهى عمّا أراد»؟ فلا يجوز ذلك، ولو جاز ذلك لكان حيث نهى آدم عن أكل الشجرة أراد منه أكلها، ولو أراد منه أكلها لما نادى عليه صبيان الكتاتيب: ﴿ **وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ** ﴾ والله تعالى لا يجوز عليه أن يأمر بشيء ويريد غيره.

وأمّا ما سألت عنه من قولك «هل أعان على ما لم يرد»؟ ولا يجوز ذلك وجلّ الله تعالى عن أن يعين على قتل الأنبياء وتكذيبهم، وقتل الحسين بن علي عليه السلام والفضلاء من ولده، وكيف يعين على ما لم يرد وقد أعدّ جهنّم لمخالفيه، ولعنهم على تكذيبهم لطاعته، وارتكابهم لمخالفته؟ ولو

---

(١) عدّه الشيخ في رجاله ص٦٧ من أصحاب الصّادق عليه السلام فقال: الحسن بن راشد مولى بني العبّاس، كوفي، وفي أصحاب الكاظم عليه السلام ص٣٤٦ ذكره أيضاً باسم الحسين بن راشد، وقال: بغدادي.

(٢) طه ٥.

(٣) النجم ٨ ـ ٩.

جاز أن يعين على ما لم يرد لكان أعان فرعون على كفره وادّعائه أنّه ربّ العالمين ، أفترى أراد الله من فرعون أن يدّعي الربوبيّة ؟ يستتاب قائل هذا القول ، فإن تاب من كذبه على الله وإلّا ضربت عنقه».

وروي عن أبي محمّد الحسن بن عليّ بن محمّد العسكري عليه السلام : «إنّ أباالحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال : إنّ الله خلق الخلق فعلم ما هو إليه صايرون ، فأمرهم ونهاهم ؛ فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به ، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه ، ولا يكون آخذين ولا تاركين إلّا بإذنه ، وما جبر الله أحداً من خلقه على معصيته ، بل اختبرهم بالبلوى ، وكما قال : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[1]» .

قوله : «ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلّا بإذنه» أي : بتخليته وعلمه .

وروي أنّه دخل أبو حنيفة المدينة ومعه عبدالله بن مسلم ، فقال له : يا أباحنيفة إنّ هاهنا جعفر ابن محمّد من علماء آل محمّد ، فاذهب بنا إليه نقتبس منه علماً .

فلمّا أتيا إذا هما بجماعة من علماء شيعته ينتظرون خروجه أو دخلوهم عليه ، فبينما هم كذلك إذ خرج غلام حدث ، فقام النّاس هيبة له ، فالتفت أبو حنيفة فقال : يابن مسلم من هذا ؟

قال : موسى ابنه .

قال : والله لأخجلنّه بين يدي شيعته .

قال له : مه لن تقدر على ذلك .

قال : والله لأفعلنّه ، ثمّ التفت إلى موسى فقال : يا غلام أين يضع الغريب في بلدتكم هذه ؟

قال عليه السلام : «يتوارى خلف الجدار ، ويتوقّى أعين الجار ، وشطوط الأنهار ، ومسقط الثمار ، ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ، فحينئذ يضع حيث شاء» .

ثمّ قال : يا غلام ممّن المعصية ؟

قال عليه السلام : «يا شيخ لا تخلو من ثلاث : إمّا أن تكون من الله وليس من العبد شيء ؛ فليس للحكيم أن يأخذ عبده بما لم يفعله .

وإمّا أن تكون من العبد ومن الله ، والله أقوى الشريكين ، فليس للشريك الأكبر أن يأخذ الشريك الأصغر بذنبه .

وإمّا أن تكون من العبد وليس من الله شيء ، فإن شاء عفى وإن شاء عاقب» .

---

(١) هود ٧.

قال : فأصابت أباحنيفة سكتة كأنّما أُلقم فوه الحجر .

قال : فقلت له : ألم أقل لك لا تتعرّض لأولاد رسول الله .

وفي ذلك يقول الشاعر :

لم تخل أفعالنا اللّاتي نذمّ بـها ... إحدى ثلاث معان حين نأتيها

إمّـا تـفرّد بـارينا بـصنعتها ... فيسقط اللوم عنّا حين نـنشيها

أو كان يشـركنا فـيها فـيلحقه ... ما سوف يلحقنا من لائم فـيها

أو لم يكن لإلهي في جـنايتها ... ذنب فما الذنب إلّا ذنب جانيها

روي عن عليّ بن يقطين[١] **أنّه قال** : أمر أبو جعفر الدوانيقي[٢] يقطين أن يحفر له بئراً بـقصر العبادي ، فلم يزل يقطين في حفرها حتّى مات أبو جعفر ولم يستنبط منها الماء ، وأخبر المهدي بذلك ، فقال له : إحفر أبداً حتّى يستنبط الماء ولو أنفقت عليها جميع ما في بيت المال .

---

(١) قال العلّامة في القسم الأوّل من الخلاصة ص٩١ : عليّ بن يقطين بن موسى البغدادي ، سكن بغداد وهـو كـوفي الأصل ، روى عن أبي عبدالله عليه‌السلام حديثاً واحداً ، وروى عن أبي الحسن موسى عليه‌السلام فأكثر ، وكان ثقة جليل القدر ، له منزلة عظيمة عند أبي الحسن عليه‌السلام ، عظيم المكان في هذه الطائفة ، روي أنّه عليه‌السلام ضمن له الجنّة وأن لا تمسّه النّار أبداً ، وكان وزيراً لهارون ، فاستأذن الإمام عليه‌السلام بترك العمل معه فلم يأذن له ، وقال له : «عسى أن يجبر الله بك كسراً ، ويكسر بك نائرة المخالفين من أوليائه ، يا علي كفّارة أعمالكم الإحسان إلى إخوانكم .

وروي أنّه لمّا قدم أبو إبراهيم موسى بن جعفر عليهما‌السلام العراق ، قال عليّ بن يقطين : أما ترى حالي وما أنا فيه ؟

فقال عليه‌السلام : «يا علي إنّ لله تعالى أولياء مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه وأنت منهم يا علي» .

وروي أنّه قال أبوالحسن عليه‌السلام لعليّ بن يقطين : «إضمن لي خصلة أضمن لك ثلاثاً» .

فقال عليّ : جعلت فداك وما الخصلة الّتي أضمنها لك ؟ وما الثلاث اللواتي تضمنهنّ لي ؟

فقال أبوالحسن عليه‌السلام : «الثلاث اللّواتي أضمنهنّ لك : أن لا يصيبك حرّ الحديد أبداً ، بـقتل ، ولا فـاقة ، ولا سـجن حبس» .

فقال عليّ : فما الخصلة الّتي أضمنها لك ؟

فقال عليه‌السلام : «يا علي وأمّا الخصلة الّتي تضمن لي أن لا يأتيك وليّ أبداً إلّا أكرمته» .

فضمن له عليّ الخصلة ، وضمن له أبوالحسن الثلاث .

وروي أنّه عليه‌السلام قال : «إنّي استوهبت عليّ بن يقطين من ربّي عزّ وجلّ البارحة فوهبه لي ، إنّ عليّ بن يـقطين بـذل مـاله ومودّته فكان لذلك منّا مستوجباً» . [راجع : رجال الكشي ٣٦٧ ، والجزء الثاني من سفينة البحار ٢٥٢]

(٢) قال الطريحي : الدانق ـ بفتح النون وكسرها ـ : سوس الدينار والدرهم . والدوانيقي : لقب لأبـي جـعفر المـنصور وهو الثاني من خلفاء بني العبّاس ، ويُقال له : أبوالدوانيق ، لأنّه لمّا أراد حفر الخندق بالكوفة قسط على كلّ منهم دانق فضّة وأخذه وصرفه إلى الحفر .

قال : فوجّه يقطين أخاه أباموسى في حفرها ، فلم يزل يحفر حتّى ثقبوا ثقباً في أسفل الأرض فخرجت منه الريح .

(قال) : فهالهم ذلك ، فأخبروا به أباموسى ، فقال : أنزلوني .

(قال) : فأُنزل وكان رأس البئر أربعين ذراعاً في أربعين ذراع ، فأُجلس في شقّ محمل ودلي في البئر ، فلمّا صار في قعرها نظر إلى هول ، وسمع دويّ الريح في أسفل ذلك ، فأمرهم أن يوسّعوا الخرق فجعلوه شبه الباب العظيم ، ثمّ دلى فيه رجلاً في شقّ المحمل فقال : إيتوني بخبر هذا ما هو ؟

قال : فنزلا في شقّ محمل فمكثا مليّاً ثمّ حرّكا الحبل فأُصعدا ، فقال لهما : ما رأيتما ؟

قالا : أمراً عظيماً ؛ رجالاً ، ونساءاً ، وبيوتاً ، وآنية ، ومتاعاً ، كلّه ممسوخ من حجارة ، فأمّا الرّجال والنساء فعليهم ثيابهم ، فمن بين قاعد ومضطجع ومتّكئ ، فلمّا مسسناهم إذا ثيابهم تتفشّى شبه الهباء ، ومنازل قائمة .

قال : فكتب بذلك أبو موسى إلى المهدي ، فكتب المهدي إلى المدينة إلى موسى بن جعفر ، يسأله أن يقدم عليه ، فقدم عليه ، فأخبره ، فبكى عليه السلام بكاءاً شديداً ، وقال : «يا أميرالمؤمنين هؤلاء بقيّة قوم عاد ، غضب الله عليهم فساخت بهم منازلهم ، هؤلاء أصحاب الأحقاف» .

قال : فقال له المهدي : يا أباالحسن وما الأحقاف ؟

قال عليه السلام : «الرمل» .

وحدّث أبو أحمد هاني بن محمّد العبدي[1] قال : حدّثني أبو محمّد رفعه إلى موسى بن جعفر عليه السلام قال : «لمّا أُدخلت على الرشيد ، سلّمت عليه ، فردّ عَلَيّ السّلام ، ثمّ قال : يا موسى بن جعفر خليفتان يجيء إليهما الخراج ؟

فقلت : يا أميرالمؤمنين أُعيذك بالله أن تبوء بإثمي وإثمك ، فتقبل الباطل من أعدائنا علينا ، فقد علمت بأنّه قد كذّب علينا منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ، أمّا علم ذلك عندك ، فإن رأيت بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله أن تأذن لي أُحدّثك بحديث أخبرني به أبي عن آبائه عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

فقال : قد أذنت لك .

فقلت : أخبرني أبي عن آبائه عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال : «إنّ الرحم إذا مسّت الرّحم تحرّكت واضطربت» ؛ فناولني يدك جعلني الله فداك .

---

(١) في رجال المامقاني ج٣ ص ٢٩٠ : نقل الوحيد رواية الصدوق عنه مترضّياً عليه وهو دليل على وثاقته .

قال : اُدن منّي ، فدنوت منه ، فأخذ بيدي ثمّ جذبني إلى نفسه وعانقني طويلاً ، ثمّ تركني ، وقال : اجلس يا موسى ! فليس عليك بأس .

فنظرت إليه فإذا به قد دمعت عيناه ، فرجعت إلى نفسي .

فقال : صدقت وصدق جدّك ، لقد تحرّك دمي واضطربت عروقي ، حتّى غلبت عَلَيّ الرقّة ، وفاضت عيناي ، وأنا اُريد أن أسألك عن أشياء تتلجلج في صدري منذ حين لم أسأل عنها أحداً ، فإن أنت أجبتني عنها خلّيت عنك ولم أقبل قول أحد فيك ، وقد بلغني أنّك لم تكذب قط ، فأصدقني فيما أسألك ما في قلبي .

فقلت : ماكان علمه عندي فإنّي مخبرك به إن أنت أمنتني .

قال : لك الأمان إن صدقتني وتركت التقيّة الّتي تعرفون بها معاشر بني فاطمة .

فقلت : ليسأل أميرالمؤمنين عمّا يشاء .

قال : أخبرني لم فضّلتم علينا ونحن وأنتم من شجرة واحدة ، وبنو عبدالمطّلب ونحن وأنتم واحد ؛ إنّا بنو عبّاس وأنتم ولد أبي طالب ، وهما عمّا رسول الله ﷺ وقرابتهما منه سواء ؟

فقلت : نحن أقرب .

قال : وكيف ذاك ؟

قلت : لأنّ عبدالله وأباطالب لأب واُمّ ، وأبوكم العبّاس ليس هو من اُمّ عبدالله ولا من اُمّ أبي طالب .

قال : فلم ادّعيتم أنّكم ورثتم النّبيّ ﷺ ، والعم يحجب ابن العم ، وقبض رسول الله ﷺ وقد توفّي أبوطالب قبله والعبّاس عمّه حي ؟

فقلت له : إن رأى أميرالمؤمنين أن يعفني عن هذه المسألة ويسألني عن كلّ باب سواه يريده .

فقال : لا ، أو تجيب .

فقلت : فآمنّي .

قال : أمنتك قبل الكلام .

فقلت : إنّ في قول عليّ بن أبي طالب عليه السلام إنّه ليس مع ولد الصلب ذكراًكان أو اُنثى لأحد سهم ، إلّا الأبوين والزوج والزوجة ، ولم يثبت للعم مع ولد الصلب ميراث ، ولم ينطق به الكتاب العزيز والسنّة إلّا أنّ تيماً وعدياً وبني اُميّة قالوا : «العم والد» رأياً منهم بلا حقيقة ، ولا أثر عن رسول الله ﷺ ، ومن قال بقول عليٍّ من العلماء قضاياهم خلاف قضايا هؤلاء ، هذا نوح بن درّاج يقول

في هذا المسألة بقول عليّ ، وقد حكم به ، وقد ولّاه أميرالمؤمنين المصرين الكوفة والبصرة ، وقضى به ، فأُنهي إلى أميرالمؤمنين فأمر بإحضاره وإحضار من يقول بخلاف قوله ، منهم : سفيان الثوري ، وإبراهيم المازني ، والفضيل بن عياض ، فشهدوا أنّه قول عليّ عليه السلام في هذه المسألة ، فقال لهم فيما بلّغني بعض العلماء من أهل الحجاز : لم لا تفتون وقد قضى نوح بن درّاج ؟

فقالوا : جَسَرَ وجبنّا ، وقد أمضى أميرالمؤمنين قضيّته بقول قدماء العامّة عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : «أقضاكم علي» وكذلك عمر بن الخطّاب قال : عليّ أقضانا ؛ وهو اسم جامع ، لأنّ جميع ما مدح به النّبيّ صلى الله عليه وآله أصحابه من القرابة والفرائض والعلم داخل في القضاء .

قال : زدني يا موسى !

قلت : المجالس بالأمانات وخاصّة مجلسك .

فقال : لا بأس به .

فقلت : إنّ النّبيّ لم يورّث من لم يهاجر ، ولا أثبت له ولاية حتّى يهاجر .

فقال : ما حجّتك فيه .

قلت : قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾[1] وإنّ عمّي العبّاس لم يهاجر .

فقال لي : إنّي أسألك يا موسى هل أفتيت بذلك أحداً من أعدائنا ، أو أخبرت أحداً من الفقهاء في هذه المسألة بشيء ؟

فقلت : اللّهمّ لا ، وما سألني عنها إلّا أميرالمؤمنين .

ثمّ قال لي : لِمَ جوّزتم للعامّة والخاصّة أن ينسبوكم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويقولوا لكم : يا بني رسول الله ، وأنتم بنو عليّ ، وإنّما ينسب المرء إلى أبيه ، وفاطمة إنّما هي وعاء ، والنبيّ جدّكم من قبل اُمّكم .

فقلت : يا أميرالمؤمنين لو أنّ النّبيّ نشر فخطب إليك كريمتك ، هل كنت تجيبه ؟

قال : سبحان الله ، ولم لا أجبه ، بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بذلك ؟

فقلت له : لكنّه لا يخطب إليّ ولا اُزوّجه .

فقال : ولم ؟

---

(١) الأنفال ٧٢.

فقلت : لأنّه ولدني ولم يلدك .

فقال : أحسنت يا موسى ! ثمّ قال :كيف قلتم إنّا ذرّيّة النّبيّ والنّبيّ لم يعقّب ، وإنّما يعقّب الذكر لا الأُنثى ، وأنتم ولد الإبنة ولا يكون ولدها عقباً له ؟

فقلت : أسألك بحقّ القرابة والقبر ومن فيه ، إلّا أعفيتني عن هذه المسألة .

فقال : لا أو تخبرني بحجّتكم فيه يا ولد علي ! وأنت يا موسى يعسوبهم ، وإمام زمانهم ،كذا أُنهي إليّ ، ولست أعفيك في كلّ ما سألتك عنه ، حتّى تأتيني فيه بحجّة من كتاب الله ، وأنتم تدّعون معشر ولد علي أنّه لا يسقط عنكم منه شيء ألف ولا واو إلّا تأويله عندكم ، واحتججتم بقوله ﷻ : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾[١] واستغنيتم عن رأي العلماء وقياسهم .

فقلت : تأذن لي في الجواب ؟

قال : هات .

فقلت : أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾[٢] من أبو عيسى يا أميرالمؤمنين ؟

فقال : ليس لعيسى أب .

فقلت : إنّما ألحقناه بذراري الأنبياء عليهم السلام من طريق مريم عليها السلام وكذلك ألحقنا بذراري النّبيّ صلى الله عليه وآله من قبل أُمّنا فاطمة ، أزيدك يا أميرالمؤمنين ؟

قال : هات .

قلت : قول الله ﷻ : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾[٣] ولم يدّع أحد أنّه أدخله النّبيّ صلى الله عليه وآله تحت الكساء عند مباهلة النصارى إلّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام وفاطمة ، والحسن والحسين ؛ أبناءنا : الحسن والحسين ، ونسائنا : فاطمة ، وأنفسنا : عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، على أنّ العلماء قد أجمعوا على أنّ جبرئيل قال يوم أُحد : «يا محمّد إنّ هذه لهي المواساة من علي» . قال :

---

(١) الأنعام ٣٨.

(٢) الأنعام ٨٤و ٨٥.

(٣) آل عمران ٦١.

«لأنّه منّي وأنا منه» . فقال جبرئيل : وأنا منكما يا رسول الله[1] ثمّ قال : لا سيف إلّا ذوالفقار ولا فتى إلّا علي ، فكان كما مدح الله ﷻ به خليله عليه السلام إذ يقول : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتىً يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾[2] إنّا نفتخر بقول جبرئيل أنّه منّا .

فقال : أحسنت يا موسى ! إرفع إلينا حوائجك .

فقلت له : إنّ أوّل حاجة لي أن تأذن لابن عمّك أن يرجع إلى حرم جدّه وإلى عياله .

فقال : ننظر إنشاء الله» .

وروي أنّ المأمون قال لقومه : أتدرون من علّمني التشيّع ؟

فقال القوم : لا والله ما نعلم ذلك .

قال : علّمنيه الرشيد !

قيل له : وكيف ذلك ، والرشيد يقتل أهل البيت ؟!

قال : كان الرشيد يقتلهم على الملك ، لأنّ الملك عقيم ، ثمّ قال : إنّه دخل موسى بن جعفر على الرشيد يوماً فقام إليه ، واستقبله وأجلسه في الصدر وقعد بين يديه ، وجرى بينهما أشياء ، ثمّ قال موسى بن جعفر لأبي : «يا أميرالمؤمنين إنّ الله ﷻ قد فرض على الولاة عهده : أن ينعشوا فقراء هذه الأُمّة ، ويقضوا عن الغارمين ، ويؤدّوا عن المثقل ، ويكسوا العاري ، ويحسنوا إلى العاني ، وأنت أولى من يفعل ذلك» .

فقال : أفعل يا أباالحسن . ثمّ قام ، فقام الرشيد لقيامه : وقبّل بين عينيه وجهه ، ثمّ أقبل عَلَيّ وعلى الأمين والمؤتمن فقال : يا عبدالله ! ويا محمّد ! ويا إبراهيم ! إمشوا بين يدي ابن عمّكم وسيّدكم ، خذوا بركابه ، وسوّوا عليه ثيابه ، وشيّعوه إلى منزله .

فأقبل إليّ أبوالحسن موسى بن جعفر سرّاً بيني وبينه فبشّرني بالخلافة ، وقال لي : «إذا ملكت هذا الأمر فأحسن إلى ولدي» .

ثمّ انصرفنا وكنت أجرأ ولد أبي عليه ، فلمّا خلا المجلس قلت : يا أميرالمؤمنين ومن هذا الرجل الذي أعظمته وأجللته ، وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته ، وأقعدته في صدر المجلس ، وجلست دونه ، ثمّ أمرتنا بأخذ الركاب له ؟

---

(١) راجع هامش الجزء الأوّل من هذا الكتاب ص .

(٢) الأنبياء ٦٠.

قال : هذا إمام النّاس ، وحجّة الله على خلقه ، وخليفته على عباده .

فقلت : يا أميرالمؤمنين أوليست هذه الصفات كلّها لك وفيك ؟

فقال : أنا إمام الجماعة في الظاهر بالغلبة والقهر ، وموسى بن جعفر إمام حقّ ، والله يا بني إنّه لأحقّ بمقام رسول الله منّي ومن الخلق جميعاً ، ووالله لو نازعتني في هذا الأمر لأخذت الّذي فيه عيناك ، لأنّ الملك عقيم .

فلمّا أراد الرحيل من المدينة إلى مكّة أمر بصرّة سوداء فيها مائتا دينار ، ثمّ أقبل على الفضل فقال له : إذهب إلى موسى بن جعفر وقل له : يقول لك أميرالمؤمنين : نحن في ضيقة وسيأتيك برّنا بعد هذا الوقت .

فقمت في وجهه فقلت : يا أميرالمؤمنين ! تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر قريش وبني هاشم ومن لا تعرف حسبه ونسبه : خمسة آلاف دينار إلى ما دونها ، وتعطي موسى بن جعفر وقد عظّمته وأجللته مائتي دينار ، وأخسّ عطيّة أعطيتها أحداً من النّاس ؟

فقال : أُسكت لا أُمّ لك ، فإنّي لو أعطيته هذا ما ضمنته له ، ماكنت آمنه أن يضرب وجهي غداً بمائةألف سيف من شيعته ومواليه ، وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم وأغنائهم.

وقيل : ولمّا دخل هارون الرشيد المدينة ، توجّه لزيارة النّبيّ ﷺ ومعه النّاس ، فقدم إلى قبر النّبيّ ﷺ فقال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يابن العمّ ؛ مفتخراً بذلك على غيره .

فتقدّم أبوالحسن موسى بن جعفر إلى القبر فقال : «السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبه» .

فتغيّر وجه الرشيد وتبيّن الغيظ فيه .

وروي عن أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام أنّه قال : «لمّا سمعت هذا البيت ـ وهو لمروان بن أبي حفصة ـ :

أنّى يكون ولا يكون ولم يكن   لبني البنات وراثة الأعمام

دار في ذلك ليلتي ، فنمت تلك الليلة فسمعت هاتفاً في منامي يقول :

أنّى يكون ولا يكون ولم يكن   للمشركين دعائم الإسلام

لبني البنات نصيبهم من جدّهم   والعم متروك بغير سهام

مـــا للـطليق وللـتراث وإنّـما | سجد الطليق مخافة الصمصام[١]
وبقى ابن نـثلة[٢] واقـفاً مـتلدداً | فــيه ويــمنعه ذوو الأرحــام
إنّ ابــن فـاطمة المـنوّه بـاسمه | حاز التراث سوى بـني الأعـمام

وسأل محمّد بن الحسن أباالحسن موسى عليه السلام ـ بمحضر من الرشيد وهم بمكّة ـ فقال له : أيجوز للمحرم أن يظلّل عليه محمله ؟

فقال له موسى عليه السلام : «لا يجوز له ذلك مع الإختيار» .

فقال له محمّد بن الحسن : أفيجوز أن يمشي تحت الظلال مختاراً ؟

فقال له عليه السلام : «نعم» .

فتضاحك محمّد بن الحسن من ذلك !

فقال له أبوالحسن موسى عليه السلام : «أتعجب من سنّة النّبيّ وتستهزئ بـها ؟ إنّ رسـول الله صلى الله عليه وآله كشف ظلاله في إحرامه ، ومشى تحت الظلال وهو محرم ، إنّ أحكام الله تعالى يا محمّد لا تقاس ، فمن قاس بعضها على بعض فقد ضلّ عن السّبيل» .

فسكت محمّد بن الحسن لا يرجع جواباً .

وقد جرى لأبي يوسف مع أبي الحسن موسى صلوات الله عليه بمحضر المهدي ما يقرب من ذلك وهو : أنّ موسى عليه السلام سأل أبايوسف عن مسألة ليس فيها عنده شيء .

---

(١) يريد بالطليق : العبّاس بن عبدالمطّلب عمّ الرسول ، حيث أُسر يوم بدر ، أسره أبو يسر كعب بن عمرو الأنصاري ، وكان رجلاً صغير الجثّة ، وكان العبّاس رجلاً عظيماً قويّاً ، فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله لأبي يسر : «كيف أسرته» ؟
قال : أعانني رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده .
فقال صلى الله عليه وآله : «لقد أعانك عليه ملك كريم» .
ولمّا أمسى القوم والأُسارى محبوسون في الوثاق ، وفيهم العبّاس ، بات رسول الله صلى الله عليه وآله تلك الليلة ساهراً ، فقال له بعض أصحابه : ما يسهرك يا رسول الله ؟
قال صلى الله عليه وآله : «سمعت أنين العبّاس» .
فقام رجل من القوم فأرخى من وثاقه شيئاً .
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «ما بالي لا أسمع أنين العبّاس» ؟
فقال رجل من القوم : أرخيت من وثقاه شيئاً .
قال صلى الله عليه وآله : «إفعل ذلك بالأُسارى كلّهم» . [راجع : تاريخ الطبري ٢٨٨/٢ ، والدرجات الرفيعة للسيّد علي خان المدني ٨٠]

(٢) والمراد بابن نثلة : العبّاس ، فإنّ إسم أمّه كانت نثلة .

فقال لأبي الحسن موسى عليه السلام : إنّي أُريد أن أسألك عن شيء .

قال عليه السلام : «هات» .

فقال : ما تقول في التظليل للمحرم ؟

قال عليه السلام : «لا يصلح» .

قال : فيضرب الخباء في الأرض فيدخل فيه ؟

قال عليه السلام : «نعم» .

قال : فما فرّق بين هذا وذاك ؟

قال أبوالحسن موسى عليه السلام : «ما تقول في الطامث تقضي الصلاة» ؟

قال : لا .

قال عليه السلام : «تقضي الصوم» ؟

قال : نعم .

قال عليه السلام : «ولم» ؟

قال : إنّ هذا كذا جاء .

قال أبوالحسن عليه السلام : «وكذلك هذا» .

قال المهدي لأبي يوسف : ما أراك صنعت شيئاً !

قال : يا أميرالمؤمنين رماني بحجّة .

وعن أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام قال : «قال رجل من خواصّ الشيعة لموسى بن جعفر عليه السلام ـ وهو يرتعد بعد ما خلا به ـ : يابن رسول الله ما أخوفني أن يكون فلان بن فلان ينافقك في إظهاره اعتقاد وصيّتك وإمامتك .

فقال موسى عليه السلام : وكيف ذاك ؟

قال : لأنّي حضرت معه اليوم في مجلس فلان ، وكان معه رجل من كبار أهل بغداد ، فقال له صاحب المجلس : أنت تزعم أنّ صاحبك موسى بن جعفر إمام دون هذا الخليفة القاعد على سريره ؟ قال له صاحبك هذا : ما أقول هذا ، بل أزعم أنّ موسى بن جعفر غير إمام ، وإن لم أكن أعتقد أنّه غير إمام فعَلَيّ وعلى من لم يعتقد ذلك لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين .

فقال له صاحب المجلس : جزاك الله خيراً ، ولعن من وشى بك إليّ .

فقال له موسى بن جعفر عليه السلام :ليس كما ظننت ، ولكن صاحبك أفقه منك ، إنّما قال : موسى غير إمام أي إنّ الّذي هو غير إمام فموسى غيره ، فهو إذاً إمام ، فإنّما أثبت بقوله هذا إمامتي ونفى إمامة غيري[1] .

يا عبدالله !متى يزول عنك هذا الّذي ظننته بأخيك ؟ هذا من النفاق ، تب إلى الله ، ففهم الرّجل ما قاله واغتمّ ، ثمّ قال : يابن رسول الله مالي مال فأُرضيه به ، ولكن قد وهبت له شطر عملي كلّه ، من تعبّدي وصلاتي عليكم أهل البيت ، ومن لعنتي لأعدائكم .

قال موسى عليه السلام : الآن خرجت من النّار .

وروى أيضاً عنه عليه السلام أنّه قال : «فقيه واحد ينقذ يتيماً من أيتامنا ، المنقطعين عن مشاهدتنا ، بتعليم ما هو محتاج إليه ، أشدّ على إبليس من ألف عابد ، لأنّ العابد همّه ذات نفسه فقط ، وهذا همّه مع ذات نفسه ذات عباد الله وإمائه ، لينقذهم من يد إبليس ومردته ، ولذلك هو أفضل عند الله من ألف عابد ، وألف ألف عابد» .

وروي أنّ عليه السلام كان حسن الصوت ، وحسن القراءة ، وقال يوماً من الأيّام : «إنّ عليّ بن الحسين عليه السلام كان يقرأ «القرآن» فربّما مرّ به المارّ فصعق من حسن صوته ، وإنّ الإمام لو أظهر من ذلك شيئاً لما احتمله النّاس» .

قيل له : ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلّي بالنّاس ويرفع صوته بالقرآن ؟

فقال عليه السلام : «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يحمل من خلفه ما يطيقون» .

احتجاج أبي الحسن عليّ بن موسى الرّضاعليه السلام في التوحيد والعدل وغيرهما على المخالف والمؤالف والأجانب والأقارب

دخل عليه رجل فقال له : يابن رسول الله ما الدليل على حدوث العالم ؟

فقال عليه السلام : «إنّك لم تكن ثمّ كنت ، وقد علمت أنّك لم تكوّن نفسك ، ولا كوّنك من هو مثلك» .

وعن محمّد بن عبدالله الخراساني خادم الرّضا عليه السلام قال : دخل رجل من الزنادقة على الرّضا عليه السلام ـ

(١) توضيح ذلك أنّه أراد : أنا أزعم أنّ إمامك هذا القاعد على سريره هو إمام ضلال ، وموسى بن جعفر عليه السلام هو إمام من غير هذا النوع .

وعنده جماعة ـ فقال له أبوالحسن عليه السلام : «أرأيت إن كان القول قولكم ـ وليس هو كما تقولون ـ ألسنا وإيّاكم شرعاً سواء ، ولا يضرّنا ما صلّينا وصمنا وزكّينا وأقررنا» ؟

فسكت .

فقال أبوالحسن عليه السلام : «وإن لم يكن القول قولنا ـ وهو كما نقول ـ ألستم قد هلكتم ونجونا» ؟

قال الزنديق : رحمك الله فأوجدني كيف هو ، وأين هو ؟

قال عليه السلام : «ويلك ! إنّ الّذي ذهبت إليه غلط ، وهو أيّن الأين ، وكان ولا أين ، وهو كيّف الكيف ، وكان ولا كيف ، ولا يعرف بكيفوفيّة ، ولا بإينونيّة ، ولا يدرك بحاسّة ، ولا يقاس بشيء» .

قال الرجل : فإذن إنّه لا شيء ، إذ لم يدرك بحاسّة من الحواس !

فقال أبوالحسن عليه السلام : «ويلك ! لمّا عجزت حواسّك عن إداركه أنكرت ربوبيّته ، ونحن إذا عجزت حواسّنا عن إدراكه أيقنّا أنّه ربّنا ، وأنّه شيء بخلاف الأشياء» .

قال الرّجل : فأخبرني متى كان ؟

قال أبوالحسن عليه السلام : «أخبرني متى لم يكن ، فأُخبرك متى كان» !

قال الرّجل : فما الدليل عليه ؟

قال أبوالحسن عليه السلام : «إنّي لمّا نظرت إلى جسدي فلم يمكنّي فيه زيادة ولا نقصان في العرض والطول ، ودفع المكاره عنه ، وجرّ المنفعة إليه ، علمت أنّ لهذا البنيان بانياً ؛ فأقررت به ، مع ما أرى من دوران الفلك بقدرته ، وإنشاء السحاب ، وتصريف الرياح ، ومجرى الشمس والقمر والنجوم ، وغير ذلك من الآيات العجيبات المتقنات ، علمت أنّ لهذا مقدّراً ومنشئاً» .

قال الرجل : فلم لا تدركه حاسّة البصر ؟

قال عليه السلام : «للفرق بينه وبين خلقه الّذين تدركهم حاسّة الأبصار ، منهم ومن غيرهم ، ثمّ هو أجلّ من أن يدركه بصر ، أو يحيط به وهم ، أو يضبطه عقل» .

قال : فحدّه لي !

قال عليه السلام : «لا حدّ له» .

قال : ولِمَ ؟

قال عليه السلام : «لأنّ كلّ محدود متناه ، وإذا احتمل التحديد احتمل الزيادة ، وإذا احتمل الزيادة احتمل النقصان ، فهو غير محدود ، ولا متزايد ولا متناقص ، ولا متجزّي ، ولا متوهّم» .

قال الرجل : فأخبرني عن قولكم : إنّه لطيف ، وسميع ، وبصير ، وعليم وحكيم ، أيكون السميع إلّا بالأُذن ، والبصير إلّا بالعين ، واللطيف إلّا بعمل اليدين ، والحكيم إلّا بالصنعة ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : «إنّ اللطيف منّا على حدّ إيجاد الصنعة ، أوما رأيت أنّ الرّجل اتّخذ شيئاً فيلطف في اتّخاذه ؟ فيقال : ما ألطف فلاناً ، فكيف لا يقال للخالق الجليل : «لطيف» إذ خلق خلقاً لطيفاً وجليلاً ، وركّب في الحيوان منه أرواحها ، وخلق كلّ جنس مبايناً من جنسه في الصورة ، ولا يشبه بعضه بعضاً ، فكلّ به لطف من الخالق اللطيف الخبير في تركيب صورته .

ثمّ نظر إلى الأشجار وحملها أطايبها ؛ المأكولة منها وغير المأكولة ، فقلنا عند ذلك أنّ خالقنا «لطيف» لا كلطف خلقه في صنعتهم ، وقلنا أنّه «سميع» لأنّه لا يخفى عليه أصوات خلقه ، مابين العرش إلى الثرى ، من الذرّة إلى ما أكبر منها ، في برّها وبحرها ، ولا يشتبه عليه لغاتها ، فقلنا عند ذلك أنّه «سميع» لا بأُذن ، وقلنا أنّه «بصير» لا يبصر ، لأنّه يرى أثر الذرّة السمحاء في الليلة الظلماء على الصخرة السوداء ، ويرى دبيب النمل في الليلة الدجيّة ، ويرى مضارّها ومنافعها ، وأثر وسفادها ، وفراخها ونسلها ، فقلنا عند ذلك أنّه «بصير» لا كبصر خلقه» .

قال : فما برح حتّى أسلم . وفيه كلام غير هذا .

وروي عنه عليه السلام في خبر آخر أنّه قال : «إنّما يسمّى الله تعالى بـ «العالم» لغير علم حادث ، علم به الأشياء ، واستعان به على حفظ ما يستقبل من أمره ، والرؤية فيما يخلق ، وإنّما سمّي «العالم» من الخلق : عالماً لعلم حادث ، إذكان قبله جاهلاً ، وربّما فارقهم العلم بالأشياء فصار إلى الجهل ، وإنّما سمّي الله «عالماً» لأنّه لا يجهل شيئاً ، فقد جمع الخالق والمخلوق اسم العالم ، واختلف المعنى ، وهو الله تعالى «قائم» .

وأمّا «القائم» فليس على معنى انتصاب وقيام على ساق في كبد ، كما قامت الأشياء ، ولكن أخبر أنّه قائم يخبر أنّه «حافظ» كقولك : فلان القائم بأمرنا ، وهو جلّ جلاله القائم على كلّ نفس بما كسبت ، والقائم أيضاً في كلام النّاس «الباقي» والقائم أيضاً «الكافي» كقولك للرّجل : قم بأمر كذا ، أي أكفه ، والقائم منّا قائم على ساق ، فقد جمعنا الإسم ولم يجمعنا المعنى .

وأمّا «الخبير» فالّذي لا يعزب عنه شيء ولا يفوته ، وليس بالتجربة والإعتبار بالأشياء فتفيده التجربة والإعتبار علماً لولاهما لما علم ، لأنّ من كان كذلك كان جاهلاً ، والله تعالى لم يزل خبيراً بما يخلق ، والخبير من النّاس المستخبر ، فقد جمعنا الإسم واختلف المعنى .

وأمّا «الظاهر» فليس من أنّه علا الأشياء بركوب فوقها ، وقعود عليها ، وتسنّم لذراها ، ولكن ذلك لقهره وغلبته الأشياء وقدرته عليها كقول الرّجل : ظهرت على أعدائي ، وأظهرني الله على خصمي ، إذا أخبر عن الفلج والظفر ، فهكذا ظهور الله على الأشياء .

ووجه آخر : إنّه الظاهر لمن أراده لا يخفى عليه ، لمكان الدليل والبرهان على وجوده في كلّ ما دبّره وصنعه ممّا يرى ، فأيّ ظاهر أظهر وأوضح أمراً من الله تبارك وتعالى ، فإنّك لا تعدم صنعته حيثما توجّهت ، وفيك من آثاره ما يغنيك ، والظاهر منّا البارز بنفسه ، المعلوم بحدّه ، فقد جمعنا الإسم ولم يجمعنا المعنى . .

وأمّا «الباطن» فليس على معنى الإستبطان للأشياء بأن يغور فيها ، ولكن ذلك منه على استبطانه للأشياء علماً وحفظاً وتدبيراً ، كقول القائل : بطنته بمعنى «خبرته» وعلمت مكنون سرّه ، والباطن منّا الغاير في الشيء المستتر فيه ، فقد جمعنا الإسم واختلف المعنى» .

قال عليه السلام : «وهكذا جميع الأسماء وإن كنّا لم نسمّها كلّها» .

وكان المأمون لمّا أراد أن يستخلف الرّضا عليه السلام جمع بني هاشم ، فقال : إنّي أُريد أن أستعمل الرّضا على هذا الأمر من بعدي .

فحسده بنو هاشم وقالوا : أتولّي رجلاً جاهلاً ، ليس له بصر بتدبير الخلافة ؟ فابعث إليه يأتنا فترى من جهله ما تستدلّ به !

فبعث إليه ، فأتاه ، فقال له بنو هاشم : يا أباالحسن إصعد المنبر وانصب لنا علماً نعبد الله عليه .

فصعد عليه السلام المنبر ، فقعد مليّاً ، لا يتكلّم مطرقاً ، ثمّ انتفض انتفاضة فاستوى قائماً وحمد الله تعالى وأثنى عليه ، وصلّى على نبيّه وأهل بيته ، ثمّ قال عليه السلام : «أوّل عبادة الله معرفته ، وأصل معرفة الله توحيده ، ونظام توحيده نفي الصفات عنه[1] ، بشهادة العقول أنّ كلّ صفة وموصوف مخلوق ، وشهادة كلّ مخلوق أنّ له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف ، وشهادة كلّ صفة وموصوف بالإقتران ، وشهادة الإقتران بالحدث ، وشهادة الحدث بالإمتناع من الأزل الممتنع من

---

(١) «أوّل عبادة الله» أي أشرفها وأقدمها رتبة «معرفته» تعالى لأنّ الطاعة والعبادة تأتي بعد المعرفة فهي متأخرة رتبة عنها ، ولا تقبل عبادة بدون المعرفة ، فهي دونها في الشرف أيضاً «وأصل معرفة الله توحيده» أي تنزيهه عن التركيب والشركة «ونظام التوحيد» أي تمامه وكماله «نفي الصفات الزائدة عنه» فلا يتمّ التوحيد إلّا بالقول بأنّ صفاته تعالى عين ذاته .

الحدث[1] فليس الله عرف من عرف ذاته بالتشبيه ، ولا إيّاه وحّد من اكتنهه ، ولا حقيقته أصاب من مثّله ، ولا به صدّق من نهاه ، ولا صمد صمده من أشار إليه ، ولا إيّاه عنى من شبّهه ، ولا له تذلّل من بعّضه ، ولا إيّاه أراد من توهّمه[2] ، كلّ معروف بنفسه مصنوع ، وكلّ قائم في سواه معلول[3] بصنع الله يستدلّ عليه ، وبالعقول يعتقد معرفته ، وبالفطرة تثبت حجّته[4] خَلْقُ الله الخَلْقَ حجابٌ بينه وبينهم[5] ومفارقته إيّاهم مباينة بينه وبينهم ، وابتداؤه إيّاهم دليل على أن لا إبتداء له ، لعجز

---

(١) ثمّ إنّه عليه السلام شرع بإقامة الدليل على نفي الصفات الزائدة على الذات ، فقال : «لشهادة العقول أنّ كلّ صفة وموصوف مخلوق» وذلك أنّ الصّفة لا قوّة لها إلّا بالموصوف فهي محتاجة إليه لا تنفك عنه ، وبها كمال الموصوف فهو محتاج إليها ، والحاجة دليل الإمكان «وشهادة كلّ مخلوق أنّ له خالقاً» غنيّاً بذاته «ليس بصفة» حتّى يفتقر إلى الموصوف ليقوم به ذاته «ولا موصوف» حتّى يحتاج إلى الصفة لكي يكمل بها ذاته «وشهادة كلّ صفة وموصوف بالإقتران» لما عرفت من حاجة بعضها إلى الآخر وشهادة الإقتران بالحدث ... الخ . توضيح ذلك هو أنّ الصفة والموصوف إمّا أن يكونا قديمَين ، أو يكون أحدهما قديماً والآخر حادثاً ، أو يكون حادثَين ، ولا رابع لهذا الحصر الثلاثي .

والأوّل باطل لما يلزم منه القول بتعدّد القدماء وقد ثبت بطلانه .

والثاني يبطله الإقتران والحاجة والإفتقار لما ألمحنا إليه آنفاً وحينئذٍ يثبت القول الثالث وهو المطلوب .

(٢) «فليس الله» الواجب الوجود الواحد الأحد «عرف من عرف بالتشبيه ذاته» بل عرف ممكناً من مخلوقاته «ولا إيّاه وحّد من اكتنهه» أي جعل له كنهاً «ولا حقيقته أصاب من مثّله» أي جعل له مثلاً وصورة ؛ سواء كانت ذهنيّة أو خارجيّة «ولا به صدّق من نهاه» أي جعل له حدّاً ونهاية «ولا صمد صمده» أي قصد نحوه «من أشار إليه» سواء بالإشارة الحسّيّة أو الذهنيّة «ولا إيّاه عنى من شبّهه» وإنّما عنى ممكناً من الممكنات ، ومخلوقاً من جملة المخلوقات «ولا له تذلّل» أي تعبّد «من بعّضه» أي جعل له أبعاضاً وجزّأه فهو إنّما عبد جسماً مخلوقاً مركّباً له أجزاء وأبعاض «ولا إيّاه أراد من توهّمه» أي : تصوّر له صورة ذهنيّة .

(٣) «كلّ معروف بنفسه» أي بكنه حقيقته «مصنوع» لما يلزمه من التركيب «وكلّ قائم في سواه» لا يكون علّة لاحتياجه إلى الغير فهو «معلول» .

(٤) «بصنع الله» وحكيم تدبيره «يستدلّ عليه» «وبالعقول تعتقد معرفته» «وبالفطرة» الّتي هي بمعنى الإبتداع أفي الله شكٌّ فاطر السّماوات والأرض «تثبت حجّته» ، ولعلّ في قوله عليه السلام بالفطرة إشارة إلى قول النّبيّ صلى الله عليه وآله : «كلّ مولود يولد على الفطرة إلّا أنّ أبواه يهوّدانه ، أو ينصّرانه ، أو يمجّسانه» فالعقول لو تركت على فطرتها وأصل خلقتها لآمنت به .

(٥) «خلق الله الخلق حجاب» حاجز «بينه» في كماله وغناه ووجوبه الذاتي «وبينهم» في حاجتهم إليه ونقصهم وإمكانهم الذاتي «ومفارقته إيّاهم» في الصفات دليل على «مباينة بينه وبينهم» في الذات . وفي بعض النسخ «ومباينته إيّاهم مفارقته أينيّتهم» أي إنّ مفارقته الأينيّة الّتي هي من لوازم الأجسام دلّت على مباينته إيّاهم في الذات أو أنّ مباينته إيّاهم في الذات دلّت على مفارقته لهم فيما اختصّوا به من الأينيّة فلا يقال له : «أين هو» لأنّ ذاته تباين ذواتهم فلا يلازمها ما يلزم الممكنات .

كلّ مبتدأ عن ابتداء غيره ، وأدوه إيّاهم دليل على أن لا أداة له ، لشهادة الأدوات بفاقة المأدّين ، فأسماؤه تعبير ، وأفعاله تفهيم ، وذاته حقيقة ، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه ، وغيوره تحديد لما سواه ، فقد جهل الله من استوصفه ، وقد تعدّاه من استمثله ، وقد أخطأه من اكتنهه ، ومن قال «كيف» فقد شبّهه ، ومن قال «لِمَ» فقد علّله ، ومن قال «متى» فقد وقّته ، ومن قال «فيم» فقد ضمّنه ، ومن قال «إلى مَ» فقد نهاه ، ومن قال «حتّى مَ» فقد غيّاه ، ومن غيّاه فقد غاياه ، ومن غاياه فقد جزّأه ، ومن جزّأه فقد وصفه ، ومن وصفه فقد ألحد فيه ، ولا يتغيّر الله بتغيّر المخلوق ، كما لا يتحدّد بتحديد المحدود .

أحد لا بتأويل عدد ، ظاهر لا بتأويل المباشرة ، متجلّي لا باستهلال رؤية ، باطن لا بمزايلة ، مباين لا بمسافة ، قريب لا بمداناة ، لطيف لا بتجسّم ، موجود لا بعد عدم ، فاعل لا باضطرار ، مقدّر لا بجول فكرة ، مدبّر لا بحركة ، مريد لا بهمامة ، شاء لا بهمّة ، مدرك لا بمجسّة ، سميع لا بآلة ، بصير لا بأداة ، لا تصحبه الأوقات ، ولا تضمّنه الأماكن ، ولا تأخذه السنات ، ولا تحدّه الصفات ، ولا تقيّده الأدوات ، سبق الأوقات كونه ، والعدم وجوده ، والإبتداء أزله .

بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له ، وبتجهيزه الجواهر عرف أن لا جوهر له ، وبمضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له ، وبمقارنته بين الأُمور عرف أن لا قرين له ، ضادّ النّور بالظلمة ، والجلاية بالبهمة ، والجسوّ[1] بالبلل ، والصرد بالحرور ، مؤلِّفٌ بين متعادياتها ، مفرّق بين متدانياتها ، دالّة بتفريقها على مفرّقها ، وبتأليفها على مؤلّفها ، ذلك قوله ﷻ : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[2] .

ففرّق بين قبل وبعد ، ليعلم أن لا قبل له ولا بعد ، شاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمغرزها ، دالّة بتفاوتها أن لا تفاوت لمفاوتها ، مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقّتها ، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبينها غيره ، له معنى الربوبيّة إذ لا مربوب ، وحقيقة الإلهيّة إذ لا مألوه ، ومعنى العالم ولا معلوم ، ومعنى الخالق ولا مخلوق ، وتأويل السمع ولا مسموع ، ليس منذ خَلَقَ استحقّ معنى اسم الخالق ، ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البارئيّة ، كيف ولا يغيّبه «مذ» ، ولا تدنيه «قد» ، ولا يحجبه «لعلّ» ، ولا يوقّته «متى» ، ولا يشتمله «حين» ، ولا يقارنه «مع» ، إنّما تحدّ

---

(١) جسى الشّيء ، يجسو : إذا يبس وصلب.

(٢) الذاريات ٤٩.

الأدوات أنفسها ، وتشير الآلة إلى نظائرها ، وفي الأشياء توجد فعالها ، منعتها «منذ» القدمة ، وحمتها «قد» الأزليّة ، وجنّبتها «لولا» التكملة ، افترقت فدلّت على مفرّقها ، وتباينت فأعزّت على مباينتها ، بها تجلّى صانعها للعقول ، وبها احتجب عن الرؤية ، وإليها تحاكم الأوهام ، وفيها أثبت غيره ، ومنها أنبط الدليل ، وبها عرف الإقرار ، وبالعقول يعتقد التصديق بالله ، وبالإقرار يكمل الإيمان به .

لا ديانة إلّا بعد معرفته ، ولا معرفة إلّا بالإخلاص ، ولا إخلاص مع التشبيه ، ولا نفي مع إثبات الصفة للتثنية ، وكلّ ما في الخلق لا يوجد في خالقه ، وكلّ ما يمكن فيه يمتنع في صانعه ، ولا يجري عليه الحركة ولا السكون ، وكيف يجري عليه ما هو أجراه ، أو يعود فيه ما هو ابتداه ، إذاً لتفاوتت ذاته ، ولتجزّى كنهه ، ولامتنع من الأزل معناه ، ولماكان للباري معنى غير المبروء ، ولو وجد له وراء وجده له أمام ، ولالتمس التمام إذ لزمه النقصان ، وكيف يستحقّ الأزل من لا يمتنع من الحدث ؟ أم كيف ينشئ الأشياء من لا يمتنع من الإنشاء ؟ إذاً لقامت عليه آية المصنوع ، ولتحوّل دليلاً بعد ماكان مدلولاً عليه ، ليس في محالّ القول حجّة ، ولا في المسألة عنه جواب ، ولا في معناه لله تعظيم ، ولا في إبانته عن الحقّ ضيم ، إلّا بامتناع الأزلي أن يثني ، ولما لا بدئ له أن يبدئ لا إله إلّا الله العليّ العظيم ، كذب العادلون بالله وضلّوا ضلالاً بعيداً ، وخسروا خسراناً مبيناً ، وصلّى الله على محمّد وآله الطّاهرين» .

وروي عن الحسن بن محمّد النوفلي أنّه كان يقول : قدم سليمان المروزي متكلّم خراسان على المأمون فأكرمه ووصله ، ثمّ قال له : إنّ ابن عمّي عليّ بن موسى الرّضا قدم عَلَيّ من الحجاز ـ يحبّ الكلام ـ وأصحابه ، فعليك أن تصير إلينا يوم التروية لمناظرته .

فقال سليمان : يا أميرالمؤمنين إنّي أكره أن أسأل مثله في مجلسك في جماعة من بني هاشم ، فينتقص عند القوم إذاكلّمني ولا يجوز الإستقصاء عليه .

قال المأمون : إنّما وجّهت إليك لمعرفتي بقوّتك ، وليس مرادي إلّا أن تقطعه عن حجّة واحدة فقط.

فقال سليمان : حسبك يا أميرالمؤمنين ! أجمع بيني وبينه ، وخلّني وإيّاه .

فوجّه المأمون إلى الرّضا عليه السلام فقال له : إنّه قدم علينا رجل من أهل مرو ، وهو واحد خراسان من أصحاب الكلام ، فإن خفّ عليك أن تتجشّم المصير إلينا فعلت .

فنهض عليه السلام للوضوء ثمّ حضر مجلس المأمون ، وجرى بينه وبين سليمان المروزي كلام في

البداء بمعنى الظهور ، لتغيّر المصلحة ، واستشهد عليه السلام بآي كثيرة من «القرآن» على صحّة ذلك ، مثل قول الله : ﴿ يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾[١] و﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاء ﴾[٢] و﴿ يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾[٣] و﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُعَمَّرٍ وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ ﴾[٤] و﴿ آخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ الله ﴾[٥] وأمثال ذلك .

فقال سليمان : يا أميرالمؤمنين لا أنكر بعد يومي هذا البداء ، ولا أُكذّب به إن شاء الله[٦] .

فقال المأمون : يا سليمان اسأل أباالحسن عمّا بدا لك ، وعليك بحسن الإستماع والإنصاف !

قال سليمان : يا سيّدي ما تقول فيمن جعل الإرادة إسماً وصفة ، مثل حيّ وسميع وبصير وقدير ؟

قال الرّضا عليه السلام : «إنّما قلتم حدثت الأشياء واختلفت لأنّه شاء وأراد ، ولم تقولوا : حدثت واختلفت ، لأنّه سميع بصير ، فهذا دليل على أنّها ليست مثل سميع وبصير ولا قدير» .

قال سليمان : فإنّه لم يزل مريداً ؟

---

(١) الروم ١١.

(٢) فاطر ١.

(٣) الرعد ٤١.

(٤) فاطر : ١١.

(٥) التوبة ١٠٧.

(٦) عقيدتنا نحن الإماميّة في البداء تتلخّص فيما يلي :

لقد ثبت من الأخبار الواردة عن أئمّة أهل البيت سلام الله عليهم أنّ الله سبحانه وتعالى خلق لوحين أثبت فيهما ما يحدث من الكائنات :

الأوّل : اللوح المحفوظ ؛ وهو اللوح المطابق لعلمه تعالى لا يحدث فيه أيّ تبدّل أو تغيير .

الثاني : لوح المحو والإثبات : وهو الّذي يتغيّر ويتبدّل ما فيه حسب ما تقتضيه الحكمة الإلهيّة قبل وقوعه وتحقّقه في الخارج .

وهذا اللوح ـ أعني لوح المحو والإثبات ـ تتطلّع عليه الرسل والأنبياء والأوصياء والملائكة .

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال : «إنّ لله عِلْمَين : علم مكنون مخزون لا يعلمه إلّا هو من ذلك يكون البداء ، وعلم علّمه ملائكته وأنبياءه ورسوله فنحن نعلمه» .

ومعنى البداء : ظهور الشيء بعد خفائه ، وهو في عقيدة الإماميّة : ظهور الشيء من الله لمن يشاء من خلقه بعد إخفائه عنهم ، فقولنا : «بدا لله» معنا بدا لله شأن أو حكم وليس معناه ظهر له ما خفي عليه ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً .

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال : «إنّ الله لم يبد له من جهل» .

وقال عليه السلام : «ما بدا لله في شيء إلّا كان في علمه قبل أن يبدو له» .

قال ﷺ : «يا سليمان فإرادته غيره» ؟

قال : نعم .

قال ﷺ : «قد أثبتّ معه شيئاً لم يزل» !

قال سليمان : ما أثبت ؟

قال الرّضا ﷺ : «أهي محدثة» ؟

قال سليمان : لا ، ما هي محدثة !

فأعاد عليه المسألة فقال ﷺ : «هي محدثة يا سليمان ؟ فإنّ الشيء إذا لم يكن أزليّاً كان محدثاً ، وإذا لم يكن محدثاً كان أزليّاً» .

قال سليمان : إرادته منه كما أنّ سمعه وبصره وعلمه منه .

قال الرّضا ﷺ : «فإرادته نفسه» ؟

قال : لا .

قال ﷺ : «فليس المريد مثل السميع والبصير» ؟

قال سليمان : إنّما أراد نفسه ، وأبصر نفسه وعلم نفسه .

قال الرّضا ﷺ : «ما معنى أراد نفسه ، أراد أن يكون شيئاً ، أو أراد أن يكون حيّاً ، أو سميعاً ، أو بصيراً ، أو قديراً» ؟

قال : نعم .

قال الرّضا ﷺ : «أفبإرادته كان ذلك» ؟

قال سليمان : نعم .

قال الرّضا ﷺ : «فليس لقولك أراد أن يكون حيّاً سميعاً بصيراً معنى ، إذ لم يكن ذلك بإرادته» .

قال سليمان : بلى قد كان ذلك بإرادته .

فضحك المأمون ومن حوله ، وضحك الرّضا ﷺ ، ثمّ قال لهم : «إرفقوا بمتكلّم خراسان» !

فقال ﷺ : «يا سليمان فقد حال عندكم عن حالة وتغيّر عنها ، وهذا ممّا لا يوصف الله ﷻ به» .

فانقطع .

ثمّ قال الرّضا ﷺ : «يا سليمان أسألك عن مسألة» ؟

قال : سل جعلت فداك !

قال عليه السلام : «أخبرني عنك وعن أصحابك تكلّمون النّاس بما تفقهون وتعرفون ، أو بما لا تفقهون وتعرفون» ؟

فقال : بل بما نفقهه ونعلم .

قال الرّضا عليه السلام : «فالذي يعلم النّاس أنّ المريد غير الإرادة ، وأنّ المريد قبل الإرادة ، وأنّ الفاعل قبل المفعول ، وهذا يبطل قولكم : إنّ الإرادة والمريد شيء واحد» .

قال : جعلت فداك ! ليس ذلك منه على ما يعرف النّاس ، ولا على ما يفقهون .

قال عليه السلام : «فأراكم ادّعيتم على ذلك بلا معرفة ، وقلتم : الإرادة كالسمع والبصر ، إذا كان ذلك عندكم على ما لا يعرف ولا يعقل» .

فلم يحر جواباً .

ثمّ قال الرّضا عليه السلام : «هل يعلم الله تعالى جميع ما في الجنّة والنّار» ؟

قال سليمان : نعم .

قال عليه السلام : «فيكون ما علم الله عزّ وجلّ أنّه يكون من ذلك» ؟

قال : نعم .

قال عليه السلام : «فإذا كان حتّى لا يبقى منه شيء إلّا كان ، أيزيدهم أو يطويه عنهم» ؟

قال سليمان : بل يزيدهم .

قال عليه السلام : «فأراه في قولك قد زادهم مالم يكن في علمه أنّه يكون» .

قال : جعلت فداك ! فالمزيد لا غاية له .

قال عليه السلام : «فليس يحيط علمه عندكم بما يكون فيما إذا لم يعرف غاية ذلك ، وإذا لم يحط علمه بما يكون فيهما لم يعلم ما يكون فيهما قبل أن يكون ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً» .

قال سليمان : إنّما قلت لا يعلمه لأنّه لا غاية لهذا لأنّ الله عزّ وجلّ وصفهما بالخلود ، وكرهنا أن نجعل لهما انقطاعاً .

قال الرّضا عليه السلام : «ليس علمه بذلك بموجب لانقطاعه عنهم ، لأنّه قد يعلم ذلك ثمّ يزيدهم ، ثمّ لا يقطعه عنهم ، ولذلك قال عزّ وجلّ في كتابهم : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ ﴾[1] وقال لأهل الجنّة : ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[2] وقال عزّ وجلّ : ﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لاَ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ

---

(١) النساء ٥٦.

مَمْنُوعَةٍ ﴾(٣) فهو عزّ وجلّ يعلم ذلك ولا يقطع عنهم الزيادة ، أرأيت ما أكل أهل الجنّة وما شربوا أليس يخلف مكانه» ؟

قال : بلى .

قال عليه السلام : «أفيكون يقطع ذلك عنهم وقد أخلف مكانه» ؟

قال سليمان : لا .

قال عليه السلام : «فكذلك كلّما يكون فيها إذا أخلف مكانه فليس بمقطوع عنهم» .

قال سليمان : بلى . يقطعه عنهم ولا يزيدهم .

قال الرّضا عليه السلام : «إذاً يبيد ما فيها ، وهذا يا سليمان إبطال الخلود ، وخلاف الكتاب ، لأنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ لَهُم مَا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾(٤) ويقول عزّ وجلّ : ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ وقال عزّ وجلّ : ﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾(٥) ويقول عزّ وجلّ : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾(٦) ويقول عزّ وجلّ : ﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لاَ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ ﴾» .

فلم يحر جواباً .

ثمّ قال الرّضا عليه السلام : «ألا تخبرني عن الإرادة فعل أم هي غير فعل» ؟

قال : بل هي فعل .

قال عليه السلام : «فهي محدثة لأنّ الفعل كلّه محدث» !

قال : ليست بفعل .

قال عليه السلام : «فمعه غيره لم يزل» ؟

قال سليمان : إنّ الإرادة هي الأشياء .

قال عليه السلام : «يا سليمان هذا الّذي عبتموه على ضرار وأصحابه من قولهم : «إنّ كلّ ما خلق الله عزّ وجلّ في سماء أو أرض أو بحر أو برّ من كلب أو خنزير أو قرد أو إنسان أو دابّة إرادة الله ، وأنّ إرادة الله تحيا وتموت ، وتذهب ، وتأكل وتشرب ، وتنكح ، وتلد وتظلم ، وتفعل الفواحش ، وتكفر ،

---

(٢) هود ١٠٨.

(٣) الواقعة ٣٢ـ٣٣.

(٤) ق ٣٥.

(٥) الحجر ٤٨.

(٦) البقرة ١٦٢.

وتشرك ، فتبرّأ منها وتعاديها وهذا حدّها» .

قال سليمان : إنّها كالسمع والبصر والعلم .

قال الرّضا ﷺ : «قد رجعت إلى هذا ثانية ! فأخبرني عن السمع والعلم أمصنوع» ؟

قال سليمان : لا .

قال الرّضا ﷺ : «فكيف نفيتموه ؟ فمرّة قلتم لم يرد ، ومرّة قلتم أراد ، وليست بمفعول له» .

قال سليمان : إنّما ذلك كقولنا مرّة علم ومرّة لم يعلم .

قال الرّضا ﷺ : «ليس ذلك سواء لأنّ نفي المعلوم ليس ينفي العلم ، ونفي المراد نفي الإرادة أن تكون ، لأنّ الشّيء إذا لم يرد لم تكن إرادة ، وقد يكون العلم ثابتاً وإن لم يكن المعلوم ، بمنزلة البصر فقد يكون الإنسان بصيراً وإن لم يكن المبصر ، ويكون العلم ثابتاً وإن لم يكن المعلوم» .

فلا يزال سليمان يردّد المسألة وينقطع فيها ويستأنف ، وينكر ما كان أقرّ به ، ويقرّ بما أنكر ، وينتقل من شيء إلى شيء ، والرضا صلوات الله عليه ينقض عليه ذلك ، حتّى طال الكلام بينهما ، وظهر لكلّ أحد انقطاعه مرّات كثيرة ، تركنا إيراد ذلك مخالفة التطويل .

فآل الأمر إلى أن قال سليمان : إنّ الإرادة هي القدرة .

قال الرّضا ﷺ : «هو ﷻ يقدر على ما لا يريد أبد الآبدين من ذلك لأنّه قال تبارك وتعالى : ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾[1] فلو كانت الإرادة هي القدرة كان قد أراد أن يذهب به لقدرته» .

فانقطع سليمان وترك الكلام عند هذا الإنقطاع ، ثمّ تفرّق القوم .

وعن صفوان بن يحيى[2] قال: سألني أبو قرة المحدّث صاحب شبرمة أن أدخله على أبي

---

(١) الإسراء ٨٦.

(٢) صفوان بن يحيى : أبو محمّد مولى بني بجيلة بيّاع السابري كوفي .

قال الشيخ الطوسي ﷺ : إنّه أوثق أهل زمانه عند أصحاب الحديث وغيرهم . وكان يصلّي كلّ يوم خمسين ومائة ركعة ، ويصوم في السنة ثلاثة أشهر ، ويخرج زكاة ماله في السنة ثلاث مرّات ، وذلك أنّه اشترك هو وعبدالله بن جندب وعلي بن النعمان في بيت الله الحرام وتعاقدوا جميعاً : إنّ من مات منهم يصلّي من بقي صلاته ويصوم عنه ويزكّي عنه مادام حيّاً ؛ فمات صاحباه وبقي صفوان بعدهما ، وكان يفي لهما بذلك فيصلّي عنهما ، ويحجّ عنهما ، ويصوم عنهما ، ويزكّي عنهما ، وكلّ شيء من البرّ والإحسان يفعله لنفسه كذلك يفعله عن صاحبيه ، وكان وكيل الرضا ﷺ .

الحسن الرّضا عليه السلام ، فأستأذنه فأذن له ، فدخل فسأله عن أشياء من الحلال والحرام ، والفرائض والأحكام ، حتّى بلغ سؤاله إلى التوحيد فقال له : أخبرني جعلني الله فداك عن كلام الله لموسى ؟

فقال عليه السلام : «الله ورسوله أعلم بأيّ لسان كلّمه بالسريانيّة أم بالعبرانيّة» .

فأخذ أبو قرة بيلسانه فقال : إنّما أسألك عن هذا اللسان !

فقال أبوالحسن عليه السلام : «سبحان الله عمّا تقول ، ومعاذ الله أن يشبه خلقه ، أو يتكلّم بمثل ما هم به متكلّمون ، ولكنّه تبارك وتعالى ليس كمثله شيء ، ولا كمثله قائل ولا فاعل» .

قال : كيف ذلك ؟

قال عليه السلام : «كلام الخالق لمخلوق ليس ككلام المخلوق لمخلوق ، ولا يلفظ بشقّ فم ولسان ، ولكن يقول له : «كن» فكان بمشيّته ، ما خاطب به موسى عليه السلام من الأمر والنهي من غير تردّد في نفس» .

فقال أبو قرة : فما تقول في الكتب ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : ««التوراة» و«الإنجيل» و«الزبور» و«الفرقان» وكلّ كتاب أنزل كان كلام الله ، أنزله للعالمين نوراً وهدى ، وهي كلّها محدثة ، وهي غير الله ، حيث يقول : ﴿ وَيُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً ﴾[1] وقال : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِن ذِكْرٍ مِن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾[2] والله أحدث الكتب كلّها الّذي أنزلها» .

فقال أبو قرة : فهل تفنى ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : «أجمع المسلمون على أنّ ما سوى الله فانٍ ، وما سوى الله فعل الله ، و«التوراة» و«الإنجيل» و«الزبور» و«الفرقان» فعل الله ، ألم تسمع النّاس يقولون : «ربّ

وقال أبو عمرو الكشي : أجمع أصحابنا على تصحيح ما يصحّ عن صفوان بن يحيى بيّاع السابري والإقرار له بالفقه في آخرين يأتي ذكرهم في مواضعهم إن شاء الله تعالى .

وروي عن محمّد بن قولويه عن أحمد بن محمّد عن الحسين بن سعيد عن معمر بن خلاد قال : قال أبو الحسن عليه السلام : «ما ذئبان ضاريان في غنم قد غاب عنها رعاؤها بأضرّ في دين المسلم من حبّ الرّياسة» . ثمّ قال عليه السلام : «ولكن صفوان لا يحبّ الرّياسة» .

وكان له عند الرضا عليه السلام منزلة شريفة ، وتوكّل للرضا عليه السلام وأبي جعفر عليه السلام ، وسلم مذهبه من الوقف ، وكانت له منزلة من الزهد والعبادة . [القسم الأوّل من خلاصة العلّامة ٨٨]

(١) طه ١١٣.

(٢) الأنبياء ٢.

القرآن» وإنّ «القرآن» يقول يوم القيامة : «يا ربّ هذا فلان ـ وهو أعرف به منه ـ قد أظمأت نهاره ، وأسهرت ليله ، فشفّعني فيه» وكذلك «التوراة» و«الإنجيل» و«الزبور» ، وهي كلّها محدثة ، مربوبة ، أحدثها من ليس كمثله شيء ، هدى لقوم يعقلون ، فمن زعم أنّهنّ لم يزلن معه فقد أظهر : أنّ الله ليس بأوّل قديم ، ولا واحد ، وأنّ الكلام لم يزل معه ، وليس له بدؤ ، وليس بإله» .

قال أبو قرة : وإنّا روينا : أنّ الكتب كلّها تجيء يوم القيامة والنّاس في صعيد واحد ، صفوف قيام لربّ العالمين ، ينظرون حتّى ترجع فيه ، لأنّها منه وهي جزء منه ، فإليه تصير» !

قال أبوالحسن عليه السلام : «فهكذا قالت النصارى في المسيح أنّه روحه ، جزء منه ويرجع فيه ، وكذلك قالت المجوس في النّار والشمس أنّهما جزء منه ترجع فيه ، تعالى ربّنا أن يكون متجزّياً ، أو مختلفاً ، وإنّما يختلف ويأتلف المتجزّي ، لأنّ كلّ متجزٍّ متوهّم ، والكثرة والقلّة مخلوقة دالّة على خالق خلقها» .

فقال أبو قرة : فإنّا روينا : أنّ الله قسّم الرؤية والكلام بين نبيّين ، فقسّم لموسى عليه السلام الكلام ، ولمحمّد صلى الله عليه وآله الرؤية .

فقال أبوالحسن عليه السلام : «فمن المبلّغ عن الله إلى الثقلين الجن والإنس أنّه لا تدركه الأبصار ، ولا يحيطون به علماً ، وليس كمثله شيء ، أليس محمّد صلى الله عليه وآله» ؟

قال : بلى .

قال أبوالحسن عليه السلام : «فكيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنه جاء من عند الله ، وأنّه يدعوهم إلى الله بأمر الله ، ويقول : إنّه لا تدركه الأبصار ، ولا يحيطون به علماً ، وليس كمثله شيء ، ثمّ يقول : أنا رأيته بعيني ، وأحطت به علماً ، وهو على صورة البشر ، أما تستحيون ؟ ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون أتى عن الله بأمر ثمّ يأتي بخلافه من وجه آخر» .

فقال أبو قرة : إنّه يقول : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرىٰ ﴾[1] ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : «إنّ بعد هذه الآية ما يدلّ على ما رأى حيث قال : ﴿ مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾[2] يقول : ماكذب فؤاد محمّد صلى الله عليه وآله ما رأت عيناه ، ثمّ أخبر بما رأت عيناه فقال : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ

(١) النجم ١٣.

(٢) النجم ١١.

مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾[١] فآيات الله غير الله ، وقال : ﴿ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾[٢] فإذا رأته الأبصار فقد أحاط به العلم ووقعت المعرفة» .

فقال أبو قرة : فتكذّب بالرّواية ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : «إذاكانت الرواية مخالفة للقرآن كذّبتها ، وما أجمع المسلمون عليه أنّه لا يحاط به علماً ، ولا تدركه الأبصار ، وليس كمثله شيء» .

وسأله عن قول الله : ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَىٰ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَىٰ ﴾[٣] ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : «قد أخبر الله تعالى أنّه أسرى به ، ثمّ أخبر أنّه لِمَ أُسري به ، فقال : ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾[٤] فآيات الله غير الله ، فقد أعذر ، وبيّن لم فعل به ذلك ، وما رآه وقال : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيْثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤمِنُونَ ﴾[٥] فأخبر أنّه غير الله» .

فقال أبو قرة : أين الله ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : «الأين مكان ، وهذه مسألة شاهد عن غايب ، فالله تعالى ليس بغائب ، ولا يقدمه قادم ، وهو بكلّ مكان ، موجود ، مدبّر ، صانع ، حافظ ، ممسك السماوات والأرض» .

فقال أبو قرة : أليس هو فوق السماء دون ما سواها ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : «هو الله في السماوات وفي الأرض ، وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ، وهو الذي يصوّركم في الأرحام كيف يشاء ، وهو معكم أينما كنتم ، وهو الذي استوى إلى السماء وهي دخان ، وهو الذي استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سماوات ، وهو الذي استوى على العرش ، قد كان ولا خلق وهو كما كان إذ لا خلق ، لم ينتقل مع المنتقلين» .

فقال أبو قرة : فما بالكم إذ دعوتم رفعتم أيديكم إلى السماء ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : «إنّ الله استعبد خلقه بضروب من العبادة ، ولله مفازع يفزعون إليه ، ومستعبد ، فاستعبد عباده بالقول ، والعلم ، والعمل ، والتوجّه ، ونحو ذلك ، استعبدهم بتوجيه الصلاة إلى الكعبة ، ووجّه إليها الحج والعمرة ، واستعبد خلقه عند الدعاء والطلب والتضرّع ، ببسط

---

(١) النجم ١٨.

(٢) طه ١١٠.

(٣) الإسراء ١.

(٤) الإسراء ١.

(٥) الجاثية ٦.

الأيدي ورفعها إلى السماء لحال الإستكانة وعلامة العبوديّة والتذلّل له» .

قال أبو قرة : فمن أقرب إلى الله ؛ الملائكة أو أهل الأرض ؟

قال أبوالحسن عليه السلام : «إن كنت تقول بالشبر والذراع ، فإنّ الأشياء كلّها باب واحد هي فعله لا يشتغل ببعضها عن بعض ، يدبّر أعلى الخلق من حيث يدبّر أسفله ، ويدبّر أوّله من حيث يدبّر آخره ، من غير عناء ، ولا كلفة ، ولا مؤنة ، ولا مشاورة ، ولا نصب .

وإن كنت تقول من أقرب إليه في الوسيلة ؛ فأطوعهم له ، وأنتم تروون أنّ أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد ، ورويتم أنّ أربعة أملاك التقوا أحدهم من أعلى الخلق ، وأحدهم من أسفل الخلق ، وأحدهم من شرق الخلق ، وأحدهم من غرب الخلق فسأل بعضهم بعضاً فكلّهم قال : «من عند الله» أرسلني بكذا وكذا ، ففي هذا دليل على أنّ ذلك في المنزلة دون التشبيه والتمثيل» .

فقال أبو قرة : أتقرّ أنّ الله محمول ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : «كلّ محمول مفعول ، ومضاف إلى غيره محتاج ، فالمحمول اسم نقص في اللفظ ، والحامل فاعل وهو في اللفظ ممدوح ، وكذلك قول القائل : فوق ، وتحت ، وأعلى ، وأسفل ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَللهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[1] ولم يقل في شيء من كتبه أنّه محمول ، بل هو الحامل في البرّ والبحر ، والممسك للسماوات والأرض ، والمحمول ما سوى الله ، ولم نسمع أحداً آمن بالله وعظّمه قط قال في دعائه : «يا محمول» .

قال أبو قرة : أفتكذّب بالرواية : أنّ الله إذا غضب يعرف غضبه الملائكة الّذين يحملون العرش ، يجدون ثقله في كواهلهم فيخرّون سجّداً ، فإذا ذهب الغضب خفّ فرجعوا إلى مواقفهم ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : «أخبرني عن الله تبارك وتعالى منذ لعن إبليس إلى يومك هذا وإلى يوم القيامة فهو غضبان على إبليس وأوليائه أو عنهم راض» ؟

فقال : نعم هو غضبان عليه .

قال عليه السلام : «فمتى رضي فخفّ وهو في صفتك لم يزل غضباناً عليه وعلى أتباعه» ؟

ثمّ قال عليه السلام : «ويحك كيف تجترئ أن تصف ربّك بالتغيّر من حال إلى حال ، وأنّه يجري عليه ما يجري على المخلوقين ؟! سبحانه لم يزل مع الزائلين ولم يتغيّر مع المتغيّرين» .

قال صفوان : فتحيّر أبو قرة ولم يحر جواباً ، قام وخرج .

---

(١) الأعراف ١٧٩.

عن عبدالسلام بن صالح الهروي[1] قال : قلت لعليّ بن موسى الرّضا عليه السلام : يابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه أهل الحديث : إنّ المؤمنين يزورون ربّهم في منازلهم في الجنّة ؟

فقال عليه السلام : «يا أباالصلت إنّ الله تبارك وتعالى فضّل نبيّه محمّداً صلى الله عليه وآله على جميع خلقه ، من النبيّين والملائكة ، وجعل طاعته طاعته ، ومبايعته مبايعته ، وزيارته في الدّنيا والآخرة زيارته ، فقال عزّ وجلّ : ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ﴾[2] وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[3] وقال النّبيّ صلى الله عليه وآله : «من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله» ، ودرجة النّبيّ صلى الله عليه وآله في الجنّة أرفع الدرجات ؛ فمن زاره في درجته في الجنّة من منزله فقد زار الله تبارك وتعالى» .

قال : قلت : يابن رسول الله فما معنى الخبر الّذي رووه : أنّ ثواب لا إله إلّا الله النظر إلى وجه الله ؟

فقال عليه السلام : «يا أباالصلت فمن وصف الله بوجه كالوجوه فقد كفر ، ولكن وجه الله أنبياءه ورسله

---

(١) قال الشيخ الطوسي في أصحاب الرضا عليه السلام من رجاله ص٣٨٠: عبدالسلام بن صالح الهروي أبوالصلت ، عامي .
وص٣٩٦ منه : أبوالصلت الخراساني الهروي ، عامي ، روى عنه بكر بن صالح .
وقال العلّامة في القسم الأوّل من الخلاصة ص١١٧ : عبدالسلام بن صالح أبوالصلت الهروي ، روى عن الرضا عليه السلام ، ثقة صحيح الحديث .
وقال الشيخ عباس القمّي في ج ١ من الكنى والألقاب ص٩٦: «عبدالسلام بن صالح الهروي ، روى عن الرّضا عليه السلام ، ثقة ، صحيح الحديث ، قاله جش والعلّامة ، له كتاب : «وفاة الرّضا عليه السلام» ، وكان رحمه الله كما يشعر به بعض الكلمات مخابطاً للعامة ، وراوياً لأخبارهم فلذلك التبس أمره على بعض المشايخ فذكر أنّه عامي .
قال الأستاذ الأكبر في التعليقة بعد نقل كلام الشهيد الثاني في تشيّعه : لا يخفى أنّ الأمر كذلك فإنّ الأخبار الصادرة عنه في العيون والأمالي وغيرهما الناصّة على تشيّعه بل وكونه من خواصّ الشيعة أكثر من أن تحصى ، وعلماء العامة ذكروا أنّه شيعيّ .
قال الذهبي في ميزان الإعتدال : عبدالسلام بن صالح أبوالصلت الهروي رجل صالح إلّا أنّه شيعي ، ونقل عن الجعفي أنّه رافضيٌّ خبيث .
وقال الدارقطني أنّه رافضي منهم .
وقال ابن الجوزي : إنّه خادم الرضا ، شيعي ، مع صلاحه .
وعن الأنساب للسمعاني : قال أبو حاتم : هو رأس مذهب الرفضة ...
إلى أن قال : أقول : الروايات الدالّة على تشيّعه كثيرة ، وقد أشرت إلى نبذ منها في كتاب سفينة البحار .
وروى الشيخ الطوسي رحمه الله عنه في الشكر ما ينبغي أن يكتب بالتبر» .
توفي سنة ٢٣٦ هـ.

(٢) النساء ٧٩.

(٣) الفتح ١٠.

وحججه عليهم صلوات الله ، هم الّذين بهم يتوجّه إلى الله ﷻ وإلى دينه ومعرفته ، فقال الله ﷻ : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[١] وقال الله ﷻ : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[٢] فالنظر إلى أنبياء الله ورسله وحججه عليهم السلام في درجاتهم ثواب عظيم للمؤمنين ، وقد قال النّبيّ صلى الله عليه وآله : «من أبغض أهل بيتي وعترتي لم يرني ولم أره يوم القيامة»[٣] ، وقال صلى الله عليه وآله : «إنّ فيكم من لا يراني بعد أن يفارقني»[٤] . يا أباالصلت إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان ، ولا يدرك بالأبصار والأوهام» .

قال : فقلت له : يابن رسول الله فأخبرني عن الجنّة والنّار : أهما اليوم مخلوقتان ؟

قال عليه السلام : «نعم ، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد دخل الجنّة ورأى النّار لمّا عرج به إلى السماء» .

قال : فقلت له : إنّ قوماً يقولون : إنّهما اليوم مقدّرتان غير مخلوقَتين ؟

فقال عليه السلام : «ما أولئك منّا ولا نحن منهم ، من أنكر خلق الجنّة والنّار فقد كذّب النّبيّ صلى الله عليه وآله ، وكذّبنا ، وليس من ولايتنا على شيء ، ويخلد في نار جهنّم . قال الله ﷻ : ﴿ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴾[٥] وقال النّبيّ صلى الله عليه وآله : «لمّا عرج بي إلى السّماء أخذ بيدي جبرئيل عليه السلام فأدخلني الجنّة فناولني من رطبها فأكلته ، فتحوّل ذلك نطفة في صلبي ، فلمّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة عليها السلام ؛ ففاطمة حوراء إنسيّة ، فكلّما اشتقت إلى رائحة الجنّة شممت رائحة ابنتي فاطمة»[٦] .

---

(١) الرحمن ٢٦ـ٢٧.

(٢) القصص ٨٨.

(٣) راجع ذخائر العقبى ص٢، وينابيع المودة ج١ ص٣٠٥.

(٤) راجع نفس المصدر السابق.

(٥) الرحمن ٤٣ـ٤٤.

(٦) في ينابيع المودّة ص١٩٧ عن عايشة قالت : قلت : يا رسول الله مالك إذا جعلت لسانك في فيها كأنّك تريد أن تعلقها عسلاً ؟

قال صلى الله عليه وآله : «لمّا أُسري بي إلى السماء أدخلني جبرائيل الجنّة فناولني تفّاحة فأكلتها ، فصارت نطفة في ظهري ، فلمّا نزلت من السماء واقعت خديجة ؛ ففاطمة من تلك النطفة ، فكلّما اشتقت إلى تلك التفّاحة قبّلتها» .

ثمّ قال : أخرجه أبو سعد في شرف النبوّة ، وفيه أيضاً عن ابن عبّاس : كان النّبيّ صلى الله عليه وآله يكثر القبلة لفاطمة ، فقالت له : إنّك تكثر تقبيل فاطمة ؟

فقال صلى الله عليه وآله : «إنّ جبرائيل أدخلني الجنّة ليلة أُسري بي إلى السماء فأطعمني من جميع ثمارها ، فصارت ماء في

وقال الرّضا عليه السلام في قوله الله عزّ وجلّ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[١] ، قال عليه السلام : «يعني ـ مشرقة ـ تنتظر ثواب ربّها» .

وقال عليه السلام : «إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال : «قال الله جلّ جلاله : ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي ، وما عرفني من شبّهني بخلقي ، وما على ديني من استعمل القياس في ديني» .

وقال عليه السلام : «من ردّ متشابه «القرآن» إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم» .

ثمّ قال عليه السلام : «إنّ في أخبارنا متشابهاً كمتشابه «القرآن» ، ومحكماً كمحكم «القرآن» ، فردّوا متشابهها إلى محكمها ، ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلّوا» .

وقال عليه السلام : «من شبّه الله بخلقه فهو مشرك ، ومن نسب إليه ما نهي عنه فهو كافر» .

وعن الحسين بن خالد[٢] **قال** : سمعت الرّضا عليه السلام يقول : «لم يزل الله عزّ وجلّ عليماً ، قادراً ، حيّاً ، قديماً ، سميعاً ، بصيراً» .

فقلت له : يابن رسول الله إنّ قوماً يقولون : لم يزل عالماً بعلم ، وقادراً بقدرة ، وحيّاً بحياة ، وقديماً بقدم ، وسميعاً بسمع ، وبصيراً ببصر .

فقال عليه السلام : «من قال ذلك ودان به فقد اتّخذ مع الله آلهة أُخرى ، وليس من ولايتنا على شيء» .

ثمّ قال عليه السلام : «لم يزل الله عزّ وجلّ عليماً ، قادراً ، حيّاً ، قديماً ، سميعاً ، بصيراً ـ لذاته ـ تعالى عمّا يقول المشركون والمشبّهون علوّاً كبيراً» .

وعن الحسين بن خالد قال : قلت للرّضا عليه السلام : «يابن رسول الله إنّ قوماً يقولون : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : «إنّ الله خلق آدم على صورته» .

فقال عليه السلام : «قاتلهم الله ! لقد حذفوا أوّل الحديث ، إنّ رسول الله مرّ برجلين يتسابّان ، فسمع أحدهما يقول لصاحبه : قبّح الله وجهك ووجه من يشبهك» فقال له صلى الله عليه وآله : «يا عبدالله لا تقل هذا لأخيك ! فإنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم على صورته» .

صلبي ، فحملت خديجة بفاطمة ، فإذا اشتقت إلى تلك الثمار ، قبّلت فاطمة فأصبت من تقبيلها رائحة جميع تلك الثمار الّتي أكلتها» .

ثمّ قال : أخرجه أبوالفضل بن خيرون .

(١) القيامة ٢٢ ـ ٢٣ .

(٢) من أصحاب الكاظم والرضا عليهما السلام ، ذكره الشيخ في رجاله ص٣٤٧ و ٣٧٣ .

وعن إبراهيم بن أبي محمود[1] **قال**: قلت للرّضا عليه السلام: يابن رسول الله ما تقول في الحديث الّذي يرويه النّاس عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أنّ الله تبارك وتعالى ينزل كلّ ليلة إلى السماء الدنيا ؟

فقال عليه السلام: «لعن الله المحرّفين الكلم عن مواضعه، والله ما قال صلى الله عليه وآله كذلك، إنّما قال صلى الله عليه وآله: «إنّ الله تبارك وتعالى ينزل ملكاً إلى السماء كلّ ليلة في الثلث الأخير، وليلة الجمعة في أوّل الليل، فيأمره فينادي أهل من سائل فأُعطيه ؟ هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ يا طالب الخير فأقبل، يا طالب الشر أقصر، فلا يزال ينادي بهذا حتّى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر عاد إلى محلّه من ملكوت السماء» حدّثني بذلك أبي عن جدّي عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله».

وعن محمّد بن سنان قال: سألت أباالحسن الرّضا عليه السلام: هل كان الله عارفاً بنفسه قبل أن يخلق الخلق ؟

قال عليه السلام: «نعم».

قلت: يراها ويسمعها ؟

قال عليه السلام: «ماكان محتاجاً إلى ذلك لأنّه لم يكن يسألها ولا يطلب منها شيئاً، هو نفسه، ونفسه هو، قدرته نافذة، فليس بمحتاج إلى أن يسمّي نفسه، ولكنّه اختار أسماء لغيره يدعوه بها، لأنّه إذا لم يدع باسمه لم يعرف، فأوّل ما اختار نفسه «العليّ العظيم» أعلا الأشياء كلّها، فمعناه: «الله» واسمه: «العليّ العظيم» هو أوّل أسمائه لأنّه علا كلّ شيء».

وقال عليه السلام في قوله: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾[2] «فساق حجاب من نور يكشف فيقع المؤمنون سجّداً، وتدمج[3] أصلاب المنافقين، فلا يستطيعون السجود».

وسُئِلَ عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾[4] فقال عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان يحلّ فيه فيحجب عن عباده، ولكنّه يعني: عن ثواب ربّهم محجوبون».

---

(١) إبراهيم بن أبي محمود: ذكره الشيخ في أصحاب الكاظم عليه السلام ص٣٤٣، وقال: له مسائل، وفي أصحاب الرّضا عليه السلام ص٣٦٧ فقال: خراساني ثقة مولى.

وقال العلّامة في الخلاصة ص٣: روى عن الرّضا عليه السلام، ثقة، اعتمد على روايته.

(٢) القلم ٤٢.

(٣) دمج الشيء دموجاً: إذا دخل في الشيء واستحكم فيه. [لسان العرب ٢/٢٥٧]

(٤) المطففين ١٥.

وسُئِلَ عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾[١] فقال عليه السلام: «إنّ الله لا يوصف بالمجيء والذهاب والإنتقال، إنّما يعني بذلك: وجاء أمر ربّك».

وسُئِلَ عليه السلام عن قوله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَائِكَةُ ﴾[٢] قال عليه السلام: «معناه: هل ينظرون إلّا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام، وهكذا نزلت».

وسُئِلَ عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ: ﴿ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ ﴾[٣] وعن قوله: ﴿ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾[٤] وعن قوله: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ ﴾[٥] وعن قوله: : ﴿ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾[٦] فقال عليه السلام: «إنّ الله لا يسخر، ولا يستهزئ، ولا يمكر، ولا يخادع، ولكنه عزّ وجلّ يجازيهم جزاء السخرية، وجزاء الإستهزاء، وجزاء المكر، وجزاء الخديعة، تعالى الله عمّا يقول الظّالمون علوّاً كبيراً».

وسُئِلَ عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ: ﴿ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾[٧] فقال عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى لا يسهو، ولا ينسى، وإنّما يسهو وينسى المخلوق المحدث، ألا تسمعه عزّ وجلّ يقول: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾[٨] وإنّما يجازي من نسيه، ونسي لقاء يومه، بأن ينسيهم أنفسهم، كما قال: ﴿ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾[٩] وقال: ﴿ فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذا ﴾[١٠] أي نتركهم كما تركوا الإستعداد للقاء يومهم هذا، أي نجازيهم على ذلك».

وسُئِلَ عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَدُ فِي ٱلسَّمَاءِ ﴾[١١] قال عليه السلام: «ومن يرد الله أن يهديه بإيمانه في الدّنيا إلى جنّة ودار كرامة في الآخرة، يشرح صدره للتسليم لله والثقة به، والسكون إلى ما وعده من ثوابه،

---

(١) الفجر ٢٢.
(٢) البقرة ٢١٠.
(٣) التوبة ٨.
(٤) البقرة ١٥.
(٥) آل عمران ٥٤.
(٦) النساء ١٤١.
(٧) التوبة ٦٨.
(٨) مريم ٦٤.
(٩) الحشر ١٩.
(١٠) الأعراف ٥٠.
(١١) الأنعام ١٢٥.

حتّى يطمئنّ إليه ، ومن يرد أن يضلّه عن جنّته ودار كرامته في الآخرة ـ لكفره به وعصيانه له في الدنيا ، يجعل صدره ضيّقاً حرجاً ، حتّى يشكّ في كفره ويضطرب في اعتقاد طلبه حتّى يصير كأنّما يصّعّد في السماء، كذلك يجعل الله الرجس على الّذين لا يؤمنون».

ابوالصلت الهروي قال : سأل المأمون الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[١] ؟

فقال عليه السلام : «إنّ الله تبارك وتعالى خلق العرش والماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة ، فنعلم أنّه على كلّ شيء قدير ، ثمّ رفع العرش بقدرته ، ونقله فجعله فوق السماوات السبع ، ثمّ خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام ، وهو مستولٍ على عرشه ، وكان قادراً على أن يخلقها في طرفة عين ، ولكنّه عزّ وجلّ خلقها في ستّة أيّام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شيء ، فنستدل (بحدوث ما يحدث) على الله تعالى مرّة بعد مرّة ، ولم يخلق العرش لحاجة به إليه ، لأنّه غنيّ عن العرش ، وعن جميع ما خلق ، لا يوصف بالكون على العرش ، لأنّه ليس بجسم ، تعالى الله عن صفة خلقه علوّاً كبيراً .

وأمّا قوله : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ فإنّه عزّ وجلّ خلق خلقه ليبلوهم بتكليف طاعته وعبادته ، لا على سبيل الإمتحان والتجربة ، لأنّه لم يزل عليماً بكلّ شيء» .

فقال المأمون : فرّجت عنّي يا أباالحسن فرّج الله عنك .

ثمّ قال له : يابن رسول الله فما معنى قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[٢] و﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٣] ؟

فقال الرّضا عليه السلام : «حدّثني أبي موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمّد ، عن أبيه محمّد بن علي ، عن أبيه عليّ بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن علي ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليهم السلام قال : إنّ المسلمين قالوا لرسول الله صلّى الله عليه وآله : لو أكرهت يا رسول الله من قدرت عليه من النّاس على الإسلام لكثر عددنا وقوينا على عدوّنا !

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : «ماكنت لألقى الله عزّ وجلّ ببدعة لم يحدث إليّ فيها شيئاً وما أنا من المتكلّفين» .

---

(١) هود ٧.

(٢) يونس ٩٩.

(٣) آل عمران ١٤٥.

فأنزل الله تعالى عليه : يا محمّد ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي ٱلأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً ﴾ على سبيل الإلجاء والإضطرار في الدّنيا ،كما يؤمن عند المعاينة ورؤية البأس في الآخرة ، ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقّوا منّي ثواباً ولا مدحاً ، ولكنّي أُريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرّين ، ليستحقّوا منّي الزلفى والكرامة ، دوام الخلود في جنّة الخلد ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾» .

وأمّا قوله عزّ وجلّ ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ ﴾ فليس ذلك على سبيل تحريم الإيمان عليها ، ولكن على معنىٰ أنّها ماكانت لتؤمن إلّا بإذن الله ، وإذنه أمره لها بالإيمان بماكانت مكلّفة متعبّدة بها والجاؤه إيّاها إلى الايمان عند زوال التكلّف والتعبّد عنها .

فقال المأمون : فرّجت عنّي فرّج الله عنك ، فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً ﴾(١) ؟

فقال عليه السلام : «إنّ غطاء العين لا يمنع من الذكر ، والذكر لا يرى بالعين ، ولكن الله عزّ وجلّ شبّه الكافرين بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالعميان ، لأنّهم كانوا يستثقلون قول النّبيّ صلّى الله عليه وآله فيه ، ولا يستطيعون له سمعاً» .

فقال المأمون : فرّجت عنّي فرّج الله عنك .

وعن عبدالعظيم بن عبدالله الحسني رضي الله عنه(٢) **عن إبراهيم بن أبي محمود قال :** سألت أباالحسن الرّضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ ﴾(٣) ؟

فقال عليه السلام : «إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بالترك كما يوصف خلقه ، ولكنّه متى علم أنّهم لا يرجعون عن الكفر والضلال منعهم المعاونة واللطف ، وخلّى بينهم وبين اختيارهم» .

قال : وسألته عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ خَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾(٤) ؟

---

(١) الكهف ١٠١.

(٢) أبوالقاسم عبدالعظيم بن عبدالله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طاب عليه السلام ؛ زاهد ، عابد ، ذو ورع ودين ، معروف بالأمانة وصدق اللهجة ، عالم بأمور الدين ، كثير الحديث والرواية ، يروي عن الإمامين الجواد والعسكري عليهما السلام ، ولهما إليه الرسائل ، ويروي عن جماعة من أصحاب موسى بن جعفر وعليّ بن موسى عليهما السلام ، له كتاب يسمّيه كتاب «يوم وليلة» ، وله كتاب «خطب أميرالمؤمنين عليه السلام» وقد كتب الصاحب بن عباد رسالة مختصرة في أحوال عبدالعظيم أوردها صاحب المستدرك في خاتمة المستدرك . [راجع : الجزء الثاني من سفينة البحار ١٢٠ ، وخلاصة العلّامة ١٣٠]

(٣) البقرة ١٧.

(٤) البقرة ٧.

قال عليه السلام : «الختم هو : «الطبع» على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم ،كما قال عزّ وجلّ : ﴿ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلا ﴾[(١)]» .

قال : وسألته عن الله عزّ وجلّ هل يجبر عباده على المعاصي ؟

قال عليه السلام : «لا ، بل يخيرهم ، ويمهلهم حتّى يتوبوا» .

قلت : فهل يكلّف عباده ما لا يطيقون ؟

فقال عليه السلام : «كيف يفعل ذلك وهو يقول : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيد ﴾[(٢)]» .

ثمّ قال عليه السلام : «حدّثني أبي موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمّد عليهما السلام ، عن أبيه محمّد بن علي ، عن أبيه عليّ بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن علي ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليهم السلام أنّه قال : «من زعم أنّ الله يجبر عباده على المعاصي ويكلّفهم ما لا يطيقون فلا تأكلوا ذبيحته ، ولا تقبلوا شهادته ، ولا تصلّوا وراءه ، ولا تعطوه من الزكاة شيئاً» .

وعن يزيد بن عمير بن معاوية الشامي قال : دخلت على عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام بمرو ، فقلت له : يابن رسول الله روي لنا عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام أنّه قال : «لا جبر ولا تفويض ، بل أمر بين الأمرين» ، ما معناه ؟

فقال عليه السلام : «من زعم أنّ الله يفعل أفعالنا ثمّ يعذّبنا ، فقد قال بالجبر ، ومن زعم أنّ الله فوّض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال بالتفويض ، والقائل بالجبر كافر ، والقائل بالتفويض مشرك» .

فقلت : يابن رسول الله فما أمر بين الأمرين ؟

فقال عليه السلام : «وجود السبيل إلى إتيان ما أُمروا به ، وترك ما نُهوا عنه» .

قلت : وهل لله مشيّة وإرادة في ذلك ؟

فقال عليه السلام : «أمّا الطاعات فإرادة الله ومشيّته فيها الأمر بها ، والرضا لها ، والمعاونة عليها ، وإرادته ومشيّته في المعاصي ، النهي عنها ، والسخط لها ، والخذلان عليها» .

قلت : فلله عزّ وجلّ فيها القضاء ؟

قال عليه السلام : «نعم ، ما من فعل يفعله العباد من خير أو شرّ إلّا ولله فيه قضاء» .

قلت : ما معنى هذا القضاء ؟

---

(١) النساء ١٥٤.

(٢) حم السجدة ٤٦.

قال عليه السلام : «الحكم عليهم بما يستحقّونه من الثواب والعقاب في الدّنيا والآخرة» .

وروي أنّه ذكر عنده عليه السلام الجبر والتوفيض ، فقال عليه السلام : «إنّ الله لم يطع بإكراه ، ولم يعص بغلبة ، ولم يهمل العباد في ملكه ، هو المالك لما ملّكهم ، والقادر على ما أقدرهم عليه ، فإن ائتمر العباد بطاعة لم يكن الله عنها صادّاً ، ولا منها مانعاً ، وإن ائتمروا بمعصية فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل ، وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الّذي أدخلهم فيه» .

ثمّ قال عليه السلام : «من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه» .

وعن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال : قلت له : يابن رسول الله إنّ النّاس ينسبوننا إلى القول بالتشبيه والجبر ، لما روي من الأخبار في ذلك عن آبائك عليهم السلام !

فقال عليه السلام : «يابن خالد أخبرني عن الأخبار الّتي رويت عن آبائي الأئمّة في الجبر والتشبيه أكثر ، أم الأخبار الّتي رويت من النّبيّ صلى الله عليه وآله في ذلك» ؟

فقلت : بل ما رويت عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أكثر .

قال عليه السلام : «فليقولوا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول بالتشبيه والجبر» .

فقلت له : إنّهم يقولون : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقل شيئاً من ذلك وإنّما روي عليه .

قال عليه السلام : «فليقولوا في آبائي الأئمّة عليهم السلام أنّهم لم يقولوا من ذلك شيئاً وإنّما روي عليهم» .

ثمّ قال عليه السلام : «من قال بالتشبيه والجبر فهو كافر مشرك ، ونحن براء منه في الدّنيا والآخرة .

يابن خالد إنّما وضع الأخبار عنّا في التشبيه والجبر «الغلاة» الّذين صغّروا عظمة الله ، فمن أحبّهم فقد أبغضنا ، ومن أبغضهم فقد أحبّنا ، ومن والاهم فقد عادانا ، ومن عاداهم فقد والانا ، ومن وصلهم فقد قطعنا ، ومن قطعهم فقد وصلنا ، ومن جفاهم فقد برّنا ، ومن برّهم فقد جفانا ، ومن أكرمهم فقد أهاننا ، ومن أهانهم فقد أكرمنا ، ومن قبلهم فقد ردّنا ، ومن ردّهم فقد قبلنا ، ومن أحسن إليهم فقد أساء إلينا ، ومن أساء إليهم فقد أحسن إلينا ، ومن صدّقهم فقد كذّبنا ، ومن كذّبهم فقد صدّقنا ، ومن أعطاهم فقد حرمنا ، ومن حرمهم فقد أعطانا .

يابن خالد من كان من شيعتنا فلا يتّخذنّ منهم وليّاً ولا نصيراً» .

احتجاج الرّضا عليه السلام على أهل الكتاب والمجوس ورئيس الصابئين وغيرهم من أهل الشّقاق

روي عن الحسن بن محمّد النوفلي أنّه قال: لمّا قدم عليّ بن موسى الرضا صلوات الله عليه على المأمون، أمر الفضل بن سهل أن يجمع له أصحاب المقالات، مثل: الجاثليق، ورأس الجالوت، ورؤساء الصابئين، والهربذ الأكبر، وأصحاب زردشت، وقسطاس الرومي، والمتكلّمين، ليسمع كلامه وكلامهم.

فجمع الفضل بن سهل، ثمّ أعلم المأمون باجتماعهم، فقال: أدخلهم عَلَيّ؛ ففعل، فرّحب بهم المأمون، ثمّ قال لهم: إنّما جمعتكم لخير، وأحببت أن تناظروا ابن عمّي هذا المدني القادم عَلَيّ، فإذا كان بكرة فاغدوا عَلَيّ ولا يتخلّف منكم أحد.

فقالوا: السمع والطاعة يا أميرالمؤمنين، نحن مبكّرون إن شاء الله.

قال الحسن بن محمّد النوفلي: فبينا نحن في حديث لنا عند أبي الحسن الرّضا عليه السلام إذ دخل علينا ياسر الخادم ـ وكان يتولّى أمر أبي الحسن عليه السلام ـ فقال: يا سيّدي إنّ أميرالمؤمنين يقرؤك السّلام ويقول: فداك أخوك، إنّه اجتمع إلينا أصحاب المقالات، وأهل الأديان، والمتكلّمون من جميع أهل الملل، فرأيك في البكور علينا إن أحببت كلامهم، وإن كرهت ذلك فلا تتجشّم، وإن أحببت أن نصير إليك خفّ ذلك علينا.

فقال أبوالحسن عليه السلام: «أبلغه السّلام وقل: قد علمت ما أردت، وأنا صائر إليك بكرة إن شاء الله».

قال الحسن بن محمّد النوفلي: فلمّا مضى ياسر التفت عليه السلام إلينا ثمّ قال لي: «يا نوفلي أنت عراقي ورقّة العراقي غير غليظة، فما عندك في جمع ابن عمّي علينا أهل الشرك وأصحاب المقالات»؟

فقلت: جعلت فداك يريد الإمتحان، ويحبّ أن يعرف ما عندك، ولقد بنى على أساس غير وثيق البنيان، وبئس والله ما بنى.

فقال عليه السلام لي: «وما بناؤه في هذا الباب»؟

قلت: إنّ أصحاب الكلام والبدع خلاف العلماء، وذلك أنّ العالم لا ينكر غير المنكر،

وأصحاب المقالات والمتكلّمون وأهل الشرك أصحاب إنكار ومباهتة ، إن احتججت عليهم بأنّ الله واحد قالوا : صحّح وحدانيّته ، وإن قلت : إنّ محمّداً ﷺ رسول الله ، قالوا : ثبّت رسالته ، ثمّ يباهتون الرجل ـ وهو مبطل عليهم بحجّته ـ ويغالطونه حتّى يترك قوله ، فاحذرهم جعلت فداك !

قال : فتبسّم ، ثمّ قال ﷺ لي : «يا نوفلي أتخاف أن يقطعوا عَلَيّ حجّتي» ؟!

قلت : لا والله ما خفته عليك قط ، وإنّي لأرجو أن يظفرك الله بهم إن شاء الله .

فقال ﷺ لي : «يا نوفلي أتحبّ أن تعلم متى يندم المأمون» ؟

قلت : نعم .

قال ﷺ : «إذا سمع احتجاجي على أهل «التوراة» بتوراتهم ، وعلى أهل «الإنجيل» بإنجيلهم ، وعلى أهل «الزبور» بزبورهم ، وعلى الصابئين بعبرانيّتهم ، وعلى الهرابذة بفارسيّتهم ، وعلى أهل الروم بروميّتهم ، وعلى أهل المقالات بلغاتهم ، فإذا قطعت كلّ صنف ، ودحضت حجّته ، وترك مقالته ، ورجع إلى قولي ، علم المأمون أنّ الّذي هو بسبيله ليس بمستحقّ له ، فعند ذلك تكون الندامة منه ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم» .

فلمّا أصبحنا أتانا الفضل بن سهل ، فقال له : جعلت فداك إنّ ابن عمّك ينتظرك ، وقد اجتمع القوم ، فما رأيك في إتيانه ؟

فقال له الرّضا ﷺ : «تقدّمني فإنّي صائر إلى ناحيتكم إن شاء الله» ، ثمّ توضّأ وضوء الصلاة ، وشرب شربة سويق وسقانا ، ثمّ خرج وخرجنا معه ، حتّى دخل على المأمون ، وإذا المجلس غاصّ بأهله ، ومحمّد بن جعفر في جماعة الطالبيين والهاشميين والقوّاد حضور .

فلمّا دخل الرّضا ﷺ قام المأمون وقام محمّد بن جعفر وجميع بني هاشم ، فما زالوا وقوفاً والرّضا ﷺ جالس مع المأمون حتّى أمرهم بالجلوس ؛ فجلسوا ، فلم يزل المأمون مقبلاً عليه يحدّثه ساعة ، ثمّ التفت إلى الجاثليق فقال : يا جاثليق ! هذا ابن عمّي عليّ بن موسى بن جعفر وهو : من ولد فاطمة بنت نبيّنا ، وابن عليّ بن أبي طالب ، فأُحبّ أن تكلّمه وتحاجّه وتنصفه .

فقال الجاثليق : يا أميرالمؤمنين كيف أُحاجّ رجلاً يحاجّ عَلَيّ بكتاب أنا منكره ، ونبيّ لا أُومن به ؟

فقال الرّضا ﷺ : «يا نصراني فإن احتججت عليك بإنجيلك أتقرّ به» ؟

قال الجاثليق : وهل أقدر على دفع ما نطق به «الإنجيل» ؟ نعم والله أقرّ به على رغم أنفي .

فقال له الرّضا ﷺ : «سل عمّا بدا لك واسمع الجواب» .

قال الجاثليق : ما تقول في نبوّة عيسى وكتابه ؟ هل تنكر منهما شيئاً ؟

قال الرّضا عليه السلام : «أنا مقرّ بنبوّة عيسى وكتابه ، وما بشّر به أُمّته ، وأقرّت به الحواريّون ، وكافر بنبوّة كلّ عيسى لم يقرّ بنبوّة محمّد وكتابه ، ولم يبشّر به أُمّته» !

قال الجاثليق : أليس إنّما تقطع الأحكام بشاهدَي عدل ؟

قال عليه السلام : «بلى» .

قال : فأقم شاهدَين من غير أهل ملّتك على نبوّة محمّد ، ممّن لا تنكر النصرانيّة ، وسلنا مثل ذلك من غير أهل ملّتنا .

قال الرّضا عليه السلام : «الآن جئت بالنصفة يا نصراني ! ألا تقبل منّي العدل والمقدّم عند المسيح عيسى بن مريم عليه السلام» ؟

قال الجاثليق : ومن هذا العدل ؟ سمّه لي .

قال عليه السلام : «ما تقول في «يوحنّا» الديلمي» ؟

قال : بخ بخ ذكرت أحبّ النّاس إلى المسيح .

قال عليه السلام : «أقسمت عليك هل نطق «الإنجيل» أنّ يوحنّا قال : إنّ المسيح أخبرني بدين محمّد العربي وبشّرني به أنّه يكون من بعدي ، فبشّرت به الحواريّون فآمنوا به» ؟

قال الجاثليق : قد ذكر ذلك يوحنّا عن المسيح ، وبشّر بنبوّة رجل وبأهل بيته ووصيّه وأهل بيته ، ولم يلخّص متى يكون ذلك ، ولم يسمّ لنا القوم فنعرفهم .

قال الرّضا عليه السلام : «فإن جئناك بمن يقرأ «الإنجيل» فتلا عليك ذكر محمّد وأهل بيته وأُمّته أتؤمن به»؟

قال : أمر سديد .

قال الرّضا عليه السلام لقسطاس الرومي : «كيف يكون حفظك للسفر الثالث من «الإنجيل» ؟

قال : ما أحفظني له .

ثمّ التفت إلى رأس الجالوت فقال عليه السلام : «ألست تقرأ «الإنجيل» ؟

قال : بلى لعمري .

قال عليه السلام : «فخذ عَلَيّ السفر الثالث ، فإن كان فيه ذكر محمّد وأهل بيته وأُمّته فاشهدوا لي ، وإن لم يكن فيه ذكره فلا تشهدوا لي» ! ثمّ قرأ السفر الثالث حتّى بلغ ذكر النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقف ، ثمّ قال عليه السلام : «يا نصراني إنّي أسألك بحقّ المسيح وأُمّه أتعلم أنّي عالم بالإنجيل» ؟

قال : نعم .

ثمّ تلا عليه السلام علينا ذكر محمّد وأهل بيته واُمّته ، ثمّ قال : «ما تقول يا نصراني» ؟ هذا قول عيسى ابن مريم ، فإن كذّبت ما نطق به «الإنجيل» فقد كذّبت موسى وعيسى عليهما السلام ، ومتى أنكرت هذا الذكر وجب عليك القتل ، لأنّك تكون قد كفرت بربّك ونبيّك وبكتابك» .

قال الجاثليق : لا أنكر ما قد بان لي من «الانجيل» ، وإنّي لمقرٌّ به .

قال الرّضا عليه السلام : «إشهدوا على إقراره» ! ثمّ قال عليه السلام : «يا جاثليق سل عمّا بدا لك» !

قال الجاثليق : أخبرني عن حواري عيسى بن مريم ، كم كان عدّتهم ؟ وعن علماء «الإنجيل» كم كانوا ؟

قال الرّضا عليه السلام : «على الخبير سقطت ؛ أمّا الحواريّون فكانوا اثنى عشر رجلاً ، وكان أفضلهم وأعلمهم «لوقا» ، وأمّا علماء النصارى فكانوا ثلاثة رجال : «يوحنّا» الأكبر ـ ياحى ـ و«يوحنّا» بقرقيسيا و«يوحنّا» الديلمي بزخار ، وعنده كان ذكر النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وذكر أهل بيته ، وهو الّذي بشّر اُمّة عيسى وبني إسرائيل به» . ثمّ قال عليه السلام : «يا نصراني والله إنّا لنؤمن بعيسى الّذي آمن بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، وما ننقم على عيسى شيئاً إلّا ضعفه وقلّة صيامه وصلاته» .

قال الجاثليق : أفسدت والله علمك ، وضعفت أمرك ، وماكنت ظننت إلّا أنّك أعلم أهل الإسلام .

قال الرّضا عليه السلام : «وكيف ذلك» ؟!

قال الجاثليق : من قولك أنّ عيسى كان ضعيفاً ، قليل الصيام والصلاة ، وما أفطر عيسى يوماً قط ، وما نام بليل قط ، وما زال صائم الدهر قائم الليل .

قال الرّضا عليه السلام : «فلمن كان يصوم ويصلّي» ؟

فخرس الجاثليق وانقطع .

قال الرّضا عليه السلام : «يا نصراني إنّي أسألك عن مسألة» .

قال : سل ! فإن كان عندي علمها أجبتك .

قال الرّضا عليه السلام : «ما أنكرت أنّ عيسى كان يحيي الموتى بإذن الله» .

قال الجاثليق : أنكرت ذلك من قبل ، إنّ من أحيى الموتى ، وأبرأ الأكمه والأبرص ، فهو «ربّ» مستحقّ لأن يعبد .

قال الرّضا صلوات الله عليه : «فإنّ اليسع قد صنع مثل ما صنع عيسى عليه السلام ؛ مشى على الماء ،

وأحيي الموتى ، وأبرأ الأكمه والأبرص ، فَلِمَ لا تتّخذه أُمّته ربّاً ، ولم يعبده أحد من دون الله ﷻ . ولقد صنع حزقيل النبي مثل ما صنع عيسى بن مريم ، فأحيى خمسة وثلاثين ألف رجل من بعد موتهم بستّين سنة» .

ثمّ التفت إلى رأس الجالوت فقال عليه السلام : «يا رأس الجالوت ، أتجد هؤلاء في شباب بني إسرائيل في «التوراة» ، اختارهم «بخت نصر» من سبي بني إسرائيل حين غزا بيت المقدّس ، ثمّ انصرف بهم إلى بابل ، فأرسله الله ﷻ إليهم فأحياهم ، هذا في «التوراة» لا يدفعه إلّا كافر منكم» .

قال رأس الجالوت : قد سمعنا به وعرفناه .

قال عليه السلام : «صدقت» .

ثمّ قال عليه السلام : «يا يهودي خذ عَلَيّ هذا السفر من «التوراة» ، فتلا عليه من «التوراة» آيات ، فأقبل اليهودي يترجّح لقراءته ، ويتعجّب .

ثمّ أقبل على النّصراني فقال عليه السلام : «يا نصراني أفهؤلاء كانوا قبل عيسى أم عيسى كان قبلهم» ؟

قال : بل كانوا قبله .

قال الرّضا عليه السلام : «لقد اجتمعت قريش إلى رسول الله فسألوه أن يحيي لهم موتاهم ، فوجّه معهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال له : «إذهب إلى الجبانة[1] ، فناد بأسماء هؤلاء الرهط الّذين يسألون عنهم بأعلى صوتك : يا فلان ، ويا فلان ، ويا فلان ، يقول لكم رسول الله محمّد قوموا بإذن الله» ؛ فناداهم ، فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم ، فأقبلت قريش تسألهم عن أُمورهم ، ثمّ أخبروهم أنّ محمّداً قد بعث نبيّاً ، فقالوا : وددنا أن أدركناه فنؤمن به ، ولقد أبرأ الأكمه والأبرص والمجانين ، وكلّمته البهائم والطير والجنّ والشياطين ، ولم نتّخذه ربّاً من دون الله ، ولم ننكر لأحد من هؤلاء فضلهم ، فإن اتّخذتم عيسى ربّاً جاز لكم أن تتّخذوا اليسع وحزقيل ربّين ، لأنّهما قد صنعا مثل ما صنع عيسى بن مريم : من إحياء الموتى وغيره ، ثمّ إنّ قوماً من بني إسرائيل خرجوا من بلادهم من الطاعون وهم أُلوف حذر الموت فأماتهم الله في ساعة واحدة ، فعمد أهل القرية فحظروا عليهم حظيرة ، فلم يزالوا فيها حتّى نخرت عظامهم وصاروا رميماً ، فمرّ بهم نبيّ من أنبياء بني إسرائيل فتعجّب منهم ومن كثرة العظام البالية ، فأوحى الله إليه : أتحبّ أن أُحييهم لك فتنذرهم ؟

قال : نعم يا رب .

---

(١) الجبّان والجبانة ـ مشدّدتين ـ: المقبرة والصحراء والمنب الكريم .

فأوحى الله إليه أن نادهم فقال : أيّتها العظام البالية قومي بإذن الله ! فقاموا أحياء أجمعون ، ينفضون التراب عن رؤوسهم .

ثمّ إبراهيم خليل الله عليه السلام حين اتّخذ الطير فقطّعهنّ قطعاً ، ثمّ وضع على كلّ جبل منهنّ جزءاً ، ثمّ ناداهنّ فأقبلن سعياً إليه .

ثمّ موسى بن عمران وأصحابه السبعون الّذين اختارهم صاروا معه إلى الجبل ، فقالوا له : إنّك قد رأيت الله فأرناه كما رأيته !

فقال لهم : إنّي لم أره .

فقالوا : لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة ؛ فأخذتهم الصاعقة فاحترقوا عن آخرهم ؛ فبقي موسى وحيداً !

فقال : يا رب اخترت سبعين رجلاً من بني إسرائيل فجئت بهم ، فأرجع أنا وحدي ، فكيف يصدّقني قومي بما أُخبرهم به ؟ فلو شئت أهلكتهم من قبل وإيّاي ، أفتهلكنا بما فعل السفهاء منّا ؟

فأحياهم الله عزّ وجلّ من بعد موتهم وكلّ شيء ذكرته لك من هذا لا تقدر على دفعه ، لأنّ «التوراة» و«الإنجيل» و«الزبور» و«الفرقان» قد نطقت به ، فإن كان كلّ من أحيى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص والمجانين يتّخذ ربّاً من دون الله فاتّخذ هؤلاء كلّهم أرباباً ! ما تقول يا نصراني» ؟!

فقال الجاثليق : القول قولك ، ولا إله إلّا الله .

ثمّ التفت عليه السلام إلى رأس الجالوت فقال : يا يهودي أقبل عَلَيّ أسألك بالعشر الآيات الّتي أُنزلت على موسى بن عمران ، هل تجد في «التوراة» مكتوباً نبأ محمّد صلى الله عليه وآله وأُمّته : إذا جاءت الأمّة الأخيرة أتباع راكب البعير ، يسبّحون الرب جدّاً جدّاً ، تسبيحاً جديداً ، في الكنايس الجدد ، فليفزع بنو إسرائيل إليهم وإلى ملكهم لتطمئنّ قلوبهم ، فإنّ بأيديهم سيوفاً ينتقمون بها من الأُمم الكافرة في أقطار الأرض ، هكذا هو في «التوراة» مكتوب» ؟

قال رأس الجالوت : نعم ، إنّا لنجد ذلك كذلك .

ثمّ قال عليه السلام للجاثليق : «يا نصراني كيف علمك بكتاب شعيا» ؟

قال : أعرفه حرفاً حرفاً .

قال عليه السلام لهما : «أتعرفان هذا من كلامه : يا قوم إنّي رأيت صورة راكب الحمار ، لابساً جلابيب النور ، ورأيت راكب البعير ضوءه مثل ضوء القمر» ؟

فقالا : قد قال ذلك شعيا .

قال الرّضا عليه السلام : «يا نصراني أهل تعرف في «الإنجيل» قول عيسى : إنّي ذاهب إلى ربّكم وربّي ، و«البارقليطا» جائي هو الّذي يشهد لي بالحق كما شهدت له ، وهو الّذي يفسّر لكم كلّ شيء ، وهو الّذي بيده فضايح الأُمم ، وهو الّذي يكسر عمود الكفر» ؟

فقال الجاثليق : ما ذكرت شيئاً من «الإنجيل» إلّا ونحن مقرّون به .

فقال عليه السلام : «أتجد هذا في «الإنجيل» ثابتاً» ؟

قال : نعم .

قال الرّضا عليه السلام : «يا جاثليق ألا تخبرني عن «الإنجيل» الأوّل حين افتقدتموه عند من وجدتموه ؟ ومن وضع لكم هذا «الإنجيل» ؟

قال له : ما افتقدنا «الإنجيل» إلّا يوماً واحداً حتّى وجدناه غضّاً طريّاً فأخرجه إلينا يوحنّا ومتى .

فقال الرّضا عليه السلام : «ما أقلّ معرفتك بسنن «الإنجيل» وعلمائه ، فإن كان كما تزعم فلم اختلفتم في «الإنجيل» ؟ وإنّما الإختلاف في هذا «الإنجيل» الّذي في أيديكم اليوم ، فإن كان على العهد الأوّل لم تختلفوا فيه ، ولكنّي مفيدك علم ذلك . إعلم أنّه لمّا افتقد «الإنجيل» الأوّل اجتمعت النصارى إلى علمائهم فقالوا لهم : قتل عيسى بن مريم وافتقدنا «الإنجيل» ، وأنتم العلماء ، فما عندكم ؟

فقال لهم الوقا ومرقانوس ويوحنّا ومتّى : إنّ «الإنجيل» في صدورنا نخرجه إليكم سفراً سفراً ، في كلّ أحد ، فلا تحزنوا عليه ولا تخلوا الكنايس ، فإنّا سنتلوه عليكم في كلّ أحد سفراً سفراً حتّى نجمعه كلّه» .

فقال الرّضا عليه السلام : «إنّ الوقا ومرقانوس ويوحنّا ومتّى وضعوا لكم هذا «الإنجيل» بعد ما افتقدتم «الإنجيل» الأوّل ، وإنّما كان هؤلاء الأربعة تلاميذ الأوّلين ، أعَلِمت ذلك» ؟

قال الجاثليق : أمّا قبل هذا فلم أعلمه ، وقد علمته الآن ، وقد بان لي من فضل علمك بالإنجيل وقد سمعت أشياء ممّا علمته شهد قلبي أنّها حقّ ، واستزدت كثيراً من الفهم .

فقال الرّضا عليه السلام : «فكيف شهادة هؤلاء عندك» ؟

قال : جائزة ، هؤلاء علماء «الإنجيل» ، وكلّ ما شهدوا به فهو حقّ .

قال الرّضا عليه السلام ـ للمأمون ومن حضره من أهل بيته وغيرهم ـ : «إشهدوا عليه» .

قالوا : شهدنا .

ثمّ قال ﷺ للجاثليق : «بحقّ الإبن واُمّه ، هل تعلم أنّ «متّى» قال في نسبة عيسى : إنّ المسيح ابن داود بن إبراهيم بن إسحاق بن يعقوب بن يهود بن خضرون ؟ وقال «مرقانوس» في نسبة عيسى ﷺ أنّه كلمة الله أحلّها في الجسد الآدمي فصارت إنساناً ؟ وقال «الوقا» : إنّ عيسى بن مريم واُمّه كانا إنسانين من لحم ودم فدخل فيهما روح القدس ؟ ثمّ إنّك تقول في شهادة عيسى على نفسه : حقّاً أقول لكم أنّه لا يصعد إلى السماء إلّا من نزل منها إلّا راكب البعير خاتم الأنبياء ، فإنّه يصعد إلى السماء وينزل ، فما تقول في هذا القول» ؟

قال الجاثليق : هذا قول عيسى لا ننكره .

قال الرّضا ﷺ : «فما تقول في شهادة الوقا ومرقانوس ومتّى على عيسى وما نسبوا إليه» ؟

قال الجاثليق :كذبوا على عيسى .

قال الرضا ﷺ : «يا قوم أليس قد زكّاهم وشهد أنّهم علماء «الإنجيل» وقولهم حق» ؟

فقال الجاثليق : يا عالم المسلمين أحبّ أن تعفيني من أمر هؤلاء .

قال الرّضا ﷺ : «قد فعلنا . سل يا نصراني عمّا بدا لك» !

قال الجاثليق : ليسألك غيري ، فوالله ما ظننت أنّ في علماء المسلمين مثلك .

فالتفت الرّضا ﷺ إلى رأس الجالوت فقال له : «تسألني أو أسألك» ؟

قال : بل أسألك ، ولست أقبل منك حجّة إلّا من «التوراة» ، أو من «الإنجيل» أو من «زبور داود» ، أو ما في صحف إبراهيم وموسى .

قال الرّضا ﷺ : «لا تقبل منّي حجّة إلّا بما تنطق به «التوراة» على لسان موسى بن عمران ﷺ ، و«الإنجيل» على لسان عيسى بن مريم ﷺ ، و«الزبور» على لسان داود ﷺ» .

قال رأس الجالوت : من أين تثبت نبوّة محمّد ؟

قال الرّضا ﷺ : «شهد بنبوّته موسى بن عمران ، وعيسى بن مريم ، وداود خليفة الله في الأرض» .

فقال له : ثبّت قول موسى بن عمران !

قال الرّضا ﷺ : «تعلم يا يهودي أنّ موسى أوصى بني إسرائيل فقال لهم : إنّه سيأتيكم نبيّ من إخوانكم فيه فصدّقوا ، ومنه فاسمعوا ، فهل تعلم أنّ بني إسرائيل إخوة غير ولد إسماعيل ، إن كنت تعرف قرابة إسرائيل من إسماعيل والنسب الّذي بينهما من قبل إبراهيم ﷺ» ؟

فقال رأس الجالوت : هذا قول موسى لا ندفعه .

فقال له الرّضا عليه السلام : «هل جاءكم من إخوة بني إسرائيل نبيّ غير محمّد صلى الله عليه وآله وسلم» ؟

قال : لا .

فقال الرّضا عليه السلام : «أفليس قد صحّ هذا عندكم» ؟

قال : نعم ، ولكنّي أُحبّ أن تصحّحه لي من «التوراة» .

فقال له الرّضا عليه السلام : «هل تنكرون «التوراة» تقول لكم : جاء النور من قبل طور سيناء ، وأضاء للنّاس من جبل ساعير ، واستعلن علينا من جبل فاران» ؟

قال رأس الجالوت : أعرف هذه الكلمات وما أعرف تفسيرها .

قال الرّضا عليه السلام : «أنا أُخبرك به ؛ أمّا قوله «جاء النور من قبل طور سيناء» فذلك وحي الله تبارك وتعالى الّذي أنزله على موسى على جبل طور سيناء ، وأمّا قوله «وأضاء للنّاس في جبل ساعير» فهو الجبل الّذي أوحى الله عزّ وجلّ إلى عيسى بن مريم عليه السلام وهو عليه ، وأمّا قوله «واستعلن علينا من جبل فاران» فذاك جبل من جبال مكة ، وبينه وبينها يومان أو يوم .

قال شعيا النبي ـ فيما تقول أنت وأصحابك في «التوراة» ـ : رأيت راكبين أضاء لهما الأرض ؛ أحدهما على حمار والآخر على جمل ، فمن راكب الحمار ومن راكب الجمل» ؟

قال رأس الجالوت : لا أعرفهما فخبّرني بهما !

قال عليه السلام : «أمّا راكب الحمار فعيسى ، وأمّا راكب الجمل فمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، أتنكر هذا من «التوراة» ؟

قال : لا ما أُنكره .

قال الرّضا عليه السلام : «هل تعرف حيقوق النّبيّ عليه السلام» ؟

قال : نعم ، إنّي به لعارف» !

قال عليه السلام : «فإنّه قال ـ وكتابكم ينطق به ـ : جاء الله تعالى بالبيان من جبل فاران ، وامتلأت السماوات من تسبيح أحمد وأُمّته ، يحمل خيله في البحر كما يحمل في البر ، يأتينا بكتاب جديد بعد خراب بيت المقدس ، يعني بالكتاب : «القرآن» ، أتعرف هذا وتؤمن به» ؟

قال رأس الجالوت : قد قال ذلك حيقوق النّبيّ عليه السلام ولا ننكر قوله .

قال الرّضا عليه السلام : «فقد قال داود عليه السلام في زبوره ـ وأنت تقرأه ـ : اللّهمّ ابعث مقيم السنّة بعد الفترة ،

فهل تعرف نبيّاً أقام السنّة بعد الفترة غير محمّد ﷺ» ؟

قال رأس الجالوت: هذا قول داود نعرفه ولاننكره، ولكن عنى بذلك : عيسى وأمامه هي الفترة.

قال الرّضا ﷺ : «جهلت أنّ عيسى لم يخالف السنّة ، وكان موافقاً لسنّة «التوراة» ، حتّى رفعه الله إليه ، وفي «الانجيل» مكتوب : إنّ ابن البرّة ذاهب و«الفارقليطا» جائي من بعدي ، هو يخفّف الآصار ، ويفسّر لكم كلّ شيء ، ويشهد لي كما شهدت له ، أنا جئتكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل ، أتؤمن بهذا في «الإنجيل» ؟

قال : نعم ، لا أنكره .

قال الرّضا ﷺ : «أسألك عن نبيّك موسى بن عمران ﷺ» .

فقال : سل !

قال ﷺ : «ما الحجّة على أنّ موسى ثبتت نبوّته» ؟

قال اليهودي : إنّه جاء بما لم يجيء أحد من الأنبياء قبله .

قال ﷺ له : «مثل ماذا» ؟

قال : مثل فلق البحر ، وقلبه العصا حيّة تسعى ، وضربه الحجر فانفجرت منه العيون ، وإخراجه يده بيضاء للناظرين ، وعلامات لا يقدر الخلق على مثلها .

قال له الرّضا ﷺ : «صدقت في أنّها كانت حجّته على نبوّته ، إنّه جاء بما لا يقدر الخلق على مثله ، أفليس كلّ من ادّعى أنّه نبيّ وجاء بما لا يقدر الخلق على مثله وجب عليكم تصديقه» ؟

قال : لا ، لأنّ موسى لم يكن له نظير لمكانه من ربّه وقربه منه ، ولا يجب علينا الإقرار بنبوّة من ادّعاها حتّى يأتي من الأعلام بمثل ما جاء .

قال الرّضا ﷺ : «فكيف أقررتم بالأنبياء الّذين كانوا قبل موسى ، ولم يفلقوا البحر ولم يفجّروا من الحجر اثنتي عشر عيناً ، ولم يخرجوا أيديهم مثل إخراج موسى يده بيضاء ، ولم يقلّبوا العصا حيّةً تسعى» ؟!

قال له اليهودي : قد خبّرتك أنّه متى جاؤوا على نبوّتهم من الآيات بما لا يقدر الخلق على مثله ولو جاؤوا بمثل ما لم يجيء به موسى ، أوكانوا على ما جاء به موسى وجب تصديقهم .

قال الرّضاﷺ: «يا رأس الجالوت ! فما يمنعك من الإقرار بعيسى بن مريم ، وكان يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ثمّ ينفخ فيه فيكون طائراً بإذن الله» ؟!

قال رأس الجالوت : يقال : إنّه فعل ذلك ، ولم نشهده .

قال الرّضا عليه السلام : «أرأيت ما جاء به موسى من الآيات وشاهدته ؟! أليس إنّما جاء الأخبار من ثقاة أصحاب موسى أنّه فعل ذلك» ؟

قال : بلى .

قال عليه السلام : «كذلك أيضاً أتتكم الأخبار المتواترة بما فعل عيسى بن مريم ، فكيف صدّقتم بموسى ولم تصدّقوا بعيسى» ؟!

فلم يحر جواباً .

فقال الرّضا عليه السلام : «وكذلك أمر محمّد صلى الله عليه وآله وما جاء به ، وأمر كلّ نبيّ بعثه الله ، ومن آياته أنّه كان يتيماً فقيراً راعياً أجيراً ، ولم يتعلّم ، ولم يختلف إلى معلّم ، ثمّ جاء بالقرآن الّذي فيه قصص الأنبياء عليهم السلام وأخبارهم حرفاً حرفاً ، وأخبار من مضى ومن بقي إلى يوم القيامة ، ثمّ كان يخبرهم بأسرارهم وما يعملون في بيوتهم ، بآيات كثيرة لا تحصى» .

قال رأس الجالوت : لم يصح عندنا خبر عيسى ، ولا خبر محمّد ، ولا يجوز لنا أن نقرّ لهما بما لا يصحّ عندنا .

قال الرّضا عليه السلام : «فالشاهد الّذي يشهد لعيسى ومحمّد صلى الله عليه وآله شاهد زور» ؟

فلم يحر جواباً .

ثمّ دعا بالهربذ الأكبر ، فقال له الرضا عليه السلام : «أخبرني عن زردشت الّذي تزعم أنّه نبيّ ما حجّتك على نبوّته ؟

قال : إنّه أتى بما لم يأتنا به أحد قبله ، ولم نشهده ، ولكن الأخبار من أسلافنا وردت علينا بأنّه أحلّ لنا ما لم يحلّه لنا غيره فاتّبعناه .

قال عليه السلام : «أفليس إنّما أتتكم الأخبار فاتّبعتموه» ؟

قال : بلى .

قال عليه السلام : «فكذلك سائر الأُمم السالفة أتتهم الأخبار بما أتى به النبيّون ، وأتى به موسى وعيسى ومحمّد صلى الله عليه وآله ، فما عذركم في ترك الإقرار بهم ، إذ كنتم إنّما أقررتم بزردشت من قبل الأخبار الواردة بأنّه جاء بما لم يجيء به غيره» ؟

فانقطع الهربذ مكانه .

فقال الرّضا عليه السلام : «يا قوم إن كان فيكم أحد يخالف الإسلام وأراد أن يسأل فليسأل غير محتشم» !

فقام إليه عمران الصابي ـ وكان واحداً من المتكلّمين ـ فقال : يا عالم النّاس ! لولا أنّك دعوت إلى مسألتك لم أقدم عليك بالمسائل ، ولقد دخلت الكوفة والبصرة والشام والجزيرة ، ولقيت المتكلّمين فلم أقع على أحد يثبت لي واحداً ليس غيره ، قائماً بوحدانيّته ، أفتأذن أن أسألك ؟

قال الرّضا عليه السلام : «إن كان في الجماعة عمران الصابي فأنت هو» !

قال : أنا هو .

قال عليه السلام : «سل يا عمران وعليك بالنصفة ، إيّاك والخطل[1] والجور» !

قال : والله يا سيّدي ما أُريد إلّا أن تثبت لي شيئاً أتعلّق به ، فلا أجوزه !

قال عليه السلام : «سل عمّا بدا لك» !

فازدحم النّاس وضمّ بعضهم إلى بعض .

فقال : أخبرني عن الكائن الأوّل وعمّا خلق ؟

قال عليه السلام : «سألت ؛ فافهم الجواب : أمّا الواحد فلم يزل كائناً واحداً ، لا شيء معه ، بلا حدود ، ولا أعراض ، ولا يزال كذلك ، ثمّ خلق خلقاً مبتدعاً ، مختلفاً ، بأعراض وحدود مختلفة ، لا في شيء أقامه ، ولا في شيء حدّه ، ولا على شيء حذاه ومثّله ، فجعل الخلق من بعد ذلك صفوة وغير صفوة لله ، واختلافاً وايتلافاً ، وألواناً ، وذوقاً ، وطعماً ، لا لحاجة كانت منه إلى ذلك ، ولا لفضل منزلة لم يبلغها إلّا به ، ولا رأى نفسه فيما خلق زيادة ولا نقصاناً ، تعقل هذا يا عمران» ؟

قال : نعم والله يا سيّدي .

قال عليه السلام : «واعلم يا عمران ! أنّه لو كان خلق ما خلق لحاجة ، لم يخلق إلّا من يستعين به على حاجته ، ولكان ينبغي أن يخلق أضعاف ما خلق ، لأنّ الأعوان كلّما كثروا كان صاحبهم أقوى» .

ثمّ طال السؤال والجواب بين الرّضا عليه السلام وبين عمران الصابي ، وألزمه عليه السلام في أكثر مسائله ، حتّى انتهت الحال إلى أن قال :

أشهد أنّه يا سيّدي كما وصفت ، ولكن بقيت مسألة !

قال عليه السلام : «سل عمّا أردت» !

قال : أسألك عن «الحكيم» في أيّ شيء ؟ وهل يحيط به شيء ؟ وهل يتحوّل من شيء إلى

---

(١) الخَطَلُ : خفّة وسرعة ... والمنطق الفاسد .

شيء ؟ أو هل به حاجة إلى شيء ؟

قال الرّضا عليه السلام : «اُخبرك يا عمران فاعقل ما سألت عنه ، فإنّه من أغمض ما يرد على المخلوقين في مسائلهم ، وليس يفهمه ، المتقارب عقله ، العازب حلمه ، ولا يعجز عن فهمه أولو العقل المنصفون .

أمّا أوّل ذلك ، فلو كان خلق ما خلق لحاجة منه لجاز لقائل أن يقول : يتحوّل إلى ما خلق لحاجته إلى ذلك ، ولكنّه عزّ وجلّ لم يخلق شيئاً لحاجة ، ولم يزل ثابتاً لا في شيء ، إلّا أنّ الخلق يمسك بعضه بعضاً ، ويدخل بعضه على بعض ، ويخرج منه . والله جلّ وتقدّس بقدرته يمسك ذلك كلّه ، وليس يدخل في شيء ، ولا يخرج منه ولا يؤوده حفظه ، ولا يعجز عن إمساكه ، ولا يعرف أحد من الخلق كيف ذلك إلّا الله عزّ وجلّ ، ومن أطلعه عليه من رسله وأهل سرّه ، والمستحفظين لأمره ، وخزّانه القائمين بشريعته ، وإنّما أمره كلمح البصر أو هو أقرب ، إذا شاء شيئاً فإنّما يقول له : «كن» فيكون بمشيّته وإرادته ، وليس شيء من خلقه أقرب إليه من شيء ، ولا شيء أبعد منه من شيء ، أفهمت يا عمران» ؟

قال : نعم يا سيّدي فهمت ، وأشهد أنّ الله على ما وصفت ووحّدت ، وأنّ محمّداً عبده المبعوث بالهدى ودين الحق ؛ ثمّ خرّ ساجداً نحو القبلة وأسلم .

قال الحسن بن محمّد النوفلي : فلمّا نظر المتكلّمون إلى كلام عمران الصابي ـ وكان جدلاً لم يقطعه عن حجّته أحد قط ـ لم يدن من الرّضا عليه السلام أحد ، ولم يسألوه عن شيء ، وأمسينا ، فنهض المأمون والرّضا عليه السلام فدخلا ، وانصرف النّاس .

ثمّ قال الرّضا عليه السلام ـ بعد أن عاد إلى منزله ـ : «يا غلام صر إلى عمران الصابي فأتني به» !

فقلت : جعلت فداك ! أنا أعرف موضعه ، هو عند بعض إخواننا من الشيعة .

قال عليه السلام : «فلا بأس ، قرّبوا إليه دابّة» .

فصرت إلى عمران فأتيته به ، فرحّب به ، ودعا بكسوة فخلعها عليه ، ودعا بعشرة آلاف درهم فوصله به .

قلت : جعلت فداك ! حكيت فعل جدّك أمير المؤمنين عليه السلام .

قال عليه السلام : «هكذا يجب» .

ثمّ دعا عليه السلام بالعشاء فأجلسني عن يمينه ، وأجلس عمران عن يساره ، حتّى إذا فرغنا قال

لعمران : «انصرف مصاحباً ، وبكّر علينا نطعمك طعام المدينة» .

فكان عمران بعد ذلك يجتمع إليه المتكلّمون من أصحاب المقالات فيبطل عليهم أمرهم حتّى اجتنبوه ، ووصله المأمون بعشرة آلاف درهم ، وأعطاه الفضل مالاً جزيلاً ، وولّاه الرّضا عليه السلام صدقات البلخ ، فأصاب الرغائب[١] .

وروي عن عليّ بن الجهم أنّه قال : حضرت مجلس المأمون وعنده الرّضا عليه السلام ، فقال له المأمون : يابن رسول الله أليس من قولك : «إنّ الأنبياء معصومون»[٢] ؟

قال عليه السلام : «بلى» .

قال : فما معنى قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾[٣] ؟

فقال عليه السلام : «إنّ الله تبارك وتعالى قال لآدم عليه السلام : ﴿ ٱسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾[٤] ولم يقل لهما لا تأكلا من هذه الشجرة ولا ممّا كان من جنسها ، فلم يقربا تلك الشجرة ، وإنّما أكلا من غيرها إذ وسوس الشيطان إليهما وقال : ﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[٥] وإنّما نهاكما أن تقربا غيرها ، ولم ينهكما عن الأكل منها : ﴿ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّاصِحِينَ ﴾[٦] ولم يكن آدم وحوّا شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً ، ﴿ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ ﴾[٧] فأكلا منها ثقة بيمينه بالله ، وكان ذلك من آدم قبل النبوّة ، ولم يكن ذلك بذنب كبير استحقّ دخول النّار ، وإنّما كان من الصغائر الموهوبة الّتي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم ، فلمّا اجتباه الله تعالى وجعله نبيّاً كان معصوماً لا يذنب

---

(١) الرغبية : الأمر المرغوب فيه ، والعطاء الكثير .

(٢) عقيدتنا في النبيّ والإمام عليهما السلام أن يكونا معصومَين بمعنى : أنّنا ننزّه النّبيّ والإمام عليهما السلام عن كبائر الذنوب وصغائرها ، وعن الخطأ والنسيان ، بل عمّا ينافي المروءة وعن كلّ عمل يستهجن عرفاً .
ولو انتفت عنه العصمة : لاحتملنا الخطأ والنسيان والمعصية في كلّ عمل أو قول يصدر عنه ، وحينئذٍ لا تكون أقواله ولا أفعاله حجّة علينا ، ولا نكون ملزمَين باتّباعهما ، وفي ذلك انتقاض الغرض . وقد أجمع الإماميّة على القول بالعصمة ، وما يتوهّم خلاف ذلك من بعض الأخبار والأدعية فهي مؤوّلة .

(٣) طه ١٢١.

(٤) البقرة ٣٥.

(٥) الأعراف ٢٠.

(٦) الأعراف ٢٠ـ٢١.

(٧) الأعراف ٢٢.

صغيرة ولا كبيرة ، قال الله تعالى : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾(١) وقال ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾(٢)» .

قال المصنّف ؒ : لعلّ الرّضا صلوات الله عليه أراد «بالصغائر الموهوبة» ترك المندوب وارتكاب المكروه من الفعل ، دون الفعل القبيح الصغير بالإضافة إلى ما هو أعظم منه ، لاقتضاء أدلّة العقول والأثر المنقول لذلك ، ورجعنا إلى سياق الحديث .

ثمّ قال المأمون : فما معنى قول الله ﷻ : ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾(٣) ؟

فقال الرّضا ؑ : «إنّ حوّا ولدت خمسمائة بطن ، في كلّ بطن ذكر وأُنثى ، وإنّ آدم وحوّا عاهدا الله ودعواه قالا : ﴿ لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾(٤) فلمّا آتاهما صالحاً من النسل ، خلقاً سويّاً بريئاً من الزمانة والعاهة ،كان ما آتاهما صنفين : صنفاً ذكراناً وصنفاً أُناثاً ، فجعل الصنفان لله تعالى شركاء فيما آتاهما ، ولم يشكراه شكر أبويهما له ﷻ ، قال الله تعالى : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٥)» .

فقال المأمون : أشهد أنّك ابن رسول الله حقّاً ، فأخبرني عن قول الله ﷻ في إبراهيم : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَباً قَالَ هَٰذَا رَبِّي ﴾(٦) ؟

فقال الرّضا ؑ : «إنّ إبراهيم وقع على ثلاثة أصناف : صنف يعبد «الزهرة» ، وصنف يعبد «القمر» ، وصنف يعبد «الشمس» ، ذلك حين خرج من السرب(٧) الّذي أُخفي فيه . فلمّا جنّ عليه اللّيل رأى «الزهرة» قال : «هذا ربّي» ؟! على الإنكار والإستخبار ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ «الكوكب» قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴾(٨) لأنّ الأُفول من صفات المحدث ولا من صفات القديم .

﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَٰذَا رَبِّي ﴾(٩) ؟! على الإنكار والإستخبار . ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَمْ يَهْدِنِي

---

(١) طه ١٢١ـ١٢٢.

(٢) آل عمران ٣٣.

(٣) الأعراف : ١٩٠.

(٤) الأعراف ١٨٩.

(٥) الأعراف ١٩٠.

(٦) الأنعام ٧٦.

(٧) السَرَبُ ـ بالتحريك ـ: جُحْر الوحشي والحفير تحت الأرض والقناة يدخل منها الماء.

(٨) الأنعام ٧٦.

(٩) الأنعام ٧٧.

رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّالِّينَ ﴾(١) يقول : لو لم يهدني ربّي لكنت من القوم الضالّين .

﴿ فَلَمَّا رَأى ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـٰذَا رَبِّي هَـٰذَا أَكْبَرُ ﴾(٢) من الزهرة والقمر ؟! على الإنكار والإستخبار ، لا على سبيل الإخبار والإقرار . ﴿ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ ـ للأصناف الثلاثة من عبدة الزهرة والقمر والشمس ـ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٣) فإنّما أراد إبراهيم عليه السلام بما قال : أن يبيّن لهم بطلان دينهم ، ويثبت عندهم أنّ العبادة لا تحقّ لمن كان بصفة الزهرة والقمر والشمس ، وإنّما تحقّ العبادة لخالقها ؛ خالق السماوات والأرض ، وكان ممّا احتجّ به على قومه ممّا ألهمه الله عزّ وجلّ وآتاه ، كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ﴾(٤)» .

فقال المأمون : لله درّك يابن رسول الله ! فأخبرني عن قول إبراهيم : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾(٥) ؟

قال الرّضا عليه السلام : «إنّ الله تبارك وتعالى كان أوحى إلى إبراهيم عليه السلام : «إنّي متخذ من عبادي خليلاً ، إن سألني إحياء الموتى أحييت له» ، فوقع في نفس إبراهيم أنّه ذلك الخليل ، فقال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ على الخلّة ، ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَّكَ سَعْياً وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٦) ؛ فأخذ إبراهيم نسراً وبطّاً وطاووساً وديكاً ، فقطّعهنّ وخلطهنّ ثمّ جعل على كلّ جبل من الجبال الّتي حوله ـ وكانت عشرة ـ منهنّ جزءاً ، وجعل مناقيرهنّ بين أصابعه ، ثمّ دعاهنّ بأسمائهنّ ، ووضع عنده حبّاً وماءً ، فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتّى استوت الأبدان ، وجاء كلّ بدن حتّى انضمّ إلى رقبته ورأسه ، فخلّى إبراهيم عليه السلام عن مناقيرهنّ ، فطرن ثمّ وقعن فشربن من ذلك الماء والتقطن من ذلك الحب ، وقلن : يا نبيّ الله أحييتنا أحياك الله ! فقال إبراهيم : «بل الله يحيي ويميت وهو على كلّ شيء قدير» .

---

(١) الأنعام ٧٧.

(٢) الأنعام ٧٨.

(٣) الأعراف ٧٨ ـ ٧٩.

(٤) الأنعام ٨٣.

(٥) البقرة ٢٦٠.

(٦) البقرة ٢٦٠.

فقال المأمون : بارك الله فيك يا أباالحسن ! فأخبرني عن قول الله : ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ ﴾(١) ؟

قال الرّضا عليه السلام : «إنّ موسى دخل مدينة من مدائن فرعون على حين غفلة من أهلها ـ وذلك بين المغرب والعشاء ـ ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى ٱلَّذِي مِنْ عَدُوِّه فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ ﴾(٢) فقضى موسى على العدو بحكم الله تعالى ذكره فمات . قال : ﴿ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ ﴾ يعني الإقتتال الّذي وقع بين الرّجلين ، لا ما فعله موسى من قتله إيّاه ﴿ إِنَّهُ ـ يعني : الشيطان ـ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾(٣)» .

قال المأمون : فما معنى قول موسى : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فاغْفِرْ لِي ﴾(٤) ؟

قال عليه السلام : «يقول : إنّي وضعت نفسي غير موضعها ، بدخولي هذه المدينة ﴿ فاغْفِرْ لِي ﴾ أي استرني من أعدائك ، لئلّا يظفروا بي فيقتلوني ﴿ فَغَفَرَ لَهُ ـ أي ستره من عدوّه ـ إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٥) . قال : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ـ من القوّة حتّى قتلت رجلاً بوكزة ـ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾(٦) بل أُجاهد في سبيلك بهذه القوّة حتّى ترضى .

﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ * ـ قاتلت رجلاً بالأمس وتقاتل هذا اليوم ، لأُؤدّبنّك ـ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا ـ ظنّ الّذي من شيعته أنّه يريد ـ قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّاراً فِي ٱلأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾(٧)» .

قال المأمون : جزاك الله عن أنبيائه خيراً يا أباالحسن ! فما معنى قول موسى لفرعون : ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ ٱلضَّالِّينَ ﴾(٨) ؟

قال الرّضا عليه السلام : «إنّ فرعون قال لموسى لمّا أتاه : ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ

---

(١) القصص ١٥.

(٢) القصص ١٥.

(٣) القصص ١٥.

(٤) القصص ١٦.

(٥) القصص ١٦.

(٦) القصص ١٧.

(٧) القصص ١٨ ـ ١٩.

(٨) الشعراء ٢٠.

﴿ٱلْكَافِرِينَ * قَالَ ـ موسى ـ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ ٱلضَّالِّينَ * ـ عن الطريق بوقوعي إلى مدينة من مدائنك ـ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[١] وقد قال الله لنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ * ـ يقول: ألم يجدك وحيداً فآوى إليك النّاس ؟ وَوَجَدَكَ ضَالّاً ـ يعني عند قومك ـ فَهَدَىٰ * ـ أي هداهم إلى معرفتك ـ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ﴾[٢] يقول: أغناك بأن جعل دعاءك مستجاباً».

قال المأمون: بارك الله فيك يابن رسول الله ! فما معنى قول الله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ الآية[٣] كيف يكون كليم الله موسى بن عمران لا يعلم أنّ الله تعالى ذكره لا يجوز على الرؤية حتّى يسأله هذا السؤال ؟!

فقال الرّضا عليه السلام: «إنّ كليم الله موسى بن عمران علم أنّ الله جلّ عن أن يرى بالأبصار، ولكنّه لمّا كلّمه الله تعالى وقرّبه نجيّاً، رجع إلى قومه فأخبرهم: أنّ الله عزّ وجلّ كلّمه وقرّبه.

فقالوا: لن نؤمن لك حتّى نسمع كلامه كما سمعت.

وكان القوم سبعمائة ألف رجل، فاختار منهم سبعين ألفاً، ثمّ اختار منهم سبعة آلاف، ثمّ اختار منهم سبعمائة، ثمّ اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربّه، فخرج بهم إلى طور سيناء، فأقامهم في سفح الجبل، وصعد موسى إلى الطور، وسأل الله عزّ وجلّ أن يكلّمه ويسمعهم كلامه، فكلّمه الله تعالى، وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال، ووراء وأمام، لأنّ الله عزّ وجلّ أحدثه في الشجرة، ثمّ جعله منبعثاً منها حتّى سمعوه، من جميع الوجوه.

فقالوا: لن نؤمن لك بأنّ هذا الّذي سمعناه كلام الله حتّى نرى الله جهرة، فلمّا قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا، بعث الله عليهم صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا.

فقال موسى: يا ربّ ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنّك ذهبت بهم فقتلتهم، لأنّك لم تكن صادقاً فيما ادّعيت من مناجات الله إيّاك ؟

فأحياهم الله وبعثهم معه، فقالوا: إنّك لو سألت الله أن يريك تنظر إليه لأجابك، وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حقّ معرفته.

---

(١) الشعراء ١٩ـ٢١.

(٢) الضحى ٦ـ٨.

(٣) الأعراف ١٤٣.

فقال موسى : يا قوم ! إنّ الله لا يرى بالأبصار ، ولا كيفيّة له ، وإنّما يعرف بآياته ويعلم بعلاماته .

فقالوا : لن نؤمن لك حتّى تسأله .

فقال موسى : ربّ إنّك قد سمعت مقالة بني إسرائيل ، وأنت أعلم بصلاحهم .

فأوحى الله جلّ جلاله إليه : يا موسى سلني ما سألوك ، فلن أُؤاخذك بجهلهم .

فعند ذلك قال موسى : ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ ـ وهو يهوي ـ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ـ بآية من آياته ـ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ ـ يقول : رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي ـ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[١] منهم بأنّك لا ترى» .

فقال المأمون : لله درّك يا أباالحسن ! فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾[٢] ؟

فقال الرّضا عليه السلام : «ولقد همّت به ولولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بها كما همّت به ، لكنّه كان معصوماً والمعصوم لا يهمّ بذنب ولا يأتيه ، ولقد حدّثني أبي عن أبيه الصّادق أنّه قال : همّت بأن تفعل وهمّ بأن لا يفعل» .

فقال المأمون : لله درّك يا أباالحسن ! فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ الآية[٣] ؟

فقال الرّضا عليه السلام : «ذلك يونس بن متّى ، ذهب مغاضباً لقومه ، فظنّ بمعنى : استيقن أن لن نقدر عليه ، أي : نضيق عليه رزقه ، ومنه قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ﴾[٤] أي : ضيّق وقتّر ، ﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ـ ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت ـ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[٥] بتركي العبادة التي قد قرّت عيني بها في بطن الحوت ، فاستجاب الله له ، وقال عزّ وجلّ : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[٦]» .

---

(١) الأعراف ١٤٣.

(٢) يوسف ٢٤.

(٣) الأنبياء ٨٧.

(٤) الفجر ١٦.

(٥) الأنبياء ٨٧.

(٦) الصافات ١٤٣ ـ ١٤٤.

فقال المأمون : لله درّك يا أباالحسن ! أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا ٱسْتَيْأَسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾[١] ؟

فقال الرّضا عليه السلام : «يقول الله : حتّى إذا استيأس الرسل من قومهم ، وظنّ قومهم أنّ الرّسل قد كذبوا ، جاء الرسل نصرنا» .

فقال المأمون : لله درّك يا أباالحسن ! فأخبرني عن قول الله : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[٢] ؟

قال الرّضا عليه السلام : «لم يكن أحد عند مشركي أهل مكّة أعظم ذنباً من رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأنّهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستّين صنماً ، فلمّا جاءهم بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم ، وقالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلآلِهَةَ إِلَٰهاً وَاحِداً إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وانطَلَقَ ٱلْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا وَٱصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا ٱخْتِلَاقٌ ﴾[٣] فلمّا فتح الله عزّ وجلّ على نبيّه مكّة قال له : يا محمّد ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[٤] عند مشركي أهل مكّة بدعائك إيّاهم إلى توحيد الله فيما تقدّم وما تأخّر ، لأنّ مشركي مكّة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكّة ، ومن بقي منهم لا يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا دعى النّاس إليه ، فصار ذنبه عندهم مغفوراً بظهوره عليهم» .

فقال المأمون: لله درّك يا أباالحسن ! فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ﴾[٥] ؟

فقال الرّضا عليه السلام : «هذا ممّا نزل بـ «إيّاك أعني واسمعي يا جاره» خاطب الله بذلك نبيّه صلى الله عليه وآله وأراد به أُمّته ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴾[٦] وقوله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً ﴾[٧]» .

قال المأمون : صدقت يابن رسول الله ! فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ ٱللَّهُ

---

(١) يوسف ١١٠.

(٢) الفتح ١.

(٣) ص ٥ ـ ٧.

(٤) الفتح ١.

(٥) التوبة ٤٤.

(٦) الزمر ٦٥.

(٧) الإسراء : ٧٤.

عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللهُ أَحَقُّ أن تَخْشَاهُ ﴾(١) .

قال الرّضا عليه السلام : «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قصد دار زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي في أمر أراده ، فرأى امرأته تغتسل فقال لها : «سبحان الّذي خلقك» وإنّما أراد بذلك تنزيه الله عن قول من زعم : أنّ الملائكة بنات الله ، فقال الله عزّ وجلّ : ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ إِنَاثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً ﴾(٢) فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله لمّا رآها تغتسل : «سبحان الّذي خلقك» أن يتّخذ ولداً يحتاج إلى هذا التطهير والإغتسال ، فلمّا عاد زيد إلى منزله أخبرته امرأته بمجيء رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقوله لها سبحان الّذي خلقك ، فلم يعلم زيد ما أراد بذلك وظنّ أنّه قال ذلك لمّا أعجبه من حسنها ، فجاء إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله إنّ امرأتي في خلقها سوء ، وإنّي أُريد طلاقها .

فقال له النّبيّ : ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللهَ ﴾ وقد كان الله عرّفه عدد أزواجه وأنّ تلك المرأة منهنّ ، فأخفى ذلك في نفسه ولم يبده لزيد ، وخشي النّاس أن يقولوا : إنّ محمّداً يقول لمولاه أنّ امرأتك ستكون لي زوجة ، فيعيبوه بذلك ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ - يعني بالإسلام - وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ - يعني بالعتق - أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾ ثمّ إنّ زيد بن حارثة طلّقها واعتدّت منه فزوّجها الله عزّ وجلّ من نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله ، وأنزل بذلك قرآناً ، فقال عزّ وجلّ : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً ﴾(٣) ثمّ علم عزّ وجلّ أنّ المنافقين سيعيبوه بتزويجها ، فأنزل الله : ﴿ مَا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللهُ لَهُ ﴾(٤)» .

فقال المأمون : لقد شفيت صدري يابن رسول الله ، وأوضحت لي ما كان ملتبساً فجزاك الله عن أنبيائه وعن الإسلام خيراً .

قال علي بن الجهم : فقام المأمون إلى الصّلاة ، وأخذ بيد محمّد بن جعفر - وكان حاضر المجلس - وتبعتهما ، فقال له المأمون : كيف رأيت ابن أخيك ؟

فقال : عالم . ولم نره يختلف إلى أحد من أهل العلم .

---

(١) الأحزاب ٣٧.

(٢) الإسراء ٤٠.

(٣) الأحزاب ٣٧.

(٤) الأحزاب ٣٨.

فقال المأمون : إنّ ابن أخيك من أهل بيت النبوّة الّذين قال فيهم النّبيّ صلى الله عليه وآله : «ألا إنّ أبرار عترتي ، وأطايب أُرومتي ، أحلم النّاس صغاراً ، وأعلم النّاس كباراً ، فلا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم ، لا يخرجونكم من باب هدى ولا يدخلونكم في باب ضلالة» .

وانصرف الرّضا عليه السلام إلى منزله ، فلمّا كان من الغد غدوت إليه ، وأعلمته ما كان من قول المأمون وجواب عمّه محمّد بن جعفر له .

فضحك الرّضا عليه السلام ثمّ قال : «يابن الجهم لا يغرّنّك ما سمعته منه ، فإنّه سيغتالني والله ينتقم لي منه» .

احتجاجه صلوات الله عليه فيما يتعلّق بالإمامة وصفات من خصّه الله تعالى بها وبيان الطريق إلى من كان عليها وذمّ من يجوّز اختيار الإمام ولوم من غلا فيه وأمر الشيعة بالتورية والتقية عند الحاجة إليهما وحسن التأدّب

أبو يعقوب البغدادي[١] قال : إنّ ابن السكّيت[٢] قال ـ لأبي الحسن الرّضا عليه السلام ـ : لماذا بعث الله موسى بن عمران بيده البيضاء ، وآلة السحر ، وبعث عيسى بآية الطب ، وبعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالكلام والخطب ؟

فقال له أبو الحسن عليه السلام : «إنّ الله لمّا بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السحر ؛ فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسع القوم مثله ، وبما أبطل به سحرهم ، وأثبت به الحجّة عليهم .

---

(١) قال المقامقاني في رجاله ج٣ ص٢٩ : أبو يعقوب البغدادي روى في كتاب العقل والجهل من الكافي عن أحمد ابن محمّد السياري عنه ، ولم أقف على إسمه وحاله .

(٢) قال الشيخ عباس القمّي في ج ١ من الكنى والألقاب ص٣٠٣ : ابن السكّيت ـ بكسر السين وتشديد الكاف ـ أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الدورقي الأهوازي الإمامي النحوي اللغوي الأديب : ذكره كثير من المؤرخين وأثنوا عليه ، وكان ثقةً جليلاً من عظماء الشيعة ، ويعدّ من خواصّ الإمامَين التقيين عليهما السلام ، وكان حامل لواء علم العربيّة والأدب والشعر واللغة والنحو ، وله تصانيف كثيرة مفيدة منها : تهذيب الألفاظ ، وكتاب إصلاح المنطق .

قال ابن خلّكان : قال بعض العلماء : ما عبر على جسر بغداد كتاب من اللغة مثل إصلاح المنطق ، ولا شكّ أنّه من الكتب النافعة الممتعة الجامعة لكثير من اللغة ولا نعرف في حجمه مثله في بابه ، وقد عنى به جماعة واختصره الوزير المغربي وهذّبه الخطيب التبريزي ... قتله المتوكّل في خامس رجب سنة ٢٤٤ وسببه أنّ المتوكّل قال له يوماً : أيّما أحبّ إليك ؛ ابناي هذان ـ أي المعتز والمؤيد ـ أم الحسن والحسين ؟

فقال ابن السكّيت : والله إنّ قنبراً خادم عليّ بن أبي طالب عليه السلام خير منك ومن ابنيك .

فقال المتوكّل للأتراك : سلّوا لسانه من قفاه ؛ ففعلوا فمات .

وإنّ الله بعث عيسى عليه السلام في وقت قد ظهرت فيه الزمانات ، واحتاج النّاس إلى الطب ، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله ، وبما أحيا لهم الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله ، وأثبت به الحجّة عليهم .

وإنّ الله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله في وقت كان الأغلب على أهل عصره الخطب والكلام ـ وأظنّه قال : والشّعر ـ فأتاهم من عند الله من مواعظه وأحكامه ما أبطل به قولهم وأثبت به الحجّة عليهم» .

قال : فما زال ابن السكّيت يقول له : والله ما رأيت مثلك قط ! فما الحجّة على الخلق اليوم ؟

فقال عليه السلام : «العقل يعرف به الصادق على الله فيصدّقه ، والكاذب على الله فيكذّبه» .

فقال ابن السكّيت : هذا والله هو الجواب .

قد ضمن الرّضا عليه السلام في كلامه هذا أنّ العالم لا يخلو في زمان التكليف من صادق من قبل الله يلتجئ المكلّف إليه فيما اشتبه عليه من أمر الشريعة ، صاحب دلالة تدلّ على صدقه عليه تعالى ، يتوصّل المكلّف إلى معرفته بالعقل ، ولولاه لما عرف الصّادق من الكاذب ، فهو حجّة الله تعالى على الخلق أوّلاً .

وعن القسام بن مسلم عن أخيه عبدالعزيز بن مسلم[1] **قال** : كنّا في أيّام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام بمرو ، فاجتمعنا في جامعها في يوم جمعة في بدو قدومنا ، فأدار النّاس أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف النّاس فيها ، فدخلت على سيّدي ومولاي الرّضا عليه السلام فأعلمته ما خاض النّاس فيه ، فتبسّم ثمّ قال : «يا عبدالعزيز جهل القوم وخدعوا عن أديانهم ، إنّ الله تبارك وتعالى لم يقبض نبيّه صلى الله عليه وآله حتّى أكمل له الدّين ، وأنزل عليه «القرآن» فيه تفصيل كلّ شيء ، بيّن فيه الحلال والحرام ، والحدود والأحكام ، وجميع ما يحتاج إليه كملاً ، فقال عزّ وجلّ : ﴿ **مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ** ﴾[2] وأنزل في حجّة الوداع وهو آخر عمره : ﴿ **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلإِسْلاَمَ دِيناً** ﴾[3] فأمر الإمامة من تمام الدين ، ولم يمض صلى الله عليه وآله حتّى بيّن لأُمّته معالم دينه وأوضح لهم سبيله ، وتركهم على قصد الحق ، وأقام لهم عليّاً عليه السلام علماً وإماماً ، وما ترك شيئاً

---

(١) عبدالعزيز بن مسلم : ذكره الشيخ في أصحاب الرّضا عليه السلام ص٣٨٣ من رجاله .

(٢) الأنعام ٣٨.

(٣) المائدة ٣.

تحتاج إليه الأُمّة إلّا بيّنه ؛ فمن زعم أنّ الله ﷻ لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله ﷻ ، ومن ردّ كتاب الله فهو كافر .

هل تعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأُمّة فيجوز فيها اختيارهم ؟ إنّ الإمامة أجلّ قدراً وأعظم شأناً ، وأعلى مكاناً ، وأمنع جانباً ، وأبعد غوراً من أن يبلغها النّاس بعقولهم ، أو ينالونها بآرائهم فيقيموها باختيارهم ، إنّ الإمامة خصّ الله ﷻ بها إبراهيم الخليل بعد النبوّة والخلّة ، مرتبة ثالثة ، وفضيلة شرّفه الله بها ، فأشاد بها ذكره فقال ﷻ : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامَاً ﴾ فقال الخليل سروراً بها ـ ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ قال الله ﷻ ﴿ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِين ﴾(١) فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة ، وصارت في الصفوة ، ثمّ أكرمه الله ﷻ بأن جعل في ذرّيّته أهل الصفوة والطهارة ، فقال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلّاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلاَةِ وَإِيتَاءَ ٱلزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾(٢) فلم تزل في ذرّيّته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً ، حتّى ورثها النّبيّ ﷺ فقال الله ﷻ : ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱللهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣) فكانت له خاصّة ، فقلّدها النّبيّ ﷺ عليّاً ﵇ بأمر الله على رسم ما فرض الله ، فصارت في ذرّيّته الأصفياء الّذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله ﷻ : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ ٱللهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ ﴾(٤) فهي في ولد عليّ ﵇ خاصّة إلى يوم القيامة إذ لا نبيّ بعد محمّد ﷺ ، فمن أين يختار هؤلاء الجهّال ؟

إنّ الإمامة منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء .

إنّ الإمامة خلافة الله ﷻ ، وخلافة الرسول ، ومقام أميرالمؤمنين ، وميراث الحسن والحسين .

إنّ الإمامة زمام الدّين ، ونظام المسلمين ، وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين .

إنّ الإمامة رأس الإسلام النامي ، وفرعه السامي .

بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام ، والحج والجهاد ، وتوفير الفيئ والصدقات ، وإمضاء الحدود والأحكام ، ومنع الثغور والأطراف .

الإمام يحلّ حلال الله ، ويحرّم حرام الله ، ويقيم حدود الله ، ويذبّ عن دين الله ، ويدعو إلى

---

(١) البقرة ١٢٤.

(٢) الأنبياء ٧٢ـ٧٢.

(٣) آل عمران ٦٨.

(٤) الروم ٥٦.

سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجّة البالغة .

الإمام كالشمس الطالعة للعالم وهي في الأُفق بحيث لا تناله الأيدي والأبصار .

الإمام ؛ البدر المنير ، والسراج الزاهر ، والنور الساطع ، والنجم الهادي في غياهب الدجى والبيداء القفار ولجج البحار .

الإمام ؛ الماء العذب على الظِّماء ، والدال على الهدى ، والمنجى من الردى .

الإمام ؛ النار على البقاع الحارة لمن اصطلى ، والدليل على المسالك ، من فارقه فهالك .

الإمام ؛ السحاب الماطر ، والغيط الهاطل ، والشمس المضيئة ، والأرض البسيطة ، والعين الغزيرة ، والغدير والروضة .

الإمام ؛ الأمين الرفيق ، والوالد الشفيق ،والأخ الشقيق ، ومفزع العباد في الداهية .

الإمام ؛ أمين الله في أرضه ، وحجّته على عباده ، وخليفته في بلاده ، الداعي إلى الله ، والذابّ عن حريم الله .

الإمام ؛ المطهّر من الذنوب ، المبرّأ من العيوب ، مخصوص بالعلم ، موسوم بالحلم ، نظام الدين ، وعزّ المسلمين ، وغيظ المارقين ، وبوار الكافرين .

الإمام ؛ واحد دهره ، لا يدانيه أحد ، ولا يعادله عدل ، ولا يوجد له بديل ولا له مثيل ولا نظير ، مخصوص بالفضل كلّه من غير طلب منه ولا اكتساب ، بل اختصاص من المتفضّل الوهّاب ، فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام ويمكنه اختياره ؟ هيهات هيهات !! ضلّت العقول ، وتاهت الحلوم ، وحارت الألباب ، وحسرت العيون ، وتصاغرت العظماء ، وتحيّرت الحكماء ، وتقاصرت الحلماء ، وحصرت الخطباء ، وجهلت الألباب ، وكلّت الشعراء ، وعجزت الأُدباء ، وعيت البلغاء ، عن وصف شأن من شأنه ، أو فضيلة من فضائله ، فأقرّت بالعجز والتقصير ، وكيف يوصف أو ينعت بكنهه ، أو يفهم شيء من أمره ، أو يوجد من يقوم مقامه ، ويغني غناه ، لا كيف وأنّى وهو بحيث النجم من أيدي المتناولين ، ووصف الواصفين !! فأين الإختيار من هذا ؟ وأين العقول عن هذا ؟ وأين يوجد مثل هذا ؟ ظنّوا أنّ ذلك يوجد في غير آل رسول الله ﷺ ؟ كَذَّبتهُمْ والله أنفسهم ومنتهم الباطل ، فارتقوا مرتقاً صعباً دحضاً تزلّ عنه إلى الحضيض أقدامهم ، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة ، وآراء مضلّة ، فلم يزدادوا منه إلّا بعداً .

قاتلهم الله أنّى يؤفكون ! لقد راموا صعباً ، وقالوا إفكاً ، وضلّوا ضلالاً بعيداً ، ووقعوا في

الحيرة ، إذ تركوا الإمام عن غير بصيرة ، وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل ، وكانوا مستبصرين ، رغبوا عن اختيار الله واختيار رسوله ، إلى اختيارهم ، و«القرآن» يناديهم : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَاكَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَانَ ٱللهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(١) وقال عزّ وجلّ : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾(٢) وقال عزّ وجلّ : ﴿ ومَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ * سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذٰلِكَ زَعِيمٌ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾(٣) وقال عزّ وجلّ : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾(٤) ﴿ أَمْ طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِم فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴾(٥) ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَيَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَابِّ عِندَ ٱللهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لاَيَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ ٱللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾(٦) ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾(٧) بل هو الفضل من الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم .

فكيف لهم باختيار الإمام ؟! والإمام عالم لا يجهل ، راع لا ينكل ، معدن القدس والطهارة ، والنسك والزهادة ، والعلم والعبادة ، مخصوص بدعوة الرسول ، وهو نسل المطهّرة البتول ، لا مغمز فيه في نسب ، ولا يدانيه ذو حسب ، في البيت من قريش ، والذروة من هاشم ، والعترة من آل الرسول ، والرضا من الله ، شرف الأشراف ، والفرع من عبد مناف ، نامي العلم ، كامل الحلم ، مضطلع بالإمامة ، عالم بالسياسة ، مفروض الطاعة ، قائم بأمر الله ، ناصح لعباد الله ، حافظ لدين الله.

إنّ الأنبياء والأئمّة يوفّقهم الله ، ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتيه غيرهم ، فيكون علمهم فوق علم أهل زمانهم في قوله عزّ وجلّ : ﴿ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لاَ يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾(٨) وقوله عزّ وجلّ : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾(٩) وقوله عزّ وجلّ -

---

(١) القصص ٦٨.

(٢) الأحزاب ٣٦.

(٣) القلم ٣٦ ـ ٤١.

(٤) محمّد صلى الله عليه وآله ٢٤.

(٥) التوبة ٨٧.

(٦) الأنفال ٢١ ـ ٢٣.

(٧) البقرة ٩٣.

(٨) يونس ٣٥.

(٩) البقرة ٢٦٩.

في طالوت ـ : ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ والْجِسْمِ واللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ واللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[١] وقال ﷻ لنبيّه : ﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾[٢] وقال ﷻ ـ في الأئمّة من أهل بيته وعترته ـ : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ ٱللهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُلْكاً عَظِيماً * فَمِنْهُم مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيراً ﴾[٣] .

وإنّ العبد إذا اختاره الله لأُمور عباده شرح صدره لذلك ، وأودع قلبه ينابيع الحكمة ، وألهمه العلم إلهاماً ، فلم يعي بعده الجواب ، ولا يحير فيه عن الصواب ، وهو معصوم مؤيّد ، موفّق مسدّد ، قد أمن الخطايا والزلل والعثار ، فخصّه الله بذلك ليكون حجّته على عباده ، وشاهده على خلقه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم ، فهل يقدرون على مثل هذا فيختاروه ؟ أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدّموه ؟ تعدّوا وبيت الله الحق ، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون ، وفي كتاب الله : ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾[٤] فذمّهم الله ومقّتهم أنفسهم فقال ﷻ : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدَىً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين ﴾[٥] وقال ﷻ : ﴿ فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾[٦] وقال ﷻ ﴿ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ ٱللهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا كَذٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[٧]» .

وروي عن الحسن بن علي بن فضال عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام أنّه قال : «للإمام علامات : يكون أعلم النّاس ، وأحكم النّاس ، وأتقى النّاس ، وأشجع النّاس ، وأسخى النّاس ، وأعبد النّاس ، ويولد مختوناً ، ويكون مطهّراً ، ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه ، ولا يكون له ظلّ ، وإذا وقع إلى الأرض من بطه أُمّه وقع على راحتيه رافعاً صوته بالشهادتين ، ولا يحتلم ، ولا ينام عينه ، ولا ينام قلبه ، ويكون محدّثاً ، ويستوي عليه درع رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا يرى له بول ولا غائط ، لأنّ الله قد وكّل الأرض بابتلاع ما يخرج منه ، وتكون رائحته أطيب من رائحة المسك ،

---

(١) البقرة ٢٤٧.

(٢) النساء ١١٣.

(٣) النساء ٥٤ـ٥٥.

(٤) آل عمران ١٨٧.

(٥) القصص ٥٠.

(٦) محمّد صلى الله عليه وآله ٨.

(٧) المؤمن ٣٥.

ويكون أولى النّاس منهم بأنفسهم ، وأشفق عليهم من آبائهم وأُمّهاتهم ، ويكون أشدّ النّاس تواضعاً لله ﷻ ، ويكون آخذ النّاس بما يأمر به ، وأكفّ النّاس عمّا ينتهي عنه ، ويكون دعاؤه مستجاباً ، حتّى أنّه لو دعى على صخرة لانشقّت بنصفين ، ويكون عنده سلاح رسول الله وسيفه ذوالفقار ، وتكون عنده صحيفة فيها أسماء شيعته إلى يوم القيامة ، وصحيفة فيها أسماء أعدائه إلى يوم القيامة ، ويكون عنده الجامعة ؛ وهي صحيفة فيها سبعون ذراعاً ، فيها جميع ما يحتاج إليه ولد آدم ، ويكون عنده الجفر الأكبر والأصغر ؛ وهو إهاب كبش فيها جميع العلوم حتّى أرش الخدش ، حتّى الجلدة ونصف الجلدة وثلث الجلدة ، ويكون عنده مصحف فاطمة عليها السلام» .

وروي خالد بن الهيثم الفارسي قال : قلت لأبي الحسن الرّضا عليه السلام : إنّ النّاس يزعمون أنّ في الأرض أبدالاً ، فمن هؤلاء الأبدال ؟

قال عليه السلام : «صدقوا ، الأبدال هم : الأوصياء ؛ جعلهم الله في الأرض بدل الأنبياء ؛ إذا رفع الأنبياء وختمهم بمحمّد صلى الله عليه وآله» .

وقد روي عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام من ذمّ الغلاة والمفوّضة وتكفيرهم ، وتضليلهم والبراءة منهم وممّن والاهم ، وذكر علّة ما دعاهم إلى ذلك الإعتقاد الفاسد الباطل ، ما قد تقدّم ذكر طرف منه في هذا الكتاب .

وكذلك روي عن آبائه وأبنائه عليهم السلام في حقّهم والأمر بلعنهم ، والبراءة منهم ، وإشاعة حالهم ، والكشف عن سوء اعتقادهم ؛ كي لا يغترّ بمقالتهم ضعفاء الشيعة ، ولا يعتقد من خالف هذه الطائفة أنّ الشيعة الإماميّة بأسرهم على ذلك ، نعوذ منه وممّن اعتقده وذهب إليه ، فممّا ذكره الرّضا عليه السلام عن علّة وجه خطأهم وضلالهم عن الدّين القيّم ، **ما رويناه بالإسناد الّذي تقدّم ذكره عن أبي محمّد الحسن العسكري ، أنّ الرّضا عليه السّلام والصّلوات والتحيّات قال :**

«إنّ هؤلاء الضلّال الكفرة ما أتوا إلّا من قبل جهلهم بمقدار أنفسهم ، حتّى اشتدّ إعجابهم بها ، وكثرة تعظيمهم لما يكون منها ، فاستبدّونا بآرائهم الفاسدة ، واقتصروا على عقولهم المسلوك بها غير سبيل الواجب ، حتّى استصغروا قدر الله ، واحتقروا أمره ، وتهاونوا بعظيم شأنه ، إذ لم يعلموا أنّه القادر بنفسه الغنيّ بذاته ، الّذي ليست قدرته مستعارة ولا غناه مستفاداً ، والّذي من شاء أفقره ومن شاء أغناه ، ومن شاء أعجزه بعد القدرة ، وأفقره بعد الغنى ، فنظروا إلى عبد قد اختصّه الله بقدرة ليبيّن بها فضله عنده ، وآثره بكرامته ليوجب بها حجّته على خلقه ، وليجعل ما آتاه من ذلك

ثواباً على طاعته ، وباعثاً على اتّباع أمره ، ومؤمناً عباده المكلّفين من غلط من نصبه عليهم حجّة ولهم قدوة ، فكانوا كطلّاب ملك من ملوك الدّنيا ، ينتجعون فضله ، ويؤمّلون نائله ، ويرجون التفيّؤ بظلّه والإنتعاش بمعروفه ، والإنقلاب إلى أهليهم بجزيل عطائه الّذي يعينهم على طلب الدّنيها ، وينقذهم من التعرّض لدنيّ المكاسب وخسيس المطالب ، فبيناهم يسألون عن طريق الملك ليترصّدوه وقد وجّهوا الرغبة نحوه ، وتعلّقت قلوبهم برؤيته ، إذ قيل لهم : سيطّلع عليكم في جيوشه ومواكبه وخيله ورجله ، فإذا رأيتموه فأعطوه من التعظيم حقّه ، ومن الإقرار بالمملكة واجبه ، وإيّاكم أن تسمّوا باسمه غيره ، أو تعظّموا سواه كتعظيمه ، فتكونوا قد بخستم الملك حقّه وأزريتم عليه ، واستحققتم بذلك منه عظيم عقوبته ، فقالوا : نحن كذلك فاعلون جهدنا وطاقتنا ، فلما لبثوا أن طلع عليهم بعض عبيد الملك في خيل قد ضمّها إليه سيّده ، ورجل قد جعلهم في جملته ، وأموال قد حباه بها ، فنظر هؤلاء ـ وهم للملك طالبون ـ فاستكثروا ما رأوه بهذا العبد من نعم سيّده ، ورفعوه أن يكون هو من المنعم عليه بما وجدوا معه ، فأقبلوا يحيّونه تحيّة الملك ويسمّونه باسمه ، ويجحدون أن يكون فوقه ملك وله مالك ، فأقبل عليهم العبد المنعم عليه وسائر جنوده بالزجر والنهي عن ذلك ، والبراءة ممّا يسمّونه به ، ويخبرونهم بأنّ الملك هو الّذي أنعم بهذا عليه واختصّه به ، وأنّ قولكم ما تقولون يوجب عليكم سخط الملك وعذابه ، ويفوتكم كلّما أمّلتموه من جهته ، وأقبل هؤلاء القوم يكذّبونهم ويردّون عليهم قولهم ، فما زالوا كذلك حتّى غضب الملك لما وجد هؤلاء قد سوّوا به عبده ، وآزروا عليه في مملكته ، وبخسوه حقّ تعظيمه ، فحشرهم أجمعين إلى حبسه ، ووكّل بهم من يسومهم سوء العذاب .

فكذلك هؤلاء لمّا وجدوا أميرالمؤمنين عبداً أكرمه الله ليبين فضله ، ويقيم حجّته ، فصغروا عندهم خالقهم أن يكون جعل عليّاً له عبداً ، وأكبروا عليّاً عن أن يكون الله ﷻ له ربّاً ؛ فسمّوه بغير اسمه ، فنهاهم هو وأتباعه من أهل ملّته وشيعته وقالوا لهم : يا هؤلاء إنّ عليّاً وولده عباد مكرمون ، مخلوقون ، ومدبّرون ، لا يقدرون إلّا على ما أقدرهم عليه ربّ العالمين ، ولا يملكون إلّا ما ملّكهم ، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، ولا قبضاً ولا بسطاً ، ولا حركة ولا سكوناً إلّا ما أقدرهم عليه وطوّقهم ، وإنّ ربّهم وخالقهم يجلّ عن صفات المحدثين ، ويتعالى عن نعت المحدودين ، وإنّ من اتّخذهم أو واحداً منهم أرباباً من دون الله فهو من الكافرين وقد ضلّ سواء السّبيل .

فأبى القوم إلّا جماحاً[١] وامتدّوا في طغيانهم يعمهون ، فبطلت أمانيّهم ، وخابت مطالبهم ، وبقوا في العذاب» .

وروينا أيضاً بالإسناد المقدّم ذكره عن أبي محمّد العسكري عليه السلام أنّ أباالحسن الرّضا عليه السلام قال : «إنّ من تجاوز بأميرالمؤمنين عليه السلام العبوديّة فهو من المغضوب عليهم ومن الضالّين ، وقال أميرالمؤمنين عليه السلام : لا تتجاوزوا بنا العبوديّة ، وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا ، وإيّاكم والغلوّ كغلوّ النّصارى ، فإنّي بريء من الغالين .

فقام إليه رجل فقال : يابن رسول الله صف لنا ربّك ! فإنّ من قبلنا قد اختلفوا علينا .

فوصفه الرّضا عليه السلام أحسن وصف ، ومجّده ونزّهه عمّا لا يليق به تعالى .

فقال الرّجل : بأبي أنت وأُمّي يابن رسول الله ! فإنّ معي من ينتحل موالاتكم ويزعم أنّ هذه كلّها من صفات عليّ عليه السلام ، وأنّه هو الله ربّ العالمين» .

(قال) : «فلمّا سمعها الرّضا عليه السلام ، ارتعدت فرائصه وتصبّب عرقاً وقال : سبحان الله عمّا يشركون ، سبحانه عمّا يقول الكافرون علوّاً كبيراً ، أوليس علي كان آكلاً في الآكلين ، وشارباً في الشاربين ، وناكحاً في الناكحين ، ومحدّثاً في المحدّثين ؟ وكان مع ذلك مصلّياً خاضعاً ، بين يدي الله ذليلاً ، وإليه أوّاهاً منيباً ، أفمن هذه صفته يكون إلهاً ؟! فإن كان هذا إلهاً فليس منكم أحد إلّا وهو إله لمشاركته له في هذه الصفات الدالّات على حدث كلّ موصوف بها .

فقال الرّجل : يابن رسول الله إنّهم يزعمون أنّ علياً لمّا أظهر من نفسه المعجزات الّتي لا يقدر عليها غير الله ، دلّ على أنّه إله ، ولمّا ظهر لهم بصفات المحدثين العاجزين لبّس ذلك عليهم ، وامتحنهم ليعرفوه ، وليكون إيمانهم اختياراً من أنفسهم .

فقال الرّضا عليه السلام : أوّل ما هاهنا أنّهم لا ينفصلون ممّن قلّب هذا عليهم فقال : لما ظهر منه (الفقر والفاقة) دلّ على أنّ من هذه صفاته وشاركه فيها الضعفاء المحتاجون لا تكون المعجزات فعله ، فعلم بهذا أنّ الّذي أظهره من المعجزات إنّما كان فعل القادر الّذي لا يشبه المخلوقين ، لا فعل المحدث المشارك للضعفاء في صفات الضعف» .

وروي أنّ المأمون كان يحبّ في الباطن سقطات أبي الحسن الرّضا عليه السلام وأن يغلبه المحتج ، ويظهر غيره ، فاجتمع يوماً عنده الفقهاء والمتكلّمون ، فدسّ إليهم أن ناظروه في الإمامة !

---

(١) الجَمُوحُ من الرِّجال : الذي يركب هواه فلا يمكن ردّه.

فقال لهم الرّضا عليه السلام : «اقتصروا على واحد منكم يلزمكم ما يلزمه» .

فرضوا برجل يعرف بيحيى بن الضحّاك السمرقندي ، ولم يكن بخراسان مثله .

فقال له الرّضا عليه السلام : «يا يحيى أخبرني عمّن صدّق كاذباً على نفسه ، أوكذّب صادقاً على نفسه ، أيكون محقّاً مصيباً ، أم مبطلاً مخطياً» ؟

فسكت يحيى .

فقال له المأمون : أجبه !

فقال : يعفيني أميرالمؤمنين عن جوابه .

فقال المأمون : يا أباالحسن عرّفنا الغرض في هذه المسألة !

فقال عليه السلام : «لابدّ ليحيى من أن يخبرني عن أئمّته أنّهم كذبوا على أنفسهم أو صدقوا ؛ فإن زعم أنّهم كذبوا فلا إمامة للكاذب ، وإن زعم أنّهم صدقوا فقد قال أوّلهم : «أقيلوني ولّيتكم ولست بخيركم» وقال ثانيهم : «بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرّها ، فمن عاد لمثلها فاقتلوه» فوالله ما رضي لمن فعل مثل فعله إلّا بالقتل ، فمن لم يكن بخير النّاس والخيريّة لا تقع إلّا بنعوت ، منها : العلم ، ومنها : الجهاد ، ومنها : ساير الفضائل ؛ وليست فيه ، ومن كانت بيعته فلتة يجب القتل على من فعل مثلها ، كيف يقبل عهده إلى غيره ، وهذه صفته ؟!! ثمّ يقول على المنبر : إنّ لي شيطاناً يعتريني ، فإذا مال بي فقوّموني ، وإذا أخطأت فارشدوني ؛ فليسوا أئمّة إن صدقوا وإن كذبوا ؛ فما عند يحيى شيء في هذا» .

فعجب المأمون من كلامه ، وقال : يا أباالحسن ما في الأرض من يحسن هذا سواك !

وروي عنه عليه السلام أنّه قال : «أفضل ما يقدّم العالم من محبّينا وموالينا أمامه ليوم فقره وفاقته ، وذلّه ومسكنته ، أن يغيث في الدّنيا مسكيناً من محبّينا من يد ناصب عدوّ لله ولرسوله ، فيقوم من قبره والملائكة صفوف ، من شفير قبره إلى موضع محلّه من جنان الله ، فيحملوه على أجنحتهم ، ويقولون : طوبى لك طوباك يا دافع الكلاب عن الأبرار ، ويا أيّها المتعصّب للأئمّة الأخيار» .

وبالإسناد الّذي تكرّر عن أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام قال : «دخل على أبي الحسن الرّضا عليه السلام رجل فقال : يابن رسول الله لقد رأيت اليوم شيئاً عجبت منه .

قال : وما هو ؟

قال : رجل كان معنا يظهر لنا أنّه من الموالين لآل محمّد ، المتبرّين من أعدائهم ، فرأيته اليوم

وعليه ثياب قد خلعت عليه ، وهو ذا يطاف به ببغداد ، وينادي المنادي بين يديه : معاشر المسلمين اسمعوا توبة هذا الرّجل الرافضي ، ثمّ يقول : قل ! فقال : «خير النّاس بعد رسول الله ﷺ أبابكر» فإذا قال ذلك ضجّوا وقالوا : قد تاب ، وفضّل أبابكر على عليّ بن أبي طالب .

فقال الرّضا ﷺ : إذا خلوت فأعد عَلَيّ هذا الحديث !

فلمّا خلى أعاد عليه ، فقال له : إنّما لم أُفسّر لك معنى كلام الرّجل بحضرة هذا الخلق المنكوس ، كراهة أن ينقل إليهم فيعرفوه ويؤذوه ، لم يقل الرجل خير النّاس بعد رسول الله ﷺ «أبوبكر» فيكون قد فضّل أبابكر على عليّ ﷺ ، ولكن قال : خير النّاس بعد رسول الله ﷺ «أبابكر» فجعله نداءً لأبي بكر ليرضي من يمشي بين يديه من بعض هؤلاء الجهلة ، ليتوارى من شرورهم ، إنّ الله تعالى جعل هذه التورية ممّا رحم به شيعتنا» .

وبهذا الإسناد عن أبي محمّد العسكري ﷺ أنّه قال : «لمّا جعل المأمون إلى عليّ بن موسى الرّضا ﷺ ولاية العهد ، دخل عليه آذنه فقال : إنّ قوماً بالباب يستأذنون عليك ، يقولون : «نحن من شيعة عليّ ﷺ» .

فقال : أنا مشغول فاصرفهم .

فصرفهم إلى أن جاؤوا هكذا يقولون ويصرفهم شهرين ، ثمّ أيسوا من الوصول ، فقالوا : قل لمولانا إنّا شيعة أبيك عليّ بن أبي طالب ﷺ ؛ قد شمت بنا أعداؤنا في حجابك لنا ، ونحن ننصرف عن هذه الكرّة ، ونهرب من بلادنا خجلاً وأنفة ممّا لحقنا ، وعجزاً عن احتمال مضض ما يلحقنا من أعدائنا .

فقال عليّ بن موسى الرّضا ﷺ : إئذن لهم ليدخلوا ، فدخلوا عليه فسلّموا عليه ، فلم يردّ عليهم ، ولم يأذن لهم بالجلوس ، فبقوا قياماً .

فقالوا : يابن رسول الله ما هذا الجفاء العظيم ، والإستخفاف بعد هذا الحجاب الصعب ؟ أيّ باقية تبقى منّا بعد هذا ؟

فقال الرّضا ﷺ : «اقرؤوا : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾[1] والله ما اقتديت إلّا بربّي ﷻ وبرسوله وبأميرالمؤمنين ومن بعده من آبائي الطاهرين ﷺ ، عتبوا عليكم فاقتديت بهم .

---

(١) الشورى ٣٠.

قالوا : لماذا يابن رسول الله ؟

قال : لدعواكم أنّكم شيعة أميرالمؤمنين ! ويحكم إنّ شيعته : الحسن والحسين ، وسلمان وأبوذر ، والمقداد وعمّار ، ومحمّد بن أبي بكر الّذين لم يخالفوا شيئاً من أوامره ، وأنتم في أكثر أعمالكم له مخالفون ، وتقصرون في كثير من الفرائض وتتهاونون بعظيم حقوق إخوانكم في الله ، وتتقون حيث لا تجب التقيّة ، وتتركون التقيّة حيث لابدّ من التقيّة ، لو قلتم : إنّكم مواليه ومحبّوه ، والموالون لأوليائه والمعادون لأعدائه ، لم أنكره من قولكم ، ولكن هذه مرتبة شريفة ادّعيتموها إن لم تصدّقوا قولكم بفعلكم هلكتم ، إلّا أن تتدارككم رحمة ربكم .

قالوا : يابن رسول الله ! فإذاً نستغفر الله ونتوب إليه من قولنا بل نقول كما علّمنا مولانا : نحن محبّوكم ومحبّوا أوليائكم ، ومعادوا أعدائكم .

قال الرّضا عليه السلام : فمرحباً بكم إخواني ، وأهل ودّي ، ارتفعوا ! فما زال يرفعهم حتّى ألصقهم بنفسه ، ثمّ قال لحاجبه :كم مرّةٍ حجبتهم ؟

قال : ستّين مرّة .

قال : فاختلف إليهم ستّين مرّة متوالية ، فسلّم عليهم وأقرأهم سلامي ، فقد محوا ما كان من ذنوبهم باستغفارهم وتوبتهم ، واستحقّوا الكرامة لمحبّتهم لنا وموالاتهم ، وتفقّد أُمورهم وأُمور عيالاتهم ، فأوسعهم نفقات ومبرّات وصلات ودفع معرّات» .

احتجاج أبي جعفر محمّد بن عليّ الثاني عليهما السلام في أنواع شتّى من العلوم الدينيّة

روى أبو داود بن القاسم الجعفري[1] قال : قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد ﴾ ، ما معنى الأحد ؟

---

(١) داود بن القاسم بن إسحاق بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، ذكره الشيخ في الفهرست ص٩٣ فقال : له كتاب ، وذكره في رجاله في أصحاب الرضا عليه السلام ص٣٧٥ ، وفي أصحاب الجواد عليه السلام ص٤٠١ وقال : ثقة ، جليل القدر ، وفي أصحاب الهادي عليه السلام ص٤٠٤ ، وفي أصحاب العسكري ص٤٣١ .

وذكره العلّامة في الخلاصة فقال : يكنّى أباهاشم الجعفري رضي الله عنه ، من أهل بغداد ، ثقة ، جليل القدر ، عظيم المنزلة عند الأئمّة عليهم السلام ، شاهد أباجعفر وأباالحسن وأبامحمّد عليهم السلام ، وكان شريفاً عندهم ، له موقع جليل عندهم ، روى أبوه عن الصّادق عليه السلام .

قال عليه السلام: «المجمع عليه بالوحدانيّة، أما سمعته يقول: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[1] ثمّ يقولون بعد ذلك له شريك وصاحبة».

فقلت: قوله: ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾[2] ؟

قال عليه السلام: «يا أباهاشم! أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند، والبلدان الّتي لم تدخلها، ولم تدرك ببصرك ذلك، فأوهام القلوب لا تدركه، فكيف تدركه الأبصار».

وسُئِلَ عليه السلام: أيجوز أن يقال لله أنّه شيء؟

فقال عليه السلام: «نعم، تخرجه من الحدّين: حدّ الإبطال، وحدّ التشبيه».

وعن أبي هاشم الجعفري قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فسأله رجل فقال: أخبرني عن الربّ تبارك وتعالى أله أسماء وصفات في كتابه، وهل أسماؤه وصفاته هي هو؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: «إنّ لهذا الكلام وجهين: إن كنت تقول: «هي هو» أنّه: ذو عدد وكثرة؛ فتعالى الله عن ذلك، وإن كنت تقول: هذه الأسماء والصفات لم تزل، فإنّ ما لم تزل محتمل على معنيين: فإن قلت لم تزل عنده في علمه وهو يستحقّها؛ فنعم، وإن كنت تقول: لم تزل صورها وهجاؤها وتقطيع حروفها؛ فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره، بل كان الله تعالى ذكره ولا خلق، ثمّ خلقها وسيلة بينه وبين خلقه، يتضرّعون بها إليه ويعبدون، وهي: «ذكره» وكان الله سبحانه ولا ذكر، والمذكور بالذكر هو الله القديم الّذي لم يزل، والأسماء والصفات مخلوقات، والمعني بها هو الله، لا يليق به الإختلاف ولا الإيتلاف، وإنّما يختلف ويتألّف المتجزّي، ولا يقال له قليل ولا كثير، ولكنّه القديم في ذاته، لأنّ ما سوى الواحد متجزّي والله واحد ولا متجزّي، ولا متوهّم بالقلّة والكثرة، وكلّ متجزّي أو متوهّم بالقلّة والكثرة فهو مخلوق دالّ على خالق له؛ فقولك «إنّ الله قدير» خبّرت أنّه لا يعجزه شيء فنفيت بالكلمة العجز، وجعلت العجز لسواه، وكذلك قولك «عالم» إنّما نفيت بالكلمة الجهل، وجعلت الجهل لسواه، فإذا أفنى الأشياء أفنى «الصورة والهجاء والتقطيع» فلا يزال من لم يزل عالماً».

فقال الرجل: فكيف سمّينا ربّنا سميعاً؟

---

(١) العنكبوت ٦١.

(٢) الأنعام ١٠٣.

فقال عليه السلام : «لأنّه لا يخفى عليه ما يدرك بالأسماع ، ولم نصفه بالسمع المعقول في الرأس ، وكذلك سمّيناه «بصيراً» لأنّه لا يخفى عليه ما يدرك بالأبصار من : لون أو شخص أو غير ذلك ، ولم نصفه ببصر طرفة العين ، وكذلك سمّيناه «لطيفاً» لعلمه بالشيء اللطيف مثل «البعوضة» وما هو أخفى من ذلك ، وموضع المشي منها والشهوة والسفاد ، والحدب على أولادها ، وإقامة بعضها على بعض ، ونقلها الطعام والشراب إلى أولادها في الجبال والمفاوز والأودية والقفار ، وعلمنا بذلك أنّ خالقها لطيف بلا كيف ، إذ الكيفية للمخلوق المكيّف ، وكذلك سمّيناه ربّنا «قويّاً» بلا قوّة البطش المعروف من الخلق ، ولو كانت قوّته قوّة البطش المعروف من الخلق لوقع التشبيه واحتمل الزيادة ، وما احتمل الزيادة احتمل النقصان ، وما كان ناقصاً كان غير قديم ، وما كان غير قديم كان عاجزاً ، فربّنا تبارك وتعالى لا شبه له ، ولا ضدّ ولا ندّ ، ولا كيفيّة ، ولا نهاية ، ولا تصاريف ، محرّم على القلوب أن تحتمله ، وعلى الأوهام أن تحدّه ، وعلى الضمائر أن تصوّره ، جلّ وعزّ عن أداة خلقه ، وسمات بريّته ، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً» .

عن الريّان بن شبيب[1] **قال** : لمّا أراد المأمون أن يزوّج ابنته أُمّ الفضل أبا جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام ، بلغ ذلك العبّاسيّين ، فغلظ عليهم ذلك ، واستنكروا منه ، وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى مع الرّضا عليه السلام ، فخاضوا في ذلك ، واجتمع منهم أهل بيته الأدنون منه ، فقالوا : ننشدك الله يا أميرالمؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الّذي عزمت عليه من تزويج ابن الرّضا ، فإنّا نخاف أن يخرج به عنّا أمر قد ملّكناه الله ، وينتزع منّا عزّاً قد ألبسناه الله ، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً ، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم ، وقد كنّا في وهلة من عملك مع الرّضا ما عملت ، وكفانا الله المهم من ذلك ، فالله الله أن تردّنا إلى غمّ قد انحسر عنّا ، واصرف رأيك عن ابن الرّضا واعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره .

فقال لهم المأمون : أمّا ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه ، ولو أنصفتم القوم لكان أولى بكم ، وأمّا ما كان يفعله من قبلي بهم ، فقد كان به قاطعاً للرحم ، وأعوذ بالله من ذلك ، ووالله ما ندمت على ما كان منّي من استخلاف الرضا ، ولقد سألته أن يقوم بالأمر وأنزعه من نفسي فأبى ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً . وأمّا أبو جعفر محمّد بن عليٍّ ، فقد اخترته لتبريزه على كافّة أهل

---

(١) قال العلّامة الحلّي رحمه الله في القسم الأوّل من خلاصته ص ٧١ : «الريّان بن شبيب ـ بالشين المعجمة وبعدها باء منقطة ـ خال المعتصم ، ثقة» .

الفضل في العلم والفضل ، مع صغر سنّه والأُعجوبة فيه بذلك ، وأنا أرجو أن يظهر للنّاس ما قد عرفته منه ، فيعلموا أنّ الرأي ما رأيت .

فقالوا : إنّ هذا الفتى وإن رأقك منه هديه فإنّه صبيّ لا معرفة له ولا فقه ، فأمهله ليتأدّب ثمّ اصنع ما تراه بعد ذلك .

فقال لهم : ويحكم إنّي أعرف بهذا الفتى منكم ، وإنّ هذا من أهل بيت علمهم من الله تعالى ، وموادّه وإلهامه ، لم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حدّ الكمال ، فإن شئتم فامتحنوا أباجعفر بما يتبيّن لكم به ما وصفت لكم من حاله .

قالوا : لقد رضينا لك يا أميرالمؤمنين ولأنفسنا بامتحانه ، فخلّ بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة ، فإن أصاب في الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في حقّه ، وظهر للخاصّة والعامة سديد رأي أميرالمؤمنين فيه ، وإن عجز عن ذلك فقد كفينا الخطب في معناه .

فقال لهم المأمون : شأنكم وذلك متى أردتم .

فخرجوا من عنده واجتمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم ـ وهو يومئذ قاضي الزمان ـ على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها ، ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك ، وعادوا إلى المأمون فسألوه أن يختار لهم يوماً للإجتماع ، فأجابهم إلى ذلك ، واجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه ، وحضر معهم يحيى بن أكثم ، وأمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر دست ، ويجعل له فيه مستورتان ؛ ففعل ذلك ، وخرج أبو جعفر ﷺ وهو يومئذ ابن تسع سنين وأشهر ، فجلس بين المسورتين ، وجلس يحيى بن أكثم بين يديه ، فقام الناس في مراتبهم ، والمأمون جالس في دست متصل بدست أبي جعفر ﷺ .

فقال يحيى بن أكثم للمأمون : تأذن لي يا أميرالمؤمنين أن أسأل أباجعفر عن مسألة ؟

فقال المأمون : استأذن في ذلك .

فأقبل عليه يحيى بن أكثم فقال : أتأذن لي جعلت فداك في مسألة ؟

فقال أبو جعفر ﷺ : «سل إن شئت» !

فقال يحيى : ما تقول جعلت فداك في محرم قتل صيداً ؟

فقال أبو جعفر ﷺ : «قتله في حلٍّ أو حرم ؟ عالماً كان المحرم أم جاهلاً ؟ قتله عمداً أو خطأً ؟ حرّاً كان المحرم أو عبداً ؟ صغيراً كان أو كبيراً ؟ مبتدئاً بالقتل أو معيداً ؟ من ذوات الطير كان

الصيد أم من غيرها ؟ من صغار الصيد أم من كباره ؟ مصرّاً على ما فعل أو نادماً ؟ في الليل كان قتله للصيد أم بالنهار ؟ محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحجّ كان محرما» ؟

فتحيّر يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والإنقطاع ، وتلجلج حتّى عرف جماعة أهل المجلس عجزه .

فقال المأمون : الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي ، ثمّ نظر إلى أهل بيته فقال لهم : أعرفتم الآن ماكنتم تنكرونه ؟ ثمّ أقبل إلى أبي جعفر عليه السلام فقال له : أتخطب يا أباجعفر ؟

قال عليه السلام : «نعم ، يا أميرالمؤمنين» .

فقال له المأمون : أخطب لنفسك جعلت فداك ! فقد رضيتك لنفسي وأنا مزوّجك أُمّ الفضل ابنتي وإن رغم أُنوف قوم لذلك .

فقال أبو جعفر عليه السلام : «الحمد لله إقراراً بنعمته ، ولا إله إلّا الله إخلاصاً لوحدانيّته ، وصلّى الله على سيّد بريّته ، والأصفياء من عترته .

أمّا بعد ؛ فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام ، فقال سبحانه : ﴿ وَأَنكِحُوا ٱلْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] ثمّ إنّ محمّد بن علي بن موسى يخطب أُمّ الفضل بنت عبدالله المأمون ، وقد بذل لها من الصداق مهر جدّته فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله ؛ وهو «خمسمائة درهم» جياداً ، فهل زوّجته يا أميرالمؤمنين بها على هذا الصداق المذكور» ؟

فقال المأمون : نعم قد زوّجتك يا أباجعفر أُمّ الفضل ابنتي على الصداق المذكور ، فهل قبلت النكاح ؟

قال أبو جعفر عليه السلام : «نعم ، قد قبلت ذلك ورضيت» .

فأمر المأمون أن يقعد النّاس على مراتبهم من الخاصّة والعامّة .

قال الريّان : ولم نلبث أن سمعنا أصواتاً تشبه أصوات الملاحين في محاوراتهم ، فإذا الخدم يجرّون سفينة مصنوعة من فضّة تشدّ بالحبال من الإبريسم ، على عجلة مملوّة من الغالية ، فأمر المأمون أن تخضب لحى الخاصّة من تلك الغالية ؛ ففعلوا ذلك ، ثمّ مدّت إلى دار العامّة فتطيّبوا بها ، ووضعت الموائد فأكل النّاس ، وخرجت الجوائز إلى كلّ قوم على قدرهم .

---

(١) النور ٣٢.

فلمّا تفرّق النّاس وبقي من الخاصّة من بقي ، قال المأمون لأبي جعفر عليه السلام : جعلت فداك ! إن رأيت أن تذكر الفقه فيما فصلته من وجوه قتل المحرم لنعلمه ونستفيده .

فقال أبو جعفر عليه السلام : «نعم ؛ إنّ المحرم إذا قتل صيداً في الحل وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها ؛ فعليه شاة ، وإن أصابه في الحرم ؛ فعليه الجزاء مضاعفاً ، وإذا قتل فرخاً في الحل ؛ فعليه حمل قد فطم من اللبن ، فإذا قتله في الحرم ؛ فعليه الحمل وقيمة الفرخ ، فإذا كان من الوحش وكان حمار وحش ؛ فعليه بقرة ، وإن كان نعامة ؛ فعليه بدنة ، وإن كان ظبياً ؛ فعليه شاة ، فإن كان قتل شيئاً من ذلك في الحرم ؛ فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة ، وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه وكان إحرامه للحج نحره بمنى ، وإن كان إحرامه بالعمرة نحره بمكّة ، وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء ، وفي العمد عليه المأثم ، وهو موضوع عنه في الخطأ ، والكفّارة على الحرّ في نفسه ، وعلى السيّد في عبده ، والصغير لا كفّارة عليه ، وهي على الكبير واجبة ، والنادم يسقط ندمه عنه عقاب الآخرة ، والمصرّ يجب عليه العقاب في الآخرة» .

فقال له المأمون : أحسنت يا أباجعفر ، أحسن الله إليك ، فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك ؟

فقال أبو جعفر عليه السلام ليحيى : أسألك ؟

قال : ذلك إليك جعلت فداك ، فإن عرفت جواب ما تسألني عنه وإلّا استفدته منك .

فقال أبو جعفر عليه السلام : «أخبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أوّل النّهار فكان نظره إليها حراماً عليه ، فلمّا ارتفع النّهار حلّت له ، فلمّا زالت الشمس حرمت عليه ، فلمّا كان وقت العصر حلّت له ، فلمّا غربت الشمس حرمت عليه ، فلمّا دخل وقت العشاء الآخرة حلّت له ، فلمّا كان وقت انتصاف الليل حرمت عليه ، فلمّا طلع الفجر حلّت له ، ما حال هذه المرأة ؟ وبماذا حلّت له وحرمت عليه»؟

فقال له يحيى بن أكثم : لا والله لا أهتدي إلى جواب هذا السؤال ، ولا أعرف الوجه فيه ، فإن رأيت أن تفيدنا .

فقال أبو جعفر عليه السلام : «هذه أَمَةٌ لرجل من النّاس ، نظر إليها أجنبيٌّ في أوّل النّهار فكان نظره إليها حراماً عليه ، فلمّا ارتفع النّهار ابتاعها من مولاها فحلّت له ، فلمّا كان عند الظهر أعتقها

فحرمت عليه ، فلمّا كان وقت العصر تزوّجها فحلّت له ، فلمّا كان وقت المغرب ظاهر منها[1] فحرمت عليه ، فلمّا كان وقت العشاء الآخرة كفّر عن الظهار فحلّت له ، فلمّا كان نصف الليل طلّقها طلقة واحدة فحرمت عليه ، فلمّا كان عند الفجر راجعها فحلّت له» .

(قال) : فأقبل المأمون على من حضر من أهل بيته وقال لهم : هل فيكم من يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب ؟ أو يعرف القول فيما تقدّم من السؤال ؟

قالوا : لا والله ، إن أميرالمؤمنين أعلم بما رأى .

فقال : ويحكم إنّ أهل هذا البيت خصّوا من الخلق بما ترون من الفضل ، وإنّ صغر السنّ لا يمنعهم من الكمال ، أما علمتم أنّ رسول الله ﷺ افتتح دعوته بدعاء أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب ، وهو ابن عشر سنين ، وقبل منه الإسلام وحكم له بعد ، ولم يدع أحداً في سنّه غيره ، وبايع الحسن والحسين وهما دون الست سنين ولم يبايع صبيّاً غيرهما ؟ أولا تعلمون الآن ما اختصّ الله به هؤلاء القوم وأنّهم ذرّيّةٌ بعضها من بعض ، يجري لآخرهم ما يجري لأوّلهم ؟

قالوا : صدقت يا أميرالمؤمنين .

ثمّ نهض القوم ، فلمّا كان من الغد حضر النّاس وحضر أبو جعفر عليه السلام ، وصار القوّاد والحجاب والخاصّة والعمّال لتهنئة المأمون وأبي جعفر عليه السلام ، فأخرجت ثلاثة أطباق من الفضّة ، فيها بنادق مسك وزعفران معجون في أجواف تلك البنادق ، ورقاع مكتوبة بأموال جزيلة وعطايا سنيّة ، وإقطاعات ، فأمر المأمون بنثرها على القوم من خاصّته ، فكان كلّ من وقع في يده بندقة أخرج الرقعة الّتي فيها والتمسه فأطلق له ، ووضعت البدر فنثر ما فيها على القوّاد وغيرهم ، وانصرف النّاس وهم أغنياء بالجوائز والعطايا ، وتقدّم المأمون بالصدقة على كافّة المساكين ، ولم يزل مكرماً لأبي جعفر عليه السلام معظماً لقدره ، مدّة حياته ، يؤثره على ولده وجماعة أهل بيته .

وروي أنّ المأمون بعد ما زوّج ابنته أُمّ الفضل أباجعفر ، كان في مجلس وعنده أبو جعفر عليه السلام ويحيى بن أكثم وجماعة كثيرة .

فقال له يحيى بن أكثم : ما تقول يابن رسول الله في الخبر الّذي روي أنّه : نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ وقال : يا محمّد إنّ الله عزّ وجلّ يقرؤك السلام ويقول لك : سل أبابكر هل هو عنّي راض

---

(١) الظهار هو : أن يقول الرجل لزوجته : «أنت عَلَيّ كظهر أُمّي» فإذا قال لها ذلك : حرمت عليه ولا يرجع بها إلّا بعد أن يعطي الكفّارة .

فإنّي عنه راض[١] ؟

فقال أبو جعفر عليه السلام : «لست بمنكر فضل أبي بكر ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الّذي قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع : «قد كثرت عَلَيّ الكذابة وستكثر بعدي ؛ فمن كذب عَلَيّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النّار ، فإذا أتاكم الحديث عنّي فأعرضوه على كتاب الله وسنّتي ؛ فما وافق كتاب الله وسنّتي فخذوا به ، وما خالف كتاب الله وسنّتي فلا تأخذوا به» وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[٢] ؛ فالله عزّ وجلّ خفي عليه رضاء أبي بكر من سخطه حتّى سأل عن مكنون سرّه ، هذا مستحيل في العقول» .

ثمّ قال يحيى بن أكثم : وقد روي : أنّ مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرئيل وميكائيل في السماء» .

فقال عليه السلام : «وهذه أيضاً يجب أن ينظر فيه ، لأنّ جبرئيل وميكائيل ملكان لله مقرّبان ، لم يعصيا الله قط ، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة ، وهما قد أشركا بالله عزّ وجلّ وإن أسلما بعد الشرك ، فكان أكثر أيّامهما الشرك بالله ؛ فمحال أن يشبههما بهما» .

قال يحيى : وقد روي أيضاً : أنّهما سيّدا كهول أهل الجنّة[٣] فما تقول فيه ؟

---

(١) قال الحجّة الأميني في الغدير ج٦ بعد ذكر هذا الحديث الموضوع : «أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٢ ص١٠٦ من طريق محمّد بن بابشاذ صاحب الطامات ، ساكتاً عن بطلانه جرياً على عادته ، وذكره الذهبي في ميزان الإعتدال ج ٢ ص٢٠٣ فقال : كذب» .

(٢) ق ١٦ .

(٣) ذكره الحجّة الأميني في سلسلة الموضوعات ج ٥ ص٢٧٦ من كتاب الغدير فقال : «من موضوعات يحيى بن عنبسة وهو ذلك الدجّال الوضّاع ، ذكره الذهبي في الميزان ج ٣ ص١٢٦ وقال : قال يونس بن حبيب : ذكرت لعليّ ابن المدائني محمّد بن كثير المصيصي وحديثه هذا ، فقال عليّ : كنت أشتهي أن أرى هذا الشيخ فالآن لا أحبّ أن أراه . ورواه من طريق عبدالرحمن بن مالك بن مغول الكذّاب الأفّاك الوضّاع» .

وفي تلخيص الشافي ص٢١٩ من الجزء الثاني : «وأمّا الخبر الّذي يتضمّن أنّهما سيّدا كهول أهل الجنّة ؛ فمن تأمّل أصل هذا الخبر بعين إنصاف علم أنّه موضوع في أيّام بني أُميّة معارضة لما روي من قوله صلى الله عليه وآله في الحسن والحسين : «أنّهما سيّدا شباب أهل الجنّة وأبوهما خير منهما» ، وهذا الخبر الّذي ادّعوه يروونه عن عبيدالله بن عمر وحال عبيدالله في الإنحراف من أهل البيت معروفة ، وهو أيضاً كالجارّ إلى نفسه على أنّه لا يخلو من أن يريد بقوله : سيّدا كهول الجنّة أنّهما سيّدا كهول من هو في الجنّة ، أو يراد أنّهما سيّدا من يدخل الجنّة من كهول الدّنيا ،

فقال عليه السلام : «وهذا الخبر محال أيضاً ، لأنّ أهل الجنّة كلّهم يكونون شبّاناً ولا يكون فيهم كهل ، وهذا الخبر وضعه بنو أُميّة لمضادّة الخبر الّذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحسن والحسين عليهما السلام بأنّهما سيّدا شباب أهل الجنّة» .

فقال يحيى بن أكثم : وروي : أنّ عمر بن الخطّاب سراج أهل الجنّة» .

فقال عليه السلام : «وهذا أيضاً محال ، لأنّ في الجنّة ملائكة الله المقرّبين ، وآدم ومحمّد ، وجميع الأنبياء والمرسلين ، لا تضيء الجنّة بأنوارهم حتّى تضيء بنور عمر» ؟!

فقال يحيى : وقد روي : أنّ السكينة تنطق على لسان عمر»[1] .

فقال عليه السلام : «لست بمنكر فضل عمر ، ولكن أبابكر أفضل من عمر ، فقال ـ على رأس المنبر ـ : إنّ لي شيطاناً يعتريني ، فإذا ملت فسدّدوني» .

فقال يحيى : قد روي أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : لولم أُبعث لبُعِث عمر[2] .

فقال عليه السلام : «كتاب الله أصدق من هذا الحديث ، يقول الله في كتابه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ ﴾[3] فقد أخذ الله ميثاق النبيّين فكيف يمكن أن يبدّل ميثاقه ؟ وكلّ الأنبياء عليهم السلام لم يشركوا بالله طرفة عين ، فكيف يبعث بالنبوّة من أشرك وكان أكثر أيّامه مع الشرك

⬅ فإن كان الأوّل ، فذلك باطل ، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد وقفنا ـ وأجمعت الأُمّة ـ على أنّ جميع أهل الجنّة جرد مرد ، وأنّه لا يدخلها كهل ، وإن كان الثّاني فذلك دافع ومناقض للحديث المجمع على روايته من قوله في الحسن والحسين أنّهما سيّدا شباب أهل الجنّه وأبوهما خير منهما ... الخ» .

(١) بهذا المضمون وردت عدّة روايات منها : أنّ الحقّ ينطلق على لسان عمر ، وأنّ ملكاً ينطق على لسانه ، وغير ذلك . قال في تلخيص الشافي ج٢ ص٢٤٧ : «وأمّا ما روي من قوله : الحقّ ينطق على لسان عمر ، فإن كان صحيحاً فإنّه يقتضي عصمة عمر ، والقطع على أنّ أقواله كلّها حجّة ، وليس هذا مذهب أحد فيه لأنّه لا خلاف في أنّه ليس بمعصوم وإنّ خلافه سائغ .

وكيف يكون الحق ناطقاً على لسان من يرجع في الأحكام من قول إلى قول ، وشهد لنفسه بالخطأ ، ويخالف بالشيء ثمّ يعود إلى قول من خالفه ويوافقه عليه ، ويقول : لولا علي لهلك عمر ، ولولا معاذ لهلك عمر ؟ وكيف لا يحتجّ بهذا الخبر هو لنفسه في بعض المقامات الّتي احتاج إلى الإحتجاج فيها ؟ وكيف لم يقل أبوبكر لطلحة ـ حين أنكر نصّه عليه ـ بأنّ الحقّ ينطق على لسانه» ؟

وأحصى الأميني في ج٦ من الغدير مائة مخالفة لعمر بن الخطّاب ثمّ قال : هذا قليل من كثير ممّا وقفنا عليه من «نوادر الأثر في علم عمر» وبوسعنا الآن أن نأتي بأضعاف ما سردناه لكنّا نقتصر على هذا رعاية لمقتضى الحال .

(٢) قال الأميني في الجزء الخامس من الغدير : أخرجه ابن عدي بطريقين وقال : لا يصحّ زكريّا «الوكار» كذّاب يضع ، وابن واقد عبدالله متروك ، ومشرح ابن «عاهان» لا يحتجّ به .

(٣) الأحزاب ٧.

بالله ؟ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «نبّئت وآدم بين الروح والجسد» .

فقال يحيى بن أكثم : وقد روي أيضاً : أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال : ما احتبس عنّي الوحي قط إلّا ظننته قد نزل على آل الخطّاب[1] .

فقال عليه السلام : «وهذا محال أيضاً ، لأنّه لا يجوز أن يشكّ النّبيّ صلى الله عليه وآله في نبوّته ، قال الله تعالى : ﴿ اللهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاس ﴾[2] فكيف يمكن أن تنتقل النبوّة ممّن اصطفاه الله تعالى إلى من أشرك به» ؟

قال يحيى : روي أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال : لو نزل العذاب لما نجى منه إلّا عمر .

فقال عليه السلام : «وهذا محال أيضاً ، لأنّ الله تعالى يقول : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[3] فأخبر سبحانه أنّه لا يعذّب أحداً ما دام فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وما داموا يستغفرون» .

وعن عبدالعظيم الحسني رضي الله عنه قال : قلت لمحمّد بن عليّ بن موسى عليهم السلام : يا مولاي إنّي لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمّد الّذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

فقال عليه السلام : «ما منّا إلّا قائم بأمر الله ، وهاد إلى دين الله ، ولكن القائم الّذي يطهّر الله به الأرض

---

(١) قال الأميني في ج٦ ص٣١٢ من الغدير : وأمثال هذه الأكاذيب فإنّ من يكون بتلك المثابة حتّى يكاد أن يبعث نبيّاً لا يفقد علم واضحات المسائل عند ابتلائه أو ابتلاء من يرجع أمره إليه من أُمّته بها ، ولا يتعلّم «القرآن» في اثنتى عشر سنة ، وأين كان الحق والملك والسكينة يوم كان لا يهتدي إلى أُمّهات المسائل سبيلاً فلا تسدّده ولا تفرغ الجواب على لسانه ، ولاه تضع الحق في قلبه ، وكيف يسع المسدّد بذلك كلّه أن يحسب كلّ النّاس أفقه منه حتّى ربّات الحجال ؟ وكيف كان يأخذ علم الكتاب والسنن من نساء الأمّة وغوغاء النّاس فضلاً عن رجالها وأعلامها ؟ وكيف كان يرى عرفان لفظة في القرآن تكلّفاً ويقول : هذا لعمر الله هو التكلّف ، ما عليك بابن أمّ عمران لا تدري ما الأب ؟ وكيف كان يأخذ عن أولئك الجمّ الغفير من الصحابة ويستفتيهم في الأحكام ؟ وكيف كان يعتذر عن جهله أوضح ما يكون من السنّة بقوله : ألهاني عنه الصفق في الأسواق ؟ وكيف كان لم يسعه أن يعلم الكلالة ويقيمها ولم يتمكّن من تعلّم صور ميراث الجد وكان النّبيّ صلى الله عليه وآله يقول : «ما أراه يعلمها» و«ما أراه يقيمها» ويقول : «إنّي أظنّك تموت قبل أن تعلم» ! وكيف كان مثل أُبي بن كعب يغلظ له في القول ويراه ملهى عن علم الكتاب بالصفق بالأسواق وبيع الخيط والقرظة ؟ وكيف كان أمير المؤمنين جاهلاً بتأويل القرآن ؟ وكيف وكيف وكيف وكيف !!! نعم راق القوم أن ينحتوا له فضائل ويغالوا فيها ولم يترووا في لوازمها وحسبوا أنّ المستقبل الكشّاف يمضي كما مضت القرون خالياً عن باحث أو منقّب ، أو أنّ باعث الإرهاب يلجم لسانه عن أن ينطق ، ويضرب على يده عن أن تكتب ، ولا تفسح حرّيّة القلم والمذاهب والأفكار للعلماء أن يبوحوا بما عندهم .

(٢) الحج ٧٥.

(٣) الأنفال ٣٣.

من أهل الكفر والجحود ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً هو : الّذي يخفى على النّاس ولادته ، ويغيب عنهم شخصه ، ويحرم عليهم تسميته ، وهو سميّ رسول الله وكنيّه ، وهو الّذي تطوى له الأرض ، ويذلّ له كلّ صعب ، يجتمع إليه من أصحابه عدّة أهل بدر : «ثلاثمائة وثلاثة عشر» رجلاً من أقاصي الأرض ، وذلك قول الله : ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] فإذا اجتمعت له هذه العدّة من أهل الإخلاص ، أظهر الله أمره ، فإذاكمل له العقد وهو : «عشره آلاف» رجل خرج بإذن الله ، فلا يزال يقتل أعداء الله حتّى يرضى ﷻ» .

قال عبدالعظيم : فقلت له : يا سيّدي فكيف يعلم أنّ الله قد رضي ؟

قال عليه السلام : «يلقي في قلبه الرحمة ، فإذا دخل المدينة أخرج اللات والعزّى فأحرقهما» .

احتجاج أبي الحسن عليّ بن محمّد العسكري عليه السلام في شيء من التوحيد وغير ذلك من العلوم الدينيّة والدنياويّة على المخالف والمؤالف

سُئِل أبوالحسن عليه السلام عن التوحيد ، فقيل له : لم يزل الله وحده لا شيء معه ثمّ خلق الأشياء بديعاً واختار لنفسه الأسماء ، ولم تزل الأسماء والحروف له معه قديمة ؟

فكتب عليه السلام : «لم يزل الله موجوداً ثمّ كوّن ما أراد ، لا رادّ لقضائه ، ولا معقّب لحكمه ، تاهت أوهام المتوهّمين ، وقصر طرف الطارفين ، وتلاشت أوصاف الواصفين ، واضمحلّت أقاويل المبطلين عن الدرك لعجيب شأنه ، أو الوقوع بالبلوغ على علوّ مكانه ، فهو بالموضع الّذي لا يتناهى ، وبالمكان الّذي لم يقع عليه عيون بإشارة ولا عبارة ، هيهات هيهات» !!

وحدّثنا أحمد بن إسحاق[2] قال :كتبت إلى أبي الحسن عليّ بن محمّد العسكري أسأله عن الرؤية وما فيه الخلق ؟

فكتب عليه السلام : «لا تجوزو الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر ، فمتى انقطع

---

(١) البقرة ١٤٨.

(٢) ذكره الشيخ في أصحاب الجواد عليه السلام ص٣٩٨ من رجاله ، وقال العلّامة في القسم الأوّل من خلاصته ص١٥: أحمد بن إسحاق بن سعد بن عبدالله بن سعد بن مالك الأحوص الأشعري ، أبو علي القمّي ، كان وافد القمّيين ، روى عن أبي جعفر الثاني عليه السلام وأبي الحسن عليه السلام ، وكان خاصّة أبي محمّد عليه السلام ، وهو شيخ القمّيين ، رأى صاحب الزّمان عليه السلام .

الهواء وعُدِمَ الضياء لم تصحّ الرؤية ، وفي وجوب اتّصال الضياءين الرائي والمرئي وجوب الإشتباه ، والله تعالى منزّه عن الإشتباه ، فثبت أنّه لا يجوز عليه سبحانه الرؤية بالأبصار ، لأنّ الأسباب لابدّ من اتّصالها بالمسبّبات» .

وعن العبّاس بن هلال[1] **قال** : سألت أباالحسن عليّ بن محمّد عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[2] ؟

فقال عليه السلام : «يعني هادي من في السماوات ومن في الأرض» .

وممّا أجاب به أبوالحسن عليّ بن محمّد العسكري عليه السلام في رسالته إلى أهل الأهواز حين سألوه عن الجبر والتفويض أن قال : «اجتمعت الأُمّة قاطبة لا اختلاف بينهم في ذلك أنّ «القرآن» حقّ لا ريب فيه عند جميع فرقها ، فهم في حالة الإجماع عليه مصيبون ، وعلى تصديق ما أنزل الله مهتدون ، ولقول النّبيّ صلى الله عليه وآله : «لا تجتمع أُمّتي على ضلالة» فأخبر عليه السلام أنّ ما اجتمعت عليه الأمّة ولم يخالف بعضها بعضاً هو الحق ، فهذا معنى الحديث لا ما تأوّله الجاهلون[3] ، ولا ما قاله المعاندون ، ومن إبطال حكم الكتاب وإتّباع حكم الأحاديث المزوّرة والروايات المزخرفة ، اتّباع الأهواء المردية المهلكة الّتي تخالف نصّ الكتاب ، وتحقيق الآيات الواضحات النيّرات ، ونحن نسأل الله أن يوفّقنا للصواب ، ويهدينا إلى الرشاد» .

ثمّ قال عليه السلام : «فإذا شهد الكتاب بتصديق خبر وتحقيقه فأنكرته طائفة من الأُمّة ، وعارضته بحديث من هذه الأحاديث المزوّرة ، فصارت بإنكارها ودفعها الكتاب كفّاراً ضلّالاً ، وأصحّ خبر ما عرف تحقيقه من الكتاب مثل الخبر المجمع عليه من رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال : «إنّي مستخلف فيكم خليفتين :كتاب الله وعترتي ، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي ، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض»[4] واللفظة الأُخرى عنه في هذا المعنى بعينه قوله عليه السلام : «إنّي تارك فيكم الثقلين :كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وإنّهما لم يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض ، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا» فلمّا وجدنا شواهد هذا الحديث نصّاً في كتاب الله مثل قوله : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ

---

(١) العبّاس بن هلال الشامي : ذكره الشيخ في رجاله في عداد أصحاب الرضا عليه السلام ص٣٨٢، والنجاشي ص٢١٧ وقال : روي عن الرّضا عليه السلام .

(٢) النور ٣٥.

(٣) أي : ما تأوّلوه من قولهم بالإجماع في اختيار الإمام الّذي لم يجعل لهم الله الخيرة فيه .

(٤) راجع حديث الثقلين في هامش الجزء الأوّل من هذا الكتاب .

اَللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[١] ثمّ اتّفقت روايات العلماء في ذلك لأميرالمؤمنين عليه السلام ؛ أنّه تصدّق بخاتمه وهو راكع ، فشكر الله ذلك له وأنزل الآية فيه[٢] ، ثمّ وجدنا رسول الله صلى الله عليه وآله قد أبانه من أصحابه بهذه اللفظة : «من كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه»[٣] وقوله صلى الله عليه وآله : «عليّ يقضي ديني وينجز موعدي وهو خليفتي عليكم من بعدي» وقوله صلى الله عليه وآله حيث استخلفه على المدينة فقال : يا رسول الله أتخلّفني على النساء والصبيان ؟ فقال : «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»[٤] ؛ فعلمنا أنّ الكتاب يشهد بتصديق هذه الأخبار وتحقيق هذه الشواهد ، فلزم الأُمّة الإقرار بها إذا كانت هذه الأخبار وافقت «القرآن» ، ووافق «القرآن» هذه الأخبار فلمّا وجدنا ذلك موافقاً لكتاب الله ، ووجدنا كتاب الله لهذه الأخبار موافقاً ، وعليها دليلاً ، كان الإقتداء بهذه الأخبار فرضاً لا يتعدّاه إلّا أهل العناد والفساد» .

ثمّ قال عليه السلام : «ومرادنا وقصدنا الكلام في الجبر والتفويض وشرحهما وبيانهما ، وإنّما قدّمنا ما قدّمنا ليكون اتّفاق الكتاب والخبر إذا اتّفقا دليلاً لما أردناه ، وقوّة لما نحن مبيّنوه من ذلك إن شاء الله» .

(فقال) : الجبر والتفويض يقول الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام ، عندما سئل عن ذلك ، فقال : لا جبر ولا تفويض ، بل أمر بين الأمرين .

قيل : فماذا يابن رسول الله ؟

فقال : صحّة العقل ، وتخلية السرب[٥] ، والمهلة في الوقت ، والزاد قبل الراحلة ، والسبب المهيّج للفاعل على فعله ، فهذه خمسة أشياء فإذا نقص العبد منها خلّة كان العمل عنه مطرحاً بحسبه ، وأنا أضرب لكلّ باب من هذه الأبواب الثلاثة وهي : الجبر ، والتفويض ، والمنزلة بين المنزلتين مثلاً يقرّب المعنى للطالب ، ويسهل له البحث من شرحه ، ويشهد به «القرآن» بمحكم آياته ، ويحقّق عند ذوي الألباب ، وبالله العصمة والتوفيق» .

ثمّ قال عليه السلام : «فأمّا الجبر فهو قول من زعم أنّ الله عزّ وجلّ جبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها ،

---

(١) المائدة ٥٥.

(٢) راجع هامش الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٣) راجع هامش الجزء الأوّل من هذا الكتاب.

(٤) راجع هامش الجزء الأوّل من الكتاب.

(٥) السّرب ـ بفتح السّين وسكون الرّاء ـ: الطريق.

ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله وكذّبه ، وردّ عليه قوله : ﴿ وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾[١] وقوله جلّ ذكره : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾[٢] مع آي كثيرة في مثل هذا ، فمن زعم أنّه مجبور على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله وظلمه في عقوبته له ، ومن ظلم ربّه فقد كذّب كتابه ، ومن كذّب كتابه لزمه الكفر بإجماع الأُمّة ، فالمثل المضروب في ذلك :مثل رجل ملك عبداً مملوكاً لا يملك إلّا نفسه ، ولا يملك عرضاً من عروض الدّنيا ، ويعلم مولاه ذلك منه ، فأمره ـ على علم منه بالمصير ـ إلى السوق لحاجة يأتيه بها ولم يملّكه ثمن ما يأتيه به ، وعلم المالك أنّ على الحاجة رقيباً لا يطمع أحد في أخذها منه إلّا بما يرضى به من الثمن ، وقد وصف به مالك هذا العبد نفسه بالعدل والنصفة وإظهار الحكمة ونفي الجور ، فأوعد عبده إن لم يأته بالحاجة يعاقبه ، فلمّا صار العبد إلى السوق ، وحاول أخذ الحاجة الّتي بعثه بها ، وجد عليها مانعاً يمنعه منها إلّا بالثمن ، ولا يملك العبد ثمنها ، فانصرف إلى مولاه خائباً بغير قضاء حاجة ، فاغتاظ مولاه لذلك وعاقبه على ذلك ، فإنّه كان ظالماً متعدّياً مبطلاً لما وصف من عدله وحكمته ونصفته ، وإن لم يعاقبه كذّب نفسه ، أليس يجب أن لا يعاقبه والكذب والظلم ينفيان العدل والحكمة ؟ تعالى الله عمّا يقول المجبّرة علوّاً كبيراً» .

ثمّ قال العالم عليه السلام ـ بعد كلام طويل ـ : «فأمّا التفويض الّذي أبطله الصّادق عليه السلام وخطّأ من دان به ، فهو : قول القائل : إنّ الله عزّ وجلّ فوّض إلى العباد اختيار أمره ونهيه وأهملهم .

وهذا الكلام دقيق لم يذهب إلى غوره ودقّته إلّا الأئمّة المهديّة عليهم السلام من عترة آل الرّسول صلوات الله عليهم ، فإنّهم قالوا : «لو فوّض الله أمره إليهم على جهة الإهمال لكان لازماً له رضاء ما اختاروه واستوجبوا به الثواب ، ولم يكن عليهم فيما اجترموا العقاب إذ كان الإهمال واقعاً ، وتنصرف هذه المقالة على معنيين : إمّا أن تكون العباد تظاهروا عليه فألزموه اختيارهم بآرائهم ـ ضرورة ـ كره ذلك أم أحب فقد لزمه الوهن ، أو يكون جلّ وتقدّس عجز عن تعبّدهم بالأمر والنهي عن إرادته ففوّض أمره ونهيه إليهم ، وأجراهما على محبّتهم إذ عجز عن تعبّدهم بالأمر والنهي على إرادته فجعل الإختيار إليهم في الكفر والإيمان ، ومثل ذلك : مثل رجل ملك عبداً ابتاعه ليخدمه ويعرف له فضل ولايته ، ويقف عند أمره ونهيه ، وادّعى مالك العبد أنّه قاهر قادر عزيز حكيم ، فأمر عبده ونهاه ، ووعده على اتّباع أمره عظيم الثواب ، وأوعده على معصيته أليم

---

(١) الكهف ٤٩.

(٢) آل عمران ١٨٢.

العقاب ، فخالف العبد إرادة مالكه ، ولم يقف عند أمره ونهيه ، فأيّ أمر أمره به أو نهاه عنه لم يأتمر على إرادة المولى ، بل كان العبد يتّبع إرادة نفسه ، وبعثه في بعض حوائجه وفيما الحاجة له فصار العبد بغير تلك الحاجة خلافاً على مولاه وقصد إرادة نفسه واتّبع هواه ، فلمّا رجع إلى مولاه نظر إلى ما أتاه فإذا هو خلاف أمره ، فقال العبد : اتّكلت على تفويضك الأمر إليّ فاتّبعت هواي وإرادتي لأنّ المفوّض إليه غير محظور عليه لاستحالة اجتماع التفويض والتحظير» .

ثمّ قال عليه السلام : «فمن زعم أنّ الله فوّض قبول أمره ونهيه إلى عباده فقد أثبت عليه العجز ، وأوجب عليه قبول كلّما عملوا من خير أو شر ، وأبطل أمر الله ونهيه» .

ثمّ قال عليه السلام : «إنّ الله خلق الخلق بقدرته وملّكهم استطاعة ما تعبّدهم به من الأمر والنهي ، وقبل منهم اتّباع أمره ونهيه ورضي بذلك لهم ، ونهاهم عن معصيته وذمّ من عصاه وعاقبه عليها ، ولله الخيرة في الأمر والنهي ، يختار ما يريده ويأمر به ، وينهى عمّا يكره ويثيب ويعاقب بالإستطاعة الّتي ملّكها عباده لاتّباع أمره واجتناب معاصيه لأنّه العدل ومنه النصفة والحكومة ، بالغ الحجّة بالإعذار والإنذار ، وإليه الصفوة يصطفي من يشاء من عباده ، اصطفى محمّداً صلوات الله عليه وآله وبعثه بالرسالة إلى خلقه ولو فوّض اختيار اُموره إلى عباده لأجاز لقريش اختيار اُميّة بن أبي الصلت وأبي مسعود الثقفي إذ كانا عندهم أفضل من محمّد صلى الله عليه وآله لمّا قالوا : ﴿ لَوْلا أُنزِلَ هَذا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[1] يعنونهما بذلك فهذا هو : «القول بين القولين» ليس بجبر ولا تفويض ، بذلك أخبر أميرالمؤمنين عليه السلام حين سأله عتابة بن ربعي الأسدي عن الإستطاعة .

فقال أميرالمؤمنين : تملكها من دون الله أو مع الله ؟

فسكت عتابة بن ربعي .

فقال له : قل يا عتابة !

قال : وما أقول ؟

قال : إن قلت تملكها مع الله قتلتك ، وإن قلت تملكها من دون الله قتلتك .

قال : وما أقول يا أميرالمؤمنين ؟

قال : تقول تملكها بالله الّذي يملكها من دونك ، فإن ملّككها كان ذلك من عطائه ، وإن سلبكها كان ذلك من بلائه ، وهو المالك لما ملكك ، والمالك لما عليه أقدرك ، أما سمعت النّاس يسألون

---

(١) الزخرف ٣١.

الحول والقوّة حيث يقولون : «لا حول ولا قوّة إلّا بالله» .

فقال الرجل : وما تأويلها يا أميرالمؤمنين ؟

قال : لا حول لنا عن معاصي الله إلّا بعصمة الله ، ولا قوّة لنا على طاعة الله إلّا بعون الله» .

قال : فوثب الرّجل وقبّل يديه ورجليه» .

ثمّ قال عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ ﴾[١] وفي قوله : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُون ﴾[٢] وفي قوله : ﴿ أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾[٣] وقوله : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ﴾[٤] وقوله : ﴿ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيّ ﴾[٥] وقول موسى عليه السلام : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾[٦] وقوله : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ ﴾[٧] وقوله : ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾[٨] وقوله : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾[٩] وقوله : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[١٠] وقوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾[١١] وقوله : ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ﴾[١٢] أنّ جميعها جاءت في «القرآن» بمعنى الإختبار .

ثمّ قال عليه السلام : «فإن قالوا ما الحجّة في قوله تعالى : ﴿ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاء ﴾[١٣] وما أشبه ذلك ؟

قلنا : فعلى مجاز هذه الآية يقتضي معنيين : أحدهما عن كونه تعالى قادراً على هداية من يشاء وضلالة من يشاء ، ولو أجبرهم على أحدهما لم يجب لهم ثواب ولا عليهم عقاب ، على ما

---

(١) محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ٣١.

(٢) الأعراف ١٨١.

(٣) العنكبوت ٢.

(٤) ص ٣٤.

(٥) طه ٨٥.

(٦) الأعراف ١٥٤.

(٧) المائدة ٥١.

(٨) آل عمران ١٥٢.

(٩) القلم ١٦.

(١٠) هود ٧.

(١١) البقرة ١٤٢.

(١٢) محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ٤.

(١٣) إبراهيم ٤.

شرحناه ، والمعنى الآخر : أنّ الهداية منه «التعريف» كقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا ٱلْعَمَىٰ عَلَىٰ ٱلْهُدَىٰ ﴾[١] وليس كلّ آية مشتبهة في «القرآن» كانت الآية حجّة على حكم الآيات اللاتي أمر بالأخذ بها وتقليدها ، وهي قوله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ الآية[٢] وقال : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ * ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَاهُمُ ٱللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ ﴾[٣] وفقنا الله وإيّاكم لما يحبّ ويرضى ، ويقرّب لنا ولكم الكرامة والزلفى ، وهدانا لما هو لنا ولكم خير وأبقى ، إنّه الفعّال لما يريد ، الحكيم المجيد» .

عن أبي عبدالله الزيادي قال : لمّا سمّ المتوكّل ، نذر لله إن رزقه الله العافية أن يتصدّق بمال كثير ، فلمّا سلم وعوفي سأل الفقهاء عن حدّ «المال الكثير» كم يكون ؟ فاختلفوا ، فقال بعضهم : «ألف درهم» ، وقال بعضهم : «عشرة آلاف» ، وقال بعضهم : «مائة ألف» ، فاشتبه عليه هذا .

فقال له الحسن حاجبه : إن أتيتك يا أميرالمؤمنين من هذا خبرك بالحق والصواب فما لي عندك ؟

فقال المتوكل : إن أتيت الحق فلك عشرة آلاف درهم ، وإلّا أضربك مائة مقرعة .

فقال : قد رضيت .

فأتى أباالحسن العسكري عليه السلام فسأله عن ذلك .

فقال أبوالحسن عليه السلام : «قل له : يتصدّق بثمانين درهماً» .

فرجع إلى المتوكّل فأخبره .

فقال : سله ما العلّة في ذلك ؟

فسأله ، فقال عليه السلام : «إنّ الله عزّ وجلّ قال لنبيه صلى الله عليه وآله : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾[٤] فعددنا مواطن رسول الله صلى الله عليه وآله فبلغت ثمانين موطناً» .

فرجع إليه فأخبره ؛ ففرح ، وأعطاه عشرة آلاف درهم .

وعن جعفر بن رزق الله قال : قدم إلى المتوكل رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة ، فأراد أن يقيم عليه الحدّ فأسلم .

---

(١) حم سجدة ١٧.

(٢) آل عمران ٧.

(٣) الزمر ١٧ـ١٨.

(٤) التوبة ٢٦.

فقال يحيى بن أكثم : قد هدم إيمانه شركه وفعله .

وقال بعضهم : يضرب ثلاثة حدود .

وقال بعضهم : يفعل به كذا وكذا .

فأمر المتوكّل بالكتاب إلى أبي الحسن العسكري وسؤاله عن ذلك .

فلمّا قرأ الكتاب ، كتب عليه السلام : «يضرب حتّى يموت» .

فأنكر يحيى وأنكر فقهاء العسكر ذلك ، فقالوا : يا أميرالمؤمنين سله عن ذلك فإنّه شيء لم ينطق به كتاب ، ولم يجيء به سنّة .

فكتب إليه : إنّ الفقهاء قد أنكروا هذا ، وقالوا : لم يجيء به سنّة ولم ينطق به كتاب ، فبيّن لنا لم أوجبت عليه الضرب حتّى يموت ؟

فكتب عليه السلام : «﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيْمِ * فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾[1]» .

فأمر به المتوكّل فضرب حتّى مات .

سأل يحيى بن أكثم أباالحسن العالم عليه السلام عن قوله تعالى : ﴿ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ ﴾[2] ما هي ؟

فقال عليه السلام : «هي «عين الكبريت» و«عين اليمن» و«عين البرهوت» و«عين الطبريّة» و«حمّة[3] ماسيدان» وجمّة «افريقا» و«عين ماجروان» ونحن الكلمات الّتي لا تدرك فضائلنا ولا تستقصى» .

وروي عن الحسن العسكري عليه السلام «أنّه اتّصل بأبي الحسن عليّ بن محمّد العسكري عليه السلام أنّ رجلاً من فقهاء شيعته كلّم بعض النصّاب فأفهمه بحجّته حتّى أبان عن فضيحته ، فدخل إلى عليّ بن محمّد عليه السلام ، وفي صدر مجلسه دست عظيم منصوب وهو قاعد خارج الدست ، وبحضرته خلق من العلويّين وبني هاشم ، فما زال يرفعه حتّى أجلسه في ذلك الدست ، وأقبل عليه ، فاشتدّ ذلك على أولئك الأشراف ، فأمّا العلويّة فأجلوه عن العتاب ، وأمّا الهاشميّون فقال له شيخهم : يابن رسول الله هكذا تؤثر عامياً على سادات بني هاشم من الطالبيّين والعبّاسيّين ؟

---

(١) المؤمن ٨٤ـ٨٥.

(٢) لقمان ٢٧.

(٣) الحمّة : كل عين فيها ماء حارّ ينبع ، يستشفي بها الأعلاء .

فقال عليه السلام : إيّاكم وأن تكونوا من الّذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ ٱلْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ ٱللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُم مُعْرِضُونَ ﴾[1] أترضون بكتاب الله حكماً ؟

قالوا : بلى .

قال : أليس الله يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي ٱلْمَجَالِسِ فَٱفْسَحُوا يَفْسَحِ ٱللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[2] فلم يرض للعالم المؤمن إلّا أن يرفع على المؤمن غير العالم ،كما لم يرض للمؤمن إلّا أن يرفع على من ليس بمؤمن ، أخبروني عنه قال : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لا يَعْلَمُون ﴾[3] فكيف تنكرون رفعي لهذا لمّا رفعه الله ؟! إنّ كسر هذا لفلان الناصب بحجج الله الّتي علّمه إيّاها ، لأفضل له من كلّ شرف في النّسب.

فقال العبّاسي : يابن رسول الله قد أشرفت علينا هو ذا تقصير بنا عمّن ليس له نسب كنسبنا ، وما زال منذ أوّل الإسلام يقدّم الأفضل في الشرف على من دونه فيه .

فقال عليه السلام : سبحان الله ! أليس عبّاس بايع أبابكر وهو «تيمي» والعبّاس «هاشمي» ؟ أوليس عبدالله بن عبّاس كان يخدم عمر بن الخطّاب وهو «هاشمي» أبو الخلفاء وعمر «عدوي» ؟! وما بال عمر أدخل البعداء من قريش في الشورى ولم يدخل العبّاس ؟ فإن كان رفعنا لمن ليس بهاشميّ على هاشميّ منكراً فأنكروا على عبّاس بيعته لأبي بكر ، وعلى عبدالله بن عبّاس خدمته لعمر بعد بيعته ، فإن كان ذلك جائزاً فهذا جائز .

فكأنّما اُلقم الهاشمي حجراً» .

وروي عن عليّ بن محمّد الهادي عليه السلام أنّه قال : «لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه السلام من العلماء الداعين إليه ، والدالّين إليه ، والذابّين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته ، ومن فخاخ النواصب ؛ لما بقي أحد إلّا ارتدّ عن دين الله ، ولكنّهم الذين يمسكون أزمّة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكّانها ، أولئك هم الأفضلون عند الله عزّ وجلّ» .

---

(١) آل عمران ٢٣.

(٢) المجادلة ١١.

(٣) الزمر ٩.

احتجاج أبي محمّد الحسن بن علي العسكري عليهما السلام في أنواع شتّى من علوم الدّين

وبالإسناد المقدّم ذكره: أنّ أبامحمّد العسكري عليه السلام قال ـ في قوله تعالى ـ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1] «أي: وسمها بسمة يعرفها من يشاء من ملائكته إذا نظروا إليها بأنّهم الّذين لا يؤمنون، وعلى سمعهم كذلك بسمات، وعلى أبصارهم غشاوة، وذلك أنّهم لمّا أعرضوا عن النظر فيما كلّفوه، وقصروا فيما أُريد منهم، وجهلوا ما لزمهم الإيمان به، فصاروا كمن على عينيه غطاء لا يبصر ما أمامه، فإنّ الله عزّ وجلّ يتعالى عن العبث والفساد وعن مطالبة العباد بما منعهم بالقهر منه، فلا يأمرهم بمغالبته، ولا بالمصير إلى ما قد صدّهم بالقسر عنه، ثمّ قال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعني: في الآخرة العذاب المعد للكافرين، وفي الدنيا أيضاً لمن يريد أن يستصلحه بما ينزل به من عذاب الإستصلاح لينبّهه لطاعته، أو من عذاب الإصلاح ليصيّره إلى عدله وحكمته».

وروي أبو محمّد العسكري عليه السلام مثل ما قال هو في تأويل هذه الآية من المراد بالختم على قلوب الكفّار عن الصّادق عليه السلام بزيادة شرح لم نذكره مخافة التطويل لهذا الكتاب.

وبالإسناد المتكرّر من أبي محمّد عليه السلام **أنّه قال** ـ في تفسير قوله تعالى ـ: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً...**﴾ الآية[2] «جعلها ملائمة لطبايعكم، موافقة لأجسادكم، لم يجعلها شديدة الحمى والحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدّع هاماتكم، ولا شديدة النتن فتعطبكم، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في حرثكم وأبنيتكم ودفن موتاكم، ولكنّه جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به، وتتماسكون وتتماسك عليها أبدانكم وبينانكم، وجعل فيها من اللين ما تنقاد به لحرثكم وقبوركم وكثير من منافعكم، فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم.

ثمّ قال: ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ يعني: سقفاً من فوقكم محفوظاً، يدير فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم.

---

(١) البقرة ٧.

(٢) البقرة ٢٢.

ثمّ قال: ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً ﴾ يعني: المطر ينزله من علو ليبلغ قلل جبالكم وتلالكم وهضابكم وأوهادكم، ثمّ فرّقه رذاذاً ووابلاً وهطلاً وطلاً، لينشفه[1] أرضوكم، ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة واحدة، ليفسد أرضيكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم.

ثمّ قال: ﴿ وَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُم ﴾ يعني: ممّا يخرجه من الأرض رزقاً لكم، ﴿ فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَاداً ﴾ أشباهاً وأمثالاً من الأصنام التي لا تعقل، ولا تسمع، ولا تبصر، ولا تقدر على شيء، ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة الّتي أنعمها عليكم ربّكم».

وبالإسناد الّذي مضى ذكره عن أبي محمّد العسكري عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ ﴾[2] «إنّ الأُمّي منسوب إلى «أُمّه» أي: هو كما خرج من بطن أُمّه، لا يقرأ ولا يكتب، ﴿ لا يَعْلَمُونَ الكِتَابَ ﴾ المنزّل من السماء ولا المتكذّب به، ولا يميزون بينهما ﴿ إِلَّا أَمَانِيَّ ﴾ أي: إلّا أن يقرأ عليهم ويقال لهم: إنّ هذا كتاب الله وكلامه، لا يعرفون إن قُرأ من الكتاب خلاف ما فيه، ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ أي ما يقرأ عليهم رؤساؤهم من تكذيب محمّد صلى الله عليه وآله في نبوّته وإمامة عليّ سيّد عترته، وهم يقلّدونهم مع أنّهم محرّمٌ عليهم تقليدهم. ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذا مِنْ عِنْدِ اللهِ تعالى ... ﴾ الخ[3] هذا: القوم اليهود، كتبوا صفة زعموا أنّها صفة محمّد صلى الله عليه وآله، وهي خلاف صفته، وقالوا للمستضعفين منهم: هذه صفة النّبيّ المبعوث في آخر الزّمان أنّه: طويل، عظيم البدن والبطن، أهدف[4]، أصهب[5] الشعر، ومحمّد صلى الله عليه وآله بخلافه، وهو يجيء بعد هذا الزمان بخمسمائة سنة، وإنّما أرادوا بذلك أن تبقى لهم على ضعفائهم رياستهم، وتدوم لهم إصاباتهم، ويكفّوا أنفسهم مؤنة خدمة رسول الله صلى الله عليه وآله وخدمة عليّ عليه السلام وأهل بيته وخاصّته، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ من هذه الصفات المحرّفات والمخالفات لصفة محمّد صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام: الشدّة لهم من العذاب في أسوء بقاع جهنّم، وويل لهم: الشدّة في العذاب ثانية مضافة إلى الأُولى، بما يكسبونه من الأموال الّتي

---

(١) نشف الماء نشفاً: شربه.

(٢) البقرة ٧٨.

(٣) البقرة ٧٩.

(٤) الهَدَف: الجسيم وكلّ شيء عظيم مرتفع.

(٥) والصهبة: إحمرار الشعر.

يأخذونها إذا ثبتوا عوامهم على الكفر بمحمّد رسول الله صلى الله عليه وآله ، والحجّة لوصيّه وأخيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام وليّ الله» .

ثمّ قال عليه السلام : «قال رجل للصادق عليه السلام : فإذا كان هؤلاء القوم من اليهود لا يعرفون الكتاب إلّا بما يسمعونه من علمائهم لا سبيل لهم إلى غيره ، فكيف ذمّهم بتقليدهم والقبول من علمائهم ، وهل عوام اليهود إلّا كعوامنا ؛ يقلّدون علماءهم ؟

فقال عليه السلام : «بين عوامنا وعلمائنا وعوام اليهود وعلماءهم فرق من جهة وتسوية من جهة :

أمّا من حيث استووا : فإنّ الله قد ذمّ عوامنا بتقليدهم علمائهم كما ذمّ عوامهم .

وأمّا من حيث افترقوا فلا .

قال : بيّن لي يابن رسول الله !

قال عليه السلام : إنّ عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح ، وبأكل الحرام والرشاء ، وبتغيير الأحكام عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات ، وعرفوهم بالتعصّب الشديد الّذي يفارقون به أديانهم ، وأنّهم إذا تعصّبوا أزالوا حقوق من تعصّبوا عليه وأعطوا ما لا يستحقّه من تعصّبوا له من أموال غيرهم ، وظلموهم من أجلهم ، وعرفوهم يقارفون المحرّمات ، واضطرّوا بمعارف قلوبهم إلى أنّ من فعل ما يفعلونه فهو فاسق لا يجوز أن يصدّق على الله ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله ؛ فلذلك ذمّهم لمّا قلّدوا من قد عرفوه ومن قد علموا أنّه لا يجوز قبول خبره ولا تصديقه في حكايته ، ولا العمل بما يؤدّيه إليهم عمّن لم يشاهدوه ووجب عليهم النظر بأنفسهم في أمر رسول الله صلى الله عليه وآله ، إذ كانت دلائله أوضح من أن تخفى ، وأشهر من أن لا تظهر لهم .

وكذلك عوام اُمّتنا إذا عرفوا من فقهائهم الفسق الظاهر ، والعصبيّة الشديدة ، والتكالب على حطام الدنيا وحرامها ، وإهلاك من يتعصّبون عليه وإن كان لإصلاح أمره مستحقّاً ، وبالترفرف بالبرّ والإحسان على من تعصّبوا له وإن كان للإذلال والإهانة مستحقّاً ، فمن قلّد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الّذين ذمّهم الله بالتقليد لفسقة فقهائهم ، فأمّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه ، حافظاً لدينه ، مخالفاً على هواه ، مطيعاً لأمر مولاه ؛ فللعوام أن يقلّدوه ، وذلك لا يكون إلّا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم ، فإنّه من ركب من القبايح والفواحش مراكب فسقة العامّة فلا تقبلوا منّا عنه شيئاً ، ولا كرامة ، وإنّما كثر التخليط فيما يتحمّل عنّا أهل البيت لذلك لأنّ الفسقة يتحمّلون عنّا فيحرّفونه بأسره بجهلهم ، ويضعون الأشياء على غير وجهها لقلّة معرفتهم ، وآخرون يتعمّدون

الكذب علينا ليجرّوا من عرض الدنيا ما هو زادهم إلى نار جهنّم .

ومنهم قوم نصّاب لا يقدرون على القدح فينا ، يتعلّمون بعض علومنا الصحيحة فيتوجّهون به عند شيعتنا ، وينتقصون بنا عند نصّابنا ، ثمّ يضيفون إليه أضعاف وأضعاف أضعافه من الأكاذيب علينا الّتي نحن براء منها ، فيتقبّله المستسلمون من شيعتنا ، على أنّه من علومنا ، فضلّوا وأضلّوا ، وهم أضرّ على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي عليه السلام وأصحابه ، فإنّهم يسلبونهم الأرواح والأموال ، وهؤلاء علماء السوء الناصبون المتشبّهون بأنّهم لنا موالون ، ولأعدائنا معادون ، ويدخلون الشكّ والشبهة على ضعفاء شيعتنا فيضلّونهم ويمنعونهم عن قصد الحق المصيب ، لا جرم أنّ من علم الله من قلبه من هؤلاء القوم أنّه لا يريد إلّا صيانة دينه وتعظيم وليّه لم يتركه في يد هذا المتلبّس الكافر ، ولكنّه يقيّض له مؤمناً يقف به على الصواب ، ثمّ يوفّقه الله لقبول منه ، فيجمع الله له بذلك خير الدّنيا والآخرة ، ويجمع على من أضلّه لعناً في الدّنيا وعذاب الآخرة .

ثمّ قال : قال رسول الله : أشرار علماء اُمّتنا : المضلّون عنّا ، القاطعون للطرق إلينا ، المسمّون أضدادنا بأسمائنا ، الملقّبون أندادنا بألقابنا ، يصلّون عليهم وهم للّعن مستحقّون ، ويلعنونا ونحن بكرامات الله مغمورون ، وبصلوات الله وصلوات ملائكته المقرّبين علينا عن صلواتهم علينا مستغنون .

ثمّ قال : قيل لأميرالمؤمنين عليه السلام : من خير خلق الله بعد أئمّة الهدى ومصابيح الدجى ؟

قال : العلماء إذا صلحوا .

قيل : فمن شرار خلق الله بعد إبليس ، وفرعون ، ونمرود ، وبعد المتسمّين بأسمائكم ، والمتلقّبين بألقابكم ، والآخذين لأمكنتكم ، والمتأمّرين في ممالككم ؟

قال : العلماء إذا فسدوا ، هم المظهرون للأباطيل ، الكاتمون للحقايق ، وفيهم قال الله عزّ وجلّ : ﴿ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّاعِنُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا ﴾ الآية[1]» .

وبالإسناد المقدّم ذكره عن أبي يعقوب يوسف بن محمّد بن زياد ، وأبي الحسن عليّ بن محمّد بن سيّار أنّهما قالا : قلنا للحسن أبي القائم عليهما السلام : إنّ قوماً عندنا يزعمون أنّ هاروت وماروت ملكان اختارتهما الملائكة لمّا كثر عصيان بني آدم وأنزلهما الله مع ثالث لهما إلى الدّنيا ، وإنّهما افتتنا

---

(١) البقرة ١٥٩ ـ ١٦٠.

بالزهرة وأرادا الزنا بها ، وشربا الخمر ، وقتلا النفس المحرّمة ، وأنّ الله يعذّبهما ببابل ، وأنّ السحرة منهما يتعلّمون السحر ، وأنّ الله مسخ تلك المرأة هذا الكوكب الّذي هو الزهرة .

فقال الإمام عليه السلام : «معاذ الله من ذلك ، إنّ ملائكة الله معصومون محفوظون من الكفر والقبايح ، بألطاف الله ، فقال عزّ وجلّ فيهم : ﴿ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون ﴾[1] وقال : ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ - يعني الملائكة - لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ولا يَسْتَحْسِرُون * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَار لا يَفْتُرُون ﴾[2] وقال في الملائكة : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ - إلى قوله - مُشْفِقُون ﴾[3] كان الله قد جعل هؤلاء الملائكة خلفاءه في الأرض ، وكانوا كالأنبياء في الدنيا ، وكالأئمّة ، أفيكون من الأنبياء والأئمّة قتل النفس والزنا وشرب الخمر» ؟!!

ثمّ قال : «أولست تعلم أنّ الله لم يخل الدنيا من نبي أو إمام من البشر ؟ أوليس يقول : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا - يعني إلى الخلق - إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِم مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ﴾[4] فأخبر أنّه لم يبعث الملائكة إلى الأرض ليكونوا أئمّة وحكّاماً ، وإنّما أُرسلوا إلى أنبياء الله» .

قالا : قلنا له : فعلى هذا لم يكن إبليس ملكاً ؟

فقال عليه السلام : «لا ، بل كان من الجن ! أما تسمعان الله تعالى يقول : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةَ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ ﴾[5] فأخبر أنّه كان من الجنّ ، وهو الّذي قال : ﴿ وَالجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُوم ﴾[6]» .

وقال الإمام عليه السلام : «حدّثني أبي ، عن جدّي ، عن الرّضا ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن عليّ عليهم السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ الله اختارنا معاشر آل محمّد ، واختار النبيّين ، واختار الملائكة المقرّبين ، وما اختارهم إلّا على علم منه بهم : أنّهم لا يواقعون ما يُخرجون به عن ولايته ، وينقطعون به من عصمته ، وينضمّون به إلى المستحقّين لعذابه ونقمته» .

قالا : فقلنا : فقد روي لنا أنّ علياً صلوات الله عليه لمّا نصّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله بالإمامة ، عرض

---

(١) التحريم ٦.

(٢) الأنبياء ١٩ - ٢٠.

(٣) الأنبياء ٢٦ - ٢٨.

(٤) يوسف ١٠٩.

(٥) الكهف ٥١.

(٦) الحجر ٢٧.

الله ولايته على فئام وفئام[1] من الملائكة فأبوها ، فمسخهم الله ضفادع .

فقال ﷺ : «معاذ الله ! هؤلاء المتكذّبون علينا ، الملائكة هم : رسل الله كساير أنبياء الله إلى الخلق ، أفيكون منهم الكفر بالله» ؟

قلنا : لا .

قال ﷺ : «فكذلك الملائكة ! إنّ شأن الملائكة عظيم وإنّ خطبهم لجليل» .

وبالإسناد الّذي تكرّر عن أبي يعقوب وأبي الحسن أيضاً أنّهما قالا : حضرنا عند الحسن بن علي أبي القائم ﷺ فقال له بعض أصحابه : جاءني رجل من إخواننا الشيعة قد امتحن بجهل العامة ، يمتحنونه في الإمامة ويحلّفونه ، فكيف يصنع حتّى يتخلّص منهم ؟

فقلت له :كيف يقولون ؟

قال : يقولون : «أتقول أنّ فلاناً هو الإمام بعد رسول الله ﷺ ؟ فلابدّ لي أن أقول نعم وإلّا أثخنوني ضرباً ، فإذا قلت : نعم ، قالوا لي : قل والله ، فقلت : نعم ، وأُريد به «نعماً» من الأنعام : الإبل والبقر والغنم .

قلت : فإذا قالوا : والله فقل ولي أي ولّي تريد عن أمر كذا ، فإنّهم لا يميزون وقد سلمت .

فقال لي : فإن حقّقوا عَلَيّ فقالوا : قل : «والله» وبيّن الهاء .

فقلت : قل والله برفع الهاء ، فإنّه لا يكون يميناً إذا لم يخفض .

فذهب ثمّ رجع إليّ فقال : عرضوا عَلَيّ وحلّفوني ، فقلت كما لقّنتني» .

فقال له الحسن ﷺ : «أنت كما قال رسول الله ﷺ : «الدالّ على الخير كفاعله» لقد كتب الله لصاحبك بتقيّته بعدد كلّ من استعمل التقيّة من شيعتنا وموالينا ومحبّينا حسنة ، وبعدد من ترك التقيّة منهم حسنة ، أدناها حسنة لو قوبل بها ذنوب مائة سنة لغفرت ، ولك بإرشادك إيّاه مثل ماله» .

وبالإسناد المتكرّر ذكره عن الحسن العسكري ﷺ أنّه قال : «أعرف النّاس بحقوق إخوانه وأشدّهم قضاء لها أعظمهم عند الله شأناً ، ومن تواضع في الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصدّيقين ، ومن شيعة عليّ بن أبي طالب ﷺ حقّاً ، ولقد ورد على أميرالمؤمنين ﷺ إخوان له مؤمنان أب وإبن ، فقام إليهما ، وأكرمهما وأجلسهما في صدر مجلسه ، وجلس بين أيديهما ، ثمّ

---

(١) الفئام ـ بفتح الفاء وكسرها ـ : الجماعة من النّاس وغيرهم .

أمر بطعام فأحضر فأكلا منه ، ثمّ جاء قنبر بطست وإبريق خشب ومنديل لليبس ، وجاء ليصبّ على يد الرجل ماءاً ، فوثب أميرالمؤمنين عليه السلام فأخذ الإبريق ليصبّ على يد الرّجل فتمرّغ الرّجل في التراب وقال : يا أميرالمؤمنين ! الله يراني وأنت تصبّ على يدي ؟!

قال : اقعد واغسل يدك فإنّ الله عزّوجلّ يراك وأخوك الّذي لا يتميّز منك ولا يتفضّل عليك يخدمك ، يريد بذلك خدمة في الجنّة مثل عشرة أضعاف عدد أهل الدّنيا وعلى حسب ذلك في ممالكه فيها .

فقعد الرّجل فقال له عليّ عليه السلام : أقسمت عليك بعظيم حقّي الّذي عرفته وبجّلته وتواضعك لله بأن ندبني لما شرّفك به من خدمتي لك ، لما غسّلت مطمئناً كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قنبراً .

ففعل الرّجل .

فلمّا فرغ ناول الإبريق محمّد بن الحنفيّة وقال : يا بني لو كان هذا الإبن حضرني دون أبيه لصببت على يده ، ولكنّ الله يأبى أن يسوّي بين ابن وأبيه إذا جمعهما مكان ، لكن قد صبّ الأب على الأب ، فليصبّ الإبن على الإبن ، فصبّ محمّد بن الحنفيّة على الإبن» .

ثمّ قال الحسن العسكري عليه السلام : «فمن اتّبع عليّاً عليه السلام على ذلك فهو الشيعيُّ حقّاً» .

احتجاج الحجّة القائم المنتظر المهدي صاحب الزمان صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين

سعد بن عبدالله القمي الأشعري قال : بليت بأشدّ النواصب منازعة فقال لي يوماً ـ بعد ما ناظرته ـ : تبّاً لك ولأصحابك ! أنتم معاشر الروافض تقصدون المهاجرين والأنصار بالطعن عليهم ، وبالجحود لمحبّة النّبيّ لهم ، فالصدّيق هو فوق الصحابة بسبب سبق الإسلام ، ألا تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله إنّما ذهب به ليلة الغار لأنّه خاف عليه كما خاف على نفسه ، ولما علم أنّه يكون الخليفة في اُمّته وأراد أن يصون نفسه كما يصون صلى الله عليه وآله خاصّة نفسه ، كي لا يختلّ حال الدين من بعده ، ويكون الإسلام منتظماً ؟ وقد أقام عليّاً على فراشه لما كان في علمه أنّه لو قتل لا يختلّ الإسلام بقتله ، لأنّه يكون من الصحابة من يقوم مقامه لا جرم لم يبال من قتله ؟!

قال سعد : إنّي قلت على ذلك أجوبة لكنّها غير مسكتة .

ثمّ قال : معاشر الروافض تقولون : إنّ الأول والثاني كانا ينافقان ، وتستدلّون على ذلك بليلة العقبة .

ثمّ قال لي : أخبرني عن إسلامهما كان من طوع ورغبة أوكان عن إكراه وإجبار ؟

فاحترزت عن جواب ذلك وقلت في نفسي : إن كنت أجبته بأنّه كان من طوع ، فيقول : لا يكون على هذا الوجه إيمانهما عن نفاق ، وإن قلت كان عن إكراه وإجبار لم يكن في ذلك الوقت للإسلام قوّة حتّى يكون إسلامهما بإكراه وقهر ، فرجعت عن هذا الخصم على حال ينقطع كبدي ، فأخذت طوماراً وكتبت بضعاً وأربعين مسألة من المسائل الغامضة الّتي لم يكن عندي جوابها . فقلت : أدفعها إلى صاحب مولاي أبي محمّد الحسن بن عليّ عليهما السلام الّذي كان في قم أحمد بن إسحاق[1] ، فلمّا طلبته كان هو قد ذهب ، فمشيت على أثره فأدركته وقلت الحال معه .

فقال لي : جئ معي إلى سرّ من رأى حتّى نسأل عن هذه المسائل مولانا الحسن بن علي عليهما السلام .

فذهبت معه إلى سرّ من رأى ثمّ جئنا إلى باب دار مولانا عليه السلام ، فاستأذنّا عليه ، فأذن لنا ، فدخلنا الدار ، وكان مع أحمد بن إسحاق جراب قد ستره بكساء طبري ، وكان فيه مائة وستّون صرّة من الذهب والورق ، على كلّ واحدة منها خاتم صاحبها الّذي دفعها إليه ، ولمّا دخلنا ووقعت أعيننا على أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام كان وجهه كالقمر ليلة البدر ، وقد رأينا على فخذه غلاماً يشبه المشتري في الحسن والجمال ، وكان على رأسه ذوابتان ، وكان بين يديه رمّان من الذهب قد حلي بالفصوص والجواهر الثمينة قد أهداه واحد من رؤساء البصرة ، وكان في يده قلم يكتب به شيئاً على قرطاس ، فكلّما أراد أن يكتب شيئاً أخذ الغلام يده فألقى الرمان حتّى يذهب الغلام إليه ويجيء به ، فلمّا ترك يده يكتب ما شاء .

ثمّ فتح أحمد بن إسحاق الكساء ووضع الجراب بين يدي العسكري عليه السلام ، فنظر العسكري إلى الغلام فقال : «فض الخاتم عن هدايا شيعتك ومواليك» !

فقال عليه السلام : «يا مولاي أيجوز أن أمدّ يداً طاهرة إلى هدايا نجسة وأموال رجسة » ؟!

ثمّ قال عليه السلام : «يابن إسحاق أخرج ما في الجراب ليميّز بين الحلال والحرام» !

ثمّ أخرج صرّة فقال الغلام عليه السلام : «هذا لفلان بن فلان من محلّة كذا بقم ، مشتمل على اثنين وسبعين ديناراً ، فيها من ثمن حجرة باعها ، وكانت إرثاً عن أبيه خمسة وأربعون ديناراً ، ومن أثمان سبعة أثواب أربعة عشر ديناراً ، وفيه من أُجرة الحوانيت ثلاثة دنانير» .

---

(١) قال العلاّمة في القسم الأوّل من خلاصته ص١٤ : «أحمد بن إسحاق الرازي من أصحاب أبي الحسن الثالث عليّ ابن محمّد الهادي عليهما السلام ، أورد الكشي ما يدلّ على اختصاصه بالجهة المقدّسة ، وقد ذكرته في الكتاب الكبير» .

فقال مولانا عليه السلام : «صدقت يا بني ! دلّ الرّجل على الحرام منها» .

فقال الغلام عليه السلام : «في هذه العين دينار بسكّة الري ، تاريخ في سنة كذا ، قد ذهب نصف نقشه عنه ، وثلاثة أقطاع قراضة بالوزن دانق ونصف ، في هذه الصرّة الحرام هذا القدر ، فإنّ صاحب هذه الصرّة في سنة كذا في شهر كذا كان له عند نسّاج ـ وهو من جملة جيرانه ـ منّ وربع ، فأتى على ذلك زمان كثير فسرقه سارق من عنده فأخبره النسّاج بذلك فما صدّقه وأخذ الغرامة بغزل أدقّ منه مبلغ منّ ونصف ، ثمّ أمر حتّى نسج منه ثوب وهذا الدينار والقراضة من ثمنه» .

ثمّ حلّ عقدها فوجد الدينار والقراضة كما أخبر ، ثمّ أخرجت صرّة أُخرى .

فقال الغلام عليه السلام : «هذا لفلان بن فلان من المحلّة الفلانية بقم والعين فيها خمسون ديناراً ولا ينبغي لنا أن ندني أيدينا إليها» .

قال عليه السلام : «ولِمَ» ؟

فقال عليه السلام : «من أجل أنّ هذه الدنانير ثمن الحنطة ، وكانت هذه الحنطة بينه وبين حرّاث له ، فأخذ نصيبه بكيل كامل وأعطى نصيبه بكيل ناقص» .

فقال مولانا الحسن بن علي عليهما السلام : «صدقت يا بني» !

ثمّ قال عليه السلام : «يابن إسحاق إحمل هذه الصرر وبلّغ أصحابها أو أوص بتبليغها إلى أصحابها ، فإنّه لا حاجة بنا إليها» .

ثمّ قال عليه السلام : «جئ إليّ بثوب تلك العجوز» .

فقال أحمد بن إسحاق : كان ذلك في حقيبة فنسيته ، ثمّ مشى أحمد بن إسحاق ليجيء بذلك فنظر إليّ مولانا أبو محمّد العسكري عليه السلام وقال : «ما جاء بك يا سعد» ؟

فقلت : شوّقني أحمد بن إسحاق إلى لقاء مولانا .

قال عليه السلام : «المسائل الّتي أردت أن تسأل عنها» .

قلت : على حالها يا مولاي .

قال عليه السلام : «فاسأل قرّة عيني ـ وأومى إلى الغلام ـ عمّا بدا لك» !

فقلت : يا مولانا وابن مولانا روي لنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جعل طلاق نسائه إلى أميرالمؤمنين ، حتّى أنّه بعث يوم الجمل رسولاً إلى عائشة وقال : إنّك أدخلت الهلاك على الإسلام وأهله بالغشّ الّذي حصل منك ، وأوردت أولادك في موضع الهلاك بالجهالة ، فإن امتنعت وإلّا طلّقتك ، فأخبرنا

يا مولاي عن معنى الطلاق الّذي فوّض حكمه رسول الله ﷺ إلى أميرالمؤمنين عليه السلام ؟

فقال عليه السلام : «إنّ الله تقدّس اسمه عظم شأن نساء النبيّ ﷺ فخصّهنّ لشرف الأُمّهات ، فقال رسول الله ﷺ : يا أباالحسن إنّ هذا شرف باق ما دمن لله على طاعة ، فأيّتهنّ عصت الله بعدي بالخروج عليك فطلّقها من الأزواج ، وأسقطها من شرف أُمّيّة المؤمنين» .

ثمّ قلت : أخبرني عن الفاحشة المبيّنة الّتي إذا فعلت المرأة ذلك يجوز لبعلها أن يخرجها من بيته في أيّام عدّتها ؟

فقال عليه السلام : «تلك الفاحشة السُحق[1] وليست بالزنا لأنّها إذا زنت يقام عليها الحد ، وليس لمن أراد تزويجها أن يمتنع من العقد عليها لأجل الحد الّذي أُقيم عليها ، وأمّا إذا ساحقت فيجب عليها الرجم ، والرجم هو الخزي ، ومن أمر الله تعالى برجمها فقد أخزاها ليس لأحد أن يقربها» .

ثمّ قلت : أخبرني يابن رسول الله عن قول الله تعالى لنبيّه موسى : ﴿ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً ﴾[2] فإنّ فقهاء الفريقين يزعمون : إنّها كانت من إهاب الميتة ؟

فقال عليه السلام : «من قال ذلك فقد افترى على موسى واستجهله في نبوّته ، لأنّه ما خلا الأمر فيها من خصلتين : إمّا أن كانت صلاة موسى فيها جائزة أو غير جائزة ، فإن كانت صلاة موسى جائزة فيها ، فجاز لموسى أن يكون لابسها في تلك البقعة وإن كانت مقدّسة مطهّرة ، وإن كانت صلاته غير جائزة فيها فقد أوجب أنّ موسى لم يعرف الحلال والحرام ، ولم يعلم ما جازت الصلاة فيه ممّا لم يجز ؛ وهذا كفر» .

قلت : فأخبرني يا مولاي عن التأويل فيها ؟

قال عليه السلام : «إنّ موسى عليه السلام كان بالوادي المقدس ، فقال : يا رب إنّي أخلصت لك المحبّة منّي ، وغسلت قلبي عمّن سواك ، وكان شديد الحبّ لأهله ، فقال الله تبارك وتعالى : فاخلع نعليك أي أنزع حبّ أهلك من قلبك إن كانت محبّتك لي خالصة وقلبك من الميل إلى من سواي مغسولاً» .

فقلت : أخبرني عن تأويل : ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾[3] ؟

قال عليه السلام : «هذه الحروف من أنباء الغيب ، اطّلع الله عليها عبده زكريا ، ثمّ قصّها على

---

(١) المساحقة عند النساء كاللواط عند الرجال.

(٢) طه ١٢.

(٣) مريم ١.

محمّد صلى الله عليه وآله ، وذلك أنّ زكريّا عليه السلام سأله ربّه أن يعلّمه الأسماء الخمسة ، فأهبط عليه جبرئيل فعلّمه إيّاها ، فكان زكريّا إذا ذكر محمّداً وعليّاً وفاطمة والحسن سرى عنه همّه ، وانجلى كربه ، وإذا ذكر اسم الحسين عليه السلام خنقته العبرة ، ووقعت عليه البهرة .

فقال ـ ذات يوم ـ : إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعاً منهم تسلّيت بأسمائهم من همومي ، وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي ؟

فأنبأه الله تبارك وتعالى عن قصّته ، فقال : «كهيعص» ؛ فالكاف اسم «كربلاء» والهاء «هلاك العترة» والياء «يزيد» وهو ظالم الحسين ، والعين «عطشه» والصاد «صبره» فلمّا سمع بذلك زكريّا عليه السلام لم يفارق مسجده ثلاثة أيّام ومنع فيهنّ النّاس من الدخول عليه ، وأقبل على البكاء والنحيب ، وكان يرثيه :

إلهي أتفجع خير جميع خلقك بولده ؟

إلهي أتنزل بلوى هذه الرزيّة بفنائه ؟

إلهي أتلبس عليّاً وفاطمة ثوب هذه المصيبة ؟

إلهي تحلّ كربة هذه المصيبة بساحتهما ؟

ثمّ كان يقول : إلهي ارزقني ولداً تقرّ به عيني على الكبر ، فإذا رزقتنيه فافتنّي بحبّه ، ثمّ أفجعني به كما تفجع محمّداً حبيبك بولده .

فرزقه الله يحيى وفجعه به ، وكان حمل يحيى ستّة أشهر وحمل الحسين كذلك» .

فقلت : أخبرني يا مولاي عن العلّة الّتي تمنع القوم من اختيار الإمام لأنفسهم ؟

قال عليه السلام : «مصلح أو مفسد» ؟

فقلت : مصلح .

قال عليه السلام : «هل يجوز أن يقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد» ؟

قلت : بلى .

قال عليه السلام : «فهي العلّة أيّدتها لك ببرهان يقبل ذلك عقلك» .

قلت : نعم .

قال عليه السلام : «أخبرني عن الرسل الّذين اصطفاهم الله ، وأنزل عليهم الكتب ، وأيّدهم بالوحي

والعصمة ، إذ هم أعلام الأُمم ، فأهدى إلى ثبت الإختيار ومنهم موسى وعيسى هل يجوز مع وفور عقلهما وكمال علمهما إذ همّا بالإختيار أن تقع خيرتهما على المنافق ، وهما يظنّان أنّه مؤمن» ؟

قلت : لا .

قال عليه السلام : «فهذا موسى كليم الله مع وفور عقله ، وكمال علمه ، ونزول الوحي عليه اختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربّه سبعين رجلاً ممّن لم يشكّ في إيمانهم وإخلاصهم ، فوقع خيرته على المنافقين ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا ﴾ الآية[1] فلمّا وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله للنبوّة واقعاً على الأفسد دون الأصلح وهو يظنّ أنّه الأصلح دون الأفسد ، علمنا أنّ الإختيار لمن لا يعلم ما تخفي الصدور وما تكنّ الضمائر ، وتنصرف عنه السرائر ، وأن لا خطر لاختيار المهاجرين والأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء على ذوي الفساد لمّا أرادوا أهل الصلاح» .

ثمّ قال مولانا عليه السلام : «يا سعد ! من ادّعى أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله -وهو خصمك- ذهب بمختار هذه الأُمّة مع نفسه إلى الغار فإنّه خاف عليه كما خاف على نفسه لما علم أنّه الخليفة من بعده على أُمّته ، لأنّه لم يكن من حكم الإختفاء أن يذهب بغيره معه وإنّما أقام عليّاً على مبيته لأنّه علم أنّه إن قتل لا يكون من الخلل بقتله ما يكون بقتل أبي بكر ، لأنّه يكون لعليّ من يقوم مقامه في الأُمور ، لِمَ لا تنقض عليه بقولك : أولستم تقولون أن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال : «إنّ الخلافة من بعدي ثلاثون سنة» وصيّرها موقوفة على أعمار هؤلاء الأربعة : أبوبكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ؛ فإنّهم كانوا على مذهبكم خلفاء رسول الله ؟ فإنّ خصمك لم يجد بدّاً من قوله : بلى . قلتَ له : فإذا كان الأمر كذلك فكما أبوبكر الخليفة من بعده كان هذه الثلاثة خلفاء أُمّته من بعده ، فلم ذهب بخليفة واحد وهو أبوبكر إلى الغار ولم يذهب بهذه الثلاثة ؟ فعلى هذا الأساس يكون النّبيّ صلى الله عليه وآله مستخفاً بهم دون أبي بكر ، فإنّه يجب عليه أن يفعل بهم ما فعل بأبي بكر ، فلمّا لم يفعل ذلك بهم يكون متهاوناً بحقوقهم وتاركاً للشفقة عليهم بعد أن كان يجب أن يفعل بهم جميعاً على ترتيب خلافتهم ما فعل بأبي بكر .

وأمّا ما قال لك الخصم بأنّهما أسلما طوعاً أو كرهاً ، لِمَ لم تقل بل إنّهما أسلما طمعاً ، وذلك أنّهما يخالطان مع اليهود ويخبران بخروج محمّد صلى الله عليه وآله واستيلائه على العرب من التوراة والكتب المقدّسة وملاحم قصّة محمّد صلى الله عليه وآله ، ويقولون لهما : يكون استيلاؤه على العرب كاستيلاء

---

(١) الأعراف ١٥٥.

«بخت نصر» على بني إسرائيل إلّا أنّه يدعّي النبوّة ولا يكون من النبوّة في شيء ، فلمّا ظهر أمر رسول الله فساعدا معه على شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله طمعاً أن يجدا من جهة ولاية رسول الله ولاية بلد إذا انتظم أمره ، وحسن باله ، واستقامت ولايته ، فلمّا أيسا من ذلك وافقا مع أمثالهما ليلة العقبة وتلثّما مثل من تلثّم منهم ، فنفروا بدابّة رسول الله لتسقطه ويصير هالكاً بسقوطه بعد أن صعد العقبة فيمن صعد ، فحفظ الله تعالى نبيّه من كيدهم ولم يقدروا أن يفعلوا شيئاً ، وكان حالهما كحال طلحة والزبير إذ جاءا عليّاً عليه السلام وبايعاه طمعاً أن تكون لكلّ واحد منهما ولاية ، فلمّا لم يكن ذلك وأيسا من الولاية نكثا بيعته وخرجا عليه حتّى آل أمر كلّ واحد منهما إلى ما يؤلّ أمر من ينكث العهود والمواثيق» .

ثمّ قام مولانا الحسن بن علي عليه السلام لصلاته ، وقام القائم معه ، فرجعت من عندهما وطلبت أحمد ابن إسحاق ، فاستقبلني باكياً ، فقلت : ما أبطأك وما أبكاك ؟

قال : قد فقدت الثوب الذي سألني مولاي إحضاره .

قلت : لا بأس عليك فأخبره !

فدخل عليه وانصرف من عنده متبسّماً وهو يصلّي على محمّد وأهل بيته .

فقلت : ما الخبر ؟

قال : وجدت الثوب مبسوطاً تحت قدمي مولانا عليه السلام يصلّي عليه .

قال سعد : فحمدنا الله جلّ ذكره على ذلك وجعلنا نختلف بعد ذلك اليوم إلى منزل مولانا عليه السلام أيّاماً فلا نرى الغلام بين يديه ، فلمّا كان يوم الوداع دخلت أنا وأحمد بن إسحاق وكهلان من أهل بلدنا ، فانتصب أحمد بن إسحاق بين يديه قائماً وقال : يابن رسول الله قد دنت الرحلة ، واشتدّت المحنة ، فنحن نسأل الله أن يصلّي على المصطفى جدّك ، وعلى المرتضى أبيك ، وعلى سيّدة النساء أُمّك فاطمة الزهراء ، وعلى سيّدي شباب أهل الجنّة عمّك وأبيك ، وعلى الأئمّة من بعدهما آبائك ، وأن يصلّي عليك وعلى ولدك ، ونرغب إليه أن يعلي كعبك ، ويكبت عدوّك ، ولا جعل الله هذا آخر عهدنا من لقائك .

(قال) : فلمّ قال هذه الكلمة ، استعبر مولانا عليه السلام حتّى استهملت دموعه وتقاطرت عبراته ثمّ قال : «يابن اسحاق لا تكلّف في دعائك شططاً ، فإنّك ملاق الله في صدرك هذا» .

فخرّ أحمد مغشيّاً عليه ، فلمّا أفاق قال : سألتك بالله وبحرمة جدّك إلّا ما شرّفتني بخرقة أجعلها كفناً .

فأدخل مولانا يده تحت البساط فأخرج ثلاثة عشر درهماً ، فقال عليه السلام : «خذها ولا تنفق على نفسك غيرها فإنّك لن تعدم ما سألت ، والله لا يضيع أجر المحسنين» .

قال سعد : فلمّا صرنا بعد منصرفنا من حضرة مولانا عليه السلام من حلوان على ثلاثة فراسخ ، حمّ أحمد بن إسحاق وثارت عليه علّة صعبة أيس من حياته بها ، فلمّا وردنا حلوان ونزلنا في بعض الخانات ، دعا أحمد بن إسحاق رجلاً من أهل بلده كان قاطناً بها ، ثمّ قال : تفرّقوا عنّي هذه الليلة واتركوني وحدي !

فانصرفنا عنه ورجع كلّ واحد إلى مرقده .

(قال) سعد : فلمّا حان أن ينكشف الليل عن الصبح أصابتني فكرة ، ففتحت عيني ، فإذا أنا بكافور الخادم ؛ خادم مولانا أبي محمّد وهو يقول : أحسن الله بالخير عزاكم ، وختم بالمحبوب رزيّتكم ، قد فرغنا من غسل صاحبكم ومن تكفينه ، فقوموا لدفنه فإنّه من أكرمكم محلًّا عند سيّدكم ، ثمّ غاب عن أعيننا ، فاجتمعنا على رأسه بالبكاء والنحيب والعويل حتّى قضينا حقّة وفرغنا من أمره رحمه الله .

وعن الشيخ الموثوق أبي عمرو العمري رحمه الله[1] **قال** : تشاجر ابن أبي غانم القزويني وجماعة من

---

(١) هو عثمان بن سعيد العمري ـ بفتح العين وسكون الميم ـ أوّل النوّاب الأربعة يكنّى أباعمرو السمان ، ويقال له الزيات والعسكري ، ذكره الشيخ الطوسي في عداد أصحاب الهادي عليه السلام ص ٤٢٠ وقال : «... خدمه عليه السلام وله إحدى عشر سنة ، وله إليه عهد معروف» وفي أصحاب العسكري عليه السلام ص ٤٣٤ وقال : «... جليل القدر ، ثقة ، وكيله عليه السلام» وفي كتاب الغيبة ص ٢١٤ قال : «فأمّا السفراء الممدوحون في زمان الغيبة ، فأوّلهم : من نصبه أبوالحسن علي بن محمّد العسكري وأبو محمّد الحسن بن علي بن محمّد ابنه عليهما السلام وهو الشيخ الموثوق به أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري ، وكان أسديّاً ، وإنّما سمّي العمري لما رواه أبو نصر هبةالله بن محمّد بن أحمد الكاتب أنّه ابن بنت أبي جعفر العمري رحمه الله . قال أبو نصر : كان أسديّاً فنسب إلى جدّه ، فقيل العمري ، وقد قال قوم من الشيعة : إنّ أبامحمّد الحسن بن علي عليه السلام قال : لا يجتمع على أمره بين عثمان وأبو عمرو فأمر بكسر كنيته فقيل العمري ـ إلى أن قال ـ : ويقال له : السمان ، لأنّه كان يتّجر في السمن تغطية على الأمر ، وكان الشيعة إذا حملوا إلى أبي محمّد عليه السلام ما يجب عليهم حمله من الأموال أنفذوا إلى أبي عمرو فيجعله في جراب السمن وزقاقه ويحمله إلى أبي محمّد عليه السلام تقيّة وخوفاً .

وقال العلّامة في القسم الأوّل من خلاصته ص ١١٦ : «... ويقال له : الزيات الأسدي من أصحاب أبي جعفر محمّد ⬅

الشيعة في الخلف ، فذكر ابن أبي غانم : أنّ أبامحمّد عليه السلام مضى ولا خلف له ، ثمّ إنّهم كتبوا في ذلك كتاباً وأنفذوه إلى الناحية ، وأعلموه بما تشاجروا فيه .

فورد جواب كتابهم بخطّه صلّى الله عليه وعلى آبائه :

بسم الله الرحمن الرحيم

«عافانا الله وإيّاكم من الفتن ، ووهب لنا ولكم روح اليقين ، وأجارنا وإيّاكم من سوء المنقلب ، إنّه أُنهي إليّ ارتياب جماعة منكم في الدين ، ما دخلهم من الشك والحيرة في ولاة أمرهم ، فغمّنا ذلك لكم لا لنا ، وساءنا فيكم لا فينا ، لأنّ الله معنا فلا فاقة بنا إلى غيره ، والحقّ معنا فلن يوحشنا من قعد عنّا ، ونحن صنايع ربّنا والخلق بعد صنايعنا .

يا هؤلاء مالكم في الريب تتردّدون ، وفي الحيرة تنعسكون ، أوما سمعتم الله يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيْعُوْا اللهَ وَأَطِيْعُوْا الرَّسُوْلَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[1] ؟ أوما علمتم ما جاءت به الآثار ممّا يكون ويحدث في أئمّتكم ، على الماضين والباقين منهم السلام ؟ أوما رأيتم كيف جعل الله لكم معاقل تأوون إليها ، وأعلاماً تهتدون بها ، من لدن آدم عليه السلام إلى أن ظهر الماضي عليه السلام ، كلّما غاب علم بدا علم ، وإذا أفل نجم طلع نجم ، فلمّا قبضه الله إليه ظننتم أنّ الله أبطل دينه وقطع السبب بينه وبين خلقه ؟ كلّا ما كان ذلك ولا يكون ، حتّى تقوم الساعة ويظهر أمر الله وهم كارهون ، وإنّ الماضي عليه السلام مضى سعيداً فقيداً على منهاج آبائه عليهم السلام ، حذو النّعل بالنّعل ، وفينا وصيّته وعلمه ، ومنه خلفه ومن يسدّ مسدّه ، ولا ينازعنا موضعه إلّا ظالم آثم ، ولا يدّعيه دوننا إلّا كافر جاحد ، ولولا أنّ أمر الله لا يغلب ، وسرّه لا يظهر ولا يعلن ، لظهر لكم من حقّنا ما تبتزّ منه عقولكم ، ويزيل شكوككم ، ولكنّه ما شاء الله كان ، ولكلّ أجل كتاب ، فاتّقوا الله وسلّموا لنا وردّوا الأمر إلينا ، فعلينا الإصدار كما كان منّا الإيراد ، ولا تحاولوا كشف ما غطي عنكم ، ولا تميلوا عن اليمين

➲ ابن علي الثاني عليهما السلام خدمه وله إحدى عشر سنة وله إليه عهد معروف وهو ثقة جليل القدر وكيل أبي محمّد عليه السلام».

وفي ج ٢ من سفينة البحار ص١٥٨ : «أبو عمرو عثمان بن سعيد السمان العمري أوّل النوّاب الأربعة ، ما ورد في شأنه من الجلالة والعدالة والأمانة أكثر من أن يذكر وهو أجلّ وأشهر من أن يصفه مثلي (كش) كان باب الجواد عليه السلام ... وحكى : أنّه يقال له : العمري لأنّه ينتسب من قبل الأم إلى عمر الأطرف بن علي عليه السلام ...» . وقبره في الجانب الغربي ببغداد .

(١) النساء ٥٨.

وتعدلوا إلى اليسار ، واجعلوا قصدكم إلينا بالمودّة على السنّة الواضحة ، فقد نصحت لكم ، والله شاهد عَلَيّ وعليكم ، ولولا ما عندنا من محبّة صاحبكم ورحمتكم ، والإشفاق عليكم ، لكنّا عن مخاطبتكم في شغل ممّا قد امتحنّا به من منازعة الظالم العتل ، الضال المتتابع في غيّه ، المضادّ لربّه ، المدّعي ما ليس له ، الجاحد حقّ من افترض الله طاعته ، الظالم الغاصب ، وفي ابنة رسول الله صلّى الله عليه وآله إليّ أُسوة حسنة ، وسيردي الجاهل رداء عمله ، وسيعلم الكافر لمن عقبى الدّار .

عصمنا الله وإيّاكم من المهالك والأسواء ، والآفات والعاهات كلّها برحمته إنّه وليّ ذلك والقادر على ما يشاء ، وكان لنا ولكم وليّاً وحافظاً ، والسلام على جميع الأوصياء والأولياء والمؤمنين ورحمة الله وبركاته ، وصلّى الله على النبيّ محمّد وآله وسلّم تسليماً» .

وعن سعد بن عبدالله الأشعري عن الشيخ الصدوق أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري رحمه الله : أنّه جاء بعض أصحابنا يعلمه أنّ جعفر بن علي كتب إليه كتاباً يعرّفه نفسه ، ويعلّمه أنّه القيّم بعد أخيه ، وأنّ عنده من علم الحلال والحرام ما يحتاج إليه ، وغير ذلك من العلوم كلّها .

قال أحمد بن إسحاق : فلمّا قرأت الكتاب كتبت إلى صاحب الزمان عليه السلام وصيّرت كتاب جعفر في درجه ، فخرج إليّ الجواب في ذلك :

بسم الله الرحمن الرحيم

«أتاني كتابك أبقاك الله ، والكتاب الّذي أنفذت درجه ، وأحاطت معرفتي بجميع ما تضمّنه على اختلاف ألفاظه ، وتكرّر الخطأ فيه ، ولو تدبّرته لوقفت على بعض ما وقفت عليه منه ، والحمد لله ربّ العالمين ، حمداً لا شريك له على إحسانه إلينا وفضله علينا ، أبى الله عزّ وجلّ للحقّ إلّا إتماماً ، وللباطل إلّا زهوقاً ، وهو شاهد عَلَيّ بما أذكره ، ولي عليكم بما أقوله ، إذا اجتمعنا اليوم الّذي لا ريب فيه ، ويسألنا عمّا نحن فيه مختلفون .

وأنّه لم يجعل لصاحب الكتاب على المكتوب إليه ولا عليك ولا على أحد من الخلق جميعاً إمامة مفترضة ، ولا طاعة ولا ذمّة ، وسأُبيّن لكم جملة تكتفون بها إن شاء الله .

يا هذا يرحمك الله ! إنّ الله تعالى لم يخلق الخلق عبثاً ، ولا أهملهم سدى ، بل خلقهم بقدرته ، وجعل لهم أسماعاً وأبصاراً وقلوباً وألباً ، ثمّ بعث النبيّين عليهم السلام مبشّرين ومنذرين ، يأمرونهم بطاعته وينهونهم عن معصيته ، ويعرّفونه ما جهلوه من أمر خالقهم ودينهم ، وأنزل عليهم كتاباً وبعث إليهم ملائكة ، وباين بينهم وبين من بعثهم إليهم بالفضل الّذي جعله لهم عليهم ، وما آتاهم

الله من الدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة ، والآيات الغالبة ، فمنهم : من جعل النّار عليه برداً وسلاماً واتّخذه خليلاً ، ومنهم : من كلّمه تكليماً وجعل عصاه ثعباناً مبيناً ، ومنهم : من أحيى الموتى بإذن الله وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله ، ومنهم : من علّمه منطق الطير واُوتي من كلّ شيء .

ثمّ بعث محمّداً صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين ، وتمّم به نعمته ، وختم به أنبياءه ، وأرسله إلى النّاس كافّة ، وأظهر من صدقه ما أظهر ، وبيّن من آياته وعلاماته ما بيّن ، ثمّ قبضه صلى الله عليه وآله حميداً فقيداً سعيداً ، وجعل الأمر من بعده إلى أخيه وابن عمّه ووصيّه ووارثه عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، ثمّ إلى الأوصياء من ولده واحداً بعد واحد ، أحيى بهم دينه ، وأتمّ بهم نوره ، وجعل بينهم وبين إخوتهم وبني عمّهم والأدنين فالأدنين من ذوي أرحامهم فرقاً بيّناً ، تعرف به الحجّة من المحجوج ، والإمام من المأموم بأن : عصمهم من الذنوب ، وبرأهم من العيوب ، وطهّرهم من الدنس ، ونزّههم من اللبس ، وجعلهم خزّان علمه ، ومستودع حكمته ، وموضع سرّه ، وأيّدهم بالدلائل ، ولولا ذلك لكان النّاس على سواء ، ولادّعى أمر الله عزّ وجلّ كلّ أحد ، ولما عرف الحقّ من الباطل ، ولا العلم من الجهل .

وقد ادّعى هذا المبطل المدّعي على الله الكذب بما ادّعاه ، فلا أدري بأيّة حالة هي له ، رجا أن يتمّ دعواه بفقه في دين الله ؟ فوالله ما يعرف حلالاً من حرام ، ولا يفرّق بين خطأ وصواب ، أم بعلم ؟! فما يعلم حقّاً من باطل ، ولا محكماً من متشابه ، ولا يعرف حدّ الصلاة ووقتها ، أم بورع ؟! فالله شهيد على تركه الصلاة الفرض أربعين يوماً يزعم ذلك لطلب الشعوذة ، ولعلّ خبره تأدّى إليكم ، وهاتيك ظروف مسكره منصوبة ، وآثار عصيانه لله عزّ وجلّ مشهورة قائمة ، أم بآية ؟! فليأت بها ، أم بحجّة ؟! فليقمها ، أم بدلالة ؟! فليذكرها ، قال الله عزّ وجلّ في كتابه : ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ * حم * تَنزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ * مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمّىً وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّآ أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ ٱئْتُونِي بِكِتَابٍ مِن قَبْلِ هٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللهِ مَن لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾[1] .

فالتمس تولّى الله توفيقك من هذا الظالم ما ذكرت لك ، وامتحنه واسأله عن آية من كتاب الله

---

(١) الأحقاف ١ـ٦.

يفسّرها ، أو صلاة يبيّن حدودها وما يجب فيها ، لتعلم حاله ومقداره ، ويظهر لك عواره ونقصانه ، والله حسيبه .

حفظ الله الحقّ على أهله ، وأقرّه في مستقرّه ، وأبى الله ﷻ أن تكون الإمامة في أخوين إلّا في الحسن والحسين ، وإذ أذن الله لنا في القوم ظهر الحق واضمحلّ الباطل ، وانحسر عنكم ، وإلى الله أرغب في الكفاية ، وجميل الصنع والولاية ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلّى الله على محمّد وآل محمّد» .

محمّد بن يعقوب الكليني[1] عن إسحاق بن يعقوب قال : سألت محمّد بن عثمان العمري ؓ[2]

---

(١) قال المحقّق الشيخ عبّاس القمي في ج٣ من الكنى والألقاب ص٩٨ : «هو الشيخ الأجل ، قدوة الأنام ، وملاذ المحدّثين العظام ، ومروج المذهب في غيبة الإمام ؑ ، أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي الملقّب : «ثقة الإسلام» ألّف الكافي الّذي هو أجلّ الكتب الإسلاميّة وأعظم المصنّفات الإماميّة والّذي لم يعمل للإماميّة مثله .

قال المولى محمّد أمين الإسترابادي في محكي فوائده : سمعنا مشايخنا وعلمائنا أنّه لم يصنّف في الإسلام كتاب يوازيه أو يدانيه .

وكان خاله علان الكليني الرازي» .

وقال النجاشي ص٢٩٢ : «شيخ أصحابنا بالري ، ووجههم ، وكان أوثق النّاس في الحديث وأثبتهم ...» .

وقال العلّامة في القسم الأوّل من الخلاصة ص١٤٥ : «... صنّف كتاب الكافي في عشرين سنة ومات ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة» .

وقال الشيخ الطوسي وقال النجاشي : في سنة تسع وعشرين وثملاثمائة ، سنة تناثر النجوم ، وصلّى عليه محمّد بن جعفر الحسيني أبو قيراط ودفن بباب الكوفة في مقبرتها ...» .

(٢) محمّد بن عثمان العمري ؓ هو ثاني الوكلاء الأربعة ، ذكره الشيخ في رجاله ص٥٩ وقال : «... يكنّى أباجعفر ، وأبوه يكنّى أباعمرو ، جميعاً وكيلان من جهة صاحب الزمان ؑ ، ولهما منزلة جليلة عند الطائفة» .

وقال في الغيبة ص٢١٨ : «فلمّا مضى أبو عمرو عثمان بن سعيد قام ابنه أبو جعفر محمّد بن عثمان مقامه بنصّ أبي محمّد ؑ عليه ، ونصّ أبيه عثمان عليه بأمر القائم ؑ» .

وفي ج١ من سفينة البحار ص٣٢٨ : «... أبو جعفر باب الهادي ، وهو وكيل الناحية في خمسين سنة ، الّذي ظهر على يديه من طرف المأمول المنتظر ؑ معاجز كثيرة ... وكان محمّد ؓ شيخاً متواضعاً في بيت صغير ليس له غلمان .. وروي عنه قال : إنّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم مع النّاس كلّ سنة ، يرى النّاس فيعرفهم ويرونه ولا يعرفونه .

وروي أنّه قيل له : رأيت صاحب هذا الأمر ؟ قال : نعم وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو ؑ يقول : «اللّهمّ أنجز لي ما وعدتني» .

وعنه أيضاً قال : رأيته صلوات الله عليه متعلّقاً بأستار الكعبة في المستجار وهو ؑ يقول : «اللّهمّ انتقم بي من

أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عَلَيّ ؛ فورد التوقيع بخطّ مولانا صاحب الزمان عليه السلام :

«أمّا ما سألت عنه أرشدك الله وثبّتك ، ووقاك من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمّنا .

فاعلم : أنّه ليس بين الله عزّ وجلّ وبين أحد قرابة ، ومن أنكرني فليس منّي وسبيله سبيل ابن نوح .

وأمّا سبيل ابن عمّي جعفر وولده ، فسبيل إخوة يوسف عليه السلام .

وأمّا الفقاع فشربه حرام ولا بأس بالشلماب(١) .

وأمّا أموالكم فلا نقبلها إلّا لتطهرّوا ؛ فمن شاء فليصل ومن شاء فليقطع ، وما آتانا الله خير ممّا آتاكم .

وأمّا ظهور الفرج فإنّه إلى الله ، وكذب الوقّاتون .

وأمّا قول من زعم أنّ الحسين لم يقتل ، فكفر وتكذيب وضلال .

وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا ، فإنّهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله .

وأمّا محمّد بن عثمان العمري ، فرضي الله عنه وعن أبيه من قبل ، فإنّه ثقتي وكتابه كتابي .

وأمّا محمّد بن علي بن مهزيار الأهوازي ، فسيصلح الله قلبه ، ويزيل عنه شكّه .

وأمّا ما وصلتنا به ، فلا قبول عندنا إلّا لما طاب وطهر .

وثمن المغنّية حرام .

وأمّا محمّد بن شاذان بن نعيم ، فإنّه رجل من شيعتنا أهل البيت .

وأمّا أبوالخطّاب محمّد بن أبي زينب الأجدع ، ملعون وأصحابه ملعونون ؛ فلا تجالس أهل

⬅ أعدائي» .

وروي أنّه حفر لنفسه قبراً وسوّاه بالساج ونقّش فيه آيات من القرآن وأسماء الأئمّة عليهم السلام على حواشيه ، قيل : سئل عن ذلك ، فقال : للنّاس أسباب .

وكان في كلّ يوم ينزل في قبره ويقرأ جزءاً من القرآن ثمّ يصعد» .

قال العلّامة في القسم الأوّل من الخلاصة ص١٤٩ ، ثمّ سئل بعد ذلك فقال : قد أمرت أن أجمع أمري . فمات بعد شهرين من ذلك في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثمائة ، وقيل : سنة أربع وثلاثمائة ... وقال عند موته : أمرت أن أُوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح وأوصى إليه ...» وقبره ببغداد مشيّد ويعرف بـ«الشيخ الخلاني» .

(١) الشَلْماب ـ بفتح أوّله وسكون ثانيه ـ : شربة تتّخذ من مطبوخ الشلجم ، وربّما يطلق على مائه . إنّ الشلماب شراب يتّخذ من الشيلم وهو حبّ شبيه بالشعير ، وفيه تخدير نظير البنج ، وإن اتّفق وقوعه في الحنطة وعمل منه الخبز ، أورث السدر والدوار والنوم ، ويكثر نباته في مزارع الحنطة ويتوهّم حرمته ، لمكان التخدير بالإسكار عند العوام .

مقالتهم ، فإنّي منهم بريء ، وآبائي عليهم السلام منهم براء .

وأمّا المتلبّسون بأموالنا ؛ فمن استحلّ منها شيئاً فأكله فإنّما يأكل النيران .

وأمّاالخمس فقد أُبيح لشيعتنا وجعلوا منه في حلّ إلى وقت ظهور أمرنا لتطيب ولادتهم ، ولا تخبث.

وأمّا ندامة قوم شكّوا في دين الله على ما وصلونا به ، فقد أقلنا من استقال فلا حاجة إلى صلة الشاكّين.

وأمّا علّة ما وقع من الغيبة ، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[1] إنّه لم يكن أحد من آبائي إلّا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه ، وإنّي أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي .

وأمّا وجه الإنتفاع بي في غيبتي ، فكالإنتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب ، وإنّي لأمان لأهل الأرض كما أنّ النّجوم أمان لأهل السّماء ، فأغلقوا أبواب السؤال عمّا لا يعنيكم ، ولا تتكلّفوا علم ما قد كفيتم ، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج ، فإنّ ذلك فرجكم ، والسلام عليك يا إسحاق وعلى من اتّبع الهدى» .

أبوالحسن عليّ بن أحمد الدلال القمي[2] قال : اختلفت جماعة من الشيعة في أنّ الله عزّ وجلّ فوّض إلى الأئمّة صلوات الله عليهم أن يخلقوا ويرزقوا ، فقال قوم : هذا محال لا يجوز على الله تعالى ، لأنّ الأجسام لا يقدر على خلقها غير الله عزّ وجلّ ، وقال آخرون : بل الله أقدر الأئمّة على ذلك وفوّض إليهم فخلقوا ورزقوا ، وتنازعوا في ذلك نزاعاً شديداً ، فقال قائل : ما بالكم لا ترجعون إلى أبي جعفر محمّد بن عثمان فتسألوه عن ذلك ليوضّح لكم الحقّ فيه ، فإنّه الطريق إلى صاحب الأمر ، فرضيت الجماعة بأبي جعفر وسلّمت وأجابت إلى قوله ، فكتبوا المسألة وأنفذوها إليه ، فخرج إليهم من جهته توقيع ، نسخته :

«إنّ الله تعالى هو الّذي خلق الأجسام ، وقسّم الأرزاق لأنّه ليس بجسم ولا حالّ في جسم ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير .

وأمّا الأئمّة عليهم السلام ، فإنّهم يسألون الله تعالى فيخلق ، ويسألونه فيرزق ؛ إيجاباً لمسألتهم ، وإعظاماً لحقّهم» .

---

(١) المائدة ١٠٤.

(٢) ج٣ من رجال المامقاني ص ١١ باب الكنى : أبوالحسن الدلال ليس له ذكر في كلمات أصحابنا الرجاليين ، وإنّما الّذي عثرنا عليه رواية الكليني رحمه الله في باب تربيع القبر من الكافي عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر عن إسماعيل عنه عن يحيى بن أبي عبدالله .

عن أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي رحمه الله[(١)] قال: حدّثني محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني[(٢)] قال: كنت عند الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه[(٣)] مع جماعة منهم

---

(١) قال الشيخ عبّاس القمي في ج ١ من الكنى والألقاب ص ٢١٢: «أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، شيخ الحفظة، ووجه الطائفة المستحفظة، رئيس المحدّثين، والصدوق فيما يرويه عن الأئمّة الطاهرين عليهم السلام، ولد بدعاء مولانا صاحب الأمر عليه السلام، ونال بذلك عظيم الفضل والفخر، فعمّت بركته الأنام، وبقيت آثاره ومصنّفاته مدى الأيّام، له نحو من ثلاثمائة مصنّف.

قال ابن إدريس في حقّه رحمه الله: إنّه كان ثقة، جليل القدر، بصيراً بالأخبار، ناقداً للآثار، عالماً بالرجال، وهو أستاذ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان رحمه الله.

وقال العلّامة في ترجمته: شيخنا وفقيهنا، ووجه الطائفة بخراسان، ورد بغداد سنة ٣٥٥، وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن، كان جليلاً، حافظاً للأحاديث، بصيراً بالرجال، ناقداً للأخبار، لم ير في القمّيّين مثله في حفظه وكثرة علمه، له نحو من ثلاثمائة مصنَّف، ذكرنا أكثرها في كتابنا الكبير، مات رحمه الله بالري سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، إنتهى.

وقال الأُستاذ الأكبر في التعليقة: نقل المشايخ معنعناً عن شيخنا البهائي وقد سُئل عنه فعدّله ووثّقه وأثنى عليه، وقال: سئلت قديماً عن زكريّا بن آدم والصدوق محمّد بن علي بن بابويه أيّهما أفضل وأجلّ مرتبة، فقلت: زكريّا ابن آدم لتوافر الأخبار بمدحه، فرأيت شيخنا الصدوق رحمه الله عاتباً عَلَيّ، وقال: من أين ظهر لك فضل بن زكريّا بن آدم عَلَيّ؟ وأعرض عنّي، كذا في حاشية المحقق البحراني على بلغته.

وقبره رحمه الله في بلدة الري، قرب عبدالعظيم الحسني، مزار معروف في بقعة عالية، في روضة مونقة، وله خبر مستفيض مشهور ذكره (ضا) وعدّه من كراماته، وأطراف قبره قبور كثيرة من أهل الفضل والإيمان».

(٢) في ج ٢ من جامع الرواة ص ٤٣ محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رحمه الله عنه أبو جعفر بن بابويه مترضّياً وهو عن الحسين بن روح قدّس الله روحه ما ينبئ عن حسن حاله واعتقاده (كتاب ميرزا محمّد).

(٣) الحسين بن روح: أحد النوّاب الأربعة، في الجزء الأوّل من سفينة البحار ص ٢٧١: «أخبرنا جماعة عن أبي محمّد هارون بن موسى قال: أخبرني أبو علي محمّد بن همام رضي الله عنه وأرضاه أنّ أباجعفر محمّد بن عثمان العمري قدّس الله روحه، جمعنا قبل موته وكنّا وجوه الشيعة وشيوخها، فقال لنا: إن حدث الموت فالأمر إلى أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي، فقد أُمرت أن أجعله في موضعي بعدي، فارجعوا إليه وعوّلوا في أُموركم عليه.

وفي رواية أُخرى ما حاصلها أنّه لمّا اشتدّت حال أبي جعفر رحمه الله اجتمع جماعة من وجوه الشيعة فدخلوا عليه فقالوا له: إن حدث أمر فمن يكون مكانك؟

فقال لهم: هذا أبوالقاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي القائم مقامي والسفير بينكم وبين صاحب الأمر، والوكيل والثقة الأمين؛ فارجعوا إليه في أُموركم وعوّلوا عليه في مهمّاتكم، فبذلك أُمرت وقد بلّغت.

وعن أُمّ كلثوم بنت أبي جعفر رضي الله عنه قالت: كان الشيخ أبوالقاسم الحسين بن روح رحمه الله وكيلاً لأبي جعفر ـ أي: محمّد ابن عثمان ـ سنين كثيرة ينظر له في أملاكه، ويلقي بأسراره الرؤساء من الشيعة، وكان خصّيصاً به، حتّى أنّه كان يحدّثه ما يجري بينه وبين جواريه لقربه منه وأُنسه، وكان يدفع إليه في كلّ شهر ثلاثين ديناراً رزقاً له غير ما يصل

عليّ بن عيسى القصري ، فقام إليه رجل فقال له : أُريد أن أسألك عن شيء .

فقال له : سل عمّا بدا لك .

فقال الرجل : أخبرني عن الحسين بن علي عليه السلام أهو وليّ الله ؟

قال : نعم .

قال : أخبرني عن قاتله لعنه الله أهو عدوّ الله ؟

قال : نعم .

قال الرّجل : فهل يجوز أن يسلّط الله عزّ وجلّ عدوّه على وليّه ؟

فقال أبوالقاسم قدّس الله روحه : إفهم عنّي ما أقول لك ! إعلم أنّ الله تعالى لا يخاطب النّاس بمشاهدة العيان ، ولا يشافههم بالكلام ، ولكنّه جلّت عظمته يبعث إليهم من أجناسهم وأصنافهم بشراً مثلهم ، ولو بعث إليهم رسلاً من غير صنفهم وصورهم لنفروا عنهم ، ولم يقبلوا منهم ، فلمّا جاؤوهم وكانوا من جنسهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ، قالوا لهم : أنتم بشر مثلنا لا نقبل منكم حتّى تأتونا بشيء نعجز من أن نأتي بمثله ، فنعلم أنّكم مخصوصون دوننا بما لا نقدر عليه ، فجعل الله عزّ وجلّ لهم المعجزات الّتي يعجز الخلق عنها :

فمنهم : من جاء بالطوفان بعد الإعذار والإنذار ؛ فغرق جميع من طغى وتمرّد .

ومنهم : من اُلقي في النّار فكانت عليه برداً وسلاماً .

ومنهم : من أخرج من الحجر الصّلب الناقة ، وأجرى من ضرعها لبناً .

ومنهم : من فلق له البحر وفجّر له من العيون ، وجعل له العصا اليابسة ثعباناً تلقف ما يأفكون .

ومنهم : من أبرأ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله ، وأنبأهم بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم .

ومنهم : من انشقّ له القمر وكلّمته البهائم ، مثل البعير والذئب وغير ذلك .

فلمّا أتوا بمثل ذلك وعجز الخلق من اُممهم عن أن يأتوا بمثله ، كان من تقدير الله جلّ جلاله ولطفه بعباده وحكمته أن جعل أنبياءه مع هذه المعجزات في حال غالبين واُخرى مغلوبين ، وفي حال

➲ إليه من الوزراء والرؤساء من الشيعة مثل آل الفرات وغيرهم ، ولوضعه وجلالة محلّه عندهم ، ونشر فضله ودينه وما كان يحتمله من هذا الأمر ، فتمهّدت له الحال في حياة أبي إلى أن انتهت الوصيّة إليه بالنصّ عليه ، فلم يختلف في أمره ولم يشكّ فيه أحد إلّا جاهل بأمر أبي ... وكان أبو سهل النوبختي يقول في حقّه : إنّه لو كان الحجّة تحت ذيله وقرّض بالمقاريض ماكشف الذيل ... مات رحمه الله في شعبان سنة ٣٢٦ وقبره في بغداد ..» .

قاهرين واُخرى مقهورين ، ولو جعلهم الله في جميع أحوالهم غالبين وقاهرين ، ولم يبتلهم ولم يمتحنهم لاتّخذهم النّاس آلهة من دون الله ﷻ ، ولما عرف فضل صبرهم على البلاء والمحن والإختيار ، ولكنّه جعل أحوالهم في ذلك كأحوال غيرهم ، ليكونوا في حال المحنة والبلوى صابرين ، وفي حال العافية والظهور على الأعداء شاكرين ، ويكونوا في جميع أحوالهم متواضعين غير شامخين ولا متجبّرين ، وليعلم العباد أنّ لهم عليهم السلام إلهاً هو خالقهم ومدبّرهم فيعبدوه ويطيعوا رسله ، وتكون حجّة الله ثابتة على من تجاوز الحدّ فيهم ، وادّعى لهم الربوبيّة ، أو عاند وخالف ، وعصى وجحد ،بما أتت به الأنبياء والرسل ، وليهلك من هلك عن بيّنة ، ويحيى من حيّ عن بيّنة».

قال محمّد بن إبراهيم بن إسحاق رضي الله عنه : فعدت إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه في الغد وأنا أقول في نفسي : أتراه ذكر لنا ما ذكر يوم أمس من عند نفسه ؟

فابتدأني وقال : يا محمّد بن إبراهيم ! لئن أخرّ من السماء فتختطفني الطير أو تهوي بي الريح في مكان سحيق أحبّ إليّ من أن أقول في دين الله برأيي ، ومن عند نفسي ، بل ذلك عن الأصل ، ومسموع من الحجّة صلوات الله عليه وسلامه .

وممّا خرج عن صاحب الزمان صلوات الله عليه ، ردّاً على الغلاة من التوقيع جواباً لكتاب كُتِب إليه على يدي محمّد بن علي بن هلال الكرخي :

«يا محمّد بن علي ، تعالى الله وجلّ عمّا يصفون ، سبحانه وبحمده ، ليس نحن شركاؤه في علمه ، ولا في قدرته ، بل لا يعلم الغيب غيره ،كما قال في محكم كتابه تبارك أسماؤه : ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللهُ ﴾[1] ، وأنا وجميع آبائي من الأوّلين : آدم ونوح وإبراهيم وموسى ، وغيرهم من النبيّين ، ومن الآخرين محمّد رسول الله ، وعليّ بن أبي طالب ، وغيرهم ممّن مضى من الأئمّة صلوات الله عليهم أجمعين ، إلى مبلغ أيّامي ومنتهى عصري ، عبيد الله ﷻ ، يقول الله ﷻ : ﴿ مَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[2] .

يا محمّد بن علي قد آذانا جهلاء الشيعة وحمقاؤهم ، ومن دينه جناح البعوضة أرجح منه .

فأُشهد الله الّذي لا إله إلّا هو وكفى به شهيداً ، ورسوله محمّد صلّى الله عليه وآله وملائكته

---

(١) النمل ٦٥.

(٢) طه ١٢٤_١٢٦.

وأنبياءه وأولياءه ﷺ ، وأُشهدك ، وأُشهد كلّ من سمع كتابي هذا ، أنّي بريء إلى الله وإلى رسوله ممّن يقول إنّا نعلم الغيب ، ونشاركه في ملكه ، أو يحلّنا محلًّا سوى المحلّ الّذي رضيه الله لنا وخلقنا له ، أو يتعدّى بنا عمّا قد فسّرته لك وبيّنته في صدر كتابي .

وأُشهدكم أنّ كلّ من نبرأ منه فإنّ الله يبرأ منه وملائكته ورسله وأولياءه .

وجعلت هذا التوقيع الّذي في هذا الكتاب أمانة في عنقك وعنق من سمعه أن لا يكتمه لأحد من مواليّ وشيعتي حتّى يظهر على هذا التوقيع الكلّ من الموالي لعلّ الله ﷻ يتلافاهم فيرجعون إلى دين الله الحق ، وينتهون عمّا لا يعلمون منتهى أمره ، ولا يبلغ منتهاه ، فكلّ من فهم كتابي ولا يرجع إلى ما قد أمرته ونهيته ، فقد حلّت عليه اللعنة من الله وممّن ذكرت من عباده الصّالحين» .

روى أصحابنا : أنّ أبا محمّد الحسن السريعي كان من أصحاب أبي الحسن عليّ بن محمّد ﷺ ، وهو أوّل من ادّعى مقاماً لم يجعله الله فيه من قبل صاحب الزمان ﷺ ، وكذب على الله وحججه ﷺ ، ونسب إليهم ما لا يليق بهم وما هم منه براء ، ثمّ ظهر منه القول بالكفر والإلحاد ، وكذلك كان محمّد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمّد الحسن ﷺ ، فلمّا توفّي ادّعى البابيّة[1] لصاحب الزمان ، ففضحه الله تعالى بما ظهر منه من الإلحاد والغلو والتناسخ ، وكان يدّعي أنّه رسول نبيّ أرسله عليّ بن محمّد ﷺ ، ويقول بالإباحة للمحارم .

وكان أيضاً من جملة الغلاة أحمد بن هلال الكرخي ، وقد كان من قبل في عدد أصحاب أبي محمّد ﷺ ، ثمّ تغيّر عمّا كان عليه ، وأنكر بابيّة أبي جعفر محمّد بن عثمان ، فخرج التوقيع بلعنه من قبل صاحب الأمر والزمان بالبراءة ، في جملة من لعن وتبرّء منه .

وكذا كان أبو طاهر محمّد بن علي بن بلال ، والحسين بن منصور الحلّاج ، ومحمّد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاقر ، لعنهم الله ، فخرج التوقيع بلعنهم والبراءة منهم جميعاً ، على يد الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح ﷺ ونسخته :

«عرّف أطال الله بقاك ! وعرّفك الله الخير كلّه وختم به عملك ، من تثق بدينه وتسكن إلى نيّته من إخواننا أدام الله سعادتهم بأنّ محمّد بن علي المعروف بالشلمغاني عجّل الله له النقمة ولا أمهله ، قد ارتدّ عن الإسلام وفارقه ، وألحد في دين الله وادّعى ما كفر معه بالخالق جلّ وتعلى ، وافترى كذباً وزوراً ، وقال بهتاناً وإثماً عظيماً ، كذب العادلون بالله وضلّوا ضلالاً بعيداً ، وخسروا خسراناً

---

(١) وفي نسخ أُخرى : «النيابة» .

مبيناً . وإنّا برئنا إلى الله تعالى وإلى رسوله صلوات الله عليه وسلامه ورحمته وبركاته ، منه ولعنّاه عليه لعاين الله تترى ، في الظاهر منّا والباطن ، في السرّ والجهر ، وفي كلّ وقت وعلى كلّ حال ، وعلى كلّ من شايعه وبلغه هذا القول منّا فأقام على تولّاه بعده .

أعلمهم تولّاك الله ! أنّنا في التوقّي والمحاذرة منه على مثل ماكنّا عليه ممّن تقدّمه من نظرائه ، من : السريعي ، والنميري ، والهلالي ، والبلالي ، وغيرهم ، وعادة الله جلّ ثناؤه مع ذلك قبله وبعده عندنا جميلة ، وبه نثق وإيّاه نستعين وهو حسبنا في كلّ أُمورنا ونعم الوكيل[1] .

---

(١) قال الشيخ الطوسي رحمه الله في كتاب الغيبة ص ٢٤٤ : «ذكر المذمومين الّذين ادّعوا البابيّة لعنهم الله :

أوّلهم المعروف بالسريعي : أخبرنا جماعة عن أبي محمّد التلعكبري ، عن أبي علي محمّد بن همام قال : كان السريعي يكنّى بـ«أبي محمّد» (قال) هارون : وأظنّ اسمه كان «الحسن» ، وكان من أصحاب أبي الحسن عليّ بن محمّد ثمّ الحسن بن علي بعده عليهما السلام . وهو أوّل من ادّعى مقاماً لم يجعله الله فيه ، ولم يكن أهلاً له ، وكذب على الله وعلى حججه عليهم السلام ، ونسب إليهم ما لا يليق بهم ، وما هم منه براء ، فلعنته الشيعة وتبرّأت منه ، وخرج توقيع الإمام عليه السلام بلعنه والبراءة منه . (قال) هارون : ثمّ ظهر منه القول بالكفر والإلحاد . (قال) : وكان هؤلاء المدّعين إنّما يكون كذبهم أوّلاً على الإمام وأنّهم وكلاؤه ، فيدعون الضعفة بهذا القول إلى موالاتهم ، ثمّ يترقّى الأمر بهم إلى قول الحلاجيّة كما اشتهر من أبي جعفر الشلغماني ونظرائه عليهم جميعاً لعائن الله تترى .

(ومنهم :) محمّد بن نصير النميري : (قال ابن نوح) : أخبرنا أبو نصر هبةالله أبو محمّد (قال) : كان محمّد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمّد الحسن بن علي عليهما السلام ، فلمّا توفّي أبو محمّد ادّعى مقام أبي جعفر محمّد بن عثمان أنّه صاحب إمام الزمان ، وادّعى له البابيّة ، وفضحه الله تعالى بما ظهر منه من الإلحاد والجهل ، ولعن أبي جعفر محمّد بن عثمان له وتبريه منه ، واحتجاجه عنه ، وادّعى ذلك الأمر بعد السريعي . (قال أبوطالب الأنباري) : لمّا ظهر محمّد بن نصير بما ظهر ، لعنه أبو جعفر رضي الله عنه وتبرّأ منه ، فبلغه ذلك فقصد أباجعفر رضي الله عنه ليعطف بقلبه عليه أو يعتذر إليه ، فلم يأن له وحجبه وردّه خائباً . (وقال) سعد بن عبدالله : كان محمّد بن نصير النميري يدّعي أنّه رسول نبيّ وأنّ عليّ بن محمّد عليه السلام أرسله ، وكان يقول بالتناسخ ، ويغلو في أبي الحسن عليه السلام ويقول فيه بالربوبيّة ، ويقول بالإباحة للمحارم ، وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم ، ويزعم أنّ ذلك من التواضع والإخبات والتذلّل في المفعول به ، وأنّه من الفاعل إحدى الشهوات والطيّبات ، وأنّ الله عزّ وجلّ لا يحرّم شيئاً من ذلك ، وكان محمّد بن موسى بن الحسن بن الفرات يقوّي أسبابه ويعضده . (أخبرني) بذلك عن محمّد بن نصير أبو زكريّا يحيى بن عبدالرّحمن بن خاقان : أنّه رآه عياناً وغلام على ظهره . (قال) : فلقيته فعاتبته على ذلك فقال : إنّ هذا من اللذّات ، وهو من التواضع لله ، وترك التجبّر . (قال) سعد : فلمّا اعتلّ محمّد بن نصير العلّة الّتي توفّي فيها ، قيل له ـ وهو مثقل اللسان ـ : لمن هذا الأمر من بعدك ؟ فقال ـ بلسان ضعيف ملجلج ـ : أحمد فلم يدروا من هو ، فافترقوا بعده ثلاث فرق : قالت فرقة : إنّه أحمد ابنه ، وفرقة قالت : هو أحمد بن محمّد بن موسى بن الفرات ، وفرقة قالت : أنّه أحمد بن أبي الحسين بن بشر بن يزيد ؛ فتفرّقوا فلا يرجعون إلى شيء .

(ومنهم :) أحمد بن هلال الكرخي ، قال أبو علي بن همام : كان أحمد بن هلال من أصحاب أبي محمّد عليه السلام ،

فاجتمعت الشيعة على وكالة محمّد بن عثمان رضي الله عنه بنصّ الحسن عليه السلام في حياته، ولمّا مضى الحسن عليه السلام قالت الشيعة الجماعة له: ألا تقبل أمر أبي جعفر محمّد بن عثمان وترجع إليه وقد نصّ عليه الإمام المفترض الطاعة؟ فقال لهم: لم أسمعه ينصّ عليه بالوكالة وليس أنكر أباه ـ أي: عثمان بن سعيد ـ فأمّا إن أقطع أنّ أباجعفر وكيل صاحب الزمان فلا أجسر عليه. فقالوا: قد سمعه غيرك. فقال: أنتم وما سمعتم. ووقف على أبي جعفر فلعنوه وتبرّؤوا منه، ثمّ ظهر التوقيع على يد أبي القاسم بن روح بلعنه والبراءة منه في جملة من لعن.

(ومنهم:) أبو طاهر محمّد بن علي بن بلال، وقصّته معروفة فيما جرى بينه وبين أبي جعفر محمّد بن عثمان العمري ـ نضّر الله وجهه ـ وتمسّكه بالأموال الّتي كانت عنده للإمام، وامتناعه من تسليمها، وادّعائه أنّه الوكيل، حتّى تبرّأت الجماعة منه ولعنوه، وخرج فيه من صاحب الزمان ما هو معروف. (وحكى) أبو غالب الرازي قال: حدّثني أبوالحسن محمّد بن محمّد بن يحيى المعاذي قال: كان رجل من أصحابنا قد انضوى إلى أبي طاهر بن بلال بعد ما وقعت الفرقة، ثمّ إنّه رجع عن ذلك وصار في جملتنا، فسألناه عن السبب؟ قال: كنت عند أبي طاهر ابن بلال يوماً وعنده أخوه أبوالطيب وابن حرز وجماعة من أصحابه إذ دخل الغلام فقال: أبو جعفر على الباب، ففزعت الجماعة لذلك وأنكرته للحال الّتي كانت جرت، وقال: يدخل. فدخل أبوجعفر رضي الله عنه فقام له أبو طاهر والجماعة وجلس في صدر المجلس، وجلس أبو طاهر كالجالس بين يديه، إلى أن سكتوا، ثمّ قال: يا أباطاهر نشدتك بالله ألم يأمرك صاحب الزمان بحمل ما عندك من المال إليّ؟ فقال: اللّهمّ نعم. فنهض أبو جعفر رضي الله عنه منصرفاً، ووقعت على القوم سكتة، فلمّا تجلّت عنهم قال له أخوه أبوالطيب: من أين رأيت صاحب الزمان؟ فقال أبوطاهر: أدخلني أبوجعفر رضي الله عنه إلى بعض دوره فأشرف عليّ من علوّ داره فأمرني بحمل من عندي من المال إليه. فقال له أبوالطيب: ومن أين علمت أنّه صاحب الزمان؟ قال: قد وقع عَلَيّ ما الهيبة له، ودخلني من الرعب منه، ما علمت أنّه صاحب الزمان، فكان هذا سبب انقطاعي عنه.

(ومنهم:) الحسين بن منصور الحلّاج، أخبرنا الحسين بن إبراهيم عن أبي العبّاس أحمد بن عليّ بن نوح عن أبي نصر هبةالله بن محمّد الكاتب ابن بنت أُم كلثوم بنت أبي جعفر العمري قال: لمّا أراد الله تعالى أن يكشف أمر الحلّاج، ويظهر فضيحته ويخزيه، وقع له أنّ أباسهل بن إسماعيل بن علي النوبختي رضي الله عنه ممّن تجوّز عليه مخرقته، ووجّه إليه يستدعيه وظنّ أنّ أباسهل كغيره من الضعفاء في هذا الأمر بفرط جهله وقدر أن يستجرّه إليه فيتمخرق به، ويتسوّف بانقياده على غيره، فيستتب إليه ما قصد إليه من الحيلة والبهرجة على الضعفة لقدر أبي سهل في أنفس النّاس ومحلّه من العلم والأدب أيضاً عندهم. ويقول له في مراسلته إيّاه: إنّي وكيل صاحب الزمان عليه السلام، وبهذا أوّلاً كان يستجرّ الجهّال ثمّ يعلو منه إلى غيره ـ وقد أُمرت بمراسلتك وإظهار ما تريده من النصرة لك لتقوّي نفسك، ولا ترتاب بهذا الأمر. فأرسل إليه أبو سهل رضي الله عنه يقول له: إنّي أسألك أمراً يسيراً يخفّ مثله عليك، في جنب ما ظهر على يديك، من الدلائل والبراهين، وهو أنّي رجل أحبّ الجواري وأصبو إليهنّ، ولي منهنّ عدّة أتحظّاهنّ والشيب يبعدني عنهنّ، وأحتاج أن أُخضّبه في كلّ جمعة وأتحمّل منه مشقّة شديدة لأستر عنهنّ ذلك، وإلّا انكشف أمري عندهنّ، فصار القرب بعداً، والوصال هجراً، وأُريد أن تغنيني عن الخضاب وتكفيني مؤنته، وتجعل لحيتي سوداء، فإنّي طوع يديك، وصائر إليك، وقائل بقولك، وداع إلى

مذهبك، مع مالي في ذلك من البصيرة ولك من المعونة. فلمّا سمع ذلك الحلّاج من قوله وجوابه، علم أنّه قد أخطأ في مراسلته، وجهل في الخروج إليه بمذهبه، وأمسك عنه ولم يردّ إليه جواباً، ولم يرسل إليه رسولاً، وصيّره أبوسهل رضي الله عنه أحدوثة وضحكة ويطنّز به (أي: يسخر) عند كلّ أحد، واشتهر أمره عند الكبير والصغير، وكان هذا الأمر سبباً لكشف أمره، وتنفير الجماعة عنه.

(ومنهم:) ابن أبي العزاقر، أخبرني الحسين بن إبراهيم عن أحمد بن نوح عن أبي نصر هبةالله بن محمّد بن أحمد الكاتب ابن بنت أمّ كلثوم بنت أبي جعفر العمري رضي الله عنه (قال): كان أبو جعفر بن أبي العزاقر وجيهاً عند بني بسطام وذلك أنّ الشيخ أباالقاسم رضي الله عنه وأرضاه كان قد جعل له عند النّاس منزلة وجاهاً، فكان عند ارتداده يحكي كلّ كذب وبلاء، وكفر لبني بسطام ويسنده عن الشيخ أبي القاسم، فيقبلونه منه ويأخذونه عنه، حتّى انكشف ذلك لأبي القاسم رضي الله عنه فأنكره وأعظمه، ونهى بني بسطام عن كلامه وأمرهم بلعنه والبراءة منه فلم ينتهوا، وأقاموا على تولّيه وذلك أنّه كان يقول لهم: إنّني أذعت السرّ وقد أخذ عَلَيّ الكتمان فعوقبت بالإبعاد بعد الإختصاص، لأنّ الأمر عظيم لا يحتمله إلّا ملك مقرّب أو نبيٌّ مرسل أو مؤمن ممتحَن، فيؤكّد في نفوسهم عظم الأمر وجلالته، فبلغ ذلك أباالقاسم رضي الله عنه فكتب إلى بني بسطام بلعنه والبراءة منه وممّن تابعه على قوله وأقام على تولّيه، فلمّا وصل إليهم أظهره عليه فبكى بكاءً عظيماً، ثمّ قال: إنّ لهذا القول باطناً عظيماً وهو أنّ اللعنة (الإبعاد) فمعنى قوله لعنه الله أي باعده الله عن العذاب والنّار، والآن قد عرفت منزلتي، ومرّغ خدّيه على التراب وقال: عليكم بالكتمان لهذاالأمر. قالت الكبيرة رضي الله عنها: وقد كنت أخبرت الشيخ أباالقاسم أنّ أمّ أبي جعفر بن بسطام قالت لي يوماً وقد دخلنا إليها فاستقبلتني وأعظمتني وزادت في إعظامي حتّى انكبّت على رجلي تقبّلها فأنكرت ذلك، وقلت لها: مهلاً يا ستّي!! فقالت لي: إنّ الشيخ أباجعفر محمّد بن علي قد كشف لنا السرّ. قالت: فقلت لها: وما السر؟ قالت: قد أخذ علينا كتمانه، وأفزع إن أنا أذعته عوقبت. قالت: وأعطيتها موثقاً أنّي لا أكشفه لأحد، واعتقدت في نفسي الإستثناء بالشيخ رضي الله عنه يعني أباالقاسم الحسين بن روح. قالت: إنّ الشيخ أباجعفر قال لنا: إنّ روح رسول الله صلى الله عليه وآله انتبلت إلى أبيك يعني أباجعفر محمّد بن عثمان رضي الله عنه وروح أميرالمؤمنين عليه السلام انتقلت إلى بدن الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح، وروح مولاتنا فاطمة عليها السلام انتقلت إليك فكيف لا أعظّمك يا ستّنا؟! فقلت لها: مهلاً، لا تفعلي فإنّ هذا كذب يا ستّنا! فقالت لي: سرّ عظيم وقد أخذ علينا أنّنا لا نكشف هذا لأحد، فالله الله فيّ لا يحلّ لي العذاب، ويا ستّي لولا أنّك حملتني على كشفه ماكشفته لك ولا لأحد غيرك. قالت الكبيرة أمّ كلثوم رضي الله عنها: فلمّا انصرت من عندها دخلت على الشيخ أبي القاسم بن روح رضي الله عنه فأخبرته بالقصّة وكان يثق بي ويركن إلى قولي. فقال لي: يا بنيّة إيّاك أن تمضي إلى هذه المرأة بعد ما جرى منها، ولا تقبلي لها رقعة إن كاتبتك، ولا رسولاً إن أنفذته إليك، ولا تلقيها بعد قولها، فهذا كفر بالله تعالى، وإلحاد قد أحكمه هذا الرجل الملعون في قلوب هؤلاء القوم ليجعله طريقاً إلى أن يقول لهم بأنّ الله تعالى اتّحد به وحلّ فيه كما يقول النّصارى في المسيح عليه السلام، ويعدو إلى قول الحلّاج لعنه الله. قالت: فهجرت بني بسطام، وتركت المضي إليهم، ولم أقبل لهم عذراً، ولا لقيت أمّهم بعدها، وشاع في بني نوبخت الحديث فلم يبق أحد إلّا وتقدّم إليه الشيخ أبوالقاسم وكاتبه بلعن أبي جعفر الشلمغاني والبراءة منه وممّن يتولّاه ورضي بقوله أو كلّمه فضلاً عن موالاته، ثمّ ظهر التوقيع من صاحب

وأمّا الأبواب المرضيّون ، والسفراء الممدوحون في زمان الغيبة :

فأوّلهم : الشيخ الموثوق به أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري ، نصبه أوّلاً أبوالحسن عليّ بن محمّد العسكري ، ثمّ ابنه أبو محمّد الحسن ، فتولّى القيام بأُمورهما حال حياتهما عليهما السلام ، ثمّ بعد ذلك قام بأمر صاحب الزمان عليه السلام ، وكان توقيعاته وجواب المسائل تخرج على يديه .

فلمّا مضى لسبيله قام ابنه أبو جعفر محمّد بن عثمان مقامه ، وناب منابه في جميع ذلك .

فلمّا مضى هو ، قام بذلك أبوالقاسم حسين بن روح من بني نوبخت .

فلمّا مضى هو قام مقامه أبوالحسن علي بن محمّد السمري[1] ولم يقم أحد منهم بذلك إلّا بنصّ عليه من قبل صاحب الأمر عليه السلام ، ونصب صاحبه الّذي تقدّم عليه ، ولم تقبل الشيعة قولهم إلّا بعد ظهور آية معجزة تظهر على يدكلّ واحد منهم من قبل صاحب الأمر عليه السلام ، تدلّ على صدق مقالتهم ، وصحّة بابيّتهم .

فلمّا حان سفر أبي الحسن السمري من الدّنيا وقرب أجله قيل له : إلى من توصي ؟

فأخرج إليهم توقيعاً نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

«يا علي بن محمّد السمري ! أعظم الله أجر إخوانك فيك ، فإنّك ميّت ما بينك وبين ستّة أيّام ،

الزمان عليه السلام بلعن أبي جعفر محمّد بن علي والبراءة منه وممّن تابعه وشايعه ورضي بقوله وأقام على تولّيه بعد المعرفة بهذا التوقيع .

وله حكايات قبيحة ننزّه كتابنا عن ذكرها ، ذكرها ابن نوح وغيره .

(١) قال في الجزء الثاني من سفينة البحار ص٢٤٩ : «الشيخ الأجل علي بن محمّد السمري رضي الله عنه ، أبوالحسن ، قام بأمر النيابة بعد الحسين بن روح رضي الله عنه ، ومضى في النصب من شعبان سنة ٣٢٩ تسع وعشرين وثلاثمائة ، وأخرج إلى النّاس توقيعاً قبل وفاته بأيّام :

بسم الله الرّحمن الرّحيم

«يا علي بن محمّد السمري ، أعظم الله أجر إخوانك فيك ، فإنّك ميّت ما بينك وبين ستّة أيّام ؛ فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد» الخ .

فلمّا كان اليوم السادس دخلوا عليه وهو يجود بنفسه ، فقيل له : من وصيّك من بعدك ؟

فقال : لله أمرٌ هو بالغه ، وقضى رحمه الله ...

روي أنّه قال يوماً لجمع من المشايخ عنده : آجركم الله في علي بن الحسين ـ أي : ابن بابويه ـ فقد قبض في هذه الساعة .

قالوا : فأثبتنا تاريخ الساعة واليوم والشهر ، فلمّا كان بعد سبعة عشر يوماً أو ثمانية عشر ، ورد الخبر أنّه قبض في تلك الساعة الّتي ذكرها الشيخ أبوالحسن رضي الله عنه ... وقبره ببغداد بالقرب من قبر الكليني رحمه الله» .

فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك ، فقد وقعت الغيبة التامّة ، فلا ظهور إلّا بعد إذن الله تعالى ذكره ، وذلك بعد طول الأمد ، وقسوة القلوب ، وامتلاء الأرض جوراً .

وسيأتي من شيعتي من يدّعي المشاهدة ؛ ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب مفتر ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم» .

فنسخوا هذا التوقيع وخرجوا ، فلمّا كان اليوم السادس ، عادوا إليه وهو يجود بنفسه ، فقال له بعض الناس : من وصيّك من بعدك ؟

فقال : لله أمر هو بالغه ، وقضى ؛ فهذا آخر كلام سمع منه رضي الله عنه .

ذكر طرفٌ ممّا خرج أيضاً عن صاحب الزمان عليه السلام من المسائل الفقهية وغيرها في التوقيعات على أيدي الأبواب الأربعة وغيرهم

عن محمّد بن يعقوب الكليني ، رفعه إلى الزهري قال : طلبت هذا الأمر طلباً شافياً ، حتّى ذهب لي فيه مال صالح، فوقعت إلى العمري وخدمته ولزمته، فسألته بعد ذلك عن صاحب الزمان عليه السلام ؟

قال : ليس إلى ذلك وصول .

فخضعت له .

فقال لي : بكّر بالغداة .

فوافيت ، فاستقبلني ومعه شاب من أحسن النّاس وجهاً ، وأطيبهم ريحاً ، وفي كمّه شيء كهيئة التجّار ، فلمّا نظرت إليه دنوت من العمري فأومى إليه فعدلت إليه وسألته فأجابني عن كلّ ما أردت . ثمّ مرّ ليدخل الدار ، وكانت من الدور الّتي لا يكترث بها .

فقال العمري : إن أردت أن تسأل فاسأل فإنّك لا تراه بعد ذا .

فذهبت لأسأل فلم يستمع ودخل الدار وماكلّمني بأكثر من أن قال عليه السلام : «ملعون معلون من أخّر العشاء إلى أن تشتبك النجوم ، ملعون ملعون من أخّر الغداة إلى أن تنقضي النجوم» ودخل الدّار .

وعن أبي الحسن محمّد بن جعفر الأسدي قال : كان فيما ورد عَلَيّ من الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان العمري قدّس الله روحه في جواب مسائل إلى صاحب الزمان عليه السلام :

«أمّا ما سألت عنه من الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، فلئن كان كما يقول النّاس : «إنّ

الشمس تطلع بين قرني شيطان وتغرب بين قرني شيطان» فما أرغم أنف الشيطان شيء أفضل من الصلاة ؛ فصلّها وأرغم الشيطان أنفه .

وأمّا ما سألت عنه من أمر الوقف على ناحيتنا ، وما يجعل لنا ثمّ يحتاج إليه صاحبه ، فكلّ ما لم يسلّم فصاحبه فيه بالخيار ، وكلّ ما سلّم فلا خيار لصاحبه فيه ؛ أحتاج أو لم يحتج ، افتقر إليه أو استغنى عنه .

وأمّا ما سألت عنه من أمر من يستحلّ ما في يده من أموالنا ويتصرّف فيه تصرّفه في ماله من غير أمرنا ؛ فمن فعل ذلك فهو ملعون ، ونحن خصماؤه يوم القيامة ، وقد قال النّبيّ ﷺ : «المستحلّ من عترتي ما حرّم الله ملعون على لساني ولسان كلّ نبيّ مجاب» ؛ فمن ظلمنا كان في جملة الظالمين لنا ، وكانت لعنة الله عليه لقوله ﷻ : ﴿ ألا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِيْن ﴾[1] .

وأمّا ما سألت عنه عن أمر المولود الّذي نبتت غلفته بعد ما يختتن مرّة أُخرى فإنّه يجب أن يقطع غلفته فإنّ الأرض تضجّ إلى الله تعالى من بول الأغلف أربعين صباحاً .

وأمّا ما سألت عنه من أمر المصلّي والنّار والصّورة والسّراج بين يديه ، هل تجوز صلاته ؟ فإنّ النّاس قد اختلفوا في ذلك قبلك ، فإنّه جائز لمن لم يكن من أولاد عبدة الأصنام والنّيران أن يصلّي والنّار والسراج بين يديه ، ولا يجوز ذلك لمن كان من أولاد عبدة الأوثان والنّيران .

وأمّا ما سألت عنه عن أمر الضياع الّتي لناحيتنا ، هل يجوز القيام بعمارتها وأداء الخراج منها ، وصرف ما يفضل من دخلها إلى الناحية ، احتساباً للأجر ، وتقرّباً إليكم ؟ فلا يحلّ لأحد أن يتصرّف في مال غيره بغير إذنه ، فكيف يحلّ ذلك في مالنا ، من فعل ذلك بغير أمرنا فقد استحلّ منّا ما حرّم عليه ، ومن أكل من أموالنا شيئاً فإنّما يأكل في بطنه ناراً وسيصلى سعيراً .

وأمّا ما سألت عنه من أمر الرّجل الّذي يجعل لناحيتنا ضيعة ، ويسلّمها من قيّم يقوم بها ويعمرها ، ويؤدّي من دخلها خراجها ومؤنتها ، ويجعل ما بقي من الدخل لناحيتنا فإنّ ذلك جائز لمن جعله صاحب الضيعة قيّماً عليها ، لا يجوز ذلك لغيره .

وأمّا ما سألت عنه من الثمار من أموالنا يمرّ به المارّ فيتناول منه ويأكل ، هل يحلّ له ذلك ؟ فإنّه يحلّ له أكله ويحرم عليه حمله» .

وعن أبي الحسين الأسدي أيضاً قال : ورد عَلَيّ توقيع من الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان

---

(١) هود ١٨.

العمري ـ قدّس الله روحه ـ ابتداء لم يتقدّمه سؤال عنه ، نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

«لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين ، على من استحلّ من أموالنا درهماً» .

قال أبوالحسين الأسدي رحمه الله : فوقع في قلبي أنّ ذلك فيمن استحلّ من مال الناحية درهماً دون من أكل منه غير مستحل ، وقلت في نفسي : إنّ ذلك في جميع من استحلّ محرّماً ، فأيّ فضل في ذلك للحجّة عليه السلام على غيره ؟!

قال : فوالّذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحقّ بشيراً ، لقد نظرت بعد ذلك في التوقيع فوجدته قد انقلب إلى ماكان في نفسي :

«بسم الله الرّحمن الرّحيم ؛ لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين على من أكل من مالنا درهماً حراماً» .

وقال أبو جعفر بن بابويه في الخبر الّذي روي فيمن أفطر يوماً من شهر رمضان متعمّداً أنّ عليه ثلاث كفّارات ، فإنّي أفتي به فيمن أفطر بجماع محرّم عليه أو بطعام محرّم عليه لوجود ذلك في روايات أبي الحسن الأسدي رحمه الله فيما ورد عليه من الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان رحمه الله .

وعن عبدالله بن جعفر الحميري[1] **قال** : خرج التوقيع إلى الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان قدّس الله روحه في التعزية بأبيه رحمه الله في فصل من الكتاب :

«إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، تسليماً لأمره ، ورضاً بقضائه ، عاش أبوك سعيداً ومات حميداً ، فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه عليهم السلام ، فلم يزل مجتهداً في أمرهم ، ساعياً فيما يقرّبه إلى الله عزّ وجلّ ، نضّر الله وجهه ، وأقاله عثرته» .

وفي فصل آخر : «أجزل الله لك الثواب ، وأحسن لك العزاء ، رزيت ورزينا ، وأوحشك فراقه وأوحشنا ، فسرّه الله في منقلبه ، كماكان من كمال سعادته أن رزقه الله ولداً مثلك يخلفه من بعده ، ويقوم مقامه بأمره ، ويترحّم عليه ، وأقول : الحمد لله ، فإنّ النفس طيّبة بمكانك ، وما جعله الله عزّ وجلّ فيك وعندك ، أعانك الله وقوّاك ، وعضّدك ووفّقك ، وكان لك وليّاً وحافظاً ، وراعياً وكافياً» .

---

(١) قال العلّامة في القسم الأوّل من الخلاصة ص٧٠٦: «عبدالله بن جعفر بن الحسين بن مالك بن جامع الحميري - بالحاء المهملة - أبوالعبّاس القمّي ، شيخ القمّيين ووجههم ، قدم الكوفة سنة نيّف وتسعين ومائتين ، ثقة ، من أصحاب أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام».

وممّا خرج عن صاحب الزمان صلوات الله عليه من جوابات المسائل الفقهيّة أيضاً: ما سأله عنها محمّد بن عبدالله بن جعفر الحميري ، فيما كتب إليه ، وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

أطال الله بقاك ، وأدام الله عزّك ، وتأييدك ، وسعادتك ، وسلامتك ، وأتمّ نعمته عليك ، وزاد في إحسانه إليك ، وجميل مواهبه لديك ، وفضله عندك وجعلني من السوء فداك ، وقدّمني قبلك النّاس يتنافسون في الدرجات ، فمن قبلتموه كان مقبولاً ، ومن دفعتموه كان وضيعاً ، والخامل من وضعتموه ، ونعوذ بالله من ذلك وببلدنا أيّدك الله جماعة من الوجوه يتساوون ويتنافسون في المنزلة ، وورد أيّدك الله كتابك إلى جماعة منهم في أمر أمرتهم به من معاونة «ص»[1] .

وأخرج عليّ بن محمّد بن الحسين بن الملك المعروف بملك بادوكة وهو ختن «ص» رحمه الله من بينهم فاغتمّ بذلك ، وسألني أيّدك الله أن أُعلمك ما ناله من ذلك ، فإن كان من ذنب فاستغفر الله منه ، وإن يكن غير ذلك عرّفته ما تسكن نفسه إليه إن شاء الله .

التوقيع : «لم نكاتب إلّا من كاتبنا» .

وقد عوّدتني أدام الله عزّك من تفضّلك ما أنت أهل أن تخبرني على العادة ، وقبلك أعزّك الله فقهاؤنا قالوا : محتاج إلى أشياء تسأل لي عنها :

روي لنا عن العالم عليه السلام أنّه سُئِل عن إمام قوم صلّى بهم بعض صلاتهم وحدثت عليه حادثة كيف يعمل من خلفه ؟ فقال عليه السلام : «يؤخّر ويتقدّم بعضهم ، ويتمّ صلاتهم ، ويغتسل من مسّه» .

التوقيع : «ليس على من نحّاه إلّا غسل اليد ، وإذا لم يحدث حادثة يقطع الصلاة تمّم صلاته مع القوم» .

وروي عن العالم عليه السلام : «إنّ من مسّ ميّتاً بحرارته غسل يده ، ومن مسّه وقد برد فعليه الغسل» وهذا الإمام في هذه الحالة لا يكون إلّا بحرارة ؛ فالعمل في ذلك على ما هو ؟ ولعلّه ينحّيه بثيابه ولا يمسّه ، فكيف يجب عليه الغسل ؟

التوقيع : إذا مسّه على هذه الحال لم يكن عليه إلّا غسل يده» .

وعن صلاة جعفر : إذا سها في التسبيح في قيام أو قعود ، أو ركوع أو سجود ، وذكره في حالة

---

(١) قال العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ١٥٤/٥٣ : وعبّر عن المعان برمز (ص) للمصلحة ، وحاصل جوابه عليه السلام : أنّ هؤلاء كاتبوني وسألوني فأجبتهم ، وهو لم يكاتبني من بينهم ، فلذا أدخله فيهم وليس ذلك من تقصير وذنب .

أُخرى قد صار فيها من هذه الصلاة ، هل يعيد ما فاته من ذلك التسبيح في الحالة الّتي ذكرها أم يتجاوز في صلاته ؟

التوقيع :إذا سها في حالة من ذلك ثمّ ذكر في حالة أُخرى ، قضى ما فاته في الحالة الّتي ذكره» .

وعن المرأة : يموت زوجها ، يجوز أن تخرج في جنازته أم لا ؟

التوقيع : «تخرج في جنازته» .

وهل يجوز لها في عدّتها أن تزور قبر زوجها أم لا ؟

التوقيع : «تزور قبر زوجها ولا تبيت عن بيتها» .

وهل يجوز لها أن تخرج في قضاء حقّ يلزمها ، أم لا تبرح من بيتها وهي في عدّتها ؟

التوقيع : «إذا كان حقّ خرجت فيه وقضته ، وإن كانت لها حاجة ولم يكن لها من ينظر فيها خرجت بها حتّى تقضيها ، ولا تبيت إلّا في بيتها» .

وروي في ثواب «القرآن» في الفرائض وغيرها أنّ العالم ﷺ قال : «عجباً لمن لم يقرأ في صلاته ﴿ إِنّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ القَدْر ﴾ كيف تقبل صلاته» ؟! وروي : «ما زكت صلاة من لم يقرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أحد ﴾» . وروي : «إنّ من قرأ في فرائضه «الهمزة» أُعطي من الثواب قدر الدنيا» ؛ فهل يجوز أن يقرأ «الهمزة» ويدع هذه السور الّتي ذكرناها ، مع ما قد روي أنّه لا تقبل صلاة ولا تزكوها إلّا بهما ؟

التوقيع : «الثواب في السور على ما قد روي ، وإذا ترك سورة ممّا فيها الثواب وقرأ «قل هو الله أحد ، وإنّا أنزلناه» لفضلهما أُعطي ثواب ما قرأ ، وثواب السورة التي ترك ، ويجوز أن يقرأ غير هاتين السورتين وتكون صلاته تامّة ، ولكن يكون قد ترك الفضل» .

وعن وداع شهر رمضان : متى يكون ؟ فقد اختلف فيه أصحابنا ، فبعضهم يقول : يقرأ في آخر ليلة منه ، وبعضهم يقول : هو في آخر يوم منه إذا رأى هلال شوّال ؟

التوقيع : «العمل في شهر رمضان في لياليه ، والوداع يقع في آخر ليلة منه ، فإذا خاف أن ينقص الشهر جعله في ليلتين» .

وعن قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ أرسول الله ﷺ المعني به ، ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ ما هذه القوّة ؟! ﴿ مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[1] ما هذه الطاعة ؟ وأين هي ؟

---

(١) التكوير ٢٠ـ٢٣.

ما خرج لهذه المسألة جواب .

فرأيك أدام الله عزّك بالتفضّل عَلَيّ بمسألة من تثق به من الفقهاء عن هذه المسائل فأجبني عنها منعماً مع ما تشرحه لي من أمر عليّ بن محمّد بن الحسين بن الملك المقدّم ذكره بما يسكن إليه ، ويعتدّ بنعمة الله عنده ، وتفضّل عَلَيّ بدعاء جامع لي ولإخواني في الدّنيا والآخرة فعلت مثاباً إن شاء الله .

التوقيع : جمع الله لك ولإخوانك خير الدّنيا والآخرة .

كتاب آخر **لمحمّد بن عبدالله الحميري**[١] **أيضاً إليه** عليه السلام **في مثل ذلك :**

فرأيك أدام الله عزّك في تأمّل رقعتي والتفضّل بما أسأل من ذلك لأُضيفه إلى ساير أياديك عندي ومنّتك عَلَيّ ، واحتجت أدام الله عزّك أن يسألني بعض الفقهاء عن المصلّي إذا قام من التشهّد الأوّل إلى الركعة الثالثة هل يجب عليه أن يكبّر ؟ فإنّ بعض أصحابنا قال : لا يجب عليه التكبير ، ويجزيه أن يقول بحول الله وقوّته أقوم وأقعد ؟

الجواب : «إنّ فيه حديثين : أمّا أحدهما : فإنّه إذا انتقل من حالة إلى حالة أُخرى فعليه التكبير . وأمّا الآخر : فإنّه روي أنّه إذا رفع رأسه من السجدة الثانية فكبّر ثمّ جلس ثمّ قام فليس عليه في القيام بعد القعود تكبير ، وكذلك التشهد الأوّل يجري هذا المجرى ، وبأيّهما أخذت من جهة التسليم كان صواباً» .

وعن الفص الخماهن[٢] : هل يجوز فيه الصلاة إذا كان في إصبعه ؟

الجواب : «فيه كراهية أن يصلّي فيه ، وفيه أيضاً إطلاق ، والعمل على الكراهة» .

وعن رجل اشترى هدياً لرجل غايب عنه ، وسأله أن ينحر عنه هدياً بمنى ، فلمّا أراد نحر الهدي نسي اسم الرجل ونحر الهدي ، ثمّ ذكره بعد ذلك ، أيجزي عن الرّجل أم لا ؟

الجواب : «لا بأس بذلك ، وقد أجزأ عن صاحبه» .

وعندنا حاكة مجوس ، يأكلون الميتة ، ولا يغتسلون من الجنابة ، وينجّسون لنا ثياباً ، فهل

---

(١) محمّد بن عبدالله بن جعفر بن الحسين بن جامع بن مالك الحميري ، قال العلّامة في القسم الأوّل من الخلاصة ص٥٧ : ... أبو جعفر القمي كان ثقة وجهاً ، كاتب صاحب الأمر عليه السلام وسأله مسائل في أبواب الشريعة .

قال النجاشي : قال لنا أحمد بن الحسين : وقعت هذه المسائل إليّ في أصلها والتوقيعات بين السطور ، وكان له إخوة «جعفر ، والحسين ، وأحمد كلّهم كان لهم مكاتبة .

(٢) قال العلّامة المجلسي رحمه الله : الخُماهَن ـ بالضمّ ـ كلمة فارسية ، قالوا : حجر أسود يميل إلى الحمرة ، فالظاهر أنّه حديد صيني ، وقيل : فيه سواد وبياض .

يجوز الصلاة فيها من قبل أن تغسل ؟

الجواب : «لا بأس بالصلاة فيها» .

وعن المصلّي : يكون في صلاة الليل في ظلمة ، فإذا سجد يغلط بالسجادة ويضع جبهته على «مسح أو نطع [(١)]» فإذا رفع رأسه وجد السجادة ، هل يعتد بهذه السجدة أم لا يعتد بها ؟

الجواب : «ما لم يستو جالساً فلا شيء عليه في رفع رأسه لطلب الخمرة [(٢)]» .

وعن المحرم : يرفع الظلال هل يرفع خشب العمارية أو الكنيسية ويرفع الجناحين أم لا ؟

الجواب : «لا شيء عليه في ترك رفع الخشب» .

وعن المحرم : يستظل من المطر بنطع أو غيره ، حذراً على ثيابه وما في محمله أن يبتلّ ، فهل يجوز ذلك ؟

الجواب : إذا فعل ذلك في المحمل في طريقه ، فعليه دم» .

والرجل : يحجّ عن أحد ، هل يحتاج أن يذكر الّذي يحجّ عنه عند عقد إحرامه أم لا ؟ وهل يجب أن يذبح عمّن حجّ عنه وعن نفسه أم يجزيه هدي واحد ؟

الجواب : قد يجزيه هدي واحد ، وإن لم يفصّل فلا بأس» .

وهل يجوز للرجل أن يحرم في كساء خز أم لا ؟

الجواب : «لا بأس بذلك ، وقد فعله قوم صالحون» .

وهل يجوز للرجل أن يصلّي وفي رجليه بطيط [(٣)] لا يغطي الكعبين أم لا يجوز ؟

الجواب : جائز .

ويصلّي الرّجل وفي كمّه أو سراويله سكّين أو مفتاح حديد ، هل يجوز ذلك ؟

الجواب : «جايز» .

وعن الرجل : يكون معه بعض هؤلاء ويكون متصلاً بهم ، يحجّ ويأخذ على الجادة ولا يحرم هؤلاء من المسلخ ، فهل يجوز لهذا الرجل أن يؤخّر إحرامه إلى ذات عرق فيحرم معهم لما يخاف

---

(١) المسح ـ بالكسر ـ: البلاس . [القاموس ٢٤٩/١] . والنطع ـ بالكسر وبالفتح وبالتحريك وكَعِنَبْ ـ: بساط من الأديم.

(٢) قال الطريحي رحمه الله : قد تكرّر في الحديث ذكر الخمرة والسجود عليها ، وهي ـ بالضمّ ـ: سجادة صغيرة تعمد من سعف النخل وتزمّل بالخيوط .

(٣) البطيط : رأس الخفّ بلا ساق .

الشهرة أم لا يجوز إلّا أن يحرم من المسلخ ؟

الجواب: «يحرم من ميقاته ثمّ يلبس الثياب ، ويلبّي في نفسه ، فإذا بلغ إلى ميقاتهم أظهر» .

وعن لبس النعل المعطون[1] ، فإنّ بعض أصحابنا يذكر أنّ لبسه كريه ؟

الجواب: «جايز ولا بأس به» .

وعن الرجل : من وكلاء الوقف ، مستحلًّا لما في يده ، ولا يرع عن أخذ ماله ، ربّما نزلت في قريته وهو فيها ، أو أدخل منزله ـ وقد حضر طعامه ـ فيدعوني إليه ، فإن لم آكل من طعامه ، عاداني وقال : فلان لا يستحلّ أن يأكل من طعامنا ، فهل يجوز لي أن آكل من طعامه وأتصدّق بصدقة ؟ وكم مقدار الصدقة ؟ وإن أهدى هذا الوكيل هديّة إلى رجل آخر فأحضر فيدعوني إلى أن أنال منها ، وأنا أعلم أنّ الوكيل لا يرع عن أخذ ما في يده ، فهل عَلَيّ فيه شيء إن أنا نلت منها ؟

الجواب: «إن كان لهذا الرجل مال أو معاش غير ما في يده فكل طعامه ، واقبل برّه ، وإلّا فلا» .

وعن الرّجل ممّن يقول بالحق ويرى المتعة ، ويقول بالرجعة ، إلّا أنّ له أهلاً موافقة له في جميع اُموره ، وقد عاهدها : ألّا يتزوّج عليها ، ولا يتمتّع ، ولا يتسرّى ، وقد فعل هذا منذ تسعة عشر سنة ، ووفى بقوله ، فربّما غاب عن منزله الأشهر فلا يتمتّع ولا تتحرّك نفسه أيضاً لذلك ، ويرى أنّ وقوف من معه من أخ وولد وغلام ووكيل وحاشية ممّا يقلّله في أعينهم ، ويحب المقام على ما هو عليه محبّة لأهله وميلاً إليها ، وصيانة لها ولنفسه ، لا لتحريم المتعة بل يدين الله بها ، فهل عليه في ترك ذلك مأثم أم لا ؟

الجواب: «يستحبّ له أن يطيع الله تعالى بالمتعة ليزول عنه الحلف في المعصية ولو مرّة واحدة» .

وفي كتاب آخر لمحمّد بن عبدالله الحميري إلى صاحب الزمان ﷺ من جواب مسائله الّتي سأله عنها ، في سنة سبع وثلاثمائة .

سأله عن المحرم : يجوز أن يشدّ الميزر من خلفه على عقبه بالطول ، ويرفع طرفيه إلى حقويه ويجمعهما في خاصرته ويعقدهما ، ويخرج الطرفين الآخرين من بين رجليه ويرفعهما إلى خاصرته ، ويشدّ طرفيه إلى وركيه ، فيكون مثل السراويل يستر ما هناك ، فإن الميزر الأول كنّا

---

(١) عَطِنَ ـ كفرح ـ وانعطن : وضع في الدباغ وترك فأفسد وأنتن أو نضح عليه الماء فدفنه فاسترخىٰ شعره لينتف . [القاموس ٢٤٨/٤]

نتّزر به إذا ركب الرجل جمله يكشف ما هناك ، وهذا ستر ؟

فأجاب عليه السلام : «جاز أن يتّزر الإنسان كيف شاء إذا لم يحدث في الميزر حدثاً بمقراظ ولا إبرة يخرجه به عن حدّ الميزر ، وغرزه غرزاً[1] ولم يعقده ، ولم يشدّ بعضه ببعض ، وإذا غطّى سرّته وركبتيه كلاهما فإنّ السنّة المجمع عليها بغير خلاف تغطية السرّة والركبتين ، والأحب إلينا والأفضل لكلّ أحد شدّه على السبيل المألوفة المعروفة للنّاس جميعاً إن شاء الله» .

وسأل : هل يجوز أن يشدّ عليه مكان العقد تكّة ؟

فأجاب عليه السلام : «لا يجوز شدّ الميزر بشيء سواه من تكّة ولا غيرها» .

وسأل عن التوجّه للصّلاة أن يقول على ملّة إبراهيم ودين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنّ بعض أصحابنا ذكر أنّه إذا قال على دين محمّد فقد أبدع ، لأنّا لم نجده في شيء من كتب الصلاة خلا حديثاً في كتاب القاسم بن محمّد عن جدّه عن الحسن بن رشاد أنّ الصّادق عليه السلام قال للحسن : «كيف تتوجّه» ؟

فقال : أقول : لبّيك وسعديك .

فقال له الصّادق عليه السلام : «ليس عن هذا أسألك ، كيف تقول وجّهت وجهي للّذي فطر السّماوات والأرض حنيفاً مسلماً» ؟

قال الحسن : أقول .

فقال الصّادق عليه السلام : «إذا قلت ذلك فقل : على ملّة إبراهيم ، ودين محمّد ، ومنهاج عليّ بن أبي طالب ، والإيتمام بآل محمّد ، حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين» .

فأجاب عليه السلام : «التوجه كلّه ليس بفريضة ، والسنّة المؤكّدة فيه الّتي هي كالإجماع الّذي لا خلاف فيه : وجّهت وجهي للّذي فطر السّماوات والأرض ، حنيفاً مسلماً على ملّة إبراهيم ودين محمّد وهدي أميرالمؤمنين ، وما أنا من المشركين ، إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين ، لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا من المسلمين ، اللّهمّ اجعلني من المسلمين ، أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرّحمن الرّحيم ، ثمّ اقرأ الحمد .

قال الفقيه الّذي لا يشكّ في علمه : إنّ الدين لمحمّد والهداية لعليّ أميرالمؤمنين لأنّها له صلى الله عليه وآله وسلم وفي عقبه باقية إلى يوم القيامة ، فمن كان كذلك فهو من المهتدين ، ومن شكّ فلا دين له ، ونعوذ بالله من الضلاة بعد الهدى» .

---

(١) غرز الإبرة في الشيء غرزاً وغرّزها : أدخلها .

وسأله : عن القنوت في الفريضة إذا فرغ من دعائه ، يجوز أن يردّ يديه على وجهه وصدره للحديث الّذي روى : «إنّ الله ﷻ أجلّ من أن يردّ يدي عبده صفراً بل يملأها من رحمته» أم لا يجوز ؟ فإنّ بعض أصحابنا ذكر أنّه عمل في الصلاة .

فأجاب ﷺ : «ردّ اليدين من القنوت على الرأس والوجه غير جايز في الفرائض والذي عليه العمل فيه ، إذا رفع يده في قنوت الفريضة وفرغ من الدعاء ، أن يردّ بطن راحتيه مع صدره تلقاء ركبتيه على تمهل ، ويكبّر ويركع ، والخبر صحيح وهو في نوافل النهار والليل دون الفرائض ، والعمل به فيها أفضل» .

وسأل : عن سجدة الشكر بعد الفريضة ، فإنّ بعض أصحابنا ذكر أنّها «بدعة» فهل يجوز أن يسجدها الرجل بعد الفريضة ؟ وإن جاز ففي صلاة المغرب هي بعد الفريضة أو بعد الأربع ركعات النافلة ؟

فأجاب ﷺ : «سجدة الشكر من ألزم السنن وأوجبها ، ولم يقل إنّ هذه السجدة بدعة إلّا من أراد أن يحدث بدعة في دين الله .

فأمّا الخبر المروي فيها بعد صلاة المغرب والإختلاف في أنّها بعد الثلاث أو بعد الأربع فإنّ فضل الدعاء والتسبيح بعد الفرائض على الدعاء بعقيب النوافل كفضل الفرائض على النوافل ، والسجدة دعاءوتسبيح ؛ فالأفضل أن تكون بعد الفرض ، فإن جعلت بعد النوافل أيضاً جاز» .

وسأل : إنّ لبعض إخواننا ممّن نعرفه ضيعة جديدة بجنب ضيعة خراب ، للسلطان فيها حصّة وأكرته بما زرعوا حدودها وتوذيهم عمّال السلطان ويتعرّضون في الكلّ من غلّات ضيعته ، وليس لها قيمة لخرابها وإنّما هي بائرة منذ عشرين سنة ، وهو يتحرّج من شرائها لأنّه يقال إنّ هذا الحصّة من هذه الضيعة كانت قبضت عن الوقف قديماً للسلطان ، فإن جاز شراؤها من السلطان ، وكان ذلك صلاحاً له وعمارة لضيعته ، وإنّه يزرع هذه الحصّة من القرية البائرة لفضل ماء ضيعته العامرة ، وينحسم عنه طمع أولياء السلطان ، وإن لم يجز ذلك عمل بما تأمره به إن شاء الله تعالى ؟

فأجاب ﷺ : «الضيعة لا يجوز ابتياعها إلّا من مالكها أو بأمره أو رضاء منه» .

وسأل : عن رجل استحلّ امرأة خارجة من حجابها ، وكان يحترز من أن يقع ولد فجاءت بابن ، فتحرّج الرّجل ألّا يقبله فقبله وهو شاكٌّ فيه ، وجعل يجري النفقة على اُمّه وعليه حتّى ماتت الاُم ، وهو ذا يجري عليه غير أنّه شاكٌّ فيه ليس يخلطه بنفسه ، فإن كان ممّن يجب أن يخلط بنفسه

ويجعله كساير ولده فعل ذلك ، وإن جاز أن يجعل له شيئاً من ماله دون حقّه فعل ؟

فأجاب عليه السلام : «الإستحلال بالمرأة يقع على وجوه ، والجواب يختلف فيها ، فليذكر الوجه الّذي وقع الإستحلال به مشروحاً ليعرف الجواب فيما يسأل عنه من أمر الولد إن شاء الله» .

وسأله الدعاء له فخرج الجواب :

«جاد الله عليه بما هو جلّ وتعالى أهله ، إيجابنا لحقّه ، ورعايتنا لأبيه رحمه الله وقرّبه منّا ، وقد رضينا بما علمناه من جميل نيّته ، ووقفنا عليه من مخاطبته ، المقرّ له من الله التي يـرضى الله عزّ وجلّ ورسوله وأولياؤه عليهم السلام والرحمة بما بدأنا ، نسأل الله بمسألته ما أمّله من كلّ خير عاجل وآجل ، وأن يصلح له من أمر دينه ودنياه ما يجب صلاحه ، إنّه وليٌّ قدير» .

وكتب إليه صلوات الله عليه أيضاً في سنة ثمان وثلاثمائة كتاباً سأله فيه عن مسائل أُخرى كتب :

بسم الله الرحمن الرحيم

أطال الله بقاك وأدام عزّك وكرامتك وسعادتك وسلامتك ، وأتمّ نعمته عليك ، وزاد في إحسانه إليك ، وجمل مواهبه لديك ، وفضله عليك ، وجزيل قسمه لك ، وجعلني من السـوء كـلّه فـداك ، وقدّمني قبلك .

إنّ قبلنا مشايخ وعجايز يصومون رجباً منذ ثـلاثين سـنة وأكـثر ، ويـصلون بشـعبان وشـهر رمضان . وروى لهم بعض أصحابنا : أنّ صومه معصية ؟

فأجاب عليه السلام : «قال الفقيه : يصوم منه أيّاماً إلى خمسة عشر يوماً ، إلّا أن يصومه عن الثلاثة الأيّام الفائتة ، للحديث : «إنّ نعم شهر القضاء رجب» .

وسأل عن رجل يكون في محمله والثلج كثير بقامة رجل ، فيتخوّف إن نزل الغوص فيه ، وربّما يسقط الثلج وهو على تلك الحال ولا يستوي له أن يلبد شيئاً منه لكثرته وتهافته ، هـل يـجوز أن يصلّي في المحمل الفريضة ؟ فقد فعلنا ذلك أيّاماً فهل علينا في ذلك إعادة أم لا ؟

فأجاب عليه السلام : «لا بأس به عند الضرورة والشدّة» .

وسأل : عن رجل يلحق الإمام وهو راكع فيرجع معه ويحتسب تلك الركعة ، فإنّ بعض أصحابنا قال : إن لم يسمع تكبيرة الركوع فليس له أن يعتد بتلك الركعة ؟

فأجاب عليه السلام : «إذا لحق مع الإمام من تسبيح الركوع تسبيحة واحـدة اعـتدّ بـتلك الركـعة وإن لم يسمع تكبيرة الركوع» .

وسأل : عن رجل صلّى الظهر ودخل في صلاة العصر ، فلمّا أن صلّى من صلاة العصر ركعتين استيقن أنّه صلّى الظهر ركعتين ،كيف يصنع ؟

فأجاب عليه السلام : «إن كان أحدث بين الصلاتين حادثة يقطع بها الصلاة أعاد الصلاتين وإن لم يكن أحدث حادثة جعل الركعتين الآخرتين تتمّة لصلاة الظهر ، وصلّى العصر بعد ذلك» .

وسأل : عن أهل الجنّة هل يتوالدون إذا دخلوها أم لا ؟

فأجاب عليه السلام : «إنّ الجنّة لا حمل فيها للنساء ولا ولادة ، ولا طمث ولا نفاس ، ولا شقاء بالطفوليّة ، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين ،كما قال سبحانه ، فإذا اشتهى المؤمن ولداً خلقه الله بغير حمل ولا ولادة على الصورة الّتي يريد كما خلق آدم عبرة» .

وسأل : عن رجل تزوّج امرأة بشيء معلوم إلى وقت معلوم ، وبقي له عليها وقت ، فجعلها في حلّ ممّا بقي له عليها ، وقد كانت طمثت قبل أن يجعلها في حلّ من أيّامها بثلاثة أيّام ، أيجوز أن يتزوّجها رجل معلوم إلى وقت معلوم عند طهرها من هذه الحيضة أو يستقبل بها حيضة اُخرى ؟

فأجاب عليه السلام : «يستقبل حيضة غير تلك الحيضة ، لأنّ أقلّ تلك العدّة حيضة وطهرة تامّة» .

وسأل : عن الأبرص والمجذوم وصاحب الفالج هل يجوز شهادتهم ؟ فقد روي لنا : أنّهم لا يأمون الأصحّاء .

فأجاب عليه السلام : «إن كان ما بهم حادثاً جازت شهادتهم ، وإن كان ولادة لم يجز» .

وسأل : هل يجوز أن يتزوّج بنت ابنة امرأة ثمّ يتزوّج جدّتها بعد ذلك ؟

فأجاب عليه السلام : «قد نهي عن ذلك» .

وسأل : هل يجوز للرجل أن يتزوّج ابنة امرأته ؟

فأجاب عليه السلام : إن كانت ربيت في حجره فلا يجوز ، وإن لم تكن ربيت في حجره وكانت اُمّها في غير حباله ، فقد روي : أنّه جائز .

وسأل : عن رجل ادّعى على رجل ألف درهم وأقام به البيّنة العادلة ، وادّعى عليه أيضاً خمسمائة درهم في صكّ آخر ، وله بذلك بيّنة عادلة ، وادّعى عليه أيضاً ثلاثمائة درهم في صكٍّ آخر ، ومائتي درهم في صكٍّ آخر ، وله بذلك كلّه بيّنة عادلة ، ويزعم المدّعى عليه أنّ هذه الصّكاك كلّها قد دخلت في الصكّ الّذي بألف درهم ، والمدّعي ينكر أن يكون كما زعم ، فهل يجب عليه الألف الدرهم مرّة واحدة أو يجب عليه كلّما يقيم البيّنة به ؟ وليس في الصكاك استثناء إنّما هي صكاك على وجهها .

فأجاب عليه السلام : «يؤخذ من المدّعى عليه ألف درهم مرّة واحدة وهي الّتي لا شبهة فيها ، ويردّ اليمين في الألف الباقي على المدّعي فإن نكل فلا حقّ له» .

وسأل عن طيق القبر ، يوضع مع الميّت في قبره هل يجوز ذلك أم لا ؟

فأجاب عليه السلام : «يوضع مع الميّت في قبره ، ويخلط بخيوطه إن شاء الله» .

وسأل فقال : روي لنا عن الصّادق عليه السلام : أنّه كتب على إزار ابنه إسماعيل يشهد : أن لا إله إلّا الله ، فهل يجوز أن نكتب مثل ذلك بطين القبر أم غيره ؟

فأجاب عليه السلام : «يجوز ذلك» .

وسأل : هل يجوز أن يسبّح الرّجل بطين القبر ، وهل فيه فضل ؟

فأجاب عليه السلام : «يسبّح الرجل به فما من شيء من التسبيح أفضل منه ، ومن فضل أنّ الرّجل ينسى التسبيح ويدير السبحة فيكتب له التسبيح» .

وسأل : عن السجدة على لوح من طين القبر ، وهل فيه فضل ؟

فأجاب عليه السلام : «يجوز ذلك وفيه الفضل» .

وسأل : عن الرجل يزور قبور الأئمّة عليهم السلام ، هل يجوز أن يسجد على القبر أم لا ؟ وهل يجوز لمن صلّى عند بعض قبورهم عليهم السلام أن يقوم وراء القبر ويجعل القبر قبلة ، ويقوم عند رأسه ورجليه ؟ وهل يجوز أن يتقدّم القبر ويصلّي ويجعل القبر خلفه أم لا ؟

فأجاب عليه السلام : «أمّا السجود على القبر فلا يجوز في نافلة ولا فريضة ولا زيارة ، والّذي عليه العمل : أن يضع خدّه الأيمن على القبر .

وأمّا الصّلاة فإنّها خلفه ، ويجعل القبر أمامه ، ولا يجوز أن يصلّي بين يديه ولا عن يمينه ولا عن يساره ، لأنّ الإمام صلّى الله عليه وآله لا يتقدّم ولا يساوى» .

وسأل فقال: يجوز للرّجل إذا صلّى الفريضة أو النافلة وبيده السبحة أن يديرها وهو في الصّلاة؟

فأجاب عليه السلام : «يجوز ذلك إذا خاف السهو والغلط» .

وسأل : هل يجوز أن يدير السبحة بيده اليسار إذا سبّح ، أو لا يجوز ؟

فأجاب عليه السلام : «يجوز ذلك والحمد لله ربّ العالمين» .

وسأل فقال : روي عن الفقيه في بيع الوقف خبر مأثور : إذا كان الوقف على قوم بأعيانهم وأعقابهم ، فاجتمع أهل الوقف على بيعه وكان ذلك أصلح لهم أن يبيعوه ، فهل يجوز أن يشتري

من بعضهم إن لم يجتمعوا كلّهم على البيع ، أم لا يجوز إلّا أن يجتمعوا كلّهم على ذلك ؟ وعن الوقف الّذي لا يجوز بيعه ؟

فأجاب عليه السلام : «إذا كان الوقف على إمام المسلمين فلا يجوز بيعه ، وإن كان على قوم من المسلمين فليبع كلّ قوم ما يقدرون على بيعه مجتمعين ومتفرّقين إن شاء الله» .

وسأل : هل يجوز للمحرم أن يصيّر على إبطه المرتك[1] والتوتيا لريح العرق أم لا يجوز ؟

فأجاب عليه السلام : «يجو ذلك وبالله التوفيق» .

وسأل : عن الضرير إذا شهد في حال صحّته على شهادة ، ثمّ كفّ بصره ولا يرى خطّه فيعرفه ، هل يجوز شهادته أم لا ؟ وإن ذكر هذا الضرير الشهادة ، هل يجوز أن يشهد على شهادته أم لا يجوز ؟

فأجاب عليه السلام : «إذا حفظ الشهادة وحفظ الوقت ، جازت شهادته» .

وسأل : عن الرجل يوقف ضيعة أو دابّة ويشهد على نفسه باسم بعض وكلاء الوقف ، ثمّ يموت هذا الوكيل أو يتغيّر أمره ويتولّى غيره ، هل يجوز أن يشهد الشاهد لهذا الذي أُقيم مقامه إذا كان أصل الوقف لرجل واحد أم لا يجوز ذلك ؟

فأجاب عليه السلام : «لا يجوز ذلك ، لأنّ الشهادة لم تقم للوكيل وإنّما قامت للمالك ، وقد قال الله : ﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لله ﴾[2]» .

وسأل : عن الركعتين الأُخراوين قد كثرت فيها الروايات ؛ فبعض يروي : إنّ قراءة الحمد وحدها أفضل ، وبعض يروي : إنّ التسبيح فيهما أفضل ؛ فالفضل لأيّهما لنستعمله ؟

فأجاب عليه السلام : «قد نسخت قراءة أُمّ الكتاب في هاتين الركعتين التسبيح ، والّذي نسخ التسبيح قول العالم عليه السلام : كلّ صلاة لا قراءة فيها فهو خداج إلّا للعليل ، أو يكثر عليه السهو فيتخوّف بطلان الصلاة عليه» .

وسأل فقال : يتّخذ عندنا ربّ الجوز لوجع الحلق والبحبحة ، يؤخذ الجوز الرطب من قبل أن ينعقد ويدقّ دقّاً ناعماً ، ويعصر ماؤه ويصفّى ويطبخ على النصف ويترك يوماً وليلة ثمّ ينصب على

---

(١) المرتك : ما يعالج به الصنان ـ وهو الذفر تحت الإبط وغيره . وفي القاموس : المرتك : المرداسنج والتوتياء : معروف حَجَر يُكْتَحَلُ به .

(٢) الطلاق ٢.

النّار ، ويلقى على كلّ ستّة أرطال منه رطل عسل ويغلى رغوته ، ويسحق من النوشادر والشب اليماني من كلّ واحد نصف مثقال ويداف بذلك الماء ، ويلقى فيه درهم زعفران المسحوق ، ويغلى ويؤخذ رغوته حتّى يصير مثل العسل ثخيناً ، ثمّ ينزل عن النّار ويبرد ويشرب منه ، فهل يجوز شربه أم لا ؟

فأجاب عليه السلام : «إذا كان كثيره يسكر أو يغيّر ، فقليله وكثيره حرام ، وإن كان لا يسكر فهو حلال» .

وسأل : عن الرجل تعرض له الحاجة ممّا لا يدري أن يفعلها أم لا ، فيأخذ خاتمين فيكتب في أحدهما : «نعم أفعل» وفي آخر : «لا تفعل» فيستخير الله مراراً ، ثمّ يرى فيهما ، فيخرج أحدهما فيعمل بما يخرج، فهل يجوز ذلك أم لا ؟ والعامل والتارك له أهو مثل الإستخارة أم هو سوى ذلك؟

فأجاب عليه السلام : «الذي سنّه العالم عليه السلام في هذه الإستخارة بالرقاع والصلاة» .

وسأل : عن صلاة جعفر بن أبي طالب عليه السلام في أيّ أوقاتها أفضل أن تصلّى فيه ؟ وهل فيها قنوت ؟ وإن كان ففي أيّ ركعة منها ؟

فأجاب عليه السلام : «أفضل أوقاتها صدر النهار من يوم الجمعة ، ثمّ في أيّ الأيّام شئت وأيّ وقت صلّيتها من ليل أو نهار فهو جائز ، والقنوت فيها مرّتان : في الثانية قبل الركوع ، وفي الرابعة بعد الركوع» .

وسأل : عن الرجل ينوي إخراج شيء من ماله وأن يدفعه إلى رجل من إخوانه ثمّ يجد في أقربائه محتاجاً ، أيصرف ذلك عمّن نواه له أو إلى قرابته ؟

فأجاب عليه السلام : «يصرفه إلى أدناهما وأقربهما من مذهبه ، فإن ذهب إلى قول العالم عليه السلام : «لا يقبل الله الصدقة وذو رحم محتاج» فليقسم بين القرابة وبين الذي نوى حتّى يكون قد أخذ بالفضل كلّه» .

وسأل فقال : اختلف أصحابنا في مهر المرأة ؛ فقال بعضهم : إذا دخل بها سقط المهر ولا شيء لها ، وقال بعضهم : هو لازم في الدنيا والآخرة ، فكيف ذلك ؟ وما الذي يجب فيه ؟

فأجاب عليه السلام : «إن كان عليه بالمهر كتاب فيه ذكر دين فهو لازم له في الدنيا والآخرة ، وإن كان عليه كتاب فيه ذكر الصداق سقط إذا دخل بها ، وإن لم يكن عليه كتاب ، فإذا دخل بها سقط باقي الصداق» .

وسأل فقال : روي لنا عن صاحب العسكر عليه السلام أنّه سئل عن الصلاة في الخز الذي يغشّ بوبر

الأرانب فوقّع : يجوز ، وروي عنه أيضاً : أنّه لا يجوز ، فأيّ الخبرين يعمل به ؟

فأجاب عليه السلام : «إنّما حرم في هذه الأوبار والجلود ، فأمّا الأوبار وحدها فكلّ حلال» .

وسأل فقال : يتّخذ باصفهان ثياب عتابية على عمل الوشا من قز أو إبريسم هل يجوز الصلاة فيها أم لا ؟

فأجاب عليه السلام : «لا تجوز الصلاة إلاّ في ثوب سداه أو لحمته قطن أوكتان» .

وسأل : عن المسح على الرجلين وبأيّهما يبدأ ؛ باليمين أو يمسح عليهما جميعاً معاً ؟

فأجاب عليه السلام : «يمسح عليهما معاً فإن بدأ بإحداهما قبل الأُخرى فلا يبتدئ إلاّ باليمين» .

وسأل : عن صلاة جعفر في السفر هل يجوز أن تصلّى أم لا ؟

فأجاب عليه السلام : «يجوز ذلك» .

وسأل : عن تسبيح فاطمة عليها السلام : من سهى فجاز التكبير أكثر من أربع وثلاثين هل يرجع إلى أربع وثلاثين أو يستأنف ؟ وإذا سبّح تمام سبعة وستّين هل يرجع إلى ستّة وستّين أو يستأنف ؟ وما الّذي يجب في ذلك ؟

فأجاب عليه السلام : «إذا سها في التكبير حتّى تجاوز أربعة وثلاثين عاد إلى ثلاثة وثلاثين وبنى عليها ، وإذا سها في التسبيح فتجاوز سبعاً وستّين تسبيحة عاد إلى ستّة وستّين وبنى عليها ، فإذا جاوز التحميد مائة فلا شيء عليه» .

وعن محمّد بن عبدالله بن جعفر الحميري أنّه قال : خرج التوقيع من النّاحية المقدّسة حرسها الله ـ بعد المسائل ـ :

بسم الله الرحمن الرحيم

«لا لأمره تعقلون ، حكمة بالغة فما تغني النّذر عن قوم لا يؤمنون .

السّلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

إذا أردتم التوجّه بنا إلى الله وإلينا ، فقولوا كما قال الله تعالى :

﴿ سلامٌ عَلَىٰ آلِ يس ﴾[1] .

السلام عليك يا داعي الله وربّاني آياته ، السلام عليك يا باب الله وديّان دينه ، السلام عليك يا خليفة الله وناصر حقّه ، السلام عليك يا حجّة الله ودليل إرادته ، السلام عليك يا تالي كتاب الله

(١) الصافات : ١٣٠.

وترجمانه ، السلام عليك في آناء ليلك وأطراف نهارك ، السلام عليك يا بقيّة الله في أرضه ، السلام عليك يا ميثاق الله الّذي أخذه ووكّده ، السلام عليك يا وعد الله الذي ضمنه ، السلام عليك أيّها العَلَم المنصوب ، والعِلْم المصبوب ، والغوث والرحمة الواسعة وعداً غير مكذوب ، السلام عليك حين تقعد ، السلام عليك حين تقوم ، السلام عليك حين تقرأ وتبيّن ، السلام عليك حين تصلّي وتقنت ، السلام عليك حين تركع وتسجد ، السلام عليك حين تكبّر وتهلّل ، السلام عليك حين تحمد وتستغفر ، السلام عليك حين تمسي وتصبح ، السلام عليك في الليل إذا يغشى ، والنّهار إذا تجلّى ، السلام عليك أيّها المقدّم المأمول ، السلام عليك بجوامع السلام ، أُشهدك يا مولاي أنّي أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله ، لا حبيب إلّا هو وأهله ، وأشهد أنّ أميرالمؤمنين حجّته ، والحسن حجّته ، والحسين حجّته ، وعليّ بن الحسين حجّته ، ومحمّد بن عليّ حجّته ، وجعفر بن محمّد حجّته ، وموسى بن جعفر حجّته ، وعلي بن موسى حجّته ، ومحمّد بن عليّ حجّته ، وعليّ بن محمّد حجّته ، والحسن بن عليّ حجّته ، وأشهد أنّك حجّته ، أنتم الأوّل والآخر ، وأنّ رجعتكم حقّ لا شكّ فيها يوم لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمن من قبل أوكسبت في إيمانها خيراً ، وأنّ الموت حقّ ، وأنّ ناكراً ونكيراً حق ، وأشهد أنّ النشر والبعث حق ، وأنّ الصراط والمرصاد حق ، والميزان والحساب حق ، والجنّة والنّار حق ، والوعد والوعيد بهما حق . يا مولاي شقي من خالفكم وسعد من أطاعكم . فاشهد على ما أشهدتك عليه ، وأنا وليّ لك ، بريء من عدوّك ، فالحقّ ما رضيتموه ، والباطل ما سخطتموه ، والمعروف ما أمرتم به ، والمنكر ما نهيتم عنه ، فنفسي مؤمنة بالله وحده لا شريك له ، وبرسوله ، وبأميرالمؤمنين ، وبأئمّة المؤمنين ، وبكم يا مولاي ، أوّلكم وآخركم ، ونصرتي معدّة لكم ، فمودّتي خالصة لكم ، آمين آمين .

الدّعاء عقيب هذا القول :

بسم الله الرحمن الرحيم

اللّهمّ إنّي أسألك أن تصلّي على محمّد نبيّ رحمتك ، وكلمة نورك ، وأن تملأ قلبي نور اليقين ، وصدري نور الإيمان ، وفكري نور الثبات ، وعزمي نور العلم ، وقوّتي نور العمل ، ولساني نور الصدق ، وديني نور البصائر من عندك ، وبصري نور الضياء ، وسمعي نور وعي الحكمة ، ومودّتي نور الموالاة لمحمّد وآله عليهم السلام ، حتّى ألقاك وقد وفيت بعهدك وميثاقك ، فلتسعني رحمتك يا وليّ يا حميد .

اللّهمّ صلّ على حجّتك في أرضك ، وخليفتك في بلادك ، والداعي إلى سبيلك ، والقائم بقسطك ، والثائر بأمرك ، وليّ المؤمنين ، وبوار الكافرين ، ومجلي الظلمة ، ومنير الحق ، والساطع بالحكمة والصدق ، وكلمتك التامّة في أرضك ، المرتقب الخائف ، والوليّ النّاصح ، سفينة النجاة ، وعلم الهدى ، ونور أبصار الورى ، وخير من تقمّص وارتدى ، ومجلي العمى ، الّذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، إنّك على كلّ شيءٍ قدير .

اللّهمّ صلّ على وليّك ، وابن أوليائك الّذين فرضت طاعتهم ، وأوجبت حقّهم ، وأذهبت عنهم الرّجس وطهّرتهم تطهيراً .

اللّهمّ انصر وانتصر به أولياءك وأولياءه ، وشيعته وأنصاره ، واجعلنا منهم .

اللّهمّ أعذه من شرّ كلّ باغ وطاغ ، ومن شرّ جميع خلقك ، واحفظه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، واحرسه ، وامنعه ، من أن يوصل إليه بسوء ، واحفظ فيه رسولك وآل رسولك ، وأظهر به العدل وأيّده بالنّصر ، وانصر ناصريه ، واخذل خاذليه ، واقصم به جبابرة الكفرة ، واقتل به الكفّار والمنافقين ، وجميع الملحدين ، حيث كانوا في مشارق الأرض ومغاربها ، برّها وبحرها ، واملأ به الأرض عدلاً ، وأظهر به دين نبيّك ، واجعلني اللّهمّ من أنصاره وأعوانه ، وأتباعه وشيعته ، وأرني في آل محمّد ما يأملون ، وفي عدوّهم ما يحذرون إله الحقّ آمين ، يا ذاالجلال والإكرام ، يا أرحم الراحمين» .

ذكر كتاب ورد من الناحية المقدّسة ـ حرسها الله ورعاها ـ في أيّام بقيت من صفر ، سنة عشر وأربعمائة على الشيخ المفيد أبي عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان قدّس الله روحه ونوّر ضريحه(١) ، ذكر موصله أنّه يحمله من ناحية متّصلة بالحجاز ، نسخته :

---

(١) قال الشيخ أبو جعفر الطوسي في رجاله ص٥١٤ : «محمّد بن محمّد بن النعمان ، جليل ، ثقة» .

وقال في الفهرست ص١٨٦ : محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد المكنّىٰ «أباعبدالله» المعروف بـ«ابن المعلم ، من جملة متكلّمي الإماميّة ، إنتهت إليه رئاسة الإماميّة في وقته ، وكان مقدّماً في العلم وصناعة الكلام ، وكان فقيهاً متقدّماً فيه ، حسن الخاطر ، دقيق الفطنة ، حاضر الجواب ، وله قريب من مائتي مصنّف كبار وصغار ، وفهرست كتبه معروف ، ولد سنة ٣٣٨هـ ، وتوفي لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ٤١٣هـ ، وكان يوم وفاته يوماً لم ير أعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه وكثرة البكاء من المخالف والموافق . ثمّ قال : سمعنا منه هذه الكتب كلّها ، بعضها قراءة عليه ، وبعضها يقرأ عليه غير مرّة وهو يسمع ...

وقال النجاشي ص٣١١ من رجاله : «شيخنا وأُستاذنا رضي الله عنه ، فضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية ←

⬅ والثقة ، له كتب ـ ثمّ عدّ له ١٧٤ كتاباً ورسالة ، ثمّ قال : مات رحمه الله ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شهر رمضان سنة ٤١٣ ، وكان مولده يوم الحادي عشر من ذي القعدة سنة ٣٣٦ ، وصلّى عليه الشريف المرتضى أبوالقاسم عليّ بن الحسين بميدان الأشنان وضاق على النّاس مع كبره ودفن في داره سنين ، ونقل إلى مقابر قريش بالقرب من السيّد أبي جعفر عليه السلام ، وقيل : مولده سنة ٣٣٨».

وقال العلّامة الحلّي رحمه الله في القسم الأوّل من الخلاصة ص١٤٧ : «محمّد ابن محمّد بن النعمان يكنّى «أباعبدالله» يلقّب بـ«المفيد» وله حكاية في سبب تسميته بالمفيد ذكرناها في كتابنا الكبير ، ويعرف بـ«ابن المعلم» ، من أجلّ مشايخ الشيعة ورئيسهم وأُستاذهم ، وكلّ من تأخّر عنه استفاد منه ، وفضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية ، أوثق أهل زمانه وأعلمهم ، انتهت رياسة الإماميّة إليه في وقته ، وكان حسن الخاطر ، دقيق الفطنة ، حاضر الجواب ، له قريب من مائتي مصنّف كبار وصغار ... إلى أن قال : ثمّ نقل إلى مقابر قريش بالقرب من السيّد الإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام عند الرجلين إلى جانب قبر شيخه الصدوق أبي القاسم جعفر بن محمّد ابن قولويه».

وقال الشيخ عبّاس القمي رحمه الله في الجزء الثالث من الكنى والألقاب ص١٦٤ : أبو عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان ابن عبدالسّلام البغدادي ، شيخ المشايخ الجلّة ، ورئيس رؤساء الملّة ، فخر الشيعة ، ومحيي الشريعة ، ملهم الحق ودليله ، ومنار الدين وسبيله ، اجتمعت فيه خلال الفضل ، وانتهت إليه رياسة الكل ، واتفق الجميع على علمه وفضله ، وفقهه وعدالته وثقته وجلالته . كان رحمه الله كثير المحاسن ، جم المناقب ، حديد الخاطر ، حاضر الجواب ، واسع الرواية ، خبير بالأخبار والرجال والأشعار . وكان أوثق أهل زمانه بالحديث ، وأعرفهم بالفقه والكلام ، وكلّ من تأخّر عنه استفاد منه .

وقال علماء العامّة في حقّه : هو شيخ مشايخ الإماميّة ، رئيس الكلام والفقه والجدل ، وكان يناظر أهل كلّ عقيدة ، وكان كثير الصدقات ، عظيم الخشوع ، كثير الصلاة والصوم ، خشن اللباس ، وكان شيخناً ، ربعة ، نحيفاً ، أسمر ؛ عاش ستّاً وسبعين سنة ، وله أكثر من مائتي مصنّف ، كانت جنازته مشهورة ، شيّعه ثمانون ألفاً من الرافضة والشيعة وأراح الله منه أهل السنّة ، وكان كثير التقشّف والتخشّع ، والإكباب على العلم ، وكان يقال : له على كلّ إمامي منّة ، وقال الشريف أبو يعلى الجعفري ـ وكان تزوّج بنت المفيد رحمه الله ـ : ماكان المفيد ينام من الليل إلّا هجعة ، ثمّ يقوم يصلّي أو يطاع أو يدرس أو يتلو . وقال ابن النديم : في عهدنا انتهت رياسة متكلّمي الشيعة إليه ، مقدم في صناعة الكلام على مذهب أصحابه ، دقيق الفطنة ، ماضي الخاطر ، شاهدته فرأيته بارعاً .

توفي رحمه الله ليلة الثالث من شهر رمضان ببغداد سنه ٤١٣ ، وكان مولده يوم الحادي عشر من ذي القعدة ٣٣٦ ، وصلّى عليه الشريف المرتضى بميدان الأشنان ـ ثمّ نقل كلام الشيخ الطوسي المتقدم ـ ثمّ قال : ورثاه مهيار الديلمي بقصيدة منها قوله :

ما بعد يومك سلوة لمعلّل	منّي ولا ظفرت بسمع معذّل
سوى المصاب بك القلوب على الجوى	فيد الجليد على حشا المتململ
وتشابه الباكون فيك فلم يبن	دمع المحق لنا من المتعمّل

وتقدّم في ابن قولويه أنّ قبره في البقعة الكاظميّة عليهما السلام ، وذكر جماعة من العلماء منهم الميرزا محمّد مهدي ⬅

الشهرستاني في إجازته للسيّد ميرزا مهدي ابن ميرزا محمّد تقي الطباطبائي التبريزي المتوفى سنة ١٢٤١ أنّ الشيخ المفيد ﷺ رثاه صاحب الأمر (عج) حيث وجد مكتوباً على قبره:

لا صـوّت النّـاعي بـفقدك إنّـه ... يـوم عـلى آل الرّسـول عـظيم

إن كنت قد غيّبت في جدث الثرى ... فـالعدل والتـوحيد فـيك مقيم

والقـائم المـهدي يـفرح كـلّما ... تليت عـليك مـن الدروس علوم

أقول: وقصيدة الديلمي هذه الّتي ذكر منها الشيخ عبّاس القمّي ﷺ ثلاثة أبيات، تبلغ ١٠١ بيتاً، وهي موجودة في ديوانه المطبوع، وفيها يقول:

يـا مـرسلاً إن كـنت مبلغ ميّت ... تحت الصفائح قـول حيّ مـرسلِ

فـلج الثرى الراوي فـقل لمحمّد ... عـن ذي فـؤاد بـالفجيعة مشـعل

مـن للـخصوم اللـد بـعدك غـصّة ... في الصدر لا تهوى ولا هي تعتلي

مـن للـجدال إذا الشـفاه تـقلّصت ... وإذا اللسـان بـريقه لم يـبلل

مـن بـعد فـقدك ربّ كـلّ غـريبة ... بكـر بك افـترعت وقـولة فـيصل

ولغـامض خـاف رقـعت قـوامه ... وفتحت منه في الجـواب المـقفل

من للطروس يصوغ في صفحاتها ... حليا يـقعقع كـلّما خـرس الحـلي

يـبقين للـذكر المـخلّد رحـمة ... لك في فم الراوي وعين المجتلي

أيـن الفـؤاد النـدب غـير مـضعّف ... أيـن اللسـان الصـعب غـير مـفلّل

تـفري بـه وتـحز كـلّ ضـريبة ... مـا كـلّ حـزّة مـفصل للـمنصل

كم قد ضـممت لديـن آل مـحمّد ... مـن شـارد وهـديت قـلب مـضلل

وعـقلت مـن ودّ عـليهم نـاشط ... لو لم تـرضه مـلاطفاً لم يـعقل

لا تـطبيك مـلالة عـن قـولة ... تروي عن المفضول حتّى الأفضل

فـليجزينّك عـنهم مـا لم يـزل ... يـبلو القـلوب ليـجتبي وليـبتلي

ولتـنظرنّ إلى عـليّ رافـعاً ... ضبعيك يوم البعث ينظر من عـل

ورثاه الشريف المرتضى ﷺ بقصيدة موجودة في ديوانه المطبوع، يقول فيها:

إنّ شيخ الإسلام والديـن والعـلـ ... ـم تـولّى فأزعـج الإسـلاما

والذي كـان غـرّة فـي دجـى الأيّـ ... ـام أودى فأوحش الأيّـاما

كم جلوت الشكوك تعرّض في نص ... وصـيّ وكـم نـصرت إمـاما

وخـصوم لد مـلأتهم بـالحق ... فـي حـومة الخـصام خـصاما

عاينوا منك مـصمّماً ثـغرة النحر ... ومـا أرسـلت يـداك سـهاما

وشـجاعاً يـفري المرائـر مـا كـل ... شـجاع يـفري الطـلا والهـاما

مـن إذا مـال جـانب مـن بناء الـ ... ـدين كـانت له يـداه دعـاما

للأخ السديد ، والوليّ الرشيد ، الشيخ المفيد ، أبي عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان أدام الله إعزازه ، من مستوع العهد المأخوذ على العباد .

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد ؛ سلام عليك أيّها الوليّ المخلص في الدّين ، المخصوص فينا باليقين ، فإنّا نحمد إليك الله الّذي لا إله إلّا هو ، ونسأله الصّلاة على سيّدنا ومولانا ونبيّنا محمّد وآله الطّاهرين ، ونعلمك ـ أدام الله توفيقك لنصرة الحق ، وأجزل مثوبتك على نطقك عنّا بالصدق ـ : أنّه قد أُذن لنا في تشريفك بالمكاتبة ، وتكليفك ما تؤدّيه عنّا إلى موالينا قبلك ، أعزّهم الله بطاعته ، وكفاهم المهمّ برعايته لهم وحراسته ، فقف أيّدك الله بعونه على أعدائه المارقين من دينه على ما أذكره ، واعمل في تأديته إلى من تسكن إليه بما نرسمه إن شاء الله .

نحن وإن كنّا ثاوين[1] بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين ، حسب الّذي أراناه الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الدّنيا للفاسقين ، فإنّا نحيط علماً بأنبائكم ، ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم ، ومعرفتنا بالذلّ الّذي أصابكم مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً ، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون .

إنّا غير مهملين لمراعاتكم ، ولا ناسين لذكركم ، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء[2] أو اصطلمكم الأعداء[3] فاتّقوا الله جلّ جلاله وظاهرونا على انتياشكم[4] من فتنة قد أنافت عليكم[5] يهلك فيها من حم

➲ وإذا ازور جائر عن هداه	قاده نحوه فكان زماما
من لفضل أخرجت منه خبيثاً	ومعان قضضت عنها ختاما
من لسوء ميزت عنه جميلاً	وحلال خلصت منه حراما
من ينير العقول من بعد ماكـ	ـنّ هموداً وينتج الأفهاما
من يعير الصديق رأياً إذا ما	سلّه في الخطوب كان حساما
فامض صفراً من العيوب فكم با	ن رجال اثروا عيوباً وذاما

إلى أن يقول :

لن تراني وأنت في عدد الأمـ	ـوات إلّا ـ تجمّلاً ـ بساما

(١) ثوى : أقام . [المصباح ١١٠/١]

(٢) اللأواء : الشدة وضيق المعيشة .

(٣) اصطلمه : استأصله .

(٤) انتاشه من الهلكة : أنقذه .

(٥) أناف على الشيء : طال وارتفع عليه .

أجله[١] ويحمى عنها من أدرك أمله ، وهي إمارة لازوف حركتنا[٢] ومباثتكم بأمرنا ونهينا ، والله متمّ نوره ولو كره المشركون .

اعتصموا بالتقيّة ! من شبّ نار الجاهليّة ، يحشّشها[٣] عصب أُمويّة ، يهول بها فرقة مهديّة ، أنا زعيم بنجاة من لم يرم فيها المواطن الخفية ، وسلك في الطعن منها السبل المرضيّة ، إذا حلّ جمادى الأُولى من سنتكم هذا فاعتبروا بما يحدث فيه ، واستيقظوا من رقدتكم لما يكون في الّذي يليه . ستظهر لكم من السماء آية جليّة ، ومن الأرض مثلها بالسويّة ، ويحدث في أرض المشرق ما يحزن ويقلق ، ويغلب من بعد على العراق طوائف عن الإسلام مرّاق ، تضيق بسوء فعالهم على أهله الأرزاق ، ثمّ تنفرج الغمة من بعد ببوار طاغوت من الأشرار ، ثمّ يسرّ بهلاكه المتّقون الأخيار ، ويتّفق لمريدي الحجّ من الآفاق ما يؤمّلونه منه على توفير عليه منهم واتّفاق ، ولنا في تيسير حجّهم على الإختيار منهم والوفاق شأن يظهر على نظام واتّساق .

فليعلم كلّ امرئ منكم بما يقرب به من محبّتنا ، ويتجنّب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا ، فإنّ أمرنا بغتة فجاءة حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة . والله يلهمكم الرشد ، ويلطف لكم في التوفيق برحمته .

نسخة التوقيع باليد العليا على صاحبها السلام :

هذا كتابنا إليك أيّها الأخ الولي ، والمخلص في ودّنا الصفي ، والناصر لنا الوفي ، حرسك الله بعينه الّتي لا تنام ، فاحتفظ به ! ولا تظهر على خطّنا الّذي سطرناه بما له ضمناه أحداً ! وأدّ ما فيه إلى من تسكن إليه ، وأوص جماعتهم بالعمل عليه إن شاء الله ، وصلّى الله على محمّد وآله الطّاهرين .

ورد عليه كتاب آخر من قبله صلوات الله عليه ، يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي الحجّة ، سنة اثنى عشر وأربعمائة ، نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام الله عليك أيّها النّاصر للحق ، الداعي إليه بكلمة الصدق ، فإنّا نحمد الله إليك الّذي لا إله إلّا هو ، إلهنا وإله آبائنا الأوّلين ، ونسأله الصلاة على سيّدنا ومولانا محمّد خاتم النبيّين ، وعلى أهل بيته الطاهرين .

---

(١) حم أجله : قرب .

(٢) الأزوف : الإقتراب .

(٣) حش النار : أوقدها وهيّجها .

وبعد ؛ فقد كنّا نظرنا مناجاتك عصمك الله بالسبب الّذي وهبه الله لك من أوليائه ، وحرسك به من كيد أعدائه ، وشفّعنا ذلك الآن من مستقرّ لنا ينصب في شمراخ[1] ، من بهماء[2] صرنا إليه آنفاً من غماليل[3] ألجانا إليه السباريت[4] من الإيمان ، ويوشك أن يكون هبوطنا منه إلى صحصح[5] من غير بعد من الدهر ولا تطاول من الزمان ، ويأتيك نبأ منّا بما يتجدّد لنا من حال ، فتعرف بذلك ما نعتمده من الزلفة إلينا بالأعمال ، والله موفّقك لذلك برحمته ، فلتكن حرسك الله بعينه الّتي لا تنام أن تقابل لذلك فتنة تسبّل[6] نفوس قوم حرثت باطلاً لاسترهاب المبطلين ، ويبتهج لدمارها المؤمنون ، ويحزن لذلك المجرمون ، وآية حركتناه من هذه اللوثة حادثة بالجرم المعظم من رجس منافق مذمم ، مستحلّ للدم المحرّم ، يعمد بكيده أهل الإيمان ، ولا يبلغ بذلك غرضه من الظلم والعدوان ، لأنّنا من وراء حفظهم بالدعاء الّذي لا يحجب عن ملك الأرض والسماء ، فليطمئنّ بذلك من أوليائنا القلوب ، وليثقوا بالكفاية منه ، وإن راعتهم بهم الخطوب ، والعاقبة بجميل صنع الله سبحانه تكون حميدة لهم ما اجتنبوا المنهي عنه من الذنوب .

ونحن نعهد إليك أيّها الوليّ المخلص ، المجاهد فينا الظالمين ، أيّدك الله بنصره الّذي أيّد به السلف من أوليائنا الصالحين ، إنّه من اتّقى ربّه من إخوانك في الدين ، وأخرج ممّا عليه إلى مستحقّيه ، كان آمناً من الفتنة المبطلة ، ومحنها المظلمة المظلّة ، ومن بخل منهم بما أعاره الله من نعمته على من أمره بصلته ، فإنّه يكون خاسراً بذلك لأولاده وآخرته ، ولو أنّ أشياعنا وفّقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخّر عنهم اليمن بلقائنا ، ولتعجّلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حقّ المعرفة وصدقها منهم بنا ، فما يحبسنا عنهم إلّا ما يتّصل بنا ممّا نكرهه ولا نؤثره منهم ، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلواته على سيّدنا البشير النذير محمّد وآله الطاهرين وسلّم .

وكتب في غرّة شوّال من سنة اثنى عشر وأربعمائة .

---

(١) الشِمراخ : رأس الجبل .

(٢) البهم ـ بالضمّ ـ : جمع البهمة ، وهو المجهول الذي لا يعرف .

(٣) الغملول ـ بالضمّ ـ : الوادي ذو الشجر وكلّ مجتمع أظلم وتراكم من شجر أو غمام أو ظلمة .

(٤) السُبروت ـ كزُنبور ـ : القفر لا نبات فيه .

(٥) الصَحْصَحُ والصَحْصاحُ والصَحْصَحان : ما استوىٰ من الأرض .

(٦) يُقال أبْسَلَهُ : أسلمه للهلكة .

نسخة التوقيع باليد العليا صلوات الله على صاحبها :

هذا كتابنا إليك أيّها الوليّ الملهم للحقّ العلي ، بإملائنا وخطّ ثقتنا ، فاخفه عن كلّ أحد ، واطوه واجعل له نسخة يطلع عليها من تسكن إلى أمانته من أوليائنا ، شملهم الله ببركتنا إن شاء الله .

الحمد لله والصّلاة على سيّدنا محمّد النّبيّ وآله الطاهرين .

احتجاج الشيخ المفيد السديد أبي عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان رحمه الله

حدّث الشيخ أبو علي الحسن بن محمّد الرّقّي بالرملة في شوّال سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة عن الشيخ المفيد أبي عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان رحمه الله أنّه قال : رأيت في المنام سنة من السنين كأنّي قد اجتزت في بعض الطريق فرأيت حلقة دائرة فيها ناس كثير ، فقلت : ما هذا ؟

قالوا : هذه حلقة فيها رجل يقصّ .

فقلت : من هو ؟

قالوا : عمر بن الخطّاب .

ففرّقت النّاس ودخلت الحلقة ، فإذا أنا برجل يتكلّم على النّاس بشيء لم أحصله ، فقطعت عليه الكلام ، وقلت : أيّها الشيخ ما وجه الدلالة على فضل صاحبك أبي بكر عتيق بن أبي قحافة من قول الله تعالى : ﴿ **ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ** ﴾[1] ؟

فقال : وجه الدلالة على فضل أبي بكر من هذه الآية في ستّة مواضع :

الأوّل : إنّ الله تعالى ذكر النّبيّ وذكر أبابكر فجعله ثانيه ، فقال : ﴿ **ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ** ﴾ .

والثاني : إنّه وصفهما بالإجتماع في مكان واحد ، لتأليفه بينهما ، فقال : ﴿ **إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ** ﴾.

والثالث : إنّه أضافه إليه بذكر الصحبة ليجمعه بينهما بما يقتضي الرتبة ، فقال : ﴿ **إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ** ﴾ .

والرابع : إنّه أخبر عن شفقة النّبيّ ورفقه به لموضعه عنده فقال : ﴿ **لا تَحْزَنْ** ﴾ .

والخامس : إنّه أخبر أنّ الله معهما على حدّ سواء ناصراً لهما ودافعاً عنهما ، فقال : ﴿ **إِنَّ اللهَ مَعَنَا** ﴾ .

---

(١) التوبة ٤٠.

والسادس : إنّه أخبر عن نزول السكينة على أبي بكر لأنّ رسول الله لم تفارقه السكينة قط ، فقال : ﴿ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِيْنَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ .

فهذه ستّة مواضع تدلّ على فضل أبي بكر من آية الغار ، لا يمكنك ولا لغيرك الطعن فيها .

فقلت له : حبّرت[1] بكلامك في الإحتجاج لصاحبك عنه ، وإنّي بعون الله سأجعل جميع ما اتيت به كرماد اشتدّت به الريح في يوم عاصف :

أمّا قولك : إنّ الله تعالى ذكر النّبيّ ﷺ وجعل أبابكر ثانيه ، فهو إخبار عن العدد ، لعمري لقد كانا اثنين ، فما في ذلك من الفضل ؟ ونحن نعلم ضرورة أنّ مؤمناً ومؤمناً ، أو مؤمناً وكافراً ، اثنان ، فما أرى لك في ذكر العدد طائلاً تعتمده .

وأمّا قولك : إنّه وصفهما بالإجتماع في المكان ، فإنّه كالأوّل لأنّ المكان يجمع المؤمن والكافر ، كما يجمع العدد المؤمنين والكفّار ، وأيضاً : فإنّ مسجد النّبيّ ﷺ أشرف من الغار ، وقد جمع المؤمنين والمنافقين والكفّار ، وفي ذلك قوله ﷻ : ﴿ فَمَا لِلَّذِيْنَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِيْنَ * عَنِ اليَمِيْنِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِيْن ﴾[2] وأيضاً : فإنّ سفينة نوح قد جمعت النّبيّ ، والشيطان ، والبهيمة ، والكلب ، والمكان لا يدلّ على ما أوجبت من الفضيلة ، فبطل فضلان .

وأمّا قولك : إنّه أضافه إليه بذكر الصحبة ، فإنّه أضعف من الفضلين الأوّلين : لأنّ اسم الصحبة يجمع بين المؤمن والكافر ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴾[3] وأيضاً : فإنّ اسم الصحبة تطلق بين العاقل وبين البهيمة ، والدليل على ذلك من كلام العرب الّذي نزل «القرآن» بلسانهم ، فقال الله ﷻ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُوْلٍ إلّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾[4] إنّهم سمّوا الحمار صاحباً فقال :

إنّ الحمار مع الحمار مطيّة ... فإذا خلوت به فبئس الصاحب

وأيضاً : قد سمّوا الجماد مع الحيّ صاحباً ، قالوا ذلك في السيف شعراً :

زرت هنداً وذاك غير اختيان ... ومعي صاحب كتوم اللسان

يعني : السيف ، فإذا كان اسم الصحبة يقع بين المؤمن والكافر ، وبين العاقل والبهيمة ، وبين

---

(١) الحبر ـ بالكسر وقد يفتح ـ : الجمال والهيئة الحسنة ، وتحبير الخط والشعر وغيرهما : تحسينه .

(٢) المعارج : ٣٦ـ٣٧.

(٣) الكهف ٣٧.

(٤) إبراهيم ٤١.

الحيوان والجماد ، فأيّ حجّة لصاحبك فيه ؟!

وأمّا قولك : إنّه قال ﴿ لا تَحْزَنْ ﴾ فإنّه وبال عليه ومنقصة له ، ودليل على خطئه ، لأنّ قوله : ﴿ لا تَحْزَنْ ﴾ نهي ، وصورة النّهي قول القائل : «لا تفعل» لا يخلوا أن يكون الحزن وقع من أبي بكر طاعة أو معصية ، فإن كان «طاعة» فإنّ النّبيّ ﷺ لا ينهى عن الطاعات بل يأمر بها ويدعو إليها ، وإن كان معصية فقد نهاه النّبيّ ﷺ عنها ، وقد شهدت الآية بعصيانه بدليل أنّه نهاه .

وأمّا قوله : إنّه قال : ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾ فإنّ النّبيّ ﷺ قد أخبر أنّ الله معه ، وعبّر عن نفسه بلفظ الجمع ، كقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1] وقيل أيضاً في هذا : إنّ أبابكر قال : يا رسول الله حزني على أخيك عليّ بن أبي طالب ماكان منه ، فقال له النّبيّ ﷺ : ﴿ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾ أي : معي ومع أخي عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

وأمّا قولك : إنّ السكينة نزلت على أبي بكر ، فإنّه ترك للظاهر ، لأنّ الّذي نزلت عليه السكينة هو الّذي أيّده بالجنود ، وكذا يشهد ظاهر «القرآن» في قوله : ﴿ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ﴾[2] فإن كان أبوبكر هو صاحب السكينة فهو صاحب الجنود ، وفي هذا إخراج للنّبيّ ﷺ من النبوّة على أنّ هذا الموضع لو كتمته عن صاحبك كان خيراً ، لأنّ الله تعالى أنزل السكينة على النّبيّ ﷺ في موضعين كان معه قوم مؤمنون فشركهم فيها ، فقال ـ في أحَدِ الموضعين ـ : ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾[3] وقال في الموضع الآخر : ﴿ أَنْزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[4] ولمّا كان في هذا الموضع خصّه وحده بالسكينة قال : ﴿ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ فلو كان معه مؤمن لشركه معه في السكينة كما شرك من ذكرنا قبل هذا من المؤمنين ، فدلّ إخراجه من السكينة على خروجه من الإيمان .

فلم يحر جواباً وتفرّق النّاس ، واستيقظت من نومي .

---

(١) الحجر ٩.

(٢) التوبة ٤٠.

(٣) الفتح ٢٦.

(٤) التوبة ٢٦.

احتجاج السيّد الأجل علم الهدى المرتضى أبي القاسم علي رضي الله عنه وأرضاه(١)

---

(١) قال الشيخ الطوسي ﷺ في رجاله ص٤٨٤: «علي بن الحسين الموسوي يكنّى: أباالقاسم، الملقّب بالمرتضى ذوالمجدين علم الهدى، أدام الله تعالى أيّامه، أكثر أهل زمانه أدباً وفضلاً، متكلّم فقيه، جامع للعلوم كلّها، مدّ الله في عمره، يروي عن التلعكبري والحسين بن علي بن بابويه وغيرهم من شيوخنا، له تصانيف كثيرة ذكرنا بعضها في الفهرست، وسمعنا منه أكثر كتبه وقرأناها عليه».

وقال في الفهرست ص١٢٥: «علي بن الحسين بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ﷺ كنيته: «أبوالقاسم» لقبه «علم الهدى» الأجل المرتضى ﷺ، متوحّد في علوم كثيرة، مجمع على فضله، مقدّم في العلوم، مثل علم الكلام والفقه وأصول الفقه والأدب والنحو والشعر ومعاني الشعر واللغة وغير ذلك، له ديوان شعر يزيد على عشرين ألف بيت، وله من التصانيف ومسائل البلدان شيء كثير، مشتمل على ذلك فهرسته المعروف، غير أنّي أذكر أعيان كتبه وكبارها ـ ثمّ عدّ قسماً من مؤلّفاته ثمّ قال: ـ توفّي في شهر ربيع الأوّل سنة ست وثلاثين وأربعمائة، وكان مولده في رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، وسنّه يومئذ ثمانون سنة وثمانية أشهر وأيّام ـ نضّر الله وجهه ـ قرأت هذه الكتب أكثرها عليه وسمعت سائرها يقرأ عليه دفعات كثيرة».

وقال النجاشي ص٢٠٦: «عليّ بن الحسين بن محمّد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ﷺ. أبوالقاسم المرتضى، حاز من العلوم ما لم يدانيه فيه أحد في زمانه، وسمع من الحديث فأكثر، وكان متكلّماً شاعراً، أديباً عظيم المنزلة في العلم والدين والدنيا، صنّف كتباً ـ ثمّ عدّد قسماً من مؤلّفاته ثمّ قال ـ مات ﷺ لخمس بقين من شهر ربيع الأوّل سنة ست وثلاثين وأربعمائة، وصلّى عليه ابنه في داره ودفن فيها، وتولّيت غسله ومعي الشريف أبو يعلى محمّد بن الحسن الجعفري وسلّار بن عبدالعزيز».

وقال العلّامة الحلّي ﷺ في القسم الأوّل من الخلاصة ص٩٤: «عليّ بن الحسين بن موسى بن محمّد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ﷺ، أبوالقاسم المرتضى ذوالمجدين علم الهدى ﷺ، متوحّد في علوم كثيرة، مجمع على فضله، مقدّم في علوم مثل: علم الكلام والفقه وأصول الفقه والأدب من النحو والشعر واللغة وغير ذلك، وله ديوان شعر يزيد على عشرين ألف بيت، وتوفّي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأوّل سنة ست وثلاثين وأربعمائة وكان مولده سنة خمس وخمسين وثلاثمائة في رجب، ويوم توفي كان عمره ثمانين سنة وثمانية أشهر وأيّام، نضّر الله وجهه، وصلّى عليه ابنه في داره، ودفن فيها، وتولّى غسله أبو أحمد الحسين بن العبّاس النجاشي، ومعه الشريف أبو يعلى محمّد بن الحسن الجعفري، وسلّار بن عبدالعزيز الديلمي، وله مصنّفات كثيرة ذكرناها في كتابنا الكبير، وبكتبه استفادت الإماميّة منذ زمنه ﷺ إلى زماننا هذا وهو سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وهو ركنهم ومعلّمهم قدّس الله روحه وجزاه عن أجداده خيراً».

وقال الشيخ عبّاس القمّي في ج٢ من الكنى والألقاب ص٤٣٩: «هو سيّد علماء الأمّة، ومحيي آثار الأئمّة، ذوالمجدين، أبوالقاسم عليّ بن الحسين بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم ﷺ، المشهور بالسيّد ←

المرتضى، الملقّب من جدّه المرتضى عليه السلام في الرؤية الصادقة السيماء بـ«علم الهدى». جمع من العلوم ما لم يجمعه أحد، وحاز من الفضائل ما تفرّد به وتوحّد، وأجمع على فضله المخالف والمؤالف، كيف لا وقد أخذ من المجد طرفيه، واكتسى بثوبيه، وتردّى ببرديه، متوحّد في علوم كثيرة، مجمع على فضله، مقدّم في العلوم مثل: علم الكلام، والفقه، وأصول الفقه، والأدب، والنحو والشعر، واللغة وغير ذلك، له تصانيف مشهورة منها: «الشافي» في الإمامة، لم يصنّف مثله في الإمامة، و«الذخيرة» و«جمل العلم والعمل» و«الذريعة» و«شرح القصيدة البديعة» وكتاب «الطيف والخيال» وكتاب «الشيب والشباب» وكتاب «الغرر والدرر» والمسائل الكثية، وله ديوان شعر يزيد على عشرين ألف بيت إلى غير ذلك.

قال آية الله العلّامة: وبكتبه استفادت الإماميّة منذ زمنه رحمه الله إلى زماننا هذا، وهو سنة ٦٩٣ وهو ركنهم ومعلّمهم قدّس الله روحه وجزاه عن أجداده خيراً.

وذكره الخطيب في تاريخ بغداد وأثنى عليه وقال: «كتبت عنه وعن جامع الأصول أنّه عدّه ابن الأثير من مجدّدي مذهب الإماميّه في رأس المائة الرابعة».

«هنا فوائد»:

الأوّل: قال ابن خلّكان ـ في وصف علم الهدى ـ: كان نقيب الطالبيين وكان إماماً في علم الكلام والأدب والشعر، وهو أخو الشريف الرضي، وله تصانيف على مذهب الشيعة، ومكالمة في أصول الدين، وله الكتاب الّذي سمّاه «الغرر والدرر» وهي مجالس أملاها تشتمل على فنون من معاني الأدب، تكلّم فيها على النحو واللغة وغير ذلك وهو كتاب ممتنع يدل على فضل كثير وتوسّع في الإطّلاع على العلوم، وذكره ابن بسّام في أواخر كتاب الذخيرة فقال: كان هذا الشريف إمام أئمّة العراق، إليه فزع علماؤها، ومنه أخذ عظمائها، صاحب مدارسها، وجماع شاردها وآنسها، ممّن سارت أخباره، وعرفت به أشعاره وتصانيفه في أحكام المسلمين، ممّا يشهد أنّه فرع تلك الأصول، ومن ذلك البيت الجليل، وأورد له عدّة مقاطع، وحكى الخطيب التبريزي أنّ اباالحسن علي بن أحمد الفالي الأديب كانت له كتاب نسخة الجمهرة لابن دريد في غاية الجودة فدعته الحاجة إلى بيعها فاشتراها الشريف المرتضى أبوالقاسم المذكور بستّين ديناراً وتصفّحها فوجد بها أبياتاً بخط بايعها أبي الحسن الفالي المذكور، وهي:

آنست بها عشرين حولاً وبعتها — لقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان ظنّي أنّني سأبيعها — ولو خلّدتني في السّجون ديوني
ولكن لضعف وافتقار وصبية — صغار عليهم تستهلّ شئوني
فقلت ولم أملك سوابق عبرة — مقالة مكويّ الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات ياأمّ مالك — كرائم من ربّ بهنّ ضنين

فارجع النسخة إليه وترك الدنانير رحمه الله تعالى» إنتهى ملخّصاً.

الثاني: قال الشهيد رحمه الله في محكيّ أربعينه: نقلت من خطّ السيّد العالم صفيّ الدين محمّد بن معد الموسوي بالمشهد المقدّس الكاظمي في سبب تسمية السيّد المرتضى بعلم الهدى: أنّه مرض الوزير أبو سعيد محمّد بن

⬅ الحسين بن عبدالصمد في سنة عشرين وأربعمائة، فرأى في منامه أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: قل لعلم الهدى: «يقرأ عليك حتّى تبرأ».
فقال: يا أميرالمؤمنين ومن علم الهدى؟
قال عليه السلام: «علي بن الحسين الموسوي».
فكتب الوزير إليه بذلك.
فقال المرتضى رضي الله عنه: الله الله في أمري، فإنّ قبولي لهذا اللقب شناعة عَلَيّ.
فقال الوزير: ماكتبت إليك إلّا بما لقّبك به جدّك أميرالمؤمنين عليه السلام.
فعلم القادر الخليفة بذلك فكتب إلى المرتضى: تقبل يا علي بن الحسين ما لقّبك به جدّك.
فقبل وأسمع النّاس.
الثالث: قال صاحب رياض العلماء: ونقل عن خط الشهيد الثاني ﵀ على ظهر كتاب الخلاصة: إنّه كان السيّد المرتضى معظّماً عند العام والخاص، ونقل عن الشيخ عزّالدين أحمد بن مقبل يقول: لو حلف إنسان أنّ السيّد المرتضى كان أعلم بالعربيّة من العرب لم يكن عندي آثماً، وقد بلغني عن شيخ من شيوخ الأدب بمصر أنّه قال: والله إنّي استفدت من كتاب الغرر مسائل لم أجدها في كتاب سيبويه ولا غيره من كتب النحو وكان نصيرالدين الطوسي ﵀ إذا جرى ذكره في درسه يقول: «صلوات الله عليه» ويلتفت إلى القضاة والمدرّسين الحاضرين درسه ويقول: كيف لا يصلّى على المرتضى؟
وقد ذكر المعرّي اسم المرتضى والرضي ومدحهما في مرثيته لوالدهما في ديوان السقط ومن أبيات تلك المرثية:

أبقيت فينا كوكَبين سناهما   في الصبح والظلماء ليس بخاف

وقال أيضاً:

ساوى الرضي والمرتضى وتقاسما   خطط العلى بتناصف ونصاف

الرابع: قال شيخنا البهائي في كشكوله: كان للشيخ أبي جعفر الطوسي أيّام قراءته على السيّد المرتضى ﵀ كلّ شهر اثنا عشر ديناراً، ولابن البرّاج كلّ شهر ثمانية دنانير، وكان السيّد المرتضى يجري على تلامذته ... وكان السيّد ﵀ نحيف الجسم، وكان يقرأ مع أخيه الرضي على ابن نباتة صاحب الخطب، وهما طفلان، وحضر المفيد مجلس السيّد يوماً فقام من موضعه وأجلسه فيه وجلس بين يديه، فأشار المفيد بأن يدرس في حضوره، وكان يعجبه كلامه إذا تكلّم، وكان السيّد قد وقف قريبة على كافّة الفقهاء، وحكاية رؤية المفيد في المنام فاطمة الزهراء عليها السلام وأنّها أتت بالحسن والحسين، ومجيء فاطمة بنت الناصر بولديها الرضي والمرتضى في صبيحة ليلة المنام وقولها له: علم ولدي هذين؛ مشهورة.
الخامس: حكي عن القاضي التنوخي صاحب السيّد المرتضى أنّه قال: ولد السيّد سنة ٣٥٥ وخلّف بعد وفاته ثلاثين ألف مجلّد من مقروءاته ومصنّفاته ومحفوظاته، ومن الأموال والأملاك ما يتجاوز عن الوصف، وصنّف كتاباً يقال له: الثمانين، وخلّف من كلّ شيء ثمانين، وعمّر إحدى وثمانين سنة، من أجل ذلك سمّي الثمانيني، ⬅

على أبي العلاء المعرّي الدّهري[1] في جواب ما سأل عنه مرموزاً

دخل أبوالعلاء المعرّي على السيّد المرتضى قدّس الله روحه فقال ، أيّـها السـيّد مـا قـولك فـي الكل ؟

قال السيّد : ما قولك في الجزء ؟

فقال : ما قولك في الشعرى ؟

فقال : ما قولك في التدوير ؟

قال : ما قولك في عدم الإنتهاء ؟

قال : ما قولك في التحيّز والناعورة ؟

فقال : ما قولك في السبع ؟

فقال : ما قولك في الزايد البري من السبع ؟

فقال : ما قولك في الأربع ؟

فقال : ما قولك في الواحد والإثنين ؟

فقال،: ما قولك في المؤثّر ؟

⬅ وبلغ في العلم وغيره مرتبة عظيمة ، قلّد نقابة الشرفاء شرقاً وغرباً ، وإمارة الحاجّ والحرمين ، والنظر في المظالم وقضاء القضاة ، وبلغ على ذلك ثلاثين سنة».

(١) اختلف في عقيدة أبي العلاء المعرّي ؛ فقيل : إنّه كان ملحداً ومات كذلك ، وقيل : إنّه كان مسلماً موحّداً ، وقيل : إنّه كان ملحداً ثمّ أسلم . وهذا القول الأخير يعزّزه ما قرأته في ديوان عبدالمحسن الصوري ﷺ المتوفى سنة ٤١٩ (المخطوط في مكتبة الأديب الفاضل الشيخ محمّد هادي الأميني ـ حفظه الله ـ) من قوله :

نـجى المعرّي من العار	ومن شناعات وأخبار
وافـقني أمس على أنّه	يقول بالجنّة والنّار
وأنّه لا عاد من بعدها	يصبوا إلى مذهب بكّار

واسم أبي العلاء المعرّي «أحمد» بن عبدالله بن سليمان .

قال الشيخ عبّاس القمي في ترجمته ج٣ من الكنى والألقاب ص ٦١٠ : «الشاعر ، الأديب ، الشهير ، كان نسيج وحده بالعربيّة ، ضربت آباط الإبل إليه ، وله كتب كثيرة ، وكان أعمى ذا فطانة ، وله حكايات من ذكائه وفطانته ، حكي أنّه لمّا سمع فضائل الشريف السيّد المرتضى اشتاق إلى زيارته ، فحضر مجلس السيّد ، وكان سيّد المجالس ، فجعل يخطو ويدون إلى السيّد فعثر على رجل فقال الرجل : من هذا الكلب ؟ فقال المعرّي : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين إسماً . فلمّا سمع الشريف ذلك منه قرّبه وأدناه فامتحنه فوجده وحيد عصره وأعجوبة دهره ، فكان ابوالعلاء يحضر مجلس السيّد ، وعدّ من شعراء مجلسه ...» .

فقال : ما قولك في المؤثّرات ؟

فقال : ما قولك في النحسين ؟

فقال : ما قولك في السعدين ؟

فبهت أبوالعلاء .

(قال) : فقال السيّد المرتضى قدّس الله روحه ـ عند ذلك ـ : ألا كلّ ملحد ملهد !

فقال أبوالعلاء : من أين أخذته ؟

قال : من كتاب الله : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[١] .

وقام وخرج .

فقال السيّد ﵀ : قد غاب عنّا الرّجل وبعد هذا لا يرانا .

فسُئل السيّد ﵀ عن كشف هذه الرموز والإشارات .

فقال : سألني عن الكل ، وعنده الكل قديم ، ويشير بذلك إلى عالم سمّاه «العالم الكبير» فقال : ما قولك فيه ؟ أراد أنّه قديم .

فأجبته عن ذلك وقلت له : ما قولك في الجزء ؟ لأنّ عندهم الجزء «محدث» وهو متولّد عن «العالم الكبير» وهذا الجزء عندهم هو «العالم الصغير» وكان مرادي بذلك : أنّه إذا صحّ أنّ هذا العالم محدث ، فذلك الّذي أشار إليه إن صحّ فهو محدث أيضاً ، لأنّ هذا من جنسه على زعمه ، والشيء الواحد لا يكون بعضه قديماً وبعضه محدثاً ، فسكت لمّا سمع ما قلته .

وأمّا الشعرى : أراد أنّها ليست من الكواكب السيّارة .

فقلت له : ما قولك في التدويرات ؟ أردت «الفلك» في التدويرات والدوران والشعرى لا يقدح في ذلك .

وأمّا عدم الإنتهاء ، أراد بذلك أنّ العالم لا ينتهي لأنّه قديم .

فقلت له : قد صحّ عندي «التحيز والتدوير» وكلاهما يدلّان على الإنتهاء .

وأمّا السبع : أراد بذلك «النجوم السيّارة» الّتي هي عندهم ذوات الأحكام .

فقلت له : هذا باطل بالزايد البري الذي يحكم فيه بحكم لا يكون ذلك الحكم منوطاً بهذه الكواكب السيّارة ، الّتي هي : «الزهرة والمشتري والمريّخ وعطارد والشمس والقمر وزحل» .

---

(١) لقمان ١٣.

وأمّا الأربع أراد بها «الطبايع»[١] .

فقلت له : في الطبيعة الواحدة النارية يتولّد منها دابّة بجلدها تمس الأيدي ثمّ يطرح ذلك الجلد على النّار فتحرق الزهومات ، فيبقى الجلد صحيحاً ، لأنّ الدابّة خلقها الله على طبيعة النّار ، والنّار لا تحرق النّار ، والثلج أيضاً تتولّد فيه الديدان وهو على طبيعة واحدة ، والماء في البحر على طبيعتين يتولّد منه السموك والضفادع ، والحيّات ، والسلاحف ، وغيرها ، وعنده لا يحصل الحيوان إلّا بالأربع فهذا مناقض بهذا .

وأمّا المؤثّر ، أراد به : «الزحل» .

فقلت له : ما قولك في المؤثّرات ؟ أردت بذلك أنّ المؤثّرات كلّهنّ عنده مؤثّرات ؛ فالمؤثّر القديم كيف يكون مؤثّراً ؟!

وأمّا النحسين ، أراد بهما : أنّهما من النّجوم السيّارة ، إذا اجتمعا يخرج من بينهما سعد .

فقلت له : ما قولك في السعدين ؟ إذا اجتمعا خرج من بينهما نحس ، هذا حكم أبطله الله تعالى ، ليعلم الناظر أنّ الأحكام لا يتعلّق بالمسخّرات ، لأنّ الشاهد يشهد أنّ «العسل والسكر» إذا اجتمعا لا يحصل منهما «الحنظل» و«العلقم والحنظل» إذا اجتمعا لا يحصل منهما «الدبس والسكر» هذا دلي على بطلان قولهم .

وأمّا قولي ألاكلّ ملحد ملهد ، أردت : إنّ كلّ مشرك ظالم ، لأنّ في اللغة : ألحد الرجل إذ عدل من الدين ، وألهد إذا ظلم ، فعلم أبوالعلاء ذلك وأخبرني عن علمه بذلك ، فقرأت : ﴿ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ ﴾ الآية .

وقيل : إنّ المعرّي لمّا خرج عن العراق سئل عن السيّد المرتضى ﷺ ، فقال :

يا سائلي عنه لمّا جئت أسأله	ألا هو الرّجل العاري من العار
لو جئته لرأيت النّاس في رجل	والدهر في ساعة والأرض في دار

---

(١) أي : العناصر الأربعة على رأي الفلسفة القديمة وهي : التراب ، والنار ، والماء والهواء .

احتجاجه قدّس الله روحه في التعظيم والتقديم لأئمّتنا على سائر الورى ما عدا نبيّنا بطريقة لم يسبقه إليها أحد، ذكرها في رسالته الموسومة بـ «الرسالة الباهرة في فضل العترة الطاهرة»

قال : وممّا يدلّ أيضاً على تقديمهم وتعظيمهم على البشر : أنّ الله تعالى دلّنا على أنّ المعرفة بهم كالمعرفة به تعالى ، في أنّها «إيمان وإسلام» وأنّ الجهل بهم والشك فيهم كالجهل به والشك فيه ، في أنّه « كفر وخروج من الايمان» وهذه منزلة ليس لأحد من البشر إلّا لنبيّنا ، وبعده لأميرالمؤمنين والأئمّة من ولده ، لأنّ المعرفة بنبوّة الأنبياء المتقدّمين من آدم إلى عيسى غير واجبة علينا ، ولا تعلّق لها بشيء من تكاليفنا ، ولولا أنّ «القرآن» ورد بنبوّة من سمّي فيه من الأنبياء المتقدّمين فعرفناهم تصديقاً للقرآن ، وإلّا فلا وجه لوجوب معرفتهم علينا ، ولا تعلّق لها بشيء من أحوال تكاليفنا .

وبقي علينا أن ندلّ على أنّ الأمر على ما ادّعيناه .

والّذي يدلّ على أنّ المعرفة بإمامة من ذكرناه من جملة الإيمان ، وأنّ الإخلال بها كفر ورجوع عن الإيمان : «إجماع» الشيعة الإماميّة على ذلك ؛ فإنّهم لا يختلفون فيه ، وإجماعهم حجّة ، بدلالة أنّ قول الحجّة المعصوم الّذي قد دلّت العقول على وجوده في كلّ زمان في جملتهم وفي زمرتهم ، وقد دللنا على هذه الطريقة في مواضع كثيرة من كتبنا ، واستوفينا ذلك في جواب المسائل التبانيات خاصّة ، وفي كتاب نصرة ما انفردت به الشيعة الإماميّة من المسائل الفقهيّة ، فإنّ هذا الكتاب مبني على صحّة هذا الأصل .

ويمكن أن يستدلّ على وجوب المعرفة بهم : بـ «إجماع الأُمّة» مضافاً إلى ما بيّنّاه من إجماع الإماميّة ؛ وذلك : أنّ جميع أصحاب الشافعي يذهبون إلى أنّ الصّلاة على نبيّنا في التشهد الأخير فرض واجب ، وركن من أركان الصلاة ، متى أخلّ بها الإنسان فلا صلاة له ، وأكثرهم يقول : إنّ الصلاة في هذا التشهد على آل النبيّ عليهم الصّلاة والسّلام في الوجوب واللزوم ووقوف أجزاء الصلاة عليهم كالصلاة على النّبيّ . والباقون منهم يذهبون إلى أنّ الصّلاة على الآل مستحبّة وليست بواجبة ، فعل القول الأوّل لابدّ لكلّ من وجبت عليه الصّلاة من معرفتهم من حيث

كان واجباً عليه الصّلاة عليهم ، فإنّ الصّلاة عليهم فرع على المعرفة بهم ، ومن ذهب إلى أنّ ذلك مستحب فهو من جملة العبادة ، وإن كان مسنوناً مستحباً ، والتعبديّة يقتضي التعبّد بما لا يتمّ إلّا به من المعرفة .

ومن عدى أصحاب الشافعي لا ينكرون أنّ الصّلاة على النّبيّ وآله عليهم السلام في التشهّد مستحبّة ، وأيّ شبهة تبقى مع هذا في أنّهم عليهم السلام أفضل النّاس وأجلّهم ، وذكرهم واجب في الصّلاة ، وعند أكثر الأمّة من الشيعة وجمهور أصحاب الشافعي : إنّ الصّلاة تبطل بتركه ، وهل مثل هذه الفضيلة لمخلوق سواهم أو يتعدّاهم ؟

وممّا يمكن الإستدلال به على ذلك : أنّ الله تعالى قد ألهم جميع القلوب وغرس في كلّ النّفوس تعظيم شأنهم ، وإجلال قدرهم ، على تباين مذاهبهم ، واختلاف ديانتهم ونحلهم ، وما أجمع هؤلاء المختلفون والمتباينون مع تشتّت الأهواء وتشعّب الآراء على شيء كإجماعهم على تعظيم من ذكرنا وإكباره ، فإنّهم يزورون قبورهم ويقصدون من شاحط البلاد وشاطها مشاهدهم ، ومدافنهم ، والمواضع الّتي رسمت بصلاتهم فيها ، وحلولهم بها ، وينفقون في ذلك الأموال ، ويستنفدون الأحوال .

فقد أخبرني من لا أُحصيه كثرة أنّ أهل نيشابور ومن والاها من تلك البلدان يخرجون في كلّ سنة إلى طوس لزيارة الإمام أبي الحسن عليّ بن موسى الرّضا صلوات الله عليهما بالجمال الكثيرة ، والأهب الّتي لا يوجد مثلها إلّا للحجّ إلى بيت الله الحرام ، هذا مع أنّ المعروف من انحراف أهل خراسان عن هذه الجهة ، وازورارهم عن هذا الشعب ، وما تسخير هذه القلوب القاسية ، وعطف هذه الأُمم النائية ، إلّا كالخارقات للعادات ، والخارج عن الأُمور المألوفات ، وإلّا فما الحامل للمخالفين لهذه النحلة ، المنحازين عن هذه الجملة ، على أن يراوحوا هذه المشاهد ويغادوها ، ويستنزلوا عندها من الله تعالى الأرزاق ، ويستفتحوا بها الأغلاق ، ويطلبوا ببركتها الحاجات ، ويستدفعوا البليّات ، والأحوال الظاهرة كلّها لا توجب ذلك ، ولا تقتضيه ولا تستدعيه ، وإلّا فعلوا ذلك فيمن يعتقدونهم أو أكثرهم إمامته وفرض طاعته ، وإنّه في الديانة موافق لهم غير مخالف ، ومساعد غير معاند ، ومن المحال أن يكونوا فعلوا ذلك لداع من دواعي الدنيا ، فإنّ الدّنيا عند غير هذه الطائفة موجودة ، وعندها هي مفقودة ، ولا لتقيّة واستصلاح ، فإنّ التقيّة هي فيهم لا منهم ، ولا خوف من جهتهم ، ولا سلطان لهم ، وكلّ خوف إنّما هو عليهم ، فلم يبق إلّا داعي الدين ،

وذلك هو الأمر الغريب العجيب الّذي لا تنفذ في مثله إلّا مشيّة الله ، وقدرة القهّار الّتي تذلّل الصعاب ، وتقود بأزمّتها الرّقاب .

وليس لمن جهل هذه المزيّة أو تجاهلها أو تعامى عنها وهو يبصرها ، أن يقول : إنّ العلّة في تعظيم غير فرق الشيعة لهؤلاء القوم ليست ما عظّمتموه وفخّمتموه وادّعيتم خرقه للعادة وخروجه عن الطبيعة ، بل هي لأنّ هؤلاء القوم من عترة النّبيّ ﷺ ، وكلّ من عظّم النّبيّ ﷺ فلابدّ أن يكون لعترته وأهل بيته معظّماً ومكرّماً ، وإذا انضاف إلى القرابة الزهد ، وهجر الدّنيا ، والعفّة ، والعلم ، زاد الإجلال والإكرام لزيادة أسبابها .

والجواب عن هذه الشبهة الضعيفة : أن قد شارك أئمّتنا عليهم السّلام والصّلاة في نسبهم وحسبهم وقرابتهم من النّبيّ ﷺ غيرهم ، وكانت لكثير منهم عبادات ظاهرة وزهادة في الدّنيا بادية ، وسمات جميلة ، وصفات حسنة ، من ولد أبيهم عليه وآله السّلام ، ومن ولد عمّهم العبّاس رضوان الله عليهم ، فما رأينا من الإجماع على تعظيمهم ، وزيارة مدافنهم ، والإستشفاع بهم في الأغراض ، والإستدفاع بمكانهم للأعراض والأمراض ، ما وجدنا مشاهداً معايناً في هذا الإشتراك ، وإلّا فمن الّذي أجمع على فرط إعظامه وإجلاه من ساير صنوف العترة ، يجري في هذا الحال مجرى الباقر والصادق والكاظم والرضا صلوات الله عليهم أجمعين ، لأنّ من عدا من ذكرناه من صلحاء العترة وزهّادها ممّن يعظّمه فريق من الأُمّة ويعرض عنه فريق ، ومن عظم منهم وقدّمه لا ينتهي في الإجلال والإعظام إلى الغاية الّتي ينتهي إليها فيمن ذكرناه ولولا أنّ تفصيل هذه الجملة ملحوظ معلوم لفصّلناها على طول ذلك ، ولسمّينا من كنّينا عنه ، ونظرنا بين كلّ معظم مقدم من العترة ، ليعلم أنّ الّذي ذكرناه هو الحقّ الواضح وما عداه هو الباطل الماضح[1] .

وبعد ؛ فمعلوم ضرورة أنّ الباقر والصّادق ومن وليهما من أئمّة أبنائهما ﷺ كانوا في الديانة والإعتقاد وما يفتون به من حلال وحرام على خلاف ما يذهب إليه مخالفوا الإماميّة ، وإن ظهر شكّ في ذلك كلّه فلا شكّ ولا شبهة على منصف في أنّهم لم يكونوا على مذاهب الفرق المختلفة المجمعة على تعظيمهم والتقرّب إلى الله تعالى بهم ، وكيف يعترض ريب فيما ذكرناه ؟! ومعلوم ضرورة أنّ شيوخ الإماميّة وسلفهم في ذلك الأزمان كانوا بطانة للباقر وللصادق صلوات الله عليهما ومن وليهما أجمعين السلام ، وملازمين لهم متمسكين بهم ، ومظهرين أنّ كلّ شيء يعتقدونه وينتحلونه

---

(١) الماضح : المشين المعيب .

ويصحّحونه أو يبطلونه فعنهم تلقّوه ومنهم أخذوه ، فلو لم يكونوا عليهم السلام بذلك راضين وعليه مقرّين لأبوا عليهم نسبة تلك المذاهب إليهم ، وهم منها بريئون خليّون ، ولنفوا ما بينهم من مواصلة ومجالسة ، وملازمة وموالاة ، ومصافاة ، ومدح وإطراء وثناء ، ولأبدلوه باللوم والذم ، والبراءة والعداوة ، فلو لم يكن أنّهم عليهم السلام لهذه المذاهب معتقدون وبها راضون ، لبان لنا واتّضح ، ولو لم يكن إلّا هذه الدلالة لكفت وأغنت ، وكيف يطيب قلب عاقل ، أو يسوغ في الدين لأحد أن يعظّم في الدّين من هو على خلاف ما يعتقد أنّه الحقّ وما سواه باطل ثمّ ينتهي في التعظيمات والكرامات إلى أبعد الغايات وأقصى النهايات ؟ وهل جرت بمثل ذلك عادة ؟ أو مضت عليه سنّة ؟ أولا يرون أنّ الإماميّة لا تلتفت إلى من خالفها من العترة ، وحاد عن جادتها في الديانة ، ومحجّتها في الولاية ، ولا تسمح له بشيء من المدح والتعظيم ، فضلاً عن غايته وأقصى نهايته ، بل تبرأ منه وتعاديه ، وتجريه في جميع الأحكام مجرى من لا نسب له ولا حسب ، ولا قرابة ولا علقة ، وهذا يوقظ على أنّ الله تعالى خلق في هذه العصابة العادات ، وقلّب الجبلات ، ليبيّن من عظيم منزلتهم ، وشريف مرتبتهم ، وهذه فضيلة تزيد على الفضائل ، وتوفي على جميع الخصائص والمناقب ، وكفى به برهاناً لائحاً ، وحجاباً راجحاً .

قطعنا هذا الكتاب على كلام السيّد علم الهدى قدّس الله روحه ، والحمد لله ربّ العالمين ، والصّلاة على خير خلقه محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الفهارس الفنّيّة



فهرس الآيات

فهرس الروايات والآثار

الرواية	المعصوم	الصفحة
إنّ الملائكة أشرفها عند الله أشدّها لعليّ بن أبي طالب حبّاً ...	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ٥٣
إنّا لم نحكّم الرّجال وإنّما حكّمنا ...	أمير المؤمنين عليه السلام	ج ١/ ٢٤٧
إنّ النّبيّ خرج في مرضه الّذي توفّي فيه ...	.....	ج ١/ ٨٩
إنّ النّبي نهى عن القيل والقال، وفساد المال ...	الإمام الباقر عليه السلام	ج ٢/ ٤٩
إنّ الوقوف عند الشبهات خير من الإقتحام في الهلكات ...	الإمام الصادق عليه السلام	ج ٢/ ٩٤
إنّ أمّ أيمن امرأة من أهل الجنّة	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١١٨
أنا مدينة العلم وعليّ بابها ...	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١٠٠
أنا، وأخي علي، وأحد عشر من ولدي	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١٩٧
أنا وأصحابي لا شرقيّون ولا غربيّون، نحن ناشئة القطب ...	أمير المؤمنين عليه السلام	ج ١/ ٣١٤
أنا يوم القيامة آخذ بحجزة ربّي والحجزة النّور ...	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١٨٨
إنّ أبغض الخلايق إلى الله تعالى رجلان: ...	أمير المؤمنين عليه السلام	ج ١/ ٣٤٥
إنّ أكرم النّاس على النّاس من كان خيره عليهم فايضاً ...	الإمام السجّاد عليه السلام	ج ٢/ ٤٧
إنّ أمير المؤمنين كان ذات يوم جالساً في الرحبة ...	الإمام الصادق عليه السلام	ج ١/ ٣٠١
أنّ أمير المؤمنين كان يخطب فقال في خطبته: «سلوني ...	.....	ج ١/ ٣٤٤
إنّ أوحى إلى موسى بن عمران أن اتّخذ أخاً من أهلك ...	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١٤٥
إنّ أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره ...	الإمام السجّاد عليه السلام	ج ٢/ ٤٤
إنّ تابوتاً من نار فيه اثنا عشر رجلاً ...	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١١٠
أنت الذائد عن حوضي يوم القيامة؛ تذود ...	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ٣٥٨
أنت الفاروق؛ تفرّق بين الحقّ والباطل	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١٨٥
أنت الهادي لمن ضلّ	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١٤٥
أنت إلى خير، إنّما نزلت فيّ وفي أخي ...	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١٩٧
أنت أحبّ الخلق إليّ وأقولهم بالحق	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١٨٢
أنت أخي ووزيري وصاحبي من أهلي	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١٨٥
أنت أفضل الخلايق عملاً يوم القيامة بعد النبيّين	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١٨٥
أنت أقدمهم سلماً، وأفضلهم علماً، وأكثرهم حلماً	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١٨٦
أنت أقرب الخلق منّي يوم القيامة ...	رسول الله صلى الله عليه وآله	ج ١/ ١٨٤



فهرس الأعلام

فهرس القبائل والطوائف

فهرس الأماكن والبقاع

فهرس الكتب

فهرس الوقائع والأيام

الأشعار

قــــد كـــان بـــعدك أنـــباء وهـــنبثة — لو كـانت شـاهدها لم تكـثر الخـطب

إنّــا فــقدناك فــقد الأرض وابـلها — واختلّ قـومك فـاشهدهم ولا تـغب

قـد كـان جـبريل بـالآيات يـؤنسنا — فـغاب عـنّا فكـلّ الخير مـحتجب

وكـنت بـدراً ونـوراً يسـتضاء بـه — عـليك يـنزل من ذي العزّة الكتب

تـجهّمتنا رجـال واسـتخفّ بـنا — إذ غـبت عـنّا فـنحن اليوم نـغتصب

فسوف نـبكيك مـا عشـنا ومـا بـقيت — مـنّا العـيون بـتهمال لهـا سكب

القائلة: فاطمة الزهراء عليها السلام ـ ١/١٢٠

«قـد كـان بـعدك أنـباء وهـنبثة — لو كـنت شـاهدها لم تكـثر الخـطب

إنّـا فـقدناك فـقد الأرض وابـلها — واختلّ قـومك فـاشهدهم ولا تـغب

وكـلّ أهـل له قـربى ومـنزلة — عـند الإله عـلى الأدنـين مـقترب

أبـدت رجـال لنـا نـجوى صـدورهم — لمّـا مـضيت وحـالت دونك التـرب

تَـهَجّمَتْنا رجـال واسـتخفّ بـنا — لمّـا فـقدت وكـلّ الأرض مـغتصب

وكـنت بـدراً ونـوراً يسـتضاء بـه — عـليك يـنزل مـن ذي العـزّة الكـتب

وكـان جـبريل بـالآيات يـؤنسنا — فـقد فـقدت وكـلّ الخـير مـحتجب

فـليت قـبلك كـان المـوت صـادفنا — لمّـا مـضيت وحـالت دونك الكـثب»

القائلة: فاطمة الزهراء عليها السلام ـ ١/١٣٦ ـ ١٣٧

تـرك الأُمـور الّـتي تـخشى عـواقبها — لله أجـمل فـي الدّنـيا وفـي الدّيـن

أتـى عـليّ بأمـر كـنت أعـرفه — قـد كـان عـمر أبـيك الخير مـذ حـين

فقلت حسبك من عذل أباحسن — بعض الّذي قلت هذا اليوم يكفيني
فاخترت عاراً على نار مؤجّجة — أنّى يقوم لها خلق من الطّين
نبّئت طلحة وسط النقع منجدلاً — مأوى الضيوف ومأوى كلّ مسكين
قد كنت أنصر أحياناً وينصرني — في النائبات ويرمي من يراميني
حتّى ابتُلينا بأمر ضاق مصدره — فأصبح اليوم ما يعنيه يعنيني

القائل: زبير بن العوام ـ ٢١٦/١

لو كان معتصماً من زلّة أحد — كانت لعائشة الرتبىٰ على النّاس
من زوجة لرسول الله فاضلة — وذكر آي من «القرآن» مدراس
وحكمة لم تكن إلّا لهاجسها — في الصدر يذهب عنها كلّ وسواس
يستنزع الله من قوم عقولهم — حتّى يمرّ الّذي يقضي على الراس
ويرحم الله أمّ المؤمنين لقد — تبدّلت لي إيحاشاً بإيناس

القائلة: أم سلمة ـ ٢٢٣/١

مستقبلين رياح الصيف تضربهم — بحاصب بين أغوار وأنجاد

القائل: أخو بني أسد ـ ٢٣٨/١

محمّد النّبيّ أخي وصنوي — وحمزة سيّدالشهداء عمّي
وجعفر الّذي يضحي ويمسي — يطير مع الملائكة ابن أمّي
وبنت محمّد سكني وعرسي — مسوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها — فأيّكم له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الإسلام طرّاً — غلاماً ما بلغت أوان حلمي
وصلّيت الصلاة وكنت طفلاً — مقرّاً بالنّبي في بطن أمّي
وأوجب لي ولايته عليكم — رسول الله يوم غدير خمّ
أنا الرّجل الذي لا تنكروه — ليوم كريهة أو يوم سلم

فــويل ثــمّ ويــل ثــمّ ويــل　　　لمن يـلقى الإله غـداً بـظلمي»

القائل: أميرالمؤمنين عليه السلام ـ ١/٢٣٩ ـ ٢٤٠

شتّان ما يومي على كـورها　　　ويــوم حـيّان أخـي جـابر

القائل: الأعشى ـ ١/٢٥٤

أنت الإمام الّـذي نـرجـو بـطاعته　　　يوم النشور من الرّحمن رضوانـا

أوضحت من ديننا ما كان مـلتبساً　　　جـزاك ربّك عـنّا فـيه إحسـانا

وليس مـعذرة فـي فـعل فـاحشة　　　قد كنت راكـبها فسـقاً وعـصيانا

كـلّا ولا قـائلاً نـاهيه أوقـعه　　　فـيه عـبدت إذاً يـا قـوم شـيطانا

ولا أحبّ ولا شـاء الفسـوق ولا　　　قـتل الوليّ له ظـلماً وعـدوانـا

أنّى يحبّ وقـد صـحّت عـزيمته　　　على الّذي قال أعلن ذاك إعـلانا»

القائل: رجل من أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام ـ ١/٢٧٥ ـ ٢٧٦

شفينا أنفساً طـابت وقـوراً　　　فنالت عـزّها فـيمن يـلينا

فـابنا بـالغنيمة حـيث أبـنا　　　وابـنا بـالملوك مـقرّنينا

القائل: مروان بن الحكم ـ ١/٣٦٧

«فإن نهزم فهزّامـون قـدماً　　　وإن نـهزم فـغير مـهزّمينا

وما إن طبّنا جـبن ولكـن　　　مـنايانا ودولة آخـرينا

فلو خلد الملوك إذاً خلدنا　　　ولو بـقي الكـرام إذاً بـقينا

فقل للشـامتين بـنا أفـيقوا　　　سيلقى الشامتون بما لقينا»

القائل: الإمام الحسين عليه السلام ـ ٢/٢١

«كفر القوم وقدماً رغبوا ... عن ثواب الله ربّ الثقلين
قتلوا قدماً عليّاً وابنه ... حسن الخير كريم الطرفين
حنقاً منهم وقالوا أجمعوا ... نفتك الآن جميعاً بالحسين
يا لقوم من أُناس رذّل ... جمعوا الجمع لأهل الحرمين
ثمّ صاروا وتواصوا كلّهم ... باحتياج لرضاء الملحدين
لم يخافوا الله في سفك دمي ... لعبيدالله نسل الكافرين
وابن سعد قد رماني عنوة ... بجنود كوكوف الهاطلين
لا لشيء كان منّي قبل ذا ... غير فخري بضياء الفرقدين
بعليّ الخير من بعد النّبي ... والنبيّ القرشيّ الوالدين
خيرة الله من الخلق أبي ... ثمّ أُمّي فأنا ابن الخيرتين
فضّة قد خلقت من ذهب ... فأنا الفضّة وابن الذهبين
من له جدّ كجدّي في الورى ... أو كشيخي فأنا ابن القمرين
فاطم الزهراء أُمّي وأبي ... قاصم الكفر ببدر وحنين
عروة الدّين عليّ المرتضى ... هادم الجيش مصلّى القبلتين
وله في يوم أُحد وقعة ... شفت الغل بقبض العسكرين
ثمّ بالأحزاب والفتح معاً ... كان فيها حتف أهل القبلتين
في سبيل الله ماذا صنعت ... أُمّة السوء معاً بالعترتين
عترة البرّ التقيّ المصطفى ... وعليّ القرم يوم الجحفلين
عَبَدَ الله غلاماً يافعاً ... وقريش يعبدون الوثنين
وقلى الأوثان لم يسجدْ لها ... مع قريش لا ولا طرفة عين
طعن الأبطال لمّا برزوا ... يوم بدر وتبوك وحنين»

القائل: الإمام الحسين عليه السلام ـ ٢٢/٢ ـ ٢٣

«أنا ابن عليّ الطهر من آل هاشم ... كفاني بهذا مفخراً حين أفخر
وجدّي رسول الله أكرم من مشى ... ونحن سراج الله في الخلق نزهر

وفاطم أُمّي من سلالة أحمد	وعمّي يدعى ذوالجناحين جعفر
وفينا كتاب الله أُنزل صادقاً	وفينا الهدى والوحي بالخير تذكر
ونحن أمان الله للنّاس كلّهم	نطول بهذا في الأنام ونجهر
ونحن حماة الحوض نسقي ولاتنا	بكأس رسول الله ما ليس ينكر
وشيعتنا في الحشر أكرم شيعة	ومبغضنا يوم القيامة يخسر

القائل: الإمام الحسين عليه السلام ـ ٢/٢٣

نحن قتلنا عليّاً وبني عليّ	بسيوف هنديّة ورماح
وسبينا نساءَهم سبيَ ترك	ونطحناهم فأيّ نطاح

القائل:... ـ ٢/٢٥

فما ذنبنا إن جاش دهر بحورنا	وبحرك ساج لا يواري الدعامصا

القائل:... ـ ٢/٢٥

«ماذا تقولون إذ قال النّبيّ لكم	ماذا صنعتم وأنتم آخر الأُمم
بأهل بيتي وأولادي وتكرمتي	منهم أُسارى ومنهم ضرّجوا بدم
ما كان ذاك جزائي إذ نصحت لكم	أن تخلفوني بسوء في ذوي رحم
إنّي لأخشى عليكم أن يحلّ بكم	مثل العذاب الّذي أودى على إرم»

القائل: زينب الكبرى عليها السلام ـ ٢/٢٧

كهولكم خير الكهول ونسلكم	إذا عدّ نسل لا يبور ولا يخزى

القائل: شيخ من أهل الكوفة ـ ٢/٢٧

«لا غرو إن قتل الحسين وشيخه	قد كان خيراً من حسين وأكرما
فلا تفرحوا يا أهل كوفة بالّذي	أُصيب حسين كان ذلك أعظما

قـتيل بشـطّ النـهر نـفسي فـداؤه   جـزاء الّـذي أرداه نـار جـهنّما»

القائل: الإمام السجّاد عليه السلام ـ ٢/٢٨

لعـبت هـاشم بـالملك فـلا   خـبر جـاء ولا وحـي نـزل
ليت أشـياخي بـبدر شـهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسـل
لأهـلّوا واسـتهلّوا فـرحـاً   ولقـالوا يـا يـزيد لا تشـل
فـجزيناهم بـبدرٍ مـثلاً   وأقـمنا مـثل بـدر فـاعتدل
لست من خـندف إن لم أنـتقم   من بـني أحـمد مـا كـان فـعل

القائل: يزيد لعنه الله ـ ٢/٣٠

لأهـلّوا واسـتهلّوا فـرحـاً   ولقـالوا يـا يـزيد لا تشـل

القائل: يزيد لعنه الله ـ ٢/٣٢

يا صيحة تحمد من صوايح   ما أهون الموت على النوائح

القائل: يزيد لعنه الله ـ ٢/٣٣

«من عرف الربّ فلم تـغنه   معرفة الربّ فـذاك الشـقي
ما ضرّ في الطـاعة مـا نـاله   فـي طـاعة الله ومـاذا لقـي
ما يصنع العبد بـغير التـقى   والعـزّ كـلّ العـزّ للـمتّقي»

القائل: الإمام السجّاد عليه السلام ـ ٢/٤٢ ـ ٤٣

تـجمّلت تـبغّلتِ وإن عشتِ تـفيّلتِ   لكِ التّسع مـن الثمن وبـالكلّ تـملّكتِ

القائل: محمّد بن أبي بكر ـ ٢/١٢٦

لم تخل أفعالنا اللّاتي نـذمّ بـها | إحدى ثلاث معان حين نأتـيها
إمّـا تـفرّد بـارينا بـصنعتها | فيسقط اللوم عنّا حين نـنشيها
أو كـان يشـركنا فـيها فـيلحقه | ما سوف يلحقنا من لائـم فـيها
أو لم يكـن لإلهي فـي جـنايتها | ذنب فما الذنب إلّا ذنب جانيها

القائل:... ـ ١٣٨/٢

أنّى يكون ولا يكـون ولم يكـن | لبـني البـنات وراثـة الأعـمام

القائل: مروان بن أبي حفصة ـ ١٤٤/٢

أنّى يكـون ولا يكـون ولم يكـن | للـــمشركين دعـائم الإســلام
لبني البنات نصيبهم مـن جـدّهم | والعـــم مـتروك بـغير سـهام
مـــا للـطليق وللـتراث وإنّـما | سجد الطـليق مخافة الصـمصام
وبـــقى ابـن نـثلة واقـفاً متلدداً | فـــيه ويـــمنعه ذوو الأرحـام
إنّ ابـن فـاطمة المـنوّه بـاسمه | حاز التراث سـوى بـني الأعـمام

القائل: هاتف ـ ١٤٤/٢ ـ ١٤٥

إنّ الحـمار مـع الحـمار مـطيّة | فإذا خلوت به فبئس الصاحب

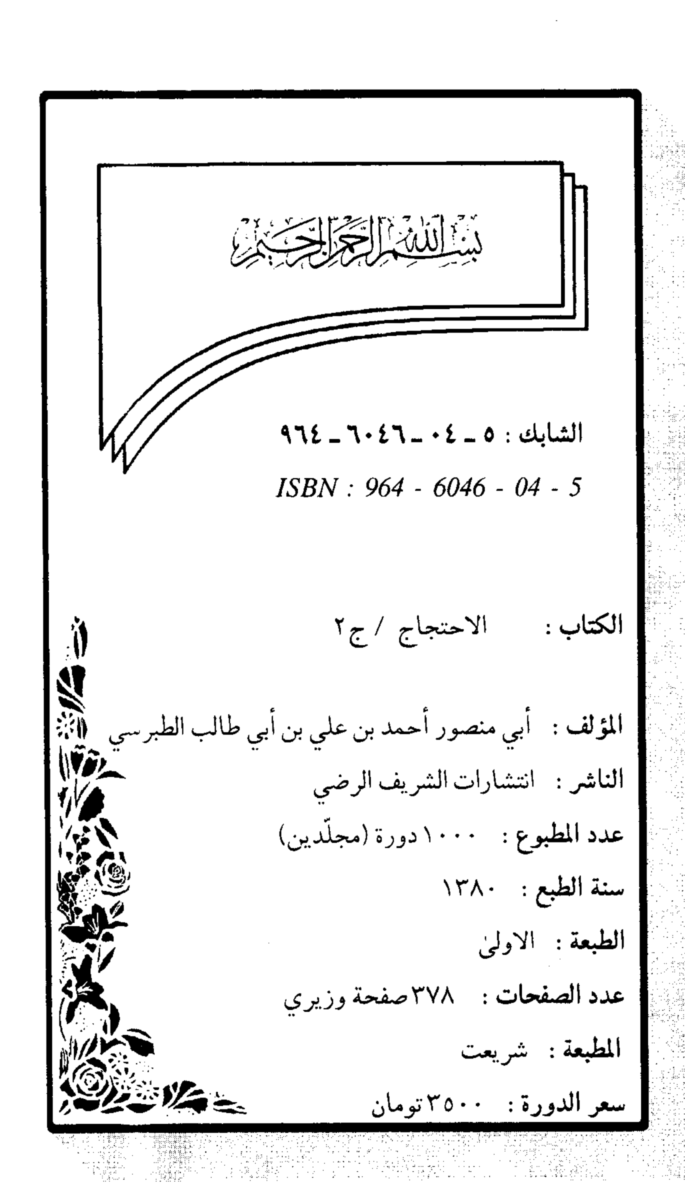
القائل:... ـ ٢٧٥/٢

زرت هنداً وذاك غير اختيان | ومعي صاحب كـتوم اللسـان

القائل:... ـ ٢٧٥/٢

يا سـائلي عـنه لمّـا جـئت أسأله | ألا هو الرّجل العاري مـن العـار
لو جئته لرأيت النّاس فـي رجـل | والدهر في ساعة والأرض في دار

القائل: أبوالعلاء المعرّي ـ ٢٨٢/٢



الشابك : ٥ ـ ٠٤ ـ ٦٠٤٦ ـ ٩٦٤

ISBN : 964 - 6046 - 04 - 5

الكتاب : الاحتجاج / ج ٢

المؤلف : أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي

الناشر : انتشارات الشريف الرضي

عدد المطبوع : ١٠٠٠ دورة (مجلّدين)

سنة الطبع : ١٣٨٠

الطبعة : الاولىٰ

عدد الصفحات : ٣٧٨ صفحة وزيري

المطبعة : شريعت

سعر الدورة : ٣٥٠٠ تومان